دكتور محمد عباس

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة

مكتبة مدبولى

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة

الكتـاب : الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة - مع ملف كامل عن أزمة الوليمة
تـألـيـف : دكتور محمد عباس
الطبعـة : الأولى ٢٠٠١
الناشـر : مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ فاكس : ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٢٦٠٧/ ٢٠٠١
الترقيم الدولى : ISBN : 977 - 208 - 317 -5

دكتور محمد عباس

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة

مكتبة مدبولى

٢٠٠١

حقوق الطبع محفوظة

المحتويات

ملف وليمة لأعشاب البحر

الموضـــــــــوع الصفحة

هوامش ملف الوليمة

المقدمة

لو أنك يا أمة آمنت حقا لما كان هذا الحالُ حالَك..

أصلحى عقيدتك يا أمة فإن هذا السواد حالِك..

إننى أكاد أفهم الآن – فى عذاب لا يوصف – بصيصا من معنى الآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"..

تلك هى الأمانة يا أمة.. الأمانة التى عجزت عن حملها السماوات والأرض..

الأمانة .. العقيدة..

عقيدة لا إله إلا الله ..

تلك التى اصطفانا بها الله وميزنا على العالمين..

لا إله إلا الله..

تلك هى الفاصلة بيننا وبين الآخرين..

فهل حافظنا عليها بحقها..

لا والله..

ولكم كان يرعبنى أن أتهم واحدا بالكفر فأبوء به..

لذلك اقتصرت على اتهام المنهج والفكر لا الأفراد (لم أتجاوز ذلك إلا فى أزمة الوليمة.. وكنت بحمد الله على صواب)..

كنت أقترب من هذه المنطقة برعب وحذر..

الآن ينفجر فىَّ اللغم يا أمة رغم الحرص والحذر..

فبعد الحضيض الذى وصلنا إليه لم يعد ثمة مناص من **المفاصلة: إما إيمان وإما كفر**.. ذلك يا أمة أن الداء وبيل..

والنار تكوينى أتساءل: هل سلمت عقيدتك يا أمة عندما زاغت قلوب ظالميك الذين مرق بعضهم من الإيمان مروق السهم من الرمية؟!..

إننى أعلم أننى بهذا التساؤل أفتح بابا لنار من نيران الأخدود على نفسى، ولكن مرحبا بها، لا والله .. ليس لكى يقال شجاع.. ولكن خوفى يا رب منك أكثر من خوفى منهم..

ثم أننى وحق جلالك وعزتك يا رب: لا أطلب منك ميثاقا أن أجاهد فيك بشرط ألا أوذى.. لكنى أسألك العفو ثم لا أبالى على أى جنب كان فى الله مصرعى..

يا أمـــة ..

لســت أدعــى لنفســى الصــواب والحكمـــة.. كمـــا أنـــنى لن أخدعكم أبدا لأدعـــى أنـــنى وحـــدى اكتشفت طريق النجاة.. فما أنا إلا بقايا من أعظم و أنبل وأرقـــى حضـــارة فـــى الدنـــيا.. حضـــارة لا إلـــه إلا الله.. نعم بقايا من مزقة شـــراع تمـــزق.. وشـــظية ســـفينة تحطمـــت.. ومزقة الشراع تدرك أنها وحدها لا تدفـــع الســـفينة أبـــدا ثـــم أنـــه لا سفينة.. وشظية الخشب تدرك أنها لا يمكن وحدهـــا أن تكـــون ســـفينة أبـــدا ثم أنه لا شراع.. بك يا أمة يلتئم الصدع ويرتق الفـــتق وتعـــود المـــزق شـــراعا والشـــظايا سفينة نأوى إليها فتعصمنا من جبال المـــاء.. مـــن الطوفـــان يـــا أمـــة.. كـــل واحد منا معلق بشظية أو يمسك مزقة مـــن شـــراع.. بـــك يـــا أمة.. بكم يا قراء.. حينما يدرك كل واحد منكم أنه مزقة وشـــظية.. وحيـــن يجـــاهد كـــى يقـــترب مـــن الآخرين كى تعود السفينة سفينة والشراع شراعا.. بك يا أمة.. وبكم يا قـــراء..

العقيدة يا أمـــة ..

كيف بكم يا ناس .

كـــيف بكـــم وقـــد تركـــتم الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تجبر حكـــامكم فـــأذلوكم وفســـق مـــترفوكم فـــأهلكوكم وضـــل مثقفوكم فأضلوكم .. وتحالفـــت أضـــلاع المثلـــث مـــا بيـــن الجبار الظالم والمترف الفاسق والمثقف الضـــال المضـــل وتكالـــبوا علـــيكم مـــن خـــلال أجهـــزة الإعلام كى يستنزفوا الوعـــى ويشـــوهوا الذاكـــرة ويطفـــئوا نور العقيدة حتى أننى أظن الأمة تحتاج مـــن جديـــد إلـــى رعـــيل تتعقـــب بـــه أضـــلاع المثلث المدنس، كذلك الرعيل الصـــالح الـــذى أخـــذ فـــى قـــرون الإســـلام الأولـــى يتعقب أصحاب الأحاديث الموضـــوعة الذيـــن كذبـــوا علـــى رســـول الله صلى الله عليه وسلم، وأننا نحتاج إلـــى صـــياغة عصـــرية تقلـــد كتـــب الجرح والتعديل كى تكشف لنا من يزيفون وعيـــنا .. فتصـــف كاتـــبا بأنـــه فاسق لا تقبل مقالته، والآخر بأنه كذاب لا تقبل روايـــته، والثالـــث بأنـــه ســـكير لا تقـــبل شـــهادته، والرابع بأنه لص لا ترجى أمانـــته، والخـــامس بأنـــه خائـــن لا يؤتمـــن حكمه، والسادس بأنه شاذ، والسابع أنـــه مجـــرم والثامـــن بأنـــه ضـــعيف العقـــل والتاسع أنه شيطان والعاشر بأنه يجمع بين هذه الموبقات جميعا، وهكذا دواليك..

تشرذمت يا أمة. فهل تعرفين يا أمة لم تشرذمت..

لأنك فقدت الدليل والمرجع..

اتبعتم هواكم.. وما دمتم قد اتبعتم هواكم فقد حق لكل واحد منكم أن يكون جزيرة معزولة.. هو مرجع نفسه.. لماذا تلومونه إذن حين لا يتفق مع آخرين هم مراجع نفوسهم.. فلماذا فقدت مقياسك ومرجعك يا أمة ؟!..

لماذا فقد بعض كتابك عقولهم وضمائرهم فلم تقوّميهم..

تتركين وعيك ينزف وذاكرتك تستنزف وأنت سادرة فى خلافات واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان..

ولماذا أطعتم أوثانكم وعصيتم الله.. نعم أوثان.. فآيات الأوثان لم تنسخ.. هل تلوت يا أمة قول الله :

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} .

فتربصى يا أمة .. تربصى..

يقول الكاتب الفرنسى إيتين لامى : " إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيده انتشارا، أما الوسيلة الفعالة لهدمه وتقويض دعائمه فهى تربية بنيه فى المدارس التبشيرية أو المسيحية، ونفث جراثيم الإلحاد فى صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون، فإن لم يتنصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا مسيحيين"..

أما زويمر كبير المبشرين فى العالم الإسلامى فيتحدث عن هدفهم من عزل القرآن عن الناشئة وتشويه تاريخ الإسلام لتكوين مجتمع لا هو يهودى ولا هو مسيحى ولا هو مسلم فيقول: " ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة.. " ..

ويقول جب : " تغريب الشرق إنما يقصد به إلى قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحى..وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر، حتى إذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها.. وبقيت عيالا على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعادة..وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا.. " ..

لماذا تركت الجهاد يا أمة..

ألفان فى جروزنى مرغوا فى الطين ثانى أقوى دولة فى العالم.. ماذا لو كانوا عشرة آلاف .. ماذا لو كانوا مائة ألف .. ماذا لو كانوا مليونا ..

وهل كان يمكن حينها يا أمة لا إله إلا الله أن ينتهكنا ذلك العالم الداعر كما يفعل الآن ..

لماذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يا أمة وتخليت عن الساحة لأضلاع المثلث المدنس .. لماذا تركتيهم يخدعونك باستقطاب بعض شيوخ السلاطين حولهم ذرا للرماد فى العيون.. ثم يحاصرون بعد ذلك شيوخك الحقيقيين وعلماءك و رموزك وفقهاءك، حتى أصبحت كلمة الشيخ تعنى فى قاموس أضلاع المثلث المنكود تخلفا جديرا بالسخرية ، والفقيه كل دنايا النفس البشرية الجديرة بالازدراء.. والجرأة على الله والمقدسات تحضرا والكفر تنورا والعهر حرية المرأة.. يفعلون ذلك ثم يهاجمون بكل الضراوة السفيهة أعظم رموزنا.. وذلك كله مخطط يا قراء.. يدرُسونه ويدرّسونه فى أجهزة الأمن وأوكار المباحث.. إذ يظنون أنهم بذلك يفقدون مثل هذا الشيخ الكبير أو الفقيه العالم المثقف بعض مهابة.. يظنون أن التجريح الشخصى يمكن أن يمنع مثله من المواجهة.. فإن لم ينجحوا فى ذلك فإنهم يأملون عن طريق كسر الهيبة أن يقللوا تأثيره على الناس..

لماذا تركتيهم يا أمة يسرقون صوتك ويزورون إرادتك، ثم لا يكتفون بهذا بل يجعلون الانتماء إلى أصغر مجالسهم تمنح حصانة للسارق والمنتهب فلا يطاله قانون، لماذا لم تصرخى فيهم أن العضوية فى بيت آل النبى لم تكن تمنح حصانة لفاطمة بنت محمد – صلى الله عليه وسلم – إذا هى سرقت..

لم تترك لك أضلاع المثلث المدنس يا أمة شيئا.. لا الدين ولا الدنيا..

وحتى حصنك الأخير : "القرآن" اجترءوا عليه..

***

يضم هذا الكتاب بين دفتيه خمسين مقالة نشرت بصحيفة الشعب المصرية قبل أزمة الوليمة، ولقد فوجئت أثناء إعداد الكتاب أن كل مقال منها كان مناسبا للكتابة بعد الوليمة وكأنه يكتب خصيصا للرد على أدعياء الثقافة والتنوير، كما أن المقالات الأربع المنشورة عن قضية الوليمة نفسها، كانت تصلح جميعها دون أزمة الوليمة لتكون الامتداد الطبيعى والخاتمة المنطقية لخمسين مقال نشرت عبر عام ..

نعم، كانت المقالات أشبه بدراسة نظرية ، ثم جاءت أزمة الوليمة كتطبيق عملى يثبت صواب الدراسة النظرية .

إننى أهدى هذا الكتاب إلى الأمة كلها ثم أخص بالإهداء طلبة جامعة الأزهر.. قلب الأمة ووعيها العصى على التزييف .. أولئك الذين انتفضوا غيرة على دينهم.. ليدفعوا الثمن من دمائهم .. فى نقطة تحول حاسمة سيذكرها التاريخ.

كما أهديه أيضا إلى السابقين الصالحين ، الذين حاولوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتعرضوا للتشويه.. ثم للحصار المفروض عليهم من أضلاع المثلث المنكود ، وأخص من هؤلاء : العلامة محمود شاكر الذى حمل الراية فى القرن العشرين.. و أشهد أنه حملها باقتدار، وحاولت أن أحملها بعده فقصر جهدى، فقصرت، لم أسع سعيه ولم أفر فريه ولم أجاهد جهاده، ولم أعط لراية دينك يا رب حقها، فاعف عنى واغفر لى عجزى فقد حاولت وحق جلالك ما أستطيع..

لقد واجهوا العلامة محمود شاكر بمنتهى البطش والعنف، أغلقوا المجلة التى كان يكتب فيها، وحاصروه وحاولوا تشويه صورته ثم حبسوه، وهم يتبعون معى نفس الوسائل والطرق، إذ يبدو أن الممنوع هو إيقاظ الأمة كى تتنبه لحجم حجم المؤامرة التى تحاك لها.

لكننى واثق أنهم إن نالوا منى .. وخلا الثغر الذى أقف عليه .. فسوف يتقدم من يسد الثغر ويحمل الراية.. راية الدفاع عن عقيدتنا وعن إيماننا وعن مستقبلنا وعن ثقافتنا الحقيقية .. ثقافتنا التى لا تقرأ تاريخنا بأعين أعدائنا.. ثقافتنا التى لا تستنزف وعينا.. ولا توسع من ثقوب الذاكرة.. ثقافتنا التى تعلم الناس أن معاداة الإسلام الآن وحصار الإسلاميين ليس مجرد خطيئة دينية، وإنما هو خيانة وطنية أيضا، فبعد انهيار دعاوى القومية، وحصار أقطارنا الإسلامية قطرا بعد قطر، لم يعد لنا سوى الإسلام هوية، ووطنا ودفاعا وسلاحا..

فهل رأيتم قائدا يدمر أسلحة جيشه قبل أن يخوض المعارك إلا إذا كان متحالفا مع الأعداء.. وشريكا فى المؤامرة..

نعم .. المؤامرة..

يقف الجهابذة منهم ليتحدثوا عن تفاصيل المؤامرة التى قام بها الغرب ضد الاتحاد السوفيتى حتى انهار وتفتت.. وكيف أنفق الغرب على مؤامرته تلك ألف مليار دولار.. فلا ينكر من السامعين أحد.. بل ويتبارى كل منهم فى إضافة المزيد.. ويتحدث العالمون ببواطن الأمور عن المؤامرة التى حاكتها أمريكا ضد بريطانيا وفرنسا فى حرب السويس كى تحل امبراطوريتها الفتية محل امبراطورياتهم المتهاوية، فلا ينكر عليه أحد ما

ذهب إليه بل يقدمون المزيد من التفاصيل.. يتحدثون عن مؤامرات الغرب على جنوب شرق آسيا والصين واليابان وأمريكا اللاتينية فلا ينكر منكر..

إلا الإسلام والمسلمين.. ما أن يتصدى أحد لكشف فكرة المؤامرة حتى يسلقونه بألسنة حداد. نفس الألسنة التى تبارت فى إضافة المزيد ووشى التفاصيل الدقيقة للمؤامرات ضد أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.. نفس الألسنة تعوى عواء ذئاب حين نتحدث عن المؤامرة ضد الإسلام، يصرخون: هؤلاء المتأسلمون الظلاميون غير القادرين على التكيف مع العالم.. لا يكفون عن الحديث عن المؤامرة..

نعم.. هناك مؤامرة هائلة نرى ونحس آثارها تحيط بنا كأذرع الأخطبوط.. هناك مؤامرة على الأمة وعلى الأوطان وعلى الدول وعلى الصناعة والتجارة والزراعة والحرب.. وعلى الثقافة..

ولقد كانت معركة الوليمة إحدى هذه التجليات، كما أن دخول البورصة مجال الثقافة وتكوين الشركات العملاقة التى تذوب فيها حدود الأوطان لتعبر حدود القارات، وتتغير الولاءات، دليل آخر.

منذ أعوام تسيطر علىّ فكرة تأصيل نظرية المؤامرة، والفكرة يقين لكن المراجع قليلة، وإننى أدعو القراء والكتاب والمهتمين كل فى مجاله أن يمدونى بما يمكننى من إنجاز هذا الكتاب. راجيا منهم المراسلة على موقعى على شبكة الإنترنت: www.mohamadabbas.com أو على بريدى الإليكترونى: mohamadabbas@usa.net

نعم.. هناك مؤامرة تحاك لنا منذ أكثر من ألف عام، مؤامرة تستهدف انتزاع الدين من قلوبنا، لنساس بعد ذلك كقطيع من الخراف يندفع نحو المجزرة وهو فرح بها نشوان.

وليس لنا ولا أمامنا إلا الإسلام.. لا لنحميه بل ليحمينا..

إننا لا نختار الإسلام لأنه يحل لنا مشاكل الدنيا، بل إننا نتجاوز شعار: "الإسلام هو الحل" لكى نقول : بل حتى لو لم يكن الإسلام هو الحل لمشاكل الدنيا فلا اختيار لنا سواه..

نعم .. ليس ثمة اختيار إلا الإسلام..و أن سياستنا وحياتنا يجب أن تسير فى هذا الاتجاه..وكذلك ثقافتنا.. ثقافتنا التى تقدس ربنا فلا رب لنا سواه.. ولا منتهى لنا إلا عنده.. ثقافتنا المؤمنة.. ثقافتنا التى لا تبجل كتابا فى الدنيا كما تبجل كتاب الله.. ثقافتنا التى تحترم ديننا ونبينا وأسلافنا الصالحين .. وتعتز بهم .. وتتيه فخارا على العالمين..

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ

الـم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ
رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ
{٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {٣}
والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ
وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {٤}
أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن
رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ {٥}البقرة

صدق الله العظيم

ظاهرة مصرية عميقة الدلالات

.. إن الدكتور محمد عباس ظاهرة مصرية عميقة الدلالات، ووجوده يثبت أن مصر حافلة بالصناديد من رجال الفكر و أرباب القلم الذين يدفعون عن وطنهم و أمتهم، والذين يقفون بالمرصاد لكل تفكير منحرف أو ذوق ملتو ..

ولعل الدكتور محمد عباس أن يكون أبرز فرسان هذا الميدان، وأن تكون مقالاته التى ينشرها فى صحيفة الشعب المصرية تباعا تحت عنوان" الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة " أنموذجات ماثلة على الوعى المقاوم فى مصر المحروسة، فهو لا ينفك يؤجج النيران فى جنبات الغفلة القائمة، وفى أطراف الليل المقيم كاشفا لنا أبعاد الهجمة الغربية الشرسة التى تستهدف جعل الأرض صعيدا زلقا من الإنسان ومن الثقافة والحضارة فى آن .. وحين نلقى نظرة طائرة على الموضوعات التى يتناولها الدكتور محمد عباس، سواء أكانت متعلقة بمصر أم بسائر أقطار العروبة والإسلام، فإننا نجدها مشمولة بنفس واحد، أو ملتهبة بنار واحدة، هى الغيرة على محارم الله والوطن والإنسان أن تستباح، فالغيرة هنا هى مفتاح شخصية كاتبنا الكبير، ولكنها غيرة مشفوعة بالعلم والثقافة وبالذوق الرفيع، ومسوقة مساق المجاهدة، ومأجورة بإذن الله أجرها، ثم إن مما يميز كاتبنا موسوعيته ، وامتداد الزمان والمكان أمامه، فهو يغرف من تاريخ الأمة، ويرى إليها كلها فى انبساط آمادها وترامى أطرافها يذهب فى واقعها أفقيا وعموديا، ويستبطن أعماقها، ويكتنه حقائقها، ثم يقدم كل ذلك بلغة جميلة وأسلوب حار شائق آسر.. إنه يذكرنا بالعقاد الكبير وبسيد قطب مجتمعين.. كما يذكرنا بالرافعى وشكيب أرسلان فى نسق واحد.. وهو بعد جبهة ثقافية قائمة بذاتها.. تؤكد ريادة مصر ومقاومتها واستبسالها .."

الكاتب الكبير: ابراهيم العجلونى
صحيفة الدستور الأردنية

يا سيادة الرئيس ..

السلام عليكم يا سيادة الرئيس ورحمة الله وبركاته..

وكل عام وأنت والأمة الإسلامية فى حال أفضل مما هى عليه الآن ..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس بلحظة صدق.. أحدثك فيها بما أرى أنه الحق غير مدع أننى الصواب الوحيد .. بل لا أقول إلا أن رأيى صواب يحتمل الخطأ..

فهل تسمح لى أن أكتب لك محاولا قدر ما أستطيع – معترفا بعجزى ملتمسا العون من الله – أن أمثل ضمير الأمة وأن أتحدث نيابة عن وجدانها..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس أن أحدثك والخوف من الله ماثل فى روحى متجسد فى قلبى حتى ليتضاءل بل يتلاشى إزاءه أى خوف آخر وكل خوف آخر.. ومن بينها الخوف منك..

هل تسمح لى يا سيادة الرئيس .. فى خضم الجو الروحى السابغ علينا والله ثالثنا أن أحدثك بما أرى أنه الحق.. ونصفى حاضر معك فى الدنيا.. أما النصف الآخر.. فهو أشد حضورا.. لأنه يرانا.. أنا وأنت.. بين يدى الله يوم القيامة..

هل تسمح لى أن أحدثك.. لا أطلب منك حتى الأمان كى أقول ما أريد أن أقول.. لأننى أدرك أنه لن يضرنى شئ لم يأذن به الله .. ولن ينفعنى شئ إلا مرضاة الله ..

هل تسمح لى أن أحدثك .. دون أن أقدم قربانا من نفاق .. ودون أن أصفك بما لا يجوز إلا لله .. بل إننى سأبلغ من الصراحة ومن كشف سريرة قلبى لك شأوا أبعد..

لن أقول لك حتى أننى أحبك.. لكننى أقدم لك ما هو أفضل من الحب.. وأقيَم من المبايعة.. أقدم لك بضاعة حقيقية غير مغشوشة كتلك التى يغشها المنافقون فهى اليوم لك وغدا عليك.. أقدم لك أننى أحب

---

١ – نشرت هذه المقالة بصحيفة الشعب المصرية يوم ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/١١/٢٤ .

لــك مــن الخــير مـــا أحــب لنفســى.. لا .. لــيس مجرد ذلك.. فذلك هو الحد الأدنـــى الـــذى وضـــعه الإســـلام للـــتعامل بين عامة المسلمين.. لا يؤمن أحدكم حــتى يحــب لأخــيه مــا يحــب لنفسه.. ذلك هو الحد الأدنى .. أما فى العلاقة معــك يــا رئيســـنا.. فأنــا أدرك.. أنــك لــم تصبح رئيسنا بمحض كفاءتك .. لا .. ولا بالصــدفة أصــبحت رئيســا لــه علينا فى شرع الإسلام ما للحاكم على رعيــته مــن حقــوق.. لم يكن توليك محض كفاءة ولا مجرد صدفة.. وإنما هو قــدَرُ الله الــذى قــد يكــون ابــتلاء لــك بنا وقد يكون ابتلاء لنا بك.. وقد يكون الابتلاءيــن.. إلا أنــنا نــنظر لمنصــبك بنفس المهابة والإجلال اللذين ننظر بهما إلــى قــدَرِ الله.. وعلــى هــذا فلا يحق لى أن أعاملك بالحد الأدنى الذى شرعه الإســلام بيــن المؤمنيــن.. لا يحــق لى أن أحب لك من الخير ما أحب لنفسى.. لأن مجــرد الإيمــان يدفعــنى لأن أحــب مــن الخــير لك أضعافا مضاعفة لما أحــبه لنفســى.. ذلــك أن خــيرك وصــلاحك هــو خير وصلاح لكل أمة لا إله إلا الله محمــد رســول الله .. وإنــنى لأقسم لــك بــالله قاهــر الجبابرة ومذل القياصــرة ومهلــك الأكاســرة ومبــيد الممــالك كــأن لم تكن .. أننى أحب لك من الخير أضعاف أضعاف ما أحبه لنفسى..

أريــد أيضــا يــا ســيادة الرئــيس أن أطمئنك.. أننى وأيم الله لا أتحدث من موقــع المعارضــين لــك.. بــل الخائفين عليك.. وعلى الوطن.. وعلى الأمة.. وعلى العقيدة..

أحدثــك الحديــث الــذى لــن أنقص منه حرفا حين يجمعنا الله ليوم لا ريب فــيه.. قــد أزيــد الكثــير علــيه.. ممــا أتجنب اليوم قوله كى لا أثير غضبك.. لأنــنى فــى حاجــة الــيوم إلى الاقتراب منك لا الابتعاد عنك.. إلى استرضائك واســتمالتك لا إلــى تحديــك ومعارضــتك..حــتى أنــنى سأحاول الاختصار ما اســتطعت.. كــى أتجنــب كلمــة قد تبدر منى تثير حفيظتك.. لن أطيل عليك .. ولقــد كــان فــى نيــتى أن أواصل هذه الرسالة لك حلقات تتلو حلقات.. وأسابيع بعــد أســابيع .. لكنــنى خشــيت مــن أن استعراضى لمآسينا الكثيرة.. وأحزاننا الفادحــة .. قــد يــأتى بعكــس ما أروم.. لذلك فسوف تكون رسالتى اليوم لك.. هــى خاتمــة هــذه السلســلة مــن مقالات : " الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة " والتى بدأت منذ عام بالتمام والكمال.. ..

---

١ – وجــدت أن الترتيب بهذا الشكل فى الكتاب قد يكون افضل ، ان ابدأ بالمقال الخمسين والأخير فى سلسلة تلك المقالات ، آملا أن يتيح ذلك للقارئ مع الصفحات الأولى إلمامة سريعة بمنهج البحث .

فهل يكفيك هذا منى يا سيادة الرئيس كى تسمع لى؟!..

وهل ما يزال الهامش الديموقراطى الذى يضيق عاما بعد عام يتيح لى أن أكتب لك كما كتبت منذ أعوام عديدة[1] ، فلا رجاء استجيب له ، ولا مظلمة رفعت ، ولا شئ تحسن ، كان ذلك منذ سبعة أعوام حين كتبت لك :

" ... فحاول أن تعرف الحقيقة منا لا ممن حولك، فإننا نظن – وبعض الظن حق – أنه لا يكاد الا يكون أحد منهم إلا وهو يكذب عليك ، ما من أحد يقول لك رأيا يعرف أنك لا تراه ، ما من أحد منهم يكتب مقالة يبحث فيها عن حقيقة ينزف فى تلافيفها قلبه ، وهو يحاول أن يستقطر منها الحكمة كى يقدمها إليك ، إنما يا سيدى- وتلك كارثة- يتلمسون اتجاهك ، يحاولون معرفة رأيك ، كى يؤكدوه لك ويبرروه لنا، وهم بهذا يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا مرايا، لا ترى فيها أحدا إلا نفسك ، يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا خبثا يعزلك عن ضمير الأمة، وآمالها وآلامها وعنائها، أعظم من فيهم يا سيادة الرئيس شيطان اخرس لا يامر بمعروف ولا ينهى عن منكر(...)

أجل يا سيادة الرئيس فلنحاسب أنفسنا ولنحاسب بعضنا. . قبل أن يحاسبنا الله . وإن كان يسوؤك اشتدادى عليك فى الحساب اليوم فيوم القيامة أمام الله سيكون الحساب أشد..

فهل تشك يا سيادة الرئيس أن هذا اليوم آت ؟..

لا أظن أنك تشك لكن هل أعددت لذلك اليوم العظيم نفسك ؟ أنا واثق انك لا تشك لكن إن كنت لا تشك فى ذلك الهول كله .. أفليس جديرا بك أن تدعو بالرحمة لمن يهدى إليك عيوبك ..

و أليس جديرا أن أهتف بك : اتق يوما كان عذابه مستطيرا.. كان.. فعل الديمومة والكينونة.. سوف يحدث.. لكن اليقين يجعله كأنه يحدث الآن أمامى.. ولا إيمان بلا يقين .. هى الفتنة يا سيادة الرئيس فابتغ الخلاص .. أم حسبت أن تقول أمنت ولا تفتن .

ألم تسأل نفسك قط أين الملوك والحكام قبلك وقد بعدوا ونسى ذكرهم وصاروا كلا شيء، لقد بقيت عليهم التبعات وانقطعت عنهم الشهوات ، مضوا والبنيان بنيانهم يملكه غيرهم ؟.

١- راجع للمؤلف كتاب من "مواطن مصرى للرئيس مبارك" الشركة العربية للطباعة والنشر – ١٩٩٢

فإذا لم نجرؤ نحن أن نسألك عن كل هذا.

أو إذا جرؤنا لكنك لم تعرنا اهتماما، فكيف ستواجه حساب الله سبحانه وتعالى لك يوم القيامة؟.

إننى واثق أنك أيها المسلم مثلى بالله تؤمن .

لكن ..

لا إيمان بلا يقين.. واليقين يهزم الزمن حتى يكاد يلغيه ..

وإنى لأكاد أراك رأى العين.. يحاسبك الله ويسألك الملائكة وأصابع الملايين من وطننا ومن العالم العربى والإسلامى تشير إليك هاتفة:

كان يستطيع يا رب.. لكنه لم يفعل..

أخالك يومها.. وحدك .. لا جيش ولا حرس ولا أمن مركزى ولا وزير يقلب الحقائق..

وكل نقطة قوة كانت لك فى الدنيا هى عليك فى الآخرة.. فهل أعددت عدتك للسفر يا سيادة الرئيس .. للقاء ربك."

***

كنت قد كتبت لك يا سيادة الرئيس هذا الكلام ومثله منذ ثمانية أعوام..

ولا يجرمننى شنآن قوم أن أعترف بأن السماح بنشر هذه المقالات عندما نشرت.. ثم بصدورها فى كتاب بعد ذلك هى شهادة لك يا سيادة الرئيس.. وإن حقك علىّ أن أذكرك ذكرى تنفع المؤمنين..

ولكن.. هل تمنعنى هذه الشهادة لك من أقول لك بعضا مما يحدث فى عهدك.. يهتز له عرش الله..

هل تظننى أبالغ ..

لا والله ..

ولتقرأ معى يا سيادة الرئيس..

" قامت قوات الأمن باحتجاز والد أحمد فاروق واثنى عشر شخصا من أقاربه فى الفترة ما بين ٢٠ أغسطس والرابع من سبتمبر للضغط على أحمد فاروق لإجباره على تسليم نفسه. احتجز والد أحمد فاروق لإجبار الابن على تسليم نفسه. احتجزوه فى مقر قيادة فرع مباحث أمن الدولة بالجيزة حيث تعرض للضرب الشديد على جميع أجزاء جسده

بعد تقييد قدميه ويديه، كما تعرضت زوجته للضرب فى حضوره، وأصيبت بجروح فى الرأس، وتم تهديد العائلة بالاعتداء الجنسى عليهم، وقد استمر احتجاز الأب حتى يوم ٤ سبتمبر عندما أخبره أحد الضباط بأن ابنه قد سلم نفسه وأنه أصيب بسكتة قلبية خلال التحقيق معه أدت إلى وفاته، وأنه يتعين عليه التوجه لمشرحة زينهم لاستلام الجثة مع مراعاة الالتزام بالهدوء وكتابة إقرار بأن وفاة ابنه كانت طبيعية، وألا يصطحب معه أحدا خلال إجراءات تسلم الجثة ودفنها أو يقيم أية مراسيم للعزاء..."[١]..

هل قرأت يا سيادة الرئيس..

هل قرأت..

أمامى الآن أكثر من مائة حادثة على هذه الشاكلة.. لكننى وعدتك أن أوجز..

لشد ما يسئ إليك بعض حاشيتك ورعاياك ولشد ما يجعلون موقفك يوم القيامة أمام الله صعبا..

لقد تناولت قبل ذلك بعض ما يحدث للمعتقلين فى السجون.. وثلاثة أرباعهم مسجونون دون أحكام: ١٥ ألفا من عشرين ألفا..

يا سيادة الرئيس..

إن من يواجه الله يوم القيامة ووراءه مظلوم واحد سيكون موقفه عصيبا..

فما ظنك بمن يواجه الله وخلفه عشرات الآلاف من المظلومين .. لا ظلما عاديا من ذلك الظلم الذى تعود الناس عليه بل ظلم لم يسبق فى الأولين والآخرين....

كنت أنوى يا سيادة الرئيس أن أسرد بعض ما يحدث لبعضهم.. لكن هالنى أن أهمل حرفا مما أقرأ.. هالنى أن أهمل ظلم مظلوم واحد.. وقلت لنفسى .. أننى لو كتبت بابا كاملا عن كل مظلوم فسوف أختزل الأمر اختزالا مخلا.. إذ كيف أترجم انصداع قلب أم فى صفحة صحيفة.. وكيف أنقل إليك لوعة أب فى بضع صفحات.. وكيف أعبر عن مشاعر أخ وأخت وصديق وقريب.. فى هدأة الليل.. عندما تغمض العيون ولا تنام.. عندما تسبح الذكريات فى بحر من الظلم والدم والألم.. وكل الخيالات الفاجعة

---

١ – من تقارير منظمات حقوق الإنسان .

التى تطوف برأس كل أم وكل أب وكل أخ وكل أخت وكل صديق وكل قريب عن أسيره الماسور فى السجن ظلما.. عندما تتساءل تلك العيون المرهقة عن حال أسيرها.. أجائع هو؟ أعطشان هو.. هل يرتجف بردا.. هل يغمسونه الآن فى الماء المثلج؟ هل يجلدونه الآن بالسياط.. أم يعذبونه بالنار بعد تعليقه بطريقة الخروف المشوى؟.. هل هوت ضربة السوط هذه المرة على ضربة سوط سابقة لما تلتئم من الالتهاب والقيح فتضاعف عذابها وألمها.. هل جال بخاطرك يا سيادة الرئيس ما يجول بقلب أم وهى ترى بعين الخيال ذلك فلا تتمنى إلا أن تنحرف ضربة السوط الجديدة قليلا عن أثر السوط السابق كى لا يتضاعف الألم.. لقد كفت منذ زمن عن انتظار العدل والإنصاف منا ومنك يا سيادة الرئيس.. ولم يعد يجول بخاطرها إلا مثل هذا الأمل البئيس.. لم تعد تتساءل عن صحة ابنها.. إذ يكفيها أنه ما يزال حيا حتى لو استلمته بعد عشرة أعوام بقايا كانت ذات يوم لإنسان يعج بالحياة والأمل ويدعو إلى عبادة الله الواحد القهار..

احترق قلبى يا سيادة الرئيس مع احتراق قلب أم والتاع مع التياع قلب أب..

ووجدت نفسى عاجزا .. لأننى لو اكتفيت حتى بالاختصار المخل الذى يجعلنى أكتفى ببضع صفحات لكل واحد منهم .. فإننى أحتاج إلى ألف عام كى أنقل لك بعضا من بشاعة ما يحدث..

كيف تستطيع يا سيادة الرئيس أن تواجه كل هؤلاء أمام الله..

ثم كيف وصلنا إليه دون أن يضج ضميرنا مما يحدث..

هل نحتاج إلى جيش احتلال أجنبى يفعل ما فعله جيش نابليون فى أسبانيا حين اكتشف غرف التعذيب الخاصة بمحاكم التفتيش.. وكانوا ينكرون وجودها يا سيادة الرئيس بنفس الطريقة التى ينكر بها مسئولونا وجود التعذيب الآن.. ومحاكم التفتيش نفسها كانت تدعى نفس ما يدعونه الآن من أنهم إنما يعذبون من يعذبون حفاظا على استقرار النظام بل وابتغاء مرضاة الله ..

كبرت كلمة تخرج من أفواههم..

والشيطان لا يعترف أبدا أنه شيطان وأنه على ضلال..

إننى أناشدك يا سيادة الرئيس أن تتقصى الأمر بنفسك..

وأناشد من حولك أن ينقلوا لك ولو بعض حقيقة ما يحدث..

يـا مـن تدعـون أنكـم تحـبون الرئـيس وتفـتدونه بأنفسكم.. لا تفتدوه مـن مخاطـر الدنـيا فـالله هـو الحـارس.. لكن افتدوه من مخاطر الآخرة .. افتدوه من النار..

أسقط كل خلاف بينى وبينكم..

أتوسل إليكم..

قولوا الحقيقة..

أوجه النداء إليكم يا كتابنا جميعا..

فما يحدث عار نحمل جميعا وصمته..

أوجه النداء إليك يا ثروت أباظة..

ألست كبير كتاب الحكومة ومسئولا كبيرا فى مجلس الشورى..؟..

أسـقط خلافـى واخـتلافى معـك.. وسوف ألعن معك.. وحتى أكثر منك عملـيات التعذيـب الحيوانـية الوحشـية الهمجـية المجـرمة التى تمت فى عهد جمـال عـبد الناصـر.. بـل إننى قد أزيد عليك.. أننى أطالب أيضا بفتح تحقيق كـامل فـى جـرائم الشـرطة التى تمت أيامها ضد الناس.. وأقول أكثر منك .. أن كـل مـن عـذب معـتقلا أيامهـا .. لـم يكن بشرا .. بل كلبا مسعورا وذئبا جائعـا.. بـل أخس مـن الكلـب وأغـدر من الذئب وأشد شرا من الشيطان.. أطالـب أكـثر ممـا تطالـب أنـت بأن نعيد التحقيق فى كل ما تم .. وأن نفضح الجلاديـن أيـنما كـانوا ووقـتما كـانوا.. أن ننشـر فضـيحتهم على الناس .. لـن أعـترض علـيك حـتى وأنـت تصـمهم بالكفـر – وإن لم أشاركك – .. أوافقـك يـا ثـروت أباظـة فـى كل هذا .. لكننى أطلب منك شيئا واحدا.. لكى تحـتفظ بالمصـداقية والصـدق والإيمـان التى لم تكف عن القول بها.. أناشدك .. ألا تكـون رجـل المعايـير المـزدوجة.. أن تطـبق ذات المعايير على كل عهـد.. ودعـنى يـا ثـروت أباظـة أذكرك بالمأساة الفاجعة والجريمة الفادحة الـتى حدثـت لأسـرة المـرحوم أحمـد فاروق .. ودعنى أيضا أحكى لك هذه الحكايـة الفاجعـة.. حيـن كنـت أسأل.. وكان السؤال والله جمرا يكوى قلبى.. كنـت أسـأل .. لـيس للانتصـار لعهد على عهد فالخطب أفدح من هذا بكثير.. كنـت أسـأل محدثـى الـذى أخبرنى أنه اعتقل فى العهود الثلاثة .. وعذب فيها جمـيعا.. قـال لـى أن التعذيـب فى عهد السادات كان خفيفا جدا بحيث لا يكاد يذكـر، ثـم أردف أنـه عـذب فى عهد عبد الناصر وشاهد من كانوا يعذبون.. وحـدث نفـس الشـىء فـى هذا العهد.. قال الرجل: لقد كان التعذيب فى عهد عـبد الناصـر مجـنونا ومجـرما ووحشـيا.. لكـنه لا يكـاد يقارن بما يحدث

الآن.. عندما كان المعتقل يُعَلَّقُ فى عهد عبد الناصر لمدة ساعتين كانت أرجاء السجن كلها تهتز للحادثة.. فمهما وصفت لك لن يمكنك أبدا أن تتخيل الآلام المروعة للتعليق.. حين يعلقون الإنسان بطرق مختلفة.. يبدعون كالشيطان فى زيادة الألم.. تعليق ساعتين يسفر أحيانا عن الشلل.. ثم صمت الرجل.. وقال فى إيجاز.. لقد شاهدت فى هذا العهد من يعلق لمدة أربعة أيام متواصلة..

انفطر قلبى يا سيادة الرئيس..

انفطر قلبى..

سرت النار فى عروقى كسم حية رقطاء..

ما الذى وصل بنا إلى هذا الحال..

حتى الفراعين لم يعذبوا هكذا..

إن لدى آلاف الأمثلة الموثقة بتقارير رسمية من مؤسسات رسمية.. بل ولدىّ أحكام القضاء.. ولقد عرضت بعضا من ذلك فيما قبل.[1]

ليست هذه أخلاق الإسلام ولا حضارة الغرب المعاصرة.. ولا حتى مروءة الجاهلية الأولى..

إذ يروى التاريخ أن أبا جهل عندما أراد قتل النبى محمد صلى الله عليه وسلم ووقف على بيته هو وشباب قريش ينتظرون خروجه (صلى الله عليه وسلم) لقتله ، قال أحد هؤلاء المشركين : ندخل عليه بيته ونقتله وهو نائم فى فراشه، فقال أبو جهل: ثكلتك أمك هل تريد أن يتحدث العرب ويقولون أن أبا جهل يروع بنات محمد . فانظر إلى الفرق بين أبى جهل وبين ما تفعله أجهزة أمننا ..

نعم.. فى الجاهلية كان لديهم من العرف ما يسمح لمن يريد أن يجير ليحمى الضحايا من مثل ذلك العذاب ..

فى الغرب – الآن – لا يوجد ما يسمح بمثل ذلك التعذيب ..

أما شريعة الإسلام فقبل الجميع وفوق الجميع تحرمه وتجرمه بل وترتفع بدرجة الجريمة فيه إلى مراتب أولها الفسوق وآخرها الكفر....

من أى مباءة رهيبة إذن انتشر فينا هذا الوباء وبأى شريعة إلا أن تكون شريعة الشيطان ..

---

١ – راجع للمؤلف: إنى أرى الملك عاريا– مكتبة مدبولى – ١٩٩٩

ما الذى وصل بنا إلى هذا الحال..

دعنى أحكى لك يا سيادة الرئيس حكاية حزينة..

نبيلة وحزينة..

رائعة وحزينة..

كنا هملا فى التاريخ بعد أن بادت حضاراتنا فأكرمنا الله بالإسلام فإذا نحن خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر..

برسالة الإسلام بلغت البشرية نضجها.. انتقلت من التجسيد والتحريف إلى التجريد والإيمان.. إننى أرجوك يا سيادة الرئيس أن تركز على هذا المعنى .. على الإيمان.. على درجة التوحيد وفقهه .. تلك القمة السامية التى منحنها الله وفضلنا بها على العالمين.. فعندما يؤمن الواحد منا بالله يرى كل شىء من خلاله.. الحياة والممات والنسك.. لا يصبح ما لقيصر لقيصر بل لله السماوات والأرض وما بينها.. لا يصبح الدين لله والوطن للجميع.. بل لله الأمر كله..

أناشدك يا سيادة الرئيس.. بحق الله عليك.. بحق الأمة عليك .. بل بحقك على نفسك.. أن تراجع كل هذا.. عندما واجه المسلمون أقوى قوة فى ذلك الزمن.. عندما اصطدم الجيش الإسلامى فى غزوة مؤتة بالجيش الرومانى.. ثلاثة آلاف مقابل نيف ومائتى ألف.. كان ذلك عام ٨ هجرية.. بعدها بخمسة أعوام فقط.. كان الجيش الإسلامى يحارب على جبهتين أقوى إمبراطوريتين فى العالم فى نفس الوقت فقضى على الفرس قضاء تاما أما الرومان فقد هزمهم فى موقعة اليرموك هزيمة فادحة وانسحب "**قيصر**" قائلا كلمته التى احتفظ بها التاريخ: {**عليك يا سوريا السلام.. سلاما لا لقاء بعده**}.. وتذكر يا سيادة الرئيس أن المسلمين لم يكونوا قط .. لا فى هذه المعارك ولا فى جميع المعارك التى انتصروا فيها بعد ذلك أكثر عتادا أو أشد قوة.. لم ينتصروا بالعتاد ولا بالقوة بل بما وقر فى قلوبهم..

لقد كان أعداؤهم أكثر تقدما منهم بما لا يقاس.. ولقد نقلوا عن أعدائهم سرّ قوتهم.. نقلوا عنهم التكنولوجيا لكنهم لم ينقلوا عنهم الانحلال والشرك.. ولم يفقدوا إحساسهم لحظة أنهم الأرقى والأسمى.. أنهم الأعلون.. عكس ما نفعله نحن الآن تماما..

فى "**حطين**" كان عدد جيش "**صلاح الدين**" اثنتى عشر ألفا.. وبعد الإمدادات والأعراب وصل عدد الجيش إلى ٢٤ ألفا.. وكان عدد الصليبيين

أكثر من ستين ألفا وكانوا أيضا أكثر عتادا وأشد تقدما وقوة.. وانتصر المسلمون انتصارهم الساحق.. نفس الأمر فى "**عين جالوت**"..

لم تغفر الحضارة الغربية الصليبية للإسلام أبدا.. لم يتركونا فى حالنا أبدا.. لكن "**لويس التاسع**" عندما انهزم وأسر فى مصر.. اكتشف بعد الإفراج عنه -كما يحدثنا **الدكتور محمد الغتيت**- أن هذه الأمة لن تهزم أبدا بالمواجهة المباشرة.. وظل "**لويس التاسع**" الذى جعلوا منه قديسا فى القدس أربعة أعوام يضع خطته لمواجهة المسلمين عبر التاريخ بعد أن أدرك أن المعركة ستتواصل جيلا بعد جيل.. اكتشف الرجل وكان على صواب أن المسلمين ينتصرون بإيمانهم.. برسوخ عقيدة الجهاد فيهم.. بإدراكهم أن الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة – وراجع أيها الطيار علوم الفلك- .. بإيمانهم أن ما عند الله خير وأبقى.. بيقينهم أن الهزيمة كلمة لا توجد فى قواميسهم وإنما إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة (انظر يا سيادة الرئيس ماذا يفعله أربعة آلاف من المسلمين الشيشان فى ثانى أكبر قوة فى العالم.. وذلك جرح ينزف فى القلب لكن هذا ليس مجال الحديث عنه) .. أدرك "**لويس التاسع**" أنه لا يمكن مواجهة هذه الأمة إلا بتفريغ دينها من مضمونه ومحتواه..

إننى مضطر يا سيادة الرئيس للإيجاز المخل.. لكن من عهد لويس هذا بدأت ثلاثة حركات متصلة أشد ما يكون التواصل.. كل منها مهدت للأخرى وشدّت من أزرها وساعدتها.. تلك الحركات هى **الاستشراق والتبشير والاستعمار**..

بعد فشل حملة لويس التاسع ولمدة قرنين كان الغرب الصليبى يستجمع قوته ويتهيأ للانقضاض..

وكنا نحن المسلمين قد فقدنا قوة اندفاعنا الحضارية فى مواجهة الغرب الصليبى والتتار(والحملتان كان يحركهما نفس الهدف للقضاء على الإسلام لكن كتب التاريخ تخفى عنا ما هو ثابت بالوثائق من تآمرهما المشترك للقضاء على الإسلام)..[1]

---

١ – الصراع بين العرب وأوروبا. عبد العظيم رمضان.دار المعارف- موجز تاريخ العالم. هـ.ج.ويلز. الهيئة العامة للكتاب- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور.دار النهضة العربية.بيروت- تاريخ الإسلام وحضارته: دكتور عصام الدين الفقى. دار الكتاب الحديث. الكويت – موسوعة تاريخ أوروبا العام. جان بيرينجيه وآخرين. منشورات عويدات.جـ٢- صفحات من تاريخ مصر. عمر الإسكندرى وسليم حسن. مكتبة مدبولى ــ تاريخ العرب والإسلام. الدكتور عبد اللطيف الطيباوى. دار الأندلس.

كنا مثخنين بالجراح بعد أن أعطينا العالم أنبل حضارة فى التاريخ وبعد أن خضنا كل بحار العلوم..

ومع انتفاضة أوربا وهزيمة المسلمين فى الأندلس ابتدأت موجة عاتية كادت تبيد المسلمين جميعا كما أبيد الهنود الحمر.. وكان ميناء جدة قد حوصر تمهيدا لهدم الكعبة والاستيلاء على رفات الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أن قيض الله دولة إسلامية هى الدولة العثمانية لوقف سرعة انهيارنا.. أجلت الدولة العثمانية انهيارنا ثلاثة قرون.. أجلت شيّق الاستعمار ثلاثة قرون لكن التبشير والاستشراق كان يؤتى أكله .. كنا ننهزم من داخلنا.. وكنا نقرأ تاريخنا بعيون المستشرقين.. تخيل يا سيادة الرئيس أن نعتمد على مؤرخ إسرائيلى كى نعرف دورك فى حرب رمضان ؟ ..

كنا نستلب.. نفقد منهج ديننا شيئا فشيئا.. كنا نُروض كالعبيد.. مسخوا ديننا وشوهوه.. تركوا القشرة الخارجة واستلبوا القلب والعقل والضمير..

عندما صرخ حسين الشافعى فى شهادته على العصر أن المخابرات المركزية الأمريكية زرعت الرئيس السادات كعميل لها منذ عام ١٩٦٠ كنت أقول لنفسى أن الكارثة أبعد من هذا بكثير.. كنت أستعيد قول جلال أمين.. أن الحكام العرب يخونون قضية أمتهم منذ خمسة قرون.. بل ذهبت إلى أبعد مما ذهب إليه جلال أمين.. لم يكن الحكام العرب وحدهم.. بل جل حكام المسلمين.. وليت الأمر اقتصر على هذا وإلا لأمكن للأمة أن تعالجه.. كانت بعض نخبة الأمة قد أصيب .. أصبحت عبدة لمفاهيم المستشرقين.. وكان الغرب يشجع بل ويتآمر كى يضع تلك النخبة الخائنة فى الصدارة لكى تتولى مقاليد الأمور..

انظر يا سيادة الرئيس كيف وظفوا محمد على كى تكون الدولة ضد الأمة ..

ولقد قام محمد على بالدور المطلوب خير قيام .. فإن الجيش الذى صنعته له فرنسا، وقام بتدريبه سليمان باشا الفرنساوى قد استخدمه محمد على لا فى محاولة الاستقلال عن الخلافة فحسب، بل فى محاربة الخليفة نفسه ! وقد كاد يتغلب على جيش الخليفة بالفعل لولا تدخل بريطانيا.. تظاهرا بالوقوف فى صف الخليفة، وغيرة فى الحقيقة من أن تستأثر فرنسا بصداقة السلطان، وبالنفوذ فى مصر ! وفى الوقت نفسه لتخدم الهدف العام للصليبية بطريقة أخرى.. فقد أوقفت بريطانيا محمد على عند حده فى ظاهر الأمر، ومنعته من مهاجمة الخليفة، وفى الوقت ذاته ضمنت له الاستقلال الفعلى عن الخليفة ، وكرست أول شق عميق لفكرة الدولة

الإسلامية المحورية.. سلحته أوروبا كي يستنزف قوة الإسلام وكي يكون كل الضحايا مسلمين.. هذا بينما تجمعت أوربا الصليبية كلها لتحطيم محمد علي في معركة نافارين لأنه نسى نفسه وتجرأ على مهاجمة دولة صليبية هي اليونان ! فقد كبّرته الصليبية وسلحته لمحاربة الإسلام فقط ، فإذا فعل ذلك فله كل العون . أما إذا هاجت أطماعه لحسابه الخاص ، فمسّ أحد الصليبيين بسوء، فإنهم يتحدون عليه لتحطيمه تحطيما كاملا إذا لزم الأمر..[1]

إننى يا سيادة الرئيس أتناول مجرد العناوين ولا أطرح إلا رؤوس الموضوعات.. فالمجال لا يتسع لطرح أكثر من هذا .. لكننى أدعو الله وأناشدك أن تدرسه أنت.. وأن تستفيض فى دراسته..

ادرس ما حدث فى القرن التاسع والقرن العشرين.. حين أكمل الغرب حركتى التبشير والاستشراق بالاحتلال المباشر.. حين استطاع بقوة الدبابة والمدفع.. أن يغير النخبة القائدة فى كل بلد إسلامى.. قرّبَ الخونة وأعدم الأبطال.. ونحّى منهج الإسلام تماما.. ثم راحوا ينشرون من أكاذيبهم وضلالاتهم ما ينزع الإسلام من قلوبنا ويبغّضه إلى عقولنا..

نجحوا يا سيادة الرئيس..

فقدنا كنزنا وأخذنا وباءهم عندما نحينا الإسلام عن صياغة أمرنا.. كان كخيط العقد فرطنا فيه فانفرط أمرنا..

ظللنا ألف عام أقوى أمة وأنبل أمة وأشجع أمة وارقى حضارة..

لم نضعف بالإسلام أبدا بل ضعفنا عندما تخلينا عنه..

ولست بمدع أن كل عصور تلك الفترة كانت عصور خير.. بل كان بعد الخير شر وبعد الشر خير حتى أتى هذا الشر الذى نعيش فيه الآن ولا نعلم حتام يدوم..شر أسود خالص بلا بصيص ضوء إلا الأمل فى وعد الله ..

يا سيادة الرئيس.. إن لم تكن تؤمن بفكرة المؤامرة الأبدية والتعارض الحتمى الذى تحمله حضارة الغرب لنا فإننى أدعوك للأيمان بمؤامرة الشيطان علينا.. على إيماننا.. لأنه إما إيمان وإما كفر..

---

١ – المسألة الشرقية: دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية. محمود ثابت الشاذلى. مكتبة وهبة – العثمانيون فى التاريخ والحضارة. دكتور محمد حرب.سلسلة دراسات عثمانية. القاهرة– صفحات من تاريخ مصر. مرجع سابق– تاريخ مصر. دكتور ناصر الأنصارى. دار الشروق.

يـا سـيادة الرئـيس : إنـنا نُحْكمُ الآن بفكر الغرب وحضارة الغرب وحقد الغرب على الإسلام والمسلمين..

إن إعلامـنا وتعليمـنا وسياسـتنا مكرسـة كلهـا ضـد الإسـلام ولصالح حضارة الغرب..

ولقـد ابـتدءوا بالتغريـب فلـم يـأخذوا منه إلا قشور الانحلال التى سمح لهم بها الغرب ثم انتقلوا من التغريب إلى التغييب..

فـى هـذا الجـو يـا سيادة الرئيس لم يكن للإسلام أن يستسلم.. أبدا لم يكن لـه ذلـك.. وحـاول بعـض أبـنائه الجهاد فى سبيل الله.. أخطئوا وأصابوا .. لكـنهم كـانوا إلـى الصـواب أقـرب.. وإنـنى لا أملـك حتى فى الخطاة فيهم إلا قـول الإمـام علـى كـرم الله وجهـه أنهـم قوم طلبوا الحق فأخطأوه.. وأن النخب الحاكمة فى جل عالمنا الإسلامى قوم طلبوا الباطل فأصابوه..

مـاذا فعلـت السـلطة الـتى لـم تنشـأ إلا بالاسـتعمار فـى الاتجاه الإسلامى .. ؟ ..

نصبت المشانق..

زورت الانتخابات..

أوصدت كل الأبواب..

ولقـد تصـرفت أجهـزة الأمـن فى جل عالمنا الإسلامى كما لو كانت فرقا بقيت من جيوش الصليبيين لتستأصل ما بقى من شأفة الإسلام..

بـلا عقـل ولا ضـمير ولا خلـق.. وثمـة سؤال لم يطرحه أحد ولم يجب عـنه أحـد: هـل يذهـب قـادة الأمـن للحصـول علـى دورات تدريبـية فـى أمـريكا؟.. وإذا كـان ذلـك يحـدث فـترى بالله عليك ماذا يمكن يزرعوا فـى أدمغـتهم ضـد الإسـلام وأهلـه.. إنـنا لا نملـك أى مرجع لذلك.. ولعله مـن الأسـرار.. لكـن "**كاريمـان حمـزة**"[1] تهتك جزءا من السر عندما تخبرنا عـن التكويـن الـثقافى لقـادة الإعـلام فـى بلادنـا.. عندما يصل الأمر لحد المهـزلة.. ولا يعـرف المسـئول الكبـير عـن الإعلام فى بلادنا أن العشرة المبشـرين بالجـنة قـد بشـروا مـن الله عـن طـريق رسـوله فيقترح عليها أن تضـيف إلـيهم عـاطف صدقى (لعله الآن يختار عاطف عبيد) .. لنا الحق أن نتصـور يـا سـيادة الرئـيس أن مـا يـزرعه الصليبيون فى أدمغة قيادات النخـبة الـتى نصـبوها علـى جـل عالمـنا الإسـلامى هـو كل هذا النفور

---

١ – لله يا زمرى. كاريمان حمزة. دار الشروق.

من الإسلام والازدراء للمسلمين الذى نراه ونعاينه.. لقد غسلوا مخهم.. وضعوا فى وجدانهم أن الإسلامى وحش.. أنه ليس بشرا .. وأنه لهذا يجب أن يعامل بمنتهى القسوة والعنف.. وأن القسوة والعنف معه لا تنتقص من قيمتهم الإنسانية.. وتلك أفكار لا تجوز لهم حتى ولو كانوا صليبيين فكيف تجوز لمسلمين..

لقد بلعنا الطعم..

هم يخافون الإسلام وعلمونا أن نخاف نحن أيضا منه..

وهم منطقيون فى خوفهم من الإسلام.. فهو الحضارة الأرقى وهو القادر على كبح جماحهم كما فعل لألف عام..

أذكر يا سيادة الرئيس حادثة فاجعة نشرتها الصحف.. عن مجرم كان يخطف الأطفال ليعملوا فى " فرن " يملكه .. بدون أجر.. والمذهل أن الرجل نجح فى إقناع الأطفال أن يهربوا كلما سمعوا بوق سيارة للشرطة ..

كانوا يهربون من الأمل الوحيد فى إنقاذهم.. تماما كما نهرب نحن من الأمل الوحيد فى إنقاذنا..

يا سيادة الرئيس..

إن ما قاله حسين الشافعى على قناة الجزيرة مذهل ومروع حين أشار كيف قامت الدولة بتلفيق التهم للجماعات الإسلامية.. بل واتهم سيد فهمى وممدوح سالم بأنهم كانوا خلف قضية صالح سرية وأن الأول كوفئ بتعيينه وزيرا للداخلية والثانى رئيسا للوزراء..

إن الدولة هى التى صنعت الإرهاب يا سيادة الرئيس..

أوصدت كل أبواب العقل والمنطق والحوار وأفسدت كل الأجهزة فلم يعد من الانفجار مناص..

بلعنا الطعم.. روجنا لما يقولون.. وها هم أولئك الآن يبيدون فى الشيشان أمة كاملة بتهمة الإرهاب.. وغدا يا سيادة الرئيس سوف يحدث معنا نفس الأمر..

ذلك أن الإسلام عندهم هو الإرهاب.. وكان علينا أن نحاربهم على ذلك لا أن نقرهم عليه ..

يا سيادة الرئيس لقد كانت خطة الغرب أن تقف الدولة ضد الأمة [1]..

ولقد نجحوا..

ولو أردت مثلا يا سيادة الرئيس كيف روجوا الباطل بيننا وألبسوه ثوب الحق فلتنظر إلى الأحداث الفاجعة التى واكبت سقوط الطائرة المصرية..

منتهى الفجر والكذب منهم.. وهو كذب لا يصمد لأى مواجهة حقيقية.. ودعنى أتخيل يا سيادة الرئيس لو أنك شخصيا لم تغضب ولم تعترض.. ولو أن عبيد الغرب فى أجهزة إعلامنا قد قبلوا التفسير الأمريكى وروجوا له.. تخيل ذلك التشويه المجرم الفاجر الكافر يا سيادة الرئيس.. واعلم أن هذا بالضبط ما حدث منهم للإسلام وللمسلمين .. الذين لم يجدوا من يرد الظلم عنهم كما رددته أنت عن طيارى الطائرة المصرية..

انظر يا سيادة الرئيس كيف عومل فى بلادنا عبدة الشيطان بكل رقة.. وكيف يعامل الإسلاميون.. انظر إلى ذلك.. وقارن لتكتشف أن من يفعلون ذلك لا يمكن أن يكونوا إلا عبدة للشيطان ..

نجحوا يا سيادة الرئيس فى تشويه منهجنا الإسلامى وفى استنزاف وعينا حتى وافقناهم على ما فيه هلاكنا ودمارنا..

وفى إطار نجاحهم ذلك اضطهد الإسلام والمسلمون.. وجاز لأجهزة أمننا فى العالم الإسلامى أن تعاملهم بما تعرف..

يا سيادة الرئيس.. إن مثل أجهزة الأمن هذه هى التى تقوض أمننا..

إنهم يحطمون العمود الفقرى الذى يمكن أن يدافع عن هذه البلاد حين يحين أوان غزوهم الثانى لنا..

إن الشباب الذى يربيه التلفزيون.. والذى يشوه إعلامنا وتعليمنا وجدانه..ولابسى القلائد الذهبية فى أعناقهم .. لن يفتدى الوطن ولا الدين بحياته حين الوغى.. بل سيهربون إلى أمريكا وأوروبا.. أو سيبيعون الدين والوطن..

أجهزة الأمن فى العالم الإسلامى تقوم بالدور التمهيدى للغزو الكامل .. وتحطم تحطيما كل من يمكن أن يقفوا سدا منيعا فى مواجهة ذلك الغزو والاستلاب ..

---

١ – المحنة العربية: الدولة ضد الأمة. الدكتور برهان عليون. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

يــا ســيادة الرئــيس لــم تعــد للإســلام دولة محورية تحميه.. وليس هناك من دولة تستطيع القيام بهذا الدور إلا مصر..

يــا ســيادة الرئــيس لقــد كانت خطة الغرب هى التركيز الكامل على تركيا لســحقها عســكريا وعلــى مصــر لســحقها فكريا ولقد نجحوا.. ولم تكن مصر الحديــثة مــنارة للتــنوير بــل لنشــر الباطل فى أرجاء العالم العربى.. ذلك مُرٌّ لكــن علينــا أن نعــترف بــه.. نقلــنا للعــرب نظام دنلوب فى التعليم.. ونظام محاكم التفتيش التى ابتدعها الصليبيون فى التعذيب..

ولــيس مــثلك يــا ســيادة الرئيس من يستطيع أن يغير اتجاه الدفة كى يمنع الانهيار..

لقــد ســمعت مــن أحــد الإسلاميين كلمة اقشعر لها بدنى وَقفٌ شعر رأسى هــولا.. كنــت أحدثــه عــن مناشــدتى لــك لتغيــير الــنظرة تجاه الإسلاميين وللإفراج عنهم..

فــإذا بــه يقــول: إن الرئــيس مــبارك يكــن كراهــية عميقة للإسلاميين ولن يُفرج عنهم طالما هو فى الحكم..

وقلــت لنفســى أن الــذى حمــل روحــه علــى كفه مستعدا لبذلها رخيصة فى سبيل الله فى حرب رمضان لا يمكن أن يكون كذلك..

وقلــت لنفســى أن النخــبة المفكــرة الخائنة المنافقة نجحت فى أن تقدم لك صــورة مقلوبــة.. وعاتبــتك يــا ســيادة الرئــيس فى خيالى لأنك لم تسع أنت لسماع وجهة النظر الأخرى..

وظللــت بعــد العــتاب .. أستشــعر هــولا ما بعده هول.. لموقفك يا سيادة الرئيس أمام الله يوم القيامة.. وهذا الاتهام موجه إليك..

فهلا أبيت اللعن دفعت عنك هذا الاتهام..

وهــلا أهديــت هديــتك للأمــة بالإفــراج الفورى عن كل معتقل لم يصدر عليه حكم..

إن المأمول والمفروض والحق أكثر بكثير جدا من ذلك..

لكن.. هل تكون هذه هى البداية ؟! ..

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة

الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة[1] ...!!

لا تبرح مخيلتي تلك الصورة المفزعة لفقير هندى يصلح كرمز لحال عالمنا الإسلامى ... شاهده فى رحلة إلى الهند أحد كتابنا[2] ، كان الفقير المسكين راقدا بجوار حائط متهدم يمكن أن ينقض عليه فى أى لحظة، عاريا تحيطه أوساخ لا حصر لها، هيكل عظمى مكسو بجلد مهترئ يكاد يختفى خلف جحافل من ذباب، وقد عجز تماما عن أن يحرك حتى إصبعا ليبعد الذباب عنه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد مر بالهيكل البشرى المسكين كلب ضال أخذ ينهش من لحمه والرجل ليس عاجزا عن الحركة كى يبعد الكلب الشرس فقط، بل هو أيضا عاجز عن الصراخ، ولولا لمعة عين مفعمة بالعجز واختلاجة جفن مشحونة بالألم لظنه من ينظر إليه مجرد جيفة ...

ولكى تكتمل الصورة ، فإننا نزعم أن الرجل فاقد الذاكرة أيضا، أو أن ذاكرته قد تشوهت بصورة مفزعة، فلقد تمزقت شذر مذر، فقد احتفظ منها بما يلغى عنده أى عزيمة لتغيير وضعه، واحتفظوا له من التذكرات بما يشاءون ...

لطالما تساءلت : هل الرجل عاجز عن الصراخ فعلا أم أنهم بعد السيطرة الكاملة عليه قد غرسوا فى وجدانه وعقله أن الصراخ عيب وهمجية وتخلف ... ثم أنه إرهاب...

***

إننا نتعرض منذ هزيمتنا الحضارية الشاملة لأبشع عمليات غسيل المخ فى التاريخ ...

تخيل أيها القارئ أننى ذهبت إلى ألد أعدائك وجعلته مرجعى الوحيد فى وصفك ..

ثم تخيل بعد ذلك أننى أجريت لك عملية غسيل للمخ فأقنعتك بأن تتبنى أنت نفسك رأى عدوك فيك ...

---

١ – نشرت هذه المقالة فى صحيفة الشعب بتاريخ ٩٨/٢/٥ .

٢ – الأستاذ محمد جلال كشك

لكنــنا فعلــنا مــا هــو أسوأ من كل هذا .... لأنه ليس على مستوى فرد بل على مستوى الأمة .. الأمة كلها ...

لقد اعتمدنا تاريخنا الذى يكتبه عدونا .... وصدقناه ....

اعــتمدنا قــيمه وثقافــته وصــدقنا آلــته الإعلامــية الجــبارة ... جــبارة فــى حجمهــا ... جــبارة فــى كذبهــا ... جــبارة فى اتساع مساحتها ... جبارة فى إزاحة كل ما سواها...

***

لقــد انفطــر قلــبى حيــن جاءتــنى ابنتى تبكى قهرا ... ففى اللجنة الثقافية فــى كليــتها الجامعــية كانــت تتحاور مع إحدى زميلاتها حول فلسطين ... وإذا بتلك الزميلة تصرخ فيها :

إســرائيل مــنذ وجــدت دولــة ديموقراطــية مسالمة يحيطها العرب الهمج الذيــن بــدءوا جمــيع الحــروب ضدها وعلى ذلك فهم يستحقون جميع ما يحدث لهم ... لماذا لا نتركها وحالها ...

ونظــرت ابنــتى إلــى بقــية الزميلات والزملاء مستنجدة بهم فإذا بمعظمهم على رأى زميلتها ....!!

انفطــر قلــبى وقلــت لنفســى ماذا تنتظر من جيل له كتاب ككتابنا وصحف كصــحفنا وتلــيفزيون كتليفزيونــنا... مــاذا تنــتظر مــن جــيل كان كل أجياله قــد عقمــت وكــل كــتابه قــد مــاتوا وكــل وطنييه قد اندثروا فلم يجدوا كتابا للتربــية الوطنــية يقــررونه فــى المــدارس ســوى كتاب للدكتور عبد العظيم رمضــان[1] ... !! .. وهــذا لــيس اختــيارا مجردا ... ولا احتمال علاقة خاصة تــربط مســئولا بكاتــب ... الأمــر أبعد وأخطر ... ولا ريب عندى أنه متعلق بــتلك اللجــان الأمريكــية الــتى أشــرفت وتشرف على تطوير التعليم فى مصر ... ولطالمــا جــال بخاطــرى.. أن عملــيات الــتطوير هذه.. ليست إلا الطبعة العصــرية لعملــيات تطويــع العبــيد.. لأنها ضد الوطن.. وضد القومية.. وضد الأمة.. وإعلان للحرب على الله..

وانفطــر قلــبى وأنــا أنــاقش عشــرات من المفترض أنهم مثقفون فإذا بهم يفتقدون معلومات أولية...

---

١ – مــؤرخ محير ، كان ماركسيا، ثم ناصريا ، ثم ساداتيا، ثم مباركيا، وفى جميع الأحوال كان متعصبًا شديد الحدة تجــاه خصــومه ، وقــد اختلفت رؤيته التاريخية فى كل مرحلة إلى حد التناقض . من كتبه القيمة : الصراع بين العرب وأوروبا : مرجع سابق .

معلومات أولية لكن التليفزيون لم يعرضها فى فوازيره فى رمضان ولا نشرتها الصحف فى كلماتها المتقاطعة ...

معلومات أولية مثل : متى انتهت الحروب الصليبية ولماذا ؟..

ومعلومات أولية مثل : أين توجد كوسوفا وما هو تاريخ الإسلام فى البلقان ... ؟!

وانفطر قلبى وأنا أقرأ فى أكبر صحفنا وأكثرها وقارا من يتبنى بحماس وجهة نظر الصرب ... ضد المسلمين ...

وانفطر قلبى وأنا أقرأ فى الكتاب الذى عربه عادل المعلم وأصدرته دار الشروق للكاتب الأمريكى نعوم تشومسكى : "ماذا يريد العم سام" ، انفطر قلبى وأنا أقرأ تعقيب المعرب : " ...... كذلك كثف الإعلام العالمى التركيز على قضية تيمور الشرقية والمظاهرات بها لتنال حكما ذاتيا (جزيرة فى شرقى إندونيسيا احتلها البرتغاليون عدة قرون حتى انسحبوا منها فى منتصف السبعينيات فعادت لإندونيسيا. جلبت البرتغال كثيرا من البرتغاليين والأفارقة ليستوطنوا المستعمرة على حساب سكانها الأصليين، وهى وراء الحركات التى تنادى بانفصال الجزيرة عن إندونيسيا أو حصولها على الحكم الذاتى، ويتزعم تلك الحركات قس برتغالى، لم تفته جائزة نوبل، وفى الجزيرة أكبر تمثال فى العالم للعذراء) ..." ويواصل عادل المعلم فى ألم ذبيح :" حتى جريدة الأهرام نشرت فى الشهر الماضى خبرا عنها نقلا عن وكالات الأنباء، وذيلته بأن البرتغال استعمرت تيمور الشرقية، وخرجت منها عام ١٩٧٥ لتحتلها إندونيسيا.... !!! وهذا شبيه بأن نقول : إسرائيل احتلت سيناء ثم خرجت منها فى منتصف الثمانينيات لتحتلها مصر[١] ..... " ...

و انفطر قلبى عندما جمعنى لقاء بمواطن إندونيسى يكره سوهارتو كما كنت أكرهه ... لكنه يكشف لى من الأمر ما جهلت ... حين يقول فى أسى يائس : لقد كان فاسدا فى البداية والنهاية لكنه لم يعزل بسبب فساده ... لم يُعزل بسبب فساده ... إنه بالاسم مسلم لكنه عندما جاء إلى الحكم لم يكن يعرف عن الإسلام شيئا ... على الإطلاق ... لم يكن يعرف مثلا كم صلاة مفروضة فى اليوم بله عدد الركعات فى كل صلاة ... وفى إندونيسيا التى يشكل المسلمون ٩٠% من سكانها كان ٨٠ % من الوزراء والقيادات والجيش والشرطة غير مسلمين ... ويضيف

---

١ – نجح الغرب بعد ذلك فى فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

المواطـــن الإندونيســـى : لـــم يطـــرأ أى تغييـــير على سلوك سوهارتو فى الفترة الأخـــيرة ... لكـــن معلوماتـــه عـــن الإســـلام قـــد زادت بســـبب علاقات أبنائه الـــتجارية بعـــدد مـــن أمـــراء العـــرب ... وقد أدى التنافس الاقتصادى الشرس بيـــن رجـــال أعمـــال مـــن حاشية الرئيس وحوارييه – يقودهم أبناء الرئيس وهم بالوراثـــة مســـلمون – وبيـــن طوائـــف الأقليات الأخرى – من غير المسلمين – الـــتى كانـــت تســـتحوذ علـــى ٨٠% مـــن السلطة والثروة ... وتصادف أن ذلك كلـــه واكـــب حـــركة صـــحوة دينـــية كان السبب الرئيسى فيها حملة تبشير هائلة تنـــبأ المراقـــبون أنهـــا ســـوف تـــنجح فى غضون أعوام قليلة فى تنصير ٢٠٠ ملـــيون مسلم إندونيســـى... لكـــن الإســـلام – ذلـــك الأســـير المهجور العزيز الغـــالى– ســـرعان مـــا انـــتفض مســـتخرجا كامن قواه ليقلب كيدهم .. وحدث مـــثلما حـــدث فـــى مصـــر بعد الهزيمة المروعة فى ٦٧ ... حيث شكل الالتزام الديـــنى الســـياج الواقـــى للهويـــة مـــن الاندثار... وفى صدفة نادرة توافق هوى رجـــال الأعمـــال المســـلمين مـــع هـــوى الشـــعب الإندونيسى مع توازن يحقق العـــدل فكانـــت آخـــر وزارة شـــكلها ســـوهارتو قـــبل عزلـــه مشكلة من ٨٠% مـــن المســـلمين(٩٠% مـــن الســـكان) و٢٠% مـــن غـــير المسلمين (١٠% مـــن الســـكان) .... وهـــنا... هـــنا فقط تحركت المخابرات الأمريكية والمرابون الـــيهود لإحـــداث الانهـــيار الاقتصـــادى وما ترتب عليه من مظاهرات استغلتها أمـــريكا لـــتعزل ســـوهارتو لـــيس بســـبب فساده بل بسبب تنافس اقتصادى أدى إلى تحقيق قدر من التوازن فى السلطة ..

انفطـــر قلـــبى وأنـــا أتســـاءل : يـــا إلهـــى : كـــم يضللنا إعلامنا ... لماذا لـــم يشـــرح لـــنا الأمـــر علـــى حقيقـــته ... وكيف يمكن لأى واحد منا أن يكون رأيـــا إذا كانـــت المعلومـــات الـــتى تصـــلنا مزيفة مشوهة ومغشوشة ... صكها أعداؤنا ... أعدى أعدائنا ...

انفطـــر قلـــبى ... لكنـــنى فهمـــت بعد ذلك ما أوردته قناة الجزيرة الفضائية وقـــناة ANN – توقفـــت مـــن زمـــن طويـــل عـــن متابعة قنواتنا – عن استعداد الحكومـــة الجديـــدة فـــى إندونيســـيا للانسحاب من تيمور الشرقية .. وعن بوادر إعـــادة العلاقـــات المقطوعـــة مـــع الـــبرتغال منذ قيام إندونيسيا باسترداد جزيرة تيمور الشرقية ...

إن قضـــية إندونيســـيا كـــأى قضـــية أخرى تصلح كنموذج مروع لما يمكن أن تفعلـــه آلـــة الإعـــلام الغـــربى الجبارة فينا ... وكيف تدفعنا بالكذب والتضليل إلـــى مـــا تشـــاء مـــن مواقـــف هـــى فـــى الحقيقة ضد مصالحنا تماما ... وضد وجودنا ...

و انفطر قلبى ألما وعتابا لقناة الجزيرة التى أوقعتنى فى خطأ دفعنى للإحساس بالعار والخجل والجهل، كنت أجلس مع أحد أبناء كوسوفا (وهى التسمية الإسلامية التى يطلقها أهلها المسلمون عليها ويبلغ عددهم ٩٠% من سكانها) ، وأثناء الحوار نطقت باسم البلد كما ينطقه مذيعو قناة الجزيرة: كوسوفو، وهو الاسم الذى يطلقه المحتل الصربى عليها ، واشتعل الرجل بالأسى وهو يقول :

عندما تتجاهل اسمها الحقيقي وتستعمل الاسم الذى يطلقه العدو الغاصب عليها فكأنك اتخذت موقفا مسبقا بالوقوف فى صفهم وليس فى صفنا ...

ثم واصل فى مرارة :

هذا يشبه أن تتجاهل اسم "محمد" لتنطقه مخمد(بالخاء) أو مهمت أو موهامات !!! ...

وغرقت فى خجل لم يلبث الرجل أن غرق فى خجل مثله ... كان يحدثنى عن تقاعس العرب عن نجدة كوسوفا التى استشهد منها حتى الآن ألفا شهيد ، وهو عدد كبير من شعب يتجاوز تعداده المليونين بقليل ، فسألته :

- هل تعرف عدد من قتلهم العرب من العراقيين بالاشتراك مع أمريكا فى ضرب وحصار العراق حتى الآن ...؟

- لا ...

- مليونان ...

ونظر الرجل إلىّ مذهولا ، واغرورقت الدموع فى عينيه ، فانفطر قلبى ...

ولم أجرؤ على سؤاله إن كان دموعه من أجلنا.. لأنه وجدنا – نحن الذين راوده الأمل أن يستنجد بهم- أحق بالنجدة والغوث..

وانفطر قلبى وأنا أسمع أمجد ميقاتى وهو فلسطينى الجنسية صربى الهوى يحاور الدكتور محمد خليفة فى قناة الجزيرة فيتهم العزل الأبرياء الضحايا فيقول فى ثقة وعنجهية أن الأمور لم تتفجر إلا بعد أن اختطف مسلمو كوسوفا ثمانية ضباط من الجيش الصربى، وأن الجيش الصربى لم يدخل إلى العاصمة إلا بعد حادث الاختطاف... ويرد الدكتور محمد خليفة فى وقار حزين لقدرة الشياطين على كل هذا الكذب قائلا:

– إذا كـان الجيش الصـربى لـم يكـن موجودا كما تقول إلا بعد حادث الاختطاف... فكيف تم الاختطاف من جيش غير موجود ...؟!!

وانقضـت الصـاعقة علـى رأس أمجـد ميقاتى لكنها لم تؤثر فيه ، وأغلب الظـن أن برأسـه جهـازا إسـرائيليا مانعا للصواعق، لكن الصاعقة أصابت – فيما أصابت قلبى فانفطر...

و انفطـر قلـبى أيضـا وأنـا أترقـب رد شيخ الأزهر على ندائى وتوسلى لـه أن يبايعـنا علـى المـوت[1] فأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله تقهر فإذا به يصـدر بـيانا بالشـجب والإدانـة ... لا للفجار والجلادين بل لصدام حسين ... وإذا به يحمل المسئولية كلها لصدام والعراق ..

وانفطـر قلـبى إذ انداحـت إلـى مخيلـتى ذكرى ذلك الهندى الفقير الذى عجزت يده عن الدفاع عن عينه .. وساقه الدفاع عن ساقه الأخرى..

وحـتى أنـت أيهـا القـارئ ... مـا جـدوى عشرات الأرقام الدامية حين أرويهـا لـك دون أن توضـع فـى سـياقها الـتاريخى... لا لمجـرد أن أرتق فـى ثقـوب الذاكـرة لديـك مـا يقـنعك بـأن الفقير الهندى ليس أخاك فقط ... بـل لأبصـرك أيضـا أن مـا حـدث له بالأمس وما يحدث له اليوم سيحدث لك غـدا... ولكنـنا لا نسـتطيع أن نضـعها فـى سـياقها التاريخى دون أن نرمم ونصـلح ونصـحح ذاكـرة تـم اغتصـابها وانـتهاكها ...هل يفيدك أيها القارئ لكـى تـتخذ موقفـا أن أذكـر لك أن كوسوفا لم تكن أبدا صربية كما تدعى آلة الإعـلام الغربـية ، الآلـة المجـرمة الـتى تسمى أصحاب البلاد الأصليين منذ فجـر الـتاريخ بالإرهابييـن .. بـل احـتلها الصـرب لمائتى عام حتى استنجد أهلهـا بالعثمانييـن ودخلـوا فـى ديـن الله أفواجا وظلت دولة إسلامية لستمائة عـام ، إسـلامية لدخـول أهلهـا فى الإسلام حتى قبل ظهور العثمانيين... فهل كـان يفـيدك – دون أن نـرتق سـويا ثقـوب الذاكـرة – أن أقول لك أن تعداد الشـعب فـى كوسـوفا يـبلغ مليونان ونصف المليون هاجر منهم نصف مليون، وأن ٩٠% مـنهم ألـبان و٩٢% مسـلمون.. وأنـه قـد سقط منهم ٢٠٠٠ شهيد و٥٠٠٠ مفقـود... هـل يمكـن أن تفهـم معـنى ذلـك دون أن تـدرك معنى صـرخة الجـزار ميلوسـيفيتش عـام ١٩٨٩ : الآن انتهـت معركة كوسوفا ... وهـو بذلـك يشـير إلـى معـركة كوسوفا عام ١٣٨٩ ... ماذا تعرف عنها أيها القارئ... ماذا يعلم عنها أبناؤنا ... بل كبار مثقفينا ؟؟ ...

هـل يفـيدك بعـد ذلـك أيها القارئ أن تعرف ما حدث للطبيب أحمد ليتسى مـن ألـبان كوسـوفا وعضـو مـنظمة أطـباء بلا حدود، حين ذهب مع إحدى

---

١ – إشـارة إلى مقالة : " يا شيخ الأزهر.. بايعنا على الموت .. فالعراق يموت.." والتى نشرت بصحيفة الأسبوع بتاريخ ٩٨/٢/١ وبصحيفة الشعب بتاريخ ٩٨/٢/٢.

مجموعاتهم للإشراف على تلقى مواد الإغاثة فى مدينة كانتشانيك ، لم يكن فى الجبهة، لم يكن يقاتل، لكنهم قبضوا عليه، ضربوه ضربا مبرحا لفترات طويلة، سألوه عن اليد التى يعمل بها فأجابهم أنها اليد اليمنى فبتروها ، ثم بدءوا باستخراج عينيه وتقطيع جسده أشلاء وهو حى ... حتى مات... يحكى الحكاية لمنظمة العفو الدولية الدكتور باول براون : الطبيب البريطانى..

هل يفيدك أن تعرف أيا من ذلك دون أن تعرف لماذا يفعلون ذلك؟ ودون أن تجيب عن السؤال الذى طرحته عليك فى البداية: متى انتهت الحروب الصليبية..

اسأل الجميع ، وسوف تكون الإجابة اليقينية الواثقة : عام ١٢٩١ ميلادية ...

لكن الإجابة خطأ فاحش ... فالحروب الصليبية لم تنقطع يوما واحدا ، وأنهم حين توقفوا عن مهاجمتنا فى ١٢٩١ ميلادية لم يتوقفوا لأن الله هداهم ولا لأن الشيطان ابتلعهم بل لأنهم انشغلوا أربعة قرون فى حروب صليبية هائلة مع الدولة العثمانية انتهت بالاحتلال المباشر لمعظم العالم الإسلامى، وهو الاحتلال الذى انتهى بالأصالة ليبدأ بالوكالة وما يزال[1] ..

إنها حرب مستمرة لم تنته بعد ...

إن ما يحدث فى كوسوفا هو بعينه ما يحدث فى فلسطين وميلوسيفتش ليس إلا مستنسخا من نتنياهو وباراك وأرناط وريتشارد... لكن آلة الإعلام الجبارة الكاذبة تريدك أيها القارئ أن تنظر إلى قضية كوسوفا كقضية أجنبية، لا تشعر معها أن لحمك أنت هو الذى يُنهش، وأنت لا تملك أيها القارئ حتى ترف أن تتجاهل ما يحدث لكوسوفا ما دمت أنت بعيدا ... فكوسوفا التى تُذبح اليوم ليست إلا عضوا فى قطيع سيذبحه الجزار كله ...

سوف أحاول إذن أيها القارئ فى المقالات التالية أن أرتق بعض الثقوب ... وأن أحكى لك الحكاية كاملة ... كى تدرك أى مستقبل مروع ينتظرنا... ما دمنا ننتظر الذبح كالخراف ... ننتظر دون فهم أو وعى ... ننتظر ... وننزف تاريخنا ودنيانا وآخرتنا ومستقبلنا من ثقوب الذاكرة....ينتظرنا... ما دمنا ننتظر الذبح كالخراف ... ننتظر دون فهم أو وعى ... ننتظر... وننزف تاريخنا ودنيانا وآخرتنا ومستقبلنا من ثقوب الذاكرة ....

---

١ – القدس الجريح . د. احمد كمال شعت مكتبة مدبولى – عقود من الخيبات . حمدان حمدان . بيسان – تاريخ الإسلام وحضارته . دكتور عصام الفقى . دار الكتاب الحديث . الكويت – تاريخ العرب الحديث . د . رأفت الشيخ . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – فى الصراع الإسلامى الصليبى د. مؤنس احمد محمد . عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية . العثمانيون فى أوروبا . بول كولز . الألف كتاب – مؤامرة الغرب على العرب . العميد الركن . د. ياسين سويد . المركز العربى للأبحاد والتوثيق.

فلسطين .. ثم العراق .. ثم كوسوفا .. ثم[1] ..

بعينىّ الكليلتين أرى الخطر ... لا احتمالا فى الخيال ... وإنما واقع هائل جاثم محدق بدأ...

لا ... ليس مجرد : " بدأ " ... بل اخشى أن أقول أنه يوشك على الانتهاء بعد أن بدأ منذ زمان طويل... لكننى أخطو على خرط القتاد كى أقنع إخوانى أنه " بدأ "...

بعينىّ الكليلتين أرى النار مشتعلة فى دارنا ... دار العرب والمسلمين ... وأحاول بيد مجذوذة الأصابع أن أوقظ القلوب الميتة والأرواح التائهة ... فوحدى لا أستطيع أن أطفئها ووحدى لا يمكن أن أهرب منها ...

بعينى الكليلتين أرى الصورة فى مشهدها الشامل وأحاول أن أقرأ الحكاية من أولها ... لأننا فى عالمنا العربى والإسلامى ... نشبه طائفة من المغيبين المخدرين ... الذين تناولوا عقارا ساما يسلبهم العقل وإن لم تبد عليهم آثاره ولا تفوح من أفواههم رائحته... ثم جاء لهؤلاء المخدرين من مزق صفحات كتابهم الذى كان يجب عليهم أن يحرصوا عليه أكثر من حرصهم على حياتهم .. فهذا الكتاب هو الذى يحفظ شجرة الأصلاب ووثائق ملكية الأرض وأسرار استخراج الكنوز .. وهو الذى يذكّرهم بماضيهم ويخط لهم مستقبلهم ويحتوى على خرائطهم وأسرار إمكانات تقدمهم وعلاج أوصاب حاضرهم... كتاب يختزل رواية وجودهم ... أو هو فعلا رواية وجودهم.. وفى برهة من وعى باق استطاعوا الاحتفاظ بصفحات الكتاب بعد أن تناثرت وتفككت وفقدت ارتباطها بما قبل وبما بعد... تناثرت صفحات الرواية المتصلة عليهم بلا نظام وبلا ترقيم ... فنال بعضهم ورقة ، وبعضهم ورقتين ، أما الغالبية فلم يحصلوا على أى شئ ، لكنهم اعتمدوا على السماع ممن حصلوا ...وظن كل واحد منهم أنه استنقذ الكتاب كله ... الرواية كلها ... ثم بدأ كل واحد يقرأ الورقة التى لديه... واثقا أنه يملك الحقيقة كلها ... وأن ما مع غيره وهم وباطل ... وابتدأ القتال ... ونزف الوعى ....

---

١ - نشرت بصحيفة الشعب: ٩٨/٢/١٢.

يــا مســاكين ... كــل واحــد مــنكم يملــك جــزءا ... جــزءا يسيرا .... وأمامكم مجهود مضن كى ترتبوا أوراقكم لتعرفوا الحكاية من أولها...

كل واحد منكم يملك جزءا يسيرا حفظه ونسى الباقى... بل وأنكره...

فــى روايــة مائــة عــام مــن العــزلة لجابــريل جارسيا ماركيز[1] – والتى يعتــبرها بعــض الــنقاد أعظــم روايــة فــى التاريخ – وأظنهم يبالغون قليلا – يصــاب أهــل الــبلدة بمــرض النســيان " يــبدأ بنســيان ذكريات الطفولة التى تــنمحى مــن ذاكــرته، يــتلوها نســيان الاســم ومعــنى الأشياء وأخيرا هوية الأشــخاص وأيضــا الوعــى بــالذات حــتى الغرق فى بلاهة بدون ماض " .... ولكــى يكــافحوا النســيان راحوا يكتبون اسم كل شئ عليه: " .... بعد أيام قليلة اكتشــف أنــه يجــد عوائــق فى تذكر أسماء كل أدوات المعمل تقريبا. وهنا كتب علــى كــل أداة اســمها الخــاص بهــا، وكان يكفيه قراءة الورقة الملصقة بالأداة لــتحديدها (...) وبفرشــاة مغموســة فــى الصبغة سجل كل شئ باسمه : مائدة، كرســى، ســاعة، بــاب، حــائط، سرير، كسرولة، وذهب إلى الحظيرة والحديقة وســجل الحــيوانات والنــباتات: بقــرة، تيس، خنزير، دجاجة (...) وشيئا فشيئا دارســين للإمكانــيات اللانهائــية للنســيان، فهــمَ أنهم يمكن أن يصل اليوم الذى يــتعرفون فــيه علــى الأشــياء مــن أســمائها المكــتوبة لكن دون أن يتذكروا اســتعمالاتها، ومــن ثــم صــارت الأمــور واضــحة، فالورقة المعلقة من رقبة الــبقرة تعطــى عيــنة نموذجــية للطريقة التى كانوا يناضلون بها ضد النسيان: هــذه بقــرة، يجــب حلــبها فــى كل صباح لكى تعطى اللبن، واللبن يجب غليه لخلطــه بــالقهوة، وعمــل قهــوة باللبن، وهكذا واصلوا العيش فى واقع متزلق، يمســك بــه مؤقــتا بالكلمــات، لكــنه واقــع كــان ينــبغى أن يهرب دون أمل فى إمساكه عندما ينسون قيمة الحرف المكتوب.."

وأنـــا أقــرأ الــرواية انفجــر المعــنى فــى قلــبى نــارا فرحت أهتف بعد أن وجــدت مفــتاح اللغــز: نســينا الله فأنسانا أنفسنا ... فياويلتنا على ما فرطنا فى جنب الله ...

أرقــب الســاحة فــى دهشــة وألــم ... الكل مشغول جدا ومجهد جدا لكننا فــى الــنهاية لا نفعــل شــيئا... بــل إنــنا نــزيد كل يوم خطأ ويزداد وضعنا خطــورة ... كالمُصيــرّ أن يســير فــى الصحراء نحو السراب... فلا يزيده تعبه إلا اقترابا من الهلاك ...

---

[1] – مائة عام من العزلة. جابريل جارسيا ماركيز. الإبداع العالمى. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يصرخ أحد القراء فيّ : أنت تنفخ فى قربة مقطوعة ... ثم يستدرك قائلا : حتى القربة قد تمزقت ... تلاشت ... فأنت الآن تنفخ فى الفضاء بلا جدوى ... فأقول له وللأصدقاء والقراء فما حيلتنا إن لم يكن الاختيار المتاح لنا إلا أن ننتصر أو نستشهد ... ليس من الاختيارات المتاحة أمامنا الهزيمة ولا اليأس ... ليس اختيارا متاحا مهما أطبقت الدنيا علينا ومهما ادلهمت حولنا الخطوب...

معشر كتابنا ونخبنا ، دعاة التنوير ينظرون إلى الوحدة الأوروبية كمظهر حضارة ورقى، لكنهم بمعاييرهم المزدوجة ينظرون إلى دعاة وحدة العالم الإسلامى أو حتى العربى كعلامة تخلف ومظهر إرهاب ، ثم تهطل دراساتهم الخئون عن الاختلافات بين الشعوب، وعن أكذوبة أن العرب أمة، وهى دعاوى إن صحت -لا صحت - لا تسوغ عدم وحدة العالم الإسلامى فقط، بل تسوغ أيضا تقسيم دوله وشرذمة بلاده، فبنفس منطقهم الضال المضل، يجب تقسيم مصر لتستقل الصعيد والنوبة، لكن ذلك سيأتى بعد تقسيم السودان .

أحيانا أناقش بعضا من الكتاب - من بقايا اليسار - عن موقفهم من انهيار الاتحاد السوفيتى وحزنهم عليه، أقول لماذا تحزنون هذا الحزن كله وقد تكشفت الأمور عن فساد لا يتصور، وعن غنى كغنى القياصرة وفساد كفساد الأباطرة وقتل وتعذيب وسحق، أقول لهم هذا فيردون قائلين أنهم ضد كل هذا طبعا، وأنهم كانوا يودون انهيار الحكم لا الدولة، لأن انهيار الدولة سيمنع فى المستقبل المنظور أى احتمال لنجاح تطبيق الفكر الاشتراكى مرة أخرى، أقول لهم : لكن الفرصة كانت أمامهم سبعين عاما فلم يغيروا ولا هم تغيروا، فيقولون: وما سبعون عاما فى تاريخ البشرية، إنها لمحة خاطفة، ثم أنه بالرغم من كل ما اكتشف فقد كان وجود الدولة برغم كل ما فيها من فساد دعما لا يقدر لقوى التحرر والمستضعفين فى العالم الثالث، ومصدرا لا للإلهام والحلم فقط، بل وللسلاح أيضا، ثم يهزون رؤوسهم فى أسى قائلين لقد أصاب اليتم حركات التحرر بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، كما أن الاستعمار الذى كان يحاول أن يستر وحشيته خوفا من رد فعل الاتحاد السوفيتى قد راح الآن يفترس الضعفاء فى شتى أنحاء العالم بمنتهى الوحشية، وفى محاولة أخيرة يقذفون بالحجة التى يعلمون مدى تأثيرها عليّ:

- هل تتصور أنه كان يمكن أن يحدث للعراق وليبيا والسودان والفلسطينيين ما حدث لهم لو أن الاتحاد السوفيتى كان ما يزال موجودا ؟

وفـــى هـــذه اللحظـــة فقـــط، أميط اللثام عن الفخ الذى نصبته لهم لأسألهم، ولماذا لا تعاملون فكرة الدولة الإسلامية الموحدة بنفس المنطق ؟.

لماذا كانت كل القسوة أيها الظلمة على الدولة العثمانية ...

لمـــاذا يـــا مدّعـــو التـــنوير رحـــتم تحتفلون بغزو نابليون الذى حملت إلينا حملـــته مشـــاعل الحضـــارة حـــتى انبرت لكم الأستاذة الدكتورة ليلى عنان التى تربـــت عمـــرها وســـط الـــثقافة الفرنسية حتى أنها تتحدث العربية بلكنة أجنبية : انـــبرت لكـــم يـــا أعـــداء الله والأمـــة لتشـــهد بضمير حر وعقل غير مغتصب أن الحملـــة الفرنســـية كانـــت نـــزيفا هائلا لإمكانات تقدم كانت بشائره قد لاحت ... وأنهـــا فـــى ثلاثـــة أعـــوام قـــد قتلـــت خُمس الشعب المصرى ... وفى نفس الوقـــت لـــم يكـــن يـــبدو مـــنكم سوى الاشمئناط والاشمئزاز كلما أتى الذكر على دولة إسلامية واحدة...

رحـــتم ، بعضـــكم عـــن جهـــل وأغلبكم عن خسة تسهمون فى تمزيق الأمة وإهدار المزيد من وعيها ...

ورحتم تحاصرون وتسفهون أو تتجاهلون كل رأى آخر ...

تجاهلـــتم مـــثلا شخصـــية عملاقـــة مـــثل العلامـــة محمود شاكر وقد كان عملاقـــا لـــم يفـــر أحـــد فريه.. ويجمع الكثيرون أنه كالجاحظ وابن المقفع وابن رشـــد لا تنجـــب الأمـــة مـــثله إلا كل قرون... تجاهلتم صرخّته أن أمتنا مريضة وتـــنزف لكـــن طريقـــتكم الجاهلـــة فى علاجها بنقل مظهر حضارة الغرب دون جوهـــرها أشـــبه بـــنقل دم إلـــى مـــريض يـــنزف ... لكـــنه للكارثـــة دم ليس مـــن فصـــيلته ... وأنـــه ســـيقتل المـــريض بـــدلا مـــن أن يعالجه ... وأن آفتنا وهلاكـــنا هـــو محاولاتـــنا البائســـة لعـــلاج مشـــاكلنا دون نظـــرة شـــاملة.. مع أن الـــنظرة الشـــاملة هـــى الوحـــيدة القادرة على حل مشاكلنا ... لقد اهتز العالم كلـــه تحـــت وطـــأة مقالـــة وصـــموئيل هنتجتون الشهيرة عن صدام الحضارات والـــتى طورهـــا إلـــى كـــتاب ضخم بعد ذلك ... اهتز العالم رغم أن واحدا مثل العلامـــة محمـــود شـــاكر قالـــه مـــنذ أكـــثر من نصف قرن فضربوا عليه ستارا مـــن النســـيان والـــتجاهل... فأيامهـــا لـــم يكـــن مـــن مصلحة الغرب أن ندرك أن الصـــدام فعـــلا صـــدام حضـــارات وأن الحضـــارة الإسلامية هى المستهدفة ... الآن ... بعـــد أن صـــرنا مـــن الـــذل والهوان إلى ما صرنا إليه لم يعد يهمه أن يخفـــى عـــنا.... فقـــد كانـــت معرفتـــنا فى السابق تخيفه من استنفار قوانا ... الآن يهمـــه أن نعلـــم فمعرفتـــنا الآن مـــن وجهة نظره ستحبط آخر آمالنا ... فلم يعد لدينا – وأداؤنا مع العراق وكوسوفا ما يرى – قوى نستنفرها...

انظــروا مــثلا إلــى قضــية فلسطين... كان الطريق الوحيد لحلها أن تكون قضــية صــدام حضــارات ...أن تكــون تهديــدا للحضــارة الإســلامية كلها.. وأن يــتحد المســلمون لــدرء هــذا الخطر... لقد اختزل الصراع لصراع عربى يهــودى... ثــم لصــراع نصــف عــربى يهودى ... ثم لصراع مصرى سورى يهــودى ... لــم يكــن الطــرف الآخر إسرائيل بل كان يهود العالم بكل تحالفاتهم ومؤيديهــم ... لذلــك كــان لا بــد أن ينتصــروا ونــنهزم ... وكــان طبيعــيا أن يكون انتصارهم ساحقا وانكسارنا ماحقا ...

نفس الشيء حدث مع العراق ...

ونفسه يحدث مع كوسوفا ...

لكنــنا مــع فقــدان الذاكــرة غــير قادريــن على ربط المقدمات بالأسباب بالنتائج ...

بــل إن أى قــدر مــن المعلومــات لن يفيدنا إلا فى مزيد من البلبلة والعجز كأن تقول للمشلول تحرك وللأعمى أنظر ولمن به صمم اسمع...

نحــن نقــرأ عــن كوســوفا على سبيل المثال كقضية أجنبية ... كما لم يكن لحمنا هو الذى ينتهك ودمنا هو الذى ينزف ..

نقــرأ مــثلا عــن بدايــة المعــارك فى ٢٨ فبراير ١٩٩٨ ، ونقرأ عن قيام الصــرب بهــدم المــنازل وإحــراق الــناس داخل بيوتهم أحياء وبرسم صليب علــى كــل جــثة وعلــى المســاجد... وعــن إحــراق المحاصــيل للتجويع... وعــن تدمــير أغلــب المــدارس: حــتى أولئك الذين نجوا سينشأون جاهلين... نقــرأ عــن اســتعمالهم الســموم لقــتل الأطفــال فــى المدارس حيث مات أكثر مــن مائــة طفــل بهــا ... وهــذا السم استخدم فقط ضد أطفال المسلمين الألبان فــى كوســوفا وفــى فلســطين.. نقــرأ عن استيلائهم على المساعدات التى تأتى مــن الخــارج ... وعــن قــتل الأطفال وإجهاض الحوامل.. ونقرأعن ٢٥٠٠٠٠ لاجــئ داخــل كوســوفا أحــرقوا ديارهم... وعن نصف مليون هربوا من البلاد وعــن بــيوت هــناك يكــتفون بحــرقها والأخرى يدخلونها بالدبابات لأنها تمثل رموزا للمقاومة ...

يطلقــون علــى المســلمين هــناك : الإرهابيين أو المسلمين الإرهابيين.... فنردد كالببغاوات ما يقولون ...

الأستاذ محمد يوسف عدس[1] كتب يصرخ : نقرأ العجب العجاب، فكبريات صحفنا، قلاعنا التى ينبغى أن تحمى وعينا، هى التى تستنزفه وسائل الإعلام تردد كالببغاء ما يذاع عن هذه القضية فى وسائل الإعلام الغربية دون تمحيص ، وتوحى طريقة عرض هذه الأخبار والمصطلحات المستخدمة فيها أن القضية غير مفهومة على الوجه الصحيح ، بل وتستعمل عبارات (السكان المنحدرون من أصل ألبَانى) أو (ذوو الأصول الألبانية) ، وعند الحديث عن المقاومة الوطنية أو عن جيش تحرير كوسوفا نِسْمَعْ أوصاف التمرد والمتمردين والانفصاليين... وبهذه الأوصاف تبدو وسائل إعلامنا وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التى تعتبر كوسوفا جزءا من صربيا وأن الحركة الوطنية فى كوسوفا إنمّا هِي مجرد حركة تمرد غير مشروعة مع الإيحاء أن الشعب الأصيل فى كوسُوفا هم الصرب وأما ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيا . رغم أن المسلمين الألبان يشكلون حتى الآن أكثر من ٩٠% من السكان..

سوف نتناول ذلك فى الصفحات القادمة، لكننا الآن نعرض فى اختصار شديد لتاريخ المنطقة مؤكدين فى أسى ندرة المراجع ، وأن الكتب التى تتحدث عن مايكل جاكسون أو عن ذلك الأمريكى الذى اتهم بقتل زوجته (بدون أسف : نسيت اسمه) أضعاف أضعاف الكتب المطروحة عن قضية كوسوفا ... شعبنا ولحمنا ودمنا ومصيرنا ...

***

موجز تاريخ البلقان[2]

كانت منطقة البلقان كلها تحت سيطرة البيزنطيين وكانت القبائل الألبانية (نسبة إلى جبال الألب) موجودة فى المنطقة الممتدة من كوسوفا إلى ألبانيا وهى تنتمى إلى العنصر الأليريانى، وقد قطنت قبائل الشرق فى ألبانيا وقبائل الغرب فى كوسوفا، أما الصرب فقد كانوا ضمن قبائل سلافية كثيرة يعيشون فى وسط أوروبا شمال نهر الدانوب ولم يعبروا النهر جنوبا إلا فى القرن السابع الميلادى عندما استدعاهم الإمبراطور البيزنطى، ولمدة خمسة قرون ظلوا بعيدين عن كوسوفا، التى قاموا باحتلالها

١ – أصدرت دار المختار الإسلامى للأستاذ محمد يوسف عدس كتيبا وكتابا عن كوسوفا: كوسوفا. بين الحقائق التاريخية والأساطير الصربية. محمد يوسف عدس. مستشار سابق بهيئة اليونسكو.

٢ – النزعات الكيانية الإسلامية فى الدولة العثمانية.د. عبد الرؤوف سنو.بيسان. بيروت.

فـى القـرن الـثانى عشـر ، وبعـد مقاومـة اسـتمرت قرنيـن تخللهـا غزو مـن التـتار. اسـتنجد أهـل كوسـوفا بالخليفة العثمانى الذى حرر بلادهم بعد موقعـة كوسـوفا الشـهيرة عـام ١٣٨٩. وكانت مقاومة المحتل الصربى عاملا جعـل أبـناء كوسـوفا يدخلـون فى دين الله أفواجا ، واستمرت الأحوال مستقرة حـتى بدايـة المأسـاة فـى الحـرب الـبلغارية فـى ١٩١٢ حيث انتهز الغرب ضـعف الدولـة العثمانـية أثـناء الحـرب بين روسيا وتركيا فهاجمها اليونان وإيطالـيا والصـرب والنمسـا وفتـتوا الأراضـى الألبانـية ، وفى سنة ١٩١٣ أعطـى مؤتمـر السـفراء فـى لـندن شرعية للاحتلال ولتقسيم أراضى ألبانيا بيـن صـربيا والجـبل الأسـود واليونان، واعترفوا بالحدود الواقعية بعد الحرب دون انسـحاب. ولـم تـتوقف مقاومـة كوسـوفا... وفى سنة ١٩١٨ تم تأسيس يوغسـلافيا وكانـت كوسـوفا بيـن الـدول الـتى كونتها على قدم المساواة مع صـربيا والجـبل الأسـود والبوسـنة والهرسك ، واستمر النضال داخل كوسوفا حيـث قـاده "**أعظـم بيـتا**" خـلال فترة العشرينيات حتى استشهد عام ١٩٣١ وفى الأربعينيات قاد النضال "**شعبان بولوزا** "[١]...

فـى الحـرب العالمـية الثانـية وعد "تيتو" ألبان كوسوفا بأن يحصلوا على حقـوق كاملـة مـثل بقـية شـعوب يوغسـلافيا و فى سنة ١٩٥٠ وعد "تيتو" بـالحكم الذاتـى...فاعترضـت صـربيا فأجل الأمر، وفى١٩٦٨ و ١٩٦٩ نشبت مظاهـرات عامـة فـى كوسـوفا للمطالـبة بـالحقوق شاملة مثل بقية الشعوب اليوغسـلافية، وفـى سـنة ١٩٧٤ حصـلوا علـى حكـم ذاتى موسع، أصبحوا بمقتضـاه إقلـيما يتمـتع بـالحكم الذاتـى تمامـا كالصرب وعلى قدم المساواة معهـم، وفـى عـام ١٩٨٩ – بعـد ستمائة عام بالضبط على معركة كوسوفا – ألغـى "ميلوسـيفيتش" الحكـم الذاتـى وفرض حكما إرهابيا على كوسوفا بعد أن أعلن : "اليوم كسبنا معركة كوسوفا ...!!"...

لقـد كانـت كوسـوفا تتمـتع بـنفس الوضع الذى تتمتع به صربيا والجبل الأسـود لكـن الجـلاد "ميلوسـيفتش" احـتلها عسـكريا (٨٠% مـن الجـيش والشـرطة كـانوا مـن الصـرب فـى بلد ٩٢% من سكانه أصحاب البلاد من الألـبان المسـلمين) ... ولذلـك كـان الاحـتلال سهلا... فالحارس الذى فرضه الغرب هو الذى نهب والأمين هو الذى سرق...

نفس ما فعله صدام مع الكويت ...

١– كوسوفا. مرجع سابق– العثمانيون فى أوروبا . مرجع سابق – شهادة على مأساة العصر: البوسنة والهرسك لجنة الإغاثة الإنسانية – زفرات البوسنة . خليل بوشكار . دار الشروق .

فانظر أيها القارئ ازدواج المعايير: مع العراق[1] التى انسحبت فعلا من الكويت يستمر سحق شعبها المسلم لأن رفع العقوبات يتطلب إجماعا من مجلس الأمن لكن الإجماع لا ينعقد أبدا ...

ومع صربيا التى ارتكبت نفس جريمة الاحتلال عام ١٩٨٩ ولم تنسحب فإن فرض العقوبات أو الضرب يتطلب إجماعا لا ينعقد أبدا...

وفى الحالتين لا ينعقد الإجماع لأن الضحايا مسلمون ...

إنهم فى الغرب ينظرون إليها كمعركة مستمرة ضد وجود دولة مسلمة فى أوروبا أما رواد التنوير عندنا فليسوا سوى رواد للجهل والخيانة ...

بقيت نقطة أخيرة توجع القلب...

فى بداية الأزمة : مايو / يونيو ١٩٩٨ أرسل الدكتور بويار بوكوشى رئيس وزراء كوسوفا خطابا إلى وزارة الخارجية يطلب استقبال وفد للشرح والدراسة... ولقد لجأوا إلى وزارة الخارجية مباشرة لأنه يبدو أن السفير هانى خلاف سفيرنا فى بلغاريا ينظر إلى الأمر كما ينظر إليها الأوربيون.. أنها مشكلة أجنبية... ولست أعرف دوره فى تلك الفضيحة التى تمت بعقد احتفالية مصرية فى بلجراد فى الأسبوع الذى قامت فيه بلجراد بالمذابح الآتية :

تقرير رقم ٤٥٤عن انتهاك حقوق الإنسان فى كوسوفا من ١٠ يناير حتى ١٧ يناير ١٩٩٩- قتل وذبح وتمثيل بالجثث:

١١ يناير: ابتداء من الساعة الثامنة صباحا وحتى الخامسة بعد الظهر تم العثور على ٦ جثث منهم أربع جثث مشوهة..

١٢ يناير: ثلاث جثث ...

١٣ يناير : جثتين...

١٤ يناير: جثتين...

١٥ يناير : مذبحة قُتل فيها ٤٥ ألبانى تتراوح أعمارهم بين ١٢ و٨٠ عاما...

١٦ يناير: تم العثور على جثة ثلاث ضحايا أحدهم يبلغ من العمر ٤٨ عاما ، وتبين أن سبب وفاته يرجع لعمليات التعذيب التى تعرض لها من الشرطة الصربية ..

---

١ – التنكيل بالعراق. جيف سيمونز . مركز دراسات الوحدة العربية .

١٧ يناير : ٤ جثث...

وكانت مصر تحتفل مع الجلادين فى أسبوع ثقافى...دون أى إحساس أو حتى حسابات للمواءمات...

فياله من عار ....

***

إن المأمول من مصر اتخاذ موقف والمنتظر من عمرو موسى إصدار قرار...

إنهم لا يطلبون سوى استقبال وفد بصورة رسمية، بدون التزامات، لمجرد الشرح، مجرد الاستقبال مهم ... لأنهم يشعرون بالخجل أمام شعوبهم التى تشعر أن أمتهم الكبرى قد نسيتهم... وأن جميع الجهود المبذولة لوقف النزيف لا يشارك فيها مجهود إسلامى..

والأمر لا يمثل سوى قيمة معنوية فهم يعرفون ظروفنا ... ثم أن فرنسا: ألد أعداء كوسوفا تستقبل الوفود رسميا وكذلك اليونان...

فالمهم عندهم هو القيمة المعنوية... أن يشعروا أنهم ليسوا وحدهم فى هذه الدنيا ...

أما من مجيب ..!!

تلاميذ دنلوب .. وصبيان زويمر .. وجنود كرومر[1] !

نعم ... أسألك ... أسألك أنت ... وأسألكم جميعا ...

أسألكم ... أيا كنتم ... وأينما كنتم ... وكيفما كنتم ...

أسألكم : لو أن إسرائيل – عدوة الله وعدوتنا – أرادت أن تستولى اليوم على مكة أو المدينة فهل لديكم وسيلة لحماية مقدساتكم ؟؟..

لو جاء اليوم أرناط أو باراك أو كيمون ... لو جاءوا لتنفيذ ما طالبوا به ذات يوم : بإبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وجثته فى متحف اللوفر..فهل نستطيع أن نرفض أو أن نقاوم ؟!

لو أن الأمم المتحدة رأت أن الإسلام كله – وليس البعض الذى سلمتم لهم به – دين إرهابى ويجب التبرؤ منه... أو استئصاله فهل لديكم لنا حيلة...

***

كنت أود يا قراء أن أكمل معكم فى هذه الصفحات الحديث عن كوسوفا ... وكنت أريد أن أعبر عن الدهشة والألم لأن الأهرام منعت نشر مقالات تدافع عنها وتشرح وجهة نظر أهلها المسلمين.. مقالات كان مقال فهمى هويدى أحدها ... لقد كنا نتفهم – ولا نقبل – منع مقالات تهاجم مثلا أنظمة الحكم فى بلادنا وفى العالم العربى .. لكن أن تمنع مقالات لأنها تناصر الحق فى كوسوفا ...فهو امتهان للعقل وللضمير ..

و كنت أريد أن أصرخ هل هو هوًى صربىّ أم استكبارٌ غبىّ ...

وكنت أريد ....

وكنت أريد ....

لكننى تذكرت أن عمليات شرذمة الذاكرة وتزييف الوعى قد جعلتنا نقرأ فلا نعى، ونسمع فلا نفهم، ونرى فلا نشاهد ولا نشهد ، ونُذبح فلا نحس ...

---

١ – صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٢/١٩.

وأنني حين أكتب للقارئ عن قضايا قد انقطعت جذورها في وعيه وانقطع تسلسلها في وجدانه فكأنما أسكب الماء في الصحراء ...

لذلك رأيت من واجبي أن أؤجل ما انتويت من قبل طرحه ... لأقص عليكم يا قراء قصة أمة عظيمة ... ظلت أكثر من ألف عام أقوى دولة في الدنيا ... ثم خانها أبناء غرهم الشيطان أو زيف وعيهم فانهارت في انكسار فاجع أكثر ما فيه من مأساوية أنها لا تدرك حجمه ولا ترى سبيلا واضحا للخلاص منه...

وأنها في سعيها للخلاص تلتزم بأوامر العدو الذي قهرها فلا تسلمها كل حلقة إلا إلى انكسار أشد وداهية أنكى ...

إنني أناشد القارئ ألا يكتفي بقراءة هذا المقال فعواصف النسيان والتزييف والتضليل عاتية، وليس أمامنا ثمة أمل في فهم أي قضية أو مقاومة أي هجوم دون النظر من منظور تاريخي شامل لأن أعداءنا لا يفعلون إلا ذلك، وأناشد القارئ ألا يكتفي بقراءة هذا المقال بل أن يعتبره بداية وحافزا للاستزادة من كتب التاريخ...

و أناشد القارئ أن يقرأ المقال لأبنائه فهم ضحايا عملية بشعة لتزييف الوعي تقودها – للحزن والأسى – بعض صحفنا وإذاعاتنا ومحطات تليفزيوننا ... وقد باتوا ينظرون إلى حضارتنا بنفس عين الاحتقار والاستهانة والعداوة التي ينظر بها أعداؤنا إلينا ... والكارثة أنهم يفعلون ذلك دون أن يخامرهم شك أنهم قد يكونون على خطأ ... وأن الحقائق ليست غير ما يعرفون فقط بل إنها عكس ما يعرفون...

يقول صمويل زويمر في محاضرة للمبشرين ، ليس فيما قبل التاريخ ولا في العصور الوسطى بل في القدس عام ١٩٣٥: " إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبهذا تكونون قد أخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، ويأتي النشء الإسلامي مطابقا لما يراه الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب " ...

اشهد يا رب علينا وعليهم أن الأمر أسوأ حتى مما تخيله زويمر...

اشهد يا رب أن القائمين بالتبشير الآن ليسوا تلاميذه بل بعض صحفنا وإذاعتنا وتليفزيوننا وكتبنا المدرسية ..

أجأر إليك يا رب بالشكوى : القائمون بعملية التبشير الآن بعض صحفنا وإذاعاتنا وتليفزيوننا وكتبنا المدرسية ومعظم كتابنا وفنانينا وأحزابنا وهيئاتنا ومؤسساتنا ...

نعم ..

القائمون بعملية التبشير صبيان زويمر منا ...

والقائمون على التعليم تلاميذ دنلوب منا ...

والقائمون على عقاب من يتجاوز تعاليم صبيان زويمر أو ثقافة تلاميذ دنلوب ليسوا سوى بقايا جنود كرومر وأرناط ....

لا تفردى قرون استشعارك يا أجهزة الأمن ولا تمديها...

فالخطب أجلُّ من أن أقصد الأمن الذى لا تعرفون غيره مع أن الخطر كل الخطر لن يأتى إلا من غيره ...

الخطب أجلُّ ... لأنه يتناول أمة امتدت ذات يوم من الصين حتى الأندلس وهى اليوم بعد أن فقدت أجنحتها وأطرافها تنزف من قلبها ... حتى لأخشى أن تتلاشى ...

أمة تتعرض لأبشع عملية غسيل للمخ وتزييف للوعى فى التاريخ[1] ...

عملية غسيل للمخ وتزييف للوعى لم يعد العدو هو الذى يقوم بها... بل يقوم بها أمراء وملوك ورؤساء ووزراء وكتاب وصحفيون ومثقفون وشخصيات قائدة حاكمة منا وفينا ...

لذلك أناشدكم أيها القراء : حاولوا أن تنقذوا أبناءكم ...

فالمربية هى القاتلة ...

والحارس هو قاطع الطريق ...

أناشد المثقفين – نزيف الأمة – والطلبة – ضمير الأمة المحاصر– أن يجعلوا من منهج النظرة التاريخية الشاملة مجال حلقات نقاشهم... فبهذا فقط تفيقون من غيبوبة فرضها علينا من أملنا أن يكونوا دروعنا وحراس ثغورنا ...

---

١ – أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى. د على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق– الغزو الثقافى والمجتمع العربى المعاصر. د. محمد سيد محمد. دار الفكر العربى_واقع العالم الإسلامى بين تعريب التعليم وتخريب المستآمرين. سعيد عبد الحكيم زيد. مكتبة وهبة– محاصرة وإبادة. موقف الغرب من الإسلام. د. زينب عبد العزيز.. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. مجلة الاجتهاد. الأعداد: ٤١، ٤٢، ٤٣ دار الاجتهاد. بيروت.

واعلموا يا فلذات الكبد أننا – برغم كل الذل والدم والقهر والدموع– كنا وما زلنا خير أمة أخرجت للناس وأننا على الحق.. وأن حقبة الهوان التى نمر بها ليست إلا استثناء بإذن الله سنتجاوزه... لقد ظللنا ألف عام أقوى دولة فى العالم ... ومنذ خمسة قرون فقط كانت الهواجس تبهظ الغرب كله أن الدولة الإسلامية يمكن أن تكتسح أوروبا كلها ...

كنا أقوى قوة فى العالم وسنعود لأنه وعد الله ...

فحافظوا على ذاكرتكم وتاريخكم ...لأنه تاريخ مجيد ... وسيكون عليكم أنتم أن تعيدوا مجده ...

***

فى إيجاز معجز يختصر "**العلامة محمود شاكر**" الأمر لنا فى كتابه البالغ الأهمية "**رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا**"[1] حين سقطت أوروبا فى حمأة القرون الوسطى المظلمة منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ أى قبل الهجرة بنحو من مائة وخمسين سنة، والحقيقة أن أوروبا كانت ساقطة فيما هو أسوأ من القرون الوسطى قبل ذلك بقرون طويلة. كانوا فى جاهلية جهلاء، أهلها همج هامج، لا دين يجمعهم، وعند مجيء الإسلام لم يكن سلطان الكنائس المسيحية مبسوطا علي معظم أوربا المعروفة الآن، كانت روما قد سقطت والشمال كله وثنيون برابرة ، وكان سلطانهم مبسوطا على الشام ومصر وشمال أفريقية منذ قرون طويلة سبقت، وفى طرفة عين، فى أقل من ثمانين سنة، تقوض فجأة سلطان الرومان على هذه الرقعة الواسعة، وتقوض أيضا سلطانها على نفوس الجماهير الغفيرة من رعاياها ، الذين دخلوا الإسلام طوعا، بل وأعجب من ذلك، صاروا هم جند الإسلام وحماة ثغوره وعواصمه، وحصروا الروم فى الشمال ، وجاهدت الدولة البيزنطية فى الشمال أن تسترد ما ضاع ، وظلت أربعة قرون تحاول أن تعود فتخترق هذا العالم الإسلامى من طرفه الشمالى عند الشام، وذهب جهدها هدرا، ولم يغن عنهم السلاح شيئا، وكل يوم يمر، يزداد رعايا الرهبان والملوك انبهارا بالإسلام وخلقه وثقافته وحضارته، وظل الصراع مشتعلا مدة أربعة قرون بين الروم المحصورين فى الشمال وبين المسلمين الذين يتاخمونهم جنوبا، وتدبر الأمر قادتهم ، وداخلتهم الخشية أن يفضى الأمر إلى زوال سلطانهم

---

١ – الرسالة عبارة عن مقدمة طويلة لكتاب المتنبى: محمود محمد شاكر. مطبعة المدنى– وقد نشرت مستقلة عن الكتاب فى العدد ٤٨٩ من كتاب الهلال .

عن جنوب أوروبا ، وخيم اليأس فانطلق الرهبان يجوبون شمال أوروبا ليدخلوا أهلها من الهمج الهامج الذى لا دين له فى النصرانية، ليكونوا بعد قليل مددا لجيوش جرارة تطبق على ثغور الإسلام ، ويعدوهم لخوض المعركة العظمى ، ثم جاء ما يبدد هذا اليأس، هذه هى الجيوش الجرارة من النورمنديين والصقالبة والسكسون بقيادة الرهبان وملوك الإقطاع التى جيشت من الهمج الهامج جيوشا تتدفق من قلب أوروبة، تريد مرة أخرى اختراق العالم الإسلامى من شماله فى الشام، ونشبت الحروب الصليبية التى استمرت قرنين كاملين (٤٨٩-٦٩٠ هجرية/ ١٠٩٦- ١٢٩١ ميلادية) ، وفى خلالها استولوا على جزء من أرض الشام، وأقام به بعضهم إقامة دائمة، وأنشأوا ممالك، وخالطوا المسلمين مخالطة طويلة، كانت فرحة رائعة لهم لكنها انتهت بالإخفاق واليأس من حرب السلاح، وخمدت الحروب تقريبا بين الإسلام والصليبية نحو قرن ونصف قرن، ثم وقعت الواقعة، اكتسحت الأرض الرومية فى آسيا، فى شمال الشام، ودخلت برمتها فى الإسلام، وفى يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى سنة٨٥٧/ ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ ميلادية ، سقطت القسطنطينية ، ودخلها محمد الفاتح بالتكبير والتهليل ، إذن فقد وقعت الواقعة، واهتز العالم الأوروبى كله هزة عنيفة ممزوجة بالخزى والخوف والرعب والغضب والحقد، ولكن قارن ذلك إصرار مستميت على دفع هذا الخزى، وإماطة هذا الخوف والرعب، وإشعال نيران الغضب والحقد، ومن يومئذ بدأت أوروبا تتغير ، لتخرج من هذا المأزق الضنك، وبهمة لا تفتر ولا تعرف الكلل، بدأ الرهبان معركة أخرى أقسى من معارك الحرب، معركة المعرفة والعلم ..... فقد أدركوا أنها الوسيلة للانتصار علينا ...

***

نترك العلامة محمود شاكر على أمل بالعودة الحثيثة إليه ونقرأ فى كتاب "محمد"[1] تأليف كارين آرمسترونج أن بعض الأوروبيين أصبحوا يعتقدون آنذاك أن الإسلام قد يكتسح الممالك المسيحية اكتساحا شاملا، وفى سنة ١٤٥٣، بعيد الفتح التركى لإمبراطورية بيزنطة الذى أتى بالإسلام إلى عتبة أوروبا، بدأ الأوروبيون يفكرون فى ضرورة العثور على أسلوب جديد لمواجهة الخطر الإسلامى، قائلين أنه من المحال أن يلقى الهزيمة فى ميدان القتال أو عن طريق أنشطة التبشير التقليدية ، ثم جاء

---

١ – كتاب سطور. سيرة النبى محمد. تأليف كارين آرمسترونج. ترجمة د. فاطمة نصرو د. محمد عنانى. ١٩٩٨.

عصر النهضة الأوروبية ، واكتسب الغرب الثقة فى ذاته ، ولم يعد الأوربيون يجفلون فرقا من الخطر الإسلامى، بل أصبحوا ينظرون إلى الدين الإسلامى نظرة المترفع الذى يجد فيه بعض التسلية والترفيه ..

***

ونترك – مؤقتا– كارين آرمسترونج لنكمل الحكاية الدامية مع الدكتور محمد عمارة[1] الذى يستحثنا أن ننظر إلى مآسينا كحلقات من حلقات الصراع بين المشروع الاستعمارى الغربى وبين الإسلام وأمته وعالمه وحضارته، إنهم لا ينسون أبدا ونحن لا نتعلم أبدا ، لقد أقاموا الدورة الأوليمبية فى أسبانيا سنة ١٩٩٢ ميلادية احتفالا بمرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من غرب أوروبا عندما سقطت غرناطة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) ، وفى ذلك الوقت كان الصرب يقومون باقتلاع الإسلام من وسط أوروبا(وكنا نحن نشاركهم احتفالهم الدامى بتسليم بغداد وفلسطين فى مدريد) .. وكان وزير الإعلام الصربى يصرح أن ما يحدث هو " طليعة الحروب الصليبية الجدية ضد الإسلام " ...

وكنا نشاركهم ونتحالف معهم على أنفسنا ...

يقول الدكتور محمد عمارة: إن هذه القرون الخمسة التى مرت على سقوط غرناطة واقتلاع الإسلام – بالإبادة ومحاكم التفتيش– من غرب أوروبا لم تكن هدنة من الغرب تجاه الإسلام ، بل لقد مثلت فى حقيقة الأمر غزوة صليبية دائمة، ومتعددة الحلقات، والجهات ، على امتداد هذه القرون .. لقد بدأت الصليبية الغربية منذ اللحظة التى سقطت فيها غرناطة حتى مشروعها الاستعمارى الكبير الذى بدأ بتطويق عالم الإسلام تمهيدا لغزو قلبه وذلك حتى يتحقق نهب الثروة واحتلال الأرض وتغريب العقل وكسر شوكة الإسلام، وفى إطار هذا المشروع وعلى جبهاته توالت الوقائع والأحداث والمعارك البارزة فى صراع الغرب ضد الإسلام وأمته وعالمه، فتحقيقا لمخطط تطويق العالم الإسلامى جهز الأسبان بعد شهر من سقوط غرناطة أسطول كولومبس للذهاب إلى جزر الهند الشرقية الإسلامية، دورانا حول إفريقيا لاكتشاف طريق تطويق عالم الإسلام، فلما ضل كولومبس الطريق وذهب إلى أمريكا نهض البرتغاليون بذات المهمة بعد خمسة سنوات فوصل فاسكو دى جاما إلى رأس الرجاء الصالح مكتشفا طريق الالتفاف الأوروبى حول عالم الإسلام وليواصل رحلة الالتفاف والتطويق إلى المحيط الهندى، وبعد سنوات قليلة حقق البرتغاليون أول

---

١ – البوسنة والهرسك. مرجع سابق .

انتصاراتهم فوق الساحل الهندى ضد جيش المماليك الذى خرج من مصر لمجابهة هذا التطويق، وما هى إلا سنوات حتى كان البرتغاليون بقيادة ماجلان – الذى تمجده كتبنا المدرسية يُقتل وهو يحارب المسلمين فى الفلبيين ، ويبدأ عصر الاستعمار الغربى الصليبى للفلبيين التى تحولت إلى النصرانية بعد الإسلام وأصبح اسم عاصمتها : "**مانيلا**" بعد أن كانت تنطق : " أمان الله" .... وبعد مرحلة التطويق لعالم الإسلام بدأت مرحلة الغزو لقلبه: حملة بونابارت على مصر(١٧٩٨) تلتها بعد فشلها حملة فريزر (١٨٠٧) ثم غزو الفرنسيين للجزائر ثم هيمنة البريطانيين على الخليج العربى وعدن ثم احتلال الفرنسيين لتونس والإنجليز لمصر والإيطاليين لليبيا وفرنسا للمغرب ثم كان عموم البلوى عندما وزع الغرب بقايا العالم العربى بين قواه الاستعمارية فى معاهدة سايكس بيكو التى تبعها وعد بلفور ليأتى بعد ذلك إلغاء رمز الوحدة الإسلامية وتحطيم وعائها بإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ وطى صفحتها من الوجود للمرة الأولى فى تاريخ الإسلام. وعندما حقق الغرب هذا الانتصار فى تطويق العالم الإسلامى وغزو قلبه واحتلال أوطانه لم يُخف قادته أن ذلك جميعه قد تم ومنذ سقوط غرناطة فى إطار حملة صليبية شنها الغرب على ديار الإسلام وواصل معاركها طوال هذه القرون، فالجنرال الفرنسى جورو يقتحم قبر صلاح الدين الأيوبى بعد احتلاله لدمشق ويركله بقدمه ويقول : " ها قد عدنا ياصلاح الدين" والجنرال الإنجليزى اللنبى يقول عندما احتل القدس – بمساعدة عربية!!– : الآن انتهت الحروب الصليبية...

***

ننتهى من حديث محمد عمارة لننتقل إلى "**محمد حسنين هيكل**" فى كتابه حرب الخليج– آخر حرب صليبية ما تزال – حيث يلخص الأمر كله بقوله " ... وعندما بدأ الغرب المسيحى (**القرن الخامس عشر**) يلتف حول القلب العربى الإسلامى، كان الخليج بعيدا يواجه مصيره دون أن يلتفت إليه بالقدر الكافى أحد، كان القلب العربى الإسلامى (مصر وسوريا) يقف حاجزا دون الغرب (...) مرتكزا فى الشرق على الدولة المغولية الإسلامية فى الهند، ومستندا فى الغرب على الدولة أو الدول الإسلامية فى الأندلس. وحاول الغرب المسيحى فى الحروب الصليبية كسر الحاجز عند القلب، ولكنه فشل واستدار إلى الأطراف، فإذا سقطت فى يده أمكن تطويق القلب وكسر الحاجز وإزالته تماما ... وتحقق النجاح .."[١] ..

***

---

١ – حرب الخليج. أوهام القوة والنصر. محمد حسنين هيكل. مركز الأهرام للترجمة والنشر .

فى القرن الماضى ظنوا أنهم قد أوشكوا على بلوغ غايتهم ...

يقول الدكتور "**مراد هوفمان**" فى كتابه : "**الإسلام عام ٢٠٠٠**"[١] : "تنبأ الكثير من السياسيين والمستشرقين باختفاء الإسلام تماما، وفى غضون حياتهم!، فدرسوا الإسلام كحضارة على وشك الاندثار، عليهم أن يسجلوها لأجيال المستقبل"

كما يسجل تدهور حالة الأماكن المقدسة :" القذارة، انعدام الأمن، انتشار الخرافات، وصدق أو لا تصدق: شرب الخمر والدعارة حول الحرم.. بل وفى داخله أحيانا. لم تقم الصلاة بانتظام حتى بين الحجاج الذين هبط عددهم إلى ٧٠٠٠٠ عام ١٨١٤ ثم إلى ٣٠٠٠٠ عام ١٨٦٠...

***

يا قراء : هل هذا تاريخنا أم هو أساطير الأولين ... هل هذا هو تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا أم عبث يجب أن ننصرف عنه إلى ما تبثه فى وعينا أجهزة تعليمنا وإعلامنا وتثقيفنا وأمننا كى تخدرنا وتخدعنا عن حقيقة أمرنا كى نساق إلى حتفنا كقطيع يساق إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان ...

لا ...

ليست أساطير الأولين ...

لست أدرى كيف يحاول بعض ولاة أمورنا أن يخدعونا عن كل ذلك، وكيف تطاوعهم قلوبهم وعقولهم وضمائرهم ودينهم كى يخدعوا أممهم بأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان..

إن أعداءنا لا يبذلون جهدا فى إخفاء نواياهم .. إنهم يعترفون .. لا عن نبل فى النفس ولا صدق فى القلب بل عن نفس الاستهانة التى يبديها القصاب وهو يذبح الشاة مدركا أنه قد فاتها الأوان الذى يمكن فيه أن تقاوم مهما عرفت ما سيحدث لها ...

---

١ - راجع أيضا للمؤلف : **الإسلام كبديل والطريق إلى مكة** . دار الشروق .

يقول يوجين روستو مستشار جونسون ورئيس قسم التخطيط بالخارجية الأمريكية : لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف فى الصف المعادى للإسلام،أى إلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ، إن هدف العالم الغربى فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل جزء من هذا المخطط، وليس إلا استمرارا للحرب الصليبية..

ويقول جارنر : إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس .. إنها كانت لتدمير الإسلام ...

ويقول راندولف تشرشل : لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدى المسلمين ، ولن تعود إليهم فى أى مفاوضات مقبلة[1] ..

ويقول محمد حسنين هيكل : إننى مندهش من روح العداء الصليبى التى تنتشر فى الغرب الآن...

ليست الآن يا محمد حسنين هيكل بل منذ ألف وأربعمائة عام ..

ليست أساطير الأولين فحتى لطفى الخولى اضطر بعد أن برح كل خفاء أن يصرخ: إن روحا صليبية واضحة تحرك السلوك الغربى نحو العرب ..

ليسوا العرب بل المسلمين ...

و ليست أساطير الأولين ...

فما أكثر العبر وما أقل الاعتبار...

***

"ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار" : **يصرخ بها عادل المعلم فى تقديمه** لكتاب زفرات البوسنة لخليل بوشكار.. حين يلاحظ ملاحظة مرعبة ... إن المسلمين من شعوب البلقان أوربيون من أصل لاتينية ومع ذلك يذبحون

---

١ – د. محمد مورو . المختار الإسلامى .

لأنهم مسلمون ... فإذا حدث هذا لشعب أوروبى لأنه مسلم ! فماذا يمكن أن يحدث للمسلمين العرب أو الأفارقة أو الآسيويين... أولئك الملونين ... إذا جاء دورهم ووقعوا فى يد الغرب الوقوع النهائى...

أوجه سؤال عادل المعلم إلى العروش والجيوش والمفكرين ...

أوجهه إلى الأزهر ...

أوجه السؤال أيضا إلى أجهزة الأمن القومى فى كل دولة إسلامية...

لقد أدركها المماليك فى مصر فحاربوا فى الهند دفاعا عن الدولة الإسلامية فى بدايات الغزو الغربى[1] ... أفلا تدركون أنتم ...

أوجه السؤال إلى مؤتمرات وزراء الداخلية – حيث لم يتفق من أمراء المسلمين على المسلمين سواهم – فليس أمن بلادهم ما يتباحثون فيه وما يتوافقون عليه بل أمن حكام ونظم قد يتناقض فى الواقع مع أمن الأمة ... فالعدل قائم والانتقام قادم والقصاص ات ... وسوف يأتى زمان يُتهمون فيه ويتهم أقرانهم ورؤساؤهم بأنهم إرهابيون كما يحدث للحكومة الشرعية فى كوسوفا الآن ...

هذا شعب يصل عدد المسلمين فيه إلى أكثر من ٩٢% ... وهم مسلمون منذ أكثر من سبعة قرون وهم أصحاب الأرض الأصليين .. ومع ذلك يصر الطواغيت على أنهم – جميعا – إرهابيون ومن ثم على استئصاله...

إن معظم بلاد المسلمين لا تصل فيها نسبة المسلمين إلى ٩٢%...

والبلاد القليلة التى يتجاوز فيها المسلمون هذه النسبة محتلة بقواعد أمريكية ...

كيف تطمئن أجهزة الأمن القومى إلى عواقب تلك الدعاوى الفاجرة التى بدأت تنطلق من أقليات فاجرة فى أمريكا بتحرير مصر – على سبيل المثال – من المسلمين ...

---

١ – نهاية دولة المماليك وبدء الدولة العثمانية . مجدى فتحى السيد . مكتبة دار الصحابة للتراث .طنطا– تاريخ مصر جـ٢. مرجع سابق .

كـيف تطمئـن علـى المسـتقبل إذا كان ذلك يحدث فعلا فى الحاضر أمام أعيننا ... فكيف لا تتقيه ثم كيف تتقيه ...

حتى لو قررنا أن ننسلخ من جلودنا وننسى الله...

حـتى لـو قـررنا أن نـنزع قلوبـنا وأن نتخلى عن محمد صلى الله عليه وسـلم وعـن أبـى بكـر وعمـر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأن نستبدلهم لنضـع مكـانهم الـنظام العـالمى الجديـد والأمـم المـتحدة وكلينتون ونتنياهو وبوش وجور وكل عبيد الشيطان...

حتى لو قررنا أن نتخلى عن الأمانة التى نحملها ...

لو قررنا ذلك كله ... فهل يحمينا ..؟؟

هل يحمى أوطاننا وأبناءنا وأحفادنا وحدودنا ...

يا أجهزة الأمن القومى ؟؟!!..

فلتبكوا كثيرا ولتضحكوا قليلا[1] ...

سوف أكويك أيها القارئ بالنار التى تكوينى...

لأننـــى فـــى هـــذه السلســـلة مـــن المقالات فى هذا الكتاب لا أسوّد صفحات لا أمـــلأ فـــراغا ولا أســـتعرض بـــيانا ولا أتـــباهى بـــبلاغة وإنما أقدم لك – ذوّب الألم – نظرة شاملة لمشكلتنا كأمة ...

أقدم لك نظرة شاملة لوضعنا فى الدنيا وللدنيا ....

وأحـــاول قـــدر جهـــدى ألا تقتصـــر هـــذه النظرة على الدنيا فقط وإلا كان البشـــر مجـــرد قطـــيع مـــن الحـــيوانات.. ولكانـــت النظرة الغربية هى النظرة الصـــحيحة ... فـــلا حـــق إلا القـــوة ... ولا ســـعادة إلا فى اللذة ... ولا وزن ولا اعتبار لأية قيمة مجردة ...

أحاول أن أفعل ذلك .... وأحتاجك معى ....

لقـــد فـــرى قلـــبى قـــول ذلـــك الـــرجل من كوسوفا أنه يتألم لأننا فى العالم العربى ننظر إلى قضية بلاده كقضية أجنبية ...

فرى قلبى وأحسست بالخزى والعار ...

لكنـــنى مـــا لبثـــت حـــتى انكفـــأت على نفسى مذهولا وأنا حسير لأصرخ : نحـــن نـــنظر إلـــى قضـــيتنا أيضـــا كقضـــية أجنبية !! ننظر إلى قضية مصيرنا ووجودنـــا كقضـــية أجنبـــية ... نـــنظر إلى قضية التنكيل بالعراق كقضية أجنبية ... نـــنظر إلـــى مـــا يحـــدث فى دول الخليج كقضية أجنبية ... ننظر إلى احتلال مهـــبط وحيـــنا ومنـــبع رســـالتنا بقـــوات أمريكـــية كقضـــية أجنبـــية ... وليت الاحتلال كان احتلال أرض فقط لأنه احتلال قلوب وعقول أيضا ...

لقـــد نجـــح الغـــرب فـــى هزيمتـــنا ..تلـــك الهزيمة الشنيعة البشعة التى لم تقتصـــر علـــى احـــتلال أرض بعـــد هـــزيمة جيوش ... ولم تقتصر على هوية أرض بدّلوهـــا ... ولا علـــى أوطـــان ســـرقوها ... ولا علـــى تفتيـــت نجحـــوا فـــيه... لـــم يقتصـــر علـــى ذلك .... ولو اقتصر عليه لكانت أمامنا الفرصة لكى نقاوم ...

١- صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٢/٢٦

لـم يقتصـر انتصـارهم علـى الجيوش والعروش بل تعداه إلى الانتصار علـى كـل فـرد فيـنا ... علـى غـزونا من الداخل .... ولست أنسى قط ذلك الإحسـاس بالعـار الـذى شـملنى حيـن كنت أصطحب ابنتى فى منطقة مكتظة بالمدارس فإذا بها تنظر إلى الطلبة والطالبات وتصرخ :

- نحن لسنا فى مصر ... نحن فى أمريكا ... !!

لـم تكـن القمصـان المطـبوع علـيها الأعلام الأمريكية ولا السـراويل ولا التـنورات ولا الأحذيـة ولا السـترات فقـط مـا لفـت انتـباهى ... كانت ملامـح الوجـوه أيضـا ... كانـت القضـايا الـتى تشغل الفكر أيضا.... كانت الاهتمامات ... كان القلب وكان العقل وكانت الروح .

بعـد المقالـة الماضـية والـتى استعرضـت فيها تاريخا مجيدا ولّى ولكن علينـا أن نحفظـه لنسـتعيده، تلـك المقالـة التى كتبتها يكوينى لهيب كرصاص منصـهر، جـاءنى أحـد الشـباب بعد أن قرأ المقال - المحزن أنه نابه ومتفوق وخريج جامعى- فوق أنه مشروع شاعر ليقول :

- يـا أونكـل: لقـد ذكـرت فـى مقالتك الماضية تواريخ كثيرة جدا ولقد نسيتها كلها قبل أن أنتهى من المقال ...

يا أونكل ...!!

نسيت ....

انغرست الحروف فى قلبى رؤوس حراب مسممة...

وبكت لغتى ...

يـا بـنى أنـا لا أكتـب لك تاريخا مجردا ... بل أكتب لك تاريخك أنت ... أكتـب لـك عـن معـركة أنـت تخوضـها الآن وأنت مغيب عنها لكنك ستذوق علقـم نـتائجها وسـترزح تحـت وبـال عواقـبها... يـا بنى أنا أكتب لك عن معـركة بـدأت مـنذ أكـثر مـن ألف عام ولما تنته بعد ... يا بنى أنا أكتب لك كـى أكـون حذيـرك ... ولكـى تفهم أن الخرز الملون كان الطعم الذى اصطاد بـه الغـرب مائـة ملـيون شـاب أفـريقى حوّلوهم إلى عبيد ... وأن الأسماك الملونـة المـبهرجة الألـوان الـتى تغـوص خلفهـا الآن إنما تقودك إلى بيت الأخطـبوط ... لـم أكتـب لـك التاريخ كى تزدان به معرفة منبتّة ... بل أحاول أن أنقـذك ... أن أقـول لـك أن الصـراع بينـنا وبيـن الغـرب بدأ حتى قبل الإسـلام وأنـه بالإسـلام اكتسـب أبعـادا أشمل ... أحاول أن أستنقذ نفسك من ذل الدنـيا وخـزى الآخـرة... أحـاول أن أزيل أنقاض الهزائم وخرائبها داخل

ذاتك وأن أقول لك أن المعركة بيننا وبين الغرب معركة مستمرة لم يخبُ أوارها أبدا وأنهم لم يتركونا أبدا وكانت عين كل قيصر ابتداء من قياصرة روما القدماء وحتى القيصر الأمريكى على قلب عالمنا : على دمشق والقاهرة ... كان كل مطلبنا منهم أن يخلّوا ما بين العباد وما بين الله.. وكانت كل جريمتنا أننا نحاول أن نعيش أحرارا... أننا نحاول منعهم من احتلال بلادنا أو من إعادة احتلالها ... وحتى حروبنا الهجومية ضدهم كانت إما لكف أذاهم أو لمنعهم من معاودة الهجوم أو لإنقاذ المستضعفين الذين استجاروا بنا منهم ... أحاول يا بنى أن أزيل أنقاض الهزائم من داخلك ... وأحاول بالتاريخ أن أقول لك أن أمتنا هى الأرقى وأننا ظللنا نسبقهم ألف عام وأن عمر انكسارنا الحالى لا يتجاوز ثلاثمائة عام وأننا كنا حتى القرن الماضى نملك دولة كبرى تضارع دولهم وتصارعها فتصرعها... أحاول أن أقول لك أن مشكلة فلسطين نفسها واستيلاء الصهاينة عليها ليست إلا حلقة فى سلسلة امتدت أكثر من ألف عام ... وأننا لن ننتصر أبدا إلا إذا نظرنا إليها كذلك.... ليست مشكلة فلسطين فقط... بل كل مشاكلنا ... فالقرآن الكريم عندما أمرنا : "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"... لم يكن يعتمد تفسيرات السير بيرسى كوكس ولا اتفاقية سايكس بيكو ولا الحدود التى أقرتها اتفاقيات الأمم المتحدة ... بل كان يثبت ما تثبته قراءة التاريخ : أنهم عندما يقاتلوننا فهم يفعلون ذلك كجبهة واحدة حتى لو استترت بعض عناصرها ... وأننا يجب أن نقاتلهم كأمة واحدة...

لكننا للعار ننظر إلى مشاكلنا بعيون أعدائنا ...

لقد كفوا عن الاحتلال المباشر لأن جيوشنا تقوم بنفس المهمة...

كفوا عن البث المباشر لأن أجهزة إعلامنا تقوم بنفس المهمة ...

فلا تقولوا بعد ذلك **المفكر** " فلان " بل **المبشر** "فلان" ...

ولا تقولوا **رئيس التحرير** "فلان" بل **رئيس المبشرين** فلان ...

ولا تقولوا **المذيعين** بل قولوا **صبيان زويمر** ...

إن صحيفتين على الأقل من صحفنا الكبرى تقومان بكفاءة منقطعة النظير بمهمة التبشير أما الصحيفة الكبرى الثالثة فهى تائهة ما بين هوى غربى واستكبار غبى... ومجلات حكومية لا تكف عن الدعارة بالكلمات... وبرغم ذلك فإن وضع الصحف والمجلات – رغم الكارثة – أفضل من

وضـــع الإذاعـــة والتلـــيفزيون ... فـــيا للكارثـــة ... أتحدث عن مصر ... وحال مصر أفضل من حال معظم الآخرين ... فيا للكارثة ...!!..

لقـــد ســـردت لكـــم فـــى المقالـــة الماضـــية موجـــزا للـــتاريخ ورجوتكـــم الاستزادة...

واليوم أقول لكم كيف يروننا ...

أقول لكم الحقيقة الفادحة الفاضحة ...

ألمس الجرح العارى كى تدركوا معى حجم الكارثة ...

أضـــع أمـــام أعيـــنكم تلـــك الخلفية التى لا يمكن لكم أن تفهموا نشرة أخبار أو تفاصـــيل مفاوضـــات أو خلفـــيات أى قضـــية سياسية أو اقتصادية بدونها ... مـــن العـــراق حـــتى كوســـوفا ... ومن ليبيا حتى الخليج حتى الجزائر ... ومن إيران حتى أفغانستان والفلبيين ...

فلـــنقرأ الآن كـــيف يـــنظر الغـــرب إليـــنا، لـــيس فـــى كتب فاجرة من تلك الكتـــب الـــتى وصـــفت أشـــرف الخلـــق بأنـــه - قطعت ألسنتهم وأستغفر الله - كلـــب لـــه ثلاثـــة ذيـــول .... ولـــن أذكـــر أبـــيات الشعر الشنيعة المروعة التى وردت علـــى لســـان دانـــتى فـــى الكومـــيديا الإلهية عندما جعل - لعنه الله ولعن قومه - من مثوى خاتم النبيين قاع الجحيم ...

لـــن أنقـــل مـــن تلـــك الكتب الفاجرة المعاهرة بل من كتاب يُعتبر من أكثر الكتـــب المـــتعاطفة معـــنا إذ يســـتعرض نظـــرة الغرب إلينا ... كتاب " محمد " تأليف كارين آرمسترونج[1] ...

فهيا معى أيها القارئ ..

هيا ...

كى أكويك بنفس النار التى تكوينى ...

***

لقـــد نظـــر الغـــرب إلـــى قـــدوم الإســـلام على أنه الردة الكبرى التى تنذر بحلـــول الأيـــام الأخـــيرة للبشـــرية... وأن سيد البشر وخاتم النبيين محمد صلى الله علـــيه وســـلم لـــيس ســـوى " الأثيم " الذى يقيم ملكه فى هيكل أورشليم ليضل كثـــيرا مـــن المســـيحيين بآيات وعجائب كاذبة.. كان سفر يوحنا اللاهوتى يذكر أن ذلـــك يحـــدث فـــى العـــام ٦٦٦... وكـــانوا يعتقدون أن محمدا صلى الله عليه

---

١ - مرجع سابق.

وسلم قد توفى فى العام ٦٦٦ من التاريخ الأسبانى... وكان نجاح الإسلام يثير سؤالا يتجاوز التهديد الذى مثله، وهو سؤال لاهوتى يبعث على القلق: كيف سمح الله لعقيدة الإسلام الكاذبة بالظهور والانتشار... ترى هل تخلى الله عن مناصرة شعبه وأهله؟ ...

إن محمدا دجال وكاذب، نصب نفسه نبيا ليخدع العالم، إنه فاسق يستمرئ الفسق البذىء ويدفع أتباعه إلى محاكاته، لقد أجبر أتباعه على اعتناق عقيدته بحد السيف... إن الإسلام ليس دينا منزّلا بل بدعة أو صورة مشوهة من صور المسيحية...إنه دين عنيف يؤمن بالعنف (الإرهاب ؟!) ... إن المسلمين ليسوا سوى عبدة أصنام يسجدون أمام ثلاثة آلهة ...

بعد ٢٥٠ سنة حرفوا اسم محمد إلى ماهاوند وجعلوا منه العدو الأكبر للهوية الغربية الناشئة.. أصبح رمزا لكل ما ينبغى أن ننفيه عن أنفسنا ... إنه عدو الممالك الصليبية وقرينها ... لقد كان ساحرا دبر المعجزات الزائفة حتى يخدع العرب السذج... ولقد اتسم بأقذع ضروب الشذوذ وأغرى الناس بالانضمام إلى دينه بتشجيعهم على إرضاء غرائزهم الدنيا .. ولقد كانت جميع مزاعمه كاذبة، لقد كان دجالا عامدا تمكن من خداع معظم أبناء شعبه، أما بعض أتباعه الذين تكشفت لهم حقيقة أفكاره السخيفة فقد التزموا الصمت بسبب أطماعهم الدنيئة، إن المارق سيرجيوس هو الذى لقنه الصورة المشوهة للمسيحية فأتى بها وسماها الإسلام ولقد انتهى محمد نهاية تعتبر جزاء وفاقا إذ هجم عليه قطيع من الخنازير أثناء إحدى نوبات اتصاله بالجن فمزقوه إربا ..

إن نشأة الإسلام هى إحدى الوسائل الرئيسية التى يستعين بها المسيح الدجال... إن المسلمين يقومون بالأعمال التى اخترعوها، وتفانوا فى الإخلاص لها، مثل الزكاة والصلاة والصوم وافتداء الأسرى وما إلى ذلك ابتغاء مرضاة الله...

وعندما فتح الصليبيون أورشليم لم يستطيعوا اعتبار المسلمين بشرا مثلهم فقاموا بارتكاب مذبحة صدمت مشاعر الجميع حتى معاصريهم، وأصبحوا بعد ذلك يعتبرون المسلمين وباء لابد من تطهير الأماكن المقدسة منه، وكانت الصفة الرسمية التى أطلقت على المسلمين فى مصطلحات الحملة الصليبية هى " القذارة "...

وفـــى القـــرن الـــثانى عشـــر، عـــندما قـــام الملك لويس السابع ملك فرنسا بقـــيادة الحملـــة الصـــليبية الثانية كتب الأب بيتر إليه يقول : إنه يتمنى أن يقتل عـــددا كبـــيرا مـــن المســـلمين، عـــددا يـــوازى مـــن قـــتلهم موسى ويوشع من الأموريين والكنعانيين ...

لقـــد أعلـــن الـــبابا كليمنـــت الخـــامس (١٣٠٥- ١٣١٤) أن وجـــود مسلم علـــى الأرض المســـيحية يعتـــبر "إهانـــة لله" ... إن المســـلمين فـــى الممـــالك الأوروبـــية " وكـــر الوبـــاء مـــتوهجة الـــتلوث مصـــدر الطـــاعون العضـــال والجراثـــيم القـــذرة " وبهـــذا المـــنطق أبادوا المسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا فـــى بدايـــة القـــرن الـــرابع عشـــر ... وفـــى نهاية القرن الخامس عشر سقطت آخـــر قلعـــة إســـلامية فـــى أوروبا عندما سقطت غرناطة فدقت أجراس الكنائس فـــى شـــتى أرجـــاء أوروبـــا ابـــتهاجا بالنصر المسيحى على الكفار، ثم لم تلبث محـــاكم التفتـــيش أن بـــدأت وعلـــى مدى ٣٠٠ سنة بتخيير المسلمين بين الموت بأبشع الطرق أو التنصر أو الرحيل...

فـــى القـــرن الســـادس عشـــر كان لوثر يعتقد أن الإسلام قد يكتسح الممالك المسيحية اكتساحا شاملا ...

فـــى دائـــرة المعـــارف الإســـلامية الأولـــى الـــتى صدرت فى نهاية القرن الســـابع عشـــر يقـــررون : "هـــذا هـــو الدجـــال الشهير محمد، صاحب ومؤلف بدعـــة اكتســـبت اســـم الديـــن، ونســـميها المذهب المحمدى، ولقد نسب الكثيرون مـــن مفســـرى القـــرآن إلـــى هـــذا النـــبى الكـــاذب جميع الفضائل التى ينسبها الآريون إلى يسوع المسيح ..."

وفـــى نفـــس العـــام كتـــب همفـــرى بـــريدو كـــتابا هاما بعنوان: " محمد : طبـــيعة الدجـــل الحقيقـــية" يقـــول فـــيه : كـــان الشـــطر الأول مـــن حياته يتسم بالإباحـــية الشـــديدة والآثـــام الـــبالغة، إذ كان يجد متعة كبيرة فى السلب والنهب وفـــى إهـــراق الـــدم(...) كانـــت النزعـــتان اللـــتان تملكـــان لـــبه هما الطموح والشـــهوة، وكـــان الســـبيل الـــذى ســـلكه لبـــناء الإمبراطورية دليلا ساطعا على الـــنزعة الأولـــى، وكانـــت زوجاتـــه الكثـــيرات دليلا قاطعا على النزعة الثانية، والواقـــع أن النزعتيـــن تســـيطران علـــى إطـــار دينه برمته، فلا يكاد فصل من فصـــول القـــرآن يخلـــو مـــن ذكر قانون من قوانين الحرب وإراقة الدماء تحقيقا للـــنزعة الأولـــى، أو يـــنص علـــى حرية معاشرة النساء فى هذه الدنيا، أو الوعد فى الاستمتاع بهن فى الدار الآخرة تحقيقا للنزعة الأخرى...

ويصف سايمون أوكلى محمدا بأنه : " رجل بارع الدهاء واسع الحيلة، إذ كان يتظاهر فحسب بالصفات الحميدة المنسوبة إليه، أما دوافعه النفسية فهى الطموح والشهوة" ..

ويقول جورج سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن :" إن أحد الأدلة المقنعة على أن العقيدة المحمدية لم تكن قطعا سوى ابتكار بشرى هو أنها تدين بنشوئها وتطورها إلى السيف وحده تقريبا"...

أما فولتير فينحو إلى القول بأن محمدا " كان يعتبر رجلا عظيما ولم يختلف على ذلك من كانوا يعرفون أنه دجال، كما كان سائر الناس يبجلونه باعتباره نبيا "... وفى منتصف القرن الثامن عشر كتب فولتير مسرحية بعنوان :" محمد أو التعصب" فيجعله فيها نموذجا للدجالين الذين أحالوا شعوبهم إلى عبيد للدين متوسلين بالتحايل والأكاذيب... وفى نفس الوقت كان توماس كالاريل يعبر عن رفضه وازدرائه للقرآن الذى اعتبره "أكثر كتاب يبعث على الملل فى العالم.. إنه خليط غير مترابط يرهق القارئ غليظ النسيج ركيك التركيب غاص بالتكرار والمعاظلات التى لا تنتهى وباختصار هو بالغ الغلظة والركاكة والغباء الذى لا يطاق ..."

(لاحظ أيها القارئ أن مجلة كروز اليوسف والكتب التى تروج لها والكتاب المستنيرين الذين تنشر لهم لا يبتعدون عن نفس هذا المنطق وإن استتروا بالألفاظ... جبنا ... ولم أذكرها إلا على سبيل المثال لا الحصر... فلا حصر ...)...

وفى القرن التاسع عشر يقول شاتوبريان عن الإسلام أنه : " عقيدة معادية للحضارة، وهى تشجع بانتظام على انتشار الجهل والاستبداد والرق " و يقول عن العرب فى كتابه الرحلة من باريس إلى أورشليم ومن أورشليم إلى باريس : "جنود بلا قائد، ومواطنون بلا مشرعين، وأسرة بلا أب، وهم نموذج للإنسان المتحضر الذى سقط من جديد فى هوة الهمجية والوحشية " وأن: " القرآن لم يتضمن مبدأ واحدا من مبادئ الحضارة ولا فرضا يسمو بأخلاق الإنسان، إنه لا يحض على كراهية الطغيان أو على حب الحرية" ..

المؤرخ المعاصر بودريكور يصف كيف كف الغرب عن اعتبارنا بشرا وهو ينقض بوحشية على حركة المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسى إذ يصف إحدى غارات الفرنجة (المتحضرين !) على المسلمين (المتوحشين أو الإرهابيين !) فيقول : " حتى جنودنا الذين عادوا من الغارة

كانوا يشعرون بالخجل، إذ أحرقوا نحو ١٨٠٠٠ شجرة، وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ، وكانت النساء أسوأ الجميع حظا إذ كن يتزينّ بالأقراط والخلاخيل والأساور الفضية فأثرن الطمع فيها، ولم تكن لها مفاتيح كالأساور الفرنسية، بل كانت توضع حول المعاصم والكواحل فى الطفولة، فإذا كبرت الفتاة ونمت أعضاؤها لم تتمكن من نزعها، ولم يستطع جنودنا أن يحصلوا عليها إلا بقطع أطراف النساء وتركهن فى قيد الحياة وقد تشوهت أجسامهن"

فى القرن العشرين أعلن اللورد كرومر أن الإسلام عاجز عن إصلاح نفسه، وأن الشرقى يتمتع بنزعة طفولية لا رجاء فى تغييرها...

فى نهاية القرن العشرين "كتبت فاى ويلدون" لإبداء وجهة نظرها فى مسألة سلمان رشدى (الذى يحتفى به الغرب أى احتفاء وقابله كلينتون تكريما) كتبت تقول: "يعمل القرآن على قمع التفكير، وهو ليس قصيدة يمكن أن يبنى عليها المجتمع بناء سالما أو عاقلا"..

فى سنة ١٩٨٩ يقول أوبريان " إن المجتمع العربى مريض، ولقد ظل فى مرضه ردحا طويلا من الزمن، ففى القرن الماضى كتب المفكر العربى(هكذا فى الأصل) جمال الدين الأفغانى يقول إن كل مسلم مريض وعلاجه الوحيد فى القرآن، لكن المرض يتفاقم للأسف كلما ازدادت جرعة الدواء..." ..

وتعلق كارين آرمسترونج : " وربما أدى الطابع الخيالى لشخصية " ماهاوند " فى الغرب إلى الصعوبة التى يواجهها الناس اليوم إذا حاولوا النظر إليه باعتباره شخصية تاريخية جديرة بالدراسة الجادة التى يولونها لنابليون أو الإسكندر الأكبر..."

وتستطرد : "ما يزال بيننا من يدهش دهشة حقيقية حين يسمع أن المسلمين يعبدون الإله الذى يعبده اليهود والمسيحيون نفسه .."..

***

هل قرأت أيها القارئ؟!

وهل أدركت عمق الكارثة ...

لم يكن موقفا انتهى ... بل كان ويكون وسيكون ...

وبهذا المنطق يحاربوننا ويفاوضوننا ويَعِدُونَ ويحلفون ويبرمون المعاهدات والمواثيق فنصدقهم ونطلق على أمريكا الشريك النزيه والوسيط العادل ونوادّهم ونصادقهم ونواليهم على اخوتنا ....

لو كانت أمريكا هى الشريك النزيه والوسيط العادل لكان ما قالوه فينا وفى الإسلام وفى نبى الإسلام – أستغفر الله – حق ...

وإن كنا نؤمن أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأمريكا مجرمة وقد فرض علينا قتالها وهو كره لنا ...

إما أن نأخذ البيعة كلها أو نرفضها كلها ....

إذا كان ما قالوه عن سيد البشر وأشرف الخلق وخاتم النبيين والمرسلين حق فإن ما يقولونه عن تاريخنا وحاضرنا وما يفرضونه علينا من حدود لبلادنا وما يعرضونه علينا من حلول لمشاكلنا حق ... وإن كان الأول باطلا فالأخير باطل...

كيف تسوغون لأنفسكم أن تكذبوا الأولى وتصدقوا الثانية؟..

أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض...؟..

المستنيرون المستغربون يحاولون دائما طمس عيوننا عن أنها معركة واحدة مستمرة بدأت حتى قبل الإسلام ... وهى نقطة تلتقطها كارين آرمسترونج بمهارة حيث لاحظت أن عداوة الغرب للإسلام ليست بسبب الدين المسيحى، وإنما بسبب الرغبة فى النهب والسيطرة، بل إنها تصل أن العرب قبل الإسلام كانوا يستريبون بصفة عامة باليهودية والمسيحية، وكانوا يعلمون أن فارس وبيزنطة قد تجهزتا باستعمال الديانتين للسيطرة الإمبريالية...

لقد بدأت المعركة قبل الإسلام، وهى مستمرة إلى اليوم... مستمرة رغم ادعاء أدعياء التنوير الذين أصبحوا نزيفا فى وعى الأمة وثقوبا فى ذاكرتها ...

موقف الغرب منا مستمر ويحمل ذات الجهالة ...

لا يتعاملون معنا إلا بتلك الخلفية والمستنيرون الحمقى وصحف التبشير ومجلات التبشير وتليفزيون التبشير وكتاب التبشير تلاميذ زويمر يحاولون أن يغطوا أبصارنا وأن يعموا بصائرنا كى نندفع إلى مقصلة الجلاد كقطيع يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان...

نظرتهم الجهولة الغبية المجرمة لنا مستمرة ...

تقول كارين آرمسترونج: ما تزال آثار الوهم القديم قائمة حتى يومنا هذا.. إذ ما يزال من الشائع عند أبناء الغرب أن يسلموا دون نقاش بأن محمدا ليس سوى رجل استغل الدين فى تحقيق الفتوحات وسيادة العالم وأن الإسلام دين عنيف يعتمد على السيف...

وتشير كارين آرمسترونج إلى ما كتبه أومبرتو إيكو عام ١٩٨٧ من أن الأمريكيين والأوروبيين قد ورثوا التركة الغربية، وأن انتهاء القرون الوسطى لم يؤذن بانتهاء الأساطير القديمة...

***

هل اكتفيت أيها القارئ، هل غصصت بالألم ...؟..

بقيت نقطة قد تكون مفيدة فى السياق، فإن كارين آرمسترونج تلاحظ أن المسلمين لا يحملون للغرب ما يحمله الغرب للمسلمين، فحتى الحروب الصليبية لم تحمل تهديدا لوجود المسلمين بل إن مناطق شاسعة تمثل قلب العالم الإسلامى كبغداد وإيران لم تشعر بهذه الحروب ، كانت الحروب الصليبية بالنسبة لمعظم المسلمين تدور عند الأطراف والحدود البعيدة ... بينما لا ينسى الغرب للمسلمين أنهم هددوا وجوده بالمحق ذات يوم وأنهم استولوا على عاصمته :" القسطنطينية"..

المشكلة أيتها الطغمة الفاسدة التى انفصلت عن ضمير أمتها وادعت التنوير ليست فى موقفنا الظلامىّ المتحجر من الغرب ولا فى الموقف المنحرف الذى تتخذونه منه .... فالمشكلة فى موقف الغرب منا...

أيتها الطغمة الفاسدة: ما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيمة تردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون...

المشكلة موقفه هو لا موقفنا نحن ...

يصرخ محمد عمارة[1] : ليست القضية هى موقفنا من الغرب وإنما القضية هى موقف الغرب منا ... مشكلتنا ليست مع الإنسان الغربى ولا مع العلم الغربى ولا مع الحضارة الغربية وإنما مع المشروع الغربى عندما يريد إلغاء مشروعنا الحضارى المتميز والخاص...

***

هل أدركت يا بنى – الذى نسيت – ما أريد أن أقوله لك...

فى المقالة الماضية أوجزت لك أكثر من ألف عام من الحروب...

وفى هذه المقالة أوجز لك أكثر من ألف عام من فكر الجهالة الجهلاء والظلم الغشوم ...

أحاول ذلك يا بنى كى أنقذك ...

أحاول ذلك كى تدرك إلى أى مدى نغوص فى سكرة ملهثة وغمرة كارثة ...

لا تقل لى " أونكل مرة أخرى " ... لقد غزوا لسانك وأوشكوا أن يغزوا قلبك وعقلك وروحك ... فلا تقلها مرة أخرى ...

تكلم بلغتهم كأهلهم وأنت تصنع قنبلة نووية تنقذنا من العار أو وأنت تصمم صاروخا أو سفينة فضاء...

يا بنى قد تجلى الكرب الكوارث ...

يا بنى أنت الأرقى والأعظم أما هم فجبابرة التاريخ أكلة لحوم البشر وعار الدنيا وهمجها الهامج ...

فلتبك كثيرا ولتضحك قليلا يا بنى...فالنوازل هائلة والهوائل نازلة...

أحاول يا بنى – أيها المستخلف على الأرض سيدا لأنبل وأعظم الحضارات فى التاريخ _أن أنقذك..

١- البوسنة والهرسك. مرجع يابق.

وإن لـم تفهـم ... وغـرتك الدنـيا وخدعـتك صحفنا ومجلاتنا ومحطات إذاعتـنا وتليفزيونـنا الـتى يسـيطر علـيها صبيان زويمر فإن ما سوف يحدث لك فى مدى جيلك أنت رهيب ومروع ...

سوف يحدث لك فى نهاية اليوم ما يحدث اليوم للعراق وأفغانستان...

وسوف يحدث لك غدا ما يحدث اليوم لكوسوفا ...

سوف تذبح أنت ...

أمـا شـقيقاتك وبـناتك وزوجـتك... فسـوف تقتصر مناشدتهن للعالم الذى حظـر علـيك وعليهـن السـلاح ... أن يمدهن بحبوب منع الحمل كى يتقين بعد الاغتصاب حمل السفاح ...

بعـد غـد ... يـا بـنى الضـاحك تلـك الضحكة الطيبة العمياء المستهترة الجاهلة المستهينة ...

لن تكون موجودا ...

ستكون قد انقرضت ...

كالهنود الحمر ...

إينالا..هاموهى..طنبالكا..فيرينا[1]..!!

هل تريد أن تعرف حقيقتك التى ينظر الغرب بها إليك أيها القارئ؟!...

أنت جبان خائف متخلف ساذج تعانى من قصور عقلى.. دنىء فقير.. متخلف أخلاقيا.. ناقص .. إما عدو وإما خائن..

أنت إما لاجئ فى مخيم، أو ساكن فى مدن من الصفيح، أو راعى غنم فى الصحراء أو صياد..

هل تريدون أن تعرفوا حقيقتكم أيها القراء ...

أنتم كفار أعداء خونة غير مؤمنين فاشلون مهزومون هامشيون مذعورون فقراء تعيشون فى حرمان لأن إلهكم بخيل (أما إله الغربيين فكريم ومعهم وأعطاهم الثروة والمياه الوفيرة) ....

إن العلاقة بينكم وبين الآخرين علاقة عدائية خطرة عندما تفلتون من السيطرة ، إذ أنكم بعدها تتحولون إلى أعداء خطرين بعد أن كنتم مخلصين أوفياء، لكنكم عند فقد السيطرة عليكم تتحولون إلى متمردين تارة وأخرى إلى نهابين وثالثة إلى مخربين بل سفاحين...

أنتم : قبيلة كريهة من البدو المتعطشين للدماء...

الغرب أسياد وأنتم خدم ، لصوص، متطيرون، تؤمنون بالجان، أذلاء، فاشلون ، لا تتكيفون مع الواقع ، مرعبون ، مفزعون ، قطاع طرق، قتلة، تخافون الموت فتستسلمون ويلحقكم عار الموت دون قتال ... ليس لكم أى صفة إيجابية...

أنتم إما كسالى مذعورون وإما غزاة سارقون ...خائفون وتهددون غيركم ... فرّارٌ بعد الهزائم... إن المصير المحزن الذى ينتظركم هو الموت الجسدى أو الخضوع أو الاستسلام أو الانسحاب...

أحيانا تقاتلون بشجاعة لكن هزيمتكم محققة...

أنتم تثيرون العطف أحيانا لكن القدَرَ دائما ضدكم والحظ..

١- الشعب : ١٩٩٩/٣/٥

أنتم شخصيات محكومة دائما بالهزيمة والفشل والخضوع...

أنتم غازون ومتطفلون وأجانب حتى عندما تكونون فى بلادكم الخاصة...

إنكم دائما فى علاقة تناقض مع الآخرين، تتحالف الطبيعة مع القدر ضدكم، ثم تجدون أنفسكم بعد ذلك فى صف الأشرار أو ضد الأخيار دائمى التشاحن مع بعضهم..

أنتم ضعفاء.. تطلبون الحماية أو تهربون...

إن طبيعة العلاقة معكم هى الصراع والعداء وشعوركم بالنقص، إنكم أعداء أو خاضعون ..

***

ليست هذه الصفات - يا قارئى - واردة فى عصور ما قبل التاريخ ولا فى العصور الوسطى، ولا حتى فى بدايات القرن العشرين أو منتصفه، إنما هى صفات العرب التى يدرسها - الآن - الطلاب الفرنسيون فى مراحل التعليم المختلفة حيث رصدتها الدكتورة مادلين نصر[1] فى كتابها الهام: "صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية" ..

وليست هذه النظرة هى ادعاءات أو هواجس وأوهام الإرهابيين المنغلقين الظلاميين المتحجرين المتأسلمين إنما هو المنهج الرسمى الذى قررته وزارة التربية الفرنسية ، وضع فى الاعتبار أنهم لا يقولون كل ما يريدون إذ يجب - طبقا لنص توجيهات صريحة من وزارة التربية - مراعاة وجود تلاميذ من أصل عربى فى الفصول الدراسية..!!

وتضيف الدكتورة مادلين نصر : تضمنت كتب القراءة فى المرحلة الثانوية مقتطفات عديدة من الآداب الأجنبية(الصينية واليابانية والأمريكية) مترجمة إلى الفرنسية إلا أنها تجاهلت الأدب العربى المعاصر ... ثم تعلق على تناول الكتب الفرنسية لظهور الإسلام والفتح العربى فتقول : "كشف الحساب كئيب، غزو وهزيمة، دين جديد مصحوب بالحروب والفتوحات...." أما فى الحروب الصليبية فتذكر الكتب : "الاف المسيحيين مدفوعون بإيمانهم"... و"الصليبى حاج" .. و"أن المسلمين منعوا الحجاج الصليبيين من الوصول إلى بيت المقدس فنشبت الحروب الصليبية لتخليص قبر المسيح..."

١- "صورة العرب والإسلام فى الكتب المدرسية الفرنسية" (مركز دراسات الوحدة العربية) ...

"... كـان حجاجـنا يطـاردون العـرب ويقـتلونهم وبعـد أن نجحـوا فى القضـاء علـى مقاومـة العـرب الكفـار أسروا عددا كبيرا من الرجال والنساء وجمعوهـم فـى المعـبد وأخـذوا يقـتلون من يشاءون ويتركون على قيد الحياة مـن يشـاءون، ثـم انطلـق الصليبيون إلى مختلف أنحاء المدينة يسرقون الذهب والجـنود والجـياد وينهـبون المـنازل، وبعد ذلك ذهبوا وهم يذرفون الدموع من شدة الفرح إلى قبر مخلصنا يسوع المسيح لتقديسه"

" ... لقـد كانـت الحـروب الصـليبية حملـة عسـكرية إلـى الأراضـى المقدسة موجهة ضد الكفار..."

تـدرك مادليـن نصـر أن الفرنسـيين يسـتعملون كلمتى المسلمين والعرب كمترادفتين ...

نحن لم نكتشف بعد ذلك!!...

النظرة التى ينظر بها الغرب إلينا واحدة إذن عبر كل القرون ...

مـنذ ألـف عـام ومـنذ مائـة عـام والآن وبعـد مائة عام ... أما صدام الحضـارة الـذى ابـتدعه صـمويل هننجتون فانبهر به رواد التنوير فليس جديدا إلا لهم وعليهم ...

بالنسـبة لـنا فـإن أول اكتشـاف لصدام الحضارات قد ورد فى القرآن ذاته ولقـد حـدد شـروطهم كـى لا يكـون صـدام : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ..."

لكن زويمر ضن علينا حتى باتباع ملتهم ...

لم تكن مادلين نصر وحدها هى التى اكتشفت أو كشفت ...

هـناك الكثـيرون أيضـا، مـنهم "**شـريف الشوباشـى**" فى كتابه[1] : "**هل فرنسـا عنصـرية**" يـتحدث عـن نظـرة ومعاملـة الفرنسـيين للعـرب أو المسـلمين(حيـث تسـتعمل الكلمـتان بالتـبادل كمترادفتين) فيذكر نماذج لما يحـدث : مـنها مـا حـدث فـى ٦ مـارس ١٩٩٠ عندما أطلق شرطى خمسة أعـيرة ناريـة فـى ظهـر شـاب عربى بدعوى أنه حاول الهرب بعد أن ألقى القـبض علـيه بـتهمة التشـاجر، لكـن نـية القـتل كانـت واضحة، إذ كانت الرصاصات موجهة فى مقتل فى ظهر الشاب العربى.

١- شريف الشوباشى: هل فرنسا عنصرية . إشكالية الهجرة العربية والإسلامية فى أوروبا (وكالة الأهرام).

حادثــة أخـــرى أطلـــق فـــيها طـــباخ بـــأحد المطاعم النار من بندقية على مجموعة من الشباب العرب فقتل اثنين منهم.

فـــى حـــادث آخـــر بـــدأت المأســـاة حيـــن خرج فرنسيان من أحد المنازل فوجـــدا بعـــض الشـــباب يـــتحدث بصـــوت عـــال، فـــأخذا يوجهان لهما السباب والإهانـــات ويهـــددان بـــإطلاق كلـــبهما الضخم الذى اعتاد -كما صاح أحدهما - علـــى أكـــل اللحـــم العـــربى، ثم استقل الفرنسيان سيارتهما ودهما عن عمد شابا عربيا لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن دفعته السيارة أمامها مسافة ٥٠ مترا..

وفـــى مديـــنة لـــيل انهـــال ثلاثـــة من الفرنسيين ضربا على شاب عربى لم يـــتجاوز الســـابعة عشـــرة مـــن عمره ضربا ولكما وركلا بمقصورة القطار الذى قـــاده ســـوء الحـــظ إلـــى الجلـــوس فيها، ولم يكن الشبان الثلاثة يعرفون الشاب العـــربى، لكـــن هـــذا لـــم يمـــنعهم من أن يضربوه ضربا وحشيا قبل أن يلقوا به حيا من شباك القطار المسرع ليلقى مصرعه على الفور...

ولـــم تكـــن هـــذه الجـــرائم هـــى الوحيدة من نوعها فعدد العرب الذين لقوا حـــتفهم خـــلال الثمانينـــيات نتـــيجة لاعـــتداءات عنصـــرية يقـــدر بـــنحو ١٨٠ شخصـــا، أمـــا الذيـــن تعرضـــوا للضـــرب والإهانة بسبب لون جلودهم السمراء واستخدام اللغة العربية بأصوات مرتفعة فيتعدى الآلاف.

ضـــع فـــى الاعتـــبار أن فرنســـا نظـــرا لطبيعتها الخاصة أفضل بكثير من معظم دول الغرب...

وضـــع فـــى الاعتـــبار أن شـــعوبهم تـــرى فى شعوبنا ما قرأته على الفور أيها القارئ...

وضـــع فـــى الاعتـــبار أيضـــا أن تكـــون نظـــرة ملوكهم لملوكنا ووزرائهم لوزرائنا ومفكريهم لمفكرينا هى عين عين النظرة..

تعلـــم إذن أيهـــا القـــارئ أن أيـــة كلمـــة تقريظ من أحدهم فى أحدنا ليست وســـاما تهلـــل له وســـائل الإعـــلام بـــل اتهاما بالخيانة يجب أن يستقصى حتى يثبت أو يُنفى ...

***

لعـــل القـــارئ مـــا يـــزال يذكـــر تلـــك الصورة المفزعة للفقير هندى حين تخيلـــته رمـــزا للعـــالم الإســـلامى .. ذلـــك الفقـــير المسكين الراقد عاريا تحيطه أوســـاخ لا حصـــر لهـــا، هـــيكل عظمـــى مكسو بجلد مهترئ ، وقد عجز تماما عـــن أن يحـــرك حـــتى إصـــبعا ليذب الذباب عنه، ولم يقتصر الأمر على ذلك،

فقد مر بالهيكل البشرى المسكين كلب ضال أخذ ينهش من لحمه والرجل عاجز عن الحركة كى يبعد الكلب الشرس عنه..

كنت قد بدأت منذ خمسة أسابيع بالحديث عن مأساة إخوتنا فى كوسوفا وكنت أتمنى المواصلة لكننى وجدت نفسى كأنما أتحدث لغة أجنبية يستطيع القارئ أن يرددها بعد أن يقرأها دون أن يفهم معناها... ثم أن القارئ حتى حين يحاول ترجمة تلك اللغة الأجنبية يجد نفسه لا يتعامل مع لغة حقيقية بل مع لغة مشفرة تعطى المسميات عكس مدلولها فالخيانة تعقل والردة إيمان والهزيمة انتصار والتخلف تقدم والبطش الباطش أزهى عصور الديموقراطية والضعف قوة والانحلال حضارة...

قلت لنفسى أننا لا نستطيع أيضا أن نحل مسائل الهندسة والجبر والحساب إذا كانت معلوماتنا عن جدول الضرب مزقا متناثرة معظمها خطأ... أو كأن تمثالا هائلا قد تحطم إلى شظايا كلما عرضت على الناس شظية منها لم يدركوا إلا أنها قطعة حجر ... ثم أن الأفاقين الذين حطموا التمثال لم يكتفوا بذلك بل أهالوا عليه الركام وشوهوا الشظايا وكتبوا عليها معلومات خاطئة.. لم يفعلوها مرة واحدة ولا عشرا ولا مائة بل لا يكفون أبدا .. أبدا ...أبدا..

ثم تذكرت تلك الواقعة التى كانت جديرة بأن أضحك معكم يا قراء عليها لولا أن السخرية هنا منى ومنكم ... نحن محل السخرية فلا مجال إلا للبكاء والنواح... كان ذلك الأستاذ الجامعى- الواقعة حقيقية - يحج إلى بيت الله الحرام، وأثناء الطواف حول الكعبة صادف مجموعة من الباكستانيين يرددون الدعاء خلف أحدهم وكان صوت قائد المجموعة جميلا تقيا فتبعه الأستاذ وراح يدعو مع الباكستانيين خلفه وقد ذاب قلبه شجنا وعذوبة إزاء نغمة دعاء لم يكن يفهم معنى كلماته ولا حتى لغته وإن ظن أنها لغة سريانية ... كان يدعو معهم : " إينالا ...هاموهى ... طنبالكا ...فيريينا..." . وعلقت الجملة من بين مئات الجمل بذهنه فراح يرددها على الدوام فى دعائه وكلما رددها استعاد الجو الروحى للبيت الحرام فجاشت نفسه واغرورقت عيناه ... وظل كذلك حتى رحلة حج تالية ... كان تواقا كأشد ما يكون الشوق لترديد نفس الدعاء خلف مجموعة كتلك المجموعة التى عرف منها الدعاء أول مرة ...وأحس أنه حقق من الوجود مبتغاه عندما كوفئ على الصبر والانتظار والترقب أمام الكعبة حتى سمع نفس الدعاء يتردد فانطلق رغم الزحام لا يلوى على شئ والتحق بالمجموعة وأخذ يردد الدعاء خلفها تسبقه عبراته فكأنما يحتوى هذا الدعاء الطلسم

علـــى قـــدس الأقـــداس أو ســـر اســـم الله الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب... بعد الطـــواف تعـــرف بقـــائد المجموعـــة الباكستانية وتفاهم معه بالإنجليزية وطلب مـــنه أن يـــترجم تلـــك الجملـــة التى خلبت لبه... لكن الرجل سأله بدهشة: ألست عربـــيا ؟ فأجـــاب الأســـتاذ : بلـــى.. فســـأله الرجل: إذن لماذا تنطقها مثلنا ... نحـــن نـــنطقها كذلـــك لأنـــنا لا نعرف العربية... لذلك نقطع الكلمات إلى مقاطع تســـهل الـــنطق علـــينا، ومعـــنا ترجمـــتها باللغـــة الأردية.. ونطقنا غير صحيح لأنـــنا نـــنطق الحـــاء هـــاء كمـــا أننا فى كتابتنا للدعاء ونطقنا له نعامل التشكيل كحرف فنكتب المد ألفا والتنوين نونا والكسرة ياء ...

فهـــم الأســـتاذ أخـــيرا أن الدعـــاء الـــذى خلـــب لبه :" إينالا ...هاموهى... طنـــبالكا ...فيريـــنا.... " لـــيس ســـوى نطـــق محـــرف عـــن: إن الله محيط بالكافرين!!!..

قلـــت لنفســـى أنـــنا نقـــرأ الـــتاريخ مقطعـــا بنفس الطريقة وهى طريقة لا يمكـــن أن تســـفر عـــن أى فهم ... قد نتعاطف وقد نتأثر وقد نبكى ... لكننا أبدا لا نفهم...

قلـــت لنفســـى أن الـــتاريخ موجـــود أمامـــنا تقطعـــه مـــناهج التطوير فى وزارات تربيتـــنا وتعليمـــنا ... ويشـــوهه أيضـــا رؤســـاء تحريـــر وصـــحفيون وكتاب ومفكرون وتليفزيون وإذاعة ومجلات وصحف ...

قلـــت لنفســـى أن الـــتاريخ موجـــود أمامـــنا لكـــن حاديـــنا صبيان زويمر ومفســـرينا تلامـــيذ دنلـــوب أمـــا جنود كرومر فقد أنيط بهم التعامل مع من يريد مـــنا قـــراءة الـــتاريخ قـــراءة أخرى.. من يريد أن يقرأ بصورة صحيحة فيقول: إن الله محيط بالكافرين!!!..

المســـموح بـــه :" إيـــنالا ...هـــاموهى ... طنـــبالكا ...فيرينا.... !!! وغير ذلك تأسلم وتحجر وظلام ...!!!..

***

لقـــد كنـــت أدرك علـــى وجـــه ما حجم عملية غسيل المخ التى تمت... حجم التجهـــيل والتزيـــيف... حجـــم الـــثقوب الـــتى يـــنزف مـــنها الوعى من ثقوب الذاكـــرة... مـــن أجـــل ذلـــك وجدت أننى لا أستطيع الاستمرار دون أن أحاول ربـــط مشـــكلة كوســـوفا بمشـــكلة العراق بفلسطين... ثم وجدت أننا لا يمكن أن نفهـــم ونســـتوعب ذلـــك إلا بعـــد أن نســـتعيد التاريخ... تاريخ الحروب وتاريخ الفكـــر كـــى يقتـــنع أبـــناؤنا أننا أبناء حضارة هائلة متفوقة يحطمنا الآن الانكسار لكننا سننهض.

كنت قد وعدت القارئ أن أنشر فى العدد التالى مباشرة الدفاع المجيد الذى خطه يراع الأستاذ محمد يوسف عدس ردا على قيام مراسل الأهرام فى موسكو بعمله التبشيرى فى تزييف وعينا ...

لكننى كل أسبوع أدرك أن الخلفية لم تكتمل بعد وأن أى حديث أحاول صبه فى وعى القارئ سيسقط من ثقوب الذاكرة المهترئة بفعل أعدائنا وإعلامنا ...

فى عجالة أرجو أن أعود تفصيلا إليها...

كانت كوسوفا دولة إسلامية منذ سنة ١٣٨٩م وقد دخل أهلها الإسلام أفواجا لأنها كانت مهددة من الصرب، وحسن إسلامهم وشكلوا إسهاما هائلا فى الجيش العثمانى وتولوا أرقى المناصب فى الخلافة بل وشغلوا منصب الصدر الأعظم مرتين...

مع تضعضع قوة الدولة العثمانية بدأت الدول الكبرى اقتطاع أجزاء من العالم الإسلامى...

وفى حرب البلقان سنة ١٩١٢[1] حيث حرضت الدول الأوروبية الصرب على النعرات القومية وأججت ثورة الولايات وأمدتها بالسلاح بالتكاتف مع ضغوط مالية عنيفة من اليهود والدول الكبرى، وأعلنت الخلافة الحرب على اليونان والصرب وبلغاريا ومقدونيا بمساعدة روسيا...

أيامها ... كان موقفنا أفضل من اليوم بكثير ...فعندما نشبت الحرب نشأت الجمعيات واللجان فى مصر لجمع التبرعات وعندما انهزمت تركيا بدأت مأساة البوسنة والهرسك وكوسوفا وارتج العالم الإسلامى تعاطفا وحزنا وارتفع صوت شوقى بقصيدة من أروع قصائده يندب فيها مجد الإسلام وقد ذكره تقلص ظله عن شرق أوروبا وقتذاك بضياع سلطانه فى غربها عند ضياع الأندلس ولذلك سمى قصيدته "الأندلس الجديدة " ، وتتجاوز المائة بيت مطلعها:

يا أخت أندلس عليك سلام . ˙ . هوت الخلافة عنك والإسلام

وكتب الشاعر أحمد الكاشف قصائد عديدة يقول فى إحداها منددا بالمذابح المروعة التى تمت تحت رعاية الدول الكبرى:

صليبية يا قوم أم عنصرية . ˙ . حروبكم؟ والدين هذا أم الشرك؟

١- الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر. الدكتور محمد محمد حسين. مكتبة الآداب.

وكتب الشاعر محمد عبد المطلب:

صريف المنايا أم صليل الصوارم؟. . وليل الردى أم نقع تلك الملاحم.؟

تأمل أيها القارئ .. منذ تسعين عاما تأجج وعى الأمة واشتعل وجدان الشعراء وجمعت التبرعات ... بعد تسعين عاما لا يكاد يعرف كوسوفا أحد ...ولم يَرْثِ شهداءها شاعر ولا بكت قتلاها عين .... تأمل أيها القارئ حجم التجهيل وغسيل المخ.....

تأمل حجم نجاح صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب ... وكم جعلونا نتقدم إلى الوراء..

تأمل أن ما حدث لكوسوفا أيامها كان مقدمة لما حدث لفلسطين بعد ذلك ثم للعراق ...

المؤامرة مستمرة ...

نفس الخطة ونفس التفاصيل ...

فانظروا إلى الماضى واقرؤوا ما سوف يحدث لنا غدا ....

كانت الدولة العثمانية تلم شمل معظم المسلمين ... وكانت الدولة الصفوية فى إيران والدولة المغولية المسلمة فى الهند تلم شمل الباقين... وفى نفس الوقت بدأت الضربات الهائلة للإمبراطوريات الثلاث ... فككوا الدولة العثمانية إلى ثلاثين دولة هى: رومانيا بلغاريا اليونان ألبانيا يوغسلافيا المجر قبرص تشيكوسلوفاكيا مصر الأردن السعودية جيبوتى الصومال ليبيا تونس الجزائر المغرب موريتانيا سوريا لبنان العراق السودان الكويت الإمارات العربية عمان قطر البحرين اليمن فلسطين...

فككوا دولتنا ثم راحوا هم يتوحدون..

***

لقد كان منطقيا أن ننتقد ونرفض تخلف وظلم وبطش نظام الحكم فى الدولة العثمانية، واضعين فى الاعتبار كيف قلب عباد الشيطان الصورة، لقد تعرضت الدولة العثمانية لنفس القدر من التشويه، وبرغم كل ذلك، حتى لو صدق ما قالوه، فقد كان على مشاعرنا أن تتوجه ضد ظلم مؤسسة الحكم لا وحدة الدولة... لأن ما حدث يشبه تماما أن يسوغ لنا اختلافنا وانتقادنا لنظام الحكم فى مصر أن نطالب بتقسيمها إلى دول ...و أن تطالب المحافظات بالانفصال عن القاهرة...

تاريخهم المجرم الذى تعدل مناهجنا الدراسية كى توافقه يغفل أن تركيا فى مطلع هذا القرن كانت قد أصبحت دولة عربية!! وحتى عهد كمال أتاتورك كان تعدادها ٣٢ مليون نسمة منهم عشرة ملايين عربى وسبعة ملايين ونصف المليون من الأتراك والباقى جنسيات أخرى...أثار الغرب أيامها النعرات القومية مشجعا القومية... ثم سحق القومية رافعا لواء الوطنية ... ثم هاهو ذا يسحق الأوطان ...

لقد لعب اليهود- خاصة يهود الدونمة الأتراك [1]- دورا هائلا فى انهيار الدولة العثمانية ... وكان من دوافعهم القوية لذلك - بالإضافة إلى الدافع التاريخى- هو إدراكهم أنه لا يمكن الاستيلاء على فلسطين ما دامت الدولة العثمانية قائمة... ولقد كان انفراط الدولة هو أساس الكوارث التى نواجهها الآن فى فلسطين وفى العراق وفى البوسنة والهرسك وكوسوفا ... بقى أن نعرف أن يهود الدونمة هم اليهود الذين ساهموا فى انهيار الأندلس ثم فروا إلى تركيا مستغلين سماحة الإسلام ثم أخذوا ينخرون فيها كالسوس حتى انهارت ...

صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وجنود كرومر سيصرخون متأففين من أى كلمة حق نجرؤ على قولها فى الدولة الإسلامية الواحدة ولهم نقول أن هنالك الكثيرين ...منهم مثلا المؤرخ بول كولز (هو أمريكى يا رواد التنوير فقعوا له ساجدين) يستعملون كلمة العثمانيين بالتبادل مع كلمة المسلمين كمترادفتين.. !!

سوف نعود بالتفصيل إلى كل ذلك إن شاء الله ... لكننا بهذه الخلفية نكون على مشارف فهم قضية كوسوفا ... فقضية كوسوفا هى مثل ونتيجة وعبرة ومستقبل نراه ... قضية كوسوفا كما نوردها هنا وليست كما يقولها ذلك الفلسطينى الصربى الهوى أمجد ميقاتى ولا الصحفى جوزيف سماحة ولا سفيرنا هناك هانى خلاف ... فأولئك هم سفراء الأعداء فينا ...

ولنتأمل أيها القارئ فى ذهول كيف تمت مهاجمة وزير الخارجية نفسه على أوسع نطاق فى صحيفة أخبار اليوم بينما أوقفت الأهرام مقالات الكاتب الكبير فهمى هويدى... ليس لمجرد أنه انتقد هانى خلاف بالطبع ... بل لأنه دخل المنطقة المحظورة التى نخوض فيها الآن بمحاولة شرح

---

١ - راجع: "دور يهود الدونمة فى إسقاط الخلافة العثمانية" إعداد محمد ابراهيم زغروت- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الأبعاد الحقيقية للقضية ... ليس كقضية وضع إنسانى نستنفر له بل لأنها قضية مصير مشترك ...

الأمر ببساطة أن الأخبار حين هاجمت وزير الخارجية لم تخرج عن السياق المسموح به أما فهمى هويدى فقد خرق تعاليم زويمر... لذلك كان يجب أن يوقف...

نحن الآن على مشارف قضية كوسوفا ... البلد الإسلامى الذى كان وضعه فى الدولة الإسلامية كموقع مصر وفلسطين والعراق والكويت ... كوسوفا التى لم تكن قبل الإسلام صربية بل كانوا هم أصل المنطقة ثم ورد عليهم الصرب البرابرة واحتلوا بلادهم ولم يمكثوا فيها أكثر من مائتى عام عبر التاريخ ... تماما كما حدث من اليهود فى فلسطين ..

نفس الوقائع... حدثت وتحدث وستحدث........

فلنقرأ معا أنشودة "إكليل الجبل" التى تعتبر نشيدا لتلاميذ الصرب : " سلك المسلمون طريق الشيطان.. دنسوا الأرض ... ملئوها رجسا ... فلنعد للأرض خصوبتها .. ولنطهرها من تلك الأوساخ ... ولنبصق على القرآن ... وليطر رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدا ...فليذهب غير مأسوف عليه " ...

إنه ليس موقف تلاميذ الصرب بل موقف الغرب كله ... والضحايا ليسوا مسلمى كوسوفا بل المسلمين جميعا ...

إن موقفنا اليوم ليس مجرد خيانة للدولة الإسلامية ... ولا للقومية ولا حتى للأوطان ...ليس خيانة لفلسطين أو العراق أو كوسوفا أو حتى مصر...

إنه خيانة لأنفسنا ..لديننا .. وخيانة لله ....!

هوًى غربيٌّ ؟..أم استكبار غبيٌّ ؟!..[1]

هذا حديث ثقيل الوطأة على قارئه وعلى كاتبه...

إذ أننى وأنا أكتب لكم لا أعرف من أين أبدأ ولا كيف أنتهى ....

فالمتاح من الصحيفة بعض صفحة، يقرأ بعضها بعض القراء ...

والمتاح فى الكتاب بضع مئات من الصفحات يقرأها عدد أقل بكثير ممن يقرءون الصحف..

فهل أستطيع فى هذا البعض من البعض أو البضع أن أنقل لكم أنباء فتن كقطع الليل المبهم تعاقبت علينا قرونا تلو قرون ...

فتن تدع الحليم حيران إن كان ما يزال فينا حليم ...

هل أستطيع فى بعض ساعة أن أنقل لكم خيبة قرون وقرون؟...

عجز قرون وقرون ...

هل أستطيع أن أمارس بعض تلك الممارسات التى يختلط فيها العبث بالفن بالخرافة ، كأن أكتب المصحف كله على حبة أرز، أو التاريخ على حبة قمح ، أو أن أملأ الأنهار بدمع العين؟!..

هل يمكن أن أختزل لك التاريخ فى صفحة أو مائة صفحة أو حتى ألف صفحة؟!..

وليتنى كنت أسرد لكم التاريخ على عقل خلى... يستطيع الاستيعاب والتزود بالمعرفة دون عائق ... لكننى إذ أقول ما أقول أواجه فى عقولكم وذكرياتكم ضده وعكسه... أواجه البرنامج التعليمى الذى وضع أسسه دنلوب وما زال ولاة أمورنا يطورونه ويعدلونه فى اتجاه تعاليم دنلوب... وهذا يشبه أيها القارئ أن تجعل من إبراهيم عبد الهادى هو المرجع لك عن الإمام حسن البنا ... أو من عبد العظيم رمضان مؤرخا وحيدا لجمال عبد الناصر... أو فؤاد علام فيصلا فى الحكم على الإخوان المسلمين ... أو من سعد الدين إبراهيم مؤرخا للوطنية أو من اعتماد خورشيد مقياسا وحيدا للصدق والشرف فى التاريخ.

التاريخ الذى درسناه فى المدارس إذن خطأ رغم أن المفردات قد يكون بعضها صحيح... تماما كتلاوة الدعاء فى الطواف: " إينالا هاموهى طنبلكا فيرينا " بدلا من إن الله محيط بالكافرين ..

١- الشعب: ١٩٩٩/٣/١٢

خطأ قراءة التاريخ هذا ليس مجرد خطأ بسيط حدث مرة وانقطع بل هو تاريخ تكرسه كل يوم أجهزة إعلامنا وصحفنا...

صحفنا ...

صحفنا نحن ....

كان السفير السابق يهاتفنى معلقا على مقالاتى متشكيا أنه يقرأ معظمها بدموعه لأننى أقلب فى الجرح العارى... صرخ فى ألم : أنتم لا ترون الوجه الآخر لبعض الصحفيين والصحف ... لا ترون أكياس الذهب التى تحدد الاتجاهات وتغير الاقتناعات وتوجه المواقف وتعيد صياغة التاريخ ... أنتم لا ترون بعضهم على أبواب السفارات وهم يعيدون بعضا من تراث ردىء لبعض من شعرائنا القدامى حينما كانوا يقفون على أبواب السلاطين كشحاذين فإذا نالوا المكافأة تدفقت قصائد المديح أما إذا لم ينالوها انطلق الهجاء كأقذع ما يكون ...

بهذه الطرق يتم تزوير التاريخ ...

والتاريخ ذاكرة أى أمة ...

فإذا فقدت الذاكرة كانت كشخص يواجه العالم وهو لا يعرف من هو ولا من أين أتى ولا أين يذهب ... فكيف يمكن إذن بالله عليكم أن يقاوم وأن ينتصر ...

للكاتبة المبدعة صافيناز كاظم تعبير مستمد من تكنولوجيا القنوات الفضائية، وبرغم أننى لا أوافقها فإن التعبير طريف، تقول أنها عندما تفقد الثقة فى شخص أو اتجاه فإنها تقوم " بتشفيره " وهى تعنى أنها تجعله كتلك القنوات التليفزيونية الفضائية التى لا يمكن مشاهدتها إلا بجهاز فك الشفرة الخاص بها، وأنا أرى يا إخوانى أن تاريخنا قد تم تشفيره... ومن أكثر الفترات التى تم تشفيرها فترة الخلافة العثمانية... لأنها من أخطر الفترات فى تاريخنا ... ففى عهدها أحس الغرب للمرة الأولى بإمكانية أن يتلاشى نهائيا من الوجود أمام هجماتها الصاعقة.. لقد هُزِمَ مرات عديدة أمام الأمويين والعباسيين لكنها كانت هزائم معارك كبرى ولم تكن خسارة نهائية لحرب ينعدم بعدها وجوده.. مع العثمانيين أحس بهذا الإحساس وروّعه ذلك الهاجس.. قبل ذلك أيضا حقق الغرب بعض انتصارات على المسلمين.. لكنها لم تكن أبدا بحجم الانتصار الذى حققه على الدولة العثمانية فى النهاية. . كانت المرة الأولى فى التاريخ التى ينتصر فيها الغرب على دولتنا الإسلامية انتصارا شاملا ... فى بدايات القرن السادس عشر... أدرك الغرب بصورة نهائية أنه لا يمكن هزيمة المسلمين بالمواجهة، وبدءوا فى الالتفاف والغزو الفكرى...

دعوني أصارحكم ... أنني من أشد الناس نقمة على معظم حكام الدولة العثمانية ... فأداؤهم الرديء هو الذى أوصلنا إلى ما صرنا إليه...

ودعوني أصارحكم أنها لم تكن الدولة الإسلامية بل كانت دولة المسلمين ...

فعلى الأقل ليس فى الإسلام حكم يورث ....

لم يكن خلفاء بني عثمان إذن نماذج للخليفة المسلم ... ولم تكن خلافة إسلامية لكنها كانت دولة للمسلمين يمكن تطويرها حتى تعود خلافة كالخلافة الأولى ... إلا أنني برغم نقمتي على خلفاء بنى عثمان أرى أن الظلم الذى شوه سمعتهم في التاريخ قل أن يوجد له نظير ، كان منهم الصالح والطالح ... لكن شياطين الغرب جعلوا منهم غيلانا مفترسة ونموذجا للطغيان والتخلف والقهر... ولم يكونوا كذلك .. بل كانوا على الرغم من كل عيوبهم أفضل بكثير من كل أقرانهم في العالم ... شياطين الغرب المغرمون بالإحصاء لم يقدموا لنا على سبيل المثال إحصائية بعدد ضحايا المصريين تحت الحكم العثماني في أربعة قرون وعدد ضحايانا في ثلاث سنوات من الغزو الفرنسي ... شياطين الغرب الذين مزقوا كل ممزق سمعة كل خلفاء بني عثمان رفعوا إلى عنان السماء الزنديق كمال أتاتورك تماما كما جعلوا من المنشق الكوسوفى اسكندر بيه بطلا عالميا اعترفت به الكنيسة رغم أنه مسلم لمجرد أنه انشق على الدولة العثمانية...

دعوني أذكركم يا قراء مرة أخرى أنهم في الغرب كانوا يستعملون كلمات : الإسلامية والعثمانية والتركية كمترادفات ومسميات مختلفة لمعنى واحد ...[1]

١- صحوة الرجل المريض. موفق بنى المرجة. مؤسسة صقر الخليج. الكويت- ثورة العرب ضد الأتراك(مؤلف مجهول) دار التضامن.بيروت- السلطان عبد الحميد الثانى والخلافة العثمانية.أنور الجندى. مكتبة السنة. القاهرة- والدى السلطان عبد الحميد الثانى. مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوعلى. دار البشير. بيروت- تاريخ الدولة العثمانية. د. على حسون. المكتب الإسلامى- الإمبراطورية العثمانية. سعيد أحمد برجاوى. الأهلية للنشر والتوزيع السلطان عبد الحميد الثانى. ميم كامل أوكى. الزهراء لإعلام العربى- تاريخ الدولة العلية العثمانية. محمد فريد إهامى. دار الجيل بيروت- الفتح العثمانى للشام ومصر. دكتور أحمد فؤاد متولى. الزهراء للإعلام العربى- أخبار الدولة السلجوقية. صدر الدين الحسينى. دار الآفاق الجديدة.بيروت- سقوط الدولة العثمانية. مجدى الصافورى. دار الصحوة للنشر- جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين. زياد أبو غنيمة. دار الفرقان للنشر والتوزيع- السلطان محمد الفاتح. الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى. دار القلم. دمشق.

دعونـــى أنـــبهكم يـــا قـــراء أن هـــذا الهجـــوم المروع الرهيب على الدولة العثمانـــية وتجهـــيل تاريخهـــا لا يعـــود إلـــى أحقاد الماضى فقط بل إن المخطط الـــذى اتـــبع لهـــدم الدولـــة العثمانـــية هـــو ذات المخطط المتبع الآن لهدم جميع الـــدول الإســـلامية ... لـــذا لـــزم التجهـــيل والتشـــفير ... أن تكون أية محاولة لدراسة جادة منصفة تعنى أنك متخلف وجاهل وبدائى...

المطلـــوب ألا نـــنظر ... لأنـــنا لـــو نظرنا فسوف نرى لا مجرد ما حدث بل ما يحدث لنا الآن ...

فـــى هـــذا الإطـــار فـــإن كوســـوفا تصـــبح مجـــرد نمط على ما نريد أن نقول...

كـــل شـــعوب الدنـــيا تعـــيش داخـــل حـــدود بلادها أما الشعب الألبانى فهو يعـــيش حـــول بـــلاده: تخـــيلوا أن الأعـــداء قـــد أحـــاطوا بمصر من كل جانب وأخـــذوا كـــل حقـــبة مـــن الزمن يقتطعون جزءا منها ويضمونه إلى بلادهم وكل حقـــبة يـــتقلص حجـــم مصـــر حتى لا يتبقى فى النهاية سوى القاهرة التى يطلق علـــيها مصـــر ... ســـاعتها لـــن يكـــون الشعب المصرى موجودا فى مصر بل يحيطها من جميع الجهات... وهذا بالضبط وضع الشعب الألبانى ...

يـــرجع الـــتاريخ الألـــبانى إلـــى آلاف الأعـــوام قـــبل الميلاد ... والاسم يـــرجع إلـــى جـــبال الألـــب... وكـــان اسمها داردانيا القديمة ... وفى عام ١٦٨ قبل الميلاد وبعد معركة بيندا خضعت المنطقة للاحتلال الرومانى...

ظلـــت الـــبلاد تتفتـــت وتـــتجمع كوحدات إدارية مختلفة حتى القرن السابع المـــيلادى حيـــن اســـتدعى الإمـــبراطور قســـطنطين الصـــرب لمقاومـــة هجوم برابـــرة الشـــمال علـــى حـــدود الإمـــبراطورية... وحـــتى ذلك الوجود الطارئ للصـــرب لـــم يمـــتد إلـــى الأراضـــى الألبانية وإنما اقتصر على ما يعرف الآن بصربيا ... لم يدخلوا إلى ألبانيا أو كوسوفا ...

فـــى القـــرن التاســـع المـــيلادى احتلت بلغاريا المنطقة ... ومنذ ذلك الحين أخـــذ الـــبلغار والدولـــة البيزنطـــية يتبادلان احتلال المنطقة بصورة متقطعة ... لـــم يـــبدأ دخـــول الصـــرب إلـــى ألبانـــيا أو كوسوفا إلا فى أواخر القرن الثانى عشـــر... واســـتمر الاحـــتلال فـــترة تقـــل عن قرنين ... من هذين القرنين ٢٤ عامـــا هـــى فـــترة مجـــد الإمـــبراطورية الصربية...ويرى بعض المؤرخين أن

هدف الصرب كان الاستيلاء على القسطنطينية ليحلوا محل الإمبراطورية الرومانية الغربية ، ففى عهد دوشان الكبير (١٣٣١- ١٣٥٥) تحولت الدولة الصربية إلى إمبراطورية وتسمى الإمبراطور باسم " الإمبراطور والحاكم المطلق للصرب واليونان والبلغار والألبان "... وأنهم كانوا على وشك النجاح لولا بروز قوة العثمانيين ... ووئدت أحلام الصرب تماما بعد معركة كوسوفا سنة ١٣٨٩... حيث جسدت هذه المعركة نهاية الدولة الصربية..

بعد ذلك التاريخ أصبحت المنطقة كلها تحت سيطرة الدولة العثمانية...

ولقد حفزت هذه المعركة باستمرار روح الانتقام عند الصرب ... وعندما أعاد سلوبودان ميلوسيفتش احتلال كوسوفا عام ١٩٨٩ صرخ : أخيرا انتصرت صربيا واستعادت كوسوفو...

***

منذ عام ١٣٨٩ كانت كوسوفا وما زالت بلدا مسلما يقطنها أهلها الأصليون ...

ثم كانت بداية المأساة فى الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧-١٨٧٨ والتى شاركت فيها صربيا إلى جانب روسيا القيصرية، ووصلت الجيوش الروسية فيها إلى مسافة عشرة كيلومترات من اسطنبول، مهددة باحتلالها وإعادة مسجد أيا صوفيا إلى كنيسة إرثوزكسية، تدخلت الدول الكبرى ليس حفاظا على الدولة الإسلامية بل اختلافا على تقسيمها وعقد مؤتمر برلين برعاية بسمارك وانتهى باقتطاع صربيا من الدولة العثمانية : (اقرءوها كما يقرأها الخواجات : الدولة الإسلامية)... وفى نفس الفترة كانت النمسا قد احتلت البوسنة والهرسك وإن لم تلغ تبعيتها للدولة الإسلامية ...

فى ذلك الوقت أخذت الدول الكبرى تشجع الحركات القومية فى شعوب الدولة العثمانية، وتحبذ استقلال القوميات وكانت تضرب ضربات المعاول الأخيرة فى الدولة العثمانية : شجعت الدول العربية ودول البلقان والأكراد ... ولاحظ أيها القارئ أن المؤامرة واحدة هنا وهناك ، ومن الطبيعى إذن أن النتيجة ستكون واحدة هنا وهناك ...

ابتلعنا الطعم كما نبتلعه الآن ... فبعد نيف وثلاثين عاما من حرب العصابات تضعضعت فيها الخلافة وكوسوفا وألبانيا نجح الألبان فى

كوسوفا فى الحصول على حق الحكم الذاتى سنة ١٩١٢.. ومنذ ذلك الوقت.. منذ حصولهم على الاستقلال لم يحكموا نفسهم أبدا..

لقد استجابوا لنصائح التقدم والاستنارة والتنوير وخلعوا رداء التأسلم بعد أن أقنعهم الغرب أن انتماءهم للدولة الإسلامية سر تخلفهم......

اقتنعوا كما اقتنع العرب .... وبدلا من أن توجه الجهود إصلاح الحكم الفاسد وجهوه لهدم الدولة ... هم ونحن ...وكانت النتيجة واحدة ...

لقد كسروا أنف دولتهم الأم غافلين أنه شَرَكٌ وهلاك...

كانوا يستحقون آنذاك تهنئة الدول الكبرى وتعضيدهم ... ولقد حصلوا على ضماناتها بضمان استقلالهم وعدم الاعتداء عليهم ... لكن : لا التهنئة جاءت ولا الضمانات جاءت ولا التعضيد جاء ... جاء بدلا منها جحافل القوات الصربية ...

فبعد عدة أسابيع من الحكم الذاتى الذى حصلوا عليه بعد ثلاثين عاما من النضال احتلت صربيا كوسوفا .. عدة أسابيع فقط ... بل وتقدمت أيضا لاحتلال ألبانيا أيضا ولم تنسحب منها إلا بتهديد الدول الكبرى بالتدخل العسكرى ليس من أجل ألبانيا بل خوفا من اختلال ميزان القوى بينهم...

بدأت المقاومة الألبانية واستمرت ... ومع بداية الحرب العالمية الأولى احتلت النمسا كوسوفا..

وفى عام ١٩١٨ بعد الحرب العالمية الأولى تم إنشاء مملكة يوغسلافيا فضمت كوسوفا إليها وحاول الصرب المستحيل لتغيير التركيبة السكانية حيث استهدفوا بالقتل والقهر والترويع والإذلال والخيانة والحيلة تهجير أصحاب البلاد المسلمين إلى ألبانيا وتركيا...

فى سنة ١٩٢٨ توج أحمد زوغو نفسه ملكا للألبان (وليس لألبانيا) واستمر النزاع بينه وبين المملكة اليوغسلافية لتحرير كوسوفا حتى بدايات الحرب العالمية الثانية حيث طرد من ألبانيا وجاء إلى مصر ليغادرها بعد الثورة..

فى الحرب العالمية الثانية انهارت يوغسلافيا (أبريل ١٩٤١) نتيجة للهجوم الألمانى وتم تكوين مملكة ألبانيا الكبرى وعادت كوسوفا لتكون جزءا منها ولكن تحت احتلال من قوات المحور..

وحتى ١٩٤٤ كان معظم كوسوفا جزءا من ألبانيا...سنة ١٩٤٥ استولت قوات تيتو على كوسوفا وضمتها إلى صربيا مع حكم ذاتى ووعود من الدول الكبرى ومن تيتو بحق تقرير المصير.. وعندما أجرى تصويت اختار أهل كوسوفا الانضمام إلى ألبانيا لكن الدول الكبرى فرضت عليهم – رغم الوعود المتكررة – الانضمام إلى الاتحاد اليوغسلافى... وكانت شخصية تيتو القوية وراء هدوء نسبى فى الأوضاع وتحولت كوسوفا إلى كيان فيدرالى داخل الجمهورية اليوغسلافية تخلله نضال مستمر واضطهاد مستمر وتشريد وقتل وتعذيب أسفر فى النهاية عن دستور ١٩٧٤ الذى أعطى كوسوفا مزيدا من الحقوق...

استمر الاتحاد حوالى أربعين عاما ...

بعد موت تيتو فى ١٩٨٠ اندلعت المظاهرات تطالب بالاستقلال التام..

أعاد ميلوسيفتش احتلال كوسوفا عام ١٩٨٩ فأعلنت كوسوفا إنشاء جمهورية مستقلة...

***

كنت أريد أن أعرض على القراء نماذج مما تكتبه صحفنا عن مأساة كوسوفا ...

كنت أريد أن أعرض عليكم كيف يضل العقل وتخون الروح وينعدم الضمير ...

كنت أريد أن أعرض عليكم نماذج من الأكاذيب ...

لكننى فجأة اكتشفت أن فى أكاذيبهم ما يستحق الاحترام ...

والله أقولها حقا وصدقا لا سخرية ولا تورية ...

ففى كذبهم ما يشى أن لديهم بقية من حياء ...

والاعتراف بالحق والصدق فى مثل أحوالهم ليس فضيلة بل فضيحة...

والزانية إذا اعترفت بالزنا فإن عليها أن تتوب أما إن لم تكن تنوى التوبة فإن عليها – حفاظا على مظهر الاحترام لا جوهره – ألا تعترف ...

أفهم إذن لماذا لا تقول الصحف أو النخبة الحقيقية ... أفهم ...

لذلك سأكتفى بما أورده الأستاذ محمد يوسف عدس[1] فى كتابه القيم الذى يواجه فيه الضلالات ...

ولتنتبه معى يا عزيزى القارئ أنه يقتصر فى تناوله على الأهرام ... أفضل الصحف القومية وأكثرها وقارا ... لم يواجه الرجل الأخبار ولا أخبار اليوم ولا المساء ولا روز اليوسف ... بل الأهرام ...

سننتقل على الفور إلى حديثه ... ولكننى قبلها أريد من القارئ أن يستفيد من عبر التاريخ وأن يدرك أن وضع مصر مثل وضع كوسوفا !! الفارق فقط فى الزمن... وعما قريب سيأتى من يقول لنا أن المسلمين فى مصر منحدرون من أصل عربى وأن عليهم أن يعودوا من حيث أتوا ... لن تفيدنا أعدادنا فالمسلمون فى كوسوفا ٩٠% ولن يفيدنا سبعة آلاف عام من التاريخ كنا فيها هنا فأهل كوسوفا فيها منذ خمسة آلاف عام ... وسيأتى ذات يوم من يقول أن للرومان أو الإنجليز مقدسات فى مصر وأن ارتباطهم بها مقدس وعلى أهلها الهجرة أو الموت...

هل تستغربون يا قراء ما أقول؟!

لقد حدث ذلك لكوسوفا التى لا تعرفونها ...

وحدث للأندلس التى نسيتموها ...

وحدث لفلسطين ...

وسوف يحدث لكم ...

ويومها قد تكتب صحف فى بلاد بعيدة قد تكون مازالت مسلمة عن المصريين أصحاب البلاد الأصليين والمصريين المنحدرين من أصل عربى ....

***

أريد أن أقول أيضا أننا نكرر بنمطية فاجعة ما فعلته الدولة العثمانية وما أدى فى النهاية إلى انهيارها ... نحن نتنازل كل يوم عن حق من حقوقنا كى ننقذ الباقى فلا نحن احتفظنا بما ضحينا به ولا نحن أنقذنا الباقى... ثم أن الغرب لم يف بمعاهدة ولم ينفذ وعدا قط ... على الإطلاق... وفى كل مرة يضغط علينا بأنه التنازل الأخير الذى سيأتى بعده السلام والخير ويتوقف بعده الإرهاب والترويع ... فنتنازل إيثارا للسلامة

١- كوسوفا: مرجع سابق.

لا للسلام ... وبمجرد أن نتنازل ينسى الغرب كل عهوده ليطالبنا بتنازل آخر فيدفعنا إلى وضع المقامر الخاسر الذى يحاول المستحيل كى يستعيد جزءا مما فقد فيرهن بيته بل وحتى زوجته وأهله ... لكن ذلك لا يمنع الخراب عنه ...

فلا يكون أمامه فى النهاية إلا أن يبيع نفسه عبدا أو يلجأ إلى الانتحار...

هل أنا مخطئ أيها القراء حين أقول لكم أنهم يمارسون السياسة فى بلادنا بنفس طريقة هذا المقامر؟!

هل أنا مخطئ؟؟!!...

***

نعود إلى كوسوفا ... مرآة الماضى التى نرى فيها المستقبل ..

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس: لاحظت خلال متابعتى أخبار كوسوفا أن وسائل الإعلام العربية تردد كالببغاء ما يذاع عن هذه القضية فى وسائل الإعلام الغربية دون تمحيص ، وتوحى طريقة عرض هذه الأخبار والمصطلحات المستخدمة فيها أن القضية غير مفهومة على الوجه الصحيح ، وبالتالى تسهم وسائل الإعلام عندنا فى صياغة الإدراك العربى لقضية كوسوفا صياغة خاطئة مثلا عند الحديث عن الشعب المسلم فى كوسوفا يتردد على مسامعنا عبارة (السكان المنحدرون من أصل ألبَانى) و: (ذوو الأصول الألبانية) ، وعند الحديث عن المقاومة الوطنية أو عن جيش تحرير كوسوفا نسمع أوصاف التمرد والمتمردين والانفصاليين . بهذه الأوصاف تبدو وسائل إعلامنا وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التى تعتبر كوسوفا جزءا من صربيا وأن الحركة الوطنية فى كوسوفا إنما هى مجرد حركة تمرد ورغبة فى الانفصال غير مشروعة مع الإيحاء أن الشعب الأصيل فى كوسوفا هم الصرب وأما ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيا . ...لم يكن كل هذا مفاجأة لى فوسائل إعلامنا الرسمية ضعيفة لا تبذل أى جهد فى فهم القضايا المعقدة كتلك التى تجرى أحداثها فى البلقان ولكن ما أزعجنى حقا هو التَّهافُت الذى تسقط فيه بعض صحفنا

الكبرى عندما تطرح على صفحاتها عرضا لقضية كوسوفا مليئا بالأخطاء منحرفا عن الفهم الصحيح للقضية وأبعادها السياسية والتاريخية.وقعت على شئ من هذا فى تقرير لمراسل صحفى لصحيفة الأهرام أنقل فيما يلى أهم فقرة فيه معتذرا للقارئ- مسبقا - على ركاكة أسلوبها:(إن قبول المطالبة باستقلال كوسوفا وتأسيس جمهورية بها تحت ضربات جيش تحرير وكوسوفا وهجماته على السلطة التنفيذية الصربية فى كوسوفا ما يبدد الرصيد التاريخى وحقهم الروحى فى الإقليم ، لأن فيها كانت الإرهاصات الأولى والآثار الدالة على الموروث التاريخى الصربى السلافى ، فالمُؤَرِّخُونَ يعرفون كوسوفا ب (قلب وطن الأجداد) إضافة إلى أن فيها مقر الكاتدرائية الأرثوذكسية الروسية (لعله يقصد الصربية) وأن التطلع الروحى للصرب السلاف الأرثوذكسى صوب كوسوفا لا يتراجع أمام الواقع (؟). إن كوسوفا الآن بعد عقود من الغزو العثمانى لصربيا قد تغيرت ديموجرافيا سكانيا وحل محل الصرب السابقين الذين هجروها مُوَاطِنُونَ ألبان مُسَلِمُونَ وأصبحوا أغلبية بها - ولا تنسى في هذا السبب (لعله يقصد الصدد) أن والد ميلوسيفتش كان قِسِّيسًا إرثوذكسيا ...

هذه الفقرة صورة مختصرة طبق الأصل من المزاعم الصربية التى لم يكلف صاحب (رسالة موسكو) نفسه أى جهد للتحقق من صحتها بل نقلها نقلا آليا دون تفكير ، وأهم هذه المزاعم ثلاثة هى :

١ - إن كوسوفا هى مهد الصرب .

٢ - وأنها حقهم التاريخى والروحى لوجود كنيستهم المقدسة بها.

٣ - أن سكان كوسوفا المسلمين قد جلبهم العثمانيون الغزاة من ألبانيا بعد أن قاموا بطرد الصرب منها .

وَسَنُرَى إن جميع هذه المزاعم أكاذيب كبيرة لا سَنَد لها من التاريخ ولكن هناك فرية صغير نود أن نزيحها أولا من الطَّريق وهى إن (والد ميلوسيفيتش كان قسيسا) ، ولعل صاحب الرسالة يريد أن ينبهنا إلى أن سر شراسة ميلوسيفيتش فى مواجهته للمعركة الوَطَنِيَّة فى كوسوفا تكمن فى

قــوة الدافـــع الديـــنى عـــنده ، فـــى حين أن الذين عرفوا ميلوسيفيتش عن قرب وكتـــبوا عـــن حـــياته يعلمـــون أنـــه كان شيوعيا ملحدا ، وأن أباه لم يكن قسيسا فـــى يـــوم مـــن الأيـــام ، وَإِنَّمَـــا تقـــدم لوَظِـــيفة قسيس فى مسقط رأسه بالجبل الأســـود ولكـــنه فشـــل فـــى الحصـــول على الوظيفة ، وكانت أسباب فشله مثار ســـخرية أهـــل الـــبلدة، ســـخرية لـــم يُسْـــتَطعْ عقـــل الرجل أن يتحمَّلِهَا فأصيب بانهـــيار وفـــر إلـــى شـــعاب الجـــبال يتحدث إلى الصُّخُور والأشباح حتى انتهى بـــه الأمـــر إلـــى الانـــتحار . تديـــن ميلوسيفيتش إذن فرية فهو لا يعبد إلا نفسه ومطامعـــه ، ولا يؤمـــن إلا بالـــبطش ولا تتفـــتح عَبْقرِيَّـــته وتزدهـــر إلا فـــى صَـــنَاعَة الْكِـــوَارث وتدبـــير المذَّايـــح الوحشـــية ، فعلهـــا مـــن قبل فى الْبُوسْنَة ويفعلها الآن فى كوسوفا .

ويواصل محمد يوسف عدس :

تـــتحدث (رســـالة موســـكو) عـــن استحالة قبول الصرب باستقلال كوسوفا كأنهـــا لـــم تكـــن كـــيانا سياســـيا مســـتقلا قـــبل أن يقوم ميلوسيفيتش بمُؤَامَرَتِهِ الشـــهيرة علـــى دســـتور يوغســـلافيا مـــنذ ثمانـــية أعوام فقط ، لم تكن كوسوفا جـــزءا مـــن صـــربيا بـــل جزءا شرعيا من يوغسلافيا تيتو منذ سنه ١٩٤٦ وقد جَـــاء دسَـــتُورٌ سَـــنةُ ١٩٧٤الـــيؤكد وضـــع كوســـوفا كيانا سيَاسيًّا فى حدودها التاريخـــية الثابـــتة ، لهـــا صـــلاحيات وَسِـــلْطَات مساوية للجمهوريات الأخرى الـــتى كـــان يـــتألف مـــنها الاتحـــاد اليوغسلافى حتى انفرط عقده سنة ١٩٩١ ، كانـــت كوســـوفا مُمَـــثِلَة فـــى رئاســـة دولـــة يوغســـلافيا على نفس المستوى للجمهوريـــات الأخـــرى بمـــا فـــى ذلـــك صـــربيا ، وكانـــت لها حكومة محلية وبـــرلمان ، وكانـــت لهـــا إذاعـــتها وتلفازهـــا الخـــاص الناطق بلغتها الألبانية ، وكانـــت اللغـــة الألبانـــية فـــى جامعتها ومدارسها وكانت لها صحافتها المنشورة باللغـــة الألبانـــية ،كمـــا كـــان لهـــا قوة شرطة خاصة بها وقوة عسكرية محلية ، وأوشـــكت كوســـوفا فـــى عهـــد تيـــتو أن تحصـــل على الوضع الجمهورى فى دســـتور يوغســـلافيا لـــولا المعارضـــة الصـــربية لهـــذا الاتجاه ، مما جعل تيتو يرجئ الموضوع .

المهـــم إن كوســـوفا لـــم تكـــن جزءا من صربيا إلا بعد إن ألغى ميلوسيفتش الدســـتور الفـــيدرالى وقضـــى علـــى اســـتقلالها وفرض عليها الأحكام العسكرية بقوة السلاح منذ سنة ١٩٨٩ .

ســـوف نواصـــل فـــى المقـــال القـــدم بإذن الله كيف فضح المستشار محمد يوسف عدس الأكاذيب وكيف كشف العورات ...

و إننى أذكر القارئ مرة أخرى أننا نواجه الأهرام ....

لـــم نـــتعرض لمـــا نشـــرته صـــحفنا الأخرى عن كوسوفا ...لم نتعرض... ولـــن نـــتعرض ...لأن للطاقـــة الإنســـانية مـــدى مـــن الانسحاق لا تستطيع أن تنســـحق بعـــده... والألـــم حيـــن يـــزيد يصـــل إلى مرحلة معينة لا يزيد بعدها الإحساس به ...

بل ينعدم الإحساس ...

لنغرق فى الغيبوبة...

هل نعوى ككلاب الصحراء بلا جدوى[1] ؟!

انتظرى كوسوفا ...

أنت تعانين منذ مائة عام ... وازدياد عناؤك منذ بضعة أعوام فلن يضيرك الانتظار...

انتظرى كوسوفا ... واصبرى وادفعى من دمك وأشلاء أبنائك اليوم الثمن الذى سندفعه نحن غدا ...

انتظرى كوسوفا ... فلا أحد - ولا حتى أنا- ينتظر أن يكون لحديثى عنك أى فائدة فى الحاضر ...

لقد كنت أرنو إلى المستقبل بعين حزينة ... ولم أرجُ أو أطمح إلى أن نساعدك يا كوسوفا أو أن ننجدك ... فأنا أعلم أننا أضعف بكثير... لكننى كنت أرجو أن نستبقى لأنفسنا بعض شرف حين ينظر أحفادنا إلى تاريخنا علهم لا يرون فينا ذلك الموقف الذليل ... موقف الشقيق الأكبر الذى يرى إخوته يُقتلون وشقيقاته يُغتصبن فيتظاهر أمام الناس أنهم ليسوا إخوانه ولا شقيقاته كى لا يتورط فى مساعدتهن وغوثهن ونجدتهن ... وحتى لو لم يكونوا لحمه الحى فإن مفهوم الإنسان المجرد المطلق كان قمينا بدفعنا لاتخاذ موقف آخر غير الذى نتخذه الآن ...

انتظرى يا كوسوفا أيضا - تحت ستار صمتنا المهين - التهديدات التى لا تتوقف من حلف الناتو بغوث لا يجئ ... وقارنى ما يحدث لك بما يحدث للعراق وفلسطين وما يحدث لك ... وبمنطق محايد مجرد على موجات النظام العالمى الجديد لا على موجات القرآن ولا الإسلام ولا حتى على موجات القيم المجردة فإن ما فعله الصرب معك هو ما فعله الصهاينة بفلسطين وما فعله العراق بالكويت : الاستيلاء والضم ... فانظرى رد الفعل هنا وهناك ... إسرائيل تكرم وتعضد والصرب تغمض الأعين عنهم أما فلسطين فقد حنطت قضيتها أما العراق فيسحق ويذبح كل يوم ... قارنى يا كوسوفا واكتشفى تلك الحقيقة المخزية: أن النظام العالمى الجديد مضبوط على أن يكون الضحايا دائما مسلمون ...

١- صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٣/٢٦

انـــتظرى يـــا كوســـوفا ... وســـوف أعـــود إلـــيك فـــى مقال قادم لأحكى للقـــراء كـــيف قامـــت أكـــبر صـــحفنا وأكـــثرها وقارا بتشويه قضيتك جاهلة أو مـــتجاهلة أنهـــا قضـــيتنا ... ســـوف أعـــود لـــك ياكوســـوفا لأعرض كيف فند الأســـتاذ محمـــد يوســـف عـــدس أباطـــيل مراســـلى الأهـــرام ... الأهرام التى وصـــفها العلامـــة محمـــود شـــاكر بـــأن كل مسلم فى أرجاء العالم يرى القرآن كتابه، ويرى أدب العرب أدبه، ويرى الأهرام صحيفته..!!

فانـــتظرى يـــا كوســـوفا إذن فالداهـــية دهـــياء والمصائب عمياء ولتستمعى معى إلى مكالمات القراء ... إلى ألم وعذاب لا يوصف...

كان ثمة قارئ من أسيوط يصرخ :

هـــل قـــرأت مـــا كتبـــته الأهـــرام الـــيوم عـــن تصريحات وزير الدفاع الأمـــريكى الـــيهودى كوهيـــن ... إن لـــم تكن قد قرأت فاسمع : " إن ما تقوم به الطائـــرات الأمريكـــية مجـــرد رد فعـــل دفـــاعى لمـــا تقوم به العراق (...) إننا نشـــعر بـــالقلق أيضـــا تجـــاه إيـــران ونطالـــبها بنـــبذ الإرهاب وعدم معارضة عملـــية الســـلام فـــى الشـــرق الأوسط وعدم السعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل ..." ...

قطع القارئ قراءته بصرخة داوية :

– لـــم يبصـــق أحـــد فـــى وجـــه الصهيونى الأمريكى ولم يطرده من بلادنا أحـــد ولـــم يقـــل لـــه أحـــد أنه وضع كلمة الإرهاب مكان كلمة الإسلام وأنهم لن يرضـــوا عـــنا حـــتى نـــنبذ الإســـلام ونستســـلم لإسرائيل ونترك لها فى سعادة وحـــبور قصـــب الســـبق الـــنووى وكـــل أســـلحة الدمار الشامل ... لقد عاملوه بالـــتقديس والاحـــترام فكأنمـــا أمـــريكا هـــى الله وكوهيـــن رسوله ... بل إننا لم نشـــهد أبـــدا مـــنهم طاعـــة واستســـلاما لله كذلـــك الـــذى يحملونه لأمريكا ولا احـــتراما لرســـول الله كذلـــك الـــذى أبدوه لكوهين ... كأنه ما ينطق عن الهوى وكأنمـــا إنكـــار رســـالته ســـيفتح علينا أبواب الجحيم ... لم يبصق أحد فى وجهه ومـــا طـــرده أحـــد ... بـــل إن بقية الصفحة فى نفس الصحيفة كانت تتحدث عن مكافأتـــنا لكوهيـــن بإبـــرام صـــفقة بأسلحة قيمتها أكثر من عشرة مليار جنيه ... ســـوف يرســـلون إلـــينا هـــذه الأســـلحة ليدمروها إذا حاولنا استعمالها للدفاع عن أرضنا كما يفعلون مع العراق ...

كان القارئ الآخر يصرخ على الهاتف فى غضب :

– دعـــنا مـــن الإســـلام والعـــروبة والشرف والشهامة والنخوة ... دعنا من كـــل ذلـــك وفســـر لـــى موقفنا ... لماذا نبدو فى صف الصرب وضد الألبان ...

أو علـــى الأقـــل نـــتجاهل الأمر برمته ... لو أن الصرب كانوا متميزين فى أى شـــئ لالتمســـت لأولـــى الأمـــر عـــندنا عذرا ... لو أنهم كانوا متميزين مثلا فى الصـــناعة والتصـــدير إليـــنا ... أو أنهـــم كـــانوا ســـوقا يســـتورد منا ... أو أن خلفيـــتهم الثقافـــية تجعلهـــم بشـــرا متميزيـــن ... كـــل ذلك غير صحيح ... إنهم مـــتخلفون مثلـــنا لا يصـــدرون إليـــنا ولا يســـتوردون مـــنا ... وعلى المستوى الإنســـانى يســـمونهم هـــناك خـــنازير أوروبا ... فلماذا إذن هذا الموقف المنحاز مـــنا إلـــيهم علـــى حســـاب الألـــبان المسلمين ... لا يوجد سوى مبرر واحد ... هو أن الألبان مسلمون وأننا ضد الإسلام كمسألة مبدأ ...!!

انتظرى كوسوفا إذن انقشاع ليل أليل ...

عـــندما ناشـــدت وزيـــر الخارجـــية على هذه الصفحات – فى مقال سابق – أن يـــبادر ويســـتقبل وفـــدا مـــنك دون أى الـــتزام ... لمجـــرد إكـــرام الماضى وتوطـــئة لمســـتقبل لابـــد أن يجـــىء دون أى أمـــل فى الحاضر... أن يستقبلهم كمـــا تســـتقبلهم فرنســـا والـــيونان – أعدى أعداء كوسوفا بعد روسيا – فلا يليق بالوضـــع الـــتاريخى لمصـــر أن تظـــل على الهامش كما لا يليق بها أن تتصرف تصـــرف المتـــنكر لإخوانـــه وشـــقيقاته ... عـــندما ناشدته لم أفعل ذلك أملا فى تأثـــيره علـــى الوضـــع فـــى كوســـوفا بـــل لكى نستبرئ لأنفسنا أمام الله وأمام التاريخ ..

كان قارئ آخر يتساءل فى دهشة :

لقـــد وجهـــت نـــداءك إلـــى وزارة الخارجية بأسلوب مهذب مفعم بالاحترام فهل رد عليك أحد ...

أجبت بالنفى فسأل الرجل :

لمـــاذا لـــم تذكـــرهم بـــأن الجـــيش المصرى تحت حكم المماليك حارب فى الهـــند وأرمينـــيا دفاعـــا عـــن الإسلام والمسلمين وأن محمد على حارب روسيا نفســـها دفاعـــا عـــن الدولـــة الإســـلامية ... لماذا لم تذكرهم بأن الظاهر بيبرس هـــو الـــذى حـــرر أرنـــون مـــن الصليبيين فى ٧ مارس عام ١٢٦٨... أرنون الـــتى حـــررها ثانـــية مـــنذ أيام شباب لم يخضعوا لحكمة ولاة أمورنا ولا لثقافة كـــتلك الـــتى تنشـــرها صـــحفنا ... شـــباب لم يستطع أن يخون حين اتبع حكمة قلـــوب الجماهـــير وشـــعارها عـــن سليمان خاطر : ما تقولوش عليه مجنون ... قولوا عليه ما قدرش يخون " ...

لم يعطنى القارئ الفرصة لمجرد الرد حين واصل :

وهل رد شيخ الأزهر عن المقالة الدامية المروعة الرهيبة التى بدأت بها هذه السلسلة من المقالات فى الشعب حين ناشدته أن يعلن الجهاد دفاعا عن الإسلام والمسلمين فى كل العالم ... ذلك النداء الذى وجهته إليه يوم السابع والعشرين من رمضان بعنوان : "يا شيخ الأزهر : بايعنا على الموت " ....

أجبت بالنفى فصرخ القارئ :

– هل نحن كلاب ككلاب الصحراء تعوى بلا جدوى؟؟!!... لماذا يتجاهلون قيم الدين ومشاعر الأمة لماذا ؟!...

لم أحر إجابة يا كوسوفا فانتظرى ...

حين بدأت أنظر لقضيتك يا كوسوفا –وهى جزء من قضيتنا – من خلال التاريخ فإننى لم أفعل ذلك ولا أفعله حبا مجردا فى العلم ، ولا رغبة سامية فى الثقافة، ولا حتى لاستلهام العبر من الماضى من أجل الانطلاق للمستقبل...

ذلك كله يمكن أن يكون صحيحا، لكن ليس فى وضع زرى مثل وضعنا، رهيب مثل وضعنا، مجنون مثل وضعنا، بل إن التفكير بمثل هذه الطريقة يشبه أن تقول أنك تنقذ إنسانا من الحريق خيفة أن يحترق شاربه ، أومن الغرق خشية أن تبتل ملابسه، أومن العطش كيلا تتغضن ملامحه ، لا... أنت تنقذه لأنه مهدد بالتلاشى من الوجود... بالموت....

نحن لسنا حتى كسائق السيارة الذى ينبغى أن ينظر أمامه دون أن يغفل النظر فى المرآة – التاريخ – كى لا تدهمه من الخلف كارثة تودى به.... نحن لسنا كذلك السائق.... فنحن كسائق أخر كان يصعد منحدرا وعرا فعجزت آلات سيارته المتهالكة عن الصعود بعد أن أفسدت الأمور كلها رعونة سائق وسلبية ركاب كأنما الأمر كان لا يعنيهم ، ثم أخذت تنزلق وتهوى إلى الوراء وقد أفلت جماحها وعَارَتْ كوابحها وتملص مقودها وانملست إطاراتها وتزلقت الأرض من تحتها ، على القائد والركاب أن يعكسوا الآية الآن وأن يلتفتوا بأجسادهم كلها لينظروا إلى الوراء ... كى يتدبروا أى هاوية رهيبة يهوون إليها ...

أجل ... الأمم الصحيحة تنظر إلى التاريخ كى تستلهم منه عبر المستقبل ... أما نحن فالتاريخ مرآتنا ... وما حدث فى الماضى لبعضنا سوف يعم علينا..

التاريخ مرآة مستقبلنا ... ونذير الشؤم والخراب والهلاك إن ظللنا على غفلتنا وعمائنا...

لذلك ... علينا أن ننظر إلى الخلف لأننا نتقدم إلى الوراء...

بالنظر إلى الوراء ومراجعة التاريخ يا قراء قد تنقشع الغاشية التى تسربل أعيننا ووعينا وعقلنا ....

بالنظر إلى الوراء قد نفيق من الغيبوبة...

بالنظر إلى الوراء قد نفهم أن مشكلتنا ليست فى تكديس مزيد من السلاح فما لدينا منه والله ليس قليلا .... ولقد كان كفيلا – لو كنا نسير إلى الأمام – بتحقيق هيبتنا أمام العالم ... وهزيمة إسرائيل ووقف أمريكا عند حدها ... فنحن لم نهزم من قلة... بل نحن كغثاء السيل .... وليست أزمتنا أزمة نقص السلاح .... ولو كنا نعانى نقص السلاح حقا لما كان تحقيق حاجتنا أبدا بشراء السلاح من أمريكا ... فسلاحها – سلاح قيصر – لا يحارب لنا عدوا بل يقتلنا نحن ... ما من سلاح منهم حارب لنا عدوا أبدا.. أبدا ... إما لاستنزاف المال أو لاستعماله ضد بعضنا البعض أو لمجرد الحصول على العمولة .... ولىّ أمرٍ عربى اشترى فى الآونة الأخيرة بثمانية مليارات حصل لنفسه منها على مليار عمولة... سلاحهم لن يحارب معنا بل ضدنا ... أما المناورات معهم فليست تدريبا مشتركا معهم بل تدريبا منفردا لهم يكشف لهم المزيد من عوراتنا حتى يحسنوا التصويب حين يبدءون القصف ... نحن لا نفتقد السلاح فمن كل أكداس السلاح عندنا لا تحارب إلا الكاتيوشا والبنادق على مساحة ٨٥٠ كيلومترا من مساحة أراضينا الشاسعة ... يحارب بها رجال حزب الله الإسلامى الذى تضن عليه وسائل إعلامنا بذكر اسمه الكامل فلا تذكر اسمه الكامل أبدا ... دائما تحذف منه الإسلامى رغم أن وسائل الإعلام الغربية التى ننقل عنها كل شئ تذكر اسمه كاملا... أصبح الإسلام يخيفنا ربما بأكثر مما يخيف أعداءنا ... نحن لا نفتقد السلاح ولا المال ولا الأرض ولا الثروة ولا العقول ولا الرجال ... لا نفتقد أى شئ إلا العقل والكرامة ... لا ينقصنا شئ نحاجّ به الله يوم القيامة كى يبرر خيانتنا ... مساحة العالم العربى أكثر من ١٤ مليون كيلومتر مربع مقابل أقل من ٢١٠٠٠ كيلومتر مربع لإسرائيل.. نسبتها إلينا أقل من ٠،١٥% ... تعدادنا أكثر من مائتى مليون وتعدادها أقل من خمسة ملايين (أقل من ٢، ٠ %)... إنتاجنا المحلى أكثر من ٤٠٠ بليون دولار وإنتاجها ٤٠ بليون دولار(١٠%) ، تعداد جيشنا العامل ٢٨١٠٣١٠ وتعداد جيشها ١٧٤٠٠٠ (٢، ٦ %) والاحتياطى ٢٢٦٤٠٠٠ لنا و٤٣٠٠٠٠ لهم (١٩%) أما عدد القوات عند

التعبـئة فهو٥٠٧٤١٣٠ و٦٠٤٠٠٠ عندهم(١٢%) ...لدينا ٣٢٨٦ طائرة قتال ولديهـم ٦٣٨(أقل من ٢٠%).. لدينا ٥٣٩ هليوكبتر قتال ولديهم ٧٧ (٥، ١٤%) لديـنا ١١ طائرة للتزويد بالوقود فى الجو ولديهم ٧(٦٤%) لدينا ١٢ طائرة إنذار مـبكر ولديهم ٤ (٣، ٣٣%) لدينا ١٩١٣٤ دبابة ولديهم ٣٨٦٠(٢٠%).. لدينا ٢٦٠٣٧ مدرعة ولديهم ١٠٣٠٠ (٤٠%) لدينا من قاصفات الصواريخ ١٤٤١٤ ولديهم ١٥٩٠ (١١%) لدينا من الصواريخ م/د وم/ط ٩٤٦٩ ولديهم ٢٥٠(أقل مـن ٣%) لديـنا من الصواريخ أرض -جو١٢٤٧٧ ولديهم ٩٣٠ (٦%) ومن منصات الصواريخ أرض – أرض ٣٥٥ ولديهم ١٢(٣، ٤%)[١] ...

هل تريد المزيد أيها القارئ ؟!..

فى القوات البحرية فإن النسبة لدينا أفضل حتى من كل ما سبق ...

فهل عرفت أن السلاح لا ينقصنا

وأن مـا ينقصـنا هـو كثـير من العقل وبعض من الكرامة .... وقليل من الوعـى ... وهـى كمـا تـرى جميعها أشياء لا يمكن استيرادها من أمريكا ... قد يمكننا استيرادها من التاريخ الذى أسرده عليك ...

هل تعلم ما ينقصنا أيضا ...؟

القادة ...

وهـؤلاء قـد اسـتوردناهم بالـرغم منا فلم يفهموا أبدا أن سلاحا يأتى من هناك لا يمكن أن يحقق أمنا ولا أن يقود إلى انتصار ....

يـا إلهـى ... نحـن أقويـاء جـدا .... لكننا بلا عقل ولا وعى ولا كرامة ولا قادة...

نحـن أقويـاء للدرجـة الـتى كانت تمكننا من التصدى والردع ورفض تلك المهانـة والعـار الـتى تـبرر قصـف العراق بأنه يهدد الأمن الأمريكى عندما يفـتح راداراتـه لتكشـف لـه عن الطائرات الأمريكية المغيرة عليه ... وأقوياء للدرجـة الـتى يمكـن أن تمكنـنا من التهديد والتحذير والضغط بل والحرب من أجلـك ياكوسـوفا ... مـن أجلـك كجزء من قضيتنا الشاملة ... من أجلك ومن أجل العراق وفلسطين و.. و.. و..

---

١ – تجـارة السلاح والأمن القومى العربى . الدكتور سامى منصور. مكتبة مدبولى– بعد العاصفة . أنتونى هـ كوردسمان. ترجمة وتقديم المشير محمد عبد الحليم أبو عزالة. دار الهلال.

لكننا تحت حكم حكامنا غير مسموح لنا أن نفتح أعيننا ...

غير مسموح لنا أن نفتح أعيننا إلا لنبكى كما بكى الأستاذ محمد القدوسى فى قسم السرطان فى مستشفى الأطفال فى بغداد حين كتب بعد عودته يقول : " رأيت طفلة مصابة بسرطان الدم تحدق فى الفراغ ، وأمها أمامها تحدق فيها ذاهلة وهى تذوى أمام عينيها، كانا كتمثالين، وبينهما جرت دموعى "...

كنت أهاتف الأستاذ مجدى حسين نتبادل الألم فإذا به يخبرنى أن محمد القدوسى قد كتب ما حدث بحياء وكبرياء ... فما حدث هو أن مشهد الأم وابنتها قد جسدا أمامه أزمة الأمة كلها ... العجز المطلق ... فالأم واثقة أن ابنتها تموت دون أى قدرة منها على فعل أى شئ ... فلا تملك إلا أن تحملق فيها كى تملأ من ملامحها قلبا سوف يفريه الغياب والوحشة عما قليل ... والإبنة على درجة من الوعى تجعلها تدرك أنها تموت وقد تقطعت الأسباب ذلك الانقطاع المطلق الشامل المانع الجامع الذى يمنع العقل حتى من أن يفكر فى أن هذا المشهد الفاجع لم يكن له أن يتم هكذا إلا لأن أمريكا تريد ذلك وحكام العرب والمسلمين يريدون ذلك وجموع شعوبنا كأنما مستها الصعقة فهى عاجزة عن أن تغير أو حتى تتغير ... كانت الابنة تحملق فى وجه حبيب سيغيبها الموت عن حنانه ... وكانت الأم أمة تعانى الجريض ... كانت الابنة الأندلس وفلسطين وبغداد وكوسوفا ...وكانت الأم نحن ... لمس محمد القدوسى الحقيقة عارية كمن يلمس سلكا عاريا تسرى فيه الكهرباء وعاين الموت كمن يدفن فى ظلام القبر وهو حى ... لم تكن كما كتب : " وبينهما جرت دموعى " بل أخذ ينتحب حتى أغمى عليه فحمله الرفاق وأفاقوه ....

دموع محمد القدوسى لن تفيد أبدا كعلاج لسرطان الدم ولا لسرطان الروح ....

لن تطيل عمر الطفلة يوما ولن تخفف من حزن الأم مثقال حبة خردل ...

لكنها كانت فى الوقت نفسه دليلا على إنسانيته وإنسانيتنا ... كانت وثيقة اعتذار عجزنا أن نقدمها بالدم فقدمناها بالدموع ...

كانــت اســتبراء لدينـــا وعرضـــنا ودمـــنا أمام الله يوم القيامة وأمام أجيال ستأتى بعدنا تتبرأ منا ....

كان القراء أيضا يستبرءون ...

قارئ كان يصرخ على الهاتف :

ليســـت مشـــكلة العـــراق أو فلســـطين أو كوســـوفا ... إنهـــا مشكلة الأمة كلهـــا... فـــى كـــل قطـــر مـــن أقطـــار العـــالم الإسلامى ... ليست مشكلتنا مع أمـــريكا وبريطانـــيا وإســـرائيل والصـــرب لكـــن مشـــكلتنا مـــع صبيان زويمر وتلامـــيذ دنلـــوب وعســـكر كرومـــر ... ولولاهـــم مـــا بلغـــنا الحضيض الذى بلغناه....

صمت القارئ قليلا ثم واصل وهو يتفتت:

هـــل تتصـــور ... أحضـــرت ســـارية ارتفاعها ستة أمتار ... علقت عليها علـــم إســـرائيل ثـــم علقـــتها علـــى بيتى ... انتظرت أن تنقلب الدنيا ... أن تأتى أجهـــزة الأمـــن لتـــنكل بـــى ... أن تـــأتى قنوات التليفزيون ومصورو الصحف ليصـــوروا وأن تـــأتى الإذاعـــة لـــتذيع... لكـــن لم يحدث شئ ... لم يحدث أى شـــئ ... اضـــطررت بعـــد شـــهر أن أنزل العلم لأضعه أمام مكتبى كى يدوسه كل من يزورنى بحذائه...

صمت القارئ قليلا ثم واصل فى تساؤل مفجع :

تصـــور : مـــاذا كـــان ســـيحدث لـــى لو أننى علقت علما عليه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ...

لم يكن وحده ...

كـــان الحـــاج صـــابر علـــى الهـــاتف من الرهاوى ... مواطن بسيط عظيم طيـــب ... لـــم يكـــن أبـــدا أمـــيرا ولا وزيرا ولا رئيس وزراء ولا مفكرا تنشر الصـــحف تصـــريحاته أو تهـــتم بمشـــاعره ... لـــم ينهش لحم الوطن ولا نهب خـــيراته مـــثلهم ولا هـــو قـــد تحـــول كمـــا تحـــول جل ولاة أمورنا إلى ذئب الإســـلام عـــدوه والأمـــة فريســـته ... ظـــل الإنســـان الـــنقى البسيط ... راح يهاتفـــنى فـــى إعـــياء عاجـــز وهـــو يهمس : أكاد أجن.. أكاد اموت ... اصحو فـــى جـــوف اللـــيل مذعـــورا محاصـــرا بما يحدث لإخوتنا ولأمتنا فى كل مكان مـــن هـــذا العـــالم فـــلا أملك إلا أن أبكى... أصبحت أحاذر قراءة الصحف حتى لا أنذبـــح مـــع مـــن يذبحـــون ولا أحترق مع من يحترقون ... وفى الطريق إلى عملـــى ومـــنه ... فـــى الســـيارة ... وأنا ذاهب إلى عملى أو عائد منه .... أتذكر مـــا حـــدث فـــى مخـــبأ العامـــرية وما يحدث فى كوسوفا والفتاة وأمها فى رسالة

محمد القدوسى فأختنق ... أصرخ ... أطلب من السائق أن يتوقف لأغادر السيارة وأهيم على وجهى .... ثم يصرخ الحاج صابر : لا تكتب بعد الآن لأننى لن أقرأ بعد الآن ... انتهى كل شئ ولم يبق لنا ثمة أمل إلا أن نموت... فتوقف عن الكتابة ...

قارئ لم يذكر اسمه يخاطبنى من العريش ... يتدفق الألم والعذاب ... ينفجر الألم والعذاب ... يقصفنى الألم والعذاب ... يسائلنى فى غضب : لا أعرف إن كنت مخطئا أو مصيبا فى تكريس كل مقالاتك عن التاريخ أو العراق أو فلسطين أو كوسوفا ... لكننى أقول لك أن الأمور فى أى بلد من بلادنا لا تقل خطورة ... يصرخ الرجل : أنا أحب مصر والعرب والمسلمين ... بل إن كلمة أحب لا تكفى ... فليس فى قلبى سواهم ... ثم أننى ممن تطلقون عليهم الإرهابيين ... كل من يقاوم الشر والهلاك المحدق لديكم إرهابى ... على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعات وعلى مستوى الدول ... خذها منى أنا المسلم العربى المصرى الذى ينسحق قلبه وتتفتت روحه من أجل الإسلام ومن أجل العرب ومن أجل مصر... خذها منى أنا الذى عانيت وطأة الاحتلال الإسرائيلى عشرين عاما ... خذها منى... لولا أنهم يهود وصهاينة وأعداء ... ولولا خوف الله لفضلت أن يحكمونا ... لقد جربت السجن عندنا وعندهم ... جربت مداهمة شرطتهم وشرطتنا ... لم تنتهك شرطتهم حرماتنا ولم تحطم أثاث بيوتنا ولا هى حطمت كبرياءنا بإذلالنا وضربنا أمام أهلنا ولا هم روعوا الأطفال ولا انتهكوا أعراض النساء... لم يفعلوا ذلك ولكن شرطتنا فعلت ... لقد عذبت هناك وعذبت فى بلادنا ... هل تريد أن أقارن ... ؟!

لم أحتمل ... صرخت من الألم ..... ليست شرطتنا بل شرطة زويمر...

صرخت من الألم ... إن ما ذكرته بروتوكولات حكماء صهيون يتحقق بكل هذه السرعة والبراعة والإتقان في الشر، إن هذه البروتوكولات تعلن صراحة عن هدفها النهائى، وهو أن تدفع كل الشعوب إلى اليأس من حكامها وحكوماتها كى تلجأ إلى اليهود مطالبة بحكومة عالمية واحدة ، يقول البروتوكول العاشر: " إن حكمنا سيبدأ في اللحظة التي يصرخ فيها الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم - وهذا ما سيكون مدبرا على أيدينا - فيصرخون هاتفين : اخلعوهم وأعطونا حكما يستطع أن يمنحنا السلام والراحة، لكن لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين

الشعوب والحكام، اضطراب يستثمر العداوات والحروب والكراهية والموت استشهادا أيضا، هذا مع الجوع والفقر ، وسيستمر كل ذلك إلى الحد الذي لا ترى شعوبهم الأمل في أي مخرج من المتاعب غير أن يلجئوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة ....

عندما أعدت قراءة بروتوكولات حكماء صهيون أصابني الذهول الذي ما برح يصيبني كلما قرأتها - رغم أنني أقرأها الآن مرات في العام الواحد-، أصابني الذهول، تقول البروتوكولات: " لن نسمح للصحافة بأن تصف الحوادث الإجرامية، إذ سيكون من اللازم أن يعتقد الشعب أن المنهج الجديد مقنع وناجح إلى حد أن الإجرام قد زال ، وكون المؤلفين مسئولين أمام القانون سيضعهم في أيدينا، ولن يجد أحد يرغب مهاجمتنا بقلمه ناشرا ينشر له ، وما من أحد سيكون قادرا دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية، وسنكون سادة الأرض ولن نبيح قيام أي دين غير ديننا، إنهم جاهلون ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون، إنهم عموما لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجلة، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم، بل كنا نحن انفسنا الذين أوحينا بها إليهم، إنكم لا تتصورون كيف يمكن دفع أمهرهم إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، وكيف يسهل من ناحية أخرى أن نثبط عزيمته وشجاعته بأهون خيبة، وبذلك ندفعه إلي حالة خضوع ذليل ذل العبد.."

هل قرأت يا أهرام ...؟!

هل قرأتم يا ولاة أمورنا ؟!

فإن كنتم قد قرأتم ...

وإن كنتم حين قرأتم قد فهمتم ...

وإذا كنتم وزراءنا وحكامنا وصحفنا ولستم وكلاءهم ...

فلماذا لا تسمعون وجيب قلوبنا.؟

لماذا تتركون الأمة تعوى ككلاب الصحراء بلا جدوى ...؟!

ما بين هوى صربى واستكبار غبى[1]

منذ نيف وثلاثين عاما صرخ العلامة محمود شاكر فى كتابه "أباطيل واسمار"[2] صرخة أظننا فى حاجة أشد لنصرخ مثلها أو أشد منها :

" الذى يهمنى هوصحيفة الأهرام، أتراها لا تعلم منزلتها فى كل بلد من بلاد العرب ، وهم مائة وعشرون مليونا(يتجاوزون اليوم المائتين) ، ثم فى روافد بلاد العرب وهى بلاد الإسلام، وهم ستمائة مليون أويزيدون،(تضاعف العدد)، وكلهم: عربيهم وعجميهم، يرى القرآن كتابه، ويرى أدب العرب أدبه، ويرى الأهرام صحيفته، فكيف يقولون إذا أكبر منبر فيها أسلم إلى رجل لا يحسن يقرأ شيئا (...) ولا يحسن يتكلم شيئا يربط بين جمله عقل،ومع ذلك تطالعه(...) بأعمدة سود قد حشاها خلطا وخبطا وعبثا، ولعبا بالتاريخ وجرأة على الآداب، وتخليطا فى الجمل وبلاء لا يحصى وآفات لا تعد(...) كل هذا أتاحته له صحيفة الأهرام أن يفعله، بما أوتى من صفاقة وغش وكذب وادعاء وتحريف، وبلا رادع من عقل أو حياء ، كيف يكون هذا ؟ ... أليست صحيفة الأهرام مسئولة عن كرامتها، عن منزلتها عند الناس، عن أدب الكلمة العربية، عن عقول الناشئة وما عسى يحيق بها من هذا الوباء (...) من المسئول إذن عن عربدة هذا الطليق الذى يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء، ويتعرى كما يشاء؟ أنبلغ عنه شرطة النجدة؟ حتى لا تصبح هذه الأمة فضيحة بين الأمم، حيث أسلمت منبرها العالى إلى طليق من القيود، مفلت من الأسوار، ولله الأمر من قبل ومن بعد " .

ماذا كان يمكن للعلامة الكبير أن يقول لو امتد به العمر ليقرأ ما تقوله الأهرام عن قضايانا اليوم ... ماذا كان يمكن أن يقول لو أنه قرأ على سبيل المثال ما كتبه زكريا نيل فى الأسبوع الماضى تعقيبا على اجتماع وزراء الخارجية العرب...عندما جاء عنوان مقاله ببنط عريض عن اعتراف العراق بموضوع الأسرى الكويتيين ... وكما عقب أحد القراء فإن هذا العنوان لو صح لاهتزت له أجهزة الإعلام فى العالم... ولكان سبقا صحفيا تنال عليه الأهرام الجوائز والتهنئة ... لكن ما كان أن زكريا نيل[3] – وحده

---

١ – الشعب: ١٢/٣/١٩٩٩

٢ – أباطيل واسمار– مكتبة المدنى– القاهرة

٣ – صحفى مهم فى صحيفة الأهرام.

فـى كـل العـالم- هـو الـذى اقتـنص هذا الخبر لينشره دون أن يعقب عليه معقـب أو أن يؤيـده مؤيـد أو أن يعـتذر عن الكذب فيه معتذر... والأنكى أن العـنوان يـأتى كذلـك ثـم لا يـأتى فـى صلب المقال ما يؤيده... والحقيقة أن العـراق أصـر علـى عـدم وجـود أسـرى وأصرت الكويت والسعودية على موضـوع الأسـرى لتـبرير تأيـيدهما لفـرض مناطق الحظر غير الشرعية – بمفهـوم الأمـم المـتحدة – وكـان أن اتفقـوا علـى استعمال صياغة ما تسميه الكويـت والسـعودية بالأسـرى ومـا يسـميه العراق بالمفقودين ... الخطير فى الأمـر أن الأهـرام تنشـر ذلـك الكـذب الرخيص السهل الذى ينبئ عن أقصى درجـات الاسـتهانة بالحقـيقة وبالقـارئ... كـذب من يدرك أنه لا حساب على كـذب ... كـذب مـن يـدرك أن الآخريـن يعلمون أنه يكذب فيتوقف حتى عن الحـبك والإتقـان فـى كذبـه فالقارئ لا يستحق منه ذلك المجهود ... كذب أفدح بكثـير مـن ذلـك الـذى صـرخ العلامة محمود شاكر احتجاجا عليه منذ نيف وثلاثيـن عامـا ... مـاذا كـان يمكـن أن يقول العلامة محمود شاكر حين يعلم أن تغطـية صـحيفة الحـياة السـعودية (دعـك من تسميتها باللندنية) لأحداث الحجـاج العراقييـن كانـت أفضـل مـن تغطـية الأهـرام لها ... وموضوع الحجـاج العراقييـن هـذا موضـوع آخر لكننا نثبت هنا: أن الإسلام ليس مجرد رجـم زان ولا قطـع يـد سـارق ... وأن الإسلام ليس أن نترك الأمير يسرق فـإذا سـرق الضـعيف أقمـنا علـيه الحد ...بل إن ذلك هو هلاكنا وضياعنا .. (لمـاذا لـم يهـتم أحـد بإجـراء إحصاء يبين فيه كم أميرا رجم وكم أميرا جلد وكـم أمـيرا قطعـت يـده؟!).. لـيس الإسلام كذلك وليس الحج أن نرجم رمز الشـيطان ثـم نـترك الشـيطان نفسـه يـرتع فـى بلادنا ويدنسها تحت مسمى القواعـد العسـكرية الـتى تـنطلق مـنها طائرات الشيطان فتكون مهبط رسالة محمـد صـلى الله علـيه وسـلم هـى ذاتها مهبط الطائرات العائدة من قصف بعـض أمـته ومـنطلقها ... لقـد كـان يمكن لنا أن نشكر السعودية على موقفها مـن الحجـاج العراقييـن واسـتعدادها للـتكفل بنفقاتهم ... لكن الأمر أكبر من هـذا وأخطـر ... لقـد منعـت الأمـم المـتحدة نفقات الحج عن العراقيين من أموالهـم المـنهوبة والمصـادرة ... وبـرغم أننى لم أسترح لموقف العراق من اسـتعمال الحـج للمـناورة إلا أن الوضـع المسـتحيل المجرم الذى ترزح تحته يخجـل أى إدانـة ...فكـيف نديـن المضطر إذا أكل لحم الميتة ... ولو خلصت النـية لله لأطعمـنا أخانـا الجـائع ولأمـنا أبناءنا المروعين ولكانت فرصة أمام السـعودية والـدول الإسـلامية لكـى تواجـه الأمـم المـتحدة وتـنهى الحظر والمقاطعـة علـى العـراق ... لـيس اسـتغلالا للديـن بـل احتماء به... لكن السـعودية اخـتارت أهـون الشـرين بالنسـبة لهـا وهـو أن ترد على مناورة العـراق بمـناورة ... وضـاع حـق الله وحـق الـناس بين المناورتين ... لقد

اختارت السعودية حلا ليس هو الحل الصحيح ولا الحل الكريم بل الحل الآمن الذى يحميها من مواجهة العالم فى سبيل حق ونجدة ملهوف ... اختارت أن تدفع هى بدلا من أن تطلب من الأمم المتحدة أن تؤدى للعراق حقها أو أن تخرق قرارات الأمم المتحدة ولم يكن ذلك بالتأكيد إعلاء لكلمة الله بل إعلاء لكلمة الأمم المتحدة والشيطان ... لقد كانت فرصة أن نثبت للعالم أن الحج يجمعنا لكننا أهدرنا الفرصة كما نهدر كل فرصة ... لقد ناور الجميع ولكن الله لم يكن فى قلب أحد ... ناورت العراق بالحج للحصول على حق مهدور فناورت السعودية لتكريس باطل غير مغفور ولا معذور ... أهدرنا الفرصة وطالبت السعودية بألا نسيس الحج ... فكيف كيف كيف ... كيف والإسلام دين ودنيا ... دين ودنيا ... دين ودنيا... وأنه والأمر كذلك ... فإن مصر ... والسعودية ... وكافة أقطارك وبلادك يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أكثر علمانية من أمريكا وبريطانيا ودعنا من إسرائيل ... فهناك ... يحرك الدين المحرف المنحرف سياستهم ... وهنا نعزل الدين الصحيح عن سياستنا ... لكن الأهرام تلوم بعنجهية وكبرياء محاولة تسييس الدين ... يا أهرام ليس الدين سوى سياسة الدنيا والآخرة ...

ومرة أخرى فإنها الأهرام التى كانت وما زالت أفضل صحفنا الحكومية وأكثرها وقارا ... الأهرام التى مازال يكتب فيها رموز فكر شامخة وأكتفى – على سبيل المثال لا الحصر – بمثلين هما فهمى هويدى وأنور عبد الملك كمجرد عنوان على الآخرين ... نتناول الأهرام إذن لأنها الأفضل من ناحية ومن الناحية الأخرى فإنها ما تزال تملك من المقومات ما لا يجعلها كأخريات دون أى مستوى للنقد أو محاولة الإصلاح... نتناولها لأن كل مسلم يعتبر الإسلام دينه والقرآن كتابه والأهرام صحيفته ... لذلك فإنها كارثة عندما يستعير الأهرام لسان الكذبة أو لسان الأعداء ...

نعود إلى كوسوفا ... نعود إليها لنرى ماذا سيحدث لنا جميعا غدا وبعد غد فما هى إلا آيات يرينها الله لكن عميت بصائرنا .... نعود إلى كوسوفا وإلى موقف الأهرام منها ... نعود إلى تلك الكارثة التى استحقت أن يصرخ الأستاذ محمد يوسف عدس فى وجه الأهرام – الرصين الوقور العجوز – حين تردد كالببغاء ما يذاع فى الغرب عن قضية كوسوفا فى وسائل الإعلام الغربية دون تمحيص ، وبالتالى تسهم فى صياغة الإدراك العربى لقضية كوسوفا صياغة خاطئة لتبدو وكأنها قد تبنت وجهة النظر الصربية التى تعتبر كوسوفا جزءا من صربيا وأن الحركة الوطنية فى

كوسُوفا إنما هي مجرد حركة تمرد ورغبة فى الانفصال غير مشروعة مع الإيحاء أن الشعب الأصيل في كوسوفا هم الصرب وأما ألبان كوسوفا فمجرد أقلية وافدة من ألبانيا " .

***

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس في دحضه لما ينشره مراسل الأهرام فى موسكو من أكاذيب حول قضية كوسوفا :

وإذا ا رجعنا إلى الوَرَاء: في تاريخ كوسوفا لوجدنا أنها لم تكن أبدا جزءا من صربيا ، لكن الباحث فى تاريخ البَلقان لا يواجه من الصرب إلا بأساطير عن حقوق مقدسة لهم فى البلاد المجاورة أشبه بمَزَاعِم الصهيونية في فلسطِينَ. فأى حقوق مقدسة وأى تراث روحى هذا الذى تتحدث عنه الأهرام في " رسالة موسكو " التى تنسب إلى المؤرخين دعوى أن كوسوفا هي مهد الصرب، في حين أن من يزعم هذا هم المُؤَرِّخُونَ الصرب وحدهم، وهم في ذلك لا يقدمون أى دليل سوى القصص الخرافية، فالمُؤَرِّخُونَ الصرب لا تهمهم الحقائق التاريخية ويعتمدون فى مصادرهم على الأساطير الشَّعْبِيَّة التى يرددها العوام، إن مؤرخهم الأكبر "دوبريتشا كَوَسِيتش" الذى يلقب أبوالقومية الصربية يعترف بذلك حيث يقول : " إن نجاحات الصرب التاريخية تعزى إلى حيلهم وتلاعبهم بالتاريخ أكثر من اعتمادهم على أسلحتهم ".

ألبان كوسوفا كانوا فيها قبل وصول الصرب وقبل العثمانيين بقرون عديدة ولم يكونوا في حاجة للانتقال من ألبانيا، الشيء الوحيد الذى تغير فى عهد العثمانيين هو أنهم عرفوا الإسلام فاعتنقوه وأصبحوا من اقوى جنوده.

لم تكن كوسوفا مهد الصرب كما تزعم الأهرام فى "رسالة موسكو" وإنما "راشكا" التى لا تَزَال ضِمْنَ حدود صربيا حتى اليوم هى مهد الصرب فى البلقان .

أما حكاية التراث الروحى وحكاية الكاتدرائية المقدسة التى تقع بالفعل في بلدة بيتش بكوسوفا فليست أكثر من حائط المبكى الذى تضخم فى خيال اليهود الجامح ليبتلع القدس بل ليشمل أرض فلسطين بِأكمَلِهَا.

هنا نلاحظ بالفعل نزعات أسطورية صربية تشبه النزعات اليهودية ونلاحظ البكائيات والرثاء للذات والشكوى من اضطهاد العالم وظلمه،

نغمات حزينة تسرى فى أدبيات التاريخ الصربى والصهيونى معا لتخفى وحشية كليهما فى سحق الضحايا البريئة والتخلص منها بالمَجَازر وصولا إلى النَّقاء العنصرى.

فماذا تقول الوثائق التاريخية بالنسبة للكنيسة الصربية المقدسة ؟

استقلت الكنيسة الصربية عن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عام ١٢١٩ ميلادية نتيجة لـتعَاظُم قوة المملكة الصربية النيمانية، فأصبح للصرب " بطريركا " لكنيستهم كان مقره دير " جيتشا " قريبا من بلدة "كراليفو" الصربية، وظل الحال على هذا النحو خلال جيلين أو ثلاثة حتى غزا التتار صربيا فى نهاية القرن الثالث عشر وَاحرَقُوا هذا الدير، فنقل الصرب مقر البطريركية إلى موقع حصين فى كوسوفا هو" بيتش " ولم يكن مبنى الكاتدرائية هو المبنى الدينى الوحيد الذى " بنى فى ذلك العصر وإنما هو واحد من خَمْسَة عشر مبنى مثله كلها أقامها الملك " ستيفان " فى وقت واحد، وكانت موزعة فى أنحاء مملكته الواسعة الأرجاء، ومن هذا يتضح إن مهد المسيحية الصربية كان فى داخل صربيا وليس فى "كوسوفا" وأن كاتدرائية كوسوفا ليست أقدم ولا اكثر قداسة من كاتدرائية "كراليفو" .

يخلص الأستاذ محمد يوسف عدس من هذا إلى القول بأننا عندما نسع أو نقرأ مزاعم الصرب عن الحقوق المقدسة فى كوسوفا عن التراث الروحى ومهد الصرب وغير ذلك من مزاعم لا ينبغى إن نردد هذا الكلام ترديد الببغاوات بل من واجبنا – إذا كنا نحترم أنفسنا ونحترم عقول القراء– أن ننظر إليه فى ضوء الحَقَائق التاريخية والوَقائع الموثقة.

لم يغير العثمانيون من التركيبة السكانية فى كوسوفا ... وأقصى ما ثبت تاريخيا أنه وعلى فترات ممتدة من الحروب هاجر ثلاثون ألف صربى...ولكن ...على طريقة الغرب فى بناء الأكاذيب تحولت ثلاثين ألف نفس إلى ثلاثين ألف أسرة ثم ثلاثين ألف عائلة ثم إلى أربعمائة ألف شخص ...

يصل الأستاذ محمد يوسف عدس إلى أن الخروج الصربى الهائل من كوسوفا مجرد فرية ولم يطرد العثمانيون الصرب منها ولم يجلبوا إليها

مسلمين من ألبانيا كما تزعم الأسطورة الصربية وكما تتابعها في ذلك الأهرام في " رسالة موسكو".

والحقيقة التي لا يمكن أن يعترف بها الصرب هي أن الألبان المسلمين كانوا هم الشعب الأصيل في كوسوفا وكانوا هم الأغلبية الساحقة على مر العصور إلى اليوم، ولم تفلح جميع المحاولات والتدابير الصربية في تغيير هذه الحقيقة..

ثم كان ظهور "سلوبودان ميلوسيفيتش" بداية تطور خطير في قضية كوسوفا فقد أقام ميلوسيفيتش شهرته القومية ومجده السياسي على العداء السافر للإسلام والمسلمين في كوسوفا، فأيقظ مشاعر الكراهية والحقد العنصري الكامن لدى الجماهير الصربية ضد الشعب المسلم في كوسوفا، وكانت كوسوفا منطلق "ميلوسيفيتش " إلى السلطة في صربيا ثم الاتحاد اليوغسلافي، ومنذ بروزه كقائد قومي للجماهير الصربية تصاعدت عمليات الإرهاب الصربي ضد المسلمين، وتبلورت على يديه خطط جديدة لتحقيق إستراتيجية بعيدة المدى هي تحويل حياة المسلمين في كوسوفا إلى جحيم مستعر لدفعهم إلى التخلي عن وطنهم والرحيل عنه طوعا أو كرها، أخذت هذه الاستراتيجية تتبلور في مراحل ثلاث:-

المرحلة الأولى :

تمثلت في الانقلاب الدستوري للاتحاد اليوغسلافي السابق سنة ١٩٩٠، كان شعب كوسوفا قد طالب في مظاهرات ضخمة بتطوير الحكم الذاتي إلى استقلال كامل فرد سلوبودان ميلوسيفتش بإعلان دستور جديد يلغي فيه الحكم الذاتي، وبهذا الدستور فقدت كوسوفا كيانها السياسي كوحدات حكم ذاتي في إطار الاتحاد اليوغسلافي شانها في ذلك شأن الجمهوريات الأخرى التي كانت تتألف منها يوغسلافيا، وتحولت إلى مجرد وحدة إدارية ضمن جمهورية صربيا، وترتب على ذلك حرمان كوسوفا من وجود ممثل لها في مجلس الرئاسة اليوغسلافية، وإلغاء حكومتها وبرلمانها الخاص وسلطاتها القضائية والتنفيذية ، لكن شعب كوسوفا المسلم لم يرضخ ، ففي ٢ يوليو ١٩٩٠م تحرك أعضاء برلمان كوسوفا يعارضون الدستور الصربي الذي ألغى كيانها السياسي، وسلبها حقها في الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به شأنها في ذلك شأن بقيه الجمهوريات اليوغسلافية الأخرى وفوجئ رئيس البرلمان وهو صربي لم ينتخبه أحد وإنما عينه " سلوبودان ميلوسيفيتش فأعلن تأجيل المناقشة إلى اليوم الخامس من يوليه، فلما جاء النواب في الموعد المحدد وجدوا أبواب

بنى البرلمان مغلقة فأصروا على عقد جلستهم خارج البرلمان بحضور ١١٤ عضوا من مَجْمُوع النواب البالغ عددهم ١٢٣ ووافقوا بالإجْماع على لغاء الدستور الصربى، فتدخلت السلطات الصربية وحلت البرلمان كما حلت حكومة كوسوفا.

وفى ٧ سبتمبر ١٩٩٠م اجتمع نفس الأعضاء. فى بلدة "كَتَشَانِيك" فى سرية وأعلنوا قيام جمهورية كوسوفا ودستورها وإلغاء جميع القوانين إلى أصدرها برلمان صربيا خاصا بكوسوفا.

وفى سبتمبر فى العام التالى نجح المسلمون فى تَنْظيم استفتاء عام لجعل كوسوفا جمهورية ذات سيادة، اشترك فى الاستفتاء ٩٩% من مجموع الناخبين ووافق الشعب بأغْلبيَّة ٨٧% على الجمهورية المستقلة.

واجه سلوبودان ميلوسيفتش مظاهرات الشعب فى كوسوفا بالدبابات وبسلسلة من الإجراءات والقوانين الصربية استهدفت تدمير البنية الأساسية للشعب المسلم فى كوسوفا وتعزيز السيطرة الصربية على مقدراته، من هذه الإجراءات :

١ – إنشاء مجالس محلية مقتصرة على الصرب فى المناطق ذات الأكثرية الصربية.

٢ – تركيز جميع الاستثمارات الجديدة فى المناطق ذات الأغلبية الصَّرْبيَّة.

٣ – بناء منازل جديدة للصرب لتشجيع من هاجر منهم على العودة إلى كوسوفا وجذب الصرب الآخرين للإقامة فيها.

٤ – إقامة مراكز لتحديد النسل فى مناطق المُسْلِمِينَ فقط.

٥ – إلغاء شرعية امتلاك المسلمينَ لأى عقارات أو أراضى سبق لهم شراؤها من الصرب وفى نفس الوقت مساعدة الصرب فى شراء الأراضى والعقارات من المسلمينَ بثمن بخس.

٦ – اشتمل قانون الأراضى أيضا على حق أى صربى فى يرغب فى الإقامة بكوسوفا أن يمتلك خمسة هِكْتَارَات من الأرض بالمجان.

فلما قامت المُظاهرَات احتجاجا على هذه الإجراءات نزلت الدبابات إلى الشوارع، وأصدرت السلطات سلسلة عن القرارات المتعسفة فى ٢٦ يونيو ١٩٩١ م أطلقت عليها الحكومة الصربية "إجراءات مؤقتة" ولكنها استمرت إلى اليوم :

١ – منع صدور الصحف المنشورة باللغة الألبانية المحلية.
٢ – إلغاء المدارس الألبانية وإغلاق جامعة برشتينا وتشريد طلابها.
٣ – إغلاق أكاديمية العلوم والآداب فى كوسوفا.
٤ – إغلاق محطة الراديو والتلفاز الألبانية.
٥ – طرد جميع المدرسين العاملين فى المدارس الألبانية.
٦ – طرد جميع الموظفين المسلمين فى الدولة.
٧ – طرد ثمانين ألف عامل مسلم من وظائفهم فى المصانع.
٨ – طرد جميع الأطباء المسلمين والعاملين فى المجال الصحى.
٩ – إلغاء التحصين الدورى لأطفال المسلمينَ مما تسبب فى رفع نسبة الوفيات بينهم من أمراض بسيطة مثل الحصبة.

المرحلة الثانية :

تمثلت فى تصعيد الأعمال القمعية والبطش بالسكان وأصبح قتل المسلمين والتمثيل بهم واقتحام منازلهم وترويع أسرهم ليلا والاستيلاء على ممتلكاتهم الشَّخْصِيَّة، والاعتقال بدون إبداء أسْبَاب وبلا توجيه اتهامات – كل ذلك أصبح روتينا يوميا يقوم به الصرب ضد المدنين الأبرياء..

ومن ثم فنحن أمام برنامج كامل لاحتلال أجنبى استيطانى على غرار الاحتلال الإسْرَائِيلِيّ الاستيطانى فى فلسطين، ما لم تؤد كل هذه الإجراءات إلى النتائج التى أرادها الصرب واستطاع المسلمون أن يتعايشوا مع هذا البطش بأساليبهم السلمية التى استحدثوها فى مجال المقاومة الشعبية – انتقلت الخطط الصربية إلى المرحلة الثالثة– وتتمثل هذه المرحلة في العمل العسكرى المباشر، وتكرَار لما فعله الصرب فى البوسنة من تطهير عرقى وإبادة جمَاعِيَّة واغتصاب للنساء، وإجبار السُّكَان بالقوة العسكرية على هجر منازلهم ، أو قصفها وهدمها عليهم ليدفنوا فيها أحياء، كل ذلك بحجة البحث عن الإرهابيين وضرب معاقل جيش تحرير كوسوفا.

وفى ٢٤ مايو ١٩٩٢ أجريت انتخابات على نطاق واسع استخدمت فيها بعض منازل المواطنين كلجان انتخابات بدلا من المقار الرسمية التى أغلقتها السلطات الصربية ووضعت عليها حراسات مسلحة، وتم انتخاب أعضاء مجلس البرلمان الجديد وأعضاء الحكومة، كما تم انتخاب " إبراهيم رجوفا " رئيس جمهورية. وهو أستاذ جامعى ومؤلف مشهور ...

وتتلخص السياسة الأساسية لإبراهيم رجوفا وحزبه فى ثلاث نقاط:

١ – تجنب أى ثورة عنيفة.

٢ – تدويل قضية كوسوفا، بمعنى السعى لإقناع المجتمع الدولى للتدخل بشتى الوسائل السياسية والدبلوماسية والتفاوض، بما فى ذلك إقامة حماية لشعب كوسوفا بواسطة الأمم المتحدة.

٣ – إنكار ومعارضة أى شرعية لحكم الصرب فى كوسوفا، وذلك عن طريق مقاطعة أى انتخابات أو عملية إحصاء سكانى تقوم بها السلطات الصربية واستكمال الهياكل التنظيمية لجمهورية كوسوفا.

هذا هو المشهد المأساوى الذى نراه ماثلا أمام أعيننا اليوم ... كان "رجوفا" فى حاجة للحصول على أى شئ إيجابى مهما صغر حجمه من صربيا لتدعيم مركزه بين جماهير شعبه ... وكما تفعل إسرائيل مع ياسر عرفات وتعمل على إضعاف مركزه حتى يكون مستعدا لقبول أى شئ تسمح له إسرائيل به فى أى مفاوضات تجرى بين الطرفين – كذلك يفعل الصرب مع إبراهيم رجوفا، نفس السياسة ونفس التكتيك.

تصاعدت حدة الاحتجاجات والانتقادات ضد سياسة إبراهيم رجوفا السلمية داخل حزبه وخارجه وضعف مركزه السياسى وزادت – فى نفس الوقت – وطأة الاحتلال الصربى وممارساته الصعبة والإرهابية، وفى تلك الأثناء ظهرت تطورات جديدة فى المقاومة الألبانية بعيدا عن سيطرة حزب روجوفا.

لقد ظهر على الساحة جيش تحرير كوسوفا اعتبارا من صيف ١٩٩٦...

كان الصرب على مدى السنوات الماضية يشيرون إلى " الإرهاب الألبانى " ويقصدون به مظاهرات الطلاب الذين دأبوا على قذف قوات الأمن الصربية بالحجارة، حتى خمدت هذه الحركة بعد نزول الدبابات إلى الشوارع وقصف المتظاهرين بالرصاص الحى وغير ذلك من أعمال وحشية.

وكان رد الشعب المسلم فى كوسوفا بإنشاء جيش التحرير تعبيرا مباشرا عن الإحباط الناتج من شلل سياسة " إبراهيم رجوفا " وعدم قدرته على كسب أى اعتراف دولى بمصالح وحقوق كوسوفا بعد إبرام اتفاقية "دايتون".

اخـذ التصـعيد العسـكرى الصـربى فـى كوسـوفا بعدا خطيرا ابتداء من أبـريل ١٩٩٨ فـيما يـبدو أنـه سيناريو إبادة جماعية على غرار حرب البوسنة حيـث قصـفت المدافـع الصـربية عدة قرى ودمرت منازلها وقتلت من السكان الآمنيـن مـا قتلـت وخـرج الباقون فرارا بحياتهم.. كل ذلك تحت مظلة البحث عن معاقل لجيش تحرير كوسوفا والاستيلاء على أسلحتهم.

بعـد المواجهـات العنـيفة والمقاومـة الملحوظـة التى أبداها جيش تحرير كوسـوفا ضـد القـوات الصـربية يدخـل الصـراع فى كوسوفا مرحلة جديدة مفعمـة بكـل الاحـتمالات الـتى يصـعب الآن التنـبؤ بهـا. إذ يقـاتل جيش الـتحرير مـن أجـل الاسـتقلال بيـنما يشترط " ميلوسيفيتش " إسقاط المطالبة بالاسـتقلال مـن جانـب شـعب كوسـوفا، وأن يقـوم المجتمع الدولى بإعلان اسـتنكاره لأعمـال جـيش تحريـر كوسـوفا واعتـبارها إرهابا دوليا. وتظن السـلطات الصـربية أنهـا بالقضـاء على هذا الجيش فى وقت مبكر سيخلو لها الطـريق لتنفـيذ مخططاتهـا فـى تفريغ كوسوفا من أكثر سكانها وتحويلهم إلى أقلـية ضـعيفة خاضـعة لهيمـنة السـلطات الصـربية كمـا تخضع السلطات الإسرائيلية معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فى غزة والقطاع.

لـم تسـتطع صـربيا – كمـا الأهـرام – أن تـرى فى قضية كوسوفا إلا قضـية أمنـية علاجهـا الـبطش والإرهـاب والإبـادة، فهـل تفلح فى تحقيق أهدافهـا أم أن شـعب كوسـوفا هـو الـذى سيتمكن من تحقيق استقلاله ويعلن قيام جمهوريته على أرضه ؟.

كانـت الدولـة الإسـلامية جامعتـنا فضيعناها ... وكانت حاميتنا فاستجبنا لتبشـير زويمـر واسـتمعنا لتعالـيم دنلـوب ... ودافعـنا عـن الشيطان بجند كرومر ...

لـم تكـن كوسـوفا جـزءا مـن صربيا إلا كما كانت مصر جزءا من دولة الرومان والجزائر جزءا من فرنسا وأمريكا امتدادا لأوروبا...

***

يـا إلهـى .. إنـنى أكتشـف الآن أن مـا يتهددنا ليس أفغنـة العراق فقط بل بلقـنة العالم العربى كله [1]...

---

١ – راجع للمؤلف: بغداد عروس عروبتكم– مدبولى الصغير– سنة ٢٠٠٠ م

وفـــى الجغرافــيا ... فإنـــنى أرى علـــى خـــرائط المســـتقبل أنهارًا تمتلئ بـــالدم وصـــحارى تـــؤج فـــيها الجحـــيم لكننى لا أرى وجودا لدولة الكويت ... وربما الخليج كله ...

أمـــا فـــى الـــتاريخ ... فإنـــنى أقـــرأ العداوة والبغضاء والانتقام والثأر فى المســـتقبل لا فـــى الماضـــى مـــا بيـــن بغـــداد وجـــدة ... أقرأ انتقام العباسيين الرهيـــب مـــن بـــنى أمـــية ... وأرى ثـــروات تتبدد ومجتمعات تبيد ومدنا تدمر وقبورا تنبش وملوكا تُلعن...

و أصرخ مع مظفر النواب :

يشتعل الجسد الشمعي سنيا..
وأرى تاريخ الشام مليا..
و أكاد اقلب أوراق الكرسي الأموي..
وتخنقني ريح مرة..
تنفرط الكلمات واشعر بالخوف وبالحسرة..
ويضيء الليل بسيف يوقد في المهجة جمرة..
ماذا يقدح في الغيب الأزلي : أطلوا..
ماذا يقدح في الغيب..
أسيف علي..
قتلتنا الردة يا مولاي..
كما قتلتك بجرح في الغرة..
قتلتنا الردة ...
هل عرب انتم..
والله أنا في شك من بغداد إلى جدة..

ليس إرهابا .. وليسوا إرهابيين[1] .. !! ..

هل أجرؤ فى هذا العيد أيضا أن أقول لكم كل عام وأنتم طيبون .

لم أجرؤ فى العيد الماضى فهل أجرؤ الآن!..

هل أجرؤ وقد تحولت ثعلب الصحراء إلى أفعى الصحراء التى تنفث سمها فينا كل يوم ... والعراق ينهار ... العراق لا صدام ... وبغداد كعاصمة للخلافة الإسلامية تذوى وتجف وتموت وقد سبقتها إسلام بول وستتلوها دمشق والقاهرة .. فكل عاصمة جرؤت ذات يوم أن تكون عاصمة لدولة المسلمين المتحدة مرصودة وممنوعة من أن تكون مرة أخرى العاصمة المحورية التى تهتم بأمر المسلمين فى العالم وهو نفس الدور الذى تلعبه تل أبيب لليهود وروما وواشنطن للمسيحيين ...

محرم علينا تكوين العاصمة المحورية أو الدولة المحورية للمسلمين ... العاصمة التى تستشعر مسئوليتها الشاملة التى لا تحدها حدود الجغرافيا التى وضعها أعداؤنا والتى قد تشكل ذات يوم نواة للتجمع ... هل عرفتم الآن لماذا ضربت الوحدة المصرية السورية ولماذا ضربت مصر فى اليمن ولماذا يضرب الارتباط بين سوريا ولبنان ... لم يكن فى أى منها كويت ولا بترول ... كانت الوحدة - بغض النظر عن الشكل والأسلوب - هى الممنوعة ... والآن تُضرب بغداد نيابة عن المسلمين وتحذيرا لهم ...

الفنانة التشكيلية العراقية نهى الراضى معارضة لصدام حسين وقد تعلمت فى أوروبا ولا يبدو أن صلتها بالإسلام حميمة ففى مذكراتها : "يوميات بغدادية" لا تكف عن شرب الخمر ... هى إذن ليست من الإرهابيين ولا الأصوليين ... ومع ذلك تصرخ أن الحرب المجرمة الموجهة إلى العراق موجهة بالذات للمسلمين فيه ... وأنها قد عاينت ذلك لأن جواز سفرها يقول أنها مسلمة ... بسهولة يحصل المسيحى العراقى على تأشيرة دخول لأى بلد فى العالم ... بعض الصعوبات تواجه الدروز لكن بالنسبة للمسلمين يكاد يكون الأمر مستحيلا ... وتصرخ نهى الراضى أن العراق يموت وأن العالم مجرم وأنها لن تزور أى دولة غربية مرة أخرى بعد أن اكتشفت حقيقة الغرب ووحشيته ...

---

١ - نشر هذا المقال فى صحيفة الشعب- ١٩٩٩/٤/٢- بمناسبة عيد الأضحى.

تنهار العراق .. والسعودية والكويت تطلبان الثمن كى لا تعترضا على قرار يندد بقصف العراق!... وتطلبان الثمن فإذا لم يدفع هذا الثمن كانت مناطق الحظر على العراق شرعية بقرارات الأمم المتحدة فإذا دفع يمكن أن تكون نفس المناطق غير شرعية...!!!

فهل أجرؤ والوضع ذاك على ادعاء أننا طيبون أو حتى يمكن أن نكون ؟!

هل أجرؤ ويجرى فى فلسطين ما يجرى ...

هل أجرؤ ويحدث فى أفغانستان ما تعلمون ....

هل أجرؤ وقد بدأ سلخ تيمور الشرقية من إندونيسيا تمهيدا لتمزيق بعد السلخ ينتوونه لكل أمتنا ...

هل أجرؤ وما زالت ليبيا محاصرة وقد اندفعت إلى حل أخلنه والله فخا ... ولولا ضمانات الشجاع النبيل الشريف مانيلا لا كتمل حزنى فإن ضمانات السعودية تقلقنى ...

هل أجرؤ وشهادات الوطنية والبطولة أو الخيانة والإرهاب وحتى التدين الصحيح تصدر من مخابرات الغرب وإسرائيل فإذا لطفى الخولى بطل وطنى مسلم عظيم وإذا السفهاء أمراء والجهلة رؤساء تحرير والخونة فلاسفة بينما عصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح ومحمد السيد حبيب ومحمود عزت وخيرت الشاطر وعبد الحميد الغزالى ومهدى عاكف وحسن جودة ومحمود أبو رية ومحمد بدوى ومصطفى الغنيمى وحامد محمد إبراهيم وأحمد على محمد على وأسامة خليل ونظمى وشرف وسامى ... وأحمد عبده سليم ... و.. وستون ألف معتقل فى بلد واحد من بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ولا أعرف عدد الباقين فى باقى أقطار أمتنا ... كل أولئك خارجون على القانون مدانون بأحكام أوطانهم بعد أن أدانتهم أجهزة الغرب ...

هل أجرؤ ونزيف الوعى مستمر من ثقوب الذاكرة؟!..

هل أجرؤ وقد نما الأطفال الذين سموهم فى بداية هذا العقد محمد بوش وعبدا لله بوش على اسم جورج بوش الذى قال :

" إننى أمثل أمريكا التى تمثل بدورها الحضارة اليهودية والمسيحية التى تقود عالم اليوم بلا منافس"..

هل أجرؤ وحاكم من حكامنا يقيم الدليل – دون أى خجل أو إحساس بالعار – على أن إيران إرهابية بعد أن ثبت له أنها الدولة الإسلامية الوحيدة التى أمدت البوسنة والهرسك بالسلاح فى مواجهتها مع الصرب البرابرة حيث يقول أحد

وزرائهـم: " إن القـوات الصربية التى تذبح المسلمين وتبيدهم تؤدى دور فرسان الصليب الذين ذهبوا لتخليص بيت المقدس من المسلمين إبان الحروب الصليبية".

هـل أجـرؤ وكل تنسيق مع أى بلد مسلم مفتقد وجنوب السودان يضيع وهو يمكـن الا يضيع لو أعلنت وحدة وادى النيل لكن الوحدة ممنوعة فى كتب واشنطن غـير المقدسـة ... كـل تنسيق عندنا ممنوع بينما وزير خارجية إيطاليا يقول : " مـا تـزال مهمة حلف الأطلنطى قائمة بل وضرورية، فإذا كان الخطر الشيوعى قـد انـتهـى ، وإذا كـان حلـف وارسـو قد ذهب، فإن الخطر الإسلامى باق ولم يذهب .. " ..

هـل أجـرؤ وقد عجزنا عن التفكير وعجزنا حتى أن نلتقط من علوم الغرب وأقـوال مفكـريه مـا يـنقذنا مـن الورطة التاريخية التى نغوص فيها فلا يعلق من الجهابذة جهبذ على قول أوجين روستو : " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية".

هـل كنت أجرؤ و: و. ك. سميث . يفسر لنا لماذا تغيب فى غياهب السجون رموزنـا حيـن يقول : " إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل أنظمة ديموقراطية، فإن الإسلام ينتصر فى هذه البلاد، وبالديكتاتوريات فقط يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها..".. ولأن ريتشارد نيكسون فى كتابه الخطـير الفرصـة السـانحة يـدرك : "أن العالم الإسلامى يشكل واحدا من أكبر الـتحديات لسياسـة الولايات المتحدة الخارجية فى القرن الحادى والعشرين.." فقد أمّـنوا أنفسهم بأن ولوا علينا حكاما كحكامنا... وعلى حكامنا يتوقف نجاح الغرب لا نجاحنا كما يقول جب : " إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة ، فهـى تـنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم على الاسـترابة فى أمرها، ولا ينقصها إلا وجود الزعامة، إن نجاحنا يتوقف على حد بعيد على القادة والزعماء فى العالم الإسلامى.".

فهل كنت أجرؤ بعد كل هذا أن أقول كل عام وأنتم طيبون ؟! ..

كنـت أعـتزم تأجـيل هذه المقالة شهورا وشهورا لكى تأتى فى نهايات هذه السلسلة من المقالات تحت عنوان "الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة " ...

كنـت أريد بعد استعراض طويل وواسع للتاريخ والفكر أن أقول لكم يا قراء أن مـن أفظع ما نزف منه وعينا هو تزييف تاريخنا وتشويه فكرنا ووسم الأبطال بالخـيانة ووشـم الخونة بالبطولة ... كنت أريد ألا أستبق الحدث ... وأن أجعلكم

مـــن خلال التاريخ والفكر تدركون أننا لا نواجه إرهابا وأن المطاردين والمعتقلين ليسوا إرهابيين .. كنت أريد ذلك لكننى قدرت أن هذه الحلقات قد تمتد كثيرا فثقل على قلبى ان أكتم أو أن أؤجل حقا قد عرفته[1] ...

كنت اريد أن أستعرض تلك اللحظة الفارقة التى بدأ فيها انهيارنا حتى وصلنا إلـــى حضـــيض صـــرنا إليه وقد انطمست أبصارنا وعميت بصائرنا فإذا بنا نرى الـــباطل حقـــا والحـــق بـــاطلا ... وإذا وعيـــنا خـــرق ممـــزقة تشتمل على كل المتناقضات ...

كنت أريد أن أتحدث عن الغزو الثقافى وكيف حدث ... كيف تم اختراقنا...

يعـــرّف الدكـــتور عبد الله التركى الغزو الثقافى بأنه : " كل فكرة أو معلومة أو بـــرنامج أو مـــنهج يستهدف صراحة أو ضمنا تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقيدية والفكرية والثقافية والحضارية أو يتحرى التشكيك فيها ، والحط من قيمتها، وتفضـــيل غـــيرها علـــيها، وإحلال سواها محلها، فى الدستور أو مناهج التعليم، أو بـــرامج الإعـــلام والتثقـــيف، أو الأدب والفن، أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة " ..

كنـــت أود أن أتناول ذلك بتفصيل كامل قبل أن أكتب هذا المقال ، وكنت أريد أن ارجح رأى الدكتور أحمد عبد الرحمن أن ما يحدث ليس مجرد غزو ثقافى بل هو إحلال ثقافى يرمى إلى إحلال الثقافة الغربية مكان ثقافتنا الأصلية بالكامل[2] ...

كنت أريد أن أعود إلى نهايات القرن الثامن عشر لندرس معا تفاصيله وكيف شهد بداية الانهيار للدولة الإسلامية الواحدة..

كنـــت أريـــد أن أدرس معكـــم الدولـــة الإســـلامية والدولـــة العثمانية لافتا الأنظـــار وداقـــا أجـــراس الخطـــر أنـــه لا يوجـــد فى العالم العربى كله سوى معهـــد أو معهديـــن هزيليـــن للدراســـات التركـــية وأن كل معلوماتنا عنها تأتى مـــن معـــاهد الدراســـات الأوروبـــية والأمريكـــية ... معلوماتنا التى نعتمد عليها مـــن أمـــريكا لذلـــك كـــان لابـــد أن تســـوء علاقـــات العالم العربى بتركيا حتى لتنضـــم إلـــى إســـرائيل ضـــده ووحى الشيطان لا يكف عن الهبوط من واشنطن ورســـل الشـــيطان لا يكفـــون عـــن بـــذر بذور الشر ... ولا يقتصر الأمر على

---

١ – الغـــزو الفكـــرى . محمد جلال كشك . المختار الإسلامى– القومية والغزو الفكرى . محمد جلال كشك . دار الإرشاد . بيروت .

٢ – إسلام فى وجه التغريب . أنور الجندى . دار الاعتصام .

تركيا كآخر دولة محورية للمسلمين بل إننا لو أردنا أن نعرف أى شيء عن أى بلد عربى فليس أمامنا إلا بنوك المعلومات الأمريكية والغربية ... ولست أنكر أن معلوماتها دقيقة لكنها مسمومة ... هل تذكرون أن أمريكا هى التى أبلغت العراق أن الكويت تسرق بترول حقل الرميلة وحرضت الكويت ألا تسوى المسألة ... كنت أريد أن أتحدث عن اللحظة الفارقة التى أصبحنا بعدها نتقدم إلى الوراء وكنت أريد أن أقول أن الموقف الاستراتيجى الواجب على العالم العربى اتخاذه هو موقف العداء لأمريكا ... ليس لأننا نريد بها شرا ولكن لأنها هى التى تريد بنا شرا ... ولست أقصد بالعداء إعلان الحرب ولا حتى وقف التعامل بل أقصد موقفا كذلك الذى تتخذه الصين أو حتى الهند ...فالصين لا تستورد السلاح الأمريكى بل تسرق التكنولوجيا النووية .... والهند لا تقوم بالمناورات المشتركة ولا تستضيف (!!) قاعدة عسكرية أمريكية لا تكتفى بحكم البلد التى تستقر فيه بل تحكم أيضا ما حولها من بلاد ... كان علينا أن نتخذ موقف الإدراك للعداء الاستراتيجى وأن أمريكا لن تتعايش معنا إلا حين تدرك أن تعايشها معنا أقل خطورة وتكلفة من محاولة قهرنا وسحقنا ... تماما كما يحدث مع الصين والهند ... وكنت أريد أن أقول أننا أولى منهما بهذا الموقف فعداء الغرب لنا أكبر ... فلا حضارة الصين ولا حضارة الهند شكلت ذات يوم تهديدا لوجوده ولا كانت منافسا أعظم ولا ذات دولة أقوى ...

كنت أريد أن أعيد معكم دراسة التفاصيل كى نكتشف معا أى خديعة تعرضنا لها وأى هاوية ننزلق إليها ... تخيلوا جيشا يعتقل قواده ويسجن أعظم جنوده ويقتل أبطاله ويشوه مخططيه...

كنت أريد أن أتحدث عن الحملة الفرنسية وعن محمد على وغزو المغرب العربى وما حدث فى إيران والهند وحملة فريزر وغزو مصر وكيف نشأت دول الخليج ... وعن مؤتمر " كامبل بنرمان: ١٩٠٥-١٩٠٧" واتفاقية : " سايكس بيكو ١٩١٦ " و: " وعد بلفور ١٩١٧" ومعركة ميسلون ١٩٢٥ وتقسيم فلسطين.." وعن ثورة الشريف حسين وقرن من الهزائم والإحباطات[١] ..

---

١ - مؤامرة الغرب. مرجع سابق..

كنت أريد الحديث عن خطوط الحدود العربية وكيف حددت ولماذا ... كنت أريد أن أقول لكم بالتفصيل كيف فصلت مملكة الأردن تفصيلا لتفصل بين السعودية والعراق وإسرائيل التى لم تكن قد أنشئت بعد لكنهم أنشئوا لها الأردن قبل وجودها بأكثر من ربع قرن ...

كنت أريد أن أقول أن استراتيجيتهم وأهدافهم لا تتغير أبدا منذ مئات الأعوام ... ما يتغير هو وسائلهم لتحقيق نفس الغايات ... أما نحن فلا نغير وسائلنا أبدا رغم ما ثبت من فشلها مئات المرات ... فقط نغير أهدافنا أو على الأحرى لم يعد لدينا هدف ... انزلقنا إلى وضع غريب الكل يخون فيه ... الكل يخون الكل ... فلا الأمة بقادرة على تغيير حكامها ولا الحكام بقادرين على اعتقال الأمة كلها والحكم عليها بالسجن والإعدام ... وقد أحكم من حولنا الحصار فأصبحت الخيانة ليست اختيارا وإنما حتم لا يوجد سواه ... فبازاء الفارق الهائل بين قوانا المنهارة وقوى أعدائنا تبدو – فى الظاهر – أى محاولة للمقاومة جنونا وتبدو الخيانة هى الحتم الوحيد ... وإزاء الفارق الهائل بين ترسانات أسلحة الحكام وشعوب عزلاء يبدو الاستسلام والخيانة هما الحل الوحيد..ثم أن أى حاكم عربى أو مسلم سيواجه أول ما يواجه بخذلان إخوانه إن هو حاول التمرد على وضع خائن ... وبين الخيانة والخيانة لا يوجد مجال لغير الخيانة ... فنخون الله بألا ننصره ونخون الوطن بألا نحميه ونخون شعبا غير قادر على أن يغير حكامه وتبدو أى محاولة للخروج عن الدائرة الجهنمية جنونا مطبقا فيخون الصحفيون والكتاب والمفكرون ويزور كتاب التاريخ التاريخ ... كنت أريد بعد ذلك كله وبعده فقط أن أتحدث عن فئة حاولت أن تخرج من هذه الدائرة الجهنمية للخيانة فأصابت وأخطأت لكنهم سموهم الإرهابيين ... ليس إرهابا وليسوا إرهابيين ... بل إن أسوأ من فيهم طلبوا الحق فأخطأوه بينما الحكام عموما قوم طلبوا الباطل فأصابوه ... إننى لا أبرر أى عنف ولا أوافق عليه ... ليس حرصا على حكام لا أحرص عليهم ... وليس استنكارا مطلقا للعنف – فكيف سننتصر على إسرائيل إلا بالعنف – ... لكننى فقط أردت أن أقول أن فئة من هذه الأمة حاولت قطع الدائرة الجهنمية التى جعلت من الخيانة حتما لا مفر منه فسدت أمامها السبل ... بالتعذيب سدت ... بالتزوير سدت ... بالقهر والبطش سدت ... بالتعاون مع الأعداء سدت ... لا تنس أيها القارئ أبدا أن أمريكا فضحتنا حين أعلنت عن توجهها لتكوين منظومة من مصر والسعودية وإسرائيل لمقاومة الإرهاب ... ولعلك بعد المقالات السابقة قد اقتنعت بأنهم يستعملون الإرهاب كمرادف أقل استفزازا من الإسلام ...

حين سدت السبل كلها غامت الطرق ولم يبد ثمة منفذ ... فرغت كل الحيل ... وكما حاصر الأعداء حكوماتنا حاصرت حكوماتنا كل من يريد إثبات أن الخيانة ليست حتما ولا قدرا ... أدركوا أن الإسلام هو محرك الثورة فراحوا يجففون منابعه ... قاطعت وسائل الإعلام رموز فكره ... وأخذ الصحفيون من خدام أصحاب الجهالة لا الجلالة والكتاب ومزورو التاريخ يشوهون وعى الأمة ...كل الإسلاميين إرهابيون وكل الإرهابيين جهلة ... افتقد التواصل الذى كان يجب أن يكون طبيعيا بين رموز فكر الأمة ودينها وبين القاعدة العريضة فى الأمة ... أصبح ثمة فكر واحد مسيطر هو فكر الخيانة الذى يتهم بالخيانة أى خروج عليه ... سدت السبل... ازداد الضغط فكان لابد أن تعلو درجة المعارضة والمقاومة ... أخذت السلطات فى كل أنحاء عالمنا الإسلامى تقصف- بالقتل أو السجن أو التشويه - رقاب الصف الأول من المعارضة فكل معارضة يمكن أن تطمح إلى الحكم أو تتنافس مع الحكام عليه هى معارضة خائنة... تقدم الصف الثانى ليحل محل الصف الأول فكان بالطبيعة أقل خبرة وعلما وثقافة وحكمة ... فعلوا مع الصف الثانى ما فعلوه مع الصف الأول فراحت الصفوف تتقدم صفا تلو صف ... ووسط الحصار الشامل أمنيا وإعلاميا وقضائيا بدأ الانحراف فى بعض الاتجاهات المعارضة ... لكن حتى هذا الانحراف بدا انحرافا حتميا ...

بعد حادث الأقصر كنت أحاور فى غضب أحد أفراد الجماعات : رجال الشرطة ضحايا مثلنا ... وهم أيضا يدورون فى دائرة الحتم التى تجعل من موقفهم العدائى منكم موقفا لا إرادة لهم فيه ... والسياح ضيوفنا ولا يوجد أى مبرر يمكن أن يقبل للاعتداء عليهم ... بل إن مجرد الاعتداء عليهم إهانة لقيمنا وخيانة لديننا وتشويها له ... وفوجئت بالرجل يرد أنه يوافقنى فى كل ما أقول ... لكن ما حدث أنه نتيجة للتشويه المستمر ولسياسة تجفيف المنابع فقد فقدت الكتلة المعترضة على استمرار الانهيار قيادتها الفكرية ... أصبحوا كجنود تاهوا فى الصحراء بعد أن فقدوا الاتصال بمقر قيادتهم ... وكان حتما عليهم أن يختاروا لهم قائدا من بينهم ليست له بالطبع شمول نظرة القيادة المركزية ... لكن هذه الفئة التائهة فى الصحراء حوصرت مرة أخرى واقتنص قائدها فكان على أفرادها أن يهيموا فى الصحراء فرادى بلا قيادة على كل منهم أن يمارس معركته الخاصة بلا نظرة شاملة ولا تكتيك ولا استراتيجية ...بلا أوامر ولا توجيهات ولا كوابح ... إنه يطلق الرصاصة حين يمكن أن يطلقها لا حيث يجب أن يطلقها ... وفى وسط جو الحصار هذا تقدم ليقود الفكر

غـير المؤهليــن لـــه ... كـــان معظمهــم قـــد أصبح محاصرا وطريدا ومطلوبا للمــوت... ســدوا أمــامهم حـــتى إمكانـــية الـــتعلم والتعلـــيم وتطوير أفكارهم وتصــحيحها ... معظمهــم شــباب ضـــيعت الســـلطة والشرطة مستقبله الوظيفى أو العلمــى ... توقفــت الطـــرق الطبيعـــية للـــتعلم والتـــثقف واختـــبار الأفكار بالاحـــتكاك ... لـــم يعـــد أمـــامهم إلا الفكر المسموع يتناقلونه ...وأخطر ما فيه أنـــه فكـــر مســـموع لا مقـــروء ولا مكـــتوب ... لذلـــك لا يمكـــن مواجهته ... ثــم أن مـــن يســـمعه يســـمعه فـــى ظـــروف من الحصار والخطر فيسلب منه العقـــل واللـــب لأنـــه هـــو الفكر الوحيد المتاح ... فكر مسموع لا تناقشه السلطة بــل تطلـــق علـــيه وعلـــيهم الرصـــاص فلابد إذن من إخفائه والحفاظ عليه ... زاد مـــن ذلـــك أن بعـــض مـــن أطلقـــوا هـــذا الفكـــر قد قتلتهم السلطة بعد ذلك فـــتحولوا فـــى وعـــى أتـــباعهم إلى شهداء واتخذت أفكارهم التى ما كان لهم أن يبـــثوها إلا فـــى جـــو الحصـــار صفة القداسة ... وكما كانت السلطة تحرم نقاش هـــذه الأفكـــار حـــرموا هـــم أيضـــا نقاشـــها ... ولـــم يكن الرجوع إلى مصادر الأفكـــار عـــند نشـــوب الخلافـــات بيـــن الأتـــباع ممكـــنا فقد ماتت المصادر... وبـــدأت الأخطـــاء تســـفر عـــن اخطـــاء أكـــبر وكل واحد منهم يسمع ما يسمع مدركـــا أنـــه قـــد لا يـــتاح لـــه أن يســـمعه مـــرة أخرى لذلك يتلقاه بجماع قلبه وروحه وعقله...

إن الأمـــر يـــبدو بهـــذه الصـــورة شـــديد المأساوية والتعقيد، لكنه لا يقتصر علـــى ذلـــك، إذ يضـــاف إلـــى تلـــك المتاهة متاهة أخرى شيطانية تتضافر فيها تلفـــيقات أجهـــزة الأمـــن، وأكاذيـــب أجهـــزة الإعـــلام، المتصـــلة اتصالا وثيقا بمخططـــات أجهـــزة اســـتخبارات ومعـــاهد استشراق أجنبية، يساقون إليها وهم يعرفون أو لا يعرفون.

كنـــت أنـــاقش مـــرة أحـــد أعضاء الجماعات الإسلامية، وهم يعرفون مدى تعـــاطفى معهـــم، وأنـــنى حيـــن أنـــتقدهم فإنما أبتغى الإصلاح والتوجيه لا الهدم والتشـــويه، لذلـــك فـــإنهم هـــم أنفســـهم يقومـــون بتوجـــيهى إلى أوجه للقصور لـــم أكـــن أراهـــا، كمـــا يوافقوننى على بعض انتقاداتى ويصححون لى معلوماتى عـــندما تكـــون خطـــأ. وفـــى هـــذا الصـــدد، كنت ألوم أحدهم مرة على محاولة اغتـــيال نجيـــب محفـــوظ، وكـــم أضـــرت بهـــم، وابتسم الرجل ابتسامة معاتبة مريرة، ظل صامتا لفترة، ثم تمتم قائلا وكأنما يحدث نفسه :

- حتى أنت؟!..

ورحت أتطلع إليه مستحثا فإذا به يقول:

- حادثـــة نجيـــب محفـــوظ.. حادثـــة الأقصر.. حادثة القللى.. هذه الحوادث ـــالذات يلفهـــا غمـــوض كثـــيف.. ألم تسأل نفسك لماذا؟! .. كل المعلومات عنها جـــاءت مـــن أجهـــزة الأمـــن والإعـــلام، ولـــم يكـــن مـــن صالح هذه أن تذكر ن الجماعـــات الإســـلامية اســـتنكرت هـــذه العملـــيات الثلاث، وأنها نفت تماما ن تكـــون ضـــالعة فـــيها، وناشـــدت مـــزيدا من التحريات لكشف اختراق أغلب لظن أنه أجنبى.

وواصل الرجل:

- عملـــيات الاخـــتراق هـــذه شـــائعة جـــدا، ويمكـــن أن تتم من أجهزة أمن فـــى الداخـــل أو مـــن أجهـــزة مخابـــرات فـــى الخـــارج، انظـــر إلى ما يحدث فـــى الجزائـــر حيـــن ثبـــت أن الجـــيش هـــو الـــذى يقـــوم بالعمليات الإرهابية ثـــم ينســـبها إلـــى الجماعـــات، انظـــر أيضـــا إلى حادثة البوينج المصرية التى أســـقطها صـــاروخ أمـــريكى لـــم يعـــترفوا به أبدا، مالذى جعل كذبهم مفضوحا، أنـــنا نـــدرك أن المقـــدم علـــى الانتحار لا يقول توكلت على الله، بنفس الطريقة يمكـــنك أن تعـــرف مـــا هـــى العملـــيات الـــتى قامـــت بها الجماعات الإسلامية والعملـــيات الـــتى لا يمكـــن أن تقـــوم بهـــا.. وحوادث نجيب محفوظ والأقصر والقللـــى مـــن نـــوع العملـــيات التى لا يمكن أن تقوم بها الجماعات الإسلامية .. فليبحـــثوا عـــن الجـــناة فـــى مكـــان آخـــر ..!! ثم : ألم تسأل نفسك لماذا نجيب محفـــوظ بـــالذات، ألا يوجـــد هـــناك مـــئات غـــيره يســـيئون إلى الإسلام أكثر ويهـــاجمون الجماعـــات علـــى الـــدوام؟.. لـــو أن هذا منهج الجماعات وفكرهم لســـبق نجيـــب محفـــوظ فـــى الاغتيال كثيرون ولتلاه كثيرون. لم تكن الجماعات كمـــا قلـــت لـــك، لكـــن الجانب الآخر أيا كان قد اختار نجيب محفوظ بالذات لإحداث أكبر دوى إعلامى وأكبر قدر من الإدانة للجماعات الإسلامية..

وواصل الرجل فى حزن :

- تلـــك هـــى الحقـــيقة الـــتى لم يفطن إليها أى من كتابنا ومفكرينا .. وهذا وحده يدل كم نجحوا فى اختراق الجميع!!.. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

***

كنت أريد أن أتحدث بتفاصيل أكثر بكثير عن هذا كله قبل أن أكتب هذه المقالة لأصرخ : ليس إرهابا وليسوا إرهابيين ...

كنت أريد من ناحية أخرى أن أتناول فكر السلطة لأثبت أن كل محاولات الاستسلام للغرب لن تجدينا ... فليس للحكام حد أدنى يمكن أن يقفوا عنده لكن الأمة ليست كذلك ... وهكذا يصبح الحكام بين مطرقة الغرب وسندان الأمة فيصرحون – على سبيل المثال – أمام كوهين[1] بما يعلنون لأمتهم عكسه... وكنت أريد أن أقول أن صراعهم معنا صراع حضارة وأنه لن ينهيه إلا تخلينا بالكامل عن حضارتنا الإسلامية ... بعض الحكام مستعدون لذلك... والأمة قد تصبر طويلا حتى ترى أساسيات دينها في خطر وعندها ستقاوم كما قاوم أهل البوسنة والهرسك وكوسوفا حتى لو استشهدوا جميعا... وكنت أريد أن أضرب المثل على ما أقول بكمال أتاتورك وتركيا ..

كنت أريد أن أتناول كمال أتاتورك بالوصف والتحليل والمتابعة وأن أترك القارئ يدرك معى أن بعض حكامنا هم كمال أتاتورك وأن فكرهم هو فكره...

كنت أريد أن أسرد ما فعله كمال أتاتورك فى مؤامرة القضاء على الخلافة الإسلامية : ألغى الخلافة وأعلن الجمهورية وتنكر لكل القيم الإسلامية وحذف من الدستور أن دين الدولة هو الإسلام وأمر بلبس القبعة مكان العمامة وأباح زواج المسلمات من غير المسلمين ومنع الحج وجعل الأحد إجازة رسمية وأباح الخمر والبغاء ثم أمر واضع الدستور أن يصدره بالعبارة التالية: القرآن دستور البداوة...

سلم الكماليون مسجد أيا صوفيا إلى الكنيسة فنزعت منه آيات القرآن وأعيدت صور القديسين والصلبان..

لقد كان رئيس تركيا فى مؤتمر لوزان حاخاما يهوديا... وعن طريق محكمة الاستقلال ، لاحظ عكس المعانى : (فلا هى محكمة ولا هو استقلال) .. أجبر أتاتورك الشعب على لبس القبعات والفتيات على

---

١ – وزير الدفاع الأمريكى آنذاك، كان فى جولة فى الدول العربية التى أصدرت بيانات الشجب والإدانة لعملية قصف العراق التى سموها ثعلب الصحراء، وعندما عاد كوهين إلى بلاده صرح بأن كل البلاد التى زارها أيدت العملية بغض النظر عن التصريحات.

الرقص مع الفتيان وجاهر بشرب الخمر فى نهار رمضان، ولما رفض الشعب التركى ذلك حكمت المحكمة على مئات المسلمين بالشنق والسجن والرمى بالرصاص[1] ...

بدل أتاتورك الحروف التركية من العربية إلى اللاتينية وأمر بالأذان بالتركية.. ثم تبلغ ذروة وقاحته وتهجمه على القرآن يوم افتتاح مجلس الشعب، (ترى ما هى ملابسات تغيير الاسم فى مصر من مجلس الأمة إلى مجلس الشعب) وإعلان الجمهورية إذ يقول: نحن الآن فى القرن العشرين، ولا نستطيع أن نسير وراء كتاب يبحث فى التين والزيتون" .. (ترى هل يختلف موقفه عن موقف بعض حكامنا غير المعلن؟! ... وهل يختلف ذلك عن سياسة تجفيف المنابع)..

كنت أريد أن أتحدث عن تدهور تركيا يوما بعد يوم ...

لم تنقذها سياسة أتاتورك ولا خيانته لله والأمة..

وهى اليوم مثلنا تماما مهددة بالتقسيم والتفتت..

كنت أريد يا قراء أن أنبهكم أن غسيل المخ بلغ بنا المدى الذى أصبحنا فيه ننبهر بالخيانة ...

لم نحاول أن نربط أجزاء الصورة لنفهم وندرك فطفقنا على سبيل المثال نشيد بكتاب على عبد الرازق :" الإسلام وأصول الحكم " الذى لم يكن صدوره بعد انهيار الدولة الإسلامية بعام واحد مجرد صدفة ... لا ... بل كان تعضيدا للإنجليز لهدم دولة المسلمين المحورية... كان الإنجليز قبلها بنصف قرن قد أخذوا يبثون العصبيات القبلية والقومية كى تأكل نيرانها الدولة الإسلامية الواحدة ... وكانوا قد وعدوا كل قومية بالاستقلال ... كما وعدوا الشريف حسين بتكوين الدولة القومية العربية الكبرى كدولة محورية للمسلمين إن هو ساعدهم على هدم الدولة الإسلامية فى تركيا ... وبلعنا الطعم ... وجاء أوان تنفيذ وعد لم تكن بريطانيا تنوى أبدا تنفيذه ... كان حنثها بكل الوعود قد جاوز كل الحدود وكانت تحتاج

---

١ – الدولة العثمانية. دكتور جمال عبد الهادى والدكتورة وفاء جمعة. دار الوفاء– الرجل الصنم. كمال أتاتورك.

إلـــى محلـــل مـــنا فـــتقدم الشـــيخ علـــى عبد الرازق ليفتى أن الإسلام ليس دولة ولا يحق أن يكون له دولة ...

لــم نحاول كما لم يحاول الاتجاه القومى أن يفهم .. ووجدنا على سبيل المثال الكارثة من قال عن رجال ثورة يوليو٥٢ بأنهم كانوا يستلهمون فكر كمال أتاتورك بل ويعتبره بعضهم مثلا يحتذى ... لقد اعتذرت ذات يوم لهم بأن ثقافتهم المحدودة لــم تــترك لهــم المجال ليفهموا ... لكننى صرخت من الألم عندما وجدت حتى مصطفى النحاس ... الزعيم الوطنى العظيم والسياسى القدير يمجد ما فعله كمال أتـــاتورك فـــيقول : ".... ولست أعجب فحسب لعبقريته السياسية بل أعجب أيضا لعبقريته الخالقة وفهمه لمفهوم الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو ..." فيرد عليه الإمام حسن البنا قائلا: " هل يفهم من هذا التصريح أن دولة النحاس باشا - وهو الزعيم المسلم الرشيد - يوافق على أن يكون الأخـــذ بعـــد الانـــتهاء مـــن القضية السياسية ببرنامج كالبرنامج الكمالى يبدل كل الأوضـــاع فيها ويقصيها عن الشرق والإسلام ويسقط من يدها لواء الزعامة... لقد كان من أعز الأمانى أن يؤيدكم الله فيؤيد بكم الدين والأخلاق ..."...

يا إلهى ...

إذا كـــان غفرانـــنا قـــد اتســـع لكـــل ذلك وإذا كان تسامحنا امتد حتى يشمل حتى كل أعدائنا فلماذا لم نسامح من نطلق عليهم الإسلاميين ...

حـــتى الغـــزوة الفرنســـية ســـامحناها بل ورحنا نحتفل بها وهى التى قتلت مـــن شـــعبنا ثلاثمائـــة ألـــف عـــندما كـــان تعـــداده مليونين ... فكأنما ضحايانا بمقايـــيس الـــيوم تقـــارب عشـــرة ملاييـــن شـــهيد ... ومـــع ذلك سامحناها بل واحتفلـــنا بهـــا ... ســـامحنا أيضـــا إنجلترا وفرنسا وإسرائيل التى ما تزال تحتل أرضـــنا وتمزقـــنا كـــل ممـــزق ورحـــنا نـــتحاور معهـــا ... لكـــن كل تسامحنا قد نضب مع أخطاء الجماعات الإسلامية ...

كنـــت أريـــد أن أتـــناول بالتفصـــيل كل ذلك قبل أن تنطلق منى الصرخة : ليس إرهابا وليسوا إرهابيين لكن الصرخة كانت أقوى...

فهل أجرؤ يا قراء بعد هذا كله أن أقول لكم كل عام وأنتم طيبون؟!

لا أجرؤ ...

أقولها فقط لمن لم يسلموا راية الجهاد إلا بعد سقوط التكليف عنهم بالموت أو بالأسر .. أقولها لعصام العريان وعبد المنعم أبو الفتوح ومحمد السيد حبيب ومحمود عزت وخيرت الشاطر وعبد الحميد الغزالى ومهدى عاكف وحسن جودة ومحمود أبو رية ومحمد بدوى ومصطفى الغنيمى وحامد محمد إبراهيم وأحمد على محمد على وأسامة خليل ونظمى وشرف وسامى ... وأحمد عبده سليم ... و.. وستين ألف معتقل... و.... و..... و...... و..........و .... فكل عام وهم طيبون ...

غارات على القراء[1] !!..

لـــم تكـــن وحدهـــا، لـــم تكـــن وحدها، عندما انطلقت طائرات أعضاء الناتو المجرميـــن، لتقصـــف الصـــرب المجرمين، فيكون الضحايا من المسلمين، لم تكن وحدهـــا، ففـــى بلادنـــا أيضا كان ثمة حلف آخ، انطلقت غاراته لتقصف الإسلام والمسلمين.

وكمـــا أن لديهـــم جنرالات فقد كان لدينا نحن الآخرين جنرالات من الكتاب، وكانوا هم الآخرين يشنون غاراتهم على الإسلام والمسلمين.

يشنون غاراتهم كى تتسع الثقوب فى الذاكرة وكى ينزف الوعى..

وظاهرة الكتاب الجنرالات ظاهرة عجيبة فى بلادنا أم العجائب..

إذ فجـــأة تتفق أجهزة الإعلام على أن كاتبا معينا هو كاتب كبير، تحيطه بهالة من العظمة والمجد، فلا يعرف القارئ كيف أصبح هذا الكاتب كبيرا ؟ ولا لماذا ؟ ولا يجـــرؤ حـــتى على التساؤل فمجرد التساؤل يعنى أن القارئ جاهل لا يعلم من أمور دنياه ما هو معلوم بالضرورة، ثم أن القارئ يحاول أن يقرأ لهم لكنه لا يفهم شـــيئا، ولأننا طيبون ومسالمون فإننا نبادر إلى لوم أنفسنا، إن الكاتب الكبير عميق جدا وفيلسوف حتى أذنيه لذلك من الصعب على أمثالنا فهمه، فلا يخطر ببال القارئ أن ما يكتبه هؤلاء الكبار، متعمد الغموض، إما لأنه بلا معنى أصلا، وإما لأنه يهدم ثوابـــت الأمـــة، حـــتى أن واحدا منهم يعترف لخاصته: "**لو فـــهمتُ قُـــتِـــلتُ!**"، ويستمر الكاتب الكبير لا يقرأ له أحد، ومع ذلك تتسابق كبريات الصحف على نشر مقالاتـــه، ولا يشـــترى أحد كتبه، ومع ذلك تتنافس دور النشر على نشرها، فلكأنما صـــفة الكاتـــب الكبـــير رتبة كهنوتية محاطة بالطلاسم والأسرار، لا يجرؤ على مواجهتها والتصدى لها سوى الإرهابيين والأشرار والكفار[2] ..

أو لكأنمـــا رتـــب الكتاب كرتب الجيش والشرطة يصدر بها مرسوم من القائد الأعلى، فهل يستطيع العساكر أو الدهماء والقراء أن يسحبوا من اللواء رتبة اللواء أو من المشير رتبة المشير؟!.

---

١ - صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٤/٩

٢ - فى تحقيق صحفى نشرته صحيفة الأسبوع المصرية، صرح الناشرون بأن كتب معظم كبار الكتاب لا توزع، قال أحدهم أنه وزع من كتاب أحدهم ثلاث نسخ، وتحدى آخر أن يصل عدد توزيع أكبرهم ٣٠٠ نسخة. ما لم يقله الناشرون أن إقدامهم على هذه الخسارة المحققة إما لتجنب شر أو لجنى منافع أكبر باستغلال سلطة ونفوذ كبار الكتاب، وأن ذلك وجه آخر لفساد الحياة الثقافية فى بلادنا!.

لم يكن جنرالات الناتو وحدهم هم الذين يقصفون..

كان جنرالاتنا أيضا يقصفون..

كانوا كجنرال من جنرالات أفريقيا الوسطى يمر المساء عليه وهو شاويش ثم يأتى به الصباح جنرالا وزعيما ملهما تمتلئ البنوك بملايينه وكلما ازداد قصفه لوعى أمته ازدادت ملايينه..

لكنهم – مهما قلدتهم الحكومات من الأوسمة والنياشين أو أصدرت لهم المراسيم – لا يعدون ذلك الجنرال الهزلى الذى كان بجوب ملتقى شارعى طلعت حرب و٢٦ يوليو فى بداية الستينات بسمات كسمات هتلر وشارب كشاربه وملابس كملابسه لكن أوسمته ونياشينه كانت من أغطية الزجاجات الفارغة..

هؤلاء الكتاب الكبار ليسوا صناعة محلية فقط فالمراسيم التى تقضى برسمهم كتابا كبارا تأتى من الخارج أيضا من نفس الجهات التى جعلت من سلمان رشدى وتسليمة نسرين وعلاء حامد كتابا كبارا[1]، ومن نفس الجهات التى منحتهم الجوائز وجعلت المجرم كلينتون يقابل سلمان رشدى لا لشىء سوى أنه فجر فسب الرسول صلى الله عليه وسلم..

لا تنخدع يا أخى القارئ بهم، إنهم ليسوا كتابا ولا هم بكبار بل هم أشبه بأولئك النصابين المجرمين الذين ينتحلون صفة ضباط الشرطة كى يحكموا الحصار على ضحاياهم المساكين الذى يأتيهم الفزع حيث يتوقعون الأمن، والهول ممن ينتظرون منه العون، إنهم لا يرتقون ثقوب ذاكرتك التى ينزف منها وعيك بل هم يدمرونها تدميرا.

إن المعلومات الصحيحة أمامهم لكنهم يعافونها..

وعندما ينقبون فى تاريخنا فهم أشبه بشخص يدخل فى منزلك ليتجه فورا إلى سلة القمامة فينتقى منها ما يشاء له شيطانه ثم يدعى أنك تأكل هذا وتشرب ذاك

إنه يتجاهل – أظن عن عمد – الحقيقة لينشر الأكاذيب..

لطالما تساءلت وأنا أتابع هؤلاء الكتاب، هل هم جهلة إلى الحد الذى لا يعرفون فيه أبجديات التاريخ؟ أم هم أغبياء للدرجة التى لا يفهمون بها هذا التاريخ؟ أم أنهم ببساطة خونة ؟ فإذا كانوا خونة.. كيف تسمح لهم

---

١ – يمكن أن نضيف الآن حيدر حيدر، كما يمكن أن نضيف معظم النخبة المثقفة المستغربة، لاحظ أن هذا المقال نشر قبل أزمة الوليمة بأكثر من عام.

الصحف القومية بالكتابة فيها.. الصحف القومية..القومية.. فإذا مر الأمر لسبب أو لآخر – وأغلب الظن أن هذا السبب لا يعدو التواطؤ – على رؤساء تحرير تلك الصحف.. فأين مجلس الشورى الذى يعينهم..

هل يخون الكل الكل..

هل الأمر كما يقول الكاتب الكبير – حقا وصدقا – برهان غليون أن الدولة فى مجتمعاتنا أصبحت تخون الأمة..[1]

لقد صرخت الكاتبة الكبيرة – حقا وصدقا – الدكتورة ليلى عنان أن ما تشهده الأمة من تزييف الوعى جعلنا نعرف عن نابليون بونابرت أضعاف ما نعرفه عن خالد بن الوليد!!!.

هذا المثل الصارخ ينطبق أكثر ما ينطبق على موقفنا من الدولة الإسلامية المحورية ومن الدولة العثمانية ومن أشلائها ومزقها من الكويت إلى كوسوفا ومن الأكراد إلى جنوب السودان .

***

الكارثة أن ثمة كتابا نحترمهم ونثق فيهم لكنهم خدعوا فى الكتاب الكبار فعجزوا عن مواجهة الدنس والزيف فيهم فانزلقوا إلى عمليات تبريرية فكرية يبدون فيها كالزوج المحلل فى علاقة آثمة فهم يريدون على الدوام أن يوفقوا بين الفكر الدنس المجرم لهؤلاء الكتاب الكبار وبين الفكر الصحيح انبهروا بهم فقدوا استعلاء المؤمن واعتزازه عجزوا أن يقولوا للنصاب أنت نصاب وللمدلس أنت مدلس وللخائن أنت خائن وللكافر أنت كافر فقدوا الثقة فى الله وفى الإسلام وفى الإنسان فيوشكون لولا الخجل أن يعتذروا لأننا عرب أو مسلمون ويوشكون أن يتبرءوا من أجدادنا وأسلافنا ومبادئنا وقيمنا..

***

واحد من أولئك الذين نحترمهم كتب عن الالتباسات فى العلاقة التاريخية بين كوسوفا وصربيا..

يا إلهى..

التباسات..

وبعد كل ما كتبت فى هذه الصفحة وبعد كل ما تحفل به كتب التاريخ

التباسات..

---

١ – مرجع سابق

كوسوفا لم تكن أبدا جزءا من صربيا..

لكن التلفزيون يستضيف كاتبا فى صحيفة معارضة (معارضة لله !! فهى من حزب الشيطان) فيكذب ويدعى أن غالبية شعب كوسوفا يريدون البقاء مع صربيا فيسأله المذيع عما يحدث فيجيبه أن الإرهابيين المتمثلين فى جيش تحرير كوسوفا هم الذين أيقظوا الفتنة..

هل يمكن أن يكون هذا الكاتب جاهلا إلى هذا الحد..

غبيا إلى هذا الحد..

خائنا إلى هذا الحد..

وهل التليفزيون برئ من دم كوسوفا براءة الذئب من دم يوسف صلى الله عليه وسلم ، أم أنه مشارك فى الجريمة عندما يستضيف الاتجاه الذى يعبر عن وجهة نظر معينة مهملا الاتجاه الآخر، ودائما يكون هذا الاتجاه الآخر هو الاتجاه الصحيح، وتكون مهمة الجهاز الإعلامى الأول فى البلاد تمزيق الوعى وتشويهه.

هل التليفزيون برئ أم أن جريمة تزييف الوعى جريمة كالزنا لابد لها من طرفين كى تقع..

لم تكن كوسوفا أبدا جزءا من صربيا إلا بعد أن احتلها الجزار ميلوسيفتش عام ٨٩..

ولم يكن ثمة شعب فى كوسوفا يوافق على الانضمام لصربيا فآخر استفتاء أسفر عن أن ٨٧% من شعب كوسوفا يطلب الاستقلال،ولم يحدث مرة واحدة منذ انفصال كوسوفا عن الدولة العثمانية عام ١٩١٢ أن وافق الشعب فى كوسوفا على الانضمام لأى كيان آخر سوى ألبانيا..

ولم تكن أرض كوسوفا ملكا للصرب إلا أقل من مائتى عام مائتى عام من ثلاثة آلاف عام من التاريخ المكتوب..

ما يحدث فى كوسوفا هو ما يحدث فى فلسطين فإن كان فى فلسطين التباس ففى كوسوفا التباس بل فى مصر التباس أكبر ومن حق الرومان والفرس والإنجليز أن يطالبوا بحقوقهم فينا..

إن عمر يوغسلافيا فى التاريخ كله ستون عاما، عشرون منها بعد الحرب العالمية الأولى، وأربعين بعد الثانية، لم تكن موجودة قبل ذلك، ولم تستمر فى الوجود، ولقد أوجدتها الدول الكبرى فى كل مرة من أجل مهمة محددة، فلما انتهت المهمة انتهت الدولة. والجهلة والحمقى والأغبياء

والخونة الذين يدعون تبعية كوسوفا لصربيا يدلسون علينا فلقد كانت تبعيتها - فى هذه الستين عاما - ليوغسلافيا وليس لصربيا، وحتى فى تبعيتها ليوغسلافيا كانت تتمتع بحقوق أشبه بحقوق جمهورية مستقلة ، وكانت صربيا هى الأخرى تابعة ليوغسلافيا.

العلاقة الوحيدة بين كوسوفا وصربيا هى علاقة الاحتلال..

لا العرق مشترك ولا التاريخ متفق..

يتحدث **الأستاذ محمد يوسف عدس** عن أصل الصرب والألبان فيقول

كان الصرب ضمن قبائل سلافية كثيرة يعيشون فى وسط أوروبا شمال نهر الدانوب ولم يعبروا النهر إلى البلقان إلا فى القرن السّابع الميلادى عندما استدعاهم الإمبراطور البيزنطى " **قسطنطين بروفير جينيتوس**" لمساعدته فى طرد الغزاة الأفار، وقد استقر الصرب بعد ذلك فى منطقة "**راشكا**" ولم يتوسع الصرب نحو كوسوفا إلا فى أواخر القرن الثانى عشر.

وقبل أن يعبر الصرب إلى البَلْقان بعدة قرون كانت القَبَائِل الألبانية "**نسبة إلى جبال الألب**" موجودة ومستقرة فى المنطقة الممتدة من كوسوفا إلى ألبانيا على ساحل البحر المُتوسط هذه القبائل الألبانية تنتمى إلى العنصر الإليريالنى اللاتينى وتتميز بلغتهم اللاتينية التى ظلت باقية معهم إلى اليوم، وفى عصور لاحقة تميزت قبائل الغرب مستقلة بمِنْطَقَة عُرفت فيما بعد باسم ألبانيا، كما استقلت قبائل الشرق بإقْلِيم شديد التميز واضح الحدود جغرافيا سمى فيما بعد باسم "**كوسوفا**" أما حكاية الغزو العثمانى لصربيا الذى غير الواقع السكانى فى كوسوفا بطرد الصرب منها وجلب المسلمينَ من ألبانيا فاصبحوا هم الأغلبية حتى اليوم، فتلك فرية كبرى لا تستند إلى أى دليل، فالعثمانيون على عَكس هذا الزعم هم الذين جاءوا بالصرب إلى كوسوفا وإلى البوسنة، فقد كان للكَنِيسَة الأرثوذكسية مكانة خاصة عند السلطان العثمانى نفسه وقد حظيت برعاية خاصة فى كنفه قرونا. وَلَكِنَ هناك أسطُورَة صربية تَتحَدَّث عن شَيْء اسمه " **فيليكاسيريا** " ومعناه الخروج العظيم تاريخه عام ١٦٨٩ ميلادية، وسببه كما تحكى الأسطورة معاقبة الصرب على انحيازهم للغزو النمساوى لكوسوفا فلما استعاد العثمانيون كوسوفا طردوا البطريرك الصرب "**أرسينا الثالث**" ومعه أربعمائة ألف صربى ، فتوجهوا بدعوة من الإمبراطور النمساوى للإقامة فى المجر. وعلى الرغم من أن مثل هذا الخروج لم يثبت بأى دليل قطعى

ولا مرجح الا أنهِ أصبح من المسلمات لا فى الأساطير الشعبية فقط ولكن فى التاريخ الرسمى للصرب أيضا. ويرتب الصرب علي هذا الخروج الأسطورى المهيب زعما بأن الألبان كانوا قلة لا تذكر فى كوسوفا قبل سنة ١٦٨٩، وأنه فقط بعد هذا النزوح الصربى تدفق المسلمون قادمين من البانيا، ومن هنا جاء الخلل السكانى فى كوسوفا فأصبح الصرب أقلية لا تزيد عن مائتى ألف الآن وأصبح الألبان أكثر من مليونين هذا ما يقوله الصرب ويردده كتابنا خلفهم لكن ماذا تقول الوثائق التاريخية ؟..

المؤرخون المحدثون ومنهم المؤرخ البريطانى نويل مالكوم يفندون هذه الأسطورة بعد أن بحثوا وقائعها فى الوثائق النمساوية والألمانية والإيطالية، وتبين لهم الحقائق التالية :

أولا : أن الإمبراطور النمساوى "**ليوبولد الثانى**" لم يطلب من البطريرك الصربى "**أرسينيا**" الذهاب إلى المجر ولم يمنحه الامتيازات التى يدعيها الكتاب الصرب، ولكن على العكس من ذلك تماما، فقد أرسل الإمبراطور رسالة إلى البطريرك يحثه فيها على البقاء فى كوسوفا ومواصلة تشجيع الأرثوذكس على التمرد ضد العثمانيين حتى تأتيهمْ النجدة النمساوية، يقول الإمبراطور فى رسالته : "**لا تهجر أرضك ولا زراعة حقلك**" فجاء المؤرخون الصرب على عبارة: "**لا تهجر**" فحذفوا أداة النفى لينقلب المعنى وتتسق الرسالة مع بقية الأكذوبة.

ثانيا : تدعى الأسطورة أن البطريرك "**أرسينيا**" استقبل القائد النمساوى المنتصر" **بتشلومينى**" عندما دخل كوسوفا، بينما تؤكد الوثائق أن البطريرك كان خارج كوسوفا عند وصول بتشلومينى إليها، بل إن التاريخ الذى حدده المؤرخون الصرب لهذا اللقاء يكشف عن تزييف آخر لأن بتشلومينى كان **ميتا** قبل هذا التاريخ نتيجة مرض مفاجئ..!!

ثالثا : عثر المؤرخون على رسالة البطريرك "**أرسينيا**" إلى الإمبراطور النمساوى يصف له فيها تدهور أحوال المهاجرين الصرب فى المجر ويطلب مساعدته العاجلة، يقول البطريرك: لقد حضر هنا رجال مع زوجاتهم وأطفالهم فى حالة تعيسة، وأصبح عدد المهاجرين ثلاثين ألف نفس .

كلها أكاذيب يرددها مفكرونا الجهابذة ..

لقد كتب فؤاد زكريا[1] على سبيل المثال يردد كل هذه الأكاذيب فى يقين كهنوتى فقال: الخلفية البعيدة لهذا الصراع هى الاحتلال العثمانى لأجزاء كبيرة من دول البلقان الحالية، ومنها يوغسلافيا كما كانت تعرف حتى العقد الماضى، هذا الاحتلال العثمانى لأجزاء من أوروبا المسيحية يبدو أنه كان يتسم بقدر كبير من القسوة والدموية، فقد كان السلاطين الأتراك المسلمون يحاولون نشر الإسلام فى المناطق المسيحية التى احتلوها باستخدام القوة الغاشمة، وما زال الأوربيون حتى اليوم، يذكرون بقدر كبير من الأسى، تلك المذابح الفظيعة التى ارتكبها الأتراك فى العهد العثمانى، التى كان ضحاياها يعدون فى بعض الأحيان بعشرات الألوف، فقد ترسبت هذه الذكرى الأليمة فى اللاشعور الجمعى لكثير من الأوربيين، وهى تفسر بغير شك كثيرا من المواقف التى يتخذها الأوربيون المعاصرون من الإسلام والمسلمين"..

يا إلهى هل يمكن أن يبلغ الضلال والتضليل إلى هذا الحد؟!.

تأملوا هذا اليقين الكهنوتى المطلق الذى يجعل مما يقول عن المذابح الفظيعة التى ارتكبها العثمانيون حقيقة مطلقة وطلسما لا يجوز لك مناقشته أو حتى تحليله لتمييز الطيب فيه من الخبيث..

إن الكثيرين من مؤرخى الغرب أنفسهم يرجعون بعض أسباب انهيار الدولة العثمانية إلى التسامح الدينى حيث سمحت بوجود الأديان الأخرى إلى جوار الإسلام. لم تفعل ما كان يفعله البرابرة والهمج الهامج فى أوروبا من استئصال كامل وشامل للمسلمين .. وكان بعض من تركتهم الدولة العثمانية (خاصة بين شعوب البلقان) هم الذين قادوا الثورة ضدها.

إن قلنا أن مثل هذا الكاتب مغزوّ بالغرب حتى النخاع وقد انطوى قلبه كقلوب الصليبيين على البغض والاحتقار للإسلام والمسلمين فلماذا لم يقرأ ما كتبه مؤرخو الغرب أو ما اتخذته مجامعه من قرارات.

لماذا لم يقرأ ما كتبته الدكتورة زينب عبد العزيز فى كتابها: **(موقف الغرب من الإسلام :محاصرة وإبادة)**[2] : فى سنة ١٩٦٥ اتخذ مجمع الفاتيكان الثانى قرارات تعتبر نقطة تحول جذرية فى مواقف الكنيسة الكاثوليكية فقد اتخذ قرارين فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية وهما مبدأ

---

١ – مفكر مصرى ينتمى إلى النخبة المستغربة، وكان هجومه علينا عنيفا أثناء أزمة الوليمة، لم يعتبرنا حتى رأيا آخر، وإنما طالب بمحاكمتنا!!

٢ – مرجع سابق.

التحاور مع الإسلام وتبرئة اليهود من دم السيد المسيح - مع الاعتذار شفاهة للمسلمين (وفقا لما هو مكتوب فى مصادر عدة) ، والاعتذار كتابة لليهود، فى نفس البيان، عن كل ما بدر من أحقاد واضطهادات"..

هم الذين اعتذروا ولم يطلبوا منا أبدا الاعتذار لأنهم يعرفون حجم جرائمهم معنا لكن الدكتور فؤاد زكريا يعتذر..

لا تعتذر إليهم بل اعتذر إلينا لأنك منا..

أما العثمانيون الذين تعتذر عما فعلوا فلم يكونوا إلا استمرارا لنهج أجدادهم وأسلافهم السلاجقة والذين كافحوا وفشلوا فى رد الحملات الصليبية علينا فجاء العثمانيون لينجحوا كانت لهم أخطاؤهم وبعضها فادح لكنها لا تقارن أبدا بأخطاء أعدائهم (وأعداؤهم يا د. فؤاد ذكريا هم أعداؤنا !!) لكنك اكتفيت بالحديث عن المذابح الفظيعة التى ارتكبها العثمانيون ضد الأوروبيين ملتمسا فيها المعاذير لموقفهم منا حتى الآن.

لقد نفخت آلة الإعلام الغربية الجبارة فى هذا التاريخ المكذوب فبالغت كثيرا وأهملت كثيرا والكاتب الجهبذ الذى عاد فى التاريخ ستمائة عام كى يبحث للأوروبيين عن معاذير لم يشأ أن يوصل الحكاية من بدايته ألم يشأ أن يعود إلى ما فعله الفرنجة بنا - حتى فى كتب الفرنجة أنفسهم - كى يلتمس للعثمانيين بعض معاذير.

لم يشأ الكاهن أن يعترف أن الأوروبيين (الرومان - الفرنجة) لم يغفروا أبدا للمسلمين أنهم أجلوهم عن مستعمراتهم فى أفريقيا وآسيا، ظل الحقد يؤج نارا فى قلوبهم عبر الزمان لم يستطيعوا النيل من المسلمين أيام الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية فلما ضعفت الأخيرة تولى الحمدانيون المواجهة من حلب فردوا غارات الصليبيين فلما ضعف الحمدانيون نهض السلاجقة للمواجهة : والسلاجقة هم أجداد العثمانيين ويشتركون فى الأصل .

وعن هذه الحقيقية يقول "فازلييف"[1] وهو مؤرخ أجنبى يا دكتور فؤاد زكريا : "كان العرب منذ القرن السابع حتى منتصف القرن الحادي عشر يمثلون الإسلام. ومنذ منتصف القرن الحادي عشر حتى سقوط بيزنطة في عام ١٤٥٣م أصبح يمثله الأتراك :السلاجقة منهم أولا ثم تلاهم العثمانيون"..

---

١ - تاريخ أوروبا العام والمسألة الشرقية . مرجعين سابقين .

يلتمس الدكتور فؤاد زكريا المعاذير لما يفعله الصرب فيما فعله العثمانيون منذ ستمائة عام ، لكنه لم يشأ أن يعود قرنين آخرين ليسرد علينا ما فعله الفرنجة بنا، لم يشأ حتى أن يعود إلى مراجع الفرنجة أنفسهم لم يشأ أن يعود إلى المؤرخ الأمريكى بول كولز أو ما أوردته الدكتورة زينب عبد العزيز أو ما ورد فى مئات الكتب الأخرى منها على سبيل المثال لا الحصر "**كى لا ننسى التاريخ**" : موسى الزغبى و" **المسألة الشرقية**" :محمود الشاذلى و"**تاريخ الدولة العلية العثمانية**" لمحمد فريد و"**تاريخ الدولة العثمانية**" : على حسون و"**صحوة الرجل المريض**" لموفق بنى المرجة و"**الصراع الإسلامى الصليبى**" للدكتور محمد مؤنس أحمد عوض و"**على خطى الصليبيين**" : جان كلود جويبو و"**والدى السلطان عبد الحميد الثانى**" : مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلى و"**تصحيح أكبر خطأ فى التاريخ الحديث**" : السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية تأليف أنور الجندى ولا أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين بن على الحسينى ولا "**الإمبراطورية العثمانية**" سعيد أحمد برجاوى ولا حتى السف والهلال : رضا هلال أو سنوات المتاهة للصافى سعيد أو عقود من الخيبات لحمدان حمدان..

لم يشأ أن يروى لنا المذابح التى ارتكبها الفرنجة ضد السلاجقة وهم يحاولون حمايتنا من الغزوة الصليبية الأولى، ولكى تدرك أيها القارئ كيف يكون الانحياز فى التاريخ إجراما، وكيف يكون إهمال وتجاهل بعض أحداثه والتركيز على أخرى دفاعا عن الشيطان، فلتسمح لى أن أعرض عليك شذرات مما أهمله الدكتور فؤاد زكريا ولاحظ أيها القارئ أننى أنقل لك من كتبهم وأنهم عندما يقولون الكفرة أو الكلاب فإنهم يقصدوننا:

كان الصليبيون قد نجحوا فى هزيمة السلاجقة واجتياحهم واجتيازهم حتى وصلوا إلى أنطاكية حيث يقول مؤرخهم :

كان جنودنا يكرهون أولئك الكلاب القذرين، وتبعثرت أشلاء (الكفرة) فى كل مكان وانتشر الكرب وعويل والنسوة وقد جرى ذبح آباء الأسر مع جميع أبنائهم، وجرى تدمير محتويات المنازل، وتملكت المنتصرين شهوة قتل جنونية وجشع ونهب، لهذا لم يستثنوا من القتل لا الجنس ولا المنزلة الاجتماعية، ولم يقيموا للسن أدنى قيمة. ووضعوا السيف فى رقاب الأمهات، وأبنائهن، ثم اقتسموا أثاث المنازل والذهب والثياب النفيسة ، ويروي أنه قتل فى اليوم الأول أكثر من خمسة عشر ألفا من أهالي انطاكية . وانتشرت جثث القتلى غير المدفونة على طول الطرقات .

فـى معـرة الـنعمان أمـن القـائد الصليبى (بو هيمند) أهل البلدة ففتحوا له أبوابـه أوفـى الفجـر بـدأت المجـزرة الرهيبة، لقد قتل الغزاة كل من صادفهم مـن رجـال ونسـاء وأطفـال يذكـر ابن الأثير[1] أن عدد القتلى قد تجاوز مائة ألـف مـن المؤكـد أن ابـن الأثـير لـن يعجب الدكتور فؤاد زكريا فلندعه إذن إلـى راؤول دوكايـن[2]: "**إن جماعاتـنا كـانوا يغلـون الكفـار الراشـدين فـى القـدور**" كـانوا يـأكلون جثث العرب والمسلمين كانوا يتجمعون حول النار مساء من أجل التهام فرائسهم وهم يشوونها على تلك النيران"..

أمـا مـا حـدث فـى القـدس فـيقول مؤرخوهم : انتشرت المذابح المخيفة فـى كـل مكـان ، وتكدسـت الـرؤوس المقطوعـة فى كل ناحية بحيث تعذر الانـتقال مـن مكـان لآخـر إلا علـى جثـث المقتوليـن، وأحدث مقاتلونا قتلا لا يوصـف ، وتـبع مواكـب القـادة حشـد مـن المؤمنيـن المتعطشين لدماء أعدائهـم والمصـممين تصـميما كـاملا علـى إبادتهم دون رحمة أو شفقة على أولـئك الكفـرة الأنـذال، وغمـر المكـان كله بدم الضحايا، وكان هذا هو حكم الله القويـم الـذى قضـى علـى الذيـن دنسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية ، ثـم طـاف بعـض مـن جـنودنا فى أرجاء المدينة بحثا عن الهاربين فاقتادوهم وذبحوهـم كالأغـنام ، وتشـكلت زمـر اقتحمـت المنازل حيث تم إلقاء القبض علـى بعـض أربـاب الأسـر وزوجـاتهم وأطفـالهم وتم القضاء على الجميع وقـذف الـبعض مـن الأماكـن المـرتفعة حيث هلكوا وهكذا لقد أصبح المنظر سارا ومصدرا للابتهاج الروحى " ..

كانـت عملـية إبـادة كاملـة شـاملة لم يبق بعدها فى المدينة مسلم .. قتل ستون ألفا يا دكتور فؤاد زكريا .

***

هـا قـد أوشـك المقـال علـى الانـتهاء، لكننى قبل أن أنتهى أريد أن أنبه القـارئ إلـى أن مـا يحـدث فـى كوسوفا يعطينا الدرس تلو الدرس ألا نعتمد علـى مـن سـوانا ، لقـد كـان ضحايا المسلمين فى كوسوفا بنجدة الناتو أكثر

---

١ – الـبداية والنهاية. ابن كثير. دار الغد العربى. العباسية – راجع أيضا: الكامل فى التاريخ لابن الأثير. دار الكتب العلمية . بيروت .

٢ – كى لا ننسى التاريخ . موسى الزغبى .

مـــن ضـــحاياهم بدونهـــا ، وفـــى كـــل شـــر !!.. يجب أن نعتمد على أنفسنا ، أن تكـــون لـــنا دولتـــنا المركـــزية الواحـــدة الـــتى تدافع عن الإسلام والمسلمين فى كل مكان..

و أريـــد أيضـــا أن أوجـــه عـــتابا مريـــرا دامـــيا إلـــى السياسية الخارجية المصـــرية، ففـــى أول هـــذه السلســـلة من المقالات منذ أكثر من شهرين ناشدت وزيـــر الخارجـــية أى نـــوع مـــن الدعـــم المعـــنوى لشعب كوسوفا وتأخر هذا الدعـــم كثـــيرا كثـــيرا وعـــندما جاء بدا أنه ليس استجابة لله وللدين وللضمير بل استجابة لواشنطن ..

وعندما جاء ..

كان للمرارة والأسف والخزى والعار ..

تاليا ..

لدعم ..

من ..

إسرائيل !!..

يا وطنى : هل أنت بلاد الأعداء[1] ؟!

هل أنا أمثولة ؟!! ..

هـل أنـا نـادرة مـن تلـك الـنوادر الـتى يروونها ضاحكين عن جندى مـن جـنود الحـرب العالمـية الثانـية، الـتجأ إلـى الغابات، وظل السنين تلو السـنين كامـنا، يشـحذ سـلاحه، ينـتظر أوامـر قـائده، أو فرصـة للتمكـن مـن عـدوه، ويحـاول المحاولـة تلـو المحاولـة، أن يعيد ضبط ترددات جهاز اللاسـلكى، كـى يسـتطيع إعـادة الاتصال بمقر قيادته، لكنه كل مرة يفاجئ بأن الأمـور قـد تداخلـت تداخـلا فظـيعا، فمـا يصـدر عن مقر قيادته هو بنفسه مـا يصـدر عـن العـدو، أمـا قـائده، الذى قلده ذات يوم أوسمة البطولة، فإنه يـتهمه الآن بالإرهـاب، ويطلـب مـنه تسليم نفسه، وتدمير سلاحه، ويطلب منه الاستسـلام بـلا قـيد وبـلا شـرط، إن الجـندى يراجع نفسه، الصوت صوت القـائد، لكـن الأوامـر أوامـر العـدو، هل أُسِرَ القائد؟.. هل خدعوا القائد ؟ .. هـل خـان القـائد ؟.. هل باع القائد ؟!.. هل يخدعه العدو ؟.. أم انقلب الشقيق علـيه ؟..ثـم أيـن زمـلاؤه ؟.. وأين الأمة ؟؟!!.. هل انضموا جميعا إلى جيش العـدو ؟!.. هـل يسـعى إلـيهم أم يهـرب منهم ؟؟.. فماذا يفعل ماذا يفعل ماذا يفعل ..؟ .

***

ينسـاب إلـىّ خـيال حزيـن، ربما كان رؤيا، وربما كان من خلال أستار الزمـن رؤيـة، عـن فـارس، ربما كان فى الأندلس أو فى العراق أو فى سيناء أو فـى البوسـنة والهرسـك أو الفليبيـن أو كوسـوفا أو فـى بخـارى أو فى سـمرقند ، فـارس يحـاول الدفـاع عـن قلعة تهدمت حصونها ونقبت ثغورها، وانشـغل ولاتهـا الخونـة عـن الدفـاع عـنها بجمع ما سرقوه منها والهرب، ويقـف الفـارس حـيرانا، هـذا الثقـب أولى بالدفاع أم ذاك النقب، تلك الثلة من فرسـان العـدو أم تلـك القلـة، هل يندفع إلى اليسار أم اليمين أولى، إلى الأمام أم الخلـف أخطـر، كلمـا اتجـه إلـى مكان اكتشف أن الخطر فى المكان الآخر أشـد، وكلمـا عـزم علـى أمـر وجد أن فرصة تنفيذه قد ولت، تجيئه النداءات مـن كـل صـوب، والاسـتغاثات من كل جهة، اختلطت الأصوات فما عاد يعلم

---

١ – الشعب : ١٩٩٩/٤/١٦.

إن كان الصوت صوت أخيه أم صوت عدوه، وما إذا كانت الاستغاثة صادرة لتحذيره أم لتضليله كي يندفع إلى المكان الخطأ فى الزمان الخطأ، اشتبكت الأصوات واختلطت الملامح، الأعداء يلبسون زى قومه وقومه يلبسون زى الأعداء، لم يعد يعرف، لم يعد يفهم، عيناه تكذبان وأذناه تكذبان وفكره يختل، إلى من يستجيب؟ من يُنجد وبمن يستنجد ؟؟ تدور عيناه، تتسعر عيناه، يجرى لكن فى نفس النقطة من المكان، يلهث، يدور حول نفسه، يظل يدور، ويدور ويدور..

***

لماذا خدعنا مثقفونا ؟..

لماذا اتشحوا بأردية الأعداء ؟..

لقد انهزموا فلماذا حين انهزموا لم يذهبوا إلى بلاد الأعداء ليعيشوا فيها ؟..

لماذا ما داموا لم يذهبوا لم يصمتوا حتى يموتوا ؟..

لماذا روجوا بيننا فكر الهزيمة ؟..

لماذا زيفوا التاريخ حتى لم يتركوا لنا ما نفخر به أو ما نعود إليه مستلهمينه كى ننهض من كبوتنا لنتقدم ؟..

لماذا لماذا ؟؟ ..

لماذا تحدث فؤاد زكريا عن دموية العثمانيين وهو فى ذلك مُفرط ولماذا تجاهل دموية ووحشية وهمجية الغرب وهو فى ذلك مُفرّط؟.

لماذا أخفى جزءا من الحقيقة بل كل الحقيقة، بل إن إخفاء جزء من الحقيقة يكون أحيانا أسوأ بكثير من إخفاء كل الحقيقة فأفضل لنا – على سبيل المثال ألا نقول شيئا على الإطلاق من أن نقول ويل للمصلين، ونصمت !!.. إنه يتحدث عن يوغسلافيا (كما كانت تعرف حتى العقد الماضى) لكنه لا يقول لنا أن يوغسلافيا كلها جملة اعتراضية فى التاريخ لم تمكث سوى أكثر قليلا من نصف قرن بينما شعب كوسوفا موجود فى مكانه وأرضه منذ ثلاثين قرنا على الأقل (بل وتقول بعض الروايات سبعين قرنا!!) ثم أنه وأضرابه يذكرون يوغسلافيا بخلط مخيف غير شريف حين يمزجون يوغسلافيا تيتو بصربيا ميلوسيفيتش التى يسمونها هى الأخرى يوغسلافيا، يخلطون متعمدين ويكذبون عامدين ويتجاهلون أن الأولى كانت اتحادا بين جمهوريات عديدة إحداها صربيا وقد تفتتت هذه

الجمهورية بعد موت تيتو بعشر سنوات تقريبا فانسحبت الجمهوريات الأساسية :سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا بينما يوغسلافيا الثانية إحدى هذه الجمهوريات (صربيا) وقد اتحدت كونفيداليا مع الجبل الأسود اختيارا (كلا الشعبين ينتميان لنفس العرق) وفويفودينا إجبارا ثم قامت باحتلال إقليم كوسوفا الذى رفض الاتحاد الكونفدرالى.

كان إقليم كوسوفا يتمتع فى عهد تيتو بالحكم الذاتى على مستوى بقية الجمهوريات تقريبا وكانت يوغسلافيا تتكون من وحدات فيدرالية يتولى رئيس كل وحدة منها رئاسة يوغسلافيا كلها لمدة عام، وبناء على ذلك فقد وصل ممثل كوسوفا " **سنان حسانى**" إلى أعلى منصب فى البلاد : رئيس جمهورية يوغسلافيا عام ١٩٨٦ ونظرا لأهمية كوسوفا فقد كان نائب تيتو " **فاصل هوجا** " من شعبها.

تفتتت جمهورية يوغسلافيا وبقيت بلجراد عاصمة لصربيا وهى بالطبع – وإن تكن نفس المدينة – غير بلجراد التى كانت عاصمة للجمهوريات كلها، ويقوم الخلط العامد المتعمد الذى يقوده أمثال فؤاد زكريا وأمجد ميقاتى وأجهزة إعلامنا الرسمية على الخلط بين الأمرين: يوغسلافيا القديمة والجديدة، بلجراد القديمة والجديدة.

تحت تأثير مثل هذا التضليل اندفع صحفى شاب[1] وهو فخور بجهله ليتحدث – فى تعاطف مريض – عن رفضه لانفصال كوسوفا عن صربيا وإلا فتحنا باب مطالبة الأقليات بالانفصال عن دولها الأم..

يا مسكين لا تجعل مصادر ثقافتك صحفا ومجلات لا تنشر إلا الكذب وإذاعات لا تذيع إلا الأباطيل.

يا مسكين لقد وصل فكر بعض اليسار إلى حدود "المسخرة".. حين حزن من أجل استقلال الجمهوريات الإسلامية عن الاحتلال الروسى، فقد صعب عليهم تفتت الاتحاد السوفيتى، وهم الذين يعتبرون تفتت الدولة الإسلامية الواحدة – أيا كان اسمها– عيدا للحرية وفجرا للضمير.

يا مسكين لا تجعل من فكر أمثال الدكتور فؤاد زكريا والدكتور عبد العظيم رمضان لك إماما ..

يا مسكين لا تفخر بجهلك ولا تصر عليه بل اخجل ..

---

١ – الغريب أن هذا الصحفى من النوع الجاد والملتزم، بل إنه حارب مع المقاومة فى لبنان، لكن لعنة الفكر الماركسى وافتقاد المرجعية الإسلامية جعلاه يقع فى تناقض مضحك: إذ أن ما ينطبق على فلسطين ينطبق على كوسوفا، فلماذا التناقض؟!.

لقد ردك القراء، لكنك كابرت، وبدلا من أن تلجأ إلى أى كتاب من كتب التاريخ لتعرف منه الحقيقة المسطورة فى كتب الغرب والشرق واصلت المكابرة..

يا مسكين كوسوفا بلد محتل يطالب بالاستقلال ويدفع ضريبة الدم فلا تخذله ودعك من أنه مسلم !!..

يا مسكين لا تكن من تلك الفئة التى جعلت من الإسلام والمسلمين عدوا..

يا مسكين لا تكن مثل أولئك الذى تناولهم الكاتب الصحفى أسامة عرابى فى كتابه (الذى لم ينشر بعد) :فئران البراميل – واعترف أنك لست منهم بل أنت ضحيتهم – حيث يقول:

" فى مصرنا المحروسة باللصوص والأفاكين الان، نمطان لا ثالث لهما من الكتاب والصحفيين :أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التى تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى، بعد أن امحت تماما الحدود الفاصلة بين عمل المخبر الصحفى والمخبر السرى. والنمط الثانى يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهى – بلا ريب – أمريكا ومن ورائها إسرائيل. أما من ارتضى لنفسه الاختيار الصعب، وهو أن يعيش شريفا عفيفا، صاحب مبدأ وموقف، فمكانه الأوحد الانزواء فى غياهب النسيان، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه.

* * *

ليست الخطورة فيما يقوله الدكتور فؤاد زكريا ولست أطالب بفرض أى نوع من الحجر عليه.

على العكس فإننى متطرف فى اتجاه منح حرية الكلمة لجميع الاتجاهات بصورة تكاد أن تكون مطلقة، إلى الحد الذى دفعنى لبعض الاختلاف مع الأصدقاء الذين ينادون بمنع تدريس كتاب هنا أو هناك مهما كانت هذه الكتب تحوى، مهما كانت تحوى حتى لو احتوت على الإساءة لله سبحانه وتعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذلك لاستهانة منى أو – معاذ الله – تفريط، بل إننى أدرك أننى أنا الأقوى والأعظم والأصح، أنا العقل والروح والمنطق، أنا المنتصر، أنا أقوى من محمد على كلاى فكيف أخشى مصارعة أطفال صم بكم عمى مرضى، إننى أثق فى أسلحتى، لذلك لا أعترض على منح الحرية كلها للدكتور فؤاد زكريا

أو الدكتور عبد العظيم رمضان أو الدكتورة فاطمة سيد احمد أو الدكتور أنيس منصور أو الدكتور محمد عبد المنعم أو الدكتور عبد المنعم سعيد أو الدكتور إبراهيم سعدة أو الدكتور سمير رجب (لا تبادر أيها القارئ بالتصحيح فأنا لم أخطئ لكنني أدركت أنه لم يبق للألقاب أى قيمة ولا وزن) ولا أى دكتور ولا أى واحد آخر، لا أعترض أبدا على حريتهم فيما يكتبون لكنني في نفس الوقت أرفض أن أكون محمد على كلاى فأقيد ويكمم فمي ويسلط الذباب والهوام عليّ!!! تنهشني فأمنع من الرد ، فذلك هو ما يحدث وما أعترض عليه[1] .

ثمة سلطة ما لم أستطع بعد أن أضع يدى عليها سلطة حاول هربرت أ.شيللر[2]: أن يضع يده عليها إذ يقول: "إن التآمر والمتآمرين لهم وجودهم المؤثر فى الحقل الاجتماعى ومع ذلك فإن هذه الأنشطة سواء كانت كبيرة أم صغيرة، تم الكشف عنها أم ما تزال سرية، يمكن تفسيرها فى إطار الحقائق الأعمق للواقع الاجتماعى" ثم يواصل هربرت أ.شيللر "إن العملية أكثر التباسا وأبعد تأثيرا نظرا لأنها تجرى دون توجيه مركزى، إنها متأصلة فى تدابير اجتماعية اقتصادية أساسية وغير مطروحة للنقاش، تحدد فى البداية، ثم تتعزز، وتنطوى هذه الترتيبات التى أسست وأضفى عليها طابع الشرعية خلال فترة طويلة من الزمن، على ديناميتها الخاصة كما تنتج أيضا حتمياتها الخاصة" .

الحقيقة أننى وإن وافقت هربرت أ.شيللر فى موقفه من هذه الحتميات إلا أننى أتجاوزه فأراها ليست مجرد حتميات وديناميات بل سلطة عابرة للأوطان والقارات سلطة لها دستور – حتى وإن لم يكن مكتوبا – ومنهج واستراتيجية وتكتيك سلطة لا تحدها جغرافيا وطن ولا عمر جيل، سلطة لا يمكن إلا أن تكون وثيقة الصلة بالشياطين والسلاطين وأجهزة المخابرات وهذه الصلة هى صلة الأعلى بالأدنى والآمر بالمأمور، سلطة نضجت منذ بدايات القرن الخامس عشر على الأقل وبنت استراتيجيتها الشاملة وتنفذها، وتصدر هذه السلطة الأمر السابق تجهيزه فينولى الوكلاء والأعوان والخدم والعبيد رسم الحدود بين العراق والكويت كلغم ينفجر بعد سبعين عاما، وترسم حدود الأردن لتحجز ما بين إسرائيل من ناحية والزخم الدينى

---

١ – سبحان الله!!.. هذا ما حدث تماما بعد عام من نشر هذا المقال، ففى أزمة الوليمة، عندما واجهنا الآخرين، كمموا أفواهنا وأغلقوا صحيفتنا وأطلقوا العنان للآخرين.. تماما كما تصورت.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢ – المتلاعبون بالعقول .هربرت أ.شيللر. عالم المعرفة .

للسعودية والحشد البشرى للعراق من ناحية أخرى، ولم تكن إسرائيل قد وجدت بعد، لكن هذه السلطة كانت قد أصدرت أوامرها، إنها تشبه شركة تبنى منشأة ضخمة، أعدت كل تفاصيلها، ووضعت كل الرسوم على الورق، ولا تثريب عند التنفيذ من مزيد من الإبداع الشيطانى، لكن فى ذات الاتجاه. إنها حتى لا تفكر فى الأوامر، بل تنتظر فى الرسم الهندسى، فإذا بالحدود ترسم والجيوش تجيش والعواصم تقصف والدول تحاصر، سلطة تمنح صكوك الغفران بيد وشهادة كبار الكتاب بيد أخرى، تستدعى المهندسين للتنفيذ فإذا بهؤلاء كبار الكتاب غيلان يُروّج لفكرها بالأبناط الضخمة والأبواق الضخمة، وفى نفس الوقت يُحاصر أو يُصادر كل فكر آخر فهؤلاء الكتاب الكبار يلعبون بالنسبة لفكر التغريب دورا أشبه بدور "البودى جارد" البلطجى، إنهم لا ينتمون بالضرورة ولا بالطبيعة إلى العالم الذى يدافعون عنه، لكنهم يتكفلون بحمايته، وفتح الطريق أمامه، وبمنع الآخرين من الاحتكاك به، ثم أنهم مأجورون!!.

لقد أدركت الأمة منذ زمان طويل أن هذه السلطة تعيّن بعض حكامنا كوكلاء[1] لها لكننا غفلنا أنهم لا يكتفون بالحكام، فهم الذين يعينون كبار الكتاب أيضا، لم يكن الاستعمار يعبث عندما احتل بلادنا، وعندما تركنا لم يتركنا لأنه سئمنا، أو لأننا أصبحنا فجأة أقوى منه، لقد ربى نخبة كاملة، طبقة كاملة فى المجتمع هى الطبقة الحاكمة منها الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ورؤساء التحرير وكبار الكتاب بل وكبار التجار ورجال الصناعة فلا يكاد يُتداول الأمر خارجهم (كانت ثورة ٢٣ يوليو استثناء لكنهم أجهضوا بعضه واحتووا البعض الآخر) وفى مختلف بلادنا فإن هذه النخب ليست معزولة عن بعضها البعض بل وثيقة الاتصال .

لقد كان فؤاد زكريا على سبيل المثال مفكرا كبيرا فى مصر. كان يهاجم دول النفط وفكرها المتخلف ، لكنه فجأة يصبح كاتبا كبيرا هناك – فى دول النفط – يقف على منابرهم ويحصد جوائزهم ، والأمر الصادر طبقا للرسم الهندسى والذى جعله كاتبا كبيرا هنا جعله كاتبا كبيرا هناك .

يتحدث الأستاذ جلال كشك عن الدكتور فؤاد زكريا بمناسبة حصوله على جائزة العويس فيقول :

(كان من حقى أن أفرح وأنا أرى هداية الدولار لمن أضلهم الحوار وتمتد وتكسب للإسلاميين دكتورا مشهورا فى عداوته لهم، فيلسوفا فى نقد

---

١ – راجع: الفرصة سانحة: ريتشارد نيكسون. دار الهلال .

فكرهم، عنيفا فى اتهامهم بالعمالة للنفط والقبض من النفط، وإذا هو يسعى للنفط يطلب خمسين ألف دولار، ويقبضها شاكرا مبتسما. لكن الإهانة التى لحقت بمفكرنا العلمانى الكبير وتحملها بصبر وجلد بخمسين ألف مما تعدون، هو أن بعض الخبثاء من المتطرفين زرع طريق الدكتور إلى المطار بلافتات تحمل عبارة واحدة من كلمات الدكتور هى حرفيا : إن الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير ولا يمكن أن يكون علامة صحة، وإنما هو حالة شاذة طارئة لم تعرفها مصر إلا فى العهد الذى فتح الباب لتسرب الفكر المتخلف الوافد من مجتمعات بترولية، تستخدم الدين أداة للحفاظ على مصالحها فى الداخل ونشر أيديولوجيتها الهابطة فى الخارج) .

ثم يتناول جلال كشك بسخريته موقف المفكر العلمانى من الفكر الهابط فيتصوره يقول: " نعم فكرهم هابط ولكن الدولار صاعد !! "[1]

***

تتناول أجهزة الإعلام – الخاضعة لهيمنة السلطة العالمية العابرة للقارات – أفكار من يطعنون وعى الأمة ويستنزفونه بنوع من التقديس الوثنى، تقديس البتر وقطع الألسنة، فإن لم يستطيعوا فتقديس التشهير والتسفيه والتزوير والكذب، تقديس تكفير الآخر ونفيه وسحب الجنسية المتعلقة بكونه بشرا، فإن لم يستطيعوا فبالصوت العالى، بخلق تذكرات موهومة وطمس تذكرات معلومة حتى لا يكون الآخر مجرد مختلف فى الرأى ، بل تصمه بالإثم الشديد الفاضح، وهى لا تهدف بذلك تغيير رأى المخالف ، إنها تعرف أنها لا تستطيع تغييره، لسبب بسيط هو أنها تعرف أنها كاذبة وأن المخالفين على صواب، لكنها تهدف لـ: تهويش الآخرين لبث الرعب فى قلوبهم، هذا المختلف معنا ليس إنسانا، إنه وحش همجى متخلف، فلا تقتربوا منه ولا من فكره[2].

تصطاد أجهزة الإعلام الشباب فى عمرهم الغض فتضمن أن يتخذوا موقفا يظل معهم العمر إلا من رحم الله.

كلنا كنا ضحايا لذلك بدرجة أو بأخرى .

---

١ – راجع جلال كشك: الحوار أو خراب الديار. التراث الإسلامى وراجع أيضا محمد ابراهيم مبروك مواجهة المواجهة. دار ثابت– وحقيقة العلمانية. دار التوزيع والنشر الإسلامية– والدكتور محمد مورو. علمانيون وخونة.دار حراء.

٢ – سبحان الله !.. هذا بالضبط ما رسوه معى فى أزمة الوليمة ، لكنهم لم ينجحوا لسبب بسيط ، أن القضية كانت بالغة الوضوح، فكشفتهم.

إنــنى مازلــت أشــعر بالعــار بعــد ثلاثيــن عاما من تلك الواقعة، كنا بعد هــزيمة ٦٧ المذلــة والمهيــنة، وكــان صــديقى الدكــتور عبد الكريم الخطيب يطالبــنى بــأن أنظــر للهــزيمة مــن مــنظور أشمل ، من منظور هزيمة الأمة الإســلامية كلهــا، والــتى تكرســت منذ انتهاء الدولة المحورية التى كانت تدافع عــن الإســلام والمســلمين، نظــرت إلــيه بذهول وأنا أهتف غير مصدق : هل تقصــد الدولــة العثمانــية ؟ فلمــا أجاب بالإيجاب رحت أنظر إليه ككائن غريب منفلــت مــن عوالــم المــنطق والمعقــول. ورغم أن القلب كان مذبوحا بالهزيمة ضــحكت. رغــم أنــنى كنــت قد حرمت الضحك على نفسى فى حداد هائل على المصــيبة الهائلــة ضــحكت. فلمــا مــر الزمن، رحت أسائل نفسى ما الذى دفع إلــى عقلــى بهــذا اليقيــن الوثــنى الــذى لا يقــبل مجرد الحوار؟.. لم أعرف الإجابــة، لكنــنى أحسســت ببصــمات غــيلان السلطة فى فكرى، فعرفت أننى كنــت أنــا المنفلــت خــارج عوالــم المنطق لقد اكتشفت مثلاً أن: الرسول صلى الله علــيه وســلم لــم يقل حديثا صريحا يمتدح فيه حاكما أو خليفة بقطع لا يقبل الشــك إلا مــع حــاكم عــثمانى وأن هــذا الحديــث قــد أورده أحمد والبخاري والبزار وابن خزيمة والطبراني والحاكم والحديث الشريف يقول :

" **لتفتحــن القســطنطينية ولــنعم الأمــير أمــيرها، ولــنعم الجــيش ذلك الجيش** " .

لمــاذا أهملــنا هــذا الحديــث لمــاذا أغرقناه فى تذكرات موهومة وحقائق مغيبة.

كارثــة أجهــزة الإعــلام عابــرة القــارات، كارثــة الدكتور فؤاد زكريا، وأمــثاله أنهــا تجعــل الحقــيقة أمــامك ساطعة كالشمس لكنك لا تراها، فواجبهم الأساســى لــيس إقــناعك بفكــرهم، بــل الشوشــرة على فكرك، فإنها لا تعمى الأبصار بل تعمى البصائر والقلوب.

عــندما قــرأت الحديــث لا بعيــنى بــل بقلــبى نزف قلبى، رحت أتساءل: كــيف أصــابنى هــذا العمــاء صــرخت: ليست الدولة العثمانية إذن كتلة سواد غربيــب أســخم، ولا فــترة ظلــم وظــلام حــالك، ولا هو ممنوع الحوار فيها، ولا هــو كفــر ولا هــو تخلــف ولا هــى رجعــية ولا هو تأسلم كما تخرص المتخرصــون، أحسســت بالعــار رحت ألتهم فى نهم كتب التاريخ فوجئت بغير مــا يكرســه إعلامــنا ، بعكــس مــا يكرسه إعلامنا ، إعلامنا العابر للقارات ، إعلامــنا العــالمى العلمــانى، فوجئــت بالأجنــبى فازلييف يقول عن هذه الدولة وجهادهــا: "لقــد دافــع المجــاهدون الــترك عن الإسلام وحموا ديار المسلمين

وكـــانوا قـــوة الحـــركة الإســـلامية ودرعهـــا يوم ضعف العرب وتفرقوا طرائق بددا " .

قلـــت لنفســـى إذا كـــان العـــدو يقـــول هـــذا فكيف ننظر إليها ككتلة سوداء لا يجـــوز لـــنا مجـــرد التفكـــير فيها؟.. لا بد أن فى الأمر خطأ سألت نفسى: إذا كـــنا بعـــد كـــل هـــذه العقـــود نصـــب علـــيها كل هذه اللعنات فكيف كان آباؤنا وأجدادنـــا يفكـــرون وهـــم الذيـــن عـــانوا وطأتهـــا وعاشـــوا تحـــت ظل قهرها وجـــبروتها؟؟.. رجعـــت إلـــى كتـــب التاريخ التى لم يكتبها عبد العظيم رمضان ولا حللها الدكتور فؤاد زكريا رجعت إلى المجلات والصحف.

كـــان "**جلادســـتون**" زعـــيم حـــزب الأحـــرار بإنجلـــترا يســـمى الســـلطان عبد الحميد : "**الشيطان وعدو المسيح**"

وقـــد صـــور "**كرومـــر**" فـــى كـــتابه "**مصـــر الحديـــثة**" ســـعة انتشار فكرة الـــرابطة الإســـلامية بيـــن المصـــريين، واعترف بما تتمتع به الخلافة الإسلامية مـــن نفـــوذ واســـع فـــى مصـــر، فتكلم عن الحجاب الكثيف من التعصب الدينى الـــذى يقـــوم بيـــن الإنجلـــيزى الراغـــب فـــى إصلاح مصر – حسب زعمه – وبيـــن المصـــريين، كمـــا تكلـــم عن تمسك المصريين بعقيدتهم الإسلامية المتغلبة علـــى الوطنـــية بمعـــناها الإقلـــيمى، والـــتى تؤمن بالوحدة الشاملة بين المسلمين فى سائر أقطار الأرض[1]

ســـألت نفســـى إذا كـــان الغـــرب يشـــن علـــيها كـــل هـــذه الحملة الهائلة مـــن التشـــويه لأنهـــا مثلـــت أكبر تهديد فى التاريخ على وجوده فلماذا نتخذ نحن – الدول الإسلامية – نفس موقفه ؟ .

وقرأت وقرأت وقرأت..

قـــرأت عـــبد الله الـــنديم فـــى مقال له بمجلة الأستاذ سنة ١٨٩٢: " لو كانت الدولـــة العثمانـــية مســـيحية الديـــن لبقيـــت بقـــاء الدهـــر بين تلك الدول الكبيرة والصـــغيرة الـــتى هـــى جـــزء مـــنها فـــى الحقيقة، لكن المغايرة وسعى أوروبا فـــى تلاشـــى الديـــن الإســـلامى أوجـــب هـــذا الـــتحامل (..) وإننا نرى كثيرا مـــن المغفليـــن يذمـــون الدولـــة العلـــية ويـــرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الإدارة وقســـوة الأحكـــام ولـــو أنصـــفوها لقـــالوا أنها أعظم الدول ثباتا وأحسنها تبصرا وأقواها عزيمة .."

---

١ – راجع: الحجاب . الدكتور محمد اسماعيل المقدم. دار الصفوة .

قرأت مصطفى كامل يقول: " إن المسألة الشرقية هى مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الإسلام وبين دول المسيحية "

قرأت محمد عبده يقول: " إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله، فإنها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته، وليس للدين سلطان فى سواها، وإنا والحمد لله على هذه العقيدة، عليها نحيا وعليها نموت"..

ويقول لرشيد رضا : " إن كثيرا من وجهاء المصريين يكرهون الدولة العثمانية ويذمونها- وإن كان أكثرهم يحبها- وأنا أيضا أكره السلطان، ولكن لا يوجد مسلم يريد بالدولة سوءا، فإنها سياج فى الجملة، وإذا سقطت نبقى نحن المسلمين كاليهود بل أقل من اليهود. فإن اليهود عندهم شئ يخافون عليه ويحفظون به مصالحهم وجامعتهم وهو المال، ونحن لم يبق عندنا شئ فقدنا كل شئ..

قلت لنفسى : ربما كانوا آحادا وكان اتجاه الأمة ضد الدولة العثمانية لكننى أقرأ الكتاب الخطير : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر: الدكتور محمد محمد حسين – مكتبة الآداب يقول : " ليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلاف وتباين نزعاتهم من يخلو ديوانه من شعر فى مدح الخليفة التركى والإشادة بفضله على المسلمين وحرصه على إعلاء كلمة الدين..(..).. وهم يرون أن الخليفة هو الجامع لشمل المسلمين، وأنه حين يحارب إنما يحارب دفاعا عن الإسلام وتمسكا بإعلاء كلمته "

راجعت دواوين الشعر قرأت دموع أمة ونزيف أمة وسمعت آهات شعوب كانت دائما أكثر صوابا من كل مفكريها..

قرأت أن الأمة فى كل العالم الإسلامى لم تستقبل العثمانيين كغزاة، وأن الأمة حين انتهت تلك الدولة ودعتها بالانفطار والانشطار والحزن والفجيعة والألم..

صرخت :إذا كنا كذلك منذ سبعين وثمانين عاما فأى عملية غسيل مخ هائلة بشعة تسلطت علينا فى القرن الأخير جعلتنا نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف ونصدق الكذاب ونكذب الصادق ؟ ..

وقرأت **محمود ثابت الشاذلى** فى كتابه: "**المسألة الشرقية**" [1] وهو كتاب هام وخطير لكننا نكتفى الآن بذكر بعض الحقائق الساطعة التى

---

١ – محمود ثابت الشاذلى: المسألة الشرقية – دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية – مكتبة وهبة .

تعاميـنا عـنها، فلـم يكـن العثمانـيون أو الأتـراك بغرباء عنا، ومنذ العصر العباسـى الـثانى كـانوا هـم الذين يحكمون، وعندما جاءوا لم يزيحوا من الحكم حكامـا عـربا، وفـى مصـر على سبيل المثال كان يحكمنا المماليك، وهم فرع آخـر مـن الأتـراك!! .. ثـم أن أحـدا لم يطعن فى شجرة الدر أو فى أحمد بن طولـون وقـد كـانوا أتـراكا أيضـا..!! فالمسـتهدف فكرة الدولة الإسلامية.. كـان حـال العـرب جمـيعا كحـال مصر، وقد كانوا جميعا على وشك الوقوع فريسـة لاسـتعمار استئصـالى مـن أوروبـا الناهضـة المنـتقمة ، اسـتعمار يستأصـلنا بالكـامل كمـا فعـل مـع المسـلمين بـالأندلس ومع الهنود الحمر فـى أمـريكا، ولـولا الدولـة العثمانـية لاندثـرنا كعـرب وكمسلمين وحتى كمصريين ومغاربة وبدو وحضر..

سوف نعود إلى ذلك كله بالتفاصيل بكل التفاصيل..

وسوف نواجه القوميين أيضا بمفاجأة..

برأى جمال عبد الناصر فى تركيا والأتراك وماضينا المشترك ،

وبرأى عبد الرحمن عزام باشا..

و .. و .. و ..

***

مـن حقـى أن أتسـاءل إذن أيهـا القارئ :إذا كانت الأمة ورموزها الخفية يجمعون على ذلك فأى شيطان رهيب دفعنا إلى الاتجاه المعاكس ؟..

كانـت الدولـة الإسـلامية الواحـدة رعـبا مقيما للغرب فتمنى على الدوام زوالها، فلماذا تم غزونا من الداخل لنتبنى بالكامل وجهة نظره ؟..

ماذا حدث لنا ؟!

من نحن ؟!!

إن حكوماتنا تحارب الإسلام حرب الغرب له..

كـل حكوماتـنا تقريـبا سـموه إرهابـا ثـم جُيشـت له الجيوش وعقدت التحالفات ، وكان مما تحدثوا عنه حلفا بين مصر والسعودية وإسرائيل ..

فـــى مصـــرنا الإســـلامية ممـــنوع أن تظهـــر فى معظم البرامج على شاشة الـــتلفاز مذيعـــة محجـــبة وممـــنوع – أكـــثر مما هو ممنوع فى أى بلد من بلاد الغـــرب – أى إنصـــاف للإســـلام والمســـلمين وفـــى التعليم حذفت من المناهج آيات القرآن التى تعلمنا منهج مواجهة العدو فمن نحن ؟!..

من نحن؟..

وأنت أيها القارئ قل لى من أنت..؟!!

أخى أنت أم شبه لى ؟ ..قاتلى أم مغيثى..؟رفيقى أم عدوى..؟..

وأين نحن؟!! ..

هـــل نحـــن كـــأهل الكهـــف نمنا مئات السنين ثم قمنا فى زمان ليس زماننا وبين أناس ليسوا أهلنا ؟!..

هل حملنا طائر الرخ إذ نحن فى غيبوبة فألقى بنا فى بلاد الأعداء؟!..

أم أن طائـــرات هـــرقل الضـــخمة الهائلـــة قـــد حملت بلاد الأعداء فحطت بها على بلادنا ؟؟..

وأنت يا بلادى ..

خبرينى ..

هل أنت بلادى ؟!..

أم أنت بلاد الأعداء ..؟؟!!..

رأيت عرش الرحمن يهتز[1]

يا وطنى..

هل أنت بلاد الأعداء ؟!..

لماذا إذن تحاصرنى..

لماذا حصرتنى فى هذا المنحدر الوعر..

أتوق يا وطنى أن أسمع إذاعة بلادى وأن أرى تليفزيونها، لكننى كلما فتحتها وجدت صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وتعاليم كرومر وكلينتون ونتنياهو وباراك.. والصرامة البالغة التى يواجه بها كل معارض، ويمنع بها كل حوار جاد، انفثأت وركعت وجثت أمام غانية اسمها نجوى كرم سخرت منا ومن ديننا ومن نبينا حين قالت على شاشة فضائية عربية أنها تربى كلبا تسميه دودى أما اسمه الحقيقى فهو: "محمد" كما نشرت مجلة المصور، وصدر القرار بمنع دخولها إلى مصر ومنع إذاعة أغانيها فى التليفزيون ، لكن تليفونا جاء من أحد صبيان زويمر فإذا بالأوامر تلغى والقاعات تفتح والأغانى تذاع..

الصرامة معنا فقط ..

الصرامة ضد الله وضد محمد صلى الله عليه وسلم وضدنا..

الصرامة معنا مع أعداء الله الانكفاء والانحناء والسجود..

اقتصرت فى وقت من الأوقات على قناة الجزيرة الفضائية، كنت أدرك أنها الأفضل ، لكننى فى ذات الوقت لم أغفل أن ظروف النشأة والاستمرار والإشراف والعلاقات لابد أن تدس فيها سما حتى ولو لم يدرك مذيعوها، كنت أدرك أن ثمة واحد على الأقل، مُعيّن من قبل السلطة العالمية العلمانية الكبرى يعاملنا كما نعامل فأرا ذكيا يتجنب الفخاخ الظاهرة والسموم الفائحة الرائحة فيدس لنا كل حين وآخر سُمّا لا ندرك أنه كان سما إلا ونحن نموت، بعد أن تفوت كل فرصة للنجاة ، كنت أدرك ذلك، وكنت أبحث عنه وأنا أسير كالبهلوان فوق حبلين مشدودين أحدهما

---

١ - صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٤/٢٣

الاحترام الحقيقى للمذيعين والمحاورين والثانى يقينى بأن السلطة العالمية العلمانية لا يمكـــن أن تترك تلك الفرصة دون أن تهتبلها، قلت لنفسى أحيانا أن طرح بعض القضـــايا انطلاقا من الحرية المطلقة قد يكون هدما لثوابت هى فى الواقع محاصرة ولو لم تكن محاصرة لما كان ثمة اعتراض على أى قدر من الحرية..

كنت أراقب وأتابع وأحلل ..

وعندما جلست مع ذلك الرجل من كوسوفا فنطقتها أمامه كوسوفو – كما ينطقها المذيعــون فى قناة الجزيرة – صرخ الرجل غاضبا: هكذا ينطقها الصرب وكونك تنطقها مثلهم فهذا يعنى أنك تتبنى وجهة نظرهم، من حق الخواجات أن ينطقوا باسم نبيــنا الكـــريم صـــلوات الله وسلامه عليه فيقولون: "**مخمد**" وليس: "**محمد**" لكن إذا نطقتها أنت مثلهم فأنت إذن تتبع وجهة نظرهم..

كتبت على هذه الصفحات ما قاله الرجل لى..

كنت واثقا أن الجميع سيغيرون نطقهم..

الـــبعض عـــن علـــم بعد جهل مثلى، والبعض عن اقتناع، والبعض كرد فعل للمجـــازر الوحشـــية التى يرتكبها الصرب، أما البعض الأخير الذى ما يزال ولاؤه ضد الإسلام أينما كان فإنهم هم الآخرون سينطقونها كوسوفا كى لا نكتشف أمرهم، لقـــد فضـــحت نوع الطعام الخدعة الذى يضعون السم للفأر فيه، سيتخلون عن هذا الطعـــم ويلجئون إلى طعم آخر، لكننى للمفاجأة وجدت أقل القليلين من فعلوا ذلك، وكانت قناة الجزيرة لا تكف أبدا: كوسوفو.. كوسوفو.. كوسوفو..

دفعتنى خيبة الأمل للرجوع إلى تليفزيوننا..

كنـــت أقترب اقتراب من امتلأ جسده بندبات الحروق من الجمر يحدوه الأمل أن زمـــن المهانـــة والدعارة بالكلمات قد ابتعد ولو قليلا، فيرده ألم كانت الكلمات تنسكب فيه علىّ كرصاص منصهر..

لـــم أكـــن قـــد شـــاهدت بـــرنامج رئيس التحرير أبدا رغم مديح الناس فيه وفى المسئول عنه..

وشاهدت جزءا من البرنامج..

كـــان يتـــناول أزمـــة كوســـوفا علـــى طـــريقة أولـــئك الجالسين فى فندق مـــن فـــنادق الـــنجوم الخمـــس يتـــناولون كمـــيات هائلة من الطعام ثم يشرعون فى مناقشة مشكلة الجوع !!..

كوسوفو.. كوسوفو.. كوسوفو..

لم يخطئ حمدى قنديل- الذى يعتبره الكثيرون وأنا منهم أفضل المذيعين فى التليفزيون المصرى- لم يخطئ مرة لينطقها كوسوفا..

أنهى حمدى قنديل البرنامج بمفاجأة صاعقة كأنما يصرخ فينا : يا حمقى لماذا تنظرون إلى الخارج ولديكم الدواهى والكوارث؟.. يا حمقى انكفئوا على أنفسكم فلديكم ما يكفيكم ؟.. فهل تعرف أيها القارئ ما هى الداهية الدهياء التى رأى حمدى قنديل أنها أولى باهتمامنا مما يحدث فى كوسوفا (وليس كوسوفو يا أفضل مذيعينا) هذه الداهية: هى أن ٢٠% من سائقى الأتوبيس فى القاهرة يتعاطون البانجو معرضين حياة ٢٠٠٠٠٠ راكب للخطر كل يوم وهو عدد يفوق ضحايا كوسوفا..

ثم صمت ذلك الصمت الرهيب الواثق أنه أفحم سامعه، وأن أحدا لن يجرؤ على الحديث عن كوسوفا بعد ذلك ..

بكت الكلمات فأنّت مشاعرى..

اشتعلت الكلمات فاشتعلت مشاعرى..

انفجر الصمت فانفجرت مشاعرى..

قعقعت عظامى قعقعة بناء خشبى قديم يوشك أن يتهدم ..

تكاثرت الأحمال الرزايا عليه فيوشك أن ينهار..

تعب البيت تعب القلب تعبت الكلمات..

رأيت التاريخ يسفح الدموع والهواء يصوّت والظلام يعوى والكلمات تنزف دما دما ..

ورأيت على شاشة التلفاز فى قنوات أخرى أشلاء أبناء كوسوفا والدم المتخثر والأعضاء المنزوعة والأشلاء المنتفخة.. ورأيت الدموع فى أعين الرجال والنساء والأطفال .. وكان ثمة عجوز ربما يتجاوز التسعين يمسك بيد طفل ربما دون التاسعة .. كانا هما الباقيان الوحيدان من عائلة كبيرة.. لكن الجلادين الصرب ذبحوا الأبناء والآباء والأمهات والأعمام والأخوال والإخوة.. لكنهم لم يذبحوا الأخوات بل اصطحبوهن معهم فلم يبق إلا هما .. استطاعا النجاة من المذبحة وكانا ينتحبان .. ينتحبان .. ينتحبان ..

رأيت عرش الرحمن يهتز فبكيت..

رأيت فتاة تخفى وجهها وهى تحكى كيف كان الاغتصاب وكيف تفكر فى الانتحار وقلت لنفسى أنه أولى بالعالم – لا بها – أن يخفى وجهه فالعار الذى جللها غصبا جلل العالم طواعية واختيارا ..

العار الذى جللها إجبارا جلل الآخرين انبهارا ..

فهل رأيت المشهد الدامى أيها القارئ ؟.

أنا رأيت ..

لقد حكيت لكم عن نحيب العجوز والصبى ..

لكننى سمعت ما هو أكثر ..

كان ثمة أناس على مدى البصر .. كانوا فى العراء وليس ثمة حتى خيام كانت الأرض زلقة يختلط فيها بياض الثلج بسواد الطين.. أدهشنى أن يجتمع الطين والثلج دون وجود أى شجيرة أو نبتة خضراء قد تسد رمق جائع..

كانوا يبكون ..

وددت لو كنت هناك .. وددت لو أن لى ألف عين ترى وألف أذن تسمع وألف قدم تجرى وألف يد تمتد بالمساعدة .. لم يكن مجرد منظر تعرضه شاشة تلفاز باردة .. كان بركانا ينفجر وعلى ضوء جحيمه أرى انهياراتنا وانسحاباتنا وهزائمنا وخيبتنا ..

فهل رأيتم ؟..

أنا رأيت..

فى الزحام والفوضى والفزع كان ثمة طفل ربما لا يتجاوز الثالثة.. كان ينظر فى ذهول صامت.. لم يكن يبكى.. بدا أنه عجوز فى السبعين.. بدت عليه ملامح الهم والفكر والعزوف.. بدا عليه أنه تعدى مرحلة الذعر إلى الاشمئزاز من بشاعة هذا العالم كما لو أنه سئم الحياة ولم يعد يريد منها المزيد.. وبالرغم من ذلك لم يكن يبكى.. كان الوحيد بين الحشد الهائل الذى لا يبكى..

تساءلت والقلب ينفطر :كيف يأكلون؟.. فصرخ صديقى: بل كيف يقضون حاجاتهم ؟!

رأيت شيخا وقورا يبكى ورأيت فيه أبى..

حــنّ الدم..

رأيت سيدة يتدفق الحزن من عينيها أنهارا لو وزعت على العالم لكفت وبقى..

كان وجهها كوجه أمى فهل رأيتم..

حنّ الدم..

هل كان وجهها وجه أمهاتكم ؟..

هل اشتعل لهيب الحنان فى قلوبكم؟..

رأيت رجلا فى السبعين أو الثمانين أو التسعين.. كان يمسك بيد أمه.. كانت هيكلا فى حجم طفل.. كنت مندهشا لحجم التجاعيد فى وجهها.. تساءلت كيف يمكن أن يتسع وجه لكل هذه الأخاديد؟.. كان ابنها يبكى وينتحب.. ابنها العجوز.. توقعت العكس.. أن تبكى هى وأن يكفكف هو دموعها.. لم تكفكف دموعه.. لم تواسه.. بدا أن عمرها لا يقل عن مائة وعشرين عاما.. حضرت المأساة منذ البداية.. عاشت مئات المذابح.. أنهت كل مخزونها من ملامح التعبير عن الألم.. تجمد وجهها على الألم.. لم يعد ثمة ما تعبر به.. كان ابنها بالنسبة لها طفلا لم ير ما رأت.. لو سلم من الذبح فسوف يرى.. رحت أتأمل ملامح الجدة العجوز.. ذلك الألم المتجسد المتجمد: كانت تضاريس وجهها تشبه الأرض الشراقى.. وقلت لنفسى من المؤكد أن دموعها لم تكف عن التهاطل أبدا.. لكنها تتسرب من مجرى سرى إلى الوجه الشراقى ذى الأخاديد الهائلة.. فيتشرب كل الدموع فلا يبدو لها أثر أبدا أبدا ..

عادت الكاميرا إلى الشيخ والطفل ..

كانا ما يزالان يبكيان فهل رأيتم ؟..

أنا رأيت..

رأيت كهولا كان يبدو عليهم أنهم كانوا قبل ذلك مرفهين جدا لكن ملابسهم الفارهة كانت ممزقة.. لم أر شبابا.. قال المذيع أنهم احتجزوا الشباب من النوعين: الذكور للقتل والإناث للاغتصاب.. فهل رأيتم ؟! ..

أنا رأيت..

رأيت طابورا طويلا يسير على شريط قطار.. وثمة سيدة مسنة لا تقوى على الخطو فيحملها – تقريبا – رغم بدانتها رجلان.. وكانت تجرجر خطواتها.. وكانا هما الآخران يجرجران.. تساءلت فى ذهول : كيف يكملون فى طريق الآلام مائة ميل وهم على هذا الحال..

رأيت فتاة ربما كانت في التاسعة.. كانت تبكى بحرقة وجسدها الغض يهتز.. يا فلذة قلب أبيك يا مهجة روح أمك.. أولى بك أن تبكى ضياع لعبة لكنك تبكين ضياع وطن.. تبكين أيضا ضياعنا.. رأيت السؤال فى عينيها: أين الوطن وأين القوم وأين مليارا وربع مليار مسلم؟..

فهل سمعتم سؤالها وهل رأيتم؟..

أنا رأيت..

اى شئ هائل وددت ان أكون لأمتص الألم أخففه ..

لأداوى النزيف وأوقفه ..

لأمس بيدى على الجروح فتندمل.. وعلى الكسور فتلتئم.. وعلى الألم فيتلاشى.. أن أمد يدى لأزيل بها عن المفزوعين الفزع.. وعن المكروبين الكرب.. وعن المعذبين العذاب.. أن يمنحنى الله القدرة لأحيى الموتى فأعيد للأرملة زوجها وللثاكلة ابنها وللطيم أبويه..

لكننى كنت جالسا فى مقعدى عاجزا أرقبهم .. كانوا جائعين عراة .. وسط الثلوج .. وقال المذيع أن الشرطة المقدونية طردت خمسين ألفا فتاهوا ولم يستدل على مكانهم .. أين ذهبوا ؟.. أين تشردوا ؟!.. أين ضاعوا ؟! .. عضو فى مجلس الشعب عن الحزب الوطنى طالب باستضافتهم أسوة بإسرائيل .. لم يخطر بباله أى نوع آخر من الغضب أو العون .. لم يفكر فى تقديم استجواب ولا فى طلب إحاطة ولا فى الدعوة لمساعدة .. لم يفكر حتى فى أن يطالب من الحكومة سحب قرارها الوحشى بمنع النقابات والهيئات الشعبية من جمع التبرعات .. كان ذلك القرار قد صدر فى أيام سود كتلك عندما كان يحدث لأهل البوسنة والهرسك ما يحدث الآن لشعب كوسوف .. ا وجزعت الحكومة العاجزة من تدافع الشعب على النقابات فهدمت النقابات واستولت على المبالغ وادعت أنها سترسلها هى للبوسنة .. لم ترسلها .. وأصدرت قانونا يسجن من يدعو إلى جمع التبرعات أعواما عديدة .. لم يصرخ عضو مجلس شعبنا أن قانونا مثل ذلك لم يصدر ولا حتى فى إسرائيل .. لم يخطر بباله أن يسأل نفسه لماذا المسلمون وحدهم يهانون ؟.. لقد أشعلت إسرائيل الحرب واحتلت عاصمة عربية من أجل يهودى جرح فى لندن .. واحتلت بريطانيا مصر وفرنسا تونس من أجل أشياء أقل ..

لم يفعل عضو مجلس الشعب أيا من ذلك لكنه كان على أى حال أفضل من عربى آخر طالب بأن يتزوج العرب ممن ترملن .. نوع جديد من الجهاد يجاهد العربى فيه بخصيتيه ..

كانت مذيعة تتحدث عن قافلة من المعذبين المطاردين المفزعين قصفتهم طائرات الناتو وكان الناتو يتهم الجزار ميلوسيفتش بأنه هو الذى ارتكب المجزرة.. فيرد لهم الجزار الاتهام فيعترف الناتو ويعتذر للخطأ..

كانت المسألة بالنسبة لهم أهون من تبادل الاتهام تذكرت الكتاب الدامى :التنكيل بالعراق[1] كان الطيار الأمريكى يحكى وهو لا يكف عن الضحك كيف كان يصطاد العراقيين من طائرة الأباتشى الرهيبة .. كان لا يكف عن الضحك وهو يصف كيف كان الآلاف يسقطون موتى كالحشرات والصراصير.. تذكرت زميله وهو يكتب على الصاروخ الموجه لقتل إخوتنا فى العراق: "نادوا محمدكم فإن لم يستجب لكم نادوا على المسيح".. هل كان هذا الطيار هناك؟ .. هل رأى ذلك الطابور العارى الجائع المعذب المذعور فأراد أن يضحك قليلا حين يراهم يتساقطون كالصراصير فقصفهم بصاروخ ليسقط ثمانين منهم.. ثمانون عجوز وطفل.. منهكين كانوا وجائعين عراة.. هل التقط لهم صورة وهم يتساقطون كى يستعيد الذكريات الضاحكة مع عشيقته حين يعود إلى الوطن ؟! هل كان هو ؟.. أم كان ضابطا صربيا تقرب بقتلهم إلى آلهته علهم يمنحونه ترقية أو علاوة ؟.. كم كان سعر الرأس المجذوذ وكم كان سعر لتر الدم المتخثر ؟.. هل قطع الجلاد آذانهم كى لا يغالطه سادته الحساب ؟..

لم يهمنى من الذى ارتكب المجزرة.. فليس يهم الضحية من ذبحها إذا ذُبحت..

راحت الشاشة تعرض ..

فهل رأيتم ؟ ..

أنا رأيت ..

رأيت طفلا ميتا فى فمه نصف قطعة من البسكويت وفى يده النصف الآخر..

---

١ – مرجع سابق.

رأيت عجوزا أتعجب كيف كان يستطيع السير.. لكنه حاول أن يتسلق شجرة تأويه فأصابته شظية فتكوم بجوار الشجرة وحوله تجمعت بركة هائلة من الدم المتخثر ..

هل رأيتم الدم المتخثر؟ ..

أنا رأيت..

رأيت أيضا رؤوسا بلا اجساد وأجسادا بلا رؤوس.. فهل رأيتم؟..

رأيت طفلة بالغة الجمال لا يبدو بها خدش.. كانت تحتضن دمية على شكل عروس.. يبدو أن النار أصابت الدمية فاحترق نصفها.. ويبدو أن الدمية كانت من البلاستيك الرخيص.. فقد شوهتها النار تشويها مرعبا.. ذكرتنى التجاعيد فى الدمية المحترقة بوجه الجدة العجوز ذى الأخاديد..

تقترب الكاميرا..

يا رب السماوات والأرض ..

يا عرش الله المهتز بالغضب ..

لم يكن الأمر كما تخيلت..

بل العكس..

لقد كانت الدمية هى التى سلمت وكانت الطفلة هى التى احترقت.. كان وجهها هو الذى تغضن ذلك التغضن الرهيب بفعل النار صار كالبلاستك الرخيص المحترق..

فهل رأيتم لحما بشريا كالبلاستك الرخيص المحترق؟..

أنا رأيت..

رأيت امرأة تفاجئها آلام المخاض فى طابور العذاب والرعب والألم رأيت وليدها فور وصوله إلى هذا العالم فهممت أن أصرخ فيه: ارجع.. الوحش الأمريكى المفترس يرقبك من طائرته وسوف يسعده أن يضم صورتك الميتة المسحوقة كصرصار إلى الألبوم الذى سيهديه لعشيقته فارجع..

الوحش الصربى سيقتلك ويقطع أذنيك كى لا يغالطوه فى الحساب فارجع..

ارجع..

ارجع..

أنا رأيت فهل رأيتم ؟..

هل رأيتم أيضا آثار مذبحة بعد أسبوع من حدوثها.. كان الابن قد هرب إلى الغابات القريبة أثناء المذبحة وظل هاربا لأسبوع كامل .. ظل طيلته يسمع طلقات الرصاص.. ثم عاد خلسة ليصور أسرته التى لم يبق فيها حى.. كانوا مكومين على الأرض مبعثرين بعد أن حاول كل منهم الفرار فى اتجاه مختلف وزخات الرصاص تخترق ظهورهم.. كانت العظام المهشمة بالرصاص قد جعلتهم يتخذون أوضاعا غريبة.. فمن انطواء لا يتصور إلى انفراج لا يتوقع.. وكان الابن يصورهم خلسة كى يحمل لنفسه ذكرى وللعالم إدانة..

كانت الصور تظهر أيضا عيونا مفقوءة وأفواها مفغورة وأطرافا منزوعة وعظاما مسحوقة وجلودا مسلوخة وأشلاء متناثرة..

كانت جميع الجثث منتفخة بشكل فظيع.. ولم يكن لدى الابن أى وقت ليدفن أى جثة.. وما من أحد فكر فى ذلك ولا حتى ذلك العربى الذى طلب زوجات تلك الجثث ليجاهد فيهن.. كان المذيع يعتذر عن الصور وكان يقول أن عملية دبلجة تمت كى تمنع عن المشاهدين المناظر الأكثر بشاعة.. عادت الكاميرا إلى الحشد الباكى والطفل المذهول.. ذكرنى صوتهم بصوت همهمة الحجيج ببكة.

سألت نفسى أى الهمهمتين ستصعد إلى السماء وتقبل.. وسألت نفسى إن كان الله سيغفر للحجاج وقد ذهبوا للحج ووراءهم ذلك يحدث وحرمة دم واحد فقط من هؤلاء أكبر عند الله من حرمة الكعبة..

وسألت نفسى إذا كان الله سيغفر لى ..

أو إن كان سيغفر لكم أنتم أيها القراء.. حين تُسأل تلك الجثث المتناثرة بأى ذنب قتلت.. حين تُسأل فلا يكون عليها أن تجيب سيكون علينا نحن أن نجيب .. فبم نجيب رحت أحدق فى الجمع أكاد أرى رأى العين شكاته للسماء تعلو ثم تعود لتتصبّ لعنات علينا..

فهل رأيتم وسمعتم؟.. أنا رأيت وسمعت ..

رحت أحدق فيهم.. هل كانوا مائة ألف ؟.. هل كانوا مليونا ؟..هل كانوا مليارا ؟؟.. لا أدرى.. شغلنى صوت نحيبهم.. كانوا جميعا يبكون فى ملحمة هائلة مروعة جعلتنى أستدعى كل آيات العذاب وأستعجل يوم القيامة..

كان ثمة شعب يبكى..

أمة تبكى..

ومـــن لـــم يـــبك الـــيوم – مـــثلك أيهـــا القـــارئ – فسوف يبكى غدا عندما يواجهـــه ذات المصـــير.. أو عـــندما يســـأل يـــوم الفـــزع الأكبر عما فعله لعون اخوته..

عادت الكاميرا إلى الشيخ والصبى وكانا مازالا يبكيان..

هـــل كان هذا الصبى جدى فى القدس منذ تسعمائة عام [1]– بالتمام والكمال – عـــند احـــتلالها ؟.. أكان هو الذى نجى من المذبحة أم أنه حفيدى الذى لن ينجو من المذبحة فى مصر بعد مائة عام ؟..

هل كان ذلك أم التبست الرؤية على فذلك قد حدث فى الأندلس[2]؟..

أم أنه كان فى معرة النعمان أم عكا أم صور أم الخليل أم غرناطة أم الخرطوم أم طلـــيطلة أم دمـــياط عندما غزاها الصليبيون فاغتصبوا ألف ومائتى امرأة ٤٠٠ مســـلمة و ٨٠٠ مســـيحية.. أم ستيف فى الجزائر أم دنشواى أم وهران أم تعز أم صعدة أم ميسلون أم بور سعيد أم.. أم.. أم..

كل المذابح كانت ترتكب فى بلادنا.. فلما استطاع العثمانيون نقل بعضها إلى بلادهـــم إذا بفـــؤاد زكريا يدمغهم بالوحشية والهمجية.. كانت حربا دفاعية يا فؤاد زكـــريا الـــذى هاجم فى ضراوة الأسود وحشية العثمانيين منذ ستمائة عام لكننا لم نسمع له تعليقا عن خمسة وستين ألف أسير ذبحهم اليهود أو دفنوهم أحياء فى سيناء مـــنذ ثلاثيـــن عاما.. كانوا يقفون على رؤوسهم وصدورهم بأحذيتهم الضخمة فمن تـــأوه أطلقـــوا علـــيه الرصاص .. كانوا يرغمونهم على حفر قبورهم بأيديهم .. خمســـــة وســـتون ألفـــا يا إبراهيم سعدة ليس فى موتهم شك ولا فى ذبحهم شك ولا فى الجناة شك فقد اعترفوا بأنفسهم.. خمسة وستون ألفا يا إبراهيم سعدة كما هو وارد فى تقرير رسمى للخارجية المصرية نشرته الأهرام العربى فلماذا لم تستأذن آلهتك كى تكتب عنهم ولو ذرا للرماد فى عيوننا..

لـــيس حسنا بل فظيعا أنك تتجاهل مذابح المسلمين فى شتى أنحاء العالم فأنت تـــرى أنـــك وآلهتك أرقى من أن يجمعك بأحد دين أو قومية ليس حسنا بل فظيعا أن الــــ ٦٥٠٠٠ مصـــريون ومن نسل الفراعنة وليس العرب أو المسلمين فلماذا لم تكتب عنهم ..؟..

البانجو يا حمدى قنديل .. ؟! ..

كوسوفو يا جزيرة .. ؟؟!! ..

---

١ – ذكرى سقوط القدس فى براثن الصليبيين: ١٠٩٩م.

٢ –الأندلس: الدرس والتاريخ.ا.د. فتحى محمد أبو عيانة. دار المعرفة الجامعية.

النعوش الطائرة يا إبراهيم سعدة ؟؟!! ..

نجوى كرم يا أحفاد من أهدوا رأس نبى لبغى .. ؟؟!! ..

وكل هذا التاريخ الذى كان ماضيا بالنسبة للدولة الإسلامية الكبرى والذى هو الآن حاضر كوسوفا هو هو مستقبلنا..

سنظل سادرين فى الغى حتى تلحق بنا القوارع..

وسوف يكون هناك عندئذ - يوم ذبح حفيدى واصطحاب حفيدتى - فى طرف من أطراف العالم من ما يزال ينطق محمدا مخمدا ويقول عن مصر إيجبت ويتساءل فى دهشة متعالية تعالى النجوم الخمس وما شأننا بملايين الإيجبتيين يقتلون ويذبحون ويشردون ولدينا ٢٠% من السائقين يشربون الخمر ويعرضون مواطنينا للخطر.. يا حمقى..!!

***

إننى لا أقول كل ذلك للقارئ كى أريح نفسى بالبكاء بين يديه..

لكننى أقوله لأبين كيف يزيف وعينا عن قضية نعاصرها ونعيشها وليس عن قضية مرت عليها مئات الأعوام.. عما نراه وليس عما لم نعد نراه..

أقوله لأصرخ فيكم أن نداء حمدى قنديل الوقور "الشيك" استمرار لكارثة الانكفاء والتغريب .. كذلك الآخرون جميعا..

وهو انكفاء لن ينجينا..

هذه أمتكم أمة واحدة..

قانون إلهى..

معادلة عبقرية سهلة وشديدة التعقيد فى آن..

قاتلوا الذين كفروا كافة كما يقاتلونكم كافة..

معادلة إلهية أخرى شديدة العبقرية والبساطة والتعقيد..

سوف تتحطم كل النظم وسوف تنهار كل السياسات وسوف تنسد كل السبل وسوف تفشل كل الخطط مادمنا نتنكب تلك المعادلات الإلهية..

وإننى أوجه نظرك أيها القارئ الآن فى عجالة - مع وعد بالعودة تفصيلا- إلى ما حدث منذ مائة عام أو يزيد عندما سرب الغرب وكلاءه فينا لإعلاء شأن القومية على حساب الجامعة الإسلامية.. كانوا يتبعون نفس الطريقة التى علمها زويمر لصبيانه ودنلوب لتلاميذه.. كانوا يتحدثون

بمنتهى التأفف والاشمئزاز من أولئك المتخلفين الذين يعتمدون الدين أساسا للاتحاد والمواطنة.. كانوا يتحدثون بكبرياء وعنجهية وغرور و"شياكة".. ولم يكونوا يهتمون بالرد على معارضيهم.. وخلف ستار الكبرياء الزائف تجنبوا نشر حجج المعارضين.. فهم يعرفون أن حججهم أقوى.. نفس ما يحدث اليوم في قضايانا.. هل تظنون مثلا أن إبراهيم سعدة يستجيب للتحدى ليعلق على تقرير الخارجية المصرية الذى كذبه فى موضوع النعوش الطائرة التى ملأ الدنيا زئيرا وعويلا عليها.. أو أن يكتب عن أسرانا المذبوحين ..

لقد وقع أهل كوسوفا فى الفخ وهاهم أولئك الآن تحت وطأة المذبحة.. ولقد وقعنا في نفس الفخ ولن نكون أفضل مآلا..

فى نفس الوقت الذى انفجرت دعاوى القومية في البلقان فيه كانت تنفجر فى أرجاء عالمنا العربى..[1] تركيا دولة احتلال فاستقلوا.. أنتم الأصل وأنتم الأعرق.. بريطانيا العظمى تؤيدنا وفرنسا أيضا.. نقع فى الفخ.. نحارب جيش الدولة الأم مع بريطانيا.. تنهزم الدولة الأم.. تتفتت الدولة الأم.. هيا يا غرب أنجز وعدك.. فإذا به يأتى ليحتل أرضنا ويرمل نساءنا وييتم أطفالنا وينزح ثرواتنا وينزع كرامتنا القومية.. تخلف ما دفعكم إليها سوى عقل مريض.. لدغتم.. ثم ما لبث العرب حتى راح يعبث فى عقولكم مرة أخرى: ما الذى يربط المصرى ذا الحضارة الموغلة فى التاريخ أكثر من سبعة آلاف عام ببدوى جاهل؟.. لكنهم فى الطرف الآخر كانوا يقولون لهم: ما علاقة العرب بالفراعنة..؟.. إن المصريين كالأتراك يريدون احتلال بلادكم.. شحاذون طامعون فى ثرواتكم.. دعوا القومية إلى القطرية.. مصر أولا ومصر أخيرا.. مصر قبل الجميع.. سوريا قبل الجميع.. العراق قبل الجميع الحجاز قبل الجميع.. الكويت قبل الجميع.. فلما اندفعنا إلى القطرية اكتملت الدائرة لنعود من حيث بدأنا لكن

---

١ - النزعات الكيانية. مرجع سابق- جذور الحركة الإسلامية فى تركيا. مصطفى اوغلو. الزهراء للإعلام العربى- صفحات من الماضى القريب. أبو خلدون ساطع الحصرى. مركز دراسات الوحدة العربية - العرب والأتراك . الدكتور سيار الجمل. مركز دراسات الوحدة العربية- التكوين التاريخى للأمة العربية. الدكتور عبد العزيز الدورى. مركز دراسات الوحدة العربية- النزاعات الأهلية العربية. د. محمد جابر الأنصارى وآخرين. مركز دراسات الوحدة العربية- العلاقات العربية التركية. حوار مستقبلى. مركز دراسات الوحدة العربية .

لصالحهم هذه المرة.. فإذا بهم يثيرون الفتن الطائفية لتبرز دعاوى تقسيم الأقطار على أساس دينى .. السودان مهدد ومصر مهددة والمغرب مهدد ولإسرائيل مطالب دينية فى المدينة.. التقسيم على أساس دينى.. الأساس الذى حرضونا على الدولة العثمانية من أجله!!..

***

كنت قد وعدتك أيها القارئ أن أتلو عليك ما قاله جمال عبد الناصر وعبد الرحمن باشا عزام عن الدولة العثمانية..

لكنهما – وأنت أيضا – تستطيعون الانتظار..

أما العجوز فوق التسعين والصبى دون التاسعة وطفل الأعوام الثلاثة والجدة ذات الأخاديد والصبية الباكية والطفل الوليد والدمية التى لم تحترق والجمع الباكى والتائهون المشردون الجياع العراة فلم يكونوا يستطيعون الانتظار..

هل تظن أيها القارئ أننى كنت قاسيا عليك فى الصورة الدامية المظلمة التى طرحتها بين يديك ؟!..

لا ..

فكل الذى طرحته عليك كان الوجه المضيء للصورة !!..

طرحت عليك حكايات الذين نجوا..

أما الذين ماتوا وتفاصيل موتهم فالله أعلم بهم..

لكن ذلك هو الجانب الدامى والأسود حقا وليس ما طرحت عليك..

***

تبقى كلمة أخيرة لصبيان زويمر وتلاميذ دنلوب..

كلاب للأعاجم هم ولكن.. على أبناء جلدتهم أسود..

كيف نسينا التاريخ[1] ؟!

هاتوا أشد المعارضين لنظام الحكم فى مصر..

هاتوا حتى أولئك الذين يكفّرون النظام والمجتمع.. إن وجدوا حقا ولم يكن المنشور عنهم مجرد حديث إفك من ابتداعات جهاز أمن اخترقه الأعداء منذ زمان طويل..

هاتوا أولئك الذين يرون فى النظام شرا كليا لا خير فيه وسوادا حالكا لا أمل يرتجى منه وفسادا كاملا لا إصلاح له إلا ببتره..

هاتوا حتى أولئك المستعدين للموت من أجل إسقاط نظام الحكم..

هاتوهم واسألوهم إن كانوا يوافقون على هدم الدولة وتقسيم مصر؟!..

تراهم يوافقون على فصل الإسكندرية أو أسوان أو الوادى الجديد عن حكم القاهرة..

أم أنهم على العكس - مستعدون للموت دفاعا عن وحدة أراضى الدولة مهما كان رأيهم فى نظام الحكم ومهما كانت مظالمه ومساوئه !!!..

حتى أنت أيها القارئ : ألست مستعدا للاستشهاد إن تهددت وحدة البلاد خطر؟!

ذلك أمر بديهى..

فإن رأيت من يقول بغيره مناديا بالحرية والاستقلال عن طغيان القاهرة وفساد دولاب الحكم بها فهل يراودك شك أنه خائن وعميل بلغ من الخيانة والعمالة ما لم يبلغه سواه.. فحتى فى الشرار خيار..أما مثل هذا الخائن فمن شرار الشرار..

كان الطبيعى إذن أن تظل ذكرى انهيار الدولة الإسلامية الكبرى نزيفا داميا فى أعماقنا ووعينا وذاكرتنا لأنه لو ظل كذلك لكان هو دافعنا إلى العودة للوحدة تحت ظلال الدولة الإسلامية الواحدة..

كان ذلك هو الطبيعى فكيف حدث العكس ؟ ولماذا ؟ ومتى؟ ..

وكيف أن هذا العكس حين حدث لم يحدث على مستوى أفراد يمكن حصارهم وعزلهم كما يعزل الجسد الصديد بل أصاب الجسد كسرطان

---

١ - صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٤/٣٠

انتشر فيه كله.. ولم يكن رد الفعل إزاء انتشار ذلك السرطان حزنا وجزعا وخوفا من الموت بل تيها وفخارا وفرحا واعتقادا بالغ الحماقة بأن الحياة الحقيقية بدأت..

إلا أننا يجب أن نؤكد هنا أن هذا الشعور العكسى لم يكن هو شعور الأمة حين حدوث الانهيار ولا قُبَيْله .. بل كانت فجيعة الأمة هائلة وكان حزنها فاجعا.. لما ارتد الجيش العثماني منهزما أمام جيوش الحلفاء في الشام كان العرب يضعون الطعام في أوعيته على أبواب بيوتهم ليتيحوا لإخوانهم المنهزمين وجبة ترد عليهم العافية وهم ينظرون إليهم من خصاص النوافذ آسفين محزونين .. بل لقد تطوع كثيرون من العرب - مصريين وشوام ومغاربة وعراقيين ومن شبه الجزيرة العربية- للدفاع عن الأناضول التركي عشية انتهاء الحرب ووقوع وتركيا فريسة الاحتلال .. كانت الأمة تدرك أن بلاد الإسلام واحدة، والدفاع عن دار الإسلام فرض عين .. حتى رجال الجيش الرسميون في البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية قاتلوا إلى جانب إخوانهم في الدين ولم يضعوا في حسابهم أن ينفذ فيهم حكم الإعدام رميا بالرصاص ساعة القبض عليهم واتهامهم بالخيانة .. لقد انضم رجال خفر السواحل المصريين إلى قوات الجيش الرابع التركي مع غيرهم من المتطوعين من باقي الأسلحة وإلى قوات السنوسيين في هجومهم على الجيش البريطاني من الغرب .. حدث ذلك وهناك سردار إنجليزي للجيش المصري والضباط الإنجليز يسيطرون على جميع القوات المسلحة وقصر الدوبارة يحكم مصر، والأحكام العرفية معلنة وكل شيء على أرض مصر مواصلات وأموال وغلال وغيرها مسخر للحرب، سخره البريطانيون المحتلون ضد الترك..

حدث هذا أثناء الكارثة.. لكن بضعة عقود لم تكد تمر حتى أمكن محو ذاكرة الأمة وتغيير توجهها من وضع لطمت الخدود وشقت الجيوب عليه إلى وضع اعتبرت فيه انهيار دولتها الكبرى وهزيمتها الشاملة أعظم انتصاراتها عبر القرون .

نفس الطريقة والمنهج التى تعتبر الآن استسلامنا لإسرائيل سلاما وهزيمتنا أمامها انتصارا.. نفس الطريقة.. وبنفس الطريقة فقدت الأمة ذاكرتها ونزفت وعيها كله.. فكيف يمكن لأمة أن تفقد الذاكرة والوعى ؟!..

كيف أمكن إجراء غسيل مخ لأمة ؟!..

كيف استطاعوا.. وكيف ابتلعنا الطعم ؟؟..

يجمح بى الخيال فأرى بعينه امرأة فاجرة تترك زوجها وأبناءها لا لكى تهرب إلى عشيق يحبها- ودعك الآن من الحرام بل إلى سيد يستعبدها ويسومها سوء العذاب فلا تملك تقربا من مولاها إلا أن تكيل التهم تلو التهم لعلاقتها الشرعية السابقة مفضلة عليها حياة العبودية والعار.. امرأة تلعن وتكفر بأعوام عزها الحافلة بالمسئوليات الجسام التى كانت تبنى فيها أسرتها وتحميها إلى عبدة ليست حتى جارية فراش وإن لم يخل الأمر أحيانا من تأجيرها للغير ليقبض مولاها الثمن- عبدة تُساط كل مساء وتفضح كل صباح وتعامل أسوأ مما تعامل الحيوانات بل ولا مانع فى أحيان كثيرة من بتر عضو منها لزراعته لأحد أبناء مولاها الجديد الذى لا تكف عن عبادته والإيمان به ذلك الإيمان الوثنى الذى لا يعرف الشك وتخاف منه أكثر بكثير جدا من خوفها من الله ..

***

يصرخ الدكتور "**محمد حرب**" رئيس المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى[١]: " معاداة العثمانيين قضية يحمل لواءها فى البلدان العربية وغير العربية أصحاب المذاهب المعادية للإسلام، والسبب إسلامية الدولة العثمانية" .. ثم يورد قول الأستاذ الدكتور "**نهاد جيتين**" رئيس قسم اللغة العربية بجامعة استنبول : "إذا كانت أوروبا وإيران وروسيا والدول الاشتراكية تعادى العثمانيين لأنهم عملوا على إعلاء كلمة الله ونشر الحضارة الإسلامية، فالمثير للعجب أن تعادى بعض البلاد الإسلامية العثمانيين" ..

يكتب الدكتور محمد حرب – أو ينزف بخط اليد لا بحروف المطبعة على غلاف كتابه الهام : العثمانيون فى التاريخ والحضارة :

"العثمانيون :مساحة مباركة فى زمن المسلمين، وجزء رحب فى حضارة البشر ، اتسموا بالسمو فى تاريخ العالم ، جاهدوا واجتهدوا أصابوا كثيرا ولهم أخطاؤهم ، لكنهم أضافوا للإنسانية فخرا وللمسلمين عزة فلم كل هذه المعاداة للعثمانيين فى بلاد المسلمين ؟!!" ..

لم تختر حكومتنا السنية مثل هذا الكتاب ليدرسه التلاميذ فى المدارس .. حكومتنا التى قررت أن تغير مناهج التاريخ.. ولم تجد من تكلفه بهذه المهمة الجليلة سوى عبد العظيم رمضان..!!..

لم تختر حكومتنا السنية أيضا كتابا مثل "**المسألة الشرقية**" .. الذى يصرخ فيه محمود الشاذلى : " إن الذي حفظ لديار العرب عروبتها

---

١ – مرجع سابق.

وأرومـــتها هـــم العثمانـــيون ولـــيس أحـــد غيرهم.. ففى الأربعة قرون الماضية كانـــت الـــبلاد التـــي فـــتحها الأتراك هي التي بقيت عربية العرق واللسان عربية الهويـــة والـــثقافة. ولـــولا الأتـــراك لانمحـــى هـــذا الوجود نفسه أو على أحسن الفروض دُنِّس وهجن وسرق لسانه وفقد ذاته .

ويواصل محمود الشاذلى فى كتابه القيم (المسألة الشرقية)[1] :

لقـــد اقـــترن الفـــتح العثماني لبلاد العرب بحركة الكشوف الأوربية والسيادة البرتغالـــية والأسبانية في البحار، والاستعمار المتحفز للانقضاض لما وراء البحار اقـــترن بالبعـــث العرقي الغربي والنعرة القومية المتنمرة للاستعلاء وإذابة غيرها والقضـــاء على الأجناس والشعوب.. ولولا الأتراك الأقوياء لكنا أثرا بعد عين كما فعـــل الأســـبان بـــالأندلس أو علـــى أحسن الفروض لكنا كبقايا الهنود الحمر في الأمريكتيـــن، نســـتخدم للتسلية واللهو، نرقص وعلى رءوسنا ريش التعريف نزين حفلات الفلكلور!.. فالذين اكتشفوا الأمريكتين وكانوا طلائع غزوها، ويشكلون الآن كل سكان أمريكا اللاتينية هم أنفسهم الذين جاءوا لاكتشاف بلادنا وهم أنفسهم الذين صـــفوا الوجـــود العربـــي فـــي الأندلس.. والجنود العثمانيون وجهادهم الإسلامى بمدافعهـــم القويـــة وأســـاطيلهم الفتية هم الذين أبقونا في ديارنا عربا يوم طاردوا الصليبيين الذين ثملوا بانتصارهم فى الأندلس انتصارهم الاستئصالى الذى قتلوا فيه أو نصّروا ملايين المسلمين، انتصارهم الاستئصالى الذى لم يكن يقبل بجوار مسلم، وكـــان مـــن الطبيعى فى فورة النشوة والحماس أن يندفعوا كالطوفان لمهمتهم التى نـــذروا لهـــا حياتهم: ألا وهى القضاء على المسلمين والعرب القضاء المبرم الذى لـــم يكن ليدع لو نجحوا – عربيا ولا مسلما ولقد كانوا قادرين على ذلك فلم يكن فـــى العـــالم العربى كله من يستطيع صدهم ، لكن العثمانيين جاءوا.. وصدوا عنا الغـــزاة وكـــانوا خط الدفاع الأول حين تألبت علينا قوى البغي والعدوان لتزحزحنا عـــن مكانـــنا فـــي التاريخ .. والقول بأن ذلك ما كان ليحدث لأن الأوربيين حين استعمرونا بعد ذلك بقرون تركونا كما كنا بعد أن سلموا مفاتيح القلعة لعملائهم في بلادنا هو قول مردود ذلك أن الفتح العثماني – نعم الفتح العثماني – قد عطل الغزو الأوربي أربعة قرون، وأساليب الاستعمار الأوروبى القومي الاستيطاني في القرون الخوالـــي غـــيرها فـــي منتصـــف القرن التاسع عشر أو القرن العشرين، أساليب الاســـتعمار فـــي منتصف القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر غيرها بالقطع في منتصف القرن التاسع عشر أو القرن العشرين القريب".

***

١ – مرجع سابق ، وهو مرجع رئيسى فيما يرد فى هذا الكتاب عن الدولة العثمانية

سوف ندعم حديث الأستاذ محمود الشاذلي بمقال منشور للدكتور محمد صادق صبور، عما حدث للمواطنين الأصليين في أمريكا الوسطى عام ١٥٢١ والذي كان يمكن أن يحدث لنا بحذافيره لولا أن قيض الله للمسلمين دولة واحدة محورية للمسلمين تدافع عنهم، والمقال منشور في العدد الثالث من مجلة : "الكتب وجهات نظر وهي مجلة - رغم تميزها - فلا يمكن اتهامها بالعداء للغرب- : بعد نزول البحارة إلى الأرض سنوا سيوفهم وأشبعوا الأهالي ذبحا وتقتيلا وبقروا البطون والنساء الحوامل وشجعوا كلابهم على نهش أجسادهم، ولم يأت عام ١٥٥٠ إلا وكان أهالي البلاد الأصليون قد هلكوا جميعا من وحشية الأوربيين ومن الأوبئة التي جلبوها معهم من أوروبا. تكرر هذا المشهد البشع في بورتريكو وفي كوبا، وبحلول عام ١٦٣٠ لم يتبق من الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية والوسطى سوى ٧% ممن كانوا هناك عام ١٥٢٤ (..) السير جيفري أمهريست قائد الجيش البريطاني في أمريكا الشمالية أمر عام ١٧٦٣ بأن ترسل البطاطين وملاءات الأسرة المحملة بالجدري إلى من تبقى من الهنود الحمر لتعجل بفنائهم، بثور الجدري أرسلت في علب من القصدير من مونتريال "..

***

إن القارئ ليس في حاجة إلى مراجع كي يدرك كم تبقى من الهنود الحمر اليوم وكم كان يمكن أن يتبقى منا لو لم تكن الدولة العثمانية قد واجهت الغرب وردت عنا هجمته..

تلاميذ زويمر، الخونة، صبيان المبشرين، يتحدثون عن الاستعمار التركي، ولم يسأل أحدهم نفسه : ترى هل كان العرب حقا يحكمون أنفسهم بأنفسهم يوم جاءهم الغزو التركي الفظيع ؟! .. (لاحظ هنا أيها القارئ واشهد أن الشواذ أشباه الرجال الذين احتفلوا بالغزو الفرنسي هم بأنفسهم الذين يكرسون تشويه الدولة الإسلامية الواحدة ويصبون لعناتهم على الدولة العثمانية) ..

هل كان العرب يحكمون العالم الإسلامي؟..

والإجابة التي يتجاهلها عمدا صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب هي أن مصر والشام والحجاز كان يحكمها المماليك قيادة وجيشا وولاة وسناجق وفي العراق نفسها بقايا أمراء الأجناد من سلالة بن بوية أو الزنج أو القرامطة. وأما المغرب العربي فلم يكن هناك شيء يقال له حكم عربي بعد انتهاء عصر الموحدين والمرابطين إلا إذا اعتبرنا حكومة أمير بني حفص في تونس تحت السيادة الأسبانية، حكومة عربية مستقلة ضرب العثمانيون استقلالها المهيب !! ..

يشـــهد "مـــورد بـــيرجر" فـــي كتابه[1]: "إن وحدة العالم العربي قد تحطمت في القرن التاسع والحكم العثماني فرض مقدارا عظيما من الوحدة ابتداء من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر .

كـــان العـــرب قد فقدوا قيادة الأمة الإسلامية منذ استنام خليفة بغداد في قصر " الدجلة " في أواخر العصر العباسى الثانى .

ويـــوم اجتاحـــت جحـــافل التـــتار ديـــار الإسلام من غزنة فيما وراء النهر وإلى البحر المتوسط لم تكن هناك دولة للعرب أو المسلمين .

والذى تبقى في بغداد لقب لا يتعدى سلطانه حدود "الأريكة التي يجلس أو ينام علـــيها صـــاحب اللقـــب في قصر قد أفرغ من كل سلطة قادرة على صنع القرار أى قرار !!

الذى كان قائما على امتداد الساحة الإسلامية كلها ليس دولة إنما أشباه دويلات هزيلة ومتكاثرة كخلايا السرطان، عديدة ومختلفة ومتناقضة، بل ومتصارعة، بقدر عـــدد البيوت الطامعة والمذاهب والشيع والنحل والأمراء والأفراد الأقوياء وشيوخ القبائل بل شراذم الأجناد!!.

والـــذى حقـــق وحـــدة العرب أنفسهم، بعد انفراط عقدهم الجامع، في مرحلة أوشكوا فيها على التحلل الكامل – وجمعهم عربا في إطار دولة مسلمة واحدة، كان الأتراك العثمانيون.

تـــاريخ أكيد وواضح يراه القسس والمبشرون الغربيون أنفسهم ولا تعمى عن رؤيته إلا عيون تلاميذهم وقد لطخها قذى التهجين والاغتراب.

لكـــنهم لا يستطيعون أن ينكروا أن الذين هزموا جحافل التتار والصليبيين يوم لـــم تكـــن للعرب دولة كانوا الأيوبيين والمماليك، وهم كما يعلم عرقيونا لم يكونوا من قحطان أو عدنان إنما كانوا من نفس العنصر التركي الذى ينتمي إليه العثمانيون الذين حملوا من بعدهم راية الجهاد.

فالســـلاطين الذيـــن اســـتنفروا الأمـــة العربية وخططوا للحرب وقادوا جهاد المســـلمين يومـــئذ، وقادة الجند وغالبية العسكر الفعال كانوا من جنس غير جنس العرب .

فصـــلاح الديـــن والصـــالح أيوب والكامل محمد وشجرة الدر والمظفر قطز والظاهـــر بيـــبرس والناصر قلاوون وغيرهم بالآلاف كانوا من العنصر الكردي أو من التركمان.

والمعـــارك الخـــالدة في حطين وعين جالوت[2] والمنصورة ودمياط وحرض وغـــيرها كانـــت بالدرجـــة الأولـــى إسلامية الإسلام فيها الراية والغاية والباعث

---

١ – العالم العربي اليوم ترجمة محيي الدين محمد – طبع في دار مجلة شعر – اغسطس ١٩٦٣.

٢ – مصر قاهرة المغول فى عين جالوت. دكتور محمد فتحى الشاعر. دار المعارف.

والطـــريق، والجـــنود مسلمون وإن جاءوا من وراء النهر وتباعدت بينهم الأنساب والديار.

فـــالحكم العـــثمانى إذن لم يفتت دولة عربية واحدة أو حتى واعدة كانت قائمة تحكم في ديار العرب، ولم يمنع دولة أو وحدة عربية من المحيط إلى الخليج بل إنه هـــو الـــذى خلصها من غاصبي ثغورها، أزاح عن جزئياتها ولاية الأجانب وأعاد تكوينها ودعمها واسقط عنها التشرذم.

ويـــوم تركها - بعد إن أعياه الجهاد في سبيل بقائها - اغتصبها منه صليبيو القـــرن العشرين، فسلموها لوكلائهم فيما بعد، عندما حان ميعاد تسليم مفاتيح القلعة للصـــبية مـــن رمـــوز الهزيمة وبدائل الغزو، سلموها للعصبيات القطرية، سلموها للإقامة والكفيل والجوازات وتأشيرات الدخول، سلموها لصراعات المحاور وتقاتل أعضاء الجامعة العربية بالدبابات والطائرات والصواريخ !!..

وقـــد يتـــباهى أعداء الإسلام المتخفون خلف أثواب مختلفة بالفترة التى سبقت ظلام الغزو العثماني إبان عصر الدويلات..

ومـــا كانـــت شراذم الدويلات المهترئة على امتداد الساحة الإسلامية وعددها بالمـــئات ، لتصـــمد -في عالم إسلامي يغفو- أمام محاولة جديدة وجادة - للغزو والسيطرة والاحتلال والاستيطان ، أتت بها قوة متيقظة، مزودة بكل وسائل البحث والحرب والتقدم المادي، والحقد أيضا..

فلم يكد ينصرم قرن وبضع قرن على اندحار الهجمة الصليبية والمغولية، ولم تكـــد تمـــض سنوات قلائل على سقوط آخر معقل للمسلمين فى شبه جزيرة أيبريا، واندثـــار كـــل أثـــر للإسلام في الأندلس ، حتى جاء صليبيون آخرون في صورة قراصـــنة احتلوا ثغور الشمال الإفريقي المسلم فاستولى البرتغاليون على سبتة عام ١٤١٥ م، ووهـــران عام ١٥٠٩م، وطرابلس وآسفى عام ١٥١٠ م، وآزمور عام ١٥٥٣ واحـــتل الأســـبان مليلة وطنجة عام ١٤٧١ م، وجعلوا من تونس مستعمرة أســـبانية تحت وصاية أمير من بني حفص، وتحرك الأسطول البرتغالي فى البحر الأحمـــر والـــبحر العربـــي والمحيط الهندي تحرك القوة والسيادة فاحتل القراصنة البرتغال مضيق هرمز وجزيرة سوقطرة في خليج عدن بغية السيطرة على التجارة الإســـلامية فـــي الهند بعد أن قطعوا طريق الشرق التجاري واكتشفوا رأس الرجاء الصـــالح، وكـــان الأسطول الذى أنشأه المماليك قد حطمه البرتغاليونعام ١٥٠٩ م في ديو أحد موانى الكجرات الهندية[1] .. ثم بدأ تحرشهم بالأراضى المقدسة وعجز

---

١ - مـــلحمة الإســـلام فى الهـــند. الدكتور عدنان النحوى. دار النحوى للنشر والتوزيع.الرياض- كفاح المسلمين فى تحرير الهند. د. عبد المنعم النمر.الهيئة المصرية العامة للكتاب- الإسلام والتيارات الحضارية فى شـــبه القـــارة الهندية. إسماعيل العربى. الدار العربية للكتاب- تاريخ العرب الإسلامى. د. إبراهيم القادرى. دار الطليعة.بيروت.

المماليك عن الدفاع .. في تلك الحقبة البالغة التعقيد، والأمة المسلمة تعيش حالة ضعف مهين، تظهر الدولة العثمانية، قوة إسلامية جاءت على موعدها لتنقذ أمتنا من الاندثار..

فلتتصور أيها القارئ لو أن الدولة الإسلامية المحورية وهى الدولة العثمانية لم تتقدم لتقود النضال فى هذا الوقت..

لنأخذ الجزائر مثلا..

فتجربة الجزائر تقول : أن ضرب الإسلام يعني سقوط كل شيء، فلا وطن ولا عروبة ولا أرومة لا شيء على الإطلاق إلا غربة الوجود الإنساني ذاته، وتؤكد أن راية الإسلام وحدها هي القادرة على استعادة كل شيء، وبعثه من جديد.

فعندما استولت فرنسا على الجزائر في غزوة همجية، صليبية الغاية والراية والحصاد، قوامها الدمج والفرنسة وتغريب الهوية دخلت قوات "**روفيجو**" مساجد الجزائر وحولت الجوامع الكبرى إلى كنائس، وأخذ الجنود الصليبيون في داخل المساجد يقيمون القداس ويرتلون "**نشيد الغفران**" ويمجدون اله إسرائيل "**يهوه رب الجنود**"!!..

يقول "كوليت وفرنسيس جانسون"[1] في كتابهما شاهدين على بني قومهما :

"ولعل العبث بالدين الإسلامى كان هو المجال المفضل لدى القائد روفيجو ليعيث فيه فسادا واستهتارا فقد وقف هذا القائد الفاجر، ونادى بين بني قومه بأنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين، وطلب من أعوانه إعداد ذلك في اقصر وقت ممكن وأشار لهم إلى جامع القشاوة لأنه كما قال أجمل جوامع الجزائر طرزا، وهو في وسط المدينة، وبالفعل تحدد ظهر يوم ١٨ من ديسمبر ١٨٣٢ لإنجاز هذا العمل وتحقيق هذه الرغبة، ففي الميعاد المحدد تقدمت إحدى بطاريات الجيش وأخذت أهبتها للعمل، وخرجت من بينها فرقة من سلاح المهندسين فهاجمت أبواب المسجد بالبلط والفئوس، وإذا بداخل المسجد أربعة آلاف مسلم اعتصموا كلهم خلف المتاريس، فاندفعت نحوهم القوة العسكرية ودحرتهم بالسناكى فخروا صرعى وجرحى تحت أرجل الجنود، واستمرت العملية طوال الليل حتى إذا كان الصباح كانت النظم قد تمت والقرارات قد صدرت وصار الجامع "كاتدرائية الجزائر" .. وما أن انتهى الجنود من هذا حتى داروا على أعقابهم صوب مسجد القصبة الغني بذكريات الإسلام وأيامه المجيدة فدخله القوات والضباط والجنود وأقاموا فيه شعائرهم الدينية حتى إذا انتهى القداس شرع القساوسة في تمجيد إله الجيوش وترتيل نشيد الغفران، وتزعم القسيس سوشيه

---

١ - الجزائر الثائرة . كوليت وفرنسيس جانسون. ترجمة محمد علي الشريف وزميليه. دار الهلال.

طـابورا صـليبيا آخـر اسـتولى علـى مسجد القصبة ، وعلى منبر مسجد يقال لـه المقدس ، ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتلقى عليه عظاته وعلى هذا المنـبر النفـيس وقـف سكرتير الحاكم بوجو ليقول إن آخر أيام الإسلام قد ولت وفـي خـلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشـك فـي أن هـذه الأرض تملكهـا فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أى حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد. أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا .

نعم حافظ الترك على عروبتنا يوم حموا لنا إسلامنا..

تـرى ماذا كان سيصبح عليه الحال لو احتلت فرنسا الجزائر في عام ١٥١٧ بدلا من عام ١٨٣٠ ؟أ.. كان قد بقي شيء؟!..

إن صورة احتلال قرن وثلث قرن في الجزائر ونتيجة الغرس الزنيم – وأثره لا زال حـيا فـي عـالم الشهود – توضح كيف كان يمكن أن يكون الأمر لو بدأ الاحـتلال من قبل ذلك بقرنين ونصف من الزمان، أى لو لم يكن هناك آل عثمان فحموا البلاد لثلاثة قرون سبقت الغزو الفرنسي الرهيب..

ولعـل "مولود قاسم" وزير التعليم الأسبق في الجزائر كان يجسد ضمير أمته المسـلمة، وهو يرد في طمأنينة الواثق بالنفس، على متآمر من كتبة الكتيبة العميلة المـرتدة عـن الإسلام، التي تمشي بيننا بأسماء إسلامية وذات المهمة المحدودة – تحويـل الأجـيال الناشئة عن دينها وتجنيدها في جيوش الردة – قال "مولود قاسم" في مؤتمر الملتقى الإسلامي الأول في الجزائر :"كان الأتراك ضيوفا أعزاء علينا فـي الجزائـر، ولم يكونوا محتلين أو غزاة، كنا وهم اخوة العقيدة الواحدة، وتحت رايتهم الغالية كان الاستقلال والمنعة، وكان الإسلام في ضميرهم وهم يدافعون عنا، قاتلوا معنا وسقط منهم شهداء أبرار ولما ضعفوا ضاعت الجزائر".

الحديـث طويـل وما زال أمامنا الكثير لكى نقوله ونقذفه فى الوجوه الكالحة الخائنة المعادية للمشروع الإسلامى والمشوهة له.

ما يزال أمامنا الكثير والكثير والكثير..

أمـا الآن فلـنقرأ معا عبد الرحمن عزام – أول أمين عام للجامعة العربية– في بحثه القيم الرسالة الخالدة حين يقول:

"وقـد يظـن بعض الناس أنها (الدولة العثمانية) كانت دولة عظيمة ، ولكن لـم تكن صفة الرحمة من مميزاتها، وهو خطا شائع لا يقف أمام البحث والتدقيق، ولقد سمعت بنفسي حديث هذه الرحمة في بسرابيا من رومانيا على نهر "الدنيستر" وقـيل لى: أن أمثلة الفلاحين في هذه الأطراف النائية للملك العثمانى لا تزال تعبر

عـن رحمـة التركـي وعدلـه، ومـنها ما يشير إلى أن العدل ينزع مع الأتراك مـن الأرض ، وقد لفت نظري في بولونيا ورومانيا وفي بلاد البلقان في رحلاتي المـتعددة أمثلة وأساطير لا تزال تشير إلى ما استقر في نفوس هذه الأمم المسيحية من احترام التركي المسلم كرحيم عادل .

أمـا جمـال عـبد الناصر ، فيقول في مقدمته لكتاب تركيا والسياسة العربية :اخـترنا لـك دار المعارف- ١٩٥٥(كما يورده محمود الشاذلى): مهما يكن الأمر بيننا وبين تركيا، في الماضي أو في الحاضر، فهي منا ونحن منها، كان أبونا وأبوها أخوين في التاريخ، تشاركا في سراء الحياة وضرائها، وتقلبا معا في نعماها وفي بؤسها، وحاربا جنبا إلى جنب في ميدان واحد قرونا عدة لنصرة المثل العليا، وحين تألبت قوى البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التاريخ، كانت تركيا هي الهـدف الأول لكـل رام مـن أهل البغي والعدوان وكنا نحن من ورائها، وقرآننا وقرآنها واحد، وماضينا وماضيها فصلان من كتاب واحد، ويوم وطأت أقدام الترك أرض أوروبـا لتقيم إمبراطورية عثمانية على أنقاض إمبراطورية قسطنطين، كان شـعار المحاربيـن من العرب والترك يومئذ واحدا على كل لسان، هو "الله أكبر" يهتف به المصلون في "أيا صوفيا" فيتردد صداه على مآذن المسجد الأموي بدمشق، والجـامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الزيتونة في القيروان، ومساجد أخرى في بغداد والكوفـة وصنعاء، وفي غرناطة، وفاس وعلى شاطئ المحيط الأطلسي، ثم كانت محنتنا القريبة ومحنة تركيا على يد عدو واحد مشترك، نظر إلينا جميعا نظرة العدو فلم يفرق بين عربي وتركي، فإذا جيوشه تطأ بلادنا وبلاد الترك، وإذا احتلاله يجثم علـى صدورنا وصدور الترك، وإذا المستعمر في أزمير، والمستعمر في دمشق، والمستعمر في القاهرة، يتداعون جميعا إلى مائدة مشتركة من طعامنا وشرابنا (..) ونحن إلى كل ذلك أنسباء وأقرباء وأصهار(..) فقد اختلطنا نسبا وصهرا ومواريث ثابتة ومنقولة، وإن قامت بيننا الحدود والسدود والأسلاك الشائكة!،(..) والشر الذى يـتربص بتركـيا الـيوم على حدودها القريبة، هو الشر الذى يتربص بنا (..) فقد اتحـدت مصـائرنا إذن على الحالين وارتبطت أواصرنا، وهي الأخوة في البأساء والنعمة، في الحاضر كما كانت في الماضى. وكما لا بد أن تظل أبدا"..

بقيت كلمة أخيرة فى هذا المقال أيها القارئ..

دعاء أدعوه للأمة.. اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون..

اللهـم اغفـر لقومـى فـإن حكوماتهم ودولهم ووزراؤهم وكبار كتابهم هم الذيـن يـرفعون رايـات التضـليل والتجهـيل ضد الأوطان وضد الأمة وضدك يا رب..

يقفُ الزّمانُ بنا كموقفِ طارقٍ :

اليأسُ خلفٌ، والرجاءُ أمَامُ[1] !!

إنــنى واثــق أن القــارئ يــدرك أنــنى لا أدافع عن الدولة العثمانية تفاخرا بالأنســاب ولا ازدهــاء بمجــد دال وعــز زال، ولم يعد لنا ثمة علاقة به سوى البكاء على أطلاله.

ولا أدافــع عــنها دفعــا لسلســلة هائلة من الأكاذيب دسها علينا الصليبيون فــتلقفها صــبيان زويمــر فيــنا ليس لتشويه الماضى بل للقضاء على أى فرصة أمامنا فى الولوج إلى مستقبل يحمل ملامح ماضينا.

ولا أدافــع عــنها مجــرد تعصــب لديــن وليس التعصب للدين عيبا- بل إن ربــط الكلمتيــن : التعصــب والديــن لا يجــوز إلا فــى عقول ديوثة كعقول رواد التنوير فينا.

الأمر أبعد من هذا بكثير جدا ..

إننى أدافع عن هويتنا التى لا هوية لنا سواها..

أدافــع عــن الــباب الوحــيد الذى يمكن أن نلج منه إلى المستقبل لنباهى به أمم الأرض .

وعــندما أقــول المســتقبل فإنــنى لا أقصــد الدنــيا إلا كمعبر للآخرة التى لولاها لما استحقت الدنيا أن تعاش..

أقصــد الآخــرة الــتى يــبلغ يقيــن إيمــانى بهــا أن أصبحت الدنيا إزاءها ليست سوى جناح بعوضة وجيفة نتنة..

أليس الأمر كذلك يا أمة؟!..

أتؤمنين كما أومن أم تكفرين كما يكفر السفهاء؟!..

لذلــك فإنــنى يــا أمــة لا إلــه إلا الله أدافــع عن الإسلام دينا ودنيا وحكما وحزبا لله الواحد القهار..

---

١ - صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٥/٧.

أدافع عن الشرف الإنسانى والكرامة البشرية فليس الإنسان حيوانا منتهى مرامه من الدنيا نشوة اللذة وزهو القوة بغض النظر عما يصيب الآخرين..

أواجه الدنيا كابتلاء ليس أمامنا إلا أن ننجح فيه وإلا خسرنا الدنيا والآخرة..

من أجل ذلك أدافع عن ذاكرة أمة تزيف وعن وعى ينزف..

أدافع عن السبيل الوحيد الذى يجب علينا أن نسلكه لكنهم يسدونه دوننا وما سبيلهم فى ذلك بعد أن ملكوا أقطار الأرض إلا أن يزيفوا بالأكاذيب تاريخنا..

فحتى تاريخنا للأسف والخزى والمأساة هم الذين يكتبونه لنا ثم علموا صبيانهم ونصّبوهم علينا رواد تزوير لا تنوير..

ولست أدرى كيف بلغت الغيبوبة والعماء والحماقة بالأمة أن تركت عدوها يكتب تاريخها فهذا التاريخ تشكل كل صفحة فيه إدانة لحضارة هذا العدو الفاسدة تصمها بالعار..

أجل..

لا أدافع عن الدولة العثمانية بل عن الهوية الإسلامية بعد أن أدركت أنهم لا يهاجمون الدولة العثمانية، إنما يهاجمون الإسلام، وأن تركيز الاتهام وتوجيه النصال للدولة العثمانية حينا وللرجعية حينا وللتخلف حينا وللأصولية حينا وللإرهاب أحيانا إنما هى جميعا وجه واحد يتخفى خلف أقنعة مختلفة..

قد يتساءل منكم متسائل ولماذا الدولة العثمانية دون سواها من دول المسلمين؟.. والإجابة سهلة وواضحة ومباشرة وبسيطة لكن هيهات هيهات الوصول إليها بعد دهور من التجهيل والتزوير.. فالدولة العثمانية وليس سواها هى التى انتصرت فيما بدا أيامها نهاية التاريخ على الدولة البيزنطية رمز حضارة الغرب وواجهة وجوده والتى ظلت قبل ذلك التاريخ أحد عشر قرنا تحمل بالزور راية الصليب عجز العباسيون والأمويون لكن العثمانيون نجحوا ففتحوا القسطنطينية وأنهوا وجود الدولة كلها ومن هنا كان الحقد المستعر والتشويه المستمر..

ليس حسنا بل فظيعا..

سنوافقكم ..

سنوافقكم يا كلاب جهنم..

سنهاجم معكم الدولة العثمانية بل والعباسية والأموية أيضا..

سنهاجم الرجعية والأصولية والإرهاب..

فهـل توافقـون يـا حصـاد جهنم أن نعود إلى دين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أن هـذا بالضـبط هو الذى تواجهونه وتقصدون النيل منه، لكـنكم يـا جبـناء يـا خونـة، تتسترون وتكمنون، وتأخذوننا الهوينا، فتغتالون الديـن جـزءا جـزءا، لأنكـم غير قادرين على اقتلاعه من أعماقنا دفعة واحدة ووالله لو قدرتم لفعلتم..

ومـا موقفكـم مـن الديـن إلا لأنكم تعرفون أنه هو الحائل دون انتصاركمُ الـنهائى، فلـولاه لفكـرت الغالبـية مـنا أن تشـاركوكم مظالمكم وملذاتكم حتى لـو كانـت الغالبـية بعـد ذلـك ضـحايا، لكنه نمط تفكير المقامر الذى لا يفكر إلا بالمكسب رغم أن الخسارة أقرب..

الديـن هـو الـذى يدفعـنا إلى ويقوينا على مواجهة فجر الفاجر وعهر العاهر وظلم الظالم وجبروت المتجبر..

لسـنا مـثلهم وجـزاؤنا فـى الآخـرة لكنـنا مصرون على إنفاذ كلمة الله فى الدنيا..

لا أدافـع إذن عـن الدولـة العثمانـية فالدولـة العثمانـية مـاض انتهى ولـن يعـود أبـدا، بـل أدافـع عـن وجود حاضر لنا لم يكن ليكون لولا وجود الدولـة العثمانـية وهـو وجـود كـنا نحلم فى ظلاله بأن نسود العالم، منذ قرن واحـد فقـط كـنا مـا نـزال نحلـم أن نسود العالم، لكن المؤامرات كانت أعتى مـن أن يسـترد المـريض عافيـته، ولقـد اشتركنا جميعا فى الخيانة والمساعدة علـى قـتله، تركـيا وإيـران والعرب والبلقان والهند، وجازينا الدولة الإسلامية التى حمتنا جميعا من الفناء جزاء سنمار.

ترى ماذا كان اسمك سيكون يا مصر لولا أن الدولة الإسلامية المحورية تحت قيادة العثمانيين قد انبرت للدفاع عنك فى الوقت المناسب ؟..

ومـن أى أجـناس الأرض وأعـراقها كـان شـعبك سيكون بعد استئصالنا نحن الشعب الأصلى .. ؟؟ ..

لمـاذا كـان علينـا أن نصـدق كـلاب الـنار حطب جهنم لمجرد أن نُدِينَ الدولة العثمانية ..

ألـــم يستأصـــل الغـــرب المجـــرم الأمم ويقتل الشعوب بعد انتفاضة الشيطان فيه..

ألم يسمِّ الأوطان باسم قراصنته ..

ألم تُسمّ أميركا – بعد قتل شعبها الأصلى – باسم الجغرافى الإيطالى فيربيكو أميركو ؟!..

ألم تُسمّ كولومبيا بعد قتل شعبها الأصلى باسم البحار الإيطالى كريستوفر كولومبس ؟!..

ألـــم تســـمّ بوليفيا بعد قتل شعبها الأصلى نسبة إلى المستوطن الأسبانى سيمون بوليفار ؟!..

ألم تسمّ ترينيداد نسبة إلى الثالوث سفينة كولومبس فى رحلته الثالثة ؟!..

ألم تسمّ فنزويلا على اسم المدينة الإيطالية : فينيسيا..

ألم تسمّ السلفادور على اسم المنقذ نسبة إلى السيد المسيح عليه السلام ؟..

ألم تسمّ الأرجنتين أرض الفضة بالأسبانية ؟!..

ألم تسمّ بورتريكو المرفأ الثرى بالأسبانية ..

ألم تسمّ كوستاريكا الساحل الخصب بالأسبانية ؟!..

أليس سان دومنجو هو اسم قديس أسبانى ؟!..

ألـــم يســـموا باربـــادوس علـــى اســـم عناقـــيد العنـــب الـــتى بدت لهم فيها كاللحى ؟!..

ألم يسموا كوراكوا ومعناها القلب نسبة إلى القلب المقدس ؟!..

ألـــم تســـمّ اســـتراليا بالمعـــنى اللاتيـــنى للأرض الضائعة، وإنتركتيتا وهى القـــارة القطبـــية باللاتينـــية، وفولكلانـــد أرض الشـــعب بالإنجليزية، وهندوراس أرض العمق بالأسبانية، ونيوزيلاند: أرض الميعاد الجديدة بالهولندية..

ألـــم يقومـــوا غـــير ذلـــك بتغيـــير أسماء بلاد أخرى لمجرد طمس أسمائها القديمـــة فغـــيروا أســـماء مكســـيكو وجواتـــيمالا وهاييـــتى وكوبـــا ونيكاراجوا وجامايكا وشيلى وأوروجواى وباراجواى والبهاما و.. و.. و..

فلماذا كان وضعك يا مصر سيختلف ؟!..

يقول القسيس "استيفاني" في كتابه تاريخ الإرساليات المسيحي :

" إن الحرب العالمية الأولى وهزيمة تركيا قد حددت نهاية الحلم الإسلامي بالسيادة على العالم ، ولم تسقط دار الإسلام ، عالم الإسلام ، إلى مثل هذه المنزلة الوضيعة من قبل ".

هذه شهادة قسيس[1] !! ..

يشهدون هم بذلك فلماذا لم ينح كلاب التزوير صبيان زويمر نحوهم..

لماذا يحاولون إيهامنا أن انهيارنا بدأ بازدهار الدولة العثمانية وأن هزيمتنا بدأت بانتصارهم بينما العكس تماما نماما هو الصحيح..

يقول "**رجاء جارودى**" فى كتابه " **حوار الحضارات**" : كانت الجزائر قبل وصول الفرنسيين سنة ١٨٣٠ بلدا يصدر القمح، وقد استطاعت جيوش الثورة والإمبراطورية أن تغتذى بالقمح الجزائرى الذى أرسله الداى، ومضى هذا الأخير فى أريحية وفروسية حتى إلى عدم المطالبة بدفع ثمن قمحه بعد سنة ١٨١٦، وعلى الرغم من ذلك، لم تمر بضعة أعوام حتى قرر أن يقابل إصرار فرنسا على الامتناع عن سداد ديونها بطرد القنصل المناوئ دوفال باعتبار ذلك تدبيرا ثأريا، وقد حدث ذلك سنة ١٨٣٠ وأصبح ذريعة لتدخل قوى الجيش الفرنسى، وعندئذ فرضوا على بلد إسلامى تحرم ديانته الخمر زراعة الكرم، وبذلك قضى على الاقتصاد الغذائى الذى كان سائدا من قبل، وأصبحت الجزائر تستورد القمح بعد أن كانت تصدره، وقد أحيطت تبعيتها منذ ذلك الحين على الصعيد الاقتصادى بكفالة مزدوجة: لتصدير خمرها وهى لا تدرى ما تصنع به، ولاستيراد القمح الذى تحتاج إليه.."

أليست هذه تماما تماما هى السياسة المتبعة الآن مع كافة شعوبنا نفس الاستراتيجية القديمة التى جعلت من أمتنا أكبر مستورد للقمح فى الدنيا ولصالح الكنتالوب والكروم والفراولة..

فى لجنة تقصى حكومية صدرت عام ١٨٨٣ يعترف الفرنسيون: لقد استولينا على أملاك المؤسسات الدينية، وأقمنا حارسا قضائيا على أملاك

---

١ – المسألة الشرقية: مرجع سابق– خروج العرب من التاريخ. د فوزى منصور. الفارابى– على خطى الصليبيين. جان كلود جويبو. دار الحصاد.دمشق– العلاقات المصرية العثمانية. عبد الرازق الطنطاوى. الزهراء للإعلام العربى– صوت الناس. محنة ثقافة مزورة. الصادق النيهوم.رياض الريس للنشر – العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى. وديع فتحى عبد الله . مؤسسة شباب الجامعة –الأمة المشلولة. محيى الدين صبحى– رياض الريس– الماضى المشترك بين العرب والغرب. ا.ر.راليلا. عالم المعرفة .

طبقة من السكان هم الذين وعدنا باحترامهم، واستولينا على ملكيات خاصة دون تقديم أى تعويض، بل مضينا على العكس، حتى على إرغام الملاك بعد استملاك أملاكهم على دفع أجور هدم بيوتهم، بل وحتى المساجد. لقد دنسنا المعابد والأضرحة، وحرمة المنازل والأمكنة المقدسة الإسلامية، ذبحنا أناسا يحملون تصاريح المرور، وقتلنا لمجرد شبهة جماعات سكانية بأسرها، وما لبثت أن اتضحت براءتها، وحكمنا على أناس اشتهروا بالقداسة فى البلدان، أناس أجلاء، وذلك لأنهم كانوا يتحلون بقدر من الشجاعة جعلهم عرضة غضبنا حين توسلوا للشفاعة عن مواطنيهم البائسين، وقد وجد أناس استساغوا إدانتهم، وآخرون متمدينون قاموا بإعدامهم " ..

لقد كان يجب على الأمة أن تقتل - بالازدراء والاحتقار - رواد التزوير صبيان زويمر لا أن ترفعهم إلى مصاف كبار الكتاب والمفكرين .

وكان يجب على الأمة أن ترجم ذلك المسئول الذى يسند كتابة التاريخ الذى يدرسه أبناؤنا إلى أمثال هؤلاء - كبار الكتاب والمفكرين -

يواصل رجاء جارودى :

الاستعمار نَهّب، ولكنه بالدرجة الأولى قتل، ونحن لا نضيف أى تعليق على شهادة هؤلاء الأبطال : "**بوجو وكافينال وسان ارنو**" وغيرهم من الأقل شهرة فلنقتصر على قراءة رسائل مارشال المستقبل سان ارنو::

" لقد اتسع النهب الذى بدأه الجنود أولا، وامتد بعدئذ إلى الضباط، وعندا أخليت قسطنطينة اتفق، كما يحدث دوما أن آلت الحصة الأغنى والأكبر إلى قيادة الجيش.. إنهم يخربون ويحرقون ويهدمون البيوت ويقطعون الأشجار(..) لقد تركت بعد مرورى حريقا هائلا، فقد كانت القرى كلها، وهى قرابة مائتين قد احترقت، ودب الفساد فى بساتينها، وقطعت أشجار زيتونها"

أما الكولونيل فوريه فقد كتب سنة ١٨٤٣ :

"انطلقت سبع كتائب بغية أن تعيث فى الأرض الفساد وتخطف أكثر ما تستطيع من القطعان ولا سيما من النساء والأطفال، فقد كان الحاكم وهو بوجو يريد بث الذعر بين السكان"..

ويقول الكولونيل مونتياك:

" يعيش لامورسير.. إن هذا الجنرال الشاب الذى لن يقف فى وجهه عائق هو الذى اخترق الموقع فى لمحة من الزمان واقتلع العرب

من مخابئهم فى دائرة من خمسة وعشرين ميلا، وسلبهم جميع ما يملكون، من نساء وأطفال وقطعان وماشية (..) تسألنى عما نفعل بالنساء اللائى نأخذهن، إننا نحتفظ بقسم منهن رهائن، ونبادل قسما لقاء خيول، والباقى يباع بالمزاد بيع حيوانات الذبح " ..

فهل الشرق هو الذى يمتهن النساء بينما يكرمهن الغرب يا كلاب جهنم ؟!..

وفى شهادة الكونت **"دى هاريسون"** فى كتابه صيد البشر يصف عمل إحدى الكتائب التى شارك فيها : " صحيح أننا كنا نعود بملء برميل صغير من الآذان المقطوعة، مثنى مثنى من أجساد الأسرى، أصدقاء كانوا أم أعداء، وكانت هناك ضروب من القسوة لم يسمع بها أحد من قبل، إعدامات أمر بها من أمر ببرودة، ونفذها الجلادون ببرودة بعيارات نارية أو بضربات سيف تنال من أولئك المساكين، الذين كان أعظم ذنب اقترفوه أحيانا أنهم أرشدونا إلى مستودعات فارغة، وقد أحرقنا القرى التى مررنا بها"..

وفى ١٩ يونيو سنة ١٨٤٥ التجأت قبيلة ولد رياح بعد أن طردتها كتائب بوجو المحرقة من قراها إلى مغارة، فعمد الكولونيل بيليسيه إلى إشعال النار فى فوهة المغارة طوال النهار والليل، وإليكم رواية شاهد عيان :

"من ذا الذى يستطيع وصف هذه اللوحة؟؟ أن ترى فى منتصف الليل وفى ضوء القمر كتيبة من الجيوش الفرنسية تضرم نار جهنم كلما خبت، وأن تسمع الأنين الخافت لرجال ونساء وأطفال وحيوانات، وتمزق الصخور المتكلسة التى تتشقق وتنهار، وفى الصباح، عندما عمدوا إلى تنظيف مدخل المغائر كانت ثمة جثث الأبقار والحمير والخراف وبين البهائم كان يتكدس تحتها رجال ونساء وأطفال وقد شاهدت جثة رجل يضع ركبته فى الأرض ويده تمسك متشنجة بقرن بقرة أمامه، كانت امرأة تحتضن طفلها بين ذراعيها، لقد اختنق هذا الرجل عندما كان يحاول حماية أسرته من غضب هذا الحيوان، وقد عدوا ٧٦٠ جثة .

".. أرسل الحاكم العام بوجو إلى الكولونيل بيليسيه الأمر الآتى: إذا انسحب هؤلاء الجراء إلى مغاراتهم فعليك أن تقلد كافينباك دخّنهم إلى الحد الأقصى مثل الثعالب "..

وكافينباك هذا هو الذى سيصبح الحاكم العام للجزائر بعد ذلك..

ويقـــول بوجـــو ": ينـــبغي أن نعطــــى الجمهـــور أفكارا أصح عن ضرورة القـــيام بأعمـــال قاســـية لإتمـــام خضـــوع الـــبلد خضـــوعا حقيقيا، وبدون ذلك لا يمكـــن أن يوجـــد اســـتعمار ولا إدارة ولا حضـــارة، إذ لابـــد أن يقبل السكان قانونـــنا مـــن قـــبل أن نديـــر ونحضـــر ونستعمر، وقد برهنت الاف الأمثلة على أنهم لا يرضون بقانوننا إلا بالقوة."..

هـــل اخـــتلف نهجهـــم الآن معـــنا يـــا رواد التزوير أم أنه هو هو كما كان وكما هو كائن وكما دائما سيكون..

لكن لعل كلام رجاء جارودى لا يعجب عبدة الشيطان..

فلنـــتركه إلـــى ما قاله لينين نعم لينين، إذ يقول في مقال له في البرافدا تحت عنوان "نهاية الحرب بين إيطاليا وتركيا" : كيف كانت هذه الحرب ؟ كانت مجزرة بشـــرية مـــتمدنة متقنة، كانت تقتيلا للعرب بواسطة أحدث العتاد، لقد قاوم العرب مقاومـــة المســـتميت، فحينما أنزل الأميرالات الطليان في بدء الحرب، بدون حذر: ١٢٠٠ بحـــارا هاجمهم العرب وقتلوا منهم حوالي ٦٠٠ شخص، وعقابا قتلوا من العـــرب حوالـــى ٣٠٠٠ ونهـــبوا وذبحوا عائلات بأكملها وقتلوا النساء والأطفال، الطليان الأمة الدستورية المتمدنة علقوا على المشانق حوالي ١٠٠٠ عربي وقد قتل مـــن العـــرب حوالـــي ١٤٨٠٠ وستســـتمر الحرب في الواقع، بالرغم من الصلح لأن القبائل العربية الموجودة بعيدا عن الساحل في داخل القارة الإفريقية لن ترضخ وسيســـتمرون زمنا طويل في تمدينها بالحراب والرصاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء (البرافدا – العدد ١٢٩، ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩١٢) .

القول قول لينين يا عباد الشيطان يا رواد التنوير..

كـــانوا يمدنونـــنا بالحـــراب والرصـــاص وحبال المشانق والنار واغتصاب النساء ..

كـــانوا فهـــل اخـــتلف الأمـــر الآن أم أن السهم تحول إلى صاروخ كروزو والحـــربة إلـــى توماهوك والسـيف إلـــى الشـــبح ودخـــان الحطب على فوهة المغارات إلى قنابل اليورانيوم المشع ..

مـــاذا يقـــول صـــبية المبشـــرين وفـــتات عهـــود العهر القائلين بالاستعمار التركي وظلام الغزو العثمانى ؟!..

أتراهم يعرفون كيف ضاعت برقة وطرابلس ؟..

لقـــد ضـــاعت ليبـــيا يـــوم ضـــعف الوجود العثمانى هناك أثناء حكم صبية اليهود والدونمة والماسون في دار الخلافة الإسلامية..

وقـــد اســـتدرج الجـــيش العـــثمانى لمواجهـــة دول الـــبلقان المســـيحية التي اتحـــدت كلهـــا لأول مـــرة فـــي تاريخها ضد تركيا فأعلنت الحرب عليها ولعب قـــادة "**الاتحـــاد والترقـــي**" الحـــاكمون فـــي اســـتنبول دورهم القذر كانوا مثلكم: دعاة تنوير!!..

أهـــل فلســـطين، التـــي كانـــت فـــي حمايـــة الدولـــة القائمة بأمر الإسلام ، وفـــي حراســـة الســـلطان العثمانـــي خلـــيفة المســـلمين علـــى مدى أربعة قرون مـــنذ فـــتح الســـلطان ســـليم الأول فلســـطين لتصـــبح جزءا من الدولة الإسلامية الواحـــدة فـــي عـــام ١٥١٦، مـــثلها مثل أنقرة، أو بورصة، أو سيواس وكان لها وضـــع خـــاص، فكانـــت كإنســـان العيـــن، لكـــنها ضاعت يوم ضاعت الخلافة الإســـلامية وانهزمـــت الدولـــة العثمانـــية وصـــفيت المسألة الشرقية وحطت كل قـــوى عـــالم العـــدو حقـــد القـــرون الطـــوال علـــي بلاد الأسد الجريح، وسلمها الإنجليز غداة الهزيمة وطنا قوميا لليهود..

كانـــت فلســـطين بيـــت القصـــيد وركـــن الزاوية وحجر الأساس في حركة الدائـــرة الـــيهودية، وفـــي ســـبيلها حطمت الدائرة اليهودية - بمساعدة الدائرتين الصـــليبية والاســـتعمارية - آخـــر دول المســـلمين ذلك أن وصول رأس الأفعى إلـــى أورشـــليم كـــان لا بـــد أن يمر عبر الآستانة التي كانت عقبة أمام صهيون على الطريق كئود !! ،

ضـــاعت فلســـطين يـــوم واجـــه الأتـــراك كـــل قـــوى عالم العدو بدوائره الـــثلاث، وهـــزموا بعـــد أن أعـــياهم الجهـــاد فـــى سبيل الدفاع عنها ومن خلف خطوطهـــم كـــان الـــثوار العـــرب بقـــيادة لورانس يمثلون دور الطابور الخامس خســـة وغـــدرا وخـــيانة والـــذى مهـــد الطريق إلى القدس أمام اللنبى الذي أعلن نهاية الحروب الصليبية يوم تسلم فلسطين !..

وبعد ..

يصـــرخ محمـــود الشـــاذلى وأصـــرخ معـــه: هـــل ضيع الأتراك استقلالنا؟ وفتتوا وحدتنا؟ وقضوا على وجودنا .. ؟! ..

أم أننا أكلنا يوم أكلت دار الخلافة وتوقفت الآستانة عن أداء دورها في حماية المسلمين ؟.

***

هذا هو التنوير الذى يدعيه كلاب جهنم تلاميذ دنلوب وصبيان زويمر..

وسوف أكتفى أيها القارئ بإيراد نموذجين فقط للضوء الباهر الذى أتت به حضارة الإسلام لهذا العالم لتقارن..

فى كتاب الإعلان الإسلامى لعلى عزت بيجوفيتش[1] يلاحظ أنه فى القرن الحادى عشر لم يكن يوجد فى أسبانيا شخص واحد يجهل القراءة والكتابة بينما لم يوجد، فى القرن العشرين بعد حملات التنوير والتنصير والتزوير أى بلد إسلامى تقل فيه نسبة الأمية عن ٥٠% .. كان ٧٥% من الباكستانيين و٨٠% من الجزائريين و٩٠% من النيجيريين يعانون الأمية..

فهل كانت تلك هى الحضارة والعلم والتقدم التى جاء الغرب لينشرها بين ربوعنا ؟..

وهؤلاء الذين يصفون غزو الغرب لنا بأنه كان بدايات عصور تنويرنا هم بأنفسهم الذين يرفضون على سبيل المثال- الفتح الإسلامى لمصر ويسمونه بالغزو العربى..

ليسوا رواد تنوير بل رواد تزوير..

ليسوا بشرا بل خنازير..

انظر أيها القارئ إلى ما فعلوه بأى شعب من شعوبنا وليس ما أورده رجاء جارودى سوى قطرة منه - وقارنها بحكاية فرتونة بنت عبد الملاك :

" أرسلت "فرتونة بنت عبد الملاك المسيحية المصرية من إحدى قرى الجيزة إلى الخليفة "الوليد بن عبد الملك" في دمشق رسالة تشكو فيها أن حائط بيتها منخفض وأنها تخاف على دجاجها من اللصوص !.. فما كان من أمير المؤمنين - المشغول بإدارة دولة من الصين إلى المحيط الأطلسي، والحرب مع الروم على أشدها إلا أن يرسل رسالة إلى والي مصر "عبد الله بن شرحبيل " : من الوليد بن عبد الملك إلى والي مصر عبد الله بن شرحبيل إذا أتاك كتابي هذا فأقرئ فرتونة بنت عبد الملاك

---

١ - الإعلان الإسلامى. على عزت بيجوفيتش- ترجمة وتقديم الأستاذ محمد يوسف عدس.دار الشروق.

السلام، وابن لها من بيت المال حائطا يطول أعلى دار بجوارها، وأمنها على نفسها ودجاجها والسلام ".

هل قرأت أيها القارئ؟!..

هل عرفت؟!..

وهل يعرف ذلك رواد التزوير ؟!!

***

سوف أتلو عليك أيها القارئ مثلا يكشف لك كيف يزور عباد الشيطان الحقيقة :

عندما مات محمد الفاتح، وهو واحد من أعظم خلفاء المسلمين عبر التاريخ، والذى بشر به سيد الخلق وخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم فى الحديث النبوى الشريف :

" **لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش** "..

عندما مات تولى الخلافة بعده ابنه بايزيد الثانى فنازعة الخلافة أخوه جم، وكان من ضمن ما يدعى به أحقيته فى الخلافة أنه ابن السلطانة بينما بايزيد ابن مستولدة صربية، ولم يكتف بالنزاع بل قاد الصراع المسلح واقتطع جزءا من الخلافة فرض عليه سلطانه، ونشبت الحرب فانتصر بايزيد فهرب جم إلى مصر فى عهد السلطان قايتباى (من المماليك الجراكسة)، وبالرغم من ذلك عرض بايزيد على جم أنه قرر له راتبا سنويا يليق به إذا عاد إلى وطنه قدره مائة ألف أقجة، مع ضمان الاستقرار له والحياة المطمئنة لأسرته لكن جم رفض هذا الاقتراح ثم وجد أن إقامته فى مصر ستحد من تطلعاته، فانطلق إلى الأناضول ثانية وتمكن مع رجاله من حصار أنقرة، لكن السلطان بايزيد هزمه مرة أخرى وعرض عليه أن يعيش فى القدس مقابل راتب سنوى فلم يوافق، ولجأ إلى فرسان القديس يوحنا فى جزيرة رودس وطلب منهم محالفته على قتال أخيه بايزيد، وانتقل جم بعد ذلك إلى فرنسا ليقيم بها سبعة أعوام، ثم انتقل من فرنسا إلى الفاتيكان بصحبة شارل الثامن ملك فرنسا، ثم دس له البابا اسكندر السادس السم نتيجة اتصالات مع أخيه بايزيد الثانى مقابل ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية ..

المؤرخون الخنازير عفوك أيها القارئ فلابد أن أنفس عن غضبى كى لا أموت كمدا يتجاهلون أن ما فعله جم ينطبق عليه فى أى قانون

مـن قوانيـن الأرض لـن نذكـرهم بقوانيـن السماء – تهمة الخيانة العظمى، لـيس مـرة واحـدة بـل مـرات عديدة، نال الصفح عنها المرة تلو المرة رغم خـروجه المسـلح علـى الخلافـة، ثـم أنـه بعـد ذلك تعاون مع الأعداء زمن الحـرب، ثـم أنهـم غفلـوا عـن سماحة الإسلام الذى جعل ابن الصربية وليس ابـن السـلطانة سـلطانا ثـم أن تهمة دس السم من التهم التى يصعب التيقن منها دون اعـتراف كـل الأطـراف وبـرغم ذلـك كله يتهمون بايزيد المتوحش بأنه قـتل أخـاه ثـم يـتركون الحكايـة كلهـا ويتركون بايزيد نفسه ليطلقوها فرية يصـمون بهـا كـل الخلفـاء العثمانيين: كانوا يقتلون أبناءهم وإخوتهم، ويسرى حديث الإفك فى صحفنا ومدارسنا وجامعاتنا..

الخـنازير اتهمـوا بايـزيد الـثانى بالوحشـية ولـم يتطرق أحد منهم إلى موقف البابا الذى دس السم لحليفه الذى استجار به!!..

أفرأيت أيها القارئ كيف يكون التنوير..

***

حـتى مطلـع هـذا القـرن كانـت أمتـنا تدرك الحقيقة، ولكن داهية دهياء ألمت بنا عندما نشر رواد التنوير الظلام والجهل فى بلادنا..

حتى عام ١٩١٢ كنا نعلم ونتخذ الموقف الصحيح وإن عجزنا..

الآن لا نتخذ موقفا صحيحا ولا ننعتق من إسار العجز..

حـتى ١٩١٢ كانـت الأمـة تـبكى الدموع دما على انهيار الدولة العثمانية وكـان شـوقى يكتـب قصـيدة الأندلـس الجديـدة وهى من قصائده الكبرى وتربو أبياتها على مائتى بيت :

يـا أخـت أندلـس عليك سلام ... هـوت الخلافة عنك والإسلام

جرحان تمضى الأمتان عليهما ... هـذا يسـيل وذاك لا يلـتام

خفـت الأذان فمـا عليك موحد ... يسعى ولا الجمع الحسان تقام

وخبـت مساجد كن نورا جامعا ... تمشـى إلـيه الأسـد والآرام

فـيم الـتخاذل بينكم ووراءكم ... أمـم تضـاع حقوقها وتضام

مـا ليس يدفعه المهند مصلتا ... لا الكتـب تدفعـه ولا الأقلام

وقف الزمان بكم كموقف طارق ... الـيأس خلـف، والرجاء أمام

الصـبر والإقـدام فيه إذا هما ... قـتلا فاقـتل مـنهما الإحجام

***

لا أقولها لك أيها القارئ من بنات أفكارى بل أنقلها لك من كتب بعض المؤرخين أن دافع الدولة العثمانية عندما فتحت العالم العربى إنما كان بعد أن انطلق الشيطان الصليبى الجامح من الأندلس بعد كارثتها فاحتل المغرب العربى و الخليج والمحيط الهندى وبدأ يقتطع أطراف دولة الإسلام ثم تسلل أسطوله إلى البحر الأحمر يهدد مكة والمدينة وعجز الجراكسة تحت قيادة السلطان قونصوه الغورى – لم يكن مصريا ولا عربيا يا دعاة القومية – عن مواجهته فتقدم العثمانيون لحماية العرب والمسلمين ومكة والمدينة والقاهرة وصنعاء وطرابلس ومنذ تقدمهم أصبح البحر الأحمر بحرا إسلاميا لا يجرؤ أسطول صليبى على دخوله..

هكذا يقول التاريخ الصحيح..

لكن لدينا مؤرخون كالخنازير يجوبون فى بطن التاريخ ليستخرجوا قمامته وقاذوراته ثم ينصبونها أمامنا كتاريخ وحيد..

خسئوا..

فى ظل الدولة الإسلامية الواحدة كان البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة بل وظل البحر الأبيض أيضا لفترة طويلة كذلك..

فى ظل أفكاركم ومؤرخيكم ومفكريكم هاهو ذا البحر الأحمر– والأبيض أيضا – بحيرة مسيحية يهودية – مغلقة يا رواد التنوير بل التزوير يا خنازير!!..

أضعنا كنزًا .. وأخذنا وباءً[1] ..(١)

إن يمسسنا قرح فقد مس دعاة التزوير قرح مثله..

إنهم لا يكفون عن تزوير التاريخ وتشويهه لكننا لا نكف عن تصحيحه ثم أن الله مولانا ولا مولى لهم..

إن من يقرأ التاريخ الحقيقى يدرك كم كانت حضارتنا الإسلامية كنزا أنصع الكنوز وأروع الكنوز وأسمى الكنوز لكننا أضعناه..

أضعناه لا لنأخذ كنزا آخر حتى ولو كان أقل ..

لا..

لم نأخذ فى المقابل كنزا بل وباءً..

وباءً وكارثة وخرابا يبابا..

لن نوغل فى التاريخ كثيرا لنثبت ذلك..

لن نعود إلى الحضارة الإغريقية الوثنية وموقفها من الإنسان حين كان الإغريق فقط هم البشر وسواهم برابرة وحين كان العبد حيوانا وليس إنسانا..

لن نعود إلى نشأة روما فى القرن السابع قبل الميلاد..

لن نعود إلى حضارة ليبيا وقرطاجة التى فرضت وجودها على شبه جزيرة أيبيريا قبل الميلاد حين قاد هانيبال جيشا من الأسبان لمهاجمة روما (لكننى فقط أنبه القارئ إلى الوجود العربى فى أسبانيا قبل الميلاد مناشدا أحد المؤرخين المختصين لتأصيل ذلك) وهُزم هانيبال فغزا الرومان شبه الجزيرة تماما كما غزوا الشام ومصر..

لن نعود إلى انقسام الدولة الرومانية إلى غربية عاصمتها روما وشرقية عاصمتها القسطنطينية التى بنيت مكان بيزنطة القديمة ، كما لن نعود إلا بمقدار إلى خراب روما سنة ٤١٠ ميلادية ثم انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ ميلادية وبقاء الإمبراطورية الرومانية الشرقية بعاصمتها القسطنطينية تحمل تاريخ حضارة وتعصب

---

١ - نشر ملخصها فى صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٥/٢٨.

جنس وجبروت بشر وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، لقد أعادت الدولة الرومانية الشرقية فجور وجبروت الحضارة الإغريقية، وتنكبت لما قامت عليه روما فى البداية من مبادئ كانت بمقاييس ذلك الزمن - أكثر إنسانية أو على الأحرى أقل وحشية، والإنسانية أو الوحشية هنا لا ترتبط بأى قيم مجردة، لكنها ببساطة تعنى هل ستبيد الشعوب التى تحتلها عن بكرة أبيها أم تكتفى باستعباد أهلها واستنزاف ثرواتهم..

فى هذا الوقت انفردت الإمبراطورية الرومانية الشرقية بقيادة العالم فى نظام عالمى جديد أحادى القطب..

سنة ٤٧٦ ميلادية..

تذكروا يا قراء هذا التاريخ..

تذكروه، فهو بداية ما يطلقون عليه فى الغرب: القرون الوسطى والتى تمتد من هذا التاريخ حتى تنتهى بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ م.

كانت هذه القرون فى أوروبا عصور الجهل والظلام الخرافة، لكننا لم نتساءل :هل كانت كذلك مقارنة بما قبلها؟ بالدولة الرومانية الغربية أو باليونان مثلا ؟ لا، بل إنهم يتباهون بحضارتهم قبل ذلك سواء تقدم روما المادى والعسكرى أو تقدم أثينا فى الفلسفة والرياضيات ظلام العصور الوسطى، إذن كان كذلك لأن هذه الفترة (١٤٧٦-١٤٥٣م) قورنت ببزوغ الحضارة الإسلامية والتى شكلت تقدما روحيا باهرا وتقدما ماديا لا يبارى، نعم، كانت عصور ظلام للغرب عندما نقارن علماءهم بعلماء الدولة الإسلامية، وعندما نقارن مدنا بمدن، ففى هذه الفترة شيد المسلمون مدنا يقارب سكانها المليون بينما كانت كبرى عواصم الغرب فى ذلك الوقت مجرد أكواخ تشكل قرى صغيرة لا يزيد تعدادها عن بضع مئات، هى عصورهم المظلمة إذن، أما بالنسبة لنا نحن فقد كانت عصورنا المضيئة المبهرة، فيها بدأت الرسالة المحمدية، فيها أنزل القرآن، فيها كان للسحاب أن يمطر حيثما تسوقه الرياح ففى بلاد المسلمين سيمطر، فيها كان أكثر من نصف المعمورة مسلما، حرىٌّ إذن بها أن تكون عصور فخارنا.. دعاة التنوير فى بلادنا ينظرون إلى الأمور بعيون أعدائنا !! ويحذروننا كل آن وآخر من العودة إلى ظلام القرون الوسطى !!..

تنبهوا يا قراء إلى نمط آخر من التزوير يمارسه رواد التنوير.. إنهم دائما يحذرون من أن يعود بهم الظلاميون أمثالنا إلى جهالات القرون الوسطى لكنهم يتجنبون تماما أن يقولوا للناس ما هى الفترة التى تشملها

هـذه القـرون، لأن رجـل الشـارع العادى لو اكتشف أن هذه الفترة تشتمل على فـترة الرسـالة لكشـف دورهـم وأدرك خيانتهم وللفظهم على الفور، يدركون ذلـك، لذلـك يطلقـون التعبـير غامضـا ليسـرى فى هدوء ودون مقاومة بين الـناس سـريان سـم حـية رقطـاء، وبعـد أن يكمل السم مفعوله بعد أن يلوثوا وجـدان الأمـة وبعـد أن يـزيفوا وعـيها، وعندها تكون الأمة قد وصلت إلى درجة من البوار لا يفيدها فيها أن تعرف وأن تكتشف..

نعود إلى بداية القرون الوسطى..

كـان مـاثلا أمـام الإمـبراطورية الرومانـية الشرقية انقسام الإمبراطورية كلها إلى شرقية وغربية ثم سقوط الأخيرة نهائيا على أيدى الرعاة والهمج ،

كانوا يرتعدون من الخوف إزاء تهديد يأتيهم من الشمال والغرب ،

وفجأة ومن حيث لا يحتسبون انفجر الخطر..

من الجنوب ..

من مؤتة ..

نشـبت معـركة مؤتـة فـى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى سنة ٨ هجرية (سبتمبر/ أغسطس ٦٢٩م) ..

كـان الرسـول صـلى الله علـيه وسلم قد أرسل الحارث بن عمير الأزدى يحمـل كـتابا إلـى قيصـر يدعوه إلى الإسلام، فقتل أحد عمال قيصر فى الشام الحـارث وكـان قـتل السـفراء يسـاوى - مقارنـة بعصرنا الحالى - بل يزيد علـى إعـلان الحـرب، واهـتزت أرجـاء الجزيـرة العربية بما حدث، فهاهو محمـد صـلى الله علـيه وسـلم - يواجـه مـا لا قبل له به، وفكر المشركون مـن القـبائل- قـتلوا حيـن فكـروا- أن المسـلمين بيـن شـقى الرحى فإما أن يبـتلعوا الإهانـة فتسـقط هيبـتهم بين القبائل وإما أن يواجهوا فيبيدوا، وكان المشـركون فـى مكـة يتربصـون ويتلمظون، كيف فكرت يا حبيبى ويا مولاى ويـا نبـيى ويـا رسـولى ويـا شـفيعى صـلى الله عليك وسلم.. كيف فكرت فـى هـذا الموقـف العصـيب.. كـيف فكـرت وكـيف قـدرت وجيشك قليل وسـلاحك بسـيط وأرضـك محـدودة وحسـابات الدنيا تقول أنها محكوم عليها بالتلاشـى إمـا بالتفتـت لانصـراف القـبائل والتحالف مع قريش أو بالانسحاق بمواجهة روما..

انظروا يا قراء..

انظـروا يـا نـاس كـيف يفعـل الإسـلام بأهله حين تتصل حسابات الدنيا بحسابات الآخرة..

انظـــروا وقـــارنوا الـــيوم مـــاذا يفعـــل مليار وربع المليار لا يقتل سفراؤهم بـــل شـــعوبهم وأوطـــانهم وتضـــيع أرضـــهم وتحاصـــر دولهم وهم غثاء كغثاء السيل..

انظروا..

أمـــر الرســـول صـــلى الله علـــيه وســـلم بتجهـــيز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقـــاتل، وهـــو أكـــبر جـــيش إسلامى لم يتجمع قبل ذلك إلا فى غزوة الأحزاب، وتحـــرك الجـــيش الإســـلامى حـــتى وصـــل إلـــى الشام ليفاجأ بأنه يواجه جيشا قوامـــه مائـــتا ألـــف مقـــاتل تحـــت قيادة هرقل وحار المسلمون كيف يتصرفون إزاء واقـــع لـــم يحســـبوا له حســـابا وقـــرر بعضـــهم أن ينتظر حتى يكتبوا إلى الرســـول صـــلى الله علـــيه وســـلم فإما أن يمدهم بالرجال أو يأمرهم بأمره لكن عـــبد الله بـــن رواحـــة عـــارض هـــذا الرأى هاتفا بالناس :يا قوم والله إن التى تكـــرهون للـــتى خرجـــتم تطلـــبون الشـــهادة ومـــا نقـــاتل الـــناس بعدد ولا قوة ولا كـــثرة، ومـــا نقـــاتلهم إلا بهـــذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا، وفى مؤتة الـــتقى الجمعـــان، وبـــدأ القـــتال المريـــر ثلاثـــة آلاف رجـــل بالأسلحة الخفيفة يواجهـــون مائـــتى ألـــف مقـــاتل هم بعض جيش القوة العظمى الأولى فى العالم. بأســـلحتهم الجـــبارة والهائلـــة، كانـــت دولة المسلمين التى تمثلها المدينة المنورة تواجـــه دولـــة الـــرومان الـــتى تمـــثل معظـــم العـــالم المعمـــور، أخـــذ الراية زيدبـــن حارثـــة فلـــم يـــزل يقـــاتل حتى استشهد فأخذ الراية جعفر بن أبى طالب وطفـــق يقـــاتل قـــتالا مـــنقطع النظـــير حـــتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، فقطعـــت شـــماله فاحتضـــنها بعضـــديه، فلم يزل رافعا إياها حتى استشهد وكان أخـــو عـــبد الله بـــن رواحـــة يحاول إطعامه كى يتقوى على مواصلة القتال لكنه سمع صليل السيوف فلفظ ما فى فمه وهو يصرخ بنفسه لائما ومقرعا:

- " **وأنت بعد فى الدنيا** "..

وأنت بعد فى الدنيا

و أنت بعد فى الدنيا أيها القارئ

وأنت بعد فى الدنيا يا أمة..

اغتصـــبت أرضـــك وانتهكـــت نســـاؤك وأذل الجبـــن أعناق رجالك ثم بعد ذلك كله أنت بعد فى الدنيا..

قالهـا عـبد الله ابـن رواحـة ثـم اندفـع يقـاتل حـتى استشـهد ، فتقدم خـالد بـن الولـيد ليـنجح فـى الصـمود بقـية الـنهار، وكان يشعر بالحاجة إلـى مكـيدة حربـية تلقـى الرعـب فـى قلـوب الرومان حتى ينسحب سالما بالجـيش ، كـان يشـعر بالكارثـة لـو انهـزم المسلمون وطاردهم الرومان ، لـم يكـن سـيبقى مـنهم أحد فلما أصبح اليوم التالى غير أوضاع الجيش وعباه مـن جديـد فغـير مكـان الفـرق فلمـا رآهـم الـرومان ظنوا أن مددا جاءهم فأصـابهم الرعـب وناوشـهم المسـلمون مـع انسـحاب منظم وخشى الرومان مـن أن يكـون الأمـر مكـيدة لاستدراجهم إلى الصحراء فانسحبوا هم الآخرين مـن مـيدان المعـركة.. وانسـحب جـيش المسلمين فى أنجح وأعظم انسحاب فى التاريخ ..

كانت حربا عالمية بين حضارتين..

لم تنقل لنا المراجع عدد قتلى الرومان لكنها تجمع على كثرتهم..

فهل تعلمون كم استشهد من المسلمين ؟..

كم استشهد فى حرب رغم تفاوت القوى فيها- تعد حربا عالمية؟!..

استشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا!!!..

وكانـت المعـركة ذات أثـر هـائل علـى العـالم، لقد ألقت العرب جميعا فـى الدهشـة والحـيرة، كـان الرومان أعظم وأكبر قوة فى العالم وكان موقف الجـيش الإسـلامى مـع خسـائره الضـئيلة فـى المعركة الهائلة مذهلا واقتنع العـرب أن المسـلمين طـراز آخـر غير ما عرفوه وأنهم مؤيدون ومنصورون من عند الله وأسلمت بعد هذه المعركة قبائل كثيرة[1] ..

يتـناول الأسـتاذ محمـود الشـاذلى الأمـر بالتحلـيل مدركا أن الأمر قبل مؤتة غيره بعدها.

مـنذ مؤتـة وجـذور المسـألة الشرقية تنغرس في الضمير الأوربى وتلقى اهـتماما بالغـا فـي دولـة الـروم الشرقية :الدولة البيزنطية وكان عند بيزنطة عقـدة تاريخـية تـبرر ذلـك الاهـتمام. فلقـد شـطرت قبائل القوط الغربيين والونـدال والجـرمان الإمـبراطورية الرومانـية الكبـيرة إلـى قسمين: غربى ومقـره رومـا، وشـرقي وعاصـمته القسـطنطينية ثم قضى الهون نهائيا على الدولـة الرومانـية الغربـية، وأعلـن "أودواكر الوندالى - كبير الجند البرابرة - نهايـتها فـي عـام ٤٧٦م وأبلـغ بـلاط بيزنطة، أنه لم يعد هناك إمبراطور في الغرب .

---

١ - المسألة الشرقية- الكامل فى التاريخ- البداية والنهاية : مراجع سابقة .

وكانت القسطنطينية قد بنيت على أنقاض مدينة بيزنطة الإغريقية، لتكون مدينة مسيحية الصيغة، ودشنها قسطنطين الأول في ١١ مايو ٣٣٠ م وسميت باسمه لتكون عاصمة الدولة الرومانية الكبرى.

ولئن كانت روما القديمة قد تميزت بكنائسها الضخمة فإن كنيسة القديسة صوفيا في روما الجديدة، قد فاقت الكل أبهة وفنا ومعمارا، حتى قيل : أن الله والإنسان قد اشتركا في البناء..

فلما سقطت روما في أيدي القوط، وانتهى معها القسم الغربى من الإمبراطورية، غدت روما الثانية أو القسطنطينية رمز الاتحاد بين التقاليد الرومانية والديانة المسيحية فأصبحت المعتقدات الكنسية والجنسية الرومانية شيئين مترادفين .

كانت الإمبراطورية الشرقية المدافعة عن عالم الغرب الإغريقى ثم الرومانى ثم المسيحي كما كانت هى تعبيره السياسي وحاملة مواريثه الثقافية، ولها مستعمراتها في مصر والشام وشمال إفريقيا والأناضول .

لم يكن ينافسها فى الدنيا منافس بعد أن هزموا الفرس تلك الهزيمة التى تنبأ بها القرآن الكريم.

ظنوا أنهم ملكوا أقطار الدنيا فلا منافس لهم.

لكن مؤتة قلبت حساباتهم..

صحيح أن المسلمين قد انسحبوا وكان ذلك أبرع انسحاب تكتيكي في التاريخ. لكن الساسة في عاصمة الروم رأوا المسالة بوضوح تام. فلأول مرة يواجه الرومان جيشا عقائديا على حدودهم لا يعترف بما اصطلح عليه الناس من نصر أو هزيمة، وإنما يسمي الأشياء والمعاني تسمية جديدة. فنتائج أى معركة عند هذا الجيش الجديد تسمى إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، ولم يعد لمعنى الهزيمة العسكرية -لو وقعت - أي أثر في عقيدة المقاتلين الجدد، ولا في ضميرهم وهو على البشرية أيضا جديد .

وصدق ابن إسحاق الذي اعتبر ذلك نصرا وفتحا، وكان حجته أن ثلاثة آلاف قد صمدوا لمائتى ألف يتفوقون عليهم تفوقا ساحقا فى العدة والعتاد، ثم خلاصهم من إحاطة العدو وتراكمه وتكاثره وتكاثفه عليهم، وأيده ابن كثير، وعنده :أن من عادة الجيش أن يفر إذا قتل قائده فكيف وقد استشهد قادة ثلاثة تولوا القيادة على التوالي ، وصمد من بعدهم كل المقاتلين.

ويستمع هرقل لأول مرة أن النفس إن لم تقتل تموت نقلت إليه عن المسلمين المقاتلين في مؤتة، وقد صاغوها في طمأنينة الواثق بوعد الله، المتحقق من صدقه، في يقين يعيشه المؤمنون بإحساس أقوى من الرؤية وأشد من اللمس. ويطور المسلمون غريزة البقاء الفاني إلى طلب الخلود في دار المقامة حيث الرجعى والمآب .

كان هذا هو الكنز الذى ملكوه فاورثونا إياه فأضعناه..

وبه كان يصبح للموت بالقتل طعم آخر ويغبط الشهيد.

وتأكد هرقل – أيضا – أن كل شهيد من جيش العقيدة في جسده بضع وتسعون ضربة ورمية من رمح أو سهم أو سيف فتساءل مذهولا : أي بشر هؤلاء ؟ وأجيب بأنهم المسلمون..

ويشهد أومان على المفهوم الجديد، فإنه في الأعمال الحربية الأولى بين الرومانيين الشرقيين والمسلمين لم يكن تفوق النظام وجودة الأسلحة عند الأولين عاملا كافيا يمكن أن يصمد أمام التهور الجنوني عند الآخرين -يقصد حماس المجاهدين – فإن المسلم كان يريد أن يموت حتى يستطيع أن يجني ثمار الشهادة في العالم الآخر، ولم يكن يعنيه كيف مات إذا كان قد قتل عدوا لله قبل موته وكان الروماني يحارب حربا لا بأس بها ، لكنه لم يكن مثل عدوه يتوق إلى الشهادة .

أومان يسميه التهور والجنون ونحن نسميه الجهاد فى سبيل الله..

أومان يسميه كذلك لأنه هو الذى هدد إمبراطورية الشر حتى قضى عليها..

أما نخبتنا فعلى دين أومان..

هل لاحظت أيها القارئ أن الإسلام محاصر فى جميع بلاد العالم الإسلامى مضطهد رجاله محاكم أبطاله مسجون فرسانه..

أمحض صدفة أم ولاة قيصر؟!..

هل عرفت الآن أيها القارئ لماذا توالت علينا الهزائم والنكبات والخيبات..؟!

وهل أدركت أى كنز أضعنا ؟!..

كان جيش المدينة بقيادة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة يملك هذا الكنز، وقد تنبه المسئولون في بيزنطة أيضا إلى هذا الكنز وإن لم يفهموه.

اقـتحام جديـد ، لـه رسـالة جديـدة، ومفاهـيم جديدة . ودرست المسألة فـي أروقـة الحكـم فـي القسـطنطينية. وتسـاءل هرقل : إذا كان غزو قبائل الهـون قـد قضـى علـى الدولـة الرومانـية الغربية في مدى أربعين عاما - وكانـت دولـة الـرومان الكبـيرة قد استغرق تكوينها ألفي عام - أفتسقط دولتهم الشـرقية - كذلـك - بدفـع الدولـة المسلمة الوليدة التى تتكون من مدينة واحدة وبضـع كـيلو مـترات حولهـا ؟ وقـبائل الهـون كانت بربرية، ولا تملك هدفا إلا السـلب ، والنهـب ، والاسـتيطان أمـا الجـدد فـإن لهـم رسـالة منبـثقة عن عقيدة وهدفهم تحرير الناس جميعا.

إذن هـو الخطـر ودقـت الأجـراس في كنيسة القديسة صوفيا، تستصرخ الناس أن يحاربوا المسلمين، لأن المسلمين قادمون..

كانت غزوة مؤتة قبل فتح مكة بحوالي أربعة شهور - ولا زالت الجزيرة العربية - عدا الجماعة المسلمة في المدينة المنورة - في جاهليتها.

كانـت مؤتـة معـزولة بالكـامل عما سبقها من سياق التاريخ بقدر ما كانت وثـيقة الصـلة بمـا بعدهـا، ففـى سنة ٩ هجرية وبعد عام وشهرين من غزوة مؤتـة كانـت غـزوة تـبوك ردا على تجهيزات قيصر لغزو المدينة وكان جيش المسـلمين هـذه المـرة ثلاثيـن ألـف مقاتل فما أن علم الرومان به حتى أخذهم الرعـب فـتفرقوا فـى الـبلاد وخـرت البلاد العربية التى تحتمى بهم صاغرة ودفعت الجزية..

أكـاد أرى أحـد رواد الـتزوير يبتسـم ساخرا فى محاولة لإيهام من حوله أنـنا فقـط نـبالغ عـندما نـروى الـتاريخ من وجهة نظرنا يبتسم ساخرا فكيف يمكـن لـثلاثة آلاف أو ثلاثيـن ألفـا أو حـتى ثلاثمائـة ألـف أن يهـددوا الإمبراطورية الرومانية بقضها وقضيضها..

وعلى هذا السفيه يرد التاريخ نفسه..

فلـم يكـد يمـر عامـان ورغـم لحـاق الرسـول صلى الله عليه وسلم بالرفـيق الأعلـى حـتى كـان أبو بكر يرسل جيشا آخر بقيادة أسامة بن زيد الذى استشهد أبوه فى غزوة مؤتة..

لـم تكـن مجـرد غـارات أعـراب يـا رواد التزوير يا خنازير ففى العام الـتالى مباشـرة كـان المسـلمون بقـيادة خالد بن الوليد يلحقون بالفرس : القوة

العظمى الثانية في العالم هزيمة ساحقة في معركة ذات السلاسل حين ربط فرسان الفرس أنفسهم بالسلاسل كي لا يفروا..

انظروا إلى الكنز الذي أضعناه..

دولة وليدة تواجه أكبر قوتين في العالم معا وهي واثقة من النصر..

في سنة ١٢ هجرية وقعت معركتا المذار وأليس وفتح المسلمون الحيرة وهي من أهم مدن الفرس..

في عام ١٣ هجرية تجمع الفرس والرومان لمواجهة المسلمين فواجههم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ليحققوا عليهم نصرا ساحقا قتل فيه من جيوش بيزنطة وفارس مائة ألف في معركة الفراض..

وفي نفس العام :١٣ هجرية نشبت معركة اليرموك الحاسمة بين المسلمين والرومان كان الجيش الروماني يتألف من ٢٤٠ ألفا وكان المسلمون خمسة وأربعين ألفا ومنى الرومان بهزيمة فادحة خسروا فيها نصف جيشهم لينسحب هرقل كاسف البال حسير النفس مطلقا زفرة مازال التاريخ يحمل حرارتها حين قال:

عليك يا سوريا السلام، سلاما لا لقاء بعده..

في العام التالي مباشرة (١٤هـ) حقق المسلمون انتصارهم الساحق في القادسية..

وفي ١٥ هـ نشبت معركة أجنادين مع الروم وهي المعركة التي فتحت الطريق إلى القدس ليدخلها المسلمون عام ١٦ هجرية..

لم يكن السلاح ولم تكن العدة والعتاد بل كان الكنز الذي أضعناه..

كان الإسلام..

كان الجهاد في سبيل الله..

كانت الحمية الدينية لقوم بايعوا الله واشتروا الآخرة بالدنيا..

كانوا بالنسبة لأعداء الله إرهابيين..!!

وكانوا بالنسبة للشيطان إرهابيين ..

لكنهم كانوا أمام أمتهم وأمام الله هم المؤمنون..

وكانوا يملكون الكنز[١] ..

---

١ – من يعز عليه التصور فلينظر إلى الشيشان..

في عام ١٩ هجرية بدأ الجيش الإسلامى فتح مصر وطلب المقوقس وفدا كى يفاوضه فأرسل إليه عمرو بن العاص عشرة على رأسهم عبادة بن الصامت وهو أسود البشرة فلما بدأ الكلام نحاه المقوقس قائلا : نحوا عنى هذا العبد وقدموا غيره يكلمنى فرد عليه الباقون قائلين : هذا الأسود سيدنا وخيرنا والمقدم علينا..[١]

كان ذلك منذ ١٤ قرنا..

إن جيلنا ما يزال يذكر الجامعات الأمريكية التى كانت ترفض قبول الطلاب السود والمطاعم والنوادى ووسائل النقل لكن الخنازير يعيروننا بتخلفنا وتقدمهم..

يلاحظ محمود الشاذلى ونلاحظ معه أنها ثمانية عشر عاما، فحسب، كانت المسافة من مؤتة، إلى ميراث الأرض في دولة مترامية الأطراف..

أليس عجيبا أن الفتى الذي كان بالغا منذ دخل النبي إلى المدينة مهاجرا، قد تنقل من القيروان إلى نهاوند، ومن أرمينيا إلى السودان، ومشى في أراض صارت مسلمة، وكانت تديرها من قبل اكبر إمبراطوريتين في التاريخ !! تديرها بالقيصر والشاهنشاه، بالقلاع والثغور، بالحاميات، والعسكر والولاة. عاش وتنقل على امتداد اكبر قارتين ولا زال عمره أقل من الأربعين، إمبراطوريتان ضخمتان، وبمقاييس الأرض متحضرتان غالبتان وتسيطران على أمم وشعوب وقوميات مغلوبة، ولهما من قوة الجيوش وفنون الإدارة والنظم والقوانين والآداب، والطرق والجسور والقصور، وصناعة العصر وتجارته وزراعته – وفوق ذلك الحس الوطنى الملتهب، كل ذلك – وتسقطان في مثل عدد تلك السنين !! ماذا ؟ ..

ولم يغفر الرومان (اقرأها : الأمريكان) أبدا ما حدث..

لم يغفروا لنا أبدا أننا حررنا بلادنا واخوتنا من بطشهم وجبروتهم..

ولم يكفوا أبدا عن المحاولة طيلة حكم الدولة الأموية والعباسية..

---

١ – الرحيق المختوم.صفى الدين المباركفورى. دار الحديث– وثائق الحروب الصليبية. محمد ماهر حمادة.مؤسسة الرسالة.– معارك فاصلة فى التاريخ الإسلامى. الدكتور عبد المنعم خفاجى والدكتور عبد العزيز شرف. الدار المصرية اللبنانية– معارك العرب الحاسمة. صبحى عبد الحميد. الدار العربية للموسوعات– البداية والنهاية– الكامل فى التاريخ: مراجع سابقة– موسوعة تاريخ مصر. أحمد حسين. مطبوعات الشعب.

يقــول علـــى عــزت بيجوفيــتش فـــى كــتابه : الإعلان الإسلامى[1] ترجمة الأســتاذ محمــد يوســف عــدس :لقد توفى محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦٣٢ مــيلادية، وفـــى أقــل مـــن مائـــة عـــام علـــى وفاتـــه انتشــرت القوة الروحية والسياســية لرســالته إلـــى بقعـــة هائلـــة مـــن الكرة الأرضية ممتدة من المحيط الأطلســى إلــى الصــين ومــن بحــيرة آرال إلى منابع النيل فتحت سوريا سنة ٦٣٤م وســقطت دمشــق أمــام الجــيش الإســلامى سنة ٦٣٥م، ووصل الإسلام إلـــى الهـــند ســـنة ٦٤١ م، وإلـــى قرطاج سنة ٦٤٧م، وإلى سمرقند سنة ٦٤٧م، وكـــان المســـلمون علـــى أبـــواب القســـطنطينية ســـنة ٧١٧م، وفى سنة ٧٢٠م كـــانوا فـــى جـــنوب فرنســـا، وكـــان هـــناك مســـاجد فى شانتونج سنة ٧٠٠م، وحوالى سنة ٧٣٠ وصل الإسلام إلى جزيرة جاوه..

هـــذا التوســـع الفـــريد الـــذى لا يقـــارن بأى توسع آخر قبله أو بعده قد وفر مســـاحة لـــتطوير الحضـــارة الإســـلامية فـــى ثلاثـــة عوالم :فى أسبانيا والشرق الأوسط والهند، وذلك عبر حقبة من الزمن تبلغ حوالى ألف عام..

ويواصـــل علـــى عـــزت بيجوفيـــتش : مـــا الـــذى يمـــثله المسلمون اليوم فـــى العـــالم المعاصـــر؟ هـــذا السؤال يمكن وضعه بطريقة أخرى : إلى أى مدى نحن مسلمون،؟! إن الإجابة عن هذين السؤالين واحدة:

نحن مستعبدون..

فـــى نقطـــة معيـــنة مـــن الـــتاريخ الحديث هى سنة ١٩١٩م، لم تكن توجد دولـــة مســـلمة واحـــدة مســـتقلة، ولـــم تتغـــير الأوضـــاع بعد هذه النقطة تغييرا جوهريا"..

بيـــن ١٤٥٣ نهايـــة العصـــور الوســـطى – و١٩١٩ كـــان الكنز يتسرب من أيدينا..

لم يغفر الرومان لنا قط أننا حررنا بلادنا من استعمارهم..

لم يغفروا ولم ينسوا..

نحـــن أيضـــا لـــم نـــنس بشـــارة الرســـول صـــلى الله عليه وسلم لنا بفتح القسطنطينية..

كان المسلمون قد عجزوا مرات عديدة عن فتحها..

واستهلكت الحملات الصليبية ثم حملات المغول طاقة العرب وجهدهم وقدرتهم على مواصلة التقدم..

---

١ – مرجع سابق .

واحتلــت القدس فأضعنا الأمانة التى استودعناها عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

فى الحملة الصليبية الرابعة ارتكب الصليبيون جريمة لا تختلف عن جرائمهم السابقة واللاحقة إلا فى شخوص من ارتكبت معهم..

كان شيئا أشبه بزنا المحارم..

كان شيئا أشبه بالوباء وقد أورثوه لنا بعد أن أضعنا كنزنا فارتكبنا ذات الجرم مع اخوتنا ومع أنفسنا..

فى الحملة الصليبية الرابعة وفى طريقهم إلى القدس اغتصب نصارى الغرب نصــارى الشــرق وسبوا مدينة "أم الرب" وهتكوا عرض "ملكة المدن المسيحية" واســتباحوا "القســطنطينية "المديــنة التي يحرسها الله ، وقتل الصليبيون إخوانهم الصــليبيين مــن غير إعلان حرب وهتكوا أعراض نسائهم وسرقوا كنائس "فخر اليونان "، وخطفوا عظام القديسين ونبشوا قبور أبطال المسيحية وعربدوا فوق مذبح الــرب الســامى، حــدث كل ذلك والصليبيون في طريقهم – في الحملة الصليبية الــرابعة –إلــى حرب مقدسة– ليخلصوا بيت المقدس والقبر المقدس من المسلمين المتوحشين!!..

وما حدث بعد ذلك يرويه "أومان :

فقــأوا عيــنى الــبطريرك خلــيفة المســيح وحامل تاجه وعصاه ولفوا به القســطنطينية (سبع لفات) وفي النهاية قطعوا رأسه والقوه في البسفور!.. .. قتلوا ثلاثــة آلاف أو أربعة آلاف من أهالى المدينة المجردين من السلاح وأظهر الجيش انقيادا للشهوة والشراسة. ولا يقل جميع الكتاب الغربيين تحمسا عن الكتاب الإغريق فــي إظهــار فظائع كرنفال الخطف والنهب الذي قام في هذا الوقت – إذ كان كل فارس أو جندي يستولي على المنزل الذي يريده ويتصرف فى سكانه كما يشاء، ولم يكن مصير الكنائس والأديرة أحسن من مصير المساكن الخاصة، وقد وضع الجنود السكارى إحدى العاهرات في الكرسي البطريركي في كنيسة سانت صوفيا وأمروها أن تــتلو أغــانى بذيــئة وترقص رقصات خليعة أمام المذبح السامي، وكان يوجد كثيرون من رجال الدين مع الجيش الصليبي ولكنهم بدلا من أن يحاولوا وضع حد لهــذه الأعمــال التــي صدرت من مواطنيهم، وكانت تقوم على انتهاك الحرمات، كرســوا أنفسهم لنهب خزائن الكنائس من جميع العظام المقدسة التي كانت مخزونة فيها"..

كانوا يحملون الوباء الذى أعطوه لنا وكان "**محمد الفاتح**" يحمل الكنز الذى أضعناه..

دخل "**القسطنطينية**" فاتحا فكان وهو يحارب دولة الروم التي ظلت أحد عشر قرنا من الزمان عدو المسلمين الرئيسي والتقليدي كان يحارب "**حرب الإسلام**" التي لا تهتك فيها حرمة، ولا يقتل فيها صبي ولا شيخ ولا امرأة، ولا يحرق فيها زرع، ولا يتلف فيها ضرع، ولا يمثل فيها بإنسان، ولا تصيب إلا المقاتلين الذين يحملون السلاح في وجه المسلمين ".

ففي مارس ١٤٥٣ م أقام السلطان الفاتح حصنا على بعد سبعة كيلومترات من القسطنطينية سماه "**روملي حصار**".. وفي التاسع من إبريل قاد من خلفه سبعين ألفا من الجنود وحاصر المدينة من جانب البر، بينما حاصر البسفور أسطول يتكون من بضع مئات من السفن الحربية.

وكان – رحمه الله – في الرابعة والعشرين من عمره يوم قاد جيش الفتح العظيم.. كان في مقدمة جيشه يقرأ مع جنوده ذوي الروح الإسلامية العالية سورة الفتح، ويدعو مستبشرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش ".

وفي ٢٩ من مايو ١٤٥٣ م فتح السلطان عدة ثغرات في السور ووجه الضغط الأساسي إلى الثغرة الكبرى بجانب بوابة سانت رومانوس.

ومع المدفعية العثمانية الثقيلة، والمنافسة من الجنود على الفوز بإحدى الحسنيين، يصعد مدويا الهتاف باسم **الله أكبر**، والتنادي أن لبيك أبا أيوب، وتسقط الحصون المنيعة لعاصمة الدولة البيزنطية، وتخر أسوار فخر اليونان – المدينة التي يحرسها الله – هاوية أمام الفاتحين غداة يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضان عام ٨٥٧ للهجرة الموافق ٢٩ من مايو عام ١٤٥٣ للميلاد، واخترقت فرقة من الإنكشارية الثغرة الرئيسية يقودها حسن الألوبادى، أحد أبطال الترك المجاهدين، واندفع الجيش المنتصر فى شوارع المدينة التي استعصت من قبل على كسرى ومسلمة بن عبد الملك وغيرهما

من القادة الكبار. ودخل السلطان الفاتح مدينة "أم الرب - روما الثانية - قبل ظهر يوم الجمعة، بعد ثلاثة أيام من الفتح، أمن المغلوبين وأعلن حرية الفكر والاعتقاد. وتكسر تمثال "رلفى" المثلث الرأس بثعابينه الثلاثة والذى كان واقفا حيث وضعه قسطنطين الأكبر، منذ أحد عشر قرنا مضت عند سانت صوفيا رمزا لانتصار الرومان على الشرق القديم، وتذكارا لصد الفرس فى موقعة بلاثابا" .. وأقيمت الصلاة الجامعة ليوم الجمعة المعظم في السابع عشر من رمضان حيث دوى الأذان من اعلى تحفة "جستنيان ".. وكبر المسلمون في القبة التي أحيا فيها ثلاثون جيلا من البطاركة العشاء الرباني المقدس.

وأزال الفاتح العظيم - من الوجود - إمبراطورية الروم الشرقية التي دامت أحد عشر قرنا من الزمان .

وصارت العاصمة المقدسة للدولة الرومانية والحضارة الهيلينية والأرثوذكسية العالمية، حاضرة للدولة العثمانية، ومنارة لإشعاع الإسلام. وعوضا عن القيصر الكاهن الإمبراطور حل السلطان المسلم أمير المؤمنين، أصبحت الآستانة بمآذنها السامقة موئلا للثقافة الإسلامية، ودارا لطباعة المصحف العثماني الشريف، ومقرا لشيوخ الإسلام .

وعلى مسجد السلطان الفاتح تقرأ حديث رسول الله الذى يبشر بالفتح، ويبارك قائد النصر، ويثني على الفاتحين: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"

***

هذا هو التاريخ الذين يحاولون تشويهه..

وهذا هو ملمح من تاريخ الدولة العثمانية الذى شوهوه فأصبح مجرد الشك فى وصمها بالسواد المطلق وصمة عار ووثيقة اتهام وإدانة..

فليحاول الآن كاتب لا أن يدافع عن دولتنا الإسلامية فى فترة العثمانيين فليحاول ليرى كيف سيتعامل معه دعاة التنوير وكيف ستعوى الكلاب والخنازير..

ثـم يخلـط الخـنازير متعمديـن ما بين الفتح الإسلامى والاستعمار الغربى متجاهليـن لا جاهليـن- أن الاسـتعمار كـان يخـرب ويسـتنزف ويسـرق ويسـتعبد بيـنما كـان الفـتح الإسـلامى يحـرر الشـعوب مـن المستعمرين والجبابرة والطغاة ويخلى ما بين الناس وما بين الله .

لقـد لاحـظ رجـاء جـارودى ذلـك لكن مستنيرينا لم يلاحظوه ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط.

لقـد أدان الخـنازير فـتوحات الإسـلام واعتـبروها احتلالا بينما أشادوا باحتلال الصليبيين واعتبروه تنويرا.

بـل لقـد بلـغ بهـم الأمر- قتلهم الله - أن راحوا يحتفلون بذكرى الغزوات الصليبية لشعوبنا.

فهل يوجد من القراء من يعتب علىّ حين أصفهم بأنهم خنازير؟!

***

لقد كانت أيام فتح القسطنطينية أواخر عهدنا بالكنز الذى أضعناه .

وبعدها استشرى فينا الوباء الذى أخذناه.

أضعنا كنزًا .. وأخذنا وباءً[1] .. (٢)

كنّ نصف خادمات ونصف داعرات..

وكان ذلك في أحد المجتمعات الريفية المتخلفة التي عرفتها في بواكير حياتي، حاولت في أزمان متفرقة وممتدة دراستها كنقطة من ماء البحر يكفي تحليلها لمعرفة خواص البحر كله .ولاحظت في بيوت أعيان القرية ووجهائها أنماطا غريبة من السلوك لا تنتمي إلى الأنماط السلوكية المعتادة للقرية كما أنها لم تلحق بالمدينة، أنماط ترقى في تناقضاتها إلى مستوى الكاريكاتير الصاخب، لقد استبدل الجاتوه والجيلي على سبيل المثال- بالعسل الأسود والأبيض، لكنهم لم يكونوا يأكلون تلك الأطعمة الحديثة عليهم باستعمال الشوكة أو حتى بأيديهم بل كانوا يأكلونها ائتداما بالخبز، تماما كما كانوا يأكلون العسل. وقس على ذلك لباسهم وتقاليد حفلاتهم، وتقصيت الأمر، فاكتشفت أن هذه القرية التي كانت معزولة لأسباب جغرافية واجتماعية متعددة عن التأثر والتأثير في المدينة. كانت تقطنها عائلة من العائلات العريقة التي أخنى عليها الدهر فلم تستطع الاحتفاظ بالصدارة ولا الرضا بالتهميش. ظلت على بقايا تقاليدها القديمة حتى ذهبت إحدى فتيات القرية لتعمل كخادمة في القاهرة. ولم تكن الفتاة كسابقاتها. لقد اندمجت في حياة المدينة الصاخبة. وسرعان ما انتقلت إلى الملاهي الليلية راقصة محترفة بعد العمل فترة كداعرة محترفة. ثم تحولت إلى مطربة نصف مشهورة كانت تعود إلى القرية كل حين وآخر مستقلة سيارتها الهيلمان أو الأوستن. كانت تهز شوارع القرية الضيقة. لا بهذا الكائن الخرافي الميكانيكي الضخم المخيف بل بتصدع قيم وتقاليد راسخة. منها على سبيل المثال تراجع قيم الشرف والحياء والخوف من معصية الله. إن الشرف الذي كان لا يغسله إلا الدم أصبح الآن القليل من الدولارات أو حتى البترول كافيين لا لمجرد غسله بل ولجعله أكثر بياضا من شرف حقيقي. كانت الطريقة الجديدة للحياة تقدم لهم أنموذجا للحياة بدا باهرا في متعه صاخبا في نشوته بعد أن تخلى عن عبء مخافة الله واجتناب الكبائر، بدت الحياة الدنيا دون أعباء الآخرة خفيفة رائعة

---

١ - مزيدة ومنقحة لما نشر في صحيفة الشعب: ١٩٩٩/٦/٤

تم التخلص من ملائكة العذاب ومن عبء المسئولية فى الحياة الدنيا فى لحظة وتراءت من بعيد المتع والنشوات دون حساب كالشهد المصفى، وبدا لهم أن غضب الله وانتقامه لم يحق بهذه المتمردة على نواميسه بل أصابها الرزق الوفير والعز والجاه والمجد. إن هى إلا حياتنا الدنيا لم يقولوها ولكنهم تصرفوا على أساسها واندفعت فتيات القرية حتى من لم تكن محتاجة إلى العمل- إلى العمل كخادمات فى القاهرة. بدا لهن أنهن لو سرن على نفس الخطى فسوف يصلن إلى نفس المنتهى. ضاع بعضهن إلى الأبد ولم يعد أحد يسمع عنهن أبدا. أما البعض الذى لم يضع تماما فقد رحن ينقلن قشورا من أنماط الحياة فى البيوت التى يخدمن فيها إلى بيوت أسرهن. ثم إلى الجارات. ثم إلى القرية كلها. استطاع البعض منهن الإفلات من المصيدة فى وقت مناسب فعدن إلى القرية والتحقن للخدمة فى منازل أثريائها لينقلن إليها قمامة تقاليد المدينة. لم ينقلن إيجابيات المدينة. بل أسوأ ما فيها. وعندما تزوج بعضهن فقد كان مظهر منازلهن وأزواجهن رغم الفقر المدقع- يختلف عن مظهر بيوت وأزواج أقرانهن. وتسلل الرعب إلى حرائر المدينة وخفن أن ينطلق أزواجهن إلى نساء المدينة ليتزوجوا عليهن، هذا إن لم يطلقوهن. اندفعت الحرائر إلى الخادمات يسألنهن عن تفاصيل التفاصيل فيما رأينه فى المدينة الساحرة، ماذا يفعل الرجال وكيف تتصرف النساء. وبدأ كفاح بائس للحاق بالمدينة عبر الخادمات وأنصاف الداعرات. وكانت النتيجة الساخرة المهينة التى رأيتها أكل الجيلى والجاتوه بالخبز. ووضع السيارات التى باعوا أرضهم واشتروها فى حظائر المواشى فلم تكن ثمة أماكن لها ولا أماكن تتيح لهم علاقاتهم الاجتماعية المنغلقة أن يستعملوها فى الذهاب إليها.

كانوا مقتنعين بحياتهم الجديدة وكأنهم وقد فعلوا ذلك فقد حققوا الرقى والتقدم والحضارة وأصبحوا كأهل المدينة وتجنبوا ما يمكن أن يحيق بهم وبهن من شرور.

***

هل تندهش لتلك الحكاية أيها القارئ ؟..

لكن لماذا تندهش وأنت تعيشها ؟!..

فالمومس التى اندفعت القرية خلفها لتلحق بركب المدينة ليست سوى بعض كبار المفكرين وكتاب التاريخ ونخبة الأمة والمستنيرين أعداء الانغلاق والتحجر والتأسلم..

أجل أيها القارئ..

أكـــبر كتابـــنا ومفكريـــنا الذيـــن تدفعهم حكوماتنا إلى الصدارة ليسوا سوى واحدة ممن ذكرت.

الآخـــرون.. الذيـــن لـــم يبتســـم لهـــم حـــظ الشيطان تماما أصبحوا نموذجا هزليا لنصف الخادمة ونصف الداعرة.

و أنـــت أيهـــا القـــارئ. أنـــا وأنـــت وهو وهى وهن وهم. اندفعنا كحرائر القـــرية ورجالاتهـــا، خلـــف زبـــالات الموائد وحثالات المدن كما لو كان ذلك هو الطـــريق الوحـــيد الـــذى يـــنفى عـــنا الجهـــل والـــتخلف ويجعلنا نمسك بأهداب الحضـــارة. عاملـــنا الحضـــارة كوثـــن يجـــب أن نعبده وطلسما نتقى به شرور الآخـــرة!!. ولقـــد غفلـــنا أنهـــا لـــم تكـــن حضـــارة. وأن ما نقل إلينا منها كان الحثالات والقاذورات والدنس.

نســـينا أن الإنســـان خلـــق لـــيكون عـــبدا فإما أن يكون عبدا لله أو للشيطان وأنه فى وجوده لا يجب أبدا أن يعزل الدنيا عن الآخرة..

وكنا نفقد كنزا ونأخذ وباء.

خدعنا الصدأ والغبار على الكنز المطمور الذى لم نحافظ عليه فى البداية كما يجب. ثم فى اللحظة الحاسمة غفلنا عن أنه كنزنا الذى يحب علينا أن نعالج إهمالنا لـــه وعدم استعماله بأن نجلوه ونظهره ونتباهى به على العالمين. خدعنا كل ذلك. وخدعـــنا النصاب الأفاق فى الغرب عن طريق نخبنا ومثقفينا .المومسات وأنصاف المومسات..!!.

هل يتهمنى أنصاف الداعرات بأنى بذئ؟.

أعترف بأنى حزين. وعلى مثل هؤلاء أرد :

انظروا إلى شاشات التلفاز فى عالمنا العربى والإسلامى.

انظروا إلى كبار مفكريكم وكتاب تاريخكم وأساتذة جامعاتكم..

انظروا إلى مانشيتات الصحف..

انظروا إلى رؤساء التحرير والصحفيين..

انظروا إلى وزرائكم وأمرائكم وحكامكم..

لقد كاد رئيس أكبر دولة فى العالم أن يفقد منصبه بسبب علاقته بغانية،

ولقد استقال وزير بريطانى عندما اتهم بالشذوذ..

كم من وزرائكم ونواب رؤساء وزرائكم كذلك لكنهم لم يستقيلوا ...

كانوا كداعرة تلك القرية التى انتهيت من سرد حكايتها عليكم على الفور، الداعرة التى اجتذبت الباقيات إلى طريق الهلاك.

وكان الضرورى أن تتسيد تلك النماذج وأن تمنح أماكن الصدارة كطعم يلوث الدنيا ويزيف الوعى ويضيع الكنز وينشر الوباء..

وكان من الضرورى التركيز على فصل الدنيا عن الآخرة وأن يجهر البارزون بالفحشاء فلا يتخطفهم الطير وكان من المهم صدم مشاعر الناس لتحطيم معتقداتهم. فمن وزير يعترف بالزنا إلى مسئول كلما ازدادت فضائحه كلما علت مراتبه إلى أمين حزب شاذ إلى ملك ضليل وأمير سكير وحاكم مزور، ومن لا يؤمن بنظامنا الجديد فليدعُ محمدا فإن لم يستجب إليه فليعد إلينا وليدعنا نعطه متع الدنيا، أما من لا يؤمن بنا فسنسومه فى الدنيا العذاب الأليم وليكتف بمتع آخرته..

كلما ازدادت الخيانة للأمة كلما ازدادت الثروة والبقاء فى السلطة وثمة ملك عربى تبدل عليه ثلاثة عشر رئيس أمريكى..!!..

لم يكن ذلك يتم بهذا الوضوح على العكس كانوا يدركون ويخشون- عمق الإيمان فى قلوب الناس، فدأبوا دائما على إخفاء حقيقتهم وسوف نتناول إن شاء الله فى مقال قادم كيف تصرف قائدهم وسيدهم ومثلهم الأعلى كمال أتاتورك..

هل يتهمنى البعض بالحدة والصوت العالى ؟!..

كيف؟!..

والأمة تضيع والإيمان يتسرب من بين أيدينا لنخسر الدنيا والاخرة..

كيف وأنصاف الداعرات اللائى اجترأن على الله والنبيين والسلف الصالح ونفوا عنهم القداسة ليمنحوها لبشر أو نظام..

كيف ونخبنا التى كان عليها تقويم حكامنا ولو بالسيوف لا تكف عن محاولة إفسادهم[1] ..

هذه الدببة تشوه وجه الوطن وتضيع الكنز وتجلب الوباء..

وما أهاجمهم أو أندد بهم إلا حرصا على أمة كانت خير أمة أخرجت للناس..

---

١ – نشر هذا المقال قبل أزمة الوليمة بحوالى عام.. نعم.. قبلها.. وليس اثناءها !!..

ولو لم تكن الأمانة التى أبت السماوات والأرض أن يحملنها فحملناها قضيتى لما حفلت بهم أى احتفال..

عن مثل هذه الدبية أنصاف الخادمات أنصاف الداعرات وعن المستنيرين دعاة الحداثة أعداء الله والوطن والإنسان يتحدث على عزت بيجوفيتش في كتابه الهام: الإعلان الإسلامى فيقول :

"أما أولئك الذين يدعون بالتقدميين أو العصريين أو المستغربين إلى غير ذلك مما يسمون به أنفسهم فانهم يمثلون فى الحقيقة سوء حظ هذه الأمة المسلمة، إنهم كثرة كثيرة ذات نفوذ وتأثير، إنهم يهيمنون بشكل ملحوظ على الحكومات وعلى التعليم والحياة العامة، وهم يرون فى فئة المحافظين تشخيصا للإسلام ويدعون الآخرين إلى أن ينظروا نفس النظرة، وهكذا استطاع دعاة الحداثة أن ينشئوا جبهة ضد كل ما تمثله الفكرة الإسلامية. ونستطيع التعرف على هؤلاء الذين أقاموا اليوم من أنفسهم مصلحين فى البلاد المسلمة من خلال فخرهم بما أن يجب أن يخجلوا منه، وخجلهم مما كان يجب أن يفخروا به إنهم "أبناء آبائهم" فقد تعلموا فى أوربا ثم عادوا من هناك بشعور عميق بالدونية تجاه العالم الغربى المتقدم الغنى، وشعور الاستعلاء على مجتمعاتهم التى جاءوا منها وقد أحاط بها الفقر والتخلف. لقد حرموا من التربية الإسلامية الصحيحة وفقدوا كل صلة روحية أو أخلاقية بشعوبهم ومن ثم فقدوا معاييرهم الأولى وأصبحوا يتخيلون أنهم بتخريب الأفكار المحلية والتقاليد والمعتقدات وبتقديم أفكار غريبة سيقيمون أمريكا- التى يكنون لها إعجابا مبالغا فيه - على أرض بلادهم فى يوم وليلة. إنهم بدلا من العمل على تطوير إمكانات بلادهم الخاصة ذهبوا ينفخون فى شهوات الناس ويضخمون رغباتهم المادية، فأفسحوا بذلك الطريق أمام الفساد والفوضى الأخلاقية ، إنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أن قوة العالم الغربى لا تكمن فى طريقته فى الحياة. وإنما فى طريقته فى العمل وأن قوته ليست فى الموضة والإلحاد وأوكار الليل وتمرد الشباب على التقاليد، وإنما تكمن فى الكدح الذى لا مثيل له، وفى المثابرة والعلم والشعور بالمسئولية التى تتميز بها شعوبهم. المشكلة إذن ليست فى أن مستغربينا قد استخدموا أساليب أجنبية، وإنما فى أنهم لم يعرفوا كيف يستخدمونها أو يضعونها فى موضعها الصحيح وأنهم لم يفلحوا فى تطوير حس قوى يكفى للتمييز بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح، ومن ثم أخفقوا فى اختيار المنتج الحضارى المفيد واستعاروا لمجتمعاتهم بدلا منه عرضا مرضيا من أعراض هذه الحضارة فكان منتجا ضارا بل قاتلا"..

كان على عزت بيجوفيتش يتحدث عن الكنز الذى فقدناه والوباء الذى أخذناه..

***

إننى أنبهك أيها القارئ أن مثل هذه الدببة هم الذين يصوغون وعيك فيستنزفوه ..

وهؤلاء هم الذين يسيطرون على مؤسسات بلادنا من الصين حتى المغرب ومن الأورال حتى الحبشة. وهؤلاء هم الذين نقرأ على أيديهم تاريخا مزورا يوردنا موارد الهلاك.وهؤلاء هم الذين اختزلوا التاريخ - لا الشرف - ليصبح تاريخ الإسلام والمسلمين مكونا من حقبتين فقط هما الفتنة الكبرى فى صدر الإسلام وحقبة الانهيار والانحطاط فى الدولة العثمانية. من هاتين الحقبتين فقط تأتى كل الأمثلة وتخرج كل الاستشهادات وتنبع كل الانتقادات والإدانات أما عن حقب استمرت ألف عام كنا فيها أعظم وأعدل وأشرف حضارة فى التاريخ فلا يتطرق إليها من الكلاب كلب ..

كانت القارئة تصرخ على المسماع: إننى خريجة كلية الأداب قسم تاريخ ومع ذلك فإن كل التاريخ الذى حفظته مزور ومشوه. وكان قارئ يصرخ: إننى أعرف عن سامبسون ومايكل جاكسون أضعاف ما أعرفه عن الحضارة الإسلامية كلها وكانت الدكتورة ليلى عنان تصرخ فى هيئة الإذاعة البريطانية: إننى أعرف عن نابليون بونابرت أكثر مما أعرف عن خالد بن الوليد الذى لم يهزم فى معركة قط..

عندما بدأت أجلو الصدأ وأكشف تزييف المستنيرين المستغربين الحداثيين عن تاريخنا كان القراء يهاتفوننى مذهولين :هل تكتب عن تاريخنا حقا أم عن تاريخ أمة لا نمت إليها بصلة. كانوا يقولون أيضا أن المذهل أنهم يعرفون ذلك لكن معرفة الغارق فى غيبوبة تمنعه من التأثر والتأثير فهو يرى الأشياء لكنه لا يستطيع الربط بينها. وسألنى قارئ إذا كان هذا هو التاريخ الحقيقى فما هذا الذى يكتبه الجهابذة ورؤساء التحرير ورواد التنوير.. وجابر عصفور!!..

كان القراء مذهولين من إضاعتنا لكنزنا وحرصنا على وبائنا وقد أدركوا ما أهدف إليه حين رحت أزيل الغبار والروث الذى يلقيه الخنازير على تاريخنا..

وكنت أقول لهم أن هذا الجهل بتاريخنا يدين جل نظمنا الحاكمة فضلا عن وزراء ثقافتنا وتعليمنا وأجهزة إعلامنا..

ليسوا حكاما بل مروضين يعتبروننا عبيدا أو يعتبرون أنفسهم نخاسا وقد باعونا..

إن افتقاد النظرة الشاملة للتاريخ تصيبنا بالعماء عن فهم الحاضر وتمنعنا من صنع المستقبل..

والغرب (الصليبيون) منذ مؤتة يفكرون بنفس الطريقة ويسيرون نفس المسار ومهما فشلوا، فإنه يعاودون الكرة المرة تلو المرة حتى ينجحوا..

المأساة أن ما كانت الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية تطلبه دائما هو أن نبقى فى بلادنا التى حررناها من استعمارهم أحرارا نتعايش معهم فى سلام..

أما هم فكان مبتغاهم طيلة الزمان أن يعيدوا احتلال بلادنا وأن يقضوا على ديننا..

وعندما أدرك الغرب عجزه عن إبادتنا فقد تآمر الصليبيون مع المغول علينا وذلك ثابت فى التاريخ رغم التعتيم عليه..

ولعل القارئ للتاريخ يدرك الآن أنه لو تأخر قيام الدولة العثمانية القوية الفتية قرنا أو قرنين لكان مآلنا الإبادة أو التهجير أو التنصير..

لقد تزامن إدراكهم لعجزهم عن إبادتنا مع فورة حماسهم لنجاحهم فى هزيمتنا فى الأندلس فشاعت فى أوروبا إبان العصور الوسطى كما يحدثنا الأستاذ محمد يوسف عدس فى كتاب غير منشور له بعنوان "الفلبيين" وهو كتاب لم يسع إلى نشره ناشر ولا عهد ولا نظام ولا مؤسسة ولا وزارة ولا حكومة طيلة أكثر من ثلاثين عاما- أسطورة حول إمبراطورية خرافية تصوروها فى مكان ما بأقصى الشرق يحكمها ملك مسيحى هو القديس يوحنا وأكد هذا الاعتقاد ما ذكره ماركوبولو فى أخباره عن رحلته إلى الشرق وإقامته فى بلاد الصين فترة من الزمن.. كانت هذه الشخصية الغامضة للملك القس - فى ذ لك العهد - موضوع حديث الناس فى أوربا خاصة فى الأوقات التى تأزم فيها موقف الأوروبيين فى الحروب الصليبية، فقد كان الوصول إلى مملكه القديس يوحنا والتحالف معه كفيل بنجاح الغرب فى القضاء على زعامة المسلمين وكسر شوكتهم فى أسيا كلها ثم انتزاع الأرض المقدسة من قبضتهم .

وكانت أوربا تتنسم أخبار الملك المقدس وتتلهف عليها حتى وصلت البابا أنباء جنكيزخان فصار الاعتقاد بأنه لابد أن يكون هو نفسه القديس يوحنا لفرط عداوته للمسلمين ولكن سرعان ما تبخر هذا الاعتقاد .

وهكذا أصبح البحث عن مملكة القديس يوحنا هدفا متصلا بفكرة القضاء على المسلمين..

عندما اتجه دالبوكيرك إلى الحبشة مبعوثا من قبل ملك البرتغال كان يعتقد أن ملك الحبشة المسيحى هو نفس القديس يوحنا صاحب الأسطورة، كانت رأس هذا السفير تلتهب بفكرة جنونية تقضى بأن يقوم على رأس حملة عسكرية يزودها النجاشى بالمؤن والرجال، ثم يعبر البحر

الأحمر في مسيرة سريعة إلى المدينة لاختطاف رفات النبى ثم يعرضها على المسلمين مقابل التخلي عن فلسطين..

فلسطين..

فلسطين..

كان هذا هو الهدف منذ استعاد المسلمون العرب فلسطين العربية من الرومان بعد معركة أجنادين وقد نجحوا في تحقيقه في الحروب الصليبية ثم نجح العرب المسلمون في تحريرها مرة أخرى.. بعد حطين تحطمت جيوشهم لكن هدفهم لم يتحطم ولولا بزوغ شمس الدولة العثمانية في هذا الوقت بالذات لاستطاعوا بعد إنهاك العرب واستنزافهم في الحروب الصليبية وحروب المغول، لكن الدولة العثمانية تكفلت بحماية الإسلام والمسلمين في الشرق فانطلقوا هم من الغرب..

وكان من بين الخطط التى اعتزمها "دالبوكيرك" تحويل مجرى نهر النيل ليحرم مصر من أراضيها الخصبة فيتم هلاكها وإخضاعها، وقد كتب إلى ملك البرتغال يستدعى صناعا مهرة ليقوموا بفتح ثغرة بين سلسلة التلال الصغيرة التى تجرى بجانب النيل فى الحبشة ولكنه توفى سنة١٥١٥ ثم أحبط مواصلة الخطط فى هذا الاتجاه انضمام مصر بالفتح إلى الدولة الإسلامية الكبرى منذ عام ١٥١٧.

و دالبوكيرك هذا هو نفس الرجل الذى وقف من قبل على أبواب ملقا الحصينة يقول لبحارته إننى مقتنع كل الاقتناع بأنه منذ اللحظة التى تنتزع فيها تجارة التوابل من أيدى العرب تنهار القاهرة ومكة إلى الأبد..

نحن لم نسئ إليهم كنا دائما نحترم جميع أنبيائهم ونؤمن بأديانهم لكنهم أبدا لم يحترموا نبينا وما اعترفوا بديننا بل إن تقدمهم الحضارى الذى اعتمدوا علينا فيه لم يغذه بعد ذلك ويستحثه ويستنفره سوى السعى المحموم بالحقد الأسود الهادف لتدميرنا ومنذ القرن الخامس عشر وهم يحاولون محاصرتنا اقتصاديا كي يضعفونا عسكريا ثم يمحقونا ..

لم تكن اكتشاف كولومبس لأمريكا حبا فى العلم ولا فضولا للمجهول بل كان يحترق بلهب التعصب الدينى ويتحرق شوقا للوصول إلى الهند علّه يعثر على ثروة من الذهب تكفى لتجريد حملة صليبية جديدة بعد أن قضت مصر على كل أمل فى نجاح الحملات الصليبية السابقة .

كانت البرتغال أسبق دول أوربا في هذا المجال فقد استطاع فاسكو ديجاما أن يدور حول أفريقيا ويكتشف الطريق إلى الهند مارا براس الرجاء الصالح، ولم تمض غير أعوام قليلة حى أصبحت أصغر دولة أوروبية تبسط سلطانها على مساحات أوسع من الإمبراطورية الرومانية فى عظمتها الغابرة.

وخشيت البرتغال أن تلحق بها دول أخرى فسعت إلى البابا ليمنحها مرسوما يقضى بتمليك البرتغال جميع القارات والبحار والجزر التى يكتشفها البرتغاليون فى الطريق إلى الهند وأقر هذا المرسوم ثلاثة بابوات آخرون، وافقوا على تلك الهبة العجيبة.

فلما نشطت أسبانيا فى مجال البحث عن جزر التوابل كان عليها أن تسلك طريقا آخر غير طريق البرتغال، ومن ثم تبنت مشروع كريستوفر كولمبس للوصول إلى الهند بطريق الإبحار غربا وقد استطاع كولمبس أن يعبر المحيط الأطلسى متجها إلى الغرب حتى وصل إلى اليابسة واكتشف دنيا جديدة عرفت فيما باسم أمريكا، ولكنه ظل حتى آخر لحظة من حياته يؤكد أنه نزل فى شرق آسيا وأنه إذا واصل السير غربا فسوف يبلغ نهر الكنج ببلاد الهند وهذا ما أثار مخاوف البرتغال حيث بات مرسوم البابا عديم القيمة مادام الوصول إلى الهند أصبح ممكنا عبر الطريق الغربى، وهبت إلى السلاح تدافع عن حقوقها فى الهند، ولكن البابا تدخل فى النزاع وقسم العالم مناصفة بين ملك أسبانيا وملك البرتغال فشطر الكرة الأرضية شطرين متساويين بالمرسوم الصادر فى مايو سنة ١٤٩٣ بحيث تكون جميع البلاد الواقعة غرب الجزر الخضراء ملكا لأسبانيا وجميع البلاد الواقعة فى شرقها ملكا للبرتغال..

وعندما بدأ الاحتلال الأسبانى للفليبين التى غيروا اسمها تمجيدا للملك فيليب الثانى كانت العاصمة اسمها أمان الله وكان الحاكم الفليبينى المسلم هو راجا سليمان عام ١٥٦٥ ميلادية. وكان الإسلام منتشرا فى الفليبين كما كان منتشرا فى المنطقة كلها..

ونجحت حملات التبشير..

واليوم فإن ما يقارب التسعين فى المائة من سكان الفليبين مسيحيون..

وليست حكاية الفليبين فقط ما نلفت الأنظار إليه..

كانت الهند أيضا مسلمة وكان معظم أفريقيا..

لذلك نلفت الأنظار إلى حضارة وحشية همجية تخيرنا بين الإبادة أو التنصير حتى ترضى عنا..

نلفت نظر الأمة إلى ذلك..

وأنهم نجحوا فى أماكن كثيرة والدور الآتى على القاهرة ومكة..

فهل تسمعين يا أمة..

وهل تسمعين يا جيوشنا..

وهل تسمعين يا أجهزة مخابراتنا؟!..

أضعنا كنزًا .. وأخذنا وباءً [1] ..(٣)

انفجر – آنئذ – بقلبى ذلك المشهد الذى طالما أبكانى طفلا..

مشـــهد خـــير الخلـــق وســـيد المرســـلين وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه علـــيه، إذ يـــبلغ بالـــرجاء حـــد التوسل، إذ يدعو عمه أبا طالب وهو على فراش المـــوت فـــى عـــام الحـــزن أن يـــنطق بالشـــهادتين، كـــى تشفعا له عند الله يوم القـــيامة، وكـــان قلـــبى يخفـــق بالألم الصاخب، حتى لأود أن أشارك فى التوسل والـــرجاء، وتجمـــح بـــى حماقة الطفل وعدم فهمه ولا تبصره، حتى أتمنى على الله أن أمـــنح إيمـــانى لأبـــى طالـــب، كى لا يغص بالحزن قلب الرسول -صلى الله علـــيه وســـلم- حـــتى ولـــو كـــان الثمـــن أن أدخـــل الـــنار، لـــم يكن عقلى القاصـــر يـــدرك أى كبـــيرة أقـــترف، لم يدرك إلا بعدها بأعوام حين أدرك أيضا أن مشـــيئة الله كانـــت درســـا هـــائلا فى التوحيد: أنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهـــدى مـــن يشـــاء لا تهـــدى مـــن أحببـــت حتى ولو كنت خير الخلق وسيد المرسلين وخاتم النبيين .

***

قلت لصاحبى وقد جاشت مشاعرى وأخذ منى الانفعال كل مأخذ :

– لو أن أحدا فقأ عينيك ووضع مكانهما جوهرتين ..

تُرى : هل تَرى ؟!..

أم أن ما منحناه الله من نعم لا تشترى..

وطفقـــت أرجـــوه رجـــاء بلـــغ حـــد التوســـل هاتفـــا به : لقد أضعتم الكنز وأخذتـــم الوبـــاء، ثـــم أنكـــم فخـــورون بالخيـــبة منتشـــون بالحماقة وتتشرفون بالخـــيانة وتتـــباهون بـــالجهل، لـــو أنـــنى كنـــت أتحـــدث مع غيرك لوضعت احـــتمالات العمالـــة والخـــيانة والرشـــوة والكفر، معك أنت يختلف الأمر ، فلقد غـــرروا بـــك ، وأنـــت أيهـــا الطيـــب المســـكين لـــم يخطر ببالك أبدا أن أناسا

---

١ – نشرت فى صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٦/١١

فــى حجــم ثقافــتهم ومســئوليتهم وكلمـــاتهم الصعبة وأفكارهم التى لا تكاد تفهم يمكن أن يخفوا خلف أقنعتهم البراقة مسوخا للقيم ومسوحا للشياطين .

***

كان ذلك منذ عشرة أعوام ..

كنــت جالســا فــى مكتــبى مرهقا ومحبطا فى نهاية يوم ثقيلة ساعاته كنت عــزوفا عــن الحديــث وعــن التواصــل مع الآخرين كنت مجروحا بقسوة عالم لــم يكــف أبــدا عــن جــرحى ولم أكن أرغب فى شىء إلا فى أن أتباعد وأنأى لعلــى أســتطيع أن افهــم. ربمــا لــو استطعت أن أتخلص من الغبار الذى يثيره الآخــرون، أســتطيع أن أرى ولــو اســتطعت أن أتخلــص مــن الضوضاء التى يثــيرها عجــيجهم ومــن الشوشــرة الــتى يثــيرها ضــجيجهم فــربما أستطيع أن أسمع .

كنــت كحــوت مجــروح علــيه أن يــاوى إلى كهف تحت الماء حتى يبرأ جرحه أو يموت.

وكنــت لا أنفــك أقــول لنفســى :أغمض عينك حتى ترى وصُمّ أذنيك حتى تسمع وتخلص من ضجيج الناس حتى تفهم،

بــدا لــى أن كــل مــا تــراه العين سراب وأن جميع ما تسمعه الأذن كذب وأن جل ما يضخ فى وعينا تضليل.

انطويت على نفسى مسلما إياها للحظة من لحظات الصمت المطلق،

وخــدش ذلــك الصــمت مــن جــاء يخبرنى بوجود الأستاذ (م.م) وبرغبته فى لقائى.

كــان الأســتاذ (م. م) واحــدا ممــن أحترمهم احتراما حقيقيا رغم أنه كان شيوعيا.

فزعت.

قلــت لنفســى هــؤلاء الشــيوعيون لا يكفــون عن الكلام والجدل أبدا وأنا فــى لحظــة ضــعف وألــم لا أحــتمل فــيها أى مــزيد لا أحتمل النطق بكلمة ولا الاســتماع لحــرف ولا الإدلاء بحجــة حــتى لو كنت على حق فما قيمة أى حجــة إن كــان الآخــر لا يســمع فــإذا سمع لم يفهم فإذا فهم لم يعمل فإذا عمل أساء العمل فلم ينجح.

كنت غارقا داخل ذاتى وكنت عاجزا عن الطفو .

أقسى من وحشة الصمت اضطرارك لاصطناع الحديث.

وأشـد مـن وطـأة الغـياب أن تقسـر نفسك على ادعاء حضورها إذ هى غائبة .

فكرت للحظة أن أعتذر عن لقائه لكننى خجلت .

طلبـت مـن موظـف المكتـب أن يقـدم التحية بأقصى سرعة ممكنة بعد دخولـه حـتى يسـارع بالانصـراف وعزمت على ألا أفتح أى موضوع للجدل معه وألا أستجيب له إذا فتح أى موضوع.

ودخـل الـرجل وقدمـت لـه التحـية أخرج أوراقا كانت معه. قال لى أنهم ينشـئون حـزبا شـيوعيا جديـدا وأنـه يعـرف أننى فى الطرف الآخر منهم، المـناقض لهـم، لكـن رأيهـم اتفـق علـى أن يعرضوا برنامجهم الجديد على مخـتلف التـيارات الفكـرية للأمـة كـى يتخلصـوا مـن وصـمة عزلـتهم عن الشارع التى طالما لاحقتهم..

رحت أذكر نفسى بألا أفتح أى مجال للحوار والنقاش..

ثـم أن الـرجل يورطـنى فـى العلـم بتفاصـيل تنظـيم سرى وأنا على استعداد للموت فى سبيل قضية حق لا فى سبيل باطل..

وأحـس الـرجل بعـزوفى فـبادر قـائلا أنـه يلمـح علـى وجهى ملامح الإرهـاق لذلـك فإنـه سـيعود بعـد أسبوع أكون قد قرأت فيه مسودة مشروع الحزب الجديد لأبدى رأيى فيها..

حمدت الله على الخلاص..

لكـن شـعورا دهمـنى فجـأة، شـعور كالطوفان الذى تنهار إزاء جموحه كل الاستحكامات وتنهار أمامه كل السدود..

انسـحق قلـبى تحـت وطـأة تخـايل الملامـح الشريفة الحزينة ترجو أبا طالب رجاء يبلغ حتى التوسل..

قلـت للـرجل أنـنى أحـترمه جـدا لكنـنى أشـفق تماما عليه لقد انهارت الشـيوعية فـى أرجـاء العـالم وهـاهو ذا يحـاول إحياءها وهيهات هيهات أن يحيى الموتى..

اندفعـت فـى حديـث متواصـل من التوسل والرجاء لا أستطيع كبح جماح نفسى..

الغريب أن الشعور المبهظ الذى كابدته لم يكن مجرد انفجار قدر من الحنان الطاغي عليه بل كان أيضا مقاومة الدموع حنانا عليه ورثاء له ، طوفان من الدموع كان ينحبس..

صارحته بما دار فى دخيلة نفسى قبيل دخوله وقلت له أننى أنكص عما عزمت عليه لأننى أحبه وأحترمه..

قلت له أنه مأساوى جدا أن أصارحه بما فى دخيلة نفسى وأن أقول له بعد أن تجاوز الخامسة والستين من عمره أن كل كفاحه وكل نضاله وكل عذابه كان خطأ فى خطأ، مأساوى جدا أن يكتشف بعد كل هذه السنين أنه سار فى الطريق الخطأ وأنه ضل بداية الطريق، مأساوى جدا لكن المأساوى أكثر منه أن يواصل نفس الخطأ ولو ليوم واحد اخر..

قلت له : لو كان الموت هو النهاية لناشدتك أن تواصل الخطأ فالإقلاع عن فكرة سرت من الإنسان مسرى الدم لأكثر من نصف قرن أشد إيلاما من السلخ..

قلت له ليتك كنت فاجرا أو عربيدا أو خائنا وليتك استمتعت بدنياك حتى يكون فى ذلك بعض عزاء عن خسران أخرتك لكنك عشت فى الدنيا كزاهد ثم تذهب إلى الآخرة وقد انتثرت كل تضحياتك وكل بطولاتك وكل عذاباتك وكل آلامك وكل آمالك وكل نبلك كل ذلك ينتثر هباء منثورا.. لقد قضيت فى السجون ربع قرن، كنت زميلا لشهدى عطية الذى قتله الجلادون قالوا له اعترف بأنك امرأة فأبى فأخذوا يضربون رأسه فى الجدار حتى تحطم لماذا مات شهدى عطية؟! ولماذا مات هذا الجندى الذى رفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة فى سيناء عام ٧٣؟.. هل من أجل تنفيذ أمر قائد أو إطاعة تعليمات تنظيم أو رفعة شأن وطن.. أى جنون يقبع فى أن تفقد الحياة نفسها وأنت تدافع عن الحياة.. كيف يمكن أن يتسع العقل البشرى لهذا الهراء؟.. لماذا أضحى بحياتى ولماذا تضحى بحياتك إن لم يكن الدافع شيئا أرقى من الحياة وأسمى وأعظم.. بل إن عظمة الإنسان أن يدرك أن هناك شيئا أرقى من الحياة وأسمى وأعظم.. وبدون هذا الشىء فالإنسان مجرد حيوان لا يسير على أربع.. هل يعقل أن تضحى بحياتك من أجل حياة آخر.. دون رابط يصلك بالسماء.. هل يعقل أن يدفع شهدى عطية حياته دفاعا عن قوم وطبقة منها هذا الجندى الجلاد المجرم الذى قتله.. هل يعقل أن تدفع حياتك من أجل إعلاء كلمات ماركس ولينين أو حتى جمال عبد الناصر أو القومية العربية أو اتحاد عمال العالم أو العروبة أو جميع هذه السميات مما ذكرت وما لم أذكر..

سوف أخاطبك بمنطق قد تفهمه وتتعاطف معه سوف أخاطبك بصرخة دستويفسكى فى الأخوة كرامازوف: "إذا لم يكن الله موجودا فكل شئ مباح"!!.. القتل مباح والسرقة مباحة والظلم مباح والاستعمار مباح وقتل الشعوب مباح وإسرائيل وأمريكا على حق فلا حق إلا القوة ..

ماذا تريدون أن تنشئوا على الأرض؟.. جنة؟.. لن توجد على الأرض جنان أبدا.. أبدا.. ثلاثة ملايين عام من التاريخ غير المكتوب وسبعة آلاف عام من التاريخ المكتوب تصرخ بذلك.. إننى أناشدك أن تتأمل الأشياء حولك.. الأشياء الصغيرة العادية التى تحدث كل يوم وليس فى قضايا الوجود الكبرى.. ماذا تذكر عن جدك ماذا تذكر عن جد جدك.. ألم يكن ذات يوم يعج بالحياة التى تعج أنت بها الآن ؟.. ألم يكن مفعما بآمال كآمالك؟.. أين ذهبت حياته؟.. وأين ذهبت آماله ؟!.. هل ذوت كعصف الريح..؟ هل تلاشت كخاطرة؟ .. أى بؤس للجنس البشرى إن كان الفناء مآله؟.. أى ضياع لكل قيمة؟.. وأى باطل أى تحقير للإنسان أن ينتهى حين يموت؟..

القيمة الوحيدة للجنس البشرى لا يمكن أن تتحقق إلا فى وجود الله وبالله .. والقيمة الوحيدة لكل هذا الألم الهائل الذى نكابده والعناء المر الذى نلاقيه لا يمكن أن تحتمل إلا لأن هناك آخرة سوف نحاسب فيها.. إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا.. الشىء الوحيد الذى يعوض كل هذا الضنى وكل هذا العذاب ليس إلا الخلد.. صرخت فيه: هل يهون عليك أن يستوى الأمين والخائن والطاغوت والبطل والشهيد والجلاد فلا يخلف كلا منهم إلاجيفة سرعان ما تجف وتذروها الرياح؟.. هل يهون عليك أن يذهب أولئك الجلادون وطغاة التاريخ الذين لم يرتفعوا فى الدنيا إلا على أهرامات من جماجم ضحاياهم فلا يعودون للحساب والعقاب؟..

هل استمتعت بدنياك ؟ بكل هذا الألم والعذاب والتعذيب وخيبات الأمل والهزائم؟ أى أباطيل بررت بها كل تعاساتك ؟! ولماذا أنجبت أبناء يتعذبون كما تعذبت عذابا بلا مبرر فى حياة بلا معنى؟..

بدا الرجل مترددا وهو يبتسم ابتسامة المحرج الذى فاجأه الأمر فراح يدافع بأن الشيوعية ليست سوى مذهب اقتصادى اجتماعى يمكن أن يتصالح مع الدين.. وقلت له أنت تخدع نفسك وتساهم فى خداع الآخرين.. حكيت له ما حدث منذ أعوام عندما جاء إلىّ شاب يقول ما يقوله الآن بحماس وثقة كان الشاب يسر إلىّ مباهيا بأنه عضو فى خلية شيوعية..

ويومها سألته عما إذا كان قد قرأ أى كتاب فى الفكر الشيوعى وفوجئ الشاب وصرخ محتجا:

لا يستحق الأمر كل هذا التعقيد الشيوعية أن أقتسم معك رغيف خبزى والراسمالية أن أخطفه منك ولا مانع من قتلك إذا قاومت..

وقلت للشاب أن الأمر أعقد ، وأمددته بالمنافستو وببعض الكتب الأخرى ، بهت عندما قرأ، انهار عناده فاستمع إلى شرحى للخلفية النظرية فأدرك أن الفكر الشيوعى لا يستقيم إلا مع إنكار الله، واكتشف الهاوية التى أوشك على الوقوع فيها، فجاءنى بعدها بأسابيع ليقول فى

مرارة أن أحدا من أفراد خليته لم يكن قد قرأ كتابا عما أوشك أن يضحى بحياته فى سبيله وأنهم عندما قرءوا ما قرأ انسحبوا جميعا لم يبق منهم أحد..

هتفت بالأستاذ (م.م):

- أعجزت عن أن تكون مثل هذا الشاب.

لقد أعطى الإسلام للبشرية شهادة نضجها أعطاها كنزا فلماذا تتخلى عنه وتأخذ بدلا منه وباء..

لقد كرم الإنسان كما لم تكرمه قبله نظرية ولا فلسفة ولا دين..

ولقد قدم التصور الوحيد الممكن للدنيا والآخرة ولقد كان دوركم طيلة الحقب الماضية أن تنثروا الرماد على هذه الحقيقة الساطعة كى تطفئوا بهاءها تلك جريمتكم التى لن تغفرها لكم الأمة قط..

بماذا تريد أن تجادلنى أتقول أنك لا تستطيع أن تخطط لمجتمع بناء على غيبيات؟ أليست الروح غيبا والنفس غيبا وما أنت بدونهما سوى جيفة.. الكهرباء أيضا غيب.. أنت لا تراها امدد يدك الآن وضعها على هذا السلك المكشوف.. ستكون لحظة الإدراك ذاتها هى لحظة الموت.. أنكر إن شئت أن هذا الهواء الذى يحيطنا يحمل فى طياتة ملايين الموجات ولكن إنكارك لن يلغى هذه الموجات.. بل سوف يلغى إمكانية نجاتك بها كتائه فى الفلاة لا وسيلة لنجاته سوى جهاز اللاسلكى الذى ينكر جدواه ما دام لا يرى موجاته..

إن العلم المادى الذى ظننتم يوما أنه كفيل بفك طلاسم مغاليق أسرار الوجود يعود اليوم إلى النقطة التى علمناها الدين منذ عشرات القرون..

هاهى ذى الإرادة الإنسانية تتلاشى وتحكّم الإنسان فى مصيره يضمحل ليثبت أن كل شئ مخطوط بالشفرة على جزيئيات الجينات.. وأن المرض مكتوب والميلاد مكتوب والسعادة مكتوبة والشقاء مكتوب وأن موعد موتك لا يعلمه إلا الله.. لكم طالت أعمار ظن انتهاؤها وانقصفت أعمار ما ظن أحد أن تنتهى.. انظر إلى تداول الأيام بين الناس ما من قوة تستمر وما من ثروة تستقر وما من حكم يدوم.. انظر إلى التاريخ انظر إلى مكر الإنسان ومكر الشيطان إزاء مكر خير الماكرين.. انظر إلى ذلك اليقين المراوغ عند الأفراد وعند الأمم.. انظر إلى البدايات والنهايات.. وكيف تسجل سجلا حافلا لخيبة العقل البشرى حينما يتنكب الطريق القويم.. لقد خُلِقَ الإنسان عبدا وهو إما أن يتشرف بالعبودية لله أو أن يسقط عبدا لشهواته وللشيطان.. تقول أنك لست عبدا ؟! أنصت إذن إلى دقات قلبك وتحكم فى كهرباء مخك ويا أيها المسكين العاجز عن التحكم فى عضلات معيِّه كيف تدعى القدرة على تغيير الكون أو حتى على فهمه ..

إن الدنيا امتحان، وفى الامتحان لا يتعين أن يحدد الطالب الأسئلة سلفا أو أن يختارها، كما أن خطأه فى قانون من قوانين الطبيعة لن يترتب عليه تغيير القانون نفسه، وإنما سيحسب خطأ عليه لو أننى سألتك عن المسافة بين القاهرة والإسكندرية فأجبت أنها مائة كيلومتر فإن المسافة لن تنكمش طبقا لخطئك لكنك ستفقد درجة السؤال..

انظر إلى الرموز المكنونة فى هذا الوجود ولا تنس أبدا أن الله قد خلق الإنسان على صورته وأن الذرة الذرة الصغيرة التى لا ترى هى رمز للمجموعة الشمسية كلها..

لماذا لم تفكر فى اتجاه دوران الإليكترون حول النواة واتجاه دوران الأرض حول الشمس وعلاقة ذلك بالطواف حول الكعبة.. إن تأخرك دقيقة عن ركوب قطار قد يترتب عليه أن تموت أو أن تكتب لك الحياة.. وأنت تظل يوما بطوله مكتئبا من أجل حلم غامض رأيته ثم تأتى لتتحدث عن الإرادة الإنسانية وتحكم الإنسان فى مصيره وعن مدينة فاضلة تنشئونها على الأرض كبديل عن الجنة.. أى قرارات هائلة كان يمكن أن تتخذها لو كنت هتلر أو قيصر تحت وطأة حلم عكر عليك صفوك..

إننى لا أنكر دور الإرادة البشرية والعقل البشرى لكن فى إطارهما الصحيح.. تماما كما أن لكل خلية فى جسدك وظيفة لكنها تمارس هذه الوظيفة فى حدود جسدك.. لا تكن كذلك البحار الأحمق على ظهر حاملة

طائـــرات ضـــخمة يحســـب أنــــه بـــيديه الكليلتيـــن قادر على التحكم فى مسارها ومصيرها..

العقل البشرى محدود فى وظيفته كأى عضو آخر..

هــل تســتطيع أن تــرى بعينــيك مـــا يحـــدث الآن فى أسوان أو أن تسمع بأذنيك ما يقال فى الإسكندرية..

هـــل يمكـــنك أن تـــرى مـــن خلال الراديو صورة تليفزيونية، وهل تستطيع أن تفــك مســمارا.. مجــرد مســمار.. دون المفــك المناســب له العقل البشرى كحقيــبة الآلات الجراحــية الــتى يحملهــا طبيــب.. فهــل يستطيع بآلات عملية اللــوز أن يستأصــل الــزائدة الدوديــة أو سرطانا ؟! العقل البشرى خلق لغرض معيــن محــدود إذا اســتعملته فـــى غيره أفسدت كل شيء دون أن تصل إلى شئ أبــدا كمــن يحــاول الطــيران بســيارة أو الوصـــول إلى القمر بطائرة فكلاهما لا محالة هالك ..

إنها الأمانة الفادحة التى أبت السماوات والجبال أن يحملنها فحملناها .

هل تريد مثالا على ضلال العقل؟!..

بمـــاذا يمكـــن أن تحكـــم وأنـــت فى العاشرة من عمرك على أفكارك وأنت فـــى الخامســـة.. ثـــم بمـــاذا تحكـــم وأنـــت فـــى العشـــرين على أفكارك وأنت فـــى العاشــرة .. ثـــم وأنـــت فـــى الأربعيـــن عن أفكارك وأنت فى العشرين .. ثـــم وأنـــت فـــى الســـبعين عـــن أفكارك طوال عمرك.. ولو قيض لك أن تعيش ألـــف عـــام.. فـــبماذا ســـتحكم ساعتها عن أفكارك وأنت فى السبعين؟ لماذا تظن أن رأيـــك ســـيختلف عـــن رأيـــك الآن عن آرائك وأنت فى الخامسة من عمرك، ذلك الطفل الذى لا تذكر آراءه إلا لكى تضحك من فرط حماقتة..

ثم من يحكم بأن الخير خير والشر شر؟!..

إنـــك لا يمكـــن أن تقـــول فـــوق وتحـــت ويميـــن ويســـار دون أن تحـــدد مـــا تقـــيس علـــيه، مـــا فـــوق الأرض تحت السماء وما على يمينى على يسارك لا بـــد أن توجـــد قـــيمة مطلقـــة تنتســـب إليها كل الأشياء.. هذه القيمة هى الكنز الوحـــيد فـــى وجودنـــا إن فقدنــــاه ضعنا.. خسرنا الدنيا والآخرة لا تستطيع أيضا أن تقـــول أن الله موجـــود وأنـــك تؤمـــن بـــه ثـــم تحكم بعزله عن تدبير شئون العـــالم لأنـــك بهـــذا يـــا أحمـــق تعـــزل نفسك وتضيع.. تفقد الدليل الوحيد الذى يمكـــن أن يهديـــك.. لـــيس هـــناك نصـــف إيمـــان ولا يصـــح إيمان لم يسلم لله أمـــره.. يـــا مســـكين يـــا أحمـــق هل يعجز الذى يدبر السماوات والأرض عن تدبـــير أمـــرك.. إن مـــا تظـــنه تقدمـــا وتحضـــرا لـــيس ســـوى الجهل والغباء

والتخلف.. ولولا أكداس من الضلال زاغ فيها البصر لكانت هذه الحماقة مثيرة لأقصى درجات السخرية والضحك.. سخرية تتضاءل إزاءها سخريتك من طفل غبى أو من أحمق عيى يمد يديه كى يمسك الشمس بأصابعه.. وهو رغم فشله فى كل مرة لا يكف أبدا عن المحاولة دون أن يفكر أن المحاولات كلها خطأ وجنون..

هل تعرف متى كشفت العلوم الحديثة الاتساع الهائل للكون ؟ لم يتم ذلك سوى منذ بضعة عشرات من السنين بعد اكتشاف نظريات النسبية والكم ثم نظرية انعدام اليقين، فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان الكون مقتصرا على بعض القارات القديمة والسماء والشمس والقمر والنجوم اكتشفوا بعد مئات السنين المجموعة الشمسية ثم اكتشفوا أن المجموعة الشمسية مجرد مجموعة هزيلة تتبع نجما متوسطا هو الشمس وأنها تحتل مكانا هزيلا فى مجرة درب التبانة وأن مجرة درب التبانة تحتوى على ألف مليون شمس وأنه يوجد فى الكون المرصود ألف مليون مجرة كدرب التبانة وأن الكون منذ خمسة عشر مليار عام يتمدد بسرعة الضوء وأننا لا نعرف ما يوجد خلف الكون المرصود..

هل تريد حديثا نبويا ينبئك بكل هذا ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما في السماوات وما في الأرض وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ألقاها ملقٍ في الأرض ، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقاها ملق في الأرض، وما الماء في الريح إلا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما جميع ذلك في قبضة الله عز وجل إلا كحبة وأصغر من الحبة في كف أحدكم..

هل تريد حديثا آخر:

عن أبي ذر "أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال :يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة".

هل يعجز مدبر كل هذا يا إنسان عن تدبير أمرك؟..

أى حماقة ؟.

أى جهل ؟.

أى جنون ؟..

هل أدركت الآن متى فقدنا الكنز ومتى أخذنا الوباء..

منذ تلك اللحظات التى تجرأ فيها الحمقى جردوا أنفسهم من الأمانة والشرف تخلوا عن تقديس الله فى نفوسهم الوضيعة ثم منحوا هذه القداسة لكسرى وقيصر وماركس ولينين وللحضارة الغربية أو الشرقية بل لأى حاكم يملك الحديد والقهر والسجن والنار..

غفلنا عما لم يكن يجب أن نغفل عنه أبدا ففقدنا كنزنا ولم يفقد الكنز شيئا..

لماذا تظن أننا خلقنا؟..

هل لنأكل ونشرب ونتناسل كالبهائم؟..

هب أنكم وصلتم إلى ما تريدون.. هب أنكم قضيتم على الجوع والفقر فهل هذا هو مبتغانا من الوجود وهل تستحق الحياة ساعتها أن تعاش؟!..

أى عبث؟؟!!

لكن الإنسان لم يخلق سدى ولا عبثا.

يخيل لك الوهم والحماقة أنك قادر.

فهل كان يمكن لمسار التاريخ البشرى أن يتغير لو تغيرت أحداثه؟ ..

هل كان يمكن للتاريخ أن يكون تاريخا آخر لو لم يكن هناك كسرى وقيصر ونابليون وهتلر وهرتزل وأى واحد من هؤلاء الذين تعبدونهم أو ترجمونهم.. يمكنك أن ترفع اسم أى واحد من هؤلاء وتضع اسمك هل كل هذا العذاب البشرى جاء صدفة؟ هل نقول مثلا أنه لو لم يولد ماركس لما كان للشيوعية أن تولد؟ أو أنه لولا وجود هرتزل ما كان لإسرائيل أن توجد ولو أنه انزلق فى صدر شبابه على قشرة ثمرة موز ألقاها فى الشارع بمحض الصدفة مجهول لو أنه انزلق عليها فارتطم رأسه بإفريز فمات فهل كان يعنى موته أن إسرائيل لم تكن لتوجد؟.. لو لم يوجد الإسكندر أو جمال عبد الناصر هل كان مجرى التاريخ يتغير هل يمكن أن تؤمن بهذا العبث؟.. إنك لو آمنت به لأصبح الوجود البشرى عبثا لا يطاق.. مقامرة تتحكم فيها الصدفة.. صدفة أن ماركس لم ينزلق على قشرة موز ولم تصدم سيارة لينين أو هرتزل.. وأن ثعبانا لم يلدغ الإسكندر أو حتى آدم ليتكفل بوقف هذه السلسلة الرهيبة من الأحداث التى أسفرت عن كل هذا التاريخ.. لأننا لو قلنا أن شخصا ما هو المسئول عن مسار التاريخ وأحداثه لكانت مسئولة أيضا ملايين التفاصيل التى تضافرت

وتجمعت لكي تصل إلى أى حدث.. مسئولة مئات الظروف والصدف التى كان يمكن له أن يتعرض لها فيموت، ولا يقتصر الأمر على هذا، لأن لحظة معينة قد شهدت مغازلة بين أبويه قد ترتب عليها وجودة لحظة رغبة أو سأم او مجرد تفريغ هم.. ملايين الصدف أيضا تحكمت فى تلك اللحظة.. لو أن صديقا طرق الباب فجأة.. أو أن نملة مجرد نملة قرصت شقيقه الأكبر فصرخ فهرعت أمه إليه.. أكان يمكن ألا يأتى إلى الدنيا بسبب هذه النملة وألا يحدث فى التاريخ ما يحدث ؟! فلو أجبتنى بنعم فإن ذلك يعنى أن ملايين الصدف أيضا تتحكم فى كل أسلاف هذا الشخص حتى آدم، كان يمكن لأى واحد منهم أن يفترسه وحش أو يموت فى وباء أو يقتل فى معركة فتنقطع السلسلة التى أتت به إلى هذا الوجود..

هل يمكن أن يتحكم فى الوجود هذا العبث..

لا ..

بل كل شئ بقدر..

لو جاز أن الصدفة والعبث وتاريخ الأفراد هى التى تحدد لنا مسار التاريخ لجاز أن انفجارا فى مطبعة أدى إلى اختلاط الحبر بالأوراق فأسفر انتثار الحبر على الورق إلى طباعة بالصدفة لملايين القواميس ودواوين الشعر ليس فى بيت منها وزن مكسور، كل منها مرصوص فى مكان مختلف ولجاز أيضا لانفجار آخر فى تلك الأمكنة إلى تجليد تلك القواميس والدواوين ولانفجار ثالث إلى توزيعها على مكتبات العالم.. إن منتهى نضج العقل البشرى أن يعرف أنه لا يعرف.. مأساة الإنسان ليس فى أنه يموت بل فى أنه محكوم عليه بالخلد.. لقد وجدنا قبل حياتنا تلك وسنبعث بعد الموت ثم لا نموت أبدا.. انظر إلى دودة القز إلى حياتها كدودة تمثل طور الحياة البشرية ثم انظر إليها تتشرنق فتدفن نفسها ملخصة طور الموت ومن قبرها ذلك يخرج أجمل أطوارها : الفراشة.. لو قيض لهذه الدودة أن تفكر وأن تتخيل أن طور الدودة هو الطور الوحيد وأن التشرنق هو الموت الذى لا حياة بعده .. ثم راحت تحاول الطيران كالفراشة وهى دودة كى تقيم جنتها بماذا يمكن أن تحكم عليها.. لا تحكم عليها احكم على نفسك فأنت تفعل نفس الشيء..

أنت وأنتم ساهمتم فى تضييع الكنز وجلب الوباء..

ودون وخز من ضمير ساهمتم فى الوصول بنا إلى وضع رضيتم فيه باستبعاد العقيدة عن مجالات تطبيقها فى الحياة.

شرذمتم الأمة انظر إلى الوطن الصغير وتشرذمه ما بين شيوعيين ورأسماليين وناصريين وساداتيين ومباركيين ووفديين و.. و.. و.. انظر إلى وطننا الكبير تجد نفس الشيء لكن ما هى مرجعيتنا فى الحكم على أى واحد من هؤلاء..

مرجعية الله والحق والعدل أم مرجعية الشيطان والهوى..

كيف نحكم عليهم فنؤيدهم أو نعارضهم ؟ما هو المقياس وما هو الدليل ؟..

رضيتم ورضى الآخرون بعزل العقيدة..

فانهار كل شئ حين أصبح لكل واحد مقياسه الخاص..

أضعنا الكنز وأخذنا الوباء..

وأنتم بالذات من أكثر فئات الأمة مساهمة فى ذلك..

فاقلع..

دعك إذن مما أنت فيه..

عد إلى الله وتب واعمل صالحا علّ ذلك يشفع لك أمام الله يوم القيامة ..

***

كنت قد واصلت لساعتين كاملتين الحديث الصادر من أعماق القلب بحماس وحزن لا حد له وكان الرجل ينظر إلىّ بذهول..

بدا أنه محرج لأنه لا يستطيع مشاركتى فى انفعالى..

وعدنى أنه سيفكر فيما قلت مؤكدا لى أنه مؤمن وإن كان على غير طريقتى..

قام يشد على يدى منصرفا وهو يوصينى ألا أنسى قراءة برنامج الحزب الشيوعى الجديد.. كنت قد نسيت ذلك البرنامج تماما وعندما وجدته ما زال يذكره انهد فى داخلى شيء وخاب أمل وانطفأ اشتعال.. قلت له بصورة آلية تماما :إن شاء الله وكنت ما أزال أقاوم الدموع..

***

مر الأسبوع التالى ولم يحضر الرجل فحمدت الله ..

***

بعد ستة أسابيع كنت أتصفح صحيفة الأهالى كنت ما أزال حتى ذلك الحين أقرأها فانفجر من بين الصفحات بركان وقفَّ شعر رأسى ارتياعا وهولا،

كان ثمة مانشيت فرعى يقول:

ذكرى الأربعين للأستاذ (م.م.)..

وراحت الصحيفة تشيد بنضاله وتاريخه..

هرعت إلى آله لم يكونوا يعرفون أننى آخر من لقيه،انصرف من مكتبى فى السادسة مساء ذهب إلى منزله سقط فاقد الوعى مات فى اليوم التالى ولم أعلم ..

***

كان صديقى الدكتور جمال بلال استشارى فى علم النفس - يتابع الحكاية من بدايتها.. نظر نحوى فى رعب وذهول صرخ فى وجهى:

- لم تكن أنت الذى تتحدث لم تكن سوى قلم وبوق يسطر بهما القدر سطوره وألحانه وإنذاره الأخير..

وواصل قائلا:

- كان هناك شىء فيك شىء لا تعرفه ولا أعرفه لكنه موجود هذا الشىء القابع فى أعماقك لا تدرك كنهه كان يرى ملك الموت يرفرف على رأسه كنت تعرف دون أن تعرف - أنه يموت ومن هنا كان انفعالك ولهفتك..

وشملنى الرعب من الله ومن نفسى ورحت أردد فى ذهول:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا..

سبحانك إنى كنت من الظالمين..

---

١ - هذه الحادثة حدثت منذ أكثر من عشرة أعوام، وقد انعكست ظلالها بقوة على رواية قصر العينى التى أصدرتها لى مكتبة مدبولى عام ٩٢، ومعظم الأدلة والبراهين الواردة فى هذا المقال والتى سقتها فى محاولة هداية الأستاذ (م.م) واردة بنصها فى الرواية، لكن ذلك لم يمنع رواد التنوير والتضليل من حديث إفك عاصف عن الرواية إبان انفجار فضيحتهم فيما أصبح يعرف بأزمة الوليمة. ووقف وزير الثقافة آنذاك يصرح فى التليفزيون والصحف أنى كتبت رواية كافرة !!،

الحدود فى الإسلام كنز لا وباء[1] !!..

هل نحن مؤمنون حقا ؟..

بل هل نحن مسلمون ؟!..

كيف..

كيف وقد تركنا الكنز واستمسكنا بالوباء..

كيف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف إلى تقريظ المنكر والسخرية من المعروف إلى المكافأة على المنكر والسجن على المعروف بل إلى الحكم بالمنكر والقتل على عمل المعروف..

فعلنا ذلك فحق علينا الوعيد وحلت بنا النقمة فتولى أمرنا شرارنا ثم ندعو ولا يستجاب لنا..

كيف ؟..

كيف وقد صار المغنم دولا..

كيف وقد صارت الأمانة مغنما، والزكاة مغرما..

كيف وزعيم القوم أرذلهم..

كيف وما يكرم الرجل إلا مخافة شره..

كيف ونحن نؤمن يا رب ببعض كتابك ونكفر ببعض..

ثم نتشكى مما يلحق بنا من كوارث وما يدهمنا من خطوب..

سبحانك إنا ظالمون..

سبحانك ما أشد جرأتنا عليك وما أكثر حلمك علينا..

سبحانك فما لنا أن نعجب حين لا يستجاب لنا فالأولى أن نعجب أن طال علينا صبرك ولم يمحقنا غضبك ويحرقنا سخطك..

لقد نبهني القراء أن أشد ما يتهدد الأمة ليس مجرد الأعداء الذين أتحدث عنهم فالأمر من وجهة نظرهم أخطر بكثير..

---

١ – نشرت هذه المقالة فى صحيفة الشعب بتاريخ: ١٩٩٩/٦/١٨ تحت عنوان : " أضعنا كنزا وأخذنا وباء ، ٤ ".

فليس الوعى هو الذى ينزف بل الدين..

وليست الذاكرة ما نفقد بل الإيمان..

ليس إيمان النخبة فقد فقدت النخبة إيمانها منذ زمان طويل..

بل إيمانُ رجل الشارع العادى..

إيمان أبنائنا وإخوتنا..

إيمان التلاميذ فى المدارس والعمال فى المزارع والفلاحين فى الحقول و.. و.. والجالسين أمام شاشات التليفزيون ، !!..

وحين أتحدث عن الإيمان فإننى لا أقصد الإيمان الحقيقى بشروطه وأركانه ولا التليفزيونى ولا إيمان صفحات الملاحق الدينية ولا حتى الإيمان الذى يدعونا إليه فضيلة شيخ الأزهر أو مفتى الديار إنما أقصد إيمانا آخر إيمان جوهره قضية بسيطة لكنها فاصلة..

ما أقصده أبسط بكثير وأكثر مأساوية بكثير..

لم يعد لدى من شروط لظاهر الإيمان سوى الكف عن الاستهزاء بالقرآن والسخرية من الإسلام..[1]

ترانى بذلك أطلب المستحيل؟!..

انظر أيها القارئ إلى نخبك الحاكمة..

انظر إلى ذلك الدفاع الفاجر عن كل من يقتطع من الإيمان شلوا..

أنظر إلى صحفك وشاشات تليفزيونك..

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال تمسخ طائفة من أمتي قردة، وطائفة خنازير"..

صدقت يا سيدى يا رسول الله..

صدقت..

فأنا أرى تلك القردة والخنازير تتصدر صفحات صحفنا وشاشات قنواتنا الفضائية..

أراها كلابا للغرب آلت على نفسها أن تقوم للعدو بالوكالة بما عجز أن يقوم هو به بالأصالة بهدم ديننا وإيماننا..

***

---

١ – هذه المقالة أيضا نشرت قبل انفجار أزمة الوليمة بشهور .. !! ..

كانت هناك أم تصرخ على الهاتف فى مرارة :

- لست أدعى أن الدين مرجعى ودليلى، لكنه خوفى من الإيدز هو الذى دفعنى لتحذير أبنائى من الخطيئة خشية الإصابة، حاولت أن أبين لهم سوء الفواحش وعقوبتها فى الدين، فإذا بهم ينفجرون ضاحكين من تخلفى ، كانت تسألنى فى لوعة عمن يسخر من حدود الله، فقلت لها أننى لا أفتى أبدا لكن إجابتى :هو الكفر دون سواه وأبناؤك الجاهلون يحكمون على كتاب الله فما شاءوا آمنوا به وما أبوا تركوه.. وصرخت الأم : لكن كل زملائهم كذلك.. الجميع كذلك.. الجميع كذلك.. الجميع كذلك..

***

وقلت لنفسى أن من ليس كذلك مغيب فى السجون أو مهدد بها..

لقد أينعت حدائق الشيطان التى غرسها دنلوب ليتولاها بالرعاية جل وزراء تعليمنا وإعلامنا وثقافتنا جلهم وعلى امتداد العالم الإسلامى كله..

***

كان ثمة قارئ يصرخ على الهاتف:

عندما يأتون لتقسيم مصر فمن سيدافع عنها شباب الزمالك ومصر الجديدة ذووا السلاسل الذهبية فى أعناقهم أم عشرات الآلاف من المعتقلين ذوى السلاسل الحديدية فى أقدامهم ؟! الرجال المخنثون الذين يستعملون الماكياج أم أولئك المضمخين بدماء عذابهم وتعذيبهم، الساخرون من الشريعة والمستهزئون بالدين أم من يموتون بسبب محافظتهم على الشريعة والدين؟!..

***

وقلت لنفسى أن المحافظة على نظم الحكم لم تكن تتطلب هذا القهر كله كان يكفى بضعة أحكام بالإعدام وينتهى الأمر لكن الأمر لم يكن يقتصر على ذلك كان المقصود منذ البداية اختراق ثغر وتحطيم جبهة وتدمير دين.

لاحظت توحد الوسائل بين أجهزة أمننا (بل أجهزة قمعنا) وجيوش الصرب وإسرائيل فأدركت أن الغايات أيضا واحدة!!.

***

وقلت لنفسى أن مجلس شعبنا على سبيل مثال متكرر فى كل عالمنا الإسلامى ليس سيد قراره على الأمة فقط بل وينصب نفسه حاكما-

عفـوك يـا رب   علـيك أيضـا فيؤمـن بـبعض ما أنزلت إلينا ويكفر ببعض وهو يا رب لا يزَوِّر   أو يُزَوَّر   علينا فقط بل عليك أيضا..

كان علينا أن نواجه كأفراد وكمؤسسات..

كان على الأزهر أن يقودنا..

الأزهر ..

كـل آن وآن كـان شـأن الأزهـر يفدحنى فينفجر الغضب فى قلبى وكنت أجـادل مجـدى حسـين فـى ضـرورة المواجهـة والتـنديد لكـنه كان يردنى فـى حـزن قـائلا أن الأمـر شـائك جـدا لأنـنا حيـن نفعل ذلك نفعله تقويما لاعوجـاج بعـض شـيوخه وحرصـا على قيامه بدوره الجهادى فى رفعة الدين كـاملا لكنـنا لـو تناولـنا بعـض رمـوزه بالتخطـئة والإدانة فسوف يشاركنا مجهودنـا القـردة والخـنازير.. ولأنـنا حيـن نخـدش هيـبة بعض شيوخ لـم يحرصـوا علـى هيـبة دين الله فسوف يندفع وسط غبار المعركة من يسعى لهدم الأزهر نفسه ولهدم دين الله ومن هنا وجب الحرص.

وكنـت أفكـر أنـنى كـتلك الأم التى اختلفت إلى القاضى تتنازع مع امرأة أخـرى طفـلا كـل مـنهما تدعـى أنهـا أمه ولما عجزتا عن تقديم البينة حكم القاضـى الحصـيف أن يشـق الطفـل نصـفين لتحصل كل منهما على نصف وهنا صرخت الأم الحقيقية :إنه ليس طفلى..

صرختها كى تنقذ الطفل..

وصرخت أنا :

- ليس الأزهر أزهرى خذوه لكن لا تهدموه ولا تشقوه..

لكـنهم.. علـى الـرغم مـن نوايانـا أو.. على الأحرى بسببها- لم يكفوا عن شقه[1] ..

***

لقد كنت أرتعب دائما من أن أورط نفسى فيما ليس لى به علم..

لكن ما حيلتى إذا بدت بلاد المسلمين كبناية نشب فيها حريق..

هـل مـن حـق سـكانها ألا يشـاركوا فـى الإنقـاذ والإطفاء لأنهم غير متخصصين فى إطفاء الحريق ؟!..

---

[1] - هـل لاحظـت أيها القارئ أن هجوم التنويريين على شيخ الأزهر قد توقف منذ لقائه بالحاخام؟ وأنه ظل متوقفا حتى انفجار أزمة الوليمة وصدور بيان الأزهر القوى بإدانة صارخة لوزارة الثقافة فبدأ من جديد الهجوم على الأزهر وشيخه نص بيان الأزهر فى الملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب.

ما حيلتى إن أنذرت الشواهد أن جنود الإطفاء لن يأتوا أبدا وانتشرت الشائعات أنهم بعض من أشعل الحريق؟!..

تطلعت إلى الأزهر وما أزال..

***

تتداعى فى مخيلتى صرخات تلك الأم عن أبنائها الذين راحوا يسخرون من القرآن عندما حدثتهم عن الحدود..

وأنا أدرك أن الإسلام قد عاد غريبا كما بدأ وأنا أبا لهب لم يعد كبير بطن من بطون قريش بل وكيلا للغرب فى كافة أرجاء عالمنا الإسلامى أما أبو جهل فهو رئيس جل وزراء الثقافة والإعلام والتعليم..

أولئك الذين يدعوننا للخجل مما كان يجب أن نفخر به وللفخر مما كان يجب أن نخجل منه..

وفى جو هذا الهواء المسموم تحولت قضية الحدود فى نظر البعض إلى عورة أو عار مع أنها والله أوسمة فخار..

ولقد ساعدهم فى ذلك - للحزن والأسى - تناول بعض إخواننا فى الله لتلك القضية..

إننى أنبه القارئ منذ البداية أننى غير متخصص ولست بفقيه وأناشد القارئ ألا يستخرج مما أكتب حُكمًا وأن يعود بنفسه إلى المصادر أو إلى شيوخ غير مشغولين بمبايعة أو بلقاء حاخام وأن يضع فى اعتباره دائما أن أكون قد أخطأت فى الحفظ أو فى النقل أو فى الاستدلال..

كنت أقول لنفسى أن الأمر فى هذه القضية كما فى كل قضايا الإيمان الأخرى يلخصها ما قاله أبو بكر رضى الله عنه: "إن كان قالها فقد صدق" كنت أقول لنفسى أن الفيصل فى أى قضية ليس موافقتها لعقلنا وهوانا أو عدم موافقتها، فالعقل والهوى متغيران، لكن الفيصل هل وردت فى القرآن وصحيح الحديث أم لم ترد فهما ثوابت إيماننا، ذلك أن جوهر الإيمان تسليم العقل البشرى بمحدوديته وأنه يرى جزءا ضئيلا جدا من الصورة وأننا وجدنا قبل الميلاد وسنوجد بعد الممات إنه يدرك أنه جزء من منظومة وعبد فى الكون لا سيد الكون ولذلك فإن عليه ألا يعمل رأيه فيما فيه نص.. لنا أن نجتهد فى تفسير النص كما شئنا فى التفسير لا فى التكسير، فى مزيد من الفهم لا فى مزيد من الجهل..

إن القضية يمكن تلخيصها فى إيجاز مخيف.. إن مرتكب الكبائر التى تستوجب الحدود ليس بكافر لكن الكافر هو من يرفض أو ينكر وجوب تطبيق هذه الحدود..

***

فى قضية الحدود بالذات يبدو الالتباس فظيعا ونزيف الوعى هائلا وفقدان الذاكرة مروعا ..

إن المسلم الذى انصرف عن التفقه فى دينه عموما فى إطار نزيف الوعى هو بالطبيعة أكثر انصرافا عن فقه الحدود فالذين يرتكبون ما يستوجب الحدود هم أبعد الناس عن الفقه أصلا أما سواد المجتمع بعد ذلك فقد اكتفى بالحد الأدنى الذى يعتبر النزول دونه خللا جسيما فى الدين.. وهذا الحد يكتفى من الفقه بما يقيم صلب حياته اليومية وأساسيات ممارساته الدينية إنه يقرأ القليل جدا عن الصلاة والصوم ويسأل الآخرين فيما يتعدى ذلك كالزواج والطلاق والحج ترتب على هذا أن الجانبين ابتعدا عن قراءة هذا الفقه والتعمق فيه الذين يرتكبون ما يستوجب الحد والذين لا يرتكبون فأصبح مصدر معلوماتنا الوحيد عن الحدود هو أقوال المهاجمين لنا والمعادين لديننا من علوج الغرب وخنازير العلمانيين وكان الجو أمامهم خاليا فباضوا وصفروا!!..

اندفعوا وهم يدركون ضعفنا وحصارنا وهواننا على العالم ليكذبوا بمنتهى الفجور وليجلدونا بمنتهى القسوة..

اختزلوا الإسلام فى الحدود وتجاهلوا أن الحدود فى الإسلام كحلقة فى فلاة ..

وراحوا يعلنون الهجوم على الحدود مضمرين على الإسلام هجومهم..

الحدود همجية ووحشية وتخلف..

يا كلاب جهنم أنتم الهمج الهامج وأنتم المتوحشون وأنتم المتخلفون وأنتم السفهاء ولكن لا تعلمون..

فى الجانب الآخر ابتلع بعض اخوتنا الطعم .. غفلوا عن أن كلاب جهنم يحاولون اختزال الإسلام فى الحدود .. فراحوا يدافعون والأوقع أن يهاجموا حاصروا أنفسهم فيما قدمه الخنازير من شرح للحدود وغفلوا عن واجب فضح عبيد الشيطان كلاب جهنم بتقديم الوضع الحقيقى للحدود فى الإسلام..

تقـدم الأفـاقون والنصـابون أتـباعهم مـن صـبية زويمر وتلاميذ دنلوب وجـنود كرومـر فعلـوا مـا يفعله أى نصاب أفرغوا حقيبتنا من محتواها ودسوا فـيها سـمومهم ومخدراتهـم الممـنوعة ثـم أشـهدوا العالم علينا وعندما سألنا العالم :أليست هذه حقيبتكم ؟أجبنا دون أن نفطن للحيلة : بلى..

لمـثل هـذا المـنزلق اسـتدرج بعـض اخوتنا فى دفاعهم عن الحدود وهم يتبنون وجهة نظر أعداء الإسلام فيها !!..

***

والآن سـوف أعـرض لكـم نموذجـا باهـرا فى الرحمة شامخا فى العدل سامقا فى الإحسان مذهلا فى كيفية احترام البشر ونصوص القانون..

سـوف أعـرض لكـم الوجـه الآخر الذى لم يعرضه المنافقون علينا حين راحـوا يهاجمونـنا مصـورين الأمـر كمـا لـو كـان الإسلام متعطشا لإقامة الحـدود ويترصـد الـناس فـى الطرقات ولقد ساعدهم على ذلك للحزن والأسى نمـاذج معاصـرة اختزلـت الإسـلام فـى تطبـيق الحـدود جاهلة أو متجاهلة أن الحدود كانت تطبق فى الجاهلية وأنها ما تزال!!..

إن حـد الـزنا مـثلا مشـهور.. ومشـهور أكـثر الصعوبات الهائلة التى تكتـنف إثـبات الجـريمة بالشـهود.. ذلك أن الشرع يشترط تواجد أربعة شهود (يشـترط تواجدهـم بالصـدفة) ورؤيـتهم للفعـل الفاضح كاملا دون أى شك.. واتفـاق شـهاداتهم حرفـيا فـإذا تناقضـت شهادة أى واحد منهم أقيم عليهم حد القـذف.. وبـرئ الـزانى.. وللقـارئ أن يتخـيل أنـنا لو حاولنا تسجيل الفعل الداعـر بالصـوت وبالصـورة فـإن كامـيرات التصـوير الأربعـة ستختلف فـى زاويـة الـرؤية (الشـهادة) ، !! لذلـك ذُكـر أن هـذه الجريمة لم تثبت فـى عهـد الرسـول صـلى الله علـيه وسلم إلا بالإقرار.. والإقرار أربع مرات فـى أربـع جلسـات مخـتلفة لو رجع فى أى واحد منها سقط عليه الحد.. وعلى القاضـى أن يـبدى كراهيـته للسـماع.. بـل وأكـثر مـن ذلـك عليه أن يلقن المعـترف الإنكـار.. فـإذا اعـترف الـزانى أربـع مرات فإنه يمكن أن ينكر فـى أى لحظـة بـل إن بعـض الفقهـاء يعتبرون أن محاولة الهرب أثناء إقامة الحد رجوع عن الإقرار توجب إسقاط الحد.

***

أمـــا حـــد الســـرقة فـــلا يقـــام علـــى مفهـــوم الســـرقة الذى يتبادر لأذهان السامعين..

يعــرف الإســـلام الســـرقة بأنهـــا: أخـــذ الشـــي في خفية ولقد شدد العقوبة علـــيها.. والحكمـــة فـــي تشـــديد العقوبـــة فـــي الســـرقة أنهـــا تهـــدد كل فرد فـــى المجـــتمع ، ولا يمكـــن إقامـــة الدلـــيل عليها بسهولة، وأنه لا يمكن درؤها بولـــى الأمـــر الصـــالح، كمـــا أن اللـــص بطبيعـــته مستعد لارتكاب كل الكبائر الأخـــرى كالقـــتل مـــثلا إذا مـــا عاقـــه عن ارتكاب جريمته، إلا أن الإسلام إذ يشـــدد العقوبـــة يضـــع لهـــا محاذيـــر هائلـــة تتعلق باللص وبالمال المسروق وبالمكـــان الـــذى كـــان فـــيه المال وبالضحية، فإذا لم تنطبق هذه الشروط يسقط الحد

فلابـــد لاكـــتمال أركـــان الســـرقة مـــن صاحب مال، ومال، ومكان يحفظ فيه المال..

ولابـــد للجـــريمة أن تحـــدث خفـــية، ولابـــد للمـــال أن يكون مملوكا لأحد، وأن يكـــون صـــاحب المـــال قـــد اجـــتهد قـــدر فى يستطيع فى وضعه فى مكان أمين : "الحرز" ..

وربمـــا يلخـــص هـــذا الأمـــر فى جلاء مثل بسيط: فإذا دخل اللص مسجدا ووجـــد رجـــلا احـــترز بقـــدر استطاعته ووضع متاعه تحت رأسه فسرقه اللص فإنـــه إذا كـــان الـــرجل نائمـــا كانت تلك سرقة يقام فيها الحد، فإن كان مستيقظا عد اللص منتهبا ولا يقام عليه الحد بل يعزر..

ويشـــترط الإســـلام شـــروطا لإثـــبات الســـرقة ويضع محاذير لإقامة الحد تجعـــل الإنســـان فـــى مـــرحلة مـــن مـــراحل عبور قناطر الشك إلى بحر اليقين يهـــتف بنفســـه :لقـــد تواطـــأ الفقهاء كي لا يتم إقامة الحد على اللصوص والزناة (أستغفر الله العظيم) !!..

وحـــتى فـــى هـــذا المفهـــوم الضيق للسرقة فيرى الفقهاء ألا يكون للسارق فـــي الشـــيء المســـروق شـــبهة، فـــإن كانت له فيه شبهة فإنه لا يقام عليه الحد، ولهـــذا لا يقـــام الحـــد علـــى الأب ولا الأم بســـرقة مـــال ابنهما، وكذلك لا يقام علـــى الابـــن بســـرقة مالهمـــا، أو مـــال أحدهمـــا لأن الابن يتبسط في مال أبيه وأمـــه عـــادة، والجـــد لا يقـــام علـــيه الحد ؛ لأنه أب ؛ سواء أكان من قبل الأب أم الأم، ولا يقـــام الحـــد علـــى أحد من الآباء والأجداد والأبناء، وأبناء الأبناء وأمـــا ذوو الأرحـــام، فقـــد قـــال أبو حنيفة والثوري : لا قطع على أحد من ذوي الـــرحم المحـــرم مـــثل العمـــة والخالـــة والأخت والعم والخال والأخ لأن القطع

يفضـــى إلـــى قطـــيعة الـــرحم الـــتى أمـــر الله بهـــا أن توصل، ولأن لهم الحق فى دخول المنزل وهو ما يختل الحرز به.

ولا قطع على أحد الزوجين، إذا سرق أحدهما الأخر..

ولا يقام عليه الحد الخادم الذي يخدم سيده بنفسه..

والضـــيف لا يقـــام علـــيه الحـــد إذا سرق لأن صاحب البيت هو الذى أذن لـــه بـــالدخول فاخـــتل الحـــرز ولم يعد كاملا، بل ووصل الأمر أن بعض الفقهاء قـــال أنـــه إذا جـــاء اللـــص فـــى لـــيلة فثقب الجدار أو كسر النافذة ثم جاء فى اللـــيلة التالـــية ودخـــل وســـرق فـــلا يقـــام علـــيه الحد لأنه حين دخل فى المرة الثانية دخل مكانا مختل الحرز.

ولا يقـــام الحد على من سرق من بيت المال لأن له فيه نصيبا وذلك يورث شبهة تمنع إقامة الحد كذلك لو سرق من مال لشركة له فيها نصيب..

ولا يقـــام الحـــد علـــى مـــن سرق من المدين المماطل في السداد، أو الجاحد للدين لأن ذلك استرداد لدينه..

ولا قطـــع فـــي ســـرقة العاريـــة من يد المستعير؛ لان يد المستعير يد أمانة وليست يد مالك .

ومـــن غصـــب مـــالا وســـرقه، وأحـــرزه، فســـرقه مـــنه ســـارق ؛ فقال الشافعي، وأحمد :لا يقام عليه الحد ؟ لأنه حرز لم يرضه مالكه..

وإذا وقعـــت أزمـــة بالـــناس، وســـرق أحد الأفراد طعاما لا يقام عليه الحد وقد قال عمر رضي الله عنه - :لا قطع في عام المجاعة..

واختلفوا في الطرار (النشال).

ويـــرى الشـــافعى أن مـــن ســـرق قـــناديل المســـجد وحصرها لا يقام عليه الحد ؛ لأن ذلك جعل لمنفعة المسلمين وللسارق فيها حق..

فهل اكتفى الإسلام بكل هذا كى يدرأ الحدود بالشبهات..

لا فـــإن مطالـــبة صـــاحب المـــال بالمســـروق شـــرط في القطع فلو وهب اللصّ ما سرقه أو باعه قبل رفعه إلى الحاكم سقط الحد ..

فهل اكتفى الإسلام بذلك لدفع إقامة الحد؟!..

اتفـــق الفقهـــاء علـــى أن الـــدار لا تكـــون حـــرزا، إلا إذا كان بابها مغلقا، واخـــتلفوا فـــيما إذا اشـــترك اثـــنان فـــي نقب دار، فدخل أحدهما، فاخذ المتاع،

وناولـه الآخـر وهـو خـارج الحـرز، وهكـذا إذا رمـى به إليه، فأخذه؟ قال أبو حنيفة : لا يحد منهما أحد .

واخـتلفوا فـيما إذا قـرب الداخـل المـتاع إلـى النقـب، وتركه، فأدخل الخـارج يـده، فأخـرجه مـن الحـرز ويـرى الشـافعى وأبو حنيفة أنه لا حد عليهما.

وذهـب أبـو حنـيفة، ومحمـد، والأوزاعـي، والـثوري إلـى أن عقوبة الـتعزير هـى العقوبـة الواجـبة علـى النـباش الذي يسرق أكفان الموتى لأنه لـيس سـارقا، فـلا يـأخذ حكـم السـارق، ولأنـه أخذ مالا غير مملوك لأحد فالميت لا يملك، والقبر ليس حرزا (مكانا أمينا)..

كمـا أن المسـلم يقـام علـيه الحـد، إذا سـرق مـن الذمـى، أما المعاهد والمسـتأمن، فإنهمـا لا يقـام علـيهما الحـد لـو سرقا في أصح قولي الشافعية وعـند أبـي حنـيفة اللـذان يريان أيضا أن سارق الطفل حتى ولو سرق ما عليه مـن حلـى لا يقـام علـيه الحـد بـل يعزر (والتعزير يبدأ بالغرامة وقد يصل بالحكم إلى الإعدام).

ويـرى أبـو حنـيفة أنـه لا حـد على من سرق المصحف لأنه ليس بمال وليس ملك أحد..

ثـم إن إقامـة الحـد لا تـتم إلا بشـاهدين عدلين أو بالإقرار مرتين (هذا فى السرقة أما فى الزنا فأربعة شهود أو الإقرار أربع مرات) ..

وتصـل العقوبـة بالشـاهدين إذا ثبـت أنهما (لفقا القضية) للمتهم إلى قطع أيديهما..

ويندب للقاضي أن يلقن السارق ما يسقط الحد.

فيقول :أسرقت ؟ قل :لا.

وعـن أبـى الـدرداء، أن أبـا بـك أتى بجارية سرقت فقال لها: أسرقت؟ قولـي :لا. . فقالـت :لا.. فخلـى سـبيلها. وعـن عمـر، أنه أتي برجل سرق فسأله :أسرقت ؟ قل :لا.. فقال :لا.. فتركه.

فهل اكتفى الإسلام بكل هذا..

لا..!!

فبعد هذا كله إذا ادعى اللص أن ما أخذه من الحرز ملكه، بعد قيام البينة عليه فقد أفتى أبو حنيفة والشافعى أن لا يقام عليه الحد، وسماه الشافعي : السارق الظريف !!.

***

نطمئن الزنادقة إذن أن سرقة الفنادق والبنوك والقطاع العام والأموال الحكومية لا يقام عليها الحد، ولا كذلك الاستيلاء على الأراضى والعقارات والأوقاف..

***

ثم أقدم لك أيها القارئ درسا باهرا فى احترام النصوص وعدم الخروج عليها درس أطمع أن يدرسه ذات يوم ترزية القوانين وسيد قراره بل أطمع أن يدرسه العالم..

إذ لا يؤخذ الأخرس بحد الزنا ولا بشيء من الحدود، وإن أقر به بإشارة أو كتابة أو شهدت به عليه شهود، فالكتابة قائمة مقام العبارة، والحد لا يقام بمثله، وكذلك إن شهدت الشهود عليه بذلك، لأنه لو كان ناطقاً ربما يدعي شبهة تدرأ الحد، وليس كل ما يكون في نفسه يقدر على إظهاره بالإشارة، فلو أقمنا عليه كان إقامة الحد مع تمكن الشبهة،

اقرأ أيها القارئ ولتته على العالمين فخارا بدينك ..

اقرأ أيضا أنه بعد كل هذه المحاذير فإن الزانى إن قال زنيت في حال جنوني لم يحد..

اقرأ أيضا درسا نبيلا باهرا فى احترام الرأى المخالف..

إن جمهور الفقهاء يعتبر زواج المتعة زنا ولكن نفس هذا الجمهور- الذى لا يقره اعتبره شبهة تمنع إقامة الحد، والجمهور يرى وجوب الوكيل والشهود فى الزواج.. لكن بعض الفقهاء لم يشترط ذلك فاعتبر عدم وجود الشهود والوكيل شبهة تسقط الحد!!.. حتى يصل الأمر ببعض الفقهاء إلى القول : إذا وجد رجل مع امرأة لا زوج لها فإن له أن يدعي أنه تزوجها، وذلك شبهة تدرأ الحد في بعض المذاهب"..

وإذا أقر الرجل أربع مرات أنه زنى بفلانة، وقالت كذب ما زنى بي، ولا أعرفه لم يحد الرجل في قول أبي حنيفة..

***

وقــد يتــبادر للذهــن أن الإســلام قــد حاصــر الزناة واللصوص وشاربى الخمــر بــأن أوجــب علــيهم الاعتراف وإلا خرجوا من الملة أو أنه هدد الشهود إذا نكصوا عن الشهادة..

لكن ذلك لم يحدث..

حدث العكس!!

فالإســلام قــد أوجــب علــى المســلم إذا وقــع فــي ذنب من هذه الكبائر، أن يقلــع عــن الذنــب ويــتوب إلــى الله تعالى، ويسترعلى نفسه، ولا يفضحها بالــتحدث بالذنــب أمــام الــناس، والــتجاهر بالمعصية، وقد روي عن الرسول صــلوات الله وســلامه علــيه أنــه قــال :أيهــا الــناس قــد آن لكــم أن تنتهوا عــن حــدود الله، مــن أصــاب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله تعالى..

أمــا الشــاهد فلــم يوجــب عليه الشرع التقدم بشهادته بل خيّره : فهو مخير فــي أداء الشــهادة حســبة لله تعــالى وغيرة على حدوده ، أو ترك الشهادة رغبة في الستر على أخيه المؤمن وعدم إشاعة الفاحشة..

***

ولقــد اتفقــت كلمــة العلمــاء علــى أن الجــريمة التــي لــم يصل خبرها إلــى الحــاكم، لا يقــام مــن أجلهــا حــد، وأن الجــريمة التي علم بها الحاكم ، ولــم تثبــت لديــه بالإقــرار، أو بشــهادة الشهود لا يقام الحد عليها.. فإذا رأى الحــاكم الجــريمة بعينــيه فلــيس له أن يقيم الحد عليها إلا باكتمال شروط إقامة الحد وليس له أن يعتمد على ما رأى..

واتفقــت كلمــة الأئمــة علــى أن مــن أقــر بحد من الحدود أمام الحاكم ، ولم يفسره فلا يطالب بتفسيره وبيانه ولا يقام عليه الحد..

إن الحربــي المســتأمن فــي دارنــا إذا أقــر بالزنا أربع مرات لا يقام عليه الحد وإن المسلم إذا سرق الذمى أقيم عليه الحد..

فأى عظمة وأى بهاء..

***

ولقد قال الفقهاء :أن صاحب العسس إذا شاهد فاسقا يحمل تحت ثوبه قارورة - مثلا- لم يجز له أن يكشف عنه ما لم يظهر ما تحت ثوبه بعلامة، فان فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج إلى غير الخمر - أيضا - مما يوضع في القوارير، ولا يجوز أيضا أن يستدل بإخفائه على حرمته لأن أغراض الإخفاء لا تقتصر على الحرمة فقط!!..

فأى عظمة وأى بهاء..

***

لا ينبغي للقاضي أن يلقن الشهود ما تتم به شهادتهم في الحدود لأنه مأمور بالاحتيال لدرء الحد لا لإقامته وفي هذا احتيال لإقامة الحد فلا يكون للقاضي أن يشتغل به..

ثم إن موت الشهود أو موت أحدهم مسقط للحد فربما كان يرجع فى شهادته إن امتد به العمر!!..

فأى عظمة وأى بهاء..

***

عن خليد أن رجلا أتى عليا فقال :إني أصبت حدا فقال علي: سلوه ما هو؟ فلم يخبرهم، فقال علي :اضربوه حتى ينهاكم.

فأى عظمة وأى بهاء وأى تكريم للإنسان أكثر من أن يجعله الله قاضيا على نفسه فإن شاء أقر وإن شاء أنكر وإن شاء رجع عن إقراره، فإذا اعترف بما يوجب إقامة الحد لم يجز للحاكم سؤاله عن التفاصيل ووجب على القاضى أن يظهر كراهيته لسماع اعترافه بل ووجب عليه أن يلقنه إنكار ما اقترفه كى لا يقيم عليه الحد..

أى تكريم وأى عظمة وأى بهاء..

عندما رأى الفاروق عمر رضى الله عنه الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى على زانية بعد حدها سأله فى دهشة :تصلى عليها؟ يا نبي الله وقد زنت ؟.. فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟..

أى تكريم وأى عظمة وأى بهاء ، وأى رحمة..

فى هذا الإطار ينبثق نور الرحمة الذى يحاول المنافقون والمشركون أن يطفئوه..

فالعظمة الهائلة التى تدفع بشرا فتحت أمامه كل وسائل الهروب لكن ضميره وخوفه من الله يجعلانه يصر فى نقاء ليس له مثيل على أن يجود لله بنفسه هى قمة فى السلوك الإنسانى ندر أن يوجد لها مثيل..

ثم أن الإسلام لم يقصد الفرد بالحد بل لقد حاول أن يجنبه الحد بكل الوسائل.. وما حرص عليه الإسلام هو حماية المجتمع من المجاهرة بالفحشاء..

حق لك أيها القارئ أن تتيه فخارا بدينك..

***

أما القردة والخنازير الذين يطالعوننا على صفحات الصحف وشاشات التليفزيون يغمزون ويلمزون فيكفى دليلا على دنسهم أنهم وهم يعترضون على شرع الله فى ادعاء داعر للرحمة لم يجرءوا أبد على الاعتراض على التعذيب فى المعتقلات ولا على المئات الذين تحكم المحاكم العسكرية بإعدامهم قربانا للحكام وكلاء الغرب وبتهمة الإسلام !!..

البحث عن أتاتورك[1] ..!!.

كان ذلك منذ أكثر من ربع قرن ..

وعلى الرغم من كل هذا الزمن فما زالت تفاصيل ما حدث تكوى قلبى ومرارة ملح دموعه فى حلقى ..

كنا فى موسم الحج .. وكنت قد انتدبت للعمل طبيبا فى مستشفى عرفات.. وكنت أحج..

كانت العادة أن تغلق المستشفى أبوابها مع النفرة.. وأن يُحوّل من فيها من المرضى إلى مكة.. لكن اكتشاف انتشار وباءى الالتهاب السحائى والكوليرا بين الحجاج فى ذلك العام غيّر من ذلك النظام فصدرت الأوامر ببقائنا فى المستشفى لرعاية المرضى..

واستفتينا شيخ الحرم فأفتى لنا بأنه ينطبق علينا ما ينطبق على السقاة والرعاة وألا نبيت فى منى بل نؤدى المناسك ثم نعود لنبيت فى عرفة.. على أن نحتفظ بإحرامنا حتى طواف الإفاضة..

وكان المسئولون قد نسوا أمر إعاشتنا .. لم يكن ثمة طعام ولا شراب بينما كانت هناك كميات هائلة من الأدوية والعقاقير.. رحنا نتوضأ للصلاة بمحلول الملح بديلا عن الماء ونشرب محلول الجلوكوز بديلا عن الطعام .. يتهددنا بين الجوع والعطش وانعدام الماء للتنظيف – انتقال الأمراض إلينا.. وكنت أؤدى مناسك الحج للمرة الأولى وكنت أتخبط فى ملابس الإحرام..

كنت أجيش بالمشاعر بعد المزدلفة ومنى ورمى جمرة العقبة الكبرى..

وكنت مجهدا من عمل متواصل طيلة الأيام السابقة ..

وكنت جائعا وعطشانا ونصف عار..

---

١ – صحيفة الشعب : ١٩٩٩/٧/٢.

كان المستشفى مكدسا بالمرضى وكان الموت يتجول بيننا حتى كدنا أن نراه..

كان الأمر هائلا وغريبا وبدا أنه لا ينتمى لحياتنا الدنيا .. ربما ينتمى إلى دنيا الأحلام والرؤى.. أو بدا أنه مشهد من مشاهد الآخرة.. كان الموت حاضرا .. وكان مسيطرا .. الموت الذى نقابله فى حياتنا العادية مرة أو مرتين فى العام.. وربما كأطباء نراه مرة فى الشهر أو حتى فى الأسبوع .. هذا الموت نقابله الآن فى الساعة الواحدة مرات ومرات بل وأحيانا يتكرر فى الدقيقة الواحدة.. استطعنا بجهد جهيد التعامل مع الوضع الطارئ وسط أحزان فاجعة لموت العشرات من الحجاج .. ذلك الحزن الثقيل الخانق الذى لا يتيح لك أى وقت تتأمله فيه.. لم أكن أحسب أن الموت يمكن أن يأتى بمثل هذه السهولة.. بمثل هذه التكرارية .. وخيم علىّ الشعور بأن ملك الموت يدير المستشفى إدارة مباشرة..وأنه لا يمكن أبدا مقاومته..لو استمرت الوفيات بهذا المعدل فسنفنى جميعا فى أيام قليلة.. بل ستبيد البشرية كلها فى بضعة أسابيع..

أحسست بجبروت الله فملأ الرعب قلبى..

كنا قد قضينا ٢٤ ساعة دون نوم .. أديت مناسك الحج ثم عدت إلى المستشفى قبل فجر النحر بساعات فذهب زملائى جميعا وبقيت وحدى .. أحقن المرضى بالمحاليل وأراقب الضغط والنبض وأعطى مخفضات الحرارة والمضادات الحيوية وأغمض عيون الموتى وأتلو الشهادتين وأحرر شهادات الوفاة ..

هل يعرف ذووهم أنهم يموتون الآن؟؟..

ولم يكن هناك أى وقت للإجابة على السؤال أو التأمل فيه..

كنت جائعا عطشانا نصف عار أكاد أسقط من الإعياء والإرهاق مترقبا وصول زملائى حتى أركن لبعض راحة..

لم يأت الزملاء .. ساعات وساعات ولم يحضروا..وليس ثمة هنيهة أريح فيها جسدى المكدود.. ومضى نهار يوم النحر كله ولم يحضروا .. بل حضر فى المساء قول من سيارات الإسعاف يحمل المصابين فى حوادث الطرق..

نظرت ذاهلا .. كنت أتخيل أننى سأسقط فى أى لحظة من الإعياء بسبب المجهود المضنى الذى بذلته .. لم أكن أتخيل أننى أستطيع أن

أواصـل .. الآن علـيّ لا أن أواصـل فقـط بـل وأن أتعامل مع الوضع الجديد أيضا ..

أدركـت علـى الفـور أنـنى يجـب أن أتعامل مع هذا الوضع كما يتعامل الأطـباء فـى مـيدان المعـركة .. فأجريـت حصرا سريعا للمصابين .. كانوا أربعـة عشـر مصـابا يلبسون جميعا ملابس الإحرام.. وزعهم رجال الإسعاف علـى حجـرات الاسـتقبال.. وضـعوا المصاب الأول - كيفما اتفق - وحده فى غـرفة .. كانـت الغـرفة صـغيرة جـدا بحيث لا تكاد تتسع لكلينا.. لم أعرف أبـدا طـيلة الأيـام السـابقة لمـاذا صـمموا هـذه الغرفة بهذا الصغر.. كانت مهجـورة ولـم تسـتعمل ولـم أر مـن يدخلهـا من قبل أبدا .. بل إننى فوجئت بوجودهـا.. فحصـت المـريض.. كـان شـابا .. ربمـا كـان فـى الخامسة والعشـرين مـن عمـره.. لـم تكـن بـه إصـابات ظاهرة.. حاولت بالعربية والإنجلـيزية الـتفاهم معـه وسـؤاله مم يشكو .. كان مكتمل الوعى لكنه لم يفهم لغـتى.. كنـت أحـاول الـتفاهم معـه.. كنـت أتحدث إليه.. لم يقدم على مجرد المحاولـة كمـا كـان الآخـرون يفعلـون عـادة حيـن كانوا يحاولون فيفشلون فيهـتفون بعربـية صـحيحة: الله أكـبر.. محمـد رسـول الله .. ثـم يصمتون وكـأنهم قـد قدمـوا أوراقهـم وهويـتهم ودليل قرابتهم .. قدّموا الأهم أما الباقى فتفاصـيل مكـررة متشـابهة لا معـنى لهـا ولا قـيمة .. لم يفعل هذا المريض ذلـك.. فحصـت الضـغط والنـبض.. كانـا فى حدود الطبيعى.. فحصت باقى الأعضـاء.. لـم يكـن هـناك سـوى بقايـا دم متجلط إثر رعاف.. كانت حالته جـيدة وكـان غـيره أحـوج لـى .. فحصـت الباقين وأنا ألقى تعليمات حاسمة وسـريعة لهيـئة الـتمريض تتضـمن الإسـعافات السـريعة والعـلاج والـدم والـبلازما والأكسـيجين وطلـب سـيارات إسـعاف لـتحويل مـن يحـتاج لمستشـفيات متخصصـة.. طلبـت مـن هيئة التمريض متابعة النبض والضغط وإبلاغـى علـى الفـور بمـا يسـتجد .. أكملـت الفحـص الأولى للمرضى .. حاولـت مواجهـة مـا يـتهدد الحـياة بصورة عاجلة كنزيف حاد أو اختناق .. وضـعت الجـبائر للكسـور وحقنـت المسـكنات وأعطيـت التعليمات اللازمة لحـالات الـنزيف الداخلـى.. وصـلت أخـيرا إلـى مصـاب مصرى.. كانت ضـلوعه مهشـمة .. كـل ضـلوعه تقريـبا بدرجـة أذهلتنى كيف وقع الحادث ومـا هـو كـنهه.. كـان ضـغط الدم صفرا والنبض لا يحس لكنه كان مكتمل الوعـى.. وكـان الـدم يفـور كالـزبد مـن فمـه.. كنت أضخ المحاليل والدم فـى عـروقه وأشـفط السـوائل مـن فمـه وأستعمل الأدوات الجراحية للبحث عـن وريـد أكـبر أحقـن فـيه مـزيدا من الدم.. كنت منفعلا تماما ومستغرقا بدرجـة لا يمكـن وصـفها.. وكـان هـو يحدثنى بضعف فى صفاء واستسلام

الرضـــى لا استســـلام الـــيأس: لا تتعـــب نفسك يا دكتور فإننى أحس بالموت .. أشـــعر بـــروحى تطلـــع الآن.. أحـــس بهـــا تطلع فعلا.. ربما لا تصدقنى لكننى أقـــول لـــك الحقـــيقة .. لـــن أمكـــث طويـــلا .. رحـــت أشـــجعه .. أكذب عليه وأشـــجعه.. قـــال فـــى استســـلام كـــامل: أنا من المنصورة .. أعول ثلاثة عشر مـــنهم أبـــى وأمـــى.. لـــيس لهـــم سواى .. حملق .. بدا أنه ينظر إلى مالا أراه وهمـــس: لهـــم الله .. لهـــم الله .. وكـــان كـــل مـــا فى الوجود يبكى إلا عينى.. رحـــت أواصـــل طمأنـــته.. كـــان علـــىّ أن أقوم بواجبى الأخير.. قلت له بإذن الله ستشـــفى لكـــن إن كنـــت تـــريد إبـــلاغ أهلـــك بشـــىء أو أن توصى بشىء أعطـــنى رقـــم تلـــيفون أتصـــل بـــه أو عنوانا أكتب إليه ..حملق فىّ لكنه لم يكن يـــرانى .. همـــس .. أشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــدا رسول الله .. ودون حـــتى رجفـــة أسـلم الـــروح .. مـــات .. لـــم يكن لدى أى متسع من الوقت كى أمـــارس فـــيه رفاهـــية الـــتفريج عن الألم أو التعبير عنه .. انطلقت إلى سواه .. حاجـــز اللغـــة ســـكين يذبـــح التواصـــل..أرتب الحالات طبقا لخطورتها .. لكن هـــل أنـــا مصـــيب فـــى تقديرى لدرجة الخطورة.. أى خطأ أو سوء فى التقدير لا عاقـــبة لـــه ســـوى المـــوت .. ولـــم يكن هناك أى وقت للإجابة عن السؤال.. كـــل آن وآخـــر كـــان أحـــد الممرضين يأتى ليطلب نجدتى لمريض من مرضى الكولـــيرا أو الالـــتهاب الســـحائى.. وكنـــت أتـــرك المصـــابين وأجرى.. أصف الممكـــن مـــن العـــلاج .. ويـــأتى المســـعف بعد قليل ليخبرنى: هذا تحسن وذاك مـــات .. كنـــت أســـمعه بـــأذن أمـــا الأذن الأخرى فمع المصاب الذى أتابعه .. أحـــدق فـــى عـــيون الأحـــياء كـــى أقـــدر حالتهم وفى حدقات الموتى كى أتيقن مـــن موتهـــم.. كانـــت العـــيون الميـــتة تـــبدو بـــلا غور.. امتزجت باللانهاية.. لـــم تكـــن العـــيون الميـــتة ميـــتة.. بـــدت تحمل إنذارا رهيبا وتحذيرا مروعا.. بـــدا لـــى أنهـــا تحســـد الأحياء جميعا فما تزال أمامهم فرص لاستدراك ما فاتهم واســـتدبار أمـــرهم..فـــرص للـــتوبة بيـــنما هى قد عبرت الفرصة الأخيرة..بدا أنهـــا رأت مـــا لا عيـــن رأت.. وأنهـــا تـــريد لولا الموت أن تطلق صيحة تحذيـــر هائلـــة .. عرفـــنا الحقـــيقة.. تـــبا لكـــم عرفنا الحقيقة.. ذلك ما كنا عنه نحـــيد .. كنـــت أحملـــق فـــي الأحداق .. كانت واسعة جدا .. وكانت تشبه فوهة بـــئر بـــلا قـــرار يكـــاد يجذبـــنى بقـــوة جاذبـــية الأفـــلاك فأوشـــك أن أســـقط فـــيه..لـــو أن بصـــرى أحـــد لرأيـــت مـــا رأت .. ماذا رأيت أيتها العيون الميتة عـــند العتـــبة الفاصـــلة بيـــن الحياة والموت.. وهذا الانطفاء فى اللمعة هل يعنى كشـــف غطـــائك وأن بصـــرك الآن حديـــد.. لا يبدو فى الأجساد الميتة أى تغير فلمـــاذا لا تـــنهض واقفـــة ؟! .. لمـــاذا لا تـــنهض واقفـــة يـــا معشـــر الماديين والعلمانييـــن ولـــم يـــنقص مـــن مادتهـــا أى شئ.. كل ما تعترفون به لم ينقص

منه شئ فماذا حدث إذن.. وهل غير المحسوس الذى ذهب أهم أم الملموس الذى بقى؟!..

أجيبوا .. قولوا

لم تتطور أجسادكم من القرود لكنكم أضل ..

اعترفوا بأن الروح من أمر ربى

***

بعد ستة ساعات كان الوضع قد استقر قليلا ..

كان الصباح الجديد يشقشق وكان الشاهد الأبيض فوق جبل الرحمة يخطف القلب ويلوح فى الأفق تهب منه نسمات تهفو لها الروح ..

أمكن إنقاذ عشرة من المصابين ومات ثلاثة.. كدت أتجه إلى مقعد استجابة لعظام تئن ومفاصل تتفكك وعضلات ترتجف .. لكننى تذكرت على الفور فاستدركت حائرا: لكنهم كانوا أربعة عشر.. انسدل غشاء من الغباء على عقلى فلم أجد تفسيرا لذلك اللغز الغريب لبضع ثوان لكننى سرعان ما هتفت فى لوعة وارتياع: مريض الغرفة المهجورة.. لم أتذكره ولم يذكرنى به أحد ..

جريت إليه ..

وكان راقدا بالحالة التى تركته عليها ..

لكنه كان ميتا ..

غام الأفق بل انفجر فانهرت تماما ورحت أجهش بالبكاء ..

***

لعلك تتساءل أيها القارئ لماذا أنزف هذه الذكريات وأكتبها لك..

أقول لك ..

ذلك أن شعورى إذ أكتب هذه المقالات شبيه بشعورى فى ذلك اليوم الذى مر عليه أكثر من ربع قرن فى عرفات .. إننى أتناول فى هذه المقالات من القضايا ما أظن أنه الأخطر.. ما أعتقد أنه لم يعد يحتمل الانتظار.. لذلك تجدنى أحدثك فى اتجاه وأعدك بالمواصلة فيه لكننى سرعان ما أخلف وعدى لأنطلق إلى قضية أخرى .. أما تتابع الأحداث فتجلدنى بسياط من نار.. كشمير أولى أن تكتب عنها.. بل بورما ..

بـل لفليبيـن.. بـل كوسـوفا ما تزال -لأن الأطلنطى لم يذهب لنجدة المسلمين بـل لترويضـهم-.. بـل الأقـربون أولـى بالمعروف فلا تنس العراق .. وضع العـراق شـبيه بالميئوس مـنه فـأدرك السـودان قـبل التقسـيم .. بل تونس بـل لجزائـر بـل الخلـيج بـل نجـد بـل المسلمين فى المهجر بل الطواغيت ووكـلاء الغـرب المتسـلطين علـى كافـة أرجاء عالمنا الإسلامى.. ثم يصرخ صـوت يغطـى علـى جميـع مـا سـبقه : لا تنس مصر.. لا تجعلها كمصاب الغـرفة المهجـورة.. تحسـب ظلمـا أن حالها أفضل من غيرها بينما هى تشـرف علـى المـوت .. تمـوت لا يدركهـا أحـد .. دعـك ممـا توحى به الظواهـر.. وانظـر إلـى الـتاريخ نظـرة شـاملة تضـرب بهـا آباط الأمور وتصـيب كـبد الحقـيقة..افهـم أنهـا لابـد مرصودة فى مخططات الغرب بعد تركـيا.. فهـى القـادرة علـى لـمّ الشـتات الذى تمزق .. لقد استمرت الدولة الإسـلامية مـنذ عهـد الرسـول صـلى الله عليه وسلم حتى عام ١٩٢٤.. عام نهايـة الخلافـة الإسـلامية فـى تركـيا .. استمرت الدولة الإسلامية طيلة هذه القـرون وكانـت أغلـب الحكومـات غـير إسـلامية لكـن الأمة كانت مسلمة والحضـارة كانـت مسـلمة والـتوجه كان إسلاميا وكان الإيمان بالله يعمر قلوب الـناس فمـا لا يـزعه القـرآن يزعه السلطان حتى وإن كان هو نفسه فاجرا .. فقـد كـان يعلـم أنـه يحكـم أمـة مسلمة والإسلام هو سند شرعيته الوحيد .. انـتهى هـذا كلـه بكمـال أتاتورك .. ولو سألتنى أيها القارئ عن فرد واحد فى هـذا العـالم أسـاء للإسـلام أكـثر ممـا أسـاء له أى واحد آخر لما تجاوزت إجابـتى لـك : كمـال أتـاتورك .. أكثر حتى من عبد الله بن سبأ .. كان يرجع فـى أصـوله إلـى يهـود الدونمـة.. أولـئك الذين فروا من محاكم التفتيش فى الأندلـس بعـد هـزيمة المسـلمين هـناك .. كان الملك الأسبانى فيليب قد قرر اسـترقاق المسـلمين الباقيـن فـى الأندلـس للعمـل كعبيد فى الكنائس والبيوت الأسـبانية ولـيقوموا بـدور الحـيوانات فـى المزارع والجبال .. كانوا ستمائة ألـف مسـلم بقـوا بعـد القـتل والتهجير والتنصير .. وتدخل السلطان العثمانى أحمـد رحمـه الله .. وأدرك الملـك فيليـب أن السـلطان قـد يفكر فى تجميد الجهـاد فـى شـرق أوروبـا ليـنقله إلـى غربها .. وخوفا من ذلك تراجع عن قـراره .. وأطلـق السـتمائة ألـف فاصـطحبوا معهـم الـيهود الذيـن كانوا يتعرضون لنفس المصير[1] ..

---

١ - المسـألة الشـرقية. مرجع سابق- ملوك المسلمين. أمين محمد سعيد. مكتبة مدبولى- المسلمون ومؤامرات الإبادة. ممدوح الشيخ. مدبولى الصغير- تاريخ وحضارة الأندلس. دكتور كمال السيد أبو مصطفى. مؤسسة شباب الجامعة.

ساح المسلمون في أنحاء الدولة العثمانية أما اليهود فلم يجدوا في العالم مكانا يأويهم ويحميهم إلا تركيا .. عاشوا في البلاد فسادا وادعى أحدهم النبوة .. استثاروا المشاعر الإسلامية وعندما أحسوا أن أمرهم كاد يكتشف ادعوا دخول الإسلام فدخلوه جملة .. وكلمة الدونمة[1] كلمة تركية تعني المرتدين أي الذين غيروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام تمييزا لهم عن مسلمي الأتراك أصلا..

من نسلهم كان كمال أتاتورك ..

كانت أمه غانية .. أما أبوه في شهادة الميلاد فقد كان ضابطا تركيا انتحر كما يقول المؤلف التركي المجهول لكتاب: " الرجل الصنم".. وكان من أسباب انتحاره معرفته بأن كمال أتاتورك ليس ابنه بل ابن سفاح لجندي صربي..

هذا اليهودي ابن السفاح هو الذي قضى على الدولة الإسلامية..

دبر اليهود والغرب مؤامرتهم الكبرى.. ووصلوا إلى بغيتهم في ابنهم كمال أتاتورك .. كان فاسقا عربيدا لا يكف عن السكر .. وكان قاتلا سفاحا.. لكنه غطى على كل ذلك .. وفي إطار عملية الخداع عين فقيهين مالكيين لتعليمه الدين ثم أعدمهما عندما استتب له الأمر..

ويذكر كتاب "الرجل الصنم " وهو من أهم الكتب التي تكشف سر كمال أتاتورك: " الذي يتمعن في حركة مصطفى كمال يرى العجب في المدى الذي وصل إليه في تقليد الغرب : غير الأحرف التركية إلى الأحرف اللاتينية .. غير القيافة إلى القيافة الغربية .. غير حتى الأعياد الدينية ، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية بدلا من يوم الجمعة ، ومنع الحج .. وأباح تزويج المسلمة لغير مسلم.."

ويذكر مصطفى كمال نفسه في كتابه " الخطابة " كيف تمكن من هدم الدولة الإسلامية وإلغاء الخلافة مسجلا في شماتة لحظاتها الأخيرة :

(إنني أرى أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد على اعتبار هذه قضية طبيعية ، ولكن إذا حدث العكس فان هذا الأمر سينفذ أيضا وفي إطار المجرى الطبيعي ، ولكن من المحتمل أن بعض الرؤوس ستقطع) .. ويجمد الجميع لدى سماعهم الجملة الأخيرة ..(..).. هيئت لائحة القانون بسرعة ، وفي الجلسة الثانية

---

١ – مرجع سابق– راجع أيضا الكتاب الشهير : " الرجل الصنم " لمؤلف مجهول .

للمجلس في نفس اليوم وعندما اقترح وضع اللائحة للتصويت عليها مع بيان الأسماء وقفت على المنصة معترضا وقائلا :

" لا أرى حاجة لذلك ، ذلك لأنني أعتقد بأن المجلس الموقر سيوافق بالإجماع على الأسس التي سوف تحفظ إلى الأبد استقلال الأمة والوطن".. ارتفعت الأصوات قائلة " التصويت " ! ... وأخيرا وضع الرئيس اللائحة للتصويت ثم قال : " قبلت اللائحة بالإجماع".. ولكن سمع صوت نشاز " إنني أعارض " ولكن هذا الصوت اختفى بين الأصوات القائلة " لا يسمح بأي كلام ! " ..)

وهكذا أيها القراء جرت آخر صفحة من صفحات هدم الدولة الإسلامية الواحدة .. الدولة الإسلامية التى سبقت إلى الاتحاد قبل أوروبا بقرون.. وقد تمر قرون قبل استعادتها مرة أخرى..

سوف نعود إلى مصطفى كمال كثيرا لكننا فى هذا المقال نركز على لحظات موته .. نعود إليها فيما نشرته صحيفة الأهرام نقلا عن وثائق بريطانية.. تحت عنوان :

(كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه فى رئاسة الجمهورية التركية)

في نوفمبر ١٩٣٨ كان كمال أتاتورك رئيس تركيا يرقد على فراش الموت ، وعلى امتداد ١٥ سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية .

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه فاستدعى السفير " بيرسي لورين " السفير البريطاني إلى قصر الرئاسة في استنبول . أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما (..) يروي لورين تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الدكتاتور المحتضر : " بدأ فخامته يتحدث ببطىء ولكن بعناية شديدة وقال لي انه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة. ولقد كانت صداقتي ونصيحتى هي الوحيدة التي كان يحافظ عليها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى لأنها كانت ثابتة لا تتغير وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشيرنى

فـــي مناســـبات مـــتعددة .. بحـــرية تامة كما لو كنت وزيرا فى مجلس الوزراء التركي .

وقـــد كـــان مـــن ســـلطاته كرئيس للجمهورية أن يختار خليفة له قبل وفاته. وقـــد كانـــت أخلـــص رغـــبه لـــه هـــو أن أخلفه في منصب الرئيس ومن ثم فقد كـــان يـــريد أن يعـــرف رد فعلـــي لهذا الاقتراح . وبعد بضع دقائق من التفكير الصـــامت قلـــت لفخامـــته أن جوابـــى هو أنني عاجز تماما عن أن أجد الكلمات التـــي تعـــبر عـــن مشـــاعرى بصـــدق أو بما فيه الكفاية (...) " ... وعلى ذلك فإننى لا أجد سوى أن أعتذر آسفا ، ولكن بحزم .

وعـــندما انتهيـــت مـــن حديثـــي ظهرت على الرئيس علامات التأثر الشديد (...) كـــان رقـــيقا كعادتـــه عـــندما أضـــاف انـــه بالرغم من خيبة أمله الشديدة فقـــد كـــان هـــذا هـــو الجواب الذي ينتظره مني ولهذا فقد قرر أن يعين عصمت إينونو بدلا مني .

وختم بيرس لورين برقيته لوزير خارجيته بقوله :

" وأكـــون شـــاكرا لـــو أنـــنى تلقيـــت منكم يا سيادة اللورد رسالة تتضمن موافقتك على الموقف الذي اتخذته ورجائى إبلاغ الملك "

***

هـــذا هـــو الـــرجل بـــل الشـــيطان - الذى ادعى فى البداية أنه يتقدم لينقذ الخلافة..

احتشـــدت قلـــوب المســـلمين خلفـــه وهـــو يحـــارب غير مدركين أنه كان ضالعا فى المؤامرة من زمان طويل ..

من هنا كان بحثى الدائم عن كمال أتاتورك فى وجوه من حولى..

أبحـــث عـــنه فـــى أوجـــه أولئك الذين يدعون حماية الأوطان وهم بالفعل قد باعوها ..

أبحـــث عـــنه يتصـــدر الصـــفحات الأولى فى الصحف ويشكل الخبر الأول من جميع القنوات التليفزيونية الفضائية..

أبحـــث عـــنه فـــى عـــالم اغتربـــت عـــنه .. ويعود الإسلام فيه غريبا كما بدأ..

عالم رئيس أقوى دولة فيه داعر أما الدولة الثانية فرئيسها سكير [1] ..

عـالم يقـترف كـل الـرذائل ويرتكـب كل الموبقات ولا يترك من الجرائم جـريمة ثـم لا يـتورع ولا يـتورع كلابـه وأذنابه عن إسقاط كل جرائمه على تاريخنا الإسلامي..

أبحـث عـن كمـال أتـاتورك فـي عـالم يسلط الله فيه الظالم على الظالم ثم يذهب بكليهما إلى النار..

أبحث عنه مدركا أنه لم يكن شخصا بل كان منهجا ..

أبحـث عـنه مدركـا أنهـم استنسـخوا مـنه مئات النسخ بل آلاف النسخ وربما ملايين..

أبحـث عـنه كامـنا ومسـتترا فأراه في وجه ملك خان ورئيس باع وأمير اسـتغرب ومسـئول نـافق ورئـيس تحريـر كذب وكاتب ضلل وهو يعرف أنه مضلل..

أبحـث عـنه فـأراه فـي وجـه وزيـر داخلية عربي يقتل زعيم معارضة فـي عاصـمة أوروبـية ويخفـي جثـته.. وأراه في جهاز أمن يذيب معارضيه في الحامض المركز [2] ..

أبحـث عـنه لأراه فـي وجـه شيخ خان الله والدين وعبد الشيطان ثم راح يدعونا أن نتبعه .. ولم يكتف بذلك بل راح يتهم بالكفر من لم يتبعه..

أبحـث عـنه فـي طوفـان مـن الكـذب والتضليل وقلب المعايير والتنكيل بالمـبادئ والمـثل والقـيم العلـيا.. طوفـان لا أدري والله كـيف أواجهـه .. لأن مواجهـته لا يمكـن أن تـتم بكـتابات فـرد بل تحتاج مجهود أمة تتضافر فيها جهود رؤسائها ومرءوسيها..

أبحـث عـنه فـي وجـه السـفهاء الكفـرة الذين أضمروا الكفر وتظاهروا بالإسلام ليخربوه من الداخل ولينكلوا برموزه ..

---

١ – إشارة إلى رئيسى الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد اروسى: كلينتون ويلستين .

٢ – هموم صحفى مسلم. إسماعيل الفخرانى . مكتبة مدبولى – المخابرات تحرك العالم.سعيد الجزائرى .دار الجيل .بيروت.

أبحث عنه فى وجه قاض خان الأمانة الكبرى التى استودعها الله إياه فراح يتولى القضايا وقد كتبت له الأحكام قبل أن يبدأ المحاكمة فلا يقول : كلا فإننى أخاف الله.. قاض من الثلث الذى يعلم الحق فيحكم بالباطل .. أو الثلث الذى لا يعلم الحق فيحكم بغيره ..

هل قلت الثلث ؟!..

يا إلهى .. لقد فهمت الحديث النبوى الشريف خطأ .. فالرسول صلى الله وسلم حين أخبرنا عن قاض فى الجنة وقاضيين فى النار لم يكن يبين لنا النسبة بل النوع.. فالحديث ينطبق على ألف قاض ليس منهما إلا اثنين من أهل النار انطباقه على ألف قاض ليس فيهما إلا اثنين من أهل الجنة.. كيف لم أفهم ذلك منذ البداية .. وكيف لم أدرك أن النسبة لا يمكن أن تتساوى بين قضاة الخلفاء الراشدين وقضاة زماننا .. قضاة كمال أتاتورك .. قضاة الشيطان ..

يا إلهى .. لطالما اطمأن قلبى قبل ذلك ليقينى من أن ثلث القضاة يحكمون بالعدل.. الآن أتمعن فى التاريخ فأدرك الحقيقة.. ولقد بلغ الأمر فى عصور انتشر فيها جور القضاة حتى رأينا أحاديث تنقلها لنا كتب التراث ولولا ذلك ما جرؤت على كتابتها ويرى الجمهور أنها موضوعة..لكنها حتى فى هذا الإطار تصلح نموذجا لرد فعل المجتمع على فساد القضاة والأئمة.. يقول حديث من هذه الأحاديث: عن أبي هريرة رضى الله عنه .. : " عج حجر إلى الله تعالى فقال : إلهي وسيدي عبدتك كذا كذا سنة ثم جعلتني في رأس كنيف فقال أما ترضى أن عدلت بك عن مجالس القضاة ".. !! ..

ويقول حديث آخر في اللآلئ : " شكت مواضع النواميس إلى الله تعالى وبقاع الأرض فقالت يا رب لم تخلق بقعة أقذر مني ولا أنتن يلقى على أهل نارك وأهل معصيتك قال الجبار تبارك وتعالى اسكتي فموضع القضاة أنتن منك..!!..

ويقول حديث موضوع ثالث : "العلماء يحشرون مع الأنبياء والقضاة مع السلاطين " ..

أبحث عن كمال أتاتورك فيمن وضع هذه الأحاديث وفى سلوك قضاة دفع الواضعين إلى الوضع ..

وأبحث عنه فى زمان أتي على الناس هم فيه ذئاب فمن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب..

أبحث عن وجه كمال أتاتورك فى وجه نائب عام كالنائب العام الروسى .. كان كلما خان الأمانة أكثر ارتفعت مراتبه .. وكلما سرق أكثر ارتفعت مناصبه.. وكلما لفق القضايا للشرفاء أكثر ارتفعت أسهمه عند الحكومة.. والكارثة أن الفساد فى مثل هذه المناصب الحساسة لا يقتصر على فرد أو هيئة بل ينتشر كالسرطان فى جهاز الدولة كله فتباع القضايا ويبرأ الفاسدون فتجد الموظف الذى يعرف رجل الشارع العادى أنه لص يخرج من النيابة مرفوع الرأس مرهوب الجانب يحمل صك براءة مدفوع الثمن ليتقلد منصب مدير أو وزير..

وفى هذا الصدد لا أنسى أبدا ما قاله لى المستشار أحمد رفعت خفاجى ذات يوم: عليك أن تخاف تماما من الشخص الذى برأته النيابة أو الذى خرج من مستشفى الأمراض العقلية.. فالأول يحمل صك براءة والثانى يحمل شهادة رسمية بأنه عاقل.. وهاتان الشهادتان لا يحملهما أى إنسان آخر ..

كان المستشار أحمد رفعت خفاجى قمة شامخة ووساما على صدر القضاء فى مصر لذلك لم يجدد له ولم تسند له وزارة ولا إمارة..

نعود إلى النائب العام الروسى الذى كان لصا .. منتشرا كالليل حذرا كالفأر..

ولولا الخلاف على المسروقات والتنافس على الغنائم ربما لظل فى منصبه أو أسندت إليه مناصب الوزارة والإمارة ولارتقى حتى يخلف يلستين فى منصب الرئيس .. فمثل هذا النائب العام هو المطلوب تماما من الغرب .. مثله لا يكتفى بهزيمة وطن قد ينهض بعد الهزيمة.. بل يدمر مجتمعا ويخرب أمه .. مثله يقوم بدور جيوش وصواريخ نووية يهلك فيها الملايين.. ووحده يهزم أمته .. فحين يدرك وكلاؤه كم فسقه وفجوره لابد

أن يـنحوا نحـوه ويسـلكوا سـبيله ويتـبعوا طريقه.. وإننى أختلف مع الكثيرين فـى تفسـير انهـيار الاتحـاد السـوفيتى.. لأقول أنه لو صلحت النيابة والقضاء لمـا تفككـت أوصـاله كمـا تفككـت .. فقهر الأحرار والشرفاء وتلفيق القضايا لهـم هـو أول الطـريق إلـى الهاويـة .. وفـى مجتمع كالمجتمع الروسى فقد كانـت مهمـة النائـب العـام لـيس حمايـة المجتمع من الجريمة .. بل حماية الجـريمة المـنظمة الـتى يمارسـها المسـئولون والقـادة باحتراف من الجريمة العشـوائية الـتى يرتكـبها هـواة اللصوص غير المنظمين.. وهذه الجريمة التى يحمـيها النائـب العـام لا تـتم فـى الظـلام ولا بيـن حثالات المجتمع بل تتم فـى فـنادق الـنجوم الخمـس وفى أروقة الوزارات وأبهاء الدولة.. حيث تترك لـه الدولـة والسـلطة أن يرتشـى كمـا يشاء وأن يسرق كما يشاء وأن يستولى علـى أمـلاك الـناس كمـا يشـاء مقابل أن يلبس لها الباطل ثوب الحق والحق ثـوب الـباطل ويمكـن السـلطة من اقتناص أعدائها بمنتهى الخسة .. والكارثة أن أعـداء السـلطة هـؤلاء هـم أمـل الأمـة فى النجاة وفى الخلاص .. وهم القـادرون علـى مواجهـة الطغـاة والطواغيـت واللصوص والخونة .. وكمال أتـاتورك.. يقـوم مـثل هـذا النائـب العام بدور أشد بشاعة من قناصى البشر وأكلـة لحومهـم.. وتـرد لـه السـلطة فضله عليها .. إذ أنها بعد إحالته للتقاعد لا تـتركه يسـقط فـى زوايـا النسـيان بل تقلده مناصب أرقى يستمتع فيا أكثر بمـا سـرقه مـن جـاه ومـال .. وخطـورة مثل هذا الشخص لا تقتصر على النتائج المباشرة لفعله بل تتعداها إلى هدم القيمة المعنوية للعدل ..

النائـب العـام صـمام أمـان لمجـتمعه إن صلح صلح المجتمع وإن فسد فسـد.. لذلـك أتصـور أنـه مـا كـان يمكـن أبدا لمؤامرة كمال أتاتورك ضد الإسلام والمسلمين أن تنجح لو كان النائب العام للدولة العثمانية صالحا ..

***

أبحـث عـن كمـال أتـاتورك بيـن أولـئك العلمانييـن[1] الذين لا يمنعهم عن إدانة الكفر سوى أن البديل الوحيد هو الإيمان بالله..

يقول السير آرثر كيث:

---

١ – محمد ابراهيم مبروك ومحمد مورو: مراجع سابقة .

" إن نظــرية النشــوء والارتقــاء غــير ثابــتة علميا، ولا سبيل إلى إثباتها بالــبرهان، ونحــن لا نؤمــن بهــا إلا لأن الخــيار الوحــيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه.. "!!..

تســتطيع أيهــا القــارئ أن تســتبدل الماركسية أو النازية أو النظام العالمى الجديد بــ: "نظرية النشوء والارتقاء" ..

إن موقفهــم لــيس مــع.. بــل ضد .. وضد الإسلام تحديدا.. وهم فى سبيل ذلك لا يتركون مجالا لتزييف الوعى واستنزاف الذاكرة إلا سلكوه..

***

ابحث معى أيها القارئ عن الشيطان.. فجهدى قاصر..

ابحث عنه حيث لا تتوقعه أبدا ..

لقــد علمتــنى الغــرفة المهجــورة أن الحــريص حيــن يؤتــى يؤتى من مأمن..

وعلمــنى كمــال أتــاتورك أن الحــية الــرقطاء - حيــن تلــدغ - تخرج من مكمن ..

وتعلمــت أن الخطــر حيــن يــأتى لا يــأتى مواجهة ولا فجأة.. بل يتسلل وئــيدا وئــيدا حــتى تكــون لحظــة الإدراك نفســها هــى لحظة الغرق.. وأن الشــيطان حيــن يدعونــا لايأتيــنا بقرونه بل يتقلد عمامة أو يلبس قبعة أو يتشح بوشــاح رجــل قــانون أو يلــبس عــباءة ملــك أو يمســك بقلــم رئيس تحرير (أو نائــبه!) .. وأنــه فقــط فــى اللحظــات الأخيرة.. حين نكون قد فقدنا كل فرصــة للفهــم أو للمواجهــة يســفر عــن قــرونه وحافــره المشقوق .. لتكون صورته تلك.. هى التى تتسع لها أحداقنا من الهول عند الموت !!..

الإسلام العيسوىّ[1] ..!!.

مــن تلافــيف الذاكرة ينبثق ذلك المشهد الأخاذ من مسرحية يوسف إدريس: الفرافــير حين يقف المؤلف يخطب فى الناس خلف مكتب ضخم يرتفع إلى مستوى صــدره .. كــان المؤلــف (المسئول) عملاقا مهيبا أنيقا يكاد رونق تناسق ملابسه يخطف الأبصار.. لكن اثنين من الكومبارس يدخلان فينقلان المكتب من أمامه فإذا بنصفه السفلى عار وإذا بعورته بادية .. أما ورقة التوت التى استلزمتها الرقابة فى المسرح فلم تكن موجودة فى الواقع .. وأقول لنفسى ربما كان هذا هو السبب الذى يجعــل جمــيع الصحف وقنوات التليفون لا تعرض إلا نصف الصورة .. وأنها – ربمــا – لو عرضت الصورة كاملة لانكشفت العورات جميعا .. وأقول لنفسى أن مهمــتى فى هذا العالم قد تنحصر فى دور الكومبارس الذى يزيح السواتر ليكشف الســوءات.. ويــزيل الأقــنعة ليكشف عن وجه كمال أتاتورك.. حين أروح مثقلا بالمأساة مروعا بالفجيعة أبحث عنه فى تلك الثلة من الأشرار التى تركها الإنجليز زعمــاء الاستشــراق فى العالم وأكثر دولة فى العالم تحمل ضغينة على الإسلام– يسيطرون على حياتنا الفكرية فيلوثوها .. أولئك الذين ركعوا أمام حضارة الغرب .. استسلموا لها وكفروا بأنفسهم وبأمتهم وبالله .. لكنهم لم يكونوا بالشجاعة الكافية ليكشفوا طويتهم فأضمروا الكفر وأظهروا الإيمان .. ظنوا أنهم قد سبقوا عصورهم وبزوا أقرانهم فاكتشفوا كما اكتشف الغرب أن الأديان أساطير ينبغى كى نتقدم التخلص منها فألقوا بديننا مع الخرافات والأساطير.. قالوا لأنفسهم أننا نحن الذين نشكل مجتمعهم المتخلف ما زلنا متخلفين جدا .. لأننا لم نتثقف بثقافتهم ولم نتعلم بعلمهــم.. وأنــنا عندما نصل إلى ما وصلوا إليه من عقل وعلم وتحضر فلابد أننا ســنقتنع مثلهم أن الدين ليس إلا أساطير الأولين .. هذه الأبقار تنظر إلينا بالضبط كمــا نــنظر نحن إلى عبدة البقر.. لذلك قرروا أن يأخذونا الهوينى .. أدركوا من تجاربهم ومن تجارب أسلافهم وسادتهم أن الدين عزيز جدا فى قلوب الناس حتى لو جهل هؤلاء الناس أسرار عظمته وأهملوا فرائضه فالدين قد انتقل عندهم من مجال العقــل إلى مجال الروح فسما إلى مستوى العقيدة التى انعقدت القلوب عليها فما لها

---

١ – صحيفة الشعب: ١٦/٧/١٩٩٩.

أن تنفك .. تحول الإيمان في دفاعه عن نفسه إزاء هجمة الشيطان إلى كينونة كلية لا تكشف تفاصيلها كي تنجو من سهامهم .. كينونة لا يمكن مهاجمتها أو تدميرها إلا بتدمير الكائن البشرى ذاته .. ولقد فعلها سادتهم مع الهنود الحمر والاستراليين الأصليين وكادوا أن يفعلوها معنا لولا أن قيض الله لنا الدولة العثمانية فحمت نسلنا وأبقت على حرثنا .. اكتشف هؤلاء إذن أن موتنا أقرب إلينا وإليهم من كفرنا .. وأدركوا أن المواجهة فوق أنها مستحيلة فقد تطلق فى الناس فورة النخوة الأخيرة ليقدموهم طعاما للكلاب .. لذلك أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان .. لا يعترفون بحقيقة كفرهم إلا فيما بينهم .. أما معنا .. مع الأمة .. فقد قرروا ألا يواجهوا الإسلام مباشرة بل أن يخربوه جزءا فجزء.. لقد عجزوا عن سحقه فى قلوبنا .. فليسرقوه إذن منها .. يسرقونه بالتسلل إلى بنوده وأركانه وتدميرها فلا يبقى فى قلوبنا إلا هيكل بلا محتوى وشكل بلا مضمون .. وعندما يصلون إلى ذلك سيكون من اليسير عليهم اقتلاع بقاياه..إنهم يسوقوننا سوقا إلى إسلام آخر غير الذى نزل الأمين به على محمد صلى الله عليه وسلم .. إسلام لا نسلم أمرنا فيه إلى الله بل إليهم .. إسلام يتجرد من عقيدة الإسلام.. ولأنهم يدركون أن هذه الأمة لا تستطيع الحياة بلا دين فقد قرروا تقديم إسلام مزور إليهم .. إسلام كشف محمد جلال كشك عن تفاصيله حين أطلقوا عليه فى أضابيرهم فى مؤتمر انعقد فى رأس الكفر وخليفة بريطانيا فى محاربة الإسلام : فى الولايات المتحدة الأمريكية اسم : "الإسلام العيسوى".. إسلام بلا جهاد.. إسلام يتراجع فيه المسلمون عن عقد بيعهم لأنفسهم مع الله بأن لهم الجنة .. إسلام لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يقوم اعوجاج السلاطين بالسيف ولا حتى باللسان .. إسلام لا يتدخل فى السياسة ولا فى نظام الحكم ولا فى الاقتصاد ولا فى مكافحة الظلم.. إسلام لا رأى له فى تزوير الانتخابات ولا فى التعذيب..إسلام لا دخل له بالكفر ولا دخل له بالإسلام أيضا .. ولقد سموا هذا الإسلام الذى يخططون لنشره بالإسلام العيسوى .. إسلام يعطى الدنيا بما فيها لقيصر وكلينتون ولا مانع لديهم من تركنا نتخيل آخرة – لا يؤمنون بها– كما نشاء ما دمنا لا نحول بينهم وبين الدنيا .. إسلام منكفئ على نفسه .. قد يمنون علينا بألا يفعلوا بنا ما فعله أجدادهم بأجدادنا فى محاكم التفتيش بشرط أن نحصر إيماننا فى نطاق لا يؤثر ولا يتأثر .. إسلام كأساطير الأولين لا دور لها إلا فى تسلية السادة وإلهاء الأمة.. وقد يحسنون إلينا بألا يفعلوا بنا ما

فعلـه كمـال أتاتورك فى الإسلام والمسلمين.. لقد فعلها أتاتورك بالثورة والدم .. وبـرغم نجاحه فقد كانت المحاولة فجة ومكشوفة .. وكان المرعب فيها أن تستثير رد فعـل معاكس ينبه أمة غافلة مخدرة .. أمة تساق إلى المجزرة وهى فرحة بها نشـوانة.. نجحـت طـريقة كمـال أتاتورك إذن .. لكن مخاطرها أكبر.. فلماذا لا يحاولون معنا .. مع العرب.. أن يكرروا طريقة كمال أتاتورك لكن دون ثورة.. أن يسـتفيدوا مـن تجربة كمال أتاتورك نفسه.. أن يخمدوا الأصوات التى يحتمل أن تعـارض حـتى قـبل أن تعـارض.. أن يجـندوا ولاة الأمـر والكـتاب والمفكرين والصحفيين والجيش والشرطة وأن يجردوا الأمة من كل سلاح ..

أن يجندوا الرؤساء والملوك..

يا إلهى ..

يا إلهى..

فى العالم العربى كله لا يسمح بحرية تكوين حزب إسلامى..

فى العالم العربى جله فإن الإسلام إما محاصر وإما سجين ..

يا إلهى ..

يا إلهى ..

فـى العـالم العـربى جلـه وقـف الجيش والشرطة مع العدو ضد الأمة.. مـع الشـيطان ضـد الله.. مـع الصـليبيين والـيهود ضد محمد صلى الله عليه وسلم ..

كيف هان عليهم ..

كيف هان عليهم الدين والله والوطن ومحمد صلى الله عليه وسلم..

لماذا لم يدركوا قط أن الشيطان هو الذى يحركهم وأنهم يحاربون الله..

لماذا لم يقولوا لا .. حتى لو قالوها فاستشهدوا ..

ثم ماذا استفادوا .. ماذا كسبوا ..

معظمهم خسر الدنيا والآخرة ..

كيف لم يعتبر الجميع ..

كـيف لـم يدركـوا أنـنا نسـير فـى طـريق الشيطان وأن الله لن يبارك فى عمل يخط الشيطان حدوده ..

وحـتى هـؤلاء الأغنـياء الجـدد لـن يدركوا إلا بعد الخراب أنهم إذ كانوا يكـنزون الذهـب لـم يكـنزوه لأنفسـهم .. ففـى البورصـة والجات والنظام العـالمى الجديـد سـيرثهم الصـليبيون واليهود.. ولن يبقى لهم من الذهب إلا ما يُصب مصهوره على أجسادهم يوم القيامة نارا ..

كـيف لـم يدركـوا أنـنا وقـد تركـنا سـبيل الله لـم يبق لنا سوى سبيل الشيطان..

كيف لم يذكروا أن الله قد عهد إلينا ألا نعبد الشيطان .. فعبدناه..

كيف ..

كيف لم نتنبه ولم ندرك ..

كمال أتاتورك ..

كـيف لـم يـثر فيـنا نمـوذج كمال أتاتورك الخوف والرعب ولم يشعل فينا التحدى..

كـيف اسـتتمنا فتركـناهم فـى نشـوة انتصـارهم بـنجاح مؤامـرتهم يستنسخون الآلاف والآلاف من كمال أتاتورك ..

كمال أتاتورك ملك ..

والقارئ يفهم من أعنى ..

كمال أتاتورك رئيس ..

كمال أتاتورك أمير..

كمال أتاتورك رئيس وزارة ..

كمال أتاتورك شيخ

كمال أتاتورك رئيس تحرير ومسئول إعلام ..

كمال أتاتورك وزير وصحفى ومفكر وكاتب ..

كمـال أتـاتورك مسـئول عـن مناهج التعليم فى العالم الإسلامى وقد تعهد لسـادته أن تخـرج لهـم مـدارس المسـلمين جيلا من الخريجين يدين بالإسلام العيسـوى .. جـيل مـن الخريجيـن لا يعـرف الفـرق بين الإسلام والمسيحية

والـــيهودية ويتبـــنى أراءهـــم فـــى الإســـلام .. جـــيل يســـخر من دينه .. جيل مخـــدوع مســـتنزف الوعـــى مخـــترق الذاكرة لا يدرك أن معظم الغرب لم يكن يتـــبع المســـيحية الـــتى أنزلـــت علـــى عيســـى علـــيه الصلاة والسلام بل مسخا مشـــوها ادعـــوا زورا أنـــه ديـــن .. ولـــم يكـــن لهـــم أن يتقدموا إلا بالتخلص مـــن مســـخهم المشـــوه .. أمـــا نحن .. نحن خير أمة أخرجت للناس فلم نتخلف إلا بعد أن تركنا ديننا الصحيح ..

تعهد لهم المسئول عن مناهج التعليم بذلك..

والقارئ يفهم من أعنى ..

القـــارئ يفهـــم .. لكنـــنى أناشـــد أجهـــزة أمننا القومى أن تفهم هى الأخرى فمـــثل هـــذا الشـــخص ربمـــا هو المرشح ليكون رئيسنا القادم بل ربما تسند إليه خلافة المسلمين !!..

فأفيقى يا أمة..

أفيقى .. فكمال أتاتورك موجود بيننا يتخفى ..

أبحث عنه .. فابحثى معى..

أبحـــث عـــنه فـــى تلـــك الـــثلة النتـــنة العفنة التى تنفجر الآن بإدانة مفعمة بالاشـــمئزاز مـــن أولـــئك المتخلفيـــن الإرهابييـــن الـــذى بلـــغ من تخلفهم أنهم يرفضـــون جلـــوس المـــرأة عاريـــة تمامـــا – أمـــام الرسام ليرسمها.. !! .. وفـــى رئـــيس تحريـــر لـــم يـــتورع عـــن تحريض الدولة على إرهابيى شركة مصر للطيران الذين رفضوا المشاركة فى بيع الخمور فيها..!!

و انتـــبهى يـــا أمّـــة أنهـــم لا يذكرون كلمة الإسلام أبدا إلا بالمديح لكنهم يخـــربون كـــل أهدافـــه.. الشـــئ الوحيد الذى لا يمانعون فيه أن يدخل المسلمون إلـــى المســـاجد لـــيفعلوا ماشـــاءوا بشـــرط ألا تصل أصواتهم للخارج .. وبشرط أن يكـــون المســـجد ســـجنا لكـــل أفكـــار ديـــنهم مادامت سجون الدولة لا تتسع لهم ..

لقـــد بلـــغ الأمـــر أيهـــا القارئ أن واحدا من هذه كلاب جهنم.. يلبس عمامة ضـــخمة ويدعـــى أنـــه مجـــدد للإسلام تتبنى رؤاه صحيفة يسارية ظل أكثر من عقـــد هـــو المـــتحدث باســـم الإسلام فيها .. هذا الكاتب التنويرى كتب فى كتاب مـــن كتـــبه الـــتى لـــم تصـــادر أن محمـــدا (ولـــم يصلّ التنويرى عليه) عليه الصـــلاة والســـلام كـــان يأمـــر جنوده (لم يقل الخنزير : صحابته) العائدين من القـــتال (ولـــم يقـــل التـــنويرى: الجهـــاد أو الغزو) ألا يدخلوا يثرب (ولم يقل التـــنويرى : المديـــنة رغـــم الـــنهى النـــبوى عن تسميتها باسمها القديم) ليلا..

وأنـــه كـــان يأمـــرهم بـــأن يقضـــوا ليلـــتهم على تخوم المدينة وأن يغتسلوا قبل دخولهـم إلــى بـيوتهم.. ويفسـر التنويرى ذلك بأنه لم يكن حرصا على مشاعر زوجـات الصـحابة والمجاهديـن وإنمـا لأن محمدا (ولم يصل التنويرى عليه لا صـلى) علـيه الصـلاة والسـلام كـان يخشى أن يدخل المقاتلون (لم يقل الصـحابة أو المجاهديـن) إلـى بـيوتهم فـى الليل فجـأة فيكتشـفون خيانة زوجاتهـن فيفـت ذلـك فـى عضـدهم .. وأن الرسول الكريم عليه صلوات الله وسـلامه كـان يخشـى – بسـبب علمه بانتشار الظاهرة – أن تؤدى فى النهاية إلى عصيان عسكرى وتمرد على أوامره ..

ااه .. ..

إلى هذا المدى وصل بنا الحال يا أمة .. .. ..

حـتى أقـذر المستشـرقين وأنتـنهم وأكـثرهم كذبا لم يتورط فى مثل هذا الدنـس.. تـرفعوا عـنه ليـتركوه لكلابهم بيننا يعوون به .. ولست أعلم من أى مسـتنقع وبـئ يـأتى كلـب جهـنم بمـا يأتى به .. ولو أن هذا الكتاب صودر لانطلقـت جوقـة الكـلاب والخـنازير والذئـاب تعوى متباكية على حرية الفكر والانغلاقية التى تدفع بنا إلى التخلف..

هذا هو فكرهم المستنير أيها القراء ..

هذا هو مفهومهم للحرية..

ولقـد قلـت لكـم أن المستشـرقين أنفسـهم قـد تجنبوا مثل هذه القاذورات لا نـبلا ولا موضـوعية وإنمـا حرصـا علـى الاحـتفاظ الشـكلى بقـدر مـن الموضـوعية يدفـع الغافليـن لتصديقهم .. كانوا يفعلون مثلما يفعل اليهود حـتى الـيوم .. يقصـفون قلاعـنا من بعيد ويتجنبون الاشتباك المباشر بجمهور المسـلمين .. وعـندما يـأتى القصـف بنـتائجه التى يرجونها منه كانوا وما زالـوا – يـتركون الخطـوات الأخـيرة على عملائهم فى الداخل للقيام بالمهمة القذرة الأخيرة ...

هـذا الكـلام الـذى قالـه هذا التنويرى مدعيا الاستنارة والموضوعية ليس ولـيد أفكـاره فمـا هـو إلا بوق لأسياده .. هذا الكلام الذى لم يقل به مستشرق ورد فـى الأسـاطير الـتى كـان الصـليبيون يروجونها عن المسلمين .. يذكر كـتاب تـراث الإسـلام[1] عـن معـتقدات الغرب عنا : "انتشرت أساطير مشوهة ومهيـنة بيـن عامـة الشـعب من المسيحيين واليهود تخالطها بعض الانطباعات الصـحيحة الناشـئة عـن الاتصـالات اليومـية . ومرة ثانية ، وكما كان هدف

---

١ – تراث الإسلام . شاخت بوزورث عالم المعرفة العدد ٢٣٣.

المدافعيـــن المســـيحيين الشـــرقيين مـــثل يوحـــنا الدمشـــقي ، كان هدف العلماء فـــي الغـــرب أن ينشـــروا تحلـــيلهم للإســـلام لكي يقاوموا ما يمكن أن يكون له مـــن تأثـــير . لكـــن الحماســـة العدائية التي أظهرها أمثال أبولوجيوس والفاروس وأتـــباعهما فـــي الفـــترة القصـــيرة الممـــتدة بيـــن عـــام ٨٥٥ وعـــام ٨٥٩ م ، ومحـــاولاتهم غـــير المجديـــة لإقـــناع طـــبقة الكهـــنوت المسيحية وعامة الشعب المســـيحي (بالمقاومـــة) وتعطشـــهم للاستشـــهاد ، كل هذا حال دون بذل الجهد الفكري اللازم لمعرفة خصومهم وفهمهم"...

ولقـــد تســـللت هـــذه الأســـاطير المشوهة إلى بعض كتب التراث .. وأغلب ظـــنى أنهـــا تســـللت إلـــى صفحات كتبنا لا إلى رؤوس أئمتنا[1] .. فكتائب التبشير نشـــطة مـــنذ ألـــف عـــام .. ولقد حمى الله المصحف ولم يعصم ما خلاه .. ولقد كـــان مـــن دأب عـــبدة الشـــيطان وضع الأحاديث وتزوير الكتب ودس جملة بين ســـطور كـــتاب .. دســـوها كالـــروث .. لـــيأتى الآن مـــن بيـــن ظهرانينا أناس مـــن جلدتـــنا يـــتحدثون بألســـنتنا .. أنـــاس كالخـــنازير .. يكون أمامهم الطيب فـــلا يخـــتارون إلا الخبيـــث .. ينـــتقون هـــذه الخبائـــث متســـترين باســـم علم من أعلامنا .. وأحيانا غير مستترين على الإطلاق ..

ولقـــد كتبـــت عـــن بعـــض هـــذه الأســـاطير والروث فى بداية هذا الكتاب والتى وردت فى كتاب " محمد " تأليف كارين آرمسترونج[2] ...

حيـــث نظـــر الغـــرب إلـــى قـــدوم الإسلام على أنه الردة الكبرى التى تنذر بحلـــول الأيـــام الأخـــيرة للبشـــرية... وأن سيد البشر وخاتم النبيين محمد صلى الله علـــيه وســـلم لـــيس ســـوى " الأثيم ".. إن محمدا دجال وكاذب، نصب نفسه نبـــيا لـــيخدع العـــالم، إنـــه فاســـق يستمرئ الفسق البذىء .....، ... إن الإسلام لـــيس ديـــنا مـــنزلا بـــل بدعـــة أو صورة مشوهة من صور المسيحية...إنه دين عنـــيف يؤمـــن بالعـــنف (الإرهـــاب ؟!) ... إن المســـلمين ليســـوا سوى عبدة أصـــنام يســـجدون أمـــام ثلاثـــة آلهة... إنه العدو الأكبر للهوية الغربية الناشئة.. وهـــو رمـــز لكـــل مـــا ينـــبغى أن ننفـــيه عـــن أنفســـنا .... ولقد اتسم بأقذع ضـــروب الشـــذوذ وأغـــرى الـــناس بالانضمام إلى دينه بتشجيعهم على إرضاء غرائـــزهم الدنـــيا .. لقـــد كانـــت جمـــيع مزاعمه كاذبة، لقد كان دجالا عامدا ،

---

١ – المقصود أن الأئمة لم ينخدعوا بأباطيل المستشرقين ولم يكتبوها فى كتبهم، لكن هذه الأباطيل دُسّت بعد ذلك فى هذه الكتب، وخدع التابعون فنقلوا الكلام المدسوس دون تمحيص منسوبا إلى الأئمة كى يصدقه الناس.

٢ – مرجع سابق.

أما بعض أتباعه الذين تكشفت لهم حقيقة أفكاره السخيفة فقد التزموا الصمت بسبب أطماعهم الدنيئة، إن المارق سيرجيوس هو الذى لقنه الصورة المشوهة للمسيحية فأتى بها وسماها الإسلام ولقد انتهى نهاية تعتبر جزاء وفاقا إذ هجم عليه قطيع من الخنازير أثناء إحدى نوبات اتصاله بالجن فمزقوه إربا .."..

لقد أعلن البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥- ١٣١٤) أن وجود مسلم على الأرض المسيحية يعتبر إهانة لله" ... وفى نفس العام كتب همفرى بريدو كتابا بعنوان : محمد : طبيعة الدجل الحقيقية يقول فيه : كان الشطر الأول من حياته يتسم بالإباحية الشديدة والآثام البالغة، إذ كان يجد متعة كبيرة فى السلب والنهب وفى إهراق الدم..

وفى القرن التاسع عشر يقول شاتوبريان عن الإسلام : " عقيدة معادية للحضارة ، وهى تشجع بانتظام على انتشار الجهل والاستبداد والرق " ويقول عن القرآن " القرآن لم يتضمن مبدأ واحدا من مبادئ الحضارة ولا فرضا يسمو بأخلاق الإنسان، إنه لا يحض على كراهية الطغيان أو على حب الحرية " ..

هذه هى أفكارهم عنا ..

وهذه الأفكار هى التى يلتقطها كما تلتهم الخنازير الروث - خنازيرنا ..

هذه الخنازير هى المتكفلة الآن بإتمام مهمة الغزوة الصليبية اليهودية ولإطفاء نور الله..

هذه الخنازير هى التى أشاعت اتهام واحد من أعظم خلفائنا هارون الرشيد بالفجر والعهر وقد كان هو الخليفة الذى قسم حياته كلها: عاما للحج وعاما للجهاد.. وكان هو الخليفة الوحيد فيما أعلم الذى حج إلى الله من بغداد إلى مكة ماشيا.. فينبرى أحد السفهاء الذين تحتفل بهم صحفنا الكبرى ومحطات تليفزيوننا ليسخر قائلا أنه ربما كلف الدولة فى حجه ماشيا أكثر مما لو حج راكبا[1] ..

إننى أنظر بدهشة إليك يا أمة ..

كيف استطالت غيبوبتك إلى هذا المدى ..

---

١ - الكامل فى التاريخ - البداية والنهاية - مراجع سابقة .

أمة يقوم مترفوها بأبشع عملية لتزييف الوعى بتطوير مناهج التعليم.. حيث يأتى خبراء الغرب وصهاينته ليحذفوا من القرآن المقرر ما يشاؤون ولطمس الحق وعرض الدين للأطفال فى صورة منفرة والدعاية للغرب.. وذات يوم لقيت واحدا من رجال التعليم المشاركين فى ذلك التطوير الشيطانى.. صرخت فيه: كيف يطاوعك ضميرك؟ .. وأجاب الرجل فى استسلام : يأتون بالعشرات .. ويرصدون لهم ملايين الدولارات المحسوبة ضمن المساعدات الأمريكية.. يحصلون على ٩٠% من هذه الأموال، أما نحن، فنحصل على الباقى، على فتات، لكن هذا الفتات بالنسبة لنا كثير جدا، حصلت على عشرة آلاف جنيه، لا لكى أساهم ولا لكى أساعد، فقد جاءوا من بلادهم بالمناهج جاهزة، ما حصلت عليه أخذته لكى أصمت، ولقد صرخ ضميرى، لكننى فكرت أننى إما أن أحصل على مكافأتى وأسلم ، أو أن أرفض وأعترض فأفصل وربما أتعرض للقبض علىّ ! وبعد ذلك سينفذ مخططهم المرسوم كما يشاءون . صرخت فى الرجل : من أجل دينك هل تملك أى مستند على ذلك كى أنشره؟ .. فأجابنى أن كل التصرفات حتى المالية منها تتم دون مستندات على الإطلاق خشية أن يصل واحد منها إلى واحد مثلك..!!

لماذا يا أمة وكيف يا أمة ..

يا أمة يقوم فيها مزور تاريخ لعله سليل من قذف بالروث على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى وفى الكعبة- بإلقاء الروث على كل رمز مضىء فى حاضرنا فلما ظن أنه انتهى من تلويث الحاضر انقلب إلى تاريخنا القريب فراح يتهم مصطفى كامل بما هو منه برئ.. بالانتهازية وعدم الأمانة وبأنه لم يكن يحب مصر..!! ..

والهجوم على مصطفى كامل ليس منبت الصلة بالهجوم على الإسلام.. فقد كان رحمه الله من دعاة الدولة الإسلامية ..

أمة تتسع فيها صحيفة الأهرام لآخر وهو يأتى بما لم يأت به أحد من الشرق ولا من الغرب فيكتب فى أهرام الجمعة مدافعا عن سلوبودان ميلوسيفيتش ومنددا بقرار إحالته إلى محكمة جرائم الحرب ومقررا أن صدام حسين كان أولى ..

هذا الكاتب نفسه هو الذى ألقى الروث على رؤوسنا حينما راح يمتدح عظمة كمال أتاتورك بانى تركيا الحديثة ومخلصها من التخلف والجهل.. وهو حين فعل ذلك لم يفعله عن جهل بل فعله بعد أن سرد عنه كل ما هو

خـــروج عـــن الديـــن.. ولـــم يفعـــل ذلك خفية ولا فى مقالة عابرة بل فى كتاب مطبوع ..

وإذا كـــان الله قـــد ابـــتلى هـــذا الكاتب بحمل الروث فما حمل الأهرام على نقله إلينا ..

ويا مصر كنت الأمل فإذا بك المصاب ..

ويا أمة هناك من يجتهد فيخطئ ويصيب..

وهناك من يجتهد لكى يخطئ دائما ويتجنب الصواب أبدا ..

لقـــد أصـــاب الوبـــاء معظـــم مفكريك وكتابك يا مصر.. ولولا أن الله قيض لـــنا مـــن المفكريـــن الكـــبار خـــارجك .. بـــل وخـــارج العـــالم العـــربى كله مـــن يعـــيدون طـــرح الإســـلام بـــنوره وعظمته لنسى القوم أن الإسلام دين .. وأنه من عند الله الذى لا يقبل غيره ..

***

على عزت بيجوفيتش

فـــى كـــتابه الهـــام الإعـــلان الإســـلامى[1] تـــرجمة وتقديم الأستاذ محمد يوســـف عـــدس يـــتحدث علـــى عـــزت بيجوفيـــتش عن النخبة المثقفة الخائنة فـــيقرر أنـــه مـــن بيـــن الســـلع المشكوك فى قيمها– مما يجلبه مستغربونا معهم إلـــى أوطـــانهم – أفكـــار "ثوريـــة" مخـــتلفة وبـــرامج إصلاح ، و"مذاهب إنقاذ" موصـــوفة لعـــلاج جمـــيع المشـــكلات . فإذا تأملناها مليا نجد– لدهشتنا– نماذج لا يصـــدقها عقـــل فـــى قصـــر نظـــرها وارتجالها. ثم يضرب المثل بمصطفى كمـــال أتـــاتورك" الـــذى كـــان قـــائدا عســـكريا أكثر منه مصلحا ثقافيا ، والذى ينـــبغى وضـــع خدماتـــه لتركـــيا فـــى حجمهـــا الصـــحيح ؛ ففـــى أحد برامجه الإصـــلاحية مـــنع لـــبس الطـــربوش . . وطبعا ظهر على الفور أن تغيير غطاء الرءوس لا يعنى تغيير ما فى هذه الرءوس ولا تغيير عادات أصحابها .

لقـــد واجهـــت أمـــم كثـــيرة خارج العالم الغـــربى– على مدى قـــرن مـــن الزمـــن – مشـــكلة : كـــيف تنتســـب إلى الحضارة الغربية ، هل ترفضها كلية .. أم تخـــتار مـــنها بحـــذر . . أم نأخذهـــا كلها خيرها وشرها؟ ولقد تحددت عوامل ســـقوط كثـــير مـــن هـــذه الأمـــم أو ارتفاعها بالطريقة التى أجابت بها على هذا الســـؤال المصـــيرى . فهـــناك إصـــلاحات تعكـــس حكمة أمة ما ، وإصلاحات

---

١ – مرجع سابق .

تمثل خداع أمة لنفسها ، والمثل على ذلك قائم فى نموذجين هما: اليابان وتركيا[1] .

فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يجد المتأمل أن كلا الدولتين تقدمان صورة شبيهة جدا لدول أخرى مثيلة . فقدك كانت الدولتان تمثلان إمبراطوريتين قديمتين ، كل منها له ملامحه ومكانته التاريخية . كلاهما وجدت نفسها على نفس المستوى من التطور .. كلاهما يملك ماضيا باهرا .. وهذا يشير إلى الامتياز العظيم وإلى العبء العظيم فى نفس الوقت .. وفى كلمة واحدة كانت فرصتهما فى المستقبل – عند نقطة معينة – تكاد تكون متساوية .

ثم جاءت الإصلاحات المشهورة فى كل من الدولتين . أما اليابان – فلكى تستمر فى الحياة بطريقتها الخاصة وليس بأى طريقة أخرى – حاولت أن توحد بين تقاليدها الخاصة وبين متطلبات التقدم. بينما اتجه التقدميون دعاة الحداثة فى تركيا إلى سلوك الطريق المعاكس فتخلوا عن تقاليدهم واندفعوا فى طريق التغريب . فماذا كانت النتيجة ؟.. أصبحت اليوم تركيا من الدرجة الثالثة ، بينما اليابان ترتفع إلى القمة بين أمم العالم. ويبدو الاختلاف بين فلسفة الإصلاح اليابانى وفلسفة الإصلاح التركى أكثر وضوحا فى موقفهما المختلف من مسألة حروف الكتابة: حيث قامت تركيا بإلغاء حروف الكتابة العربية فى حين أن هذه الحروف لبساطتها ولأنها تتألف من ثمانية وعشرين حرفا فقط – تعتبر واحدة من أكمل وأرقى حروف الكتابة وأكثرها انتشارا فى العالم . أما اليابان فقد رفضت دعوة مستغربيها فى تبنى حروف الكتابة اللاتيني وأصرت على الاحتفاظ بنظام كتابتها المعقد الذى يحتوى على ٨٨٠ شكلا صينيا بالإضافة إلى٤٦ حرفا أخرى. ورغم ذلك فلا يوجد فى اليابان أمية بينما نجد تركيا بعد أربعين سنة من استخدام الحروف اللاتينية تزيد الأمية فيها على خمسين فى المائة من تعداد السكان الذين يجهلون القراءة والكتابة . وتلك نتيجة تجعل الأعمى يسترد بصره .

وليس هذا هو كل شيء ، فقد أصبح واضحا أن القضية لم تكن مجرد حروف كتابة هى مجرد وسيلة للتسجيل ، ولكن الأسباب الحقيقية وبالتالى النتائج التى ترتبت عليها كانت أكثر عمقا وأكبر خطرا . فجوهر كل

---

١ – راجع أيضا : النهضة العربية والنهضة اليابانية . د. مسعود ضاهر. عالم المعرفة .

حضـــارة أو تقـــدم إنســـانى يكمـــن فـــى الاستمرارية وليس فى التخريب والتنكر للماضـــى . إن طـــريقة الأمـــة فـــى الكـــتابة هـــى الطريقة التى تتذكر بها الأمة وتســـتمر فـــى وجودهـــا الـــتاريخى . وعندما ألغت تركيا الحروف العربية فقدت كـــل ثـــراء الماضـــى الـــذى حفظـــته الكلمـــة المكـــتوبة . وبهذا الإجراء وحده وضـــعت الأمـــة علـــى حافـــة الـــبربرية . ومـــع سلسلة أخرى من الإصلاحات المماثلـــة وجـــدت الأجـــيال التركـــية نفســـها بـــلا دعامة روحية تقوم حياتها .. وجـــدت نفســـها فـــى فـــراغ روحى بعد أن فقدت ذاكرتها الماضية .. فمن الذى استفاد بهذا الوضع ؟ .

فهـــل تســـتطيع دولـــة لا تعـــرف هويـــتها ولا تعـــرف أيـــن تمتد جذورها أن تكـــون لنفســـها صـــورة واضـــحة عـــن الموقع الذى تنتمى إليه ، والأهداف التى يجب أن تسعى لتحقيقها ؟ .

قـــد يـــبدو الـــنموذج الـــذى قدمـــه "أتـــاتورك " مفجعا ، ومع ذلك فانه يمثل الـــنمط الغـــربى لفهـــم مشـــكلات العـــالم المسلم كما يمثل الطريقة التى يفكر بها الغربيون والمستغربون لإصلاح هذه المشكلات .

***

هل كان على عزت بيجوفيتش يتحدث عن تركيا..؟

أم عنك كان يتحدث يا مصر..؟!

أم عنك جميعا يابلاد العرب والمسلمين؟!!

علـــى أنـــه يعـــترف بأنـــه لو ظل ألف عام يدعو قومه للرجوع إلى الإسلام لمـــا أفلحـــت دعوتـــه كمـــا أفلحـــت مدافـــع الصرب ومذابحهم فى إعادة مسلمى البوسنة والهرسك إلى دينهم

ســـاعتها اكتشـــفوا أن الإســـلام هويـــتهم وديـــنهم وحاميهم من عذاب الدنيا وخزى الآخرة

***

تـــرى هـــل ننـــتظر نحـــن أيضـــا أن يحـــدث لنا ما حدث ويحدث لإخوتنا فـــى البوســـنة والهرســـك وكوســـوفا حـــتى نرجع إلى كنزنا الذى أضعناه وحتى نشفى من الوباء الذى أخذناه ؟!..

الله فاعل[1] ..!!

فى نهاية الحديث كان ذلك القارئ على الهاتف يبكى وينتحب حتى ذابت مخارج حروفه فى دموعه ..

كان قد عرفنى بنفسه فهو أستاذ بجامعة الأزهر..

بدأ الحديث بيننا بفجيعته عندما قرأ لى عن تطاول كلاب جهنم على مقدساتنا وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة رضوان الله عليهم .. قال لى أن الناس لا يقرءون ما يكتب أولئك التنويريون .. لكنهم يفزعون كل حين وآخر بأصوات النادبات وهن يلطمن الخدود على كتاب صودر دون أن يعلموا لماذا صودر وأى قدر من الإسفاف يحتويه.. كان الرجل يسأل إذا كان هذا الإسفاف البذىء الكافر قد ورد فى كتاب لم يصادر فماذا كان فى الكتب التى صودرت إذن.. أخذ الرجل يصرخ : كان يمكن أن نغفر لهم لو أنهم حاولوا فأخطأوا .. لكن لماذا يحرصون كل هذا الحرص على الكذب.. على خداع الأمة وتزييف وعيها وثقب ذاكرته..

وتطرق الحديث بنا إلى جماعة كوبنهاجن..

وقلت له أننى بعد قراءتى لمقال عبد المنعم سعيد الأخير قد غيرت رأيى فيهم ..

كنت أظن فى البداية أنهم مأجورون عملاء خونة يقبضون ثمن بيعهم لأمتهم وتسليمهم لعدوهم.. وأنهم أشبه بالجواسيس والطابور الخامس.. كنت أظن ذلك.. لكننى اكتشفت أننى ظلمتهم كثيرا .. فطبيعة الجواسيس أن يفروا فور افتضاح أمرهم أو على الأقل أن ينكروا .. هؤلاء لم يفروا ولم ينكروا .. بل أخذ عبد المنعم سعيد فى مقاله الأخير يتفجر غضبا ويتمزق ألما وهو يزعم أنهم دعاة التحضر والسلام وأننا دعاة التخلف والحرب.. أن القصور لهم والقبور لنا .. أن المستقبل لهم والوجود ولنا النسيان والعدم.. أن فكرهم هو الذى أنقذ البلاد وأعاد الأرض وأن فكرنا هو الذى سيعود بالأمة إلى عصور البداوة والجهل .. كان الرجل يكتب بثقة ويقين وحرقة وألم.. وأنا ضعيف إزاء الألم أينما كان .. قلت لنفسى

---

١ – الشعب: ١٩٩٩/٧/٢٣– كما أنها ملخصة ومنقحة عن فصل ورد فى كتاب : إنى أرى الملك عاريا للمؤلف .

أنهـم ليسـوا جواسـيس ولكـنهم مرضـى ذوو فكـر شاذ..وأنهم ربما يعتقدون فـى صـواب مـا يقولـون ويفعلـون .. تمامـا كما كان رؤوف مسعد (وهو كاتـب يسـارى علمـانى مـثلهم لكنه أشد جرأة وصراحة وكشفا لحقيقة أمرهم) يعـتقد وهـو يكتـب فـى روايـته أو سيرته الذاتية يدافع عن الشذوذ الجنسى ، ويديـن اليسـاريين أصـدقاءه ويـتهمهم بالـنفاق، لأنهـم فى مجالسهم الخاصة يذهـبون إلـى مـا يذهـب إلـيه ، لكنهم للجبن وبقايا البرجوازية فيهم وافتقادهم الشجاعة مثله لا يجرءون على مواجهة المجتمع بأفكارهم تلك..

يقول رؤوف مسعد :

" إنهـا معـركة شرسـة علـيه أن يقـرر أولا أن ما يفعله ليس بذلك الأمر الخطـير أو مـا سـيفعله.. علـيه أن يجـد الهارمونى بين آرائه ومعتقداته وبين جسده .."

" بـدأ الأشـياء الصـغيرة فـى النمو اهتمام كل منهما بالحياة اليومية للآخر خلـق واحـة مشـتركة فـى بحـر الرمال هذا،ثم بداية البوح التدريجى إنه يبدأ بالـبوح الجسـدى، تلامـس الأصـابع تشابك الأيدى، اهتمام الواحد بجسد الآخر وإذا أسـعدهما الحـظ فإنهمـا لا ينكشـفان تحـت النظرات الفضولية المستريبة إذا أسـعدهما الحـظ فـبإمكانهما أن يسـكنا فى زنزانة واحدة وأن ينقلا برشيهما ليـتجاورا أثـناء الـنوم لـيقوم أحدهمـا فـى النهاية بالحركة المؤجلة ويخطئ مـن يظـن أنهـا علاقـة مشـابهة لـتلك الموجودة فى جرائم غير جرائم الرأى لـيس هـنا أى مجـال للمقارنـة إن الجسـد يـتجرد هنا من فعل ليصبح حالة ، مـن إفـراز إلـى بـوح لـيس هـنا فاعل ومفعول به بل واحد وواحد فى حالة متساوية ومتشابهة من الرغبة فى مساعدة الآخر على تخطى الحبسة .. "..

ويواصل الكاتب اليسارى الهمام..

".. التقيـت الـيوم مـع صـديقى (ص) قلـت له أننى أود أن أكتب كتابا عـن فكـرة اسـتخدام الجسـد فـى أغراض مختلفة قلت إنى أود أيضا أن أكتب عـن السـجناء الذيـن كـانوا معـى فـى الواحـات وقـبلها في سجن القناطر وفـى سـجون أخـرى عـن العلاقات التى تتم بين المسجونين وبعضهم البعض لـم تعجـبه فكـرة الحكـى فـى هـذا الموضـوع قـال إن المباحـث وغيرها مـن الجهـات المعاديـة سـوف تنـتهز الفرصـة لمـزيد مـن التشـنيع على الشـيوعيين والديموقراطييـن الذيـن يدخلـون إلـى السـجون فى بلدنا بانتظام حاولـت أن أشـرح لـه فكـرتى وهـى أن الجسد هو الشيء الوحيد الذى يبقى

للسجين بعد أن تأخذ منه إدارة السجن كل شيء أوراقه كتبه خطاباته ملابسه وحتى شعر رأسه باختصار هويته لا يبقى له من نفسه سوى عقله وجسده قلت له حتى الجسد تحاول الإدارة أخذه منه الحمامات الجماعية والمراحيض التي ليس لها أبواب جرادل الخراء فى الزنزانة المغلقة لأكثر من عشرين ساعة في اليوم باختصار سحب كل الخصوصية الخطابات تمر على الإدارة وأنت ترسلها وأنت تستقبلها إذن فمحاولة استخدام الجسد بوساطة السجين السياسي وأكدت هنا على السياسي للحفاظ على آدميته المهدرة والتمسك بمساحة من الرغبة فى الحب المتبادل فى العطاء لشخص بعينه لاحظ هنا مبدأ الاختيار المنعدم تماما فى الحياة اليومية فى السجن كل هذا يعطي السجين فرصة شديدة الخصوصية فى التعبير بجسده ومن خلاله وعن تمسكه بنفسه وبروحه هو لم يقتنع مع أنه كاتب مهم"

قلت للصديق على الهاتف: ألا تلاحظ أنه يتحدث بنفس الثقة واليقين والحرقة والألم التى يتحدث بها جماعة كوبنهاجن؟!..

وأن هذه الحرية التي يتحدثون عنها هي التى ينشدونها لنا .. وأننا في تصدينا لفكرهم الشاذ لا يجب علينا أن نهاجم بل فقط أن نكشف الأستار عن حقيقة فكرهم ومعتقداتهم.. رحت لأسرد عليه منهجا حصيفا ورد في كتاب : " علمانيون أم ملحدون" للكاتب الجاد محمد إبراهيم مبروك..[١] وهو كاتب لم تتول نشر كتبه هيئات الدولة ولا وزارات الثقافة المشغولة بنشر ما يهدم ثوابت الأمة.

في كتابه ذاك يقترح الكاتب منهجا لمواجهة فكر التنويريين والعلمانيين الشاذ والمعوج، ذلك الفكر المستورد (والأولى أن نقول المصدر من الغرب إلينا) المريض، حيث تنقسم كتابات العلمانيين إلى نوعين: كتابات فلسفية موجهة إلى مريديهم، وكتابات موجهة للناس، وأنه يجب على الإسلاميين دراسة المذاهب والفلسفات الحقيقية التى ينتمون إليها (فى قالبها الغربى الأصلى) ودحضها من الناحية الفلسفية وإظهار مدى تناقضها مع الإسلام، بعد ذلك يجب دراسة كتابات مستنيرينا العلمانيين لكشف زيفهم وعدم أصالتهم ونقلهم عن المستشرقين، بعد ذلك يجب فضح التناقض بين ما يقولونه فى كتبهم الفلسفية الموجهة لمريديهم وتلك الموجهة

١ - علمانيون أم ملحدون- حقيقة العلمانية والصراع بين الإسلاميين والعلمانيين- محمد ابراهيم مبروك- دار ثابت.

للجمهور، حيث لا يتوخون الحذر فى الأولى بعكس الأخيرة، خوفا من افتضاح أمرهم بين الناس، بعد ذلك يجب التركيز على أن العمالة الثقافية خيانة وطنية، وأن مجمل أفكارهم متناقضة مع الدين تناقضا ينقلهم من الإيمان إلى الكفر.

ثم قلت له : دعنا من ذلك الآن.. قد نتحدث عنه فى وقت آخر.. إن ما يشغلنى الآن موقف الأزهر المشلول فى أمة مشلولة..

كنت أصرخ لماذا لم يبتدع طلاب الأزهر نمطا جديدا للمقاومة عندما دنس الحاخام أزهرهم.. لقد ابتدع أطفال فلسطين بعد أن عجز الكبار- ثورة الحجارة التى أذلت الصهاينة حتى أخمدها العرب!.. لماذا لم يبتدعوا شكلا جديدا للمقاومة.. لماذا لم يذهب عشرة آلاف طالب يفترشون الأرض.. يصلون ويقرءون القرآن أمام مكتب فضيلة شيخه.. فلا يدخل الحاخام أبدا ..

هل كان يمكن لقوات الأمن أن تقتل ألفا أو أن تعتقل عشرة آلاف ..

وحتى لو فعلت لانفجرت الأمة وما دخل الحاخام ..

كنت أقول لذلك الأستاذ أن الخطأ ليس خطأ شيخ الأزهر وحده بل خطأ الأزهر وخطأ الأمة التى تراجعت عن بيعها لله..

أين راح شرفنا ونخوتنا وحرصنا على الجهاد.. إننا نريد أن نجاهد فى سبيل الله بشرط السلامة.. بشرط ألا نقتل ولا حتى نجرح .. وبشرط ألا يخصم للموظف منا يوم من راتبه..وذلك لا يمكن أن يكون جهادا فى سبيل الله بل خيانة لله..

استبد بى الغضب فهتفت فى ذلك الأستاذ بجامعة الأزهر : أين كنتم ؟ .. أين الناس ؟؟ أين الأمة ؟؟ لماذا لحقهم التشويه لماذا انتشر فيهم الوباء ؟؟ لماذا انهزموا ؟؟ لماذا لم ينج منهم أحد ؟؟.

عندها راح الرجل يبكى ..

وجاءنى سؤاله عائما فوق طوفان دموعه:

- هل يعنى ذلك أنه لا أمل ..

وقلت له أن مفردات الواقع تشى بيأس مطبق أسود لا يرى ثمة بصيص ضوء.. فإننى لا أدعى -كما يدعى السفهاء - ولا أزعم كما يزعم الأغبياء - أن جموع الأمة بخير، بل أعترف أنها -جميعها - بشرٌ، الحكام والمحكومين، النخبة والعامة، المجنسين والبدون، الصفوة والحثالة

والقضاء والجيش والشرطة والاقتصاد والصناعة والزراعة، والأزهر والحرم والأقصى، ليس ثمة عندنا ما لم يلحق به البوار..

نخرب بيوتنا بأيدينا ...

لا منهج يقودنا ..

ولا نبراس يضئ الطريق لنا..

ولو نظرنا إلى كل الفئات لوجدنا أن أكثر ما أساء ولوث بالعار كل فئة لم يكن الأعداء ولا الاخوة أو الأصدقاء، بل أبناء الفئة نفسها..

فمن أساء إلى هيبة الحكم هم الحكام أنفسهم ..

ومن أساء إلى الدين رجال الدين..

ومن أساء إلى الأزهر شيخ الأزهر ..

ومن أساء الجيش هم قياداته..

ومن أساء إلى الشرطة هم ضباطها ..

ومن أساء إلى القضاء قضاة ..

ومن أساء إلى رجال النيابة رجال نيابة ومن أساء إلى المثقفين مثقفون، وإلى الصحفيين صحفيون، وإلى الكتاب كتاب، وإلى أحزاب الأغلبية أحزاب الأغلبية وإلى أحزاب المعارضة أحزاب معارضة وإلى الأمة سكوتها عن كل هذا..

لقد افتقدنا المنهج..

لقد كانت طريقة إدارتنا لكل شئوننا تفتقد إلى منهج، لذلك كان الفشل هائلا والكوارث فادحة..

وجاءنى عبر الهاتف صوت الرجل الباكى: ما العمل؟..

قلت له أننى لا أملك تفاصيل حل بل أملك منهجا ..

لست أملك وصفة سحرية نتجرعها فى المساء فإذا بالصباح يأتى وقد انقشعت الغيوم ورحلت الهموم وانتهت الكوارث وتحولت الهزائم إلى انتصارات ..

لا أملك ذلك الحل، لكن ما لا أملكه أنا قد يملكه ٦٥ مليون مصرى وأغلب الظن يملكه ٣٠٠ مليون عربى ويقينا يملكه ١٥٠٠ مليون مسلم ..

الحل فى تبنى منهج الحضارة الإسلامية فى مواجهة قضايانا ..

المـنهج الشـامل الكـامل الـذى هـو أوسـع من أى جماعة أو حزب لأنه يستوعب الجميع ..

المـنهج الـذى نسـيناه، والـذى يثـير علـيه العلمانـيون الغـبار ويقذفوا الأوحـال.. المـنهج الـذى يعـيد إلينا الثقة بديننا.. والذى يجعل هذا الدين حتما لا مـناص مـنه.. لـيس لأن الإسـلام هـو الحل لمشاكل دنيانا.. بل لو لم يحل الإسـلام لـنا أى مشـكلة مـن مشـاكل دنـيانا وهذا افتراض غير صحيح فلـيس أمامـنا سـواه .. ولـيس لـنا اختـيار.. المنهج الذى يجعلنا نشعر بأننا الأعلون..

إن جهـد الأمـة الآن يجـب أن يكـرس لا لإصلاح شامل جذرى يستحيل حدوثـه، بـل لتحقـيق تـوازن مبـنى على قانون إلهى ربما يشبه قانون الكتلة الحـرجة فـى الفـيزياء، وهـو قانون لا يتحكم فيه الكمبيوتر ولا يجرى حساباته العقـل بـل القلـب، قـانون لا يخطـئ، ويقضى بأننا لو استطعنا أن نربى أمام كل ألف خائن مخلص واحد لانتصرنا..

قلـت لـه اسـتخلص العـبر من التاريخ منذ صفين والجمل وكربلاء حتى جماعـة كوبنهاجـن، عـن شـرفاء تدنـوا، وأطهـار تدنسـوا، وأبطال خانوا، وأتقـياء فسـقوا وأسـوياء انحـرفوا، ومجاهدين بلغ بهم الانحراف بعد أن رفعوا لـواء الـثأر لآل بيـت النـبى صلى الله عليه وسلم أن ادعوا النبوة- لماذا يفسد الكل ويتعفن؟ لماذا.. الإجابة واضحة وجلية : افتقاد المنهج ..

قلـت لـه تسـألنى عـن الحـل؟.. الحـل أراه بقلبى بعد أن كلت عينى.. ببصـيرتى بعـد أن زاغ بصـرى.. الحـل أمـل فـى الله ويقيـن بـه ورجاء أن تسبق رحمته بنا عدله فينا.. وأننا مساقون سوقا إلى منهجه وإن أبينا..

وبهـذا المـنهج أقـول لـك أيها القارئ أننا برغم كل هذا الانهيار سننهض لننتصر ..

بهـذا المـنهج أقـرر أنـنا أنا وأنت نحن الأقل لكننا الأعز، وأننا نحن الضـعفاء، المحاصـرين، المعتقليـن، المعذبيـن، الشـهداء، نحن الذين ننتصر فـى الـنهاية دائمـا رغـم كـل عناء، وأن التاريخ يلقى بالآخرين فى مز ابله، وأن الله يفصل بيننا يوم القيامة..

إن المسـتقبل غـير كـل تصـوراتنا له ، والإعجاز الإلهى فى الخليقة يأبى إلا أن يكون معجزا ..

إن منهج الحضارة الغربية يعتمد على المادى المجرب المحسوس، فهو أشبه بجسد بلا روح، أما جوهر الحضارة الإسلامية فإنه يعتمد على كل ذلك مضيفا إليه قوة ودعما لا نهائيا هو قوة الروح، وهنا إذن يكمن جوهر نملكه لا يمكن أن يتمتع أعداؤنا بمثله، جوهر الإيمان بأن وعد الله حق، جوهر الإيمان، لا بالله فقط، بل بنواميس الله التى خلقها والتى تحتم دائما وأبدا انتصار الحق واندحار الشر مهما بعد المدى ومن هذا المنظور وبهذا المنهج يجب علينا أن نقرأ التاريخ وأن نتأمل عبرته، إن خيانة الحكام والنخبة ليست بحادث طارئ، فعبر التاريخ كله كان حكامنا يخونون قضية أمتهم، تاريخ الحكام هو تاريخ الخيانة والبطش والجبروت والتزوير والكذب، إننا نقع فى خطأ تفسير المستشرقين بما يكتنفه من نوايا السوء، حين نطالع تاريخ الحكام مفترضين أنه تاريخ الحقيقة، وليس إلا سلسلة من الأكاذيب لإخفاء الحقيقة، كان الحكام يخونون، لكن الناس كانوا فى نفس الوقت يصوغون حضارة شاملة ورائعة فى كافة فروع العلم والدين والأدب والمعرفة والحرب، تلك الحضارة هى التى بقيت لنا وللعالم، أما الحكام فقد ذهبوا فى مزابل التاريخ . انظروا فى تاريخ البشرية منذ آدم، وتعلموا أنه يتوجب علينا ألا نرفض الشر، لأن الله هو الذى خلقه ليبلونا به، ليمتحننا، علينا إذن أن ندرك الحقيقة المعجزة فى بساطتها، فى بهائها، فى سطوعها الذى يعمى الأبصار عن رؤيتها، أن الله فاعل فى هذا الكون، لا تتجاهلوا أهم عنصر فى أى صراع فى هذه الدنيا، أن الله فاعل. . المادى المجرب المحسوس موجود وعلينا أن نتلمس به الأسباب لكن الله فاعل . . حسابات الحاسبات الضخمة موجودة ويجب أن تحترم ولكن الله فاعل. الله فاعل فى هذا الكون، إن المؤمن ليس مطالبا بالقوة كلها بل بما يستطيع منها، وأنه حين يتجرد ويخلص، فثمة قانون أشبه بقانون الفيزياء الذى يتحكم بالكتلة الحرجة التى يتحقق بعدها الانفجار النووى، لقد طبق القانون الذى يقضى بأنه حينما يكتمل قدر معين من التجرد والإخلاص، يأتى نصر الله الموعود ليقلب كل موازين القوى. انظروا إلى بدر، انظروا إلى غزوة الخندق، انظروا إلى الحروب الصليبية، انظروا إلى الحرب العالمية فى حطين حين خرج صلاح الدين من مصر بجيش قوامه اثنا عشر ألفا ليواجه مئات الآلاف من جيوش الصليبيين، ولينتصر، بالقانون الإلهى الذى لا ندرك كنهه، انظروا إلى ما حدث أيامها عندما جند

ملــك الألمـــان جيشـــا جـــرارا مـــن ثلاثمائـــة ألـــف مقاتل لينجد به الصليبيين وليقضــى علــى المشــكلة مــن جذورهـــا باحـــتلال مكة والمدينة، وبدأ الجيش الجــرار زحفــه، تخــيلوا لــو أن هذا الجيش وصل إلى ساحة الحرب ماذا كان يمكــن أن تكــون النتــيجة؟..كــيف كــان يمكن أن يكون تأثيره على الجغرافيا والــتاريخ ؟ هــل تعــرفون مــاذا حدث لهذا الجيش؟ حدث أن الله فاعل، أن الله غالــب علــى أمــره، لقــد نشبت الصراعات بين الجيش واستحر القتل، ثم غرق الإمــبراطور وهــو يســتحم فــى تــرعة صــغيرة فخلفه ابنه، ثم فشت الأوبئة فمـــات الابـــن أيضـــا، فهــل تعلمــون كــم وصل من الجيش الجرار إلى ساحة الحــرب فـــى فلســطين؟ ألـــف ألـــف فقـــط منهكيـــن متعبيـــن مهزومين، الله فـــاعل، الله فـــاعل، انظـــروا إلـــى صراع الخير والشر منذ آدم، لو اتبعنا قواعد التفكــير العلمــى بمــنطق أهــل الأرض ، بالمـــادى المجرب المحسوس وبأدق وأضــخم الحاســبات، لانــتهى الخــير بالهــزيمة الماحقـــة بعــد بضع عشرات أومــئات مـــن الســنين مـــن بداية البشرية، لكن الله فاعل، ألق البذرة فى الأرض كــيفما شــئت لكــنها ســتنبت فــى اتجـــاه الشمس، اقلبها، سيستدير الساق نحو الشــمس، الله فـــاعل.. انظـــروا إلـــى تلك النسبة المعجزة فى الإنسان والحيوان والنــبات بيــن الذكــور والإنـــاث وملاءمـــة ذلك لكل جنس منها، وانظروا إلى زيـــادة نســـبة المواليـــد الذكـــور بعـــد الحـــروب الكـــبرى حيـــن يهلـــك كثير مـــن الـــرجال، الله فـــاعل، وثمـــة قوة لا ندريها ولا ندرك كنهها لكننا نؤمن بها هـــى الـــتى تحـــدد الـــنهايات والمصـــائر، الله فاعل، لكن خطيئتنا الكبرى أننا - خاصـــة بمفهـــوم الحضــــارة الغربـــية - نعطـــى العقل أكثر مما يستحق، وليس العقـــل إلا بعضـــا مـــن الإنســـان قدراتــــه محـــدودة ومحكومـــة بوسائل الجسد فـــى تحصـــيل المعــــارف، لقـــد خلقنا الله ثم أعطانا من العقل ما نحتاج فعلا إليه، مـــا نـــدرك بـــه النســـبى لا المطلق، الناقص لا الكامل، والعقل يشبه حقيبة جراح تحـــوى مـــن الآلات مـــا يمكـــنه من إجراء عمليات محددة، لا يمكنه أداء سواها، وعـــدم اســـتعماله فـــيما خلـــق مـــن أجله حماقة واستعماله فيما لم يخلق من أجله جـــنون، تمامـــا كمـــا أن الله قـــد خلـــق لـــنا قدمين نسير عليهما، فإن من يتوقف عـــن اســـتعمالهما أحمـــق ســـتدفع حماقـــته بقدميه إلى الضمور، أما من يحاول اســـتعمالهما للســـير بهمـــا علـــى السحاب فهو مجنون ثم أنه لا محالة هالك، الله فـــاعل، والعقـــل البشـــرى محـــدود، فإذا كنا نؤمن بكل ذلك فلماذا نستبدل المنهج الأرضـــى بالمـــنهج الإلهـــى ؟.. وكـــيف بعد ذلك ننتظـــر الفـــلاح والنجاح ؟..

الله فاعل ، انظروا إلى صراع الخير والشر من الأزل إلى الأبد، لقد كان المدافعون عن الخير دائما هم الأقلون، هم المستضعفون فى الأرض، كان عددهم فى كل بقعة من بقاع الأرض لا يتجاوز العشرات إزاء الآلاف، أو الآلاف إزاء الملايين، لكنهم هم الذين انتصروا دائما، لو أخضعتم التاريخ لمقاييس العقل الأرضى لما بقى فى الأرض خير، واحد فى الألف هم الذين رفعوا الراية دائما عبر التاريخ وسلموها من جيل إلى جيل، واحد فى الألف أظهر الله دائما إلى أيديهم وقلوبهم نوره، واحد فى الألف هم الذين أصروا دائما على ألا يستسلموا، ولقد كان الحكام دائما فى الجانب الآخر، عدا استثناءات نادرة سجلها التاريخ واحتفى بها أيما احتفاء، واحد فى الألف، هم الذين أدركوا أنهم جند الله فى الأرض وأنهم هم الوارثون، ليست خيانة الحكام والنخبة اكتشافا جديدا، ومع ذلك، هم الذين يذهبون ملعونين - فى أغلب الأحوال - حتى نهاية الزمان ونحن الذين نبقى، نحن المستضعفين، ولست أدعى أننا كنا على الحق دائما، لكننا حاولنا طول الوقت فكنا الخطائين التوابين، نحن الذين بقينا، نحن الذين ذبحنا وقتلنا وعذبنا وحرّقنا وصلبنا وسجنا وهزمنا وتقولت علينا الأقاويل وزيف ضدنا التاريخ، هم ذهبوا ونحن بقينا، لأنهم أطفأوا نور الله فيهم فلم يبق فيهم إلا الوجود الحيوانى الذى لا يترك خلفه بعد الموت إلا نتن الجيف، نحن، نحن المستضعفين منّ الله علينا فأدركنا أننا حملة راية نور تنتقل من جيل إلى جيل، أدركنا أننا نحملها كأمانة تعهدنا بها قبل أن نولد بملايين السنين لنوصلها إلى بعد أن نموت بملايين السنين، كى نقف أمام الله يوم الحساب يباهى بنا نبينا عليه الصلاة والسلام الأمم، نقف منتصرين خالدين لا نموت، ليس يضيرنا إذن أن يسقط منا فرد أو مليون فرد، فنحن نحارب من أجل قضية خلق ووجود وكون لا يحده زمن ولا وطن ولا جيل ولا فرد، قضيتنا مستمرة استمرار الوجود، ولأننا واثقون أن رايتنا هى التى تصل، فلا محل عندنا لليأس ولا انتظار للنصر، لأننا منتصرون ونحن محاصرون، منتصرون ونحن نقصف بالصواريخ أو نعدم بالرصاص، منتصرون معلقين على المشانق، منتصرون مصلوبين، منتصرون لحظة اتخاذ الموقف لا لحظة النتيجة الأرضية، منتصرون حين انتصرنا فى الجهاد الأكبر على نفوسنا فتوقفت ذواتنا عن التضخم، توقف كل واحد منا عن اعتبار نفسه مركز الكون وأن موته هو نهاية الدنيا، توقفنا عن

انتظار جنى ثمار جهادنا فى حياتنا، نحن نحارب اليوم كى ننتصر بعد ألف عام، تماما كما حارب الحسين كى ينفى الشرعية عمن اغتصب الحكم رغما عن المسلمين، ولو أنه استسلم لحل لكل غاصب غصبيته، قولوا لى من انتصر، يزيد أم الحسين، انظروا، لتدركوا أن جهادنا نحن هو الذى يبقى فى قلوب الناس وأن كلامهم زبد يذهب فى الأرض جفاء. نحن خسرنا الدنيا فلا نطيق أن نفقد من الآخرة شيئا وهم فقدوا الآخرة فلا يطيقون أن يخسروا من الدنيا شيئا، وما خسرنا الدنيا لقلة حيلة لكننا أدركنا أنها لهو ومتاع الغرور، أنها جيفة، ولولا هوانها إلى الله ما رزق فيها كافر بشربة ماء، لذلك استعصت قلوبنا عليها، لا لزهدنا، بل لطمعنا فيما هو خير وأبقى. فإذا كانت الدنيا جيفة فما موقع التاريخ الكذوب من الجيفة وما قدر حكام خانوا فيها. انظروا إلى سر الإعجاز الإلهى فى خلقه .. إن الواحد فى الألف هو الذى يحدد مسار التاريخ، وهو برغم الأغلبية الكاسحة يتطور باستمرار إلى أمام، إنهم دائما يعرقلون التطور، يؤخرونه، لكن مشيئة الله هى التى تنفذ على أيدينا فى النهاية، هذا الواحد فى الألف لم يخبرنا به حساب ولا تجربة ولا جهاز كمبيوتر بل أنبأنا به الله حين أخبرنا أنه يأمر آدم يوم القيامة أن يأتيه بحصاد جهنم فيأتيه من كل ألف بتسعمائة وتسعة وتسعين، الواحد فى الألف إذن هى الكتلة الحرجة التى يحدث بعدها الانتصار، فهل نعجز كأمة أن نربى من كل ألف واحدا وأن يثبت هذا الواحد وهو على يقين من نصر الله..

إننا الآن فى الزمن الذى أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم، الزمن الذى يخرج فيه الناس من دين الله أفواجا، زمن العولمة، فهل تعجزين يا أمة الإسلام أن تعطى من كل ألف واحدا فقط ؟ أجل، فليثبت منا من كل ألف واحد، وسيكون لنا النصر

أرأيت أيها القارئ كيف يمكن أن يغير المنهج من نظرتنا للأمر، لسنا مطالبين إذن بالمستحيل، ولا مطالبين بما قد يؤدى إلى مجازر الشعوب والحروب الأهلية، مطالبون فقط بما نقدر ونستطيع، فليكن فى الحاشية والجيش والشرطة والقضاة والنيابة والمجتمع كله صالح واحد بين ألف طالح، وسينتصر الواحد الصالح لكن هذا الصالح عليه ألا يخشى إلا الله، أن يعبد الله حقا ويعرفه حقا ويجاهد فى سبيله حقا.. إن الآخرين يعرفون

عن قوانا الكامنة أكثر بكثير مما نعرف، لكن الجهل والخيانة يحاصرانا، وعلى سبيل المثال فما أكثر ما كتب عن كتاب صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمى، ما أكثر ما كتب عنه، لقد قدمه البعض للقارئ كما لو كان كتابا لا يأتيه باطل، ومع ذلك لم يذكر أحد أن رأي المؤلف : " صمويل هنتنجتون " فينا أفضل من رأينا فى أنفسنا، يقول الكاتب : " طالما أن الإسلام يظل - وسيظل - كما هو الإسلام، والغرب يظل - وهذا غير مؤكد - كما هو الغرب، فإن الصراع الكبير بين الحضارتين الكبيرتين وأساليب كل منهما فى الحياة سوف يستمر "..

أجل .. مهما كانت كثافة الظلام فى الحاضر، ومهما كانت حسابات العقل متشائمة، فإنه لا ينبغى أن نيأس من المستقبل فثمة وجه آخر للأمر علينا ألا نغفله، ذلك أن التطور البشرى كله مبنى على اكتشاف خطأ ما ظنناه حقائق راسخة لا يتطرق الشك إليها، إن حساباتهم الآن أننا نحتضر .. حسابات صبيان زويمر وتلاميذ دنلوب وجنود كرومر وجماعة كوبنهاجن أيضا تقول ذلك..

فهل نستيئس ؟!..

لا .. لا يحق لنا نحن مهما صادفنا من إحباط أو نكران أو فشل أن نيأس، فنحن لا نجاهد من أجل قضية شخصية ولا من أجل مجد أرضى، قضيتنا هى إعلاء كلمة الله، وهى قضية محسومة، نحن على الحق، من يسقط منا فاز، ومن يستمر يفوز والقضية فى كل الأحوال مستمرة. حتى الأخطاء والهزائم، يوظفها الله لنا كى تكون جنودا لنا، وانظروا فى عصرنا الحديث إلى تصرفات بعض دولنا، لقد كان تصرفها ضد مصلحة الأمة كى تثور فى الضمائر الآن تساؤلات عن شرعية وجودها، هذه التساؤلات المثارة اليوم سوف تنفجر غدا، وسوف تغير الجغرافيا والتاريخ، انظروا مثلا إلى الأزهر عندما نسى دوره ليدعم السلطان، عندما راح يقارن كامب ديفيد بالحديبية، لقد انصرفت الأمة عنه، عزلته كى توقف تأثيره الضار على وجدانها، وحل محل الأزهر خطباء

مساجد نصف ما يقولونه من أحاديث هى أحاديث موضوعة، وبرغم ذلك فبجهل الجهلاء لا بعلم العلماء احتفظت الأمة بتوجهها الصحيح، تماما كما يحافظ الصدأ على تماسك هيكل معدنى ضخم لو أزلت منه الصدأ لانهار، فانظروا فيوض الكرم حين ينصرنا بضعفنا ويحفظ عقلنا بجهلنا، انظروا أيضا إلى البوسنة، لقد كانت محاولة استئصال شأفة الإسلام هى نفسها الطريق إلى انبثاق أول دولة إسلامية فى أوروبا الحديثة. اقرؤوا كتاب : الإسلام يتحدى لوحيد الدين خان ، اقرؤوه لتدركوا أن الله سوف يسبب لكم الأسباب .. انظروا وأيقنوا إذن بالنصر، واعلموا أن مأساة البشرية ليست فى الموت بل فى الخلد، وما الموت سوى عرض عابر، لقد كنا أحياء قبل أن نولد، وسنحيا بعد أن نموت ثم نبعث ثم لا نموت أبدا، وإننا عندما نبدأ الطريق ندرك أن اخوة وأبناء لنا سوف يكملون ما بدأنا، ما لراية ترفع مشيئة الله أن تسقط فأبدا لا تستيئسوا، بعون الله سوف ننجح، سنوقف التعذيب وسنمنع التزوير وسنقضى على الفساد وسنوحد الأمة وسنحارب إسرائيل كافة كما أمرنا الله - لا لكى نعيدها إلى حدود ٦٧ بل حتى نزيلها من الوجود- ..

لو أن إنسانا شريفا وعدك وعدا فإن وعد الحر دين عليه ولو أن جلالة ملك أو فخامة رئيس أو سمو أمير أو معالى شيخ وعد وعدا فإن وعده أمر.. أما إذا وعدنا الله نفسه فإن وعده قضاء لا رد له ومجرد الشك فى حدوثه معصية نبرأ إليه منها

لقد فشلت الدول، وفشلت الأحزاب وفشلت التجمعات لكننا نحن كأفراد سننجح ..

نحن شتلات الزمن الآتى، نحن الذين سنحافظ بإذن الله على اليقين فى قلوبنا كى نمنحه لمن يأتى بعدنا ، نحن جيش الله، وعلى كل فرد منا أن يدرك أنه يحارب وحده وأنه جيش وحده وأن وعد الله حق ونصره قريب ..

علينا أن نحافظ على أنفسنا، على مبادئنا وقيمنا وأفكارنا كى لا يصيبنا البوار والعفن الذى أصاب الذين من حولنا ..

علينا أن نناضل ونكافح وأن نستعد للاستشهاد فى كل لحظة، فما أقل عددنا وما أكثر أعداءنا ..

علينا أن نفعل كل ذلك بحب وبثقة ويقين فنحن جنود، أوصانا قائدنا بمهمة، وعلينا القيام بها، حتى لو متنا فى الطريق، فالقائد يعلم، وقد كان قادرا على أن ينفذ مهمته بقدرته دون تكليف لنا، لكن التكليف امتحان لنا، ليس من حقنا نحن الجنود أن نسأل القائد لماذا يفعل ما يفعل، فكوننا لا نقرأ إلا صفحة من كتاب الوجود ثم نذهب يحتم علينا بعدم اكتمال المعرفة ألا نسأل أو نعجب أو نعترض، ثم أنه سبحانه ما ضنّ علينا بوعد النصر، إن الإيمان الأكمل كان يقتضى منا أن ننفذ ما كلفنا به حتى دون وعد، لكنه سبحانه رحم الضعفاء فينا، نحن لا نصل إلى الغايات بل نتبع الوسائل، وفى وسائلنا ينبغى أن نكون دائما كما أمرنا، ولا عذر لنا، تحت أى ظرف من الظروف، فى أن نتخلى عن نبلنا وشرفنا، ولا أن ننسى أبدا أننا خير أمة أخرجت للناس..

كل نفس ذائقة الموت[1] ..

اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ..

هل تتقين يا أمة يوما ترجعين فيه إلى الله ..

لقد كانت تلك الآية هى آخر آية أنزلت فى القرآن .. قبض الرسول صلى الله عليه وسلم بعدها بأيام ..

فهل تتقين يا أمة ..

أريحى قلبى وصارحينى ..

هل تتقون يا حكامنا ..

يا ملوكنا ورؤساؤنا ووزراؤنا وأمراؤنا ..

هل تتقون يا قادة جيوشنا ويا كتابنا ويا رؤساء تحرير صحفنا ..

هل تتقون يا رجال أمننا .. يا ضباط مباحث أمن دولتنا ..

هل تتقون ..

بل هل تؤمنون حقا ..

ناشدتكم الله أن تجيبونى..

فإن لم تجيبونى فأسروا بها إلى نفوسكم ..

هل تتقون يوما ترجعون فيه إلى الله..

بل هل ما زلتم تؤمنون بذلك اليوم..

هل تعرفون أنكم ميتون؟!..

وأن ما منكم إلا واردها ..

وهل يبلغ يقينكم بها معشار يقينكم بأصنام عبدتموها من دون الله ..

قيل لأم هارون العابدة الدمشقية :

---

١ – الشعب: ١٩٩٩/٧/٣٠ .

أتحبين الموت ؟..

قالت : لا...

قيل : ولم ؟..

قالت : لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته ؟

فكيف تفكرين يا أمّة فى لقاء ربك ؟..

أم تشكّين فى البعث ، وترين أن الموت ربما يكون عدما تاما ، فلا بعث للخلق بعد الموت ..

لقد كان من آخر ما نطق به الرسول عليه صلوات الله وسلامه قبل موته:

أخرجوا المشركين من جزيرة العرب..

هل الأمريكيون مؤمنون؟..

وماذا تفعل تلك القواعد الأمريكية هناك فى رحاب حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم..

.قال الشيخ صفى الرحمن المباركفورى فى (الرحيق المختوم[1]) لما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صلى الله " وسلم ، وتتضح بعباراته وأفعاله. فاعتكف فى رمضان من السنة العاشرة عشرين يوما، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب ، وتدارسه جبريل القران مرتين. وقال فى حجة الوداع : إنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا.. وفى أوائل صفر من السنة الحادية عشرة خرج صلى الله عليه وسلم إلى أحد.. لف على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى المنبر، فقال : (إنى فرطكم ، وإنى شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإنى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ، ولكنى أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها).. وعرض صلى الله عليه وسلم نفسه للقصاص قائلا : من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليتسقد، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضى فليستقد منه .. ثم قال : (إن عبدا خيره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده) .

---

١ - الرحيق المختوم. مرجع سابق .

قال أبو سعيد الخدرى : فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا له..

تنافسنا بعدك يا رسول الله ..

خلقنا الله شعوبا لنتعارف لا لنتعارك لكننا تعاركنا ..

بل وأشرك الكثيرون منا ..

فهل تؤمنين حقا يا أمة ..

هل تؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره؟..

هل ما زلت تؤمنين بأن الله أقوى من كلينتون وجور وبوش؟!..

وبأن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ما زالت أجدر بالاتباع من وصايا النظام العالمى الجديد..

منذ زمان طويل لم تعودى ترين الله يا أمة .. فهل ما زلت تؤمنين أنه يراك ؟!..

أريحى قلبى يا أمة شرار الناس فيها في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.. أريحى قلبى فأجيبى: كيف يمكن أن تؤمنى بالبعث ثم تعزلين الحياة الدنيا عن الآخرة..

أم أن ما أنزل به خاتم النبيين ليس إلا أساطير الأولين..

هل تؤمنين يا أمة بالصور..

ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض

حين ينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول:

لمن الملك اليوم

لمن الملك اليوم

لمن الملك اليوم

ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول:

لله الواحد القهار

هل ما زلت تؤمنين يا أمة بأنه : فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة

هل تؤمنين بأنه : ثم ينفخ أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: أيها الناس هلموا إلى ربكم { وقفوهم إنهم مسؤولون } : {ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذ أنتم تخرجون }.

هل تؤمنين يا أمة أنه فى ذلك اليوم ذى الأياويم يقال : أخرجوا بعث النار، فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون..

هل تؤمنين بالبعث حقا يا أمة ؟!..

حين يتجلى الله علينا ..

وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون..

ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون..

فهل تؤمنين يا أمة بلغها رسولها الأمانة وأدى الرسالة..

رسول خُيِّرَ بين أن يكون رسولا ملكا أم رسولا عبدا فاختار العبودية للربوبية.. رسول تذكر فى سكرات الموت أن عنده سبعة دنانير، فراح يأمرهم بالصدقة بها، ثم يغمى عليه ، فينشغلون بوجعه ، فدعا بها، فوضعها فى كفه وقال :

"ما ظن محمد بربه لو لقى الله وعنده هذه "..!!

ثم تصدق بها كلها.

يا خلفاء محمد والأمناء على دينه ما بالكم بسبعة ملايين.. بسبعمائة مليون.. بسبعمائة مليار .. بثمانمائة مليار نهبتموها من أمتكم يا كلاب النار يا حطب جهنم وأودعتموها عند أعداء الله يستقوون بها علينا ..

فى سكرات الموت ثقلت عليه سبعة دنانير وأنتم فى غمرات الحياة لا تأبهون لا بالمليارات ولا بأمتكم..

كيف نسيت تاريخ نبيك يا أمة..

كيف نسيتم فحوى ورمز ما قالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها..ففى سكرات الموت ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أصلى الناس ؟ فقالت : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . فقال : ضعوا لى ماء فى المخضب (وهو إجانة تغسل فيها الثياب) . ففعلوا ، فاغتسل ،

ثـم ذهـب ليـنوء (يـنهض) فـأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ فقـالوا: لا، هـم ينـتظرونك يـا رسول الله . قالت : والناس عكوف فى المسجد يـنتظرون رسـول الله لصـلاة العشـاء فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـى أبـى بكـر أن يصـلى بالـناس .. حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف ، فكشـف النـبى صـلى الله علـيه وسـلم ستر الحجرة ينظر إليهم وهو قائم كأن وجهـه ورقـة مصـحف ثـم تبسم يضحك فهَـمُّوا أن يفتتنوا من الفرح برؤيته فـنكص أبـو بكـر علىعقبـيه ليصـل الصـف وظن أن النبى صلى الله عليه وسـلم خـارج إلـى الصـلاة، فأشـار إلينا النبى صلى الله عليه وسلم أن أتموا صـلاتكم وأرخـى السـتر ودخـل فجعل يدخل يده فى إناء به ماء فيمسح بها وجهـه ويقـول لا إلـه إلا الله إن للمـوت لسـكرات ثـم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده صلى الله مليه وسلم ..

هكـذا كـان اهـتمام رسـولنا صـلى الله علـيه وسلم بالصلاة عماد الدين وهو فى سكرات الموت..

أحـد علوجـنا صـرخ عـندما نـودى للصلاة فى مجلس شعب أو أمة .. صـرخ يمـنع الصـلاة.. صـرخ الأتاتوركى المصرى يقول أن العمل صلاة.. وأن اجـتماع المجلـس صـلاة.. اجـتماع المجلـس بمـن فـيه من المزورين اللصـوص تجـار المخـدرات صـلاة.. وصـرخ الأتـاتوركى يقـول لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين فكيف خضعت إن كنت تؤمنين يا أمة ؟!..

عـندما قـبض الرسـول افتتـن الناس قائلين: لم يمت رسول الله صلى الله علـيه وسـلم، مـنهم عمـر، وخـرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر فكشـفه الصـديق ..تصـف أم المؤمنيـن عائشة ما حدث.. إذ لما قبض رسول الله صـلى الله علـيه وسـلم جعـل الناس يقولون: لم يمت النبي صلى الله عليه وسـلم إنمـا هـو بعـض مـا كان يأخذه عند الوحي. فجاء أبو بكر فكشف عن وجهـه وقـبل بيـن عينـيه وقـال: أنـت أكرم على الله من أن يميتك مرتين. قـد والله مـات رسـول الله صـلى الله علـيه وسـلم وعمـر في ناحية المسجد يقـول: والله مـا مـات رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يقطع أيـدي أنـاس مـن المنافقيـن كثـير وأرجلهم. فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال : مـن كـان يعـبد الله فـإن الله حـي لـم يمت، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قـد مـات " ومـا محمـد إلا رسـول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبـتم علـى أعقـابكم ومـن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشـاكرين ". قـال عمـر: "فلكأنـي لم أقرأها إلا يومئذ". ورجع عن مقالته التي قالها ..

لماذا انقلبت على أعقابك يا أمة ..

لماذا عبدت طواغيت الأرض ..

لماذا استسلمت لهم ..؟

هل نسيت أم أنسيت ..؟

هل ضللت أم أضللت ؟..

"كل نفس ذائقة الموت" يا أمة..

"إنك ميت وإنهم ميتون" يا أمة..

وخرج الناس يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم يتلونها في سكك المدينة، كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم.

فلماذا لا تتلينها الآن يا أمة؟!..

لماذا نسيت واستسلمت لطغاتك ..

لماذا تركتيهم يشوهون تاريخك الوضئ المضيء الباهر..

لماذا نسيت آخر ما كتبه الصديق رضى الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب إنى أستخلف بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا وأطيعوا فإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى إياكم خيرا، فإن عدل فذلك الظن به ، وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردت ، ولا علم لى بالغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وفى سكرات الموت دخلوا على أبى بكر ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلى . فقالوا ؟ ما قال لك ؟ قال : قال إنى فعال لما أريد . ثم سأل أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين . قال : فان مت من ليلتى فلا تنتظروا بى لغد فان أحب الأيام والليالى إلى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

كان صديقا لله وللرسول لا للغرب والشيطان ..

لماذا لم تتأملى يا أمة فى وصية أبى بكر رضى الله عنه - أنه حتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مرهونا بعمله ..

لمـــاذا تركــت حكـــامك وطغـــاتك وجلاديــك وملوكك ورؤساءك يرزحون على صدرك يخنقون دينك دون أى برنامج يعدون حتى به ولا ينفذوه..

لمـــاذا لــم يذهــب شــيوخنا وفقهاؤنا ومفكرونا وزعماء التنوير فينا ليقولوا لأى حاكم ما قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما وهو فى سكرات الموت:

اتــق الله يــا عمــر ، واعلــم أن لله عمــلا بالنهار، لا يقبله بالليل ، وعملا بالليـل لا يقـبله بالـنهار، وأنـه لا يقـبل نافلة حتى تؤدى فريضة، وإنما ثقلت موازيـن مـن ثقلـت موازيـنه يـوم القـيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله علـيهم ، وحـق لمـيزان لا يكـون فـيه إلا الحـق أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازيـن مـن خفـت موازيـنه باتـباعهم الـباطل ، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفا.

فلماذا خفت موازينك يا أمة ؟..

لمـــاذا لــم تواجهــى شــيوخك الذيــن ضــلوا وأضــلوا بهدى الحاخامات لا بهــدى الله .. لمــاذا لــم تذكــريهم بذلــك الذى ذهب إلى ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يعالج سكرات الموت يقول :

أبشــر يــا أمــير المؤمنيــن ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة .

فيرد عليه أمير المؤمنين :

وددت أن ذلك كفاف لا علىّ ولا لى .

قــال عــثمان بــن عفــان : أنـــا آخــركم عهدا بعمر، دخلت عليه ورأسه فــى حجــر ابــنه عــبد الله ، فقال له : ضع خدى بالأرض . قال عبد الله : فهل فخــذى والأرض إلا ســواء؟ قــال عمــر : ضــع خــدى بــالأرض عسى الله أن يــنظر إلــى فيرحمــنى. قــال عــثمان : وســمعته يقول : ويلى وويل أمى إن لم تغفر لى حتى فاضت نفسه .

عمر..

عمــر رضـــى الله عـــنه ينشــد رحمة وغفرانا من الله لم ينشدها من ملوكنا ملك ولا من رؤسائنا رئيس ولا من أمرائنا أمير..

لمــاذا لــم تذكــرى – يــا أمــة – فقهاء قانونك ووضاع دستورك وقضاتك العســكريون– وللأســى غــير العســكريين أيضـــا– بأن احتمال خطر قد يلحق بحــاكم لا يســوغ تــرويع الرعــية وقتلهم أو اعتقالهم وحبسهم وترويعهم.. لماذا لــم تذكــريهم بمـــا حــدث عــندما اشتد الحصار على الخليفة ذى النورين أمير

المؤمنين حاكم نصف العالم المعمور عثمان بن عفان رضى الله عنه فتوجه إليه على بن أبى معتما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه أمامه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار، ولم يستطيعوا الدخول حتى حملوا على الثوار وفرقوهم .

ثم دخلوا على عثمان فقال له علىّ رضى الله عنه :

– السلام عليك يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر وإنى – والله لا أرى القوم إلا قاتلوك ، فمرنا فلنقاتل .

فقال عثمان :

– أنشد الله رجلا رأى الله حقا، وأقر أن لى عليه حقا أن يريق فى سبيلى ملء محجمة من دم ،أويهريق دمه فىّ .

فليَنْحَنِ التاريخ إكبارا ولتتنحوا يا حطب جهنم..

فلينحن التاريخ إجلالا ولتخسئوا يا من اتهمتم ماضينا وشوهتم تاريخنا ولوثتم حاضرنا ..

فلينحن التاريخ إكبارا يا صغار..

خليفة الأرض محاصر وأعوانه وأتباعه وأصحابه قادرون على القتال لفك الحصار عنه لكنه يأمرهم ويناشدهم الله ألا يريق ملء جفنة من دم .. تساوت أمامه دماء المسلمين ..فهو يرفض أن يكون الدم المهراق دم عدو أو صديق ..

اشهد يا ذا النورين واشهد ياعلى.. واشهد يا محمد صلى الله عليك وسلم أن جفنة الدماء تلك تبذل اليوم لكتابة وثيقة مبايعة..

اشهدوا ودعونى أصرخ : هذا شرك ..

فكيف أشركت يا أمة..

ويلحّ علىٌّ رضى الله عنه فى الرجاء ويعيد على الخليفة أمير المؤمنين ملك الأرض.. فيجيبه بمثل ما أجابه ..

كم مائة ألف معتقل اعتقل منك يا أمة اتقاء لاحتمال خطر– معظمه هواجس الشيطان فى أضابير رجال الأمن– على الملك الرئيس الأمير..

كم ألف شهيد قتلوا يا أمة باتهامات زور ستر زورها القضاء بأحكامه ..

وكم ألف شهيد قتلوا دون أحكام قضاء..

وكم عشرة آلاف عذبوا وروعوا وسفكت دماؤهم واغتصبت أعراضهم ..

كم ألفا وكم عشرة آلاف وكم مائة ألف لم يحاصروا بيت الرئيس الملك الأمير ولم يمنعوا عنه الماء كما فعلوا مع الخليفة ذى النورين ملك الأرض.. فلا يملك إلا أن يستجد بعلى رضى الله عنه الذى يناضل لإدخال ثلاث قرب إلى الخليفة العطشان..

ودخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور، فاستاذناه فى الحج ، فأذن لهما، فقالا له : إن غلب هؤلاء القوم فمع من نكون ؟

قال : عليكم بالجماعة .

قالا: فإن كانت الجماعة هى التى تغلب عليك ، فمع من نكون ؟

قال : فالجماعة حيث كانت .

انحن يا تاريخ أمام العظمة الإنسانية ..

هذا عبد أواب لله لا عبد خوار للغرب والشيطان ..

إن الرجل لا يهمه إلا وحدة المسلمين حتى لو كانوا الثوار المنشقين عليه ..

قال : فخرجنا، فاستقبلنا الحسن بن على عند باب الدار داخلا على عثمان، فرجعنا معه لنسمع ما يقول ، فسلم على عثمان ثم قال :

- يا أمير المؤمنين مرنى بما شئت .

فقال عثمان :

- يا ابن أخى ارجع واجلس حتى يأتى الله بأمره .

فخرج وخرجنا عنه ، فاستقبلنا ابن عمر داخلا إلى عثمان ، فرجعنا معه نسمع ما يقول ، فسلم على عثمان ثم قال :

- يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت وأطعت ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت ، ثم صحبت عمر فسمعت وأطعت ، ورأيت له حق الوالد وحق الخلافة، وها أنا طوع يديك يا أمير المؤمنين فمرنى بما شئت .

فقال عثمان :

– جزاكم الله يا آل عمر خيرا مرتين ، لا حاجة لى فى إراقة الدم ، لا حاجة لى فى إراقة الدم .

ثم دخل أبو هريرة متقلدا سيفه فقال : الآن طاب الضراب .

فقال عثمان :

عزمت عليك يا أبا هريرة لما ألقيت سيفك..

ولم يكن أمام الصحابة إلا الامتثال لأمر الخليفة ولكن عليا رضى الله عنه احتاط للأمر وقال للحسن، والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الثوار أن يدخلوا على عثمان ، فلما رأى ذلك الثوار رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن على بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبرمولى على فخشى الثوار أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فقالوا : إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن اذهبوا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد فتسوروا البيت وقتلوه ، وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا، فاسترجعوا وقال على لابنيه كيف قتل أمير المزمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن غاضبا..

فليتضاءل نور الشمس والنجوم أمام النور المنبعث من العظمة الإنسانية فى أسمى معانيها..

لم يستدع مباحث أمن الخلافة..

ولا روع الناس ..

بل رفض إراقة جفنة دم من قاتليه..

لم يفرض حكم الطوارئ عشرين عاما ..

لم يغير شرعا ..

ولم ينشئ دستورا جديدا ..

فكيف ضللت وكان فيك مثل هذا يا أمة..

كيف يا أمة..

لماذا غفلت عن تاريخك..

لماذا نسيت الله فأنساك نفسك..

لماذا لم تذكريهم بعلي بن أبي طالب رضى الله عنه لما ضربه ابن ملجم فأوصى إلى الحسن والحسين وصية طويلة، وفى آخرها:

- يا بني عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا، تقولون قتل أمير المؤمنين ، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي . انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة، ولا تمثلوا به ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور) .

يا إلهى..

إنه ينهى عن المثلة بقاتله..

بل وينهى عن المثلة ولو بكلب عقور..

فكيف استنمت حتى مثلت بك الكلاب العقورة يا أمة..

ثم أنهم يتوسلون إليه أن يستخلف عليهم فيأبى قائلا:

- لا.. أكلكم إلى من وكلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان عبدا لله .. كان إنسانا .. لا مسخا للغرب ومطية للشيطان مثل روادك يا أمة..

لم تكن الدنيا مطلبهم بل الآخرة.. ومع ذلك .. بل على الأحرى بسبب ذلك سادوا الدنيا أيضا..

كيف وصل بك الحال إلى ما وصل إليه يا أمة..

أقول لك ما قاله إبراهيم بن أدهم حين سئل: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس..

إن المستكبرين الضالين المضلين لم يعترفوا قط بأنهم أخطئوا أو حتى بإمكانية احتمال أن يخطئوا..

لم يعتبروا أبدا بتاريخنا وديننا وسلفنا الصالح..

لم يعتبروا بالإمام مالك بن أنس-رضى الله عنه حين بكى ندما ملى ما كان أفتى يه برأيه . قال القعنبى : دخلت على مالك بن انس فى مرضه الذى مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيته يبكى، فقلت :

يا أبا عبد الله ما الذى يبكيك ؟..

فقال لى :

وما لى لا أبكى ؟ ومن أحق بالبكاء منى؟ والله لوددت أنى ضربت لكل مسألة أفتيت فيها برأى بسوط سوط ، وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت إليه ، وليتنى لم أفت بالرأى..

لم يعتبروا حتى بالدولة العثمانية التى شاركنا جميعا فى تشويهها ..

فلتنظروا إلى وصايا حكامنا ووصاياهم..

فلتتذكروا محاولة الفاجر الكافر كمال أتاتورك أن يوصى بالسفير الإنجليزى ليخلفه فى حكم تركيا التى كانت عاصمة الخلافة.. ولتدركوا أنهم جلهم على شاكلته.. ولتقارنوهم بحكام الدولة الإسلامية التى ألقوا الروث عليها..

قال السلطان محمد الفاتح – رحمه الله – في وصيته لابنه :

" ها أنذا أموت ، ولكني غير آسف لأنى تارك خلفا مثلك .

كن عادلا صالحا رحيما ، وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز ، وأعمل على نشر الدين الإسلامى ، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض. قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ، ولا تفتر في المواظبة عليه ، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ، وجانب البدع المفسدة وباعد الذين يحرضونك عليها .. وسع رقعة البلاد بالجهاد ، واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد.إياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك إلا بحق الإسلام، واضمن للمعوزين قوتهم ، وابذل إكرامك للمستحقين . وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة في جسم الدولة ، فعظم جانبهم وشجعهم ، وإذا سمعت بأحد منهم في بلد آخر فاستقدمه إليك، وأكرمه بالمال . حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند ، وإياك أن تبعد

أهــل الشــريعة عــن بــابك ، وإيــاك أن تمــيل إلــى أى عمــل يخالف أحكام الشريعة، فإن الدين غايتنا ، والهدية منهجنا ، وبذلك انتصرنا" ..

ويــنقل المــؤرخ التركــي المعاصــر عــبد القــادر زاده أوغلــو في كتابه " الــتاريخ العــثمانى المصــور " عــبارات أخــرى مــن وصية عثمان مؤسس الدولة تقول :

وصــيتي الأولــى لأبــنائى ، ولجمــيع الأعزاء علي ، أن لا يتركوا الجهاد فــي ســبيل إعــلاء كلمــة الله ، ونشــر دين الإسلام الجليل ، ورفع راية محمد صــلى الله علــيه وســلم عالــيا . وليكن كل وقتكم لخدمة الإسلام ، ونشر كلمة التوحــيد فــي ربــوع العالميــن ، وإننــي أقــول لكم : إننى أدعو الله عز وجل أن يحــرم مــن شــفاعة محمــد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، كل واحد فيكم يبتعد عن طريق الإسلام ، ويظلم الناس ، ويترك الجهاد .

أمــا عــن نصــوص الواجــبات التــي أناطهــا دســتور الدولــة العثمانية بســلاطين الدولــة ، أنقلهــا مــن كــتاب الدكــتور عمــر عــبد العزيز عمر[1] "محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية" .

هذه الواجبات هي :

أولا : أن يخضع السلطان لأحكام الشريعة الإسلامية خضوعا كاملا .

ثانيا : أن يبجل الشريعة الإسلامية ويبجل علماءها .

ثالثا : أن يحمي مقدسات المسلمين ، وينظم شؤون الحج بعناية .

رابعا : أن يدافع عن تخوم المسلمين ضد أعدائهم .

لقــد كــان عــثمان ابــن أرطغــرل شــديد التديــن ، وكان يؤمن أن نشر الإسلام واجب مقدس بالنسبة إليه .

وقــد نــص القــانون الــذي وضعه السلطان سليمان القانوني ، والذي حدد بموجــبه الشــروط التــي ينبغــي أن تــتوفر فــي كــل شــخص يتولى منصب الصــدارة العظمــى (رئاســة الــوزراء) ، أو منصب الوزارة ، على أن يكون ذلك الشخص مواظبا على أداء الصلاة في أوقاتها .

***

---

١ – مرجع سابق .

هاتوا اليوم من يطالب الوزراء أو الحكام بالمواظبة على الصلاة..

ستعلق له المشانق.. ستطارده تهم الأصولية والإرهاب..

بل إن الأمر أبشع..

فلقد كففنا – باليأس أن نطالب الحكام بعمل المعروف..

وكففنا أيضا عن نهيهم عن المنكر إلا الفاحش منه..

سنمتن لك يا مولاى الملك الرئيس الخليفة إن تحريت فى وزرائك أن يكون ولعهم بسفك الدماء محدودا وأن يكونوا غير شواذ ولا بأس أن يكونوا زناة لصوصا عصاة !!..

فلماذا يا أمة..

كان هذا هو ماضيك يا أمة فلماذا وصل بك الحال إلى ما وصل إليه..

لماذا لم تعتبرى..

إن لم توقنى بالغيب أفلا توقنى بالموت..

{أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا}.

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..

أنت تخسرين الدنيا والآخرة..

الموت حق والبعث حق والحساب حق ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يؤتى بالموت في هيئة كبش أملح، فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة. فيطلعون خائفين وجلين مخافة أن يخرجوا مما هم فيه فيقال: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيقال: يا أهل النار. فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه. فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت. فيؤمر به، فيذبح على الصراط، فيقال للفريقين: خلود فيما تجدون، لا موت فيها أبدا".

وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن معاذ بن جبل "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال: يا أيها الناس إني

رســول رســول الله إلــيكم إن المــرَدّ إلى الله، إلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن، وأجساد لا تموت".

وأخــرج الطبرانـــي وابــن مــردويه وأبــو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رســول الله صــلى الله علــيه وســلم "لــو قيل لأهل النار ماكثون في النار عدد كــل حصـــاة فـــي الدنــيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد".

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..

إنه موت واحد فقط ثم الخلد أبد الآبدين..

إنها السعادة أبدا أو الشقاء أبدا..

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة..

* إن المتقين في مقام أمين..
* في جنات وعيون..
* يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين..
* كذلك وزوجناهم بحور عين..
* يدعون فيها بكل فاكهة آمنين..
* لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم..
* فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم..
* فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون..

فارتقب إنهم مرتقبون..

فارتقبى يا أمة..

أم ترانى أقول فيك ما قاله أبو حامد الغزالى:

لقد أسمعتَ لو ناديْتَ حياً * ولكن لا حياة لمن تنادي

وارتقبى يا أمة..

فما منك إلا ذائق الموت..

أجل..

كل نفس ذائقة الموت..

كيف عميت بصائرنا[1] ؟!..

ماذا حدث لك يا أمة ؟؟..

لماذا كل هذا الانبطاح أمام الغرب..

رغم الهزيمة الساحقة أمام الصليبيين لم يحدث انهيار للأمة ولا هى فقدت الثقة فى نفسها ..

فلماذا حدث لنا ذلك الآن..

فكرى معى يا أمة فوحدى لا أحيط بالأسباب..

هل حدث ذلك لأنه منذ ألف عام كان الناس قد انحرفوا وفسدوا لكن أساسيات الدين وأركانه كانت ما تزال صلبة وسليمة وكان النموذج موجودا ومن السهل الرجوع إليه.. كانت كآلة تعطلت لكن كل رسومها الهندسية موجودة فكان من اليسير إعادتها إلى أصلها.. الآن زيفت الرسوم علينا.. شوهت الرسوم.. نزفناها.. سقطت من ثقوب الذاكرة.. فنحن الآن حين نريد الإصلاح والعودة إلى سيرتنا الأولى لا نستطيع لأننا فقدنا النموذج الذى ينبغى أن نسير عليه.. ذروة سنام الإسلام وهى الجهاد معطلة ولا يملك أى واحد منا أى سبيل لإعادتها سيرتها الأولى.. الصلاة لم تعد تنهى عن الفحشاء والمنكر.. بل إنها فى أحيان كثيرة تستعمل لها ستارا.. الحج أفرغ من مضمونه.. أما الصوم فقد أفرغ من التقوى والعظة والاعتبار وحُشِيَ بالمسلسلات والفوازير والرقص وأجساد العراة..

كل هذا والدولة ضد الأمة..

عندما كان الصليبيون يحاولون تبديل ديننا وتزييف وعينا كنا ندرك وكنا نقاوم وكنا ننجح..

لكن ماذا نفعل إن كان ولاة أمورنا هم الذين اضطلعوا بالدور وكلاء عن الصليبيين..

---

١ – الشعب : ١٩٩٩/٨/١٣ .

ماذا نفعل إن كانت أجهزة أمننا هى التى تحمى أمن عدونا ..

ماذا نفعل إن كانت أجهزة إعلامنا تروج لهدمنا..

لقد طُعِن قلبى وأنا أشاهد اليابانيين يحتفلون بذكرى ضحاياهم فى هيروشيما وناجازاكى كى لا تنسى أمتهم التاريخ أما نحن فنعتّم على شهدائنا وكأنهم عورة وما هم بعورة لأننا نحن العورة..

وطعن قلبى أن المسئول الهمام يصافح باراك ويرفض مصافحة عرفات – أيا كان الرأى فيه..

طعن قلبى فصرخت : ليس مسئولا بل وكيلا وعورة..

وطعن قلبى ذلك الأغيلمة السفيه الذى أفرد الأهرام له صفحاته فراح يهاجم رمزا كبيرا وقيمة عليا تتمثل فى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد .. راح يهاجمها لأنها تنتقد خيانة للأمة تقودها الدولة فى إهمال اللغة العربية وإنقاص درجاتها، وراح السفيه يسخر من استشهادها بقيمة مصر ودورها فى الحفاظ على اللغة العربية منذ القرن الرابع الهجرى .. راح السفيه فى سماجة لم أر لها مثيلا يرد فى أسلوب مخنث رقيع : لكن القرن الرابع الهجرى لم يكن فيه ثانوية عامة..

أغيلمة سفيه آخر راح يرد على الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أيضا حين اقترحت فى بساطة مذهلة خطوة لو اتبعناها لرتقنا ثقوب الذاكرة ولاستعدنا هوية الأمة لا فى مصر فقط بل فى العالم الإسلامى كله.. خطوة أقتنع على كل الأحزاب والمؤسسات والهيئات فى العالم الإسلامى أن تتبناها..

قالت الدكتورة نعمات أنها حقا تعلمت العلم فى المدرسة والجامعة لكن الذى صاغ وجدانها هو تعلم القرآن فى الكتّاب وأنها تقترح ما دامت المدارس لا تقبل الأطفال قبل سن السابعة أن يتم تحفيظ القرآن للأطفال من الرابعة إلى السابعة..

انبرى الأغيلمة السفيه يسخر من نعمات أحمد فؤاد..

انبرى القرد يسخر من الإنسان والقملة من النسر والضفدع من الفيل..

لا يعنى الكتّاب – الذى علّم القرآن لأجيال وأجيال – عند السفيه إلا للفلكة..

حسنا يا سفيه..

إذا كان ما يخيفك هو الاسم لا المضمون فهل توافق إذا غيّرنا الاسم..

لو أننا سميناه : " club koran" .. فهل توافق

ولــو أنــنا ألغيــنا فكــرة الكتّاب وقررنا تعليم القرآن بالكمبيوتر فهل يتوقف اعتراضك..

ولــو أنــنا أبقيــنا علــى الكــتّاب لكنــنا قررنا أن نعلم أطفالنا فيه أساطير الــتوراة لا حقــائق القــرآن واللغــة العــبرية لا العربية وتوم وجيرى لا المتنبئ وامــرؤ القــيس أو حــتى قــررنا أن نعلمهــم فيه العرى والسفاهة والشذوذ فهل سيستمر اعتراضك .. ؟!

أم أن المقصود بالاعتراض هو القرآن يا كلب جهنم..

لقــد وعدنــا دعــاة القومــية حين بدءوا بالدعوة للقومية أنهم سيرفعون شأن اللغة لأنها عماد القومية..

إن الــتعريف الألمــانى أن القومــية لغــة والــتعريف الفرنســى أنها إرادة فلمــاذا يــا دعــاة القومــية – يطعن قلبى أننا – تحت شعارات القومية نفقد اللغة والإرادة.. بعد أن فقدنا الدين والسيادة؟!

يطعــن قلــبى أغــيلمة ســفهاء ســموا أنفســهم زورا رواد التنوير فراحوا يــرفعون علــى أعلــى ســارية كلمــة : أنا أشك إذن فأنا موجود وأنا أفكر إذن فأنــا موجــود فــإذا جــرؤنا علــى الذات الإلهية كنا مستنيرين أما إذا جرؤ منا أحــد علــى الشــك فــى رئيســه أو مليكه أو فى النائب العام على سبيل المثال لتغــيرت حــروف الكلمــة أعلــى الســارية لــتكون: أنــت شــككت فلا يحق لــك الوجــود ، أو : أنــت شــككت فلــن تكــون موجــودا فــى بيتك غدا بل فى سجوننا ..

إن التفكــير – علــى ســبيل المــثال – فى الريب التى تكتنف قضية هروب علــية العــيوطى[١] تــرفع ألــف علامــة استفهام حول سماح النائب العام السابق لهــا بالســفر حــتى دون شــهادة مرضــية، وعلامــة الاستفهام فى زماننا هذا قــد تكــون تعبــيرا مهذبــا – أو جبانا – عن يقين اتهام.. لقد أصدر سيادته لها القــرار قــبل إحالــته للــتقاعد بأربعــة أيــام.. وأصــدره خلسة من وراء ظهر

---

١ – فى قضــية الفســاد الكبرى المتعلقة بالبنوك والتى تم فيها الاستيلاء على مليارات الجنيهات .. وكانت علية العــيوطى وأباها وأفراد من أسرتها متهمين، وحكم على الجميع بأحكام مشددة. عدا علية العيوطى .. كانت قد هربت إلى الخارج.. وقالت بعض صحف المعرضة أن هذا الهروب قد كلفها ٣٠ مليون جنيه.

المحكمة التى تحاكمها وخفية حتى عن أجهزة نيابته رغم أنه قرار قد يترتب عليه خسارة للأمة بمئات الملايين .. وعندما ووجه الرجل بفعلته لم يتعد قوله أنه أصدر قرارا ولا معقب عليه .. حتى مجلة المصور لم تتمالك نفسها فعقبت بأنه قال ما قاله بلا خشية ..

لا معقب عليه ..

حق يأبونه على الله فيبيحه النائب العام السابق لنفسه ..

ويبيحونه له دون أن يعقبوا عليه ..

لقد رفضوا - ورفضنا معهم - ما ذهب إليه الشيعة من أن يكون الإمام معصوما لكننا نكتشف الآن أن النائب العام السابق عندنا معصوم..

فيم إذن كان كل هذا الخلاف مع الشيعة ولم كان كل هذا الدم الذى أهريق ..

الإمام عند الشيعة إمام غائب فتظل قضية العصمة قضية نظرية لكنه عندك يا أمة قضية حاضرة متمثلة فى النائب العام السابق الذى لا معقب على حكمه ..

لا معقب على حكمه..

جرؤ على الحق فقالها..

ولم ينبح من كلاب التنوير أحد وهم الذين يعقبون على الله ورسله..

لم ينبح من كلاب التنوير أحد وهم الذين يهزءون من كتاب الله ورسله وملائكته والحساب والغيب..

لم يصرخ أحد أن الواجب أن يمثل النائب العام للتحقيق إن ثارت حوله شبهة وذلك حقه فى أن يبرئ ساحته قبل أن يكون واجبه..

لا معقب على أحكام النائب العام أما الله فمن لا يعقب على أحكامه إرهابى ظلامى..

لا معقب ..

لكننا إذا ذكرنا الله أو الرسول اشمأزت قلوبهم فإذا ذكرنا باراك أو كلينتون والنظام العالمى الجديد إذا هم مستبشرون..

هل يمكن يا أمة والحال ذاك أن تعوم سفينة كلما سددنا خرقا فيها أحدث السفهاء ألف خرق؟..

وهل يمكن أن يطير البالون فى الهواء إن كنت تضخ فيه الغاز وفيه ألف ثقب ؟..

وهل يمكن أن ينطلق قطار تآكلت آلاته وانسكب زيته وانثقبت مستودعات وقوده ؟..

هل يمكن أن تنطلقى يا أمة ودولك ضدك؟!.. وأبناؤك غافلون عنك؟ وحكامك يبيعونك وشيوخك يفسدونك ومفكروك يضللونك ؟! وقضاتك يفعلون ما يريدون.. دون معقب؟!..

هل يمكن أن نستعيد النموذج والأصل كى نضاهيه ونرتق جراحنا على مثاله ..

وهل يمكن أن يحدث ذلك فى إطار الوطنية أو القومية..

لشد ما خدعونا ..

ولشدما تشبثنا وانبهرنا بالخداع والكذب..

تحت دعاوى التحضر والاستنارة والقومية والوطنية خدعونا ..

إن النطفة الأولى للفكرة الوطنية هى الانتماء إلى موطن، إلى بيت الأسرة والعائلة والقرية والمدينة والمحافظة والبلد..

ما تراكم قائلين لو تعصب أهل القاهرة للقاهرة وأهل الإسكندرية للإسكندرية وأهل أسوان لأسوان وأهل المنوفية للمنوفية.. وأهل مصر لمصر وأهل المشرق للمشرق وأهل المغرب للمغرب؟!..

أى قدر من التخلف سوف تتهمونهم به ..

فكيف عميت بصائرنا..

الفكرة القومية عصبية جاهلية للقبيلة والجنس والعنصر..

لقد فقدنا حتى القومية حين رفعنا شعار القومية..

تفتتت القومية لتصبح قطرية وهاهى ذى الأقطار توشك أن تتفتت..

هل كان يمكن أن نترك ما يحدث للعراق يحدث لو لم نكن قد عقبنا على حكم الله.. واستبدلنا الذى هو أدنى بالذى هو خير..

هل كان يمكن أن يحدث لنا ما يحدث لو أننا لم نعرض عن أحكام الله ورباط الدين..

هل كان يمكن أن يحدث فى كوسوفا ما يحدث..

تقـول مجلـة العـربى الكويتـية – وهى مجلة لا يمكن اتهامها بأى تعاطف مـع الاتجـاه الإسـلامى – (فـى مقـال طويـل نقلـت جزءا منه من دراسة الأسـتاذ محمـد يوسـف عـدس المنشورة في كتبه وفى مقال له فى الشعب دون أن تشـير إلـى ذلـك) : " كـان حجـم المأسـاة أكـبر من أن يجد المرء سببا لتفسـيره، حـتى لـو قـيل أنـه جنون التعصب، فحجم الإبادة والتطهير العرقى والاغتصـاب وابـتكار وسـائل غـير مسبوقة فى إذلال البشر وامتهان كرامتهم وانـتهاك محـرماتهم (...) لـم أجـد أبـدا ما يفسر ما حدث لخير الدين بكتاشى (٧٨ عامـا) الـذى كـان يـدور فى معسكر اللاجئين (...) متكئا على عكازه الخشـبى عـندما حكـى لـنا عـن أبـنائه الـثلاثة الذين ذبحوا أمام عينيه حين اسـتدعى الجـنود الصـرب كـل سـاكنى قريته دوشانوف الكوسوفية إلى ساحة القـرية، واخـتاروا عـددا مـن الشـبان وطلـبوا من آبائهم أن يقفوا مع أبنائهم فـى وسـط الدائـرة البشـرية الـتى امتلأت بها الساحة الترابية، الأكثر وحشية وفقـا لمـا رواه العجـوز الـذى سقطت أسنانه وامتلأ وجهه بتجاعيد حادة، هو قـيام الجـنود الصـرب بإصـدار الأوامـر للأبناء بممارسة الفحشاء ضد آبائهم وأمـام الجمـيع.. بكـى العجـوز خـير الديـن بحرقة ويداه ترتعشان من فوق عكـازه وهـو يقـول : لـن أنسـى ما حدث ساعة رفض الشبان لتلك الأوامر ، لقد ذبحوهم ذبحا وكان من بينهم أبنائى الثلاثة "..

بم تشعرون يا دعاة القومية والقطرية ولحمكم يمزق ..

بـم تشـعرون والعـراق يـباد والسـودان يتفتـت وليبيا تحاصر وسوريا تعزل ..

فكيف عميت بصائركم ولِمَ سعيتم طول الوقت لتعموا بصائر..

نطفـة الوطنـية انـتماء لقـرية، ونطفـة القومـية انتماء لقبيلة.. أما نطفة الجماعة الإسلامية فهى انتماء لله ..

فكيف عميت بصائرنا..

فـى كـتابه القـيم فكـرة القومية العربية على ضوء الإسلام يصرخ صالح العـبود: مـاذا أكسـب القومـيون العـرب أمتهم؟ إنهم لم يكسبوها سوى الهزائم المـنكرة والتبعـية، إمـا للشـرق الشـيوعى الملحد وإما للغرب الصليبى المفسد وكلاهما مذلة ذميمة.

وفـى كـتابه أزمـة المجـتمع العـربى المعاصر يصف مدثر عبد الرحيم الطيـب وهـو أحـد القومييـن العـرب حال القوميين العرب بعد الفشل المدوى لمشروعهم فيقول : " .

١- أما بعضهم فقد أضاع الوقت فى التراشق بالتهم، وتبادل السباب، يبرئ كل منهم نفسه ويضع مسئولية ما حدث على أكتاف الآخرين ، فانشغلوا ببعضهم وانصرفوا عن المعركة الأساسية .

٢- وأدرك بعضهم حقيقة الموقف فقام محاولا صد الهجوم ولكن بأسلحة قديمة صدئة بالية باذلا غاية جهده لسد الباب فى وجه الأعداء لكن الأبواب كانت مثقوبة هالكة، والنوافذ هزيلة ركيكة، والسقوف خاوية متهتكة .

٣- وفريق ثالث كذب ما أبصرت عيناه ، ورفض أن يصدق هول ما حدث فراح يغالط الحقيقة ويمارى الواقع ....

٤- شلت الصدمة فريقا آخر أصيبوا بعِنةٍ فكرية أجلستهم القرفصاء فى قاع السفينة .

٥- وبين هؤلاء وهؤلاء قام فريق من الخائرين المنهزمين.. استهوتهم مظاهر من حضارة الغرب فراحوا يتسللون إلى سفن العدو: يزاولون البغاء الفكرى ويتاجرون فيه سرا وعلانية.. وأصبحوا كل يوم يأتوننا بجديد من زينة القوم.. مرة باسم الحضارة، ومرة باسم التحرر، ومرة باسم الفنون، لكنهم شأنهم فى ذلك شأن البغايا، قد أخذوا إليهم الأعراض دون الجواهر، والمظاهر دون اللباب، فظنوا أن الحضارة الغربية هى سيجارة وكأس (..) ثم أنهم، شأنهم فى ذلك شأن البغايا، قد اختلفوا فيما بينهم، ورفعوا أصواتهم بالخلاف والنزاع، أخذت جماعة منهم تجرنا إلى فرنسا، وجماعة أخرى تجذبنا إلى انجلترا أو أمريكا، وجماعة ثالثة تحاول سحبنا إلى روسيا، وكل جماعة منهم تحاول أثناء ذلك إغراءنا وخداعنا عن أنفسنا والمساومة فى أعراضنا .."

ويقول الدكتور على جريشة : " يشير معرب كتاب لعبة الأمم إلى أن تسعين بالمائة من قادة حركة القومية العربية الأقحاح هم من خريجى الجامعة الأمريكية فى بيروت كما يشير مؤلف الكتاب مايلز كوبلاند إلى أسماء زعماء القومية وكلهم من المسيحيين.

وفى كتابه : الإسلام فى وجه التغريب يتناول الأستاذ أنور الجندى[١] جذور المسألة التى تنقسم إلى مرحلتين: مرحلة بدأت منذ أسر لويس التاسع قرر فيها الصليبيون أنه لا قبل لهم بمواجهة المسلمين مادامو متمسكين بالإسلام.. قرروا مواجهة الإسلام نظريا وتدميره فإذا ما تمكنوا من ذلك

---

١ - الإسلام فى وجه التغريب- مخططات التبشير والاستشراق- دار الاعتصام .

تمكنوا من قهر المسلمين.. وقد استمرت هذه المحاولة النظرية حتى عام ١٨٣٠ حين انتقلوا بعدها لمواجهة مسلمين بلا إسلام فاكتسحوهم ..

لا يخبطها أنور الجندى خبط عشواء بل يعتمد على وثيقة سرية منسوبة إلى لويس التاسع نفسه وهو ما أرجو أن أعود إليه فى كتاب أخصصه لنظرية المؤامرة على العالم الإسلامى .. كى أجيب على السؤال المعضل :

كيف عميت بصائرنا ومتى..

هل كان ذلك منذ تركيز الأمريكيين على كليتهم فى بيروت فى ثلاثينيات القرن الماضى.. هل كان فيما أسفر عنه تلاميذ هذه الكلية ومبشروها من نداءات القومية التى انتقلت إلى الأتراك والبلقان فكانت من أهم العوامل فى هدم دولة الخلافة ..

هل كان ذلك مع محمد على ومبعوثيه الذين عادوا إلينا مصابين بالجرثومة فنشروها بين شعوبنا ؟..

هل كان ذلك فى الأخطاء الفادحة التى وقع فيها سلاطين الدولة العثمانية قبل ذلك بقرن..

ثم كيف شملت الخديعة الأمة كلها ..

إن التاريخ ملئ بالومضات لكنها ومضات تضئ أجزاء من غيابات الذاكرة فلا نرى إلا نمنمات وشذرات لا تكفى لتصور الصورة الكاملة..

لقد ثار الشريف حسين – مثلا – يوم الإثنين الخامس من يونيو سنة ١٩١٦ وهجمت إسرائيل على مصر وسوريا يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ فهل كان ذلك صدفة من قوم يبنون حياتهم على الاحتفاء بالتاريخ والأساطير؟..

تذكروا مدريد حين استدعونا لنتجرع كئوس المذلة والهوان فى ذكرى مرور خمسة قرون على هزيمة العرب والمسلمين..

كيف عميت بصائرنا وكيف شملت الخديعة الأمة كلها ..

حتى واحد فى حجم عقل وعبقرية وموسوعية محمد حسنين هيكل يبتلع الطعم ويقع فى الخطأ.. ففى حفل تسليمه جائزة جمال عبد الناصر ألقى واحدة من أروع وأنضج تحليلاته (لعلها تمسح آثار بعض مقالاته الأخيرة فى مجلة الكتب وجهات نظر والتى بدا فيها " لورد " يتحدث بتعال

وانفصال وبغير لغتنا) إذ راح يتحدث عن حرب من نوع جديد لها هدف مزدوج، حرب تُحَوِّلُ الحلم إلى كابوس، حرب لم تتوقف منذ عام ٤٨، حرب لا تستهدف الماضى فقط بل المستقبل أيضا، حرب من نوع جديد مستغنية بالكامل عن كل ما عرفه تاريخ الصراع من أشكال الحرب، حرب مستغنية عن بؤرة معينة تدور المعارك لاحتلالها أو لتأمينها، حرب مستغنية عن مسرح استراتيجى للعمليات بل مستغنية عن السلاح وقوة النيران أصلا، حرب استهدفت عام ٥٦ نزع استقلال مصر لكن الأمة العربية قدمت درع فولاذ لحماية مصر فقرروا فى حرب ٦٧ نزع سلاح مصر باعتبارها درع وترسانة الأمة العربية، ولم تستسلم مصر ولا الأمة العربية بل خاضوا حرب ٧٣ وهنا مشت قوى السيطرة إلى أبعد، فلم يعد طلبها نزع استقلال وطن ولا نزع سلاح أمة وإنما أصبح الطلب نزع إرادة أمة، فى البداية كانت "الأرض مقابل السلام" .. ويفجر هيكل كعادته مفاجأته بأن هذا المصطلح قد تم صكه قبل حرب فلسطين ١٩٤٨، ثم سجله بن جوريون عام ١٩٥٥، لكننا بعد ١٩٧٤عندما بدأت " الحرب من نوع جديد" بدأت أفكارنا تختلط مع تلاعبهم بنا فانتقلنا من النقيض إلى النقيض، وتحول مصطلح "الأرض مقابل السلام" إلى مصطلح الأمن مقابل السلام، ولم يعد التفاوض تحت بند أن يعترف العرب بحق إسرائيل فى الوجود بل بأن تعترف إسرائيل بحق العرب فى الوجود، ولم يعد تحت بند استعادة الأراضى الفلسطينية بل استكمال أرض إسرائيل!.. ولم يعد تحت بند منع الأسلحة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط ولكن تحت بند منعها فى العالم العربى وحده..."

يرثى محمد حسنين هيكل أيضا أطلال قيم كادت تندثر فى ثنايا تحويل الحلم إلى كابوس.. قيم كالوفاء والعدل والحرية والتقدم والانتماء..

إن عقل محمد حسنين هيكل الموسوعى يقع فى خطأين منهجيين طالما دعوت الله أن يعافيه منهما كى يعز الإسلام به..!!

والخطآن لا يفقدان تحليله قيمته ولا عمقه ولكنهما يفقدانه أى ثغرة للخلاص وأى سبيل للعلاج..

الخطأ الأول أنه بنى تحليله على أن : " الحروب ضد الأمة لم تتوقف منذ حرب ١٩٤٨.. والهدف نزع إرادتها.."..

مـــاذا يســـمى محمـــد حســـنين هيكل غزو مصر سنة ١٨٨٢ وحملة فريزر عـــام ١٨٠٧ وغـــزوة نابلـــيون .. و .. و .. و .. و .. مـــاذا يسمى غزو العالم الإسلامى كله ..

إنـــنى أخـــتلف مـــع أنـــور الجندى فى تقسيمه للمواجهة إلى مرحلتين كانت أولاهمـــا نظـــرية والثانـــية عملـــية، فالمواجهـــة العملـــية لم تتوقف قط منذ يوم مؤتـــة إلـــى يومـــنا هـــذا والحـــروب الصـــليبية لـــم تـــتوقف يوما واحدا لكننا وقـــد انثقبـــت ذاكرتـــنا نغفـــل مـــن التاريخ مواجهة الغرب للعثمانيين كاستمرار للحروب الصليبية..

لـــم تـــتوقف الحـــرب يومـــا واحـــدا .. لـــيس عبر خمسين عاما كما يقول محمـــد حســـنين هـــيكل بـــل عـــبر ألـــف وخمسمائة عام وما حسبه أفعى هائلة تسد الأفق طولها خمسين عاما ليست إلا ذيل الفيل..!!..

الخطـــأ الـــثانى الـــذى وقـــع فيه الأستاذ هيكل هو فى حديثه عن قيم كالوفاء والعـــدل والحـــرية والـــتقدم والانـــتماء.. ذلـــك أن المـــنظور القطرى أو القومى لا يمكـــن أن ينشـــئ قـــيما كـــتلك..لا.. ولا حـــتى الـــنظام العالمى الجديد .. بل علـــى العكـــس.. ومـــا كـــتابات جـــارودى وتشومســـكى وتوينبى إلا مثالا على ما أقول ..

المـــنطقى مـــع القطـــرية والقومـــية والـــنظام العالمى الجديد هو عكس هذه القـــيم .. فالقـــيم المطلقـــة لا يمكـــن أن تنبع إلا من الدين والإيمان بالله.. بل إننا لا يمكـــن أن نفهـــم ســـر الوحشـــية المولعة بالإيغال فى الدماء من الغرب تجاهنا دون أن نحـــيط بالأســـاطير الـــتى تســـربت إلـــى اليهودية والمسيحية الصهيونية فجعلـــت مـــن ســـفك دمائـــنا والوحشـــية تجاهنا عبادة لإلههم ظلام العبيد المولع بسفك الدماء..

لقـــد أخطـــأ الأســـتاذ الكبـــير خطأيـــن: وبقدر من التجاوز نستطيع أن نقول أنـــه فـــى الخطـــأ الأول حـــوّل المطلـــق إلـــى نسبى .. وفى الخطأ الثانى حوّل النسبى إلى مطلق ..!!

إنـــنى أعـــرف أن مـــن الإجحـــاف توصـــيف الأســـتاذ محمد حسنين هيكل تحـــت رايـــة القوميـــين أو الناصـــريين وأن مـــن الظلم له أن ندمغه بالاستشراق والتغريـــب.. ولعلـــه يحمـــل ســـمات مـــن كل ذلك لكنه ليس أيا منها.. إنه جبهة قائمـــة بذاتـــه.. وإن آراءه بالغـــة الدقـــة والعمق.. وإخلاصه لا شك فيه ووفاءه مضـــرب مـــثل.. لكـــن ثمـــة خطـــأ واحـــد فـــى البداية وانحراف لا يكاد يلحظ فـــى زاويـــة انطـــلاق الصـــاروخ الجـــبار جعلته يخطئ فى النهاية هدفه بملايين

الأمـيال.. ولـو أنـنى مكانـه لكنـت أشد يأسا منه.. ذلك أن البصيص الخافت الـباقى مـن أملـه هـو أن شـعوبنا سـتنهض وأن الحـق سينتصر.. وهو هنا يفـارق مـنطقه التحلـيلى العمـيق الـذى يحتم أن تفنى أمتنا وتبيد لا أن تنهض وتنتصر.. فالخطأ أن الطبيعة وحتمية التاريخ لا تنصر الحق ..

ينصره الله...

ينصره الله ..

ينصره الله...

وبإغفال هذه الحقيقة لا نتوه فقط بل ونضيع..

نضيع ونبيد ونتلاشى كأمم كثيرة من قبلنا آخرها الهنود الحمر...

لقـد ألـزم هـيكل نفسـه بالمـنطق العلمى الصارم بمفهوم الغرب العلمانى المنفصل عن الدين..

ومن ثم بدأت زاوية الانحراف وانحراف الزاوية..

إنـنى لا أزايـد بـأى شـكل مـن الأشكال على إيمان محمد حسنين هيكل وهو مسلم ومؤمن مادام لم يقر بغير ذلك ويصر عليه..

لكـنه يكـرر الخطـأ الفـادح الـذى وقع فيه بطل رائعة يحيى حقى: قنديل أم هاشم..

إن الفكـر العلمـى احـتمال صـواب علينا ألا ننكر أى جزئية فيه بل وأن نتـبعه بكـل دقـة لكـنه بالـرغم مـن ذلـك يظل دائما احتمال صواب وليس الصواب..

ثـم أن انشـطار المسـلم لـيفكر فـى أزمة أمة مسلمة بمنطق الغرب لا بد أن ينتهى إلى ما يريد الغرب..

والمـنهج العلمـى الصـارم مطلـوب فـى دربه فإن عممناه هلكنا.. وعلى سـبيل المـثال فلـيس لقـيم كالوفـاء والعدل والحرية والتقدم والانتماء أى منهج علمى !!..

ليس للاستشهاد ولا للميلاد ولا للموت أيضا أى منهج علمى..

ولا خـروج الـناس يومـى ٩ و١٠ يونـيو تمسـكا بالـبطل المهزوم كان يخضع لأى منهج علمى..

إن الغـــرب متســـق جـــدا مـــع نفسه.. فالعدل عنده هو القوة.. والسعادة هى اللـــذة.. ومـــا دون ذلـــك هـــراء وخـــداع وزيف.. ودعكم مما يقولون وانظروا إلى ما يفعلون..

يتـــناول المفكـــر الإســـلامى الهـــندى وحـــيد الديـــن خان فى كتابه الإسلام يـــتحدى[1] (الناشـــر : المخـــتار الإســـلامى) ما يسمونه بالمنهج العلمى واليقين الـــذى لا يـــتولد إلا بمعـــرفة الحقـــيقة بالـــتجربة والمشـــاهدة، ذلك المنهج الذى يـــناقض يقيـــن القلـــب والحـــدس والـــروح، يقين ما وراء الحواس التى لا يمكن إخضـــاعها للـــتجربة، يقولـــون أن المـــنهج العلمـــى العلمـــانى حقيقى لأنه يرى الحقـــيقة ويجـــربها .. أمـــا مـــنهج الديـــن الـــذى لا يقوم على أى أساس علمى فباطل لأنه كله مبنى على قياس واستقراء..

القضـــية الـــتى يطـــرحها أولـــئك المنهجيون العلمانيون خطأ، لأنها لا تقوم علـــى أســـس علمـــية، ثـــم أنها تناقض نفسها، إنها لا تنفى وجود أشياء لم تجرب مباشرة كما لا تنفى القياس..

يصـــرخ وحـــيد الديـــن خـــان أن التجربة لا تعد حقيقة لمجرد أنها شوهدت، كما أن القياس ليس باطلا لمجرد أنه قياس..

إن إمكانية الصحة والبطلان موجودة فيهما على حد سواء..

مـــنذ آلاف الأعـــوام يســـتعمل الـــناس الســـفن الشـــراعية ويصـــنعونها مـــن الخشـــب، كانـــت الحقـــيقة العلمـــية المبنية على المشاهدة تقضى بضرورة ذلـــك لأنـــه لـــن يطفـــو علـــى الماء إلا ما هو أخف منه، وخرج على الناس من يقـــول أن الســـفن ستصـــنع ذات يـــوم مـــن الحديـــد فأنكر الناس مقالته واتخذوه هـــزوا، اتهمـــوه بـــالجهل، بالابـــتعاد عـــن المنهج العلمى للتفكير، وجاء أحد من يدعـــون مـــنهج العلـــم التجريـــبى فى جمع من الناس لكى يثبت لهم جهل الجاهل الـــذى ادعـــى أن الحديـــد ســـيطفو، أتـــى صـــاحبنا بإناء ضخم وألقى فيه بنعل مـــن الحديـــد فغـــاص، هلـــل الـــناس للعـــالم ونبذوا الجاهل، كانت تجربة علمية رآهـــا الـــناس بأعيـــنهم، وعلـــى الـــرغم مـــن ذلك، كانت التجربة العملية التى شـــاهدتها العيـــن بـــاطلا لا حقـــيقة، فقـــد صنعت السفن بعد ذلك من الحديد فلم تغـــص فـــى المـــاء وطفـــت، وثبـــت أن العالم المغرور كان جاهلا رغم تجربته العلمـــية الـــتى – بـــرغم مشـــاهدة الـــناس لها – عبرت عن باطل وخطأ لا يثير الآن سوى سخرية وتفكه..

---

١ – الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان الناشر : المختار الإسلامى

فــى بدايـــة القـــرن العشـــرين كـــنا نملك تليسكوبا ضعيفا راقبنا به الكون، رأيـــناه، فكـــان تصـــورنا عـــنه بـــالغ الاخـــتلاف عمـــا رأيـــناه بعد ذلك بعقود باســـتعمال تليســـكوب قـــوى.. كانـــت الـــتجربة تـــنفى التجربة وتصمها بالزيغ والـــبطلان.. ويعلـــم الله مـــاذا ســـنرى بعـــد عشـــرات العقـــود الأخرى عندما نكتشف تليسكوبا أقوى..

الـــتجربة والمشـــاهدة إذن ليســـتا وســـيلتى العلم القطعيتين والعلم لا ينحصر فـــى الأمـــور الـــتى شوهدت بالتجربة المباشرة، لقد اخترعنا الكثير من الأدوات للملاحظة الواسعة النطاق وللدراسة، ولكن الأشياء التى نلاحظها بهذه الوسائل كثيرا ما تكون أمورا سطحية ومتغيرة بتغير درجة دقة وتقدم الوسائل التى نلاحظها بها، أمـــا النظريات التى نتوصل إليها بناء على هذه المشاهدات فهى أمور لا سبيل إلى ملاحظـــتها، والذى يطالع العلم الحديث يجد أن أكثر آرائه تفسير للملاحظات وأن هـــذه الآراء لـــم تجـــرب مباشرة وإنما تم الوصول إليها بالقياس.. ذلك أن بعض الملاحظـــات يدفـــع العلمـــاء إلـــى الإيمان بوجود بعض حقائق لم تثبتها التجربة المباشـــرة، إن أى عالم من علماء عصرنا لا يجرؤ أن يخطو خطوة علمية واحدة دون الاعـــتماد علـــى ألفاظ مثل القوة أو الطاقة أو الطبيعة أو الجاذبية أو الإشعاع أو الموجـــات الكهرومغنطيســـية.. لكن أى عالم على ظهر الأرض لم ير مباشرة القوة أو الطاقة أو الطبيعة أو الجاذبية أو الإشعاع أو الموجات الكهرومغنطيسية !! .. إن هـــذا العالم لا يستطيع تفسير هذه الألفاظ وما تعنيه إلا بالاستنباط والقياس .. وهى نفس الطريقة التى يصل بها المؤمن إلى الإيمان بالله .... !!! كلاهما قد صاغ كلمـــات تعـــبر عـــن وقـــائع معلومـــة لكى يبين عن علل غير معلومة .. كلاهما لا يســـتطيع أن يـــرى أو يمسك ما آمن به.. وكلاهما يؤمن إذن بما لم ير.. يؤمن بعلل غير معلومة.. علل غيبية..

أليســـت تلـــك هـــى الـــتهمة التى طالما واجهنا بها المتشدقون بالنهج العلمى الرافضون للغيبيات ؟!..

أجـــل، فـــى معظـــم الأحـــوال لا يرى العالم الحقيقة مباشرة بل يصل إليها بالقـــياس والاســـتنباط والاســـتنتاج. والعلـــم الحديـــث لا يجـــرؤ علـــى الادعاء أن الحقـــيقة محصـــورة فـــيما علمـــناه من التجربة المباشرة. إن ذرة الهيدروجين عـــبارة عـــن نـــواة تحـــتوى علـــى بـــروتون واحـــد ومدار يدور فيه إليكترون واحـــد ، تلـــك حقـــيقة لا يجـــرؤ أى واحـــد من البشر على إنكارها، رغم أن أى واحد من البشر لم يرها قط .. !!.. ولا حتى بأقوى مجهر فى العالم ..

يقول الدكتور إليكسيس كاريل : " إن الكون الرياضى شبكة عجيبة من القياسات والفروض، لا تشتمل على شئ غير معادلة الرموز التى تحتوى على مجردات لا سبيل إلى تفسيرها " ..

ويقول الدكتور ا. مانديرا : " إن الوقائع المحسوسة هى أجزاء من حقائق الكون ، غير أن هذه الحقائق التى ندركها بالحواس قد تكون جزئية وغير مرتبطة ببعضها البعض، فلو طالعناها منفصلة عن أخواتها فقدت معناها مطلقا، أما إذا درسناها فى ضوء الحقائق الكثيرة التى علمناها مباشرة أو بالاستنباط فإننا سندرك حقيقتها.."

ثم يستطرد مانديرا قائلا: " إننا نرى أن الطير عندما يموت يقع على الأرض، ونعرف أن رفع الحجر على الظهر صعب، ويتطلب جهدا، ونلاحظ أن القمر يدور فى الفلك ، ونعلم أن الصعود إلى الجبل أصعب من النزول منه، ونلاحظ حقائق كثيرة كل يوم لا علاقة لإحداها بالأخرى فى الظاهر، ثم نتعرف على حقيقة استنباطية هى قانون الجاذبية ، وهنا ترتبط جميع هذه الحقائق فنعرف للمرة الأولى أنها كلها مرتبطة إحداها بالأخرى ارتباطا كاملا داخل النظام، وكذلك الحال لو طالعنا الوقائع المحسوسة مجردة فلن نجد بينها أى ترتيب، فهى متفرقة ، غير مترابطة، ولكن حين نربط الوقائع المحسوسة بالحقائق الاستنباطية فسنخرج بصورة منظمة للحقائق "..

إن الجاذبية لا يمكن رؤيتها قطعا، وكل ما شاهده العلماء لا يمثل فى ذاته قانون الجاذبية، وإنما هى أشياء أخرى، اضطروا لأجلها منطقيا أن يؤمنوا بوجود هذا القانون..

إن نيوتن .. مكتشف قانون الجاذبية .. يتحدث عن اكتشافه قائلا: " إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس وهى تؤثر على مادة أخرى، مع أنه لا توجد أى علاقة بينهما"..

يا قراء ..

يا علماء ..

يا محمد حسنين هيكل ..

هل ينكر منكم أحد قانون الجاذبية ؟!..

الجاذبــية.. تلــك الــنظرية المعقــدة غــير المفهومــة.. والتى لا يوجد أى ســبيل إلــى مشــاهدتها مباشــرة .. نعتــبرها الــيوم – جمــيعا – حقيقة علمية بلا جدال ..

لماذا ؟!..

لأنها تفسر بعض ملاحظاتنا ..

ليســت الحقــيقة العلمــية إذن هــى مــا علمــناه مباشرة بالتجربة.. بل هى اعتقاد يقينى فى وجود حقيقة لا نراها تربط وتفسر ما نراه..

حقيقة لا نراها تربط وتفسر ما نراه ..

ماذا تسمون إنسانا لا يؤمن بنظرية الجاذبية..

الحقيقة التى لا نراها ولكنها تربط وتفسر ما نراه ..

مــاذا تطلقــون علــى الكافــر بهــا والــذى يعلــن أنه لن يؤمن بها إلا إذا رآها..

مــاذا تطلقــون علــى الأحمــق الذى يرفض الربط بين تجلياتها وظواهرها ونتائجها..ويعتبرها غيبا يتنافى الإيمان به مع المنهج العلمى..

أى قــدر مــن الاتهامــات الهائلــة يمكــن أن نواجــه به هذا الأحمق الغبى المأفون ..

هــل تســمح لــى أيهــا القــارئ وهل يغفر لى الله تجاوزى إن أنا استبدلت كلمة الله بكلمة الجاذبية..

يا قارئ..

هــب أن واحــدا اشــمأز قلــبه فقــال أنا لا أومن بقانون الجاذبية ، أو حتى قــال : أنــا أومــن بــه كأمر واقع لكننى ما دمت لا أفهمه لن أرتضى أحكامه.. ســوف أعقــب علــيها.. ســوف أســقطها وسأصــنع قــانونى الخاص الخاضع لتجربتى العملية..

هــبوا أن ذلــك الــرجل الــذى قرر ألا يتحكم قانون الجاذبية فيه خرج إلى شــرفة بيــته.. فــى الطــابق العاشــر أو العشرين.. ثم قرر أن يتحدى القانون الــذى لا يفهمــه.. فخطــى فــى الهــواء ليمشــى –ضد قانون الجاذبية – نحو السحاب..

ماذا سيحدث ؟!..

لن يموت على الفور..

سوف تكون هناك ثوان يسقط فيها..

فـــى هـــذه الـــثوانى ســـوف يـــر ما لم يره أبدا.. وسوف يحس بما لم يحس به أبدا..

ما بين التحدى والهلاك ثوان.. ليست كمثلها ثوان..

يا أمة..

يا قارئ..

يا محمد حسنين هيكل..

لـــو أن واحـــدا مـــنا.. قـــال لنفســـه أنـــه لا يؤمن بالله.. أو كتبه أو رسله أو الـــيوم الآخـــر.. ولـــو أنـــه قـــرر أنه حتى وإن آمن فإنه لا يفهم.. ومن أجل ذلـــك سيســـقط أحكـــام الله.. سينشـــئ أحكامـــه الخاصة الخاضعة لمنطقه.. هبوه فعـــل ذلـــك.. ثـــم انطلـــق فى حياته يمنطقها بمنطقه.. وهو يظن أنه بين السحاب يوشك أن يمسك النجوم..

هـــذا التعـــيس.. فـــى هـــذه اللحظـــة.. يكون قد بدأ سقوطه.. سقوط يستمر أربعين أو خمسين أو ستين عاما..

فما أربعون أو خمسون أو ستون عاما إزاء الأبد..

أهى أكثر من ثوان ؟؟!!..

ثـــوان .. نســـقط فـــيها مـــن أرحـــام أمهاتـــنا .. فيلـــتمع الضوء لحظة .. ثم نسقط فى غياهب القبور..

أوتـــنكرون علـــىّ إن قلـــت لكـــم أن عمـــر أى واحد فينا إزاء الخلد القابع فى الغيب.. ليس إلا لحظة كمثل تلك اللحظة وثوان كمثل تيك الثوانى؟!..

ثوان يتبعها الخلد أبدا .. إما فى جحيم وإما فى نعيم ..

و لكن عميت بصائرنا..!!

كـــلاب للأعاجــم هــم ولكــن ...

على أبــناء جلـــدتهم أُسُـــودُ [1] ...

نَــبَحَ الكلــب مـــن بـــاب ضـــرب وقطع ونَبيح ونُبَاح بضم النون وكسرها وربمـــا قـــالوا نـــبح الكَلْـــبُ والظَّبْيُ والتَّيْسُ والحَيَّةُ، نَبْحاً ونَبيحاً ونُباحاً وتَنْباحاً، وأنْبَحْتُهُ واسْتَنْبَحْتُهُ.

يقـــال: نَبَحَتْنِـــي كِلابُـــك: أي لَحِقَتْنِـــي شَـــتَائِمُك. وأصْـــله من نُبَاح الكَلب، وهـــو صِيـــيَاحُه. ووفـــي التـــنزيل العزيـــز: كَمَـــثَل الكلب إن تحمِل عليه يلهث أوتتركه يلهث..

تـــرى هـــل يجـــوز لـــنا أن نقـــول عـــن بعـــض الكتاب الذين يحادون الله ورســـوله - صـــلى الله علـــيه وســـلم - : نـــبح الكاتـــب نَـــبْحاً ونَبيحاً ونُباحاً وتَنْـــباحاً، ونفاقـــا وكذبـــا وتدليســـا وتزيـــيفا للوعى كما قد يجوز أن نقول أنْبَحهُ المال واسْتَنْبَحهُ الحاكم !!.

لا تحملـــى علـــىّ يـــا أمـــة ولا تحملـــوا علـــىّ يـــا كتاب ولا تحملوا علىّ يا قراء..

لا تحملـــوا علـــىّ لأنكـــم لـــو علمـــتم مـــا علمـــت من حجم جنايات بعض الكـــتاب علـــى الأمـــة وعلـــى التاريخ وعلى الحقيقة وعلى الدين وعلى الله لكنتم أشـــد مـــنى علـــيهم.. ولـــو أنكم قرأتم ما قرأت للعلامة محمود شاكر فى مقدمة كـــتابه المتنـــبى: رســـالة فـــى الطـــريق إلـــى ثقافتـــنا حيـــث يقول مقارنا ثقافة الحضارة الإسلامية بمثيلتها الغربية :

" أقـــول لـــك غـــير مـــتردد أن الـــذى كان عندهم من ذلك لم يكن قط عند أمـــة ســـابقة مـــن الأمـــم، حـــتى اليونان، وأكاد أقول لك غير متردد أيضا أنهم بلغـــوا فـــى ذلـــك مـــبلغا لم تدرك ذروته الثقافة الأوروبية الحاضرة اليوم ، وهى فى قمة مجدها وازدهارها وسطوتها على العلم والمعرفة .." .

---

١ - الشعب : ١٩٩٩/٨/٢٧.

إنـــنى أيهـــا القـــارئ أشـــعر بالخـــزى والعار لأن زمنا مر اهتز فيه إزاء عجــز قومـــى - يقيــنى بذلــك.. فكنـــت كمن يعجز عن التمييز بين قطرة لبن وقطــرة ســم.. وبيـــن عظمـــة أم ودعـــارة داعرة.. ذلك أن عظمة التوحيد فى ديـــنا تنقلـــنا مـــن مراتـــب الحـــيوان إلى مراتب الإنسان.. ومن طبيعة الكلاب إلى طبيعة البشر..

إنـــنى أيهـــا القـــارئ أشـــعر بالعجـــز حيـــن أريد أن أنقل إليك ما وصلت إلـــيه.. إذ كـــيف تـــنقل بحـــرا بكـــوب.. على أن الأمر لا يقتصر على استحالة نقـــل الـــبحر بـــالكوب لأن هـــناك كتابا تدعمهم الدولة والعالم ينقلون فى الاتجاه العكســـى .. أولـــئك أعـــداؤك أيهـــا القارئ.. أعداء الوطن وأعداء الأمة وأعداء الدين وأعداء الله ..

انظـــروا مـــثلا إلـــى واحـــد مـــنهم ينـــبح فى صحيفة أردنية مطالبا بإعادة كتابة تاريخ العرب بعد أن نحذف منه كل ما يذكرنا بما فعله الغرب بنا..!!

وانظـــروا مـــثلا إلـــى واحـــد آخـــر يتـــنكر لكل تاريخنا ويسفه ديننا ، كان الوقـــت قـــد مضـــى، والحـــنظل قـــد أثمر.. كان القومية قد أدت دورها وهدمت دولـــة الإســـلام الواحـــدة.. فأســـفر التنين عن أنيابه وظهر الخبئ.. فالقومية التى طالمـــا أغـــوى أقـــرانه الأمـــة بهـــا قـــد أدت دورهـــا وحان الحين للانقضاض علـــيها.. ولقـــد مـــرت القومـــية بطوريـــن.. امـــتد أولهمـــا قـــرنا مـــن الزمان مـــن ثلاثينـــيات القـــرن الماضـــى حـــتى ثلاثينـــيات هذا القرن.. ابتدأ بالهجمة الصـــليبية - علـــى لبـــنان حيـــن لـــم يكـــن ثمـــة لبـــنان- فمن خلال الجامعة الأمريكـــية خـــرج شـــياطين التبشـــير الداعون إلى القومية.. لم يعلنوا عن حقيقة مـــرامهم فـــى الـــبداية .. بـــل ادعـــوا العكـــس.. قـــالوا أن الثورة على الدولة الإســـلامية الأم فـــيه إحـــياء للعـــرب وللعـــروبة وللقومـــية والإســـلام.. وأنـــه لا انتصـــار للإســـلام إلا بذلـــك.. خدعونـــا فانخدعـــنا.. طـــيلة ذلك القرن كانت القومـــية صـــنو للإســـلام وطـــريقا أرحـــب إلـــيه.. بعـــد انهيار الدولة العثمانية أســـفروا عـــن وجههـــم القبـــيح.. بدأ الطور الثانى الذى مات فى يونيو ٦٧ ودفن فـــى حـــرب الخلـــيج فـــإذا بـــنا بـــلا قومـــية وبـــلا إسلام .. بدأ الطور الثانى فـــى ثلاثينـــيات هـــذا القـــرن فإذا بالقومية مناقضة للإسلام بل وللعروبة أيضا .. وراح ســـلامة موســـى: مســـيلمة الكـــذاب، ســـيد المشركين ورائد المنافقين يهدم فـــى القومـــية لصـــالح الانـــتماء لأوروبا.. طالب بإلغاء الفصحى ونادى بالكتابة بالعامـــية وكـــتابة اللغـــة العربـــية بحـــروف لاتينـــية.. لم تعجبه صلاتنا فابتدع صلاة جديدة يقول فيها :

يا الله : نحن بلاليص فارغة املأنا بنعمتنا السماوية..

يا ألله : أنت الوابور ونحن العربات، جرجرنا لملكوت السما..

يا رب : أنت الحنفية ونحن الجرادل ..

هل كان الكلب يسخر منا أم من الله ؟!..

نبح الكلب.. نبح الكلب ..

فانظروا إلى نبيح واحد من الكتاب تعليقا على هذا الهراء الفاجر وفى مجلة كانت تصدر فى مصر.. :

" ويدل هذا الشىء على شدة عناية سلامة موسى بالمعنى على حساب اللفظ .. وهى عناية كان يتوخاها عامدا، لأن المعنى عنده مقدم دائما على اللفظ .. فالأدب كما قال مرة ليس حلويات يمضغها العاطلون الناعسون وإنما هو كفاح، وبهذا الأسلوب المستنير، عاش سلامة موسى للحياة وأعطى خير ما عنده لبنى وطنه.."..

إننى أريد أن أنبهك أيها القارئ أن معظم الكتاب العلمانيين وهم جل ما تواجهك به أجهزة إعلامنا وصحفنا وإذاعاتنا ومحطات تليفزيوننا هم تلاميذ سلامة موسى يضلون بضلاله ويمشون على دربه..

وأريد أن أنبهك إلى ستة أسماء أرجو ألا تنساها أبدا : الاستشراق والتبشير والاستعمار ثم التعليم والإعلام والثقافة.. ففى هذه الأسماء الستة نضيع.. فيها نضل ونزل.. وفيها هلكنا وبها نهلك..

بدأ الاستشراق فى القرن الثانى عشر بعد فشل الحروب الصليبية.. وكان الصليبيون فى رعب من سرعة استجابة الناس للدخول فى الإسلام فانبروا لدراسة الإسلام ومحاولة تشويهه بالأباطيل حتى يبغضوه إلى مواطنيهم.. وحققوا فى ذلك نجاحا ملحوظا أغراهم فى فترة تدهور وانحطاط أحوال المسلمين إلى نقل جهودهم إلى بلاد المسلمين بالتبشير واستعانوا بالاستعمار فى ذلك.. وعندما استعمرونا قاموا أولا بوضع حدود تناسبهم بين أقطارنا يمثل كل حد منها لغما يفجرونه حين يشاءون ثم قاموا أيضا بتغيير تركيبة المجتمع فسودوا الخونة وقتلوا الأبطال قتل جسد أو قتل روح.. هذه النخبة التى استخلفها المستعمر الصليبى علينا هى التى تحكم أرجاء عالمنا الإسلامى الآن .. تخيل أيها القارئ أن الذى وضع نظام التعليم فى مصر مبشر وقسيس انجليزى اسمه دنلوب .. وعلى هذا النظام مازلنا نسير حتى اليوم.. ومن مصر انطلقت كتائب الفجور والجهل والتزوير لا كتائب الطهر والعلم والتنوير تبث سمها فى كافة أرجاء العالم

الإســلامى.. واتســعت الكارثــة لــيكون تلامــيذ دنلــوب هم المسيطرين على الإعلام والثقافة فى بلادنا ..

***

يقــول الشيخ مصطفى صبرى: شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا فى كتابه : موقــف العقــل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين[1]: " أضعنا الدنيا وأضعنا الفرصة فأصبحنا ألعوبة فى يد الدول الكبرى.."

ثم يواصل :

" إن دولــة الــترك المســلمة الــتى دفاعها بسيفها عن حياض الإسلام ضد أعدائــه يســتغرق الثلثيــن مــن تاريخهــا وتــندرج فى ذلك عند التحقيق أدوار الحــروب الصــليبية الموجهــة ضــد الــبلاد الإسلامية بالنسبة إلى تلك الأدوار فــى ردهــا علــى أعقابهــا.. هــذه الدولــة كــان آخر سلاح حاربتها به الدول الوارثــة لضــغائن تلــك الحــروب ، نشــر الإلحــاد القائم على العلوم والمبادئ الماديــة بيــن أبــنائها المثقفيــن ونشــر المبادئ القومية بين العناصر المندرجة تحــت لوائهــا .. (..) وكفــى الســلاحان فــى القضــاء علــى الدولــة التركية المســلمة.. وكنــت لمــا كنــت فــى بــلادى كافحت هذين السلاحين على طول فــترة انــتقال الحكــم فــيها إلــى أيدى الملاحدة، وكان ظنى عند مغادرة تركيا مهاجــرا إلــى بــلاد العــرب الــتى جــاء نور الإسلام إلينا منهم، أنى أستريح مــن مجــاهدة الملاحــدة ، لكــنى وجدت الجو الثقافى بمصر أيضا مسموما من تــيار الغــرب، فشــقّ هــذا على نفسى أكثر مما شقّ علىّ موقف تركيا الجديدة مــن ذلــك التــيار، كمــا شقّ وقوفى على أن إخوانى العرب يفضلون تركيا هذه علــى تركــيا القديمــة المســلمة، فرأيتهم توغلوا فى تقليد الغرب وسابقوا الترك فــى الافتــتان بــه.. والانقــلاب الــثائر فــى تركــيا حصــل عندهم فى شكل هادئ .."..

ثــم يــبدى الــرجل جــزعه وعجــبه مما يحدث فى مصر بلد الأزهر التى مــا يــزال دســتورها يقــرر أنهــا بلــد إسلامى فيقول : " حالة عجيبة ، لا من ناحــية العمــل بأحكــام الشــريعة الإســلامية وقوانيــنها فحسب، بل ومن ناحية الاعــتقاد والاعــتراف بأصــول الديــن الملخصة فى الإيمان بالله ورسله واليوم الآخــر. فالديــن بكــلا ركنــيه الأساســيين مقذوف به في نظر الأوساط المثقفة المصــرية بــيد العلــم الحديــث الــذي لا يؤمن بغير ما ثبت بالتجربة الحسية ،

---

١ – موقــف العقــل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين – الشيخ مصطفى صبرى: دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان

إلـى عـالم الأسـاطير لا فـرق بيـن مصـر وتركيا الحديثتين في غلبة الإلحاد علـي الديانـة إلا مـن حيـث أن الانقـلاب اللاديني تأسـس في تركيا جبراً مـن الحكومـة مفاجـأة مـن عهدي مصطفي كمال، وفي مصر بالنشر والدعاية المدسوسـة مـن حملـة الأقـلام والمحاربـة من الحكومة المرتبطة هي الأخرى بمحابـاة مـن الغـرب الـذي هو رأس هذه الفتن المدبرة في المملكتين، فإنجلترا انـتهزت فرصـة كـون تركـيا فـي عـداد الدول المغلوبة في الحرب العالمية الأولـي، فسـاومتها بواسـطة مصـطفي كمـال، الـذي وجدته أنصع أهل لهذه المسـاومة، علـي الاحـتفاظ باسـتقلالها، فـي مقـابل التـنازل عـن الخلافة، والـتجرد عـن الديـن، والمشـي فـي السياسة الدولية من وراء الإنجليز، كأنها مولـي العـتاقة لهـا، وتسـني انتشـار الإلحـاد في مصر تحت حماية الإنجليز من غير ثمن مقابل يذكر.

نعـم، إن تركـيا الحديـثة أخسـر صـفقة وأسـوأ عاقـبة من مصر التى أدركـت مـا يضـمر الإنجلـيز مـن البغض العميق نحو المسلمين فأخذت تقابل البغضـاء بالبغضـاء وتكـرهها بكـل قوتهـا علـى أن تكف أيديها عن مصر فـى حيـن أن تركـيا دخلـت فـى حماية الإنجليز ووصايتها وكفرت بنعمة الله التى كانت لها حين كانت دولة إسلامية.

ولقـائل أن يقـول: تجلـو الإنجلـيز بعد الحرب العظمى الثانية عن مصر، لأنهـا بلغـت رشـدها فـى الابـتعاد عـن الديـن، ولم تعد تحتاج إلى شيطان الوصاية "..

فهل أدركت أيها القارئ عمق الكارثة وفداحة الخطب..

كارثة شرذمة العالم الإسلامى وتفريق أمته دولا..

تخـيل أن كـل دولـة مـن دول مجـرى النيل – على سبيل المثال – تفعل فى النيل فى أرضها ما شاءت..

ثـم تخـيل أن كـل محافظـة تفعـل فى الجزء الذى يمر بأرضها من النيل ما شاء لها الهوى..

أتظن أن النيل يبقى بعد ذلك نيلا؟..

أم ماء آسن إن بقى ماء..

فلماذا تظن أيها القارئ أن الوضع يختلف بالنسبة لتاريخنا ..

حين مزقه لنا العدو شر ممزق فتناولناه كما أعطاناه..

فقدنا النظرة الشاملة وتصورنا لكون لا يستوى على عرشه إلا الله ..

استسلمنا لوقوقة الكلاب..

استسلمنا .. نسينا الله فأنسانا أنفسنا ..

نسينا أيضا محمود شاكر .. نسيناه حيا وميتا ..

أنسونا إياه لأنه كان يملك هذه النظرة الشاملة..

يقسم محمود شاكر[1] مراحل الصراع بين الصليبية والإسلام بقوله:

تستطيع أن تتبين أربع مراحل واضحة للصراع الذى دار بين المسيحية الشمالية والإسلام :

* المرحلة الأولى : صراع الغضب لهزيمة المسيحية فى أرض الشام ودخول أهلها فى الإسلام، فبالغضب أمّلت اختراق دار الإسلام لتسترد ما ضاع، وتدفعها بغضاء حية متسامحة، لم تمنع ملكا ولا أميرا ولا راهبا أن يمد المسلمين بما يطلبونه من كتب " علوم الأوائل" ، الإغريق ، التى كانت تحت يد المسيحية يعلوها التراب، وظل الصراع قائما لم يفتر، أكثر من أربعة قرون..

* المرحلة الثانية: صراع الغضب المتفجر المتدفق من قلب أوروبة، مشحونا ببغضاء جاهلة عاتية عنيفة مكتسحة مدمرة سفاحة للدماء، سفحت أول ما سفحت دماء أهل دينها من رعايا البيزنطة، جاءت تريد هى الأخرى ، اختراق ديار الإسلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذى بقى فى الشام قرنين، ثم ارتد خائبا إلى موطنه فى قلب أوروبة.

* المرحلة الثالثة: صراع الغضب المكظوم الذى أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوهجة عنيفة، لكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام مرة ثالثة بالسلاح وبالحرب، فارتعدت لكى تبدأ فى إصلاح الحياة المسيحية، بالاتكاء الكامل الشديد على علوم الإسلام، ولكى تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك موئس، وظلت على ذلك قرنا ونصف قرن.

وهذه المراحل الثلاث ، كانت ترسف فى أغلال القرون الوسطى، أغلال الجهل والضياع، ولم تصنع هذه المراحل شيئا ذا بال.

---

١ – رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا– أباطيل وأسمار– مرجعان سابقان .

* المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، يزيده اشتعالا وتوهجا وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر فى العظام على الترك، (أى المسلمين) وهم شبح مخيف مندفع فلا قلب أوروبة، يلقى ظله على كل شىء ويفزّع كل كائن حى أو غير حى بالليل أو النهار. وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى لم تصنع للمسيحية شيئا ذا بال، فصراع الغضب المشتعل بلهيب البغضاء والحقد هو وحده الذى صنع لأوروبة كل شىء إلى يومنا هذا "..

إننى أناشد كل قارئ لهذا المقال أن يقتنى كتاب محمود شاكر هذا والذى أصدرته دار الهلال كما صدر فى مكتبة الأسرة (لا أدرى والله كيف) .. وأناشد مسئولا فى وزارة التعليم لم يصبه وباء الخيانة أن يدرس هذا الكتاب فى مرحلة من مراحل التعليم بحيث لا ينتهى طالب من تعليمه إلا ويكون قد درسه..[1]

فى إيجاز معجز يلخص لنا العلامة محمود شاكر الأمر كله .. كيف ينظر إلينا الغرب .. لا .. ليس الغرب فقط .. بل وكيف ينظر إلينا حكامنا والمتحكمون فى تعلمنا وإعلاننا وثقافتنا بل كيف ينظر إلينا معظم كتابنا ..

يقول محمود شاكر عن صورتنا عند أعدائنا:

" كان جوهر هذه الصورة المبثوث تحت المباحث كلها، هو أن هؤلاء العرب المسلمين هم فى الأصل قوم بداة جهال لا علم لهم كان، جياع فى صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبى مرسل، ولفق لهم دينا من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه، ولم يلبث هؤلاء الجياع أن عاثوا بدينهم هذا فى الأرض يفتحونها بسيوفهم، حتى كان ما كان، ودان لهم من غوغاء الأمم من دان، وقامت لهم فى الأرض بعد قليلٍ ثقافة وحضارة جلها مسلوب من ثقافات الأمم السالفة كالفرس والهند واليونان وغيرهم، حتى لغتهم كلها مسلوبة وعالة على العبرية والسريانية والآرامية والفارسية والحبشية..

كان جوهر دراسات الاستشراق فى البداية : أنها كتبت للمثقف الأوروبى وحده لا لغيره، وأنها كتبت له لهدف معين، فى زمان معين، وبأسلوب معين، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول

---

١ – رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا– دار الهلال– محمود محمد شاكر .

الموفق إلى حماية عقل هذا الأوروبي المثقف من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب..."

إنني أريد أن أقول لك أيها القارئ في جل أنحاء عالمنا الإسلامي أن ما تسمعه في إذاعات بلادك وما تراه في تليفزيوناته ا وما تنشره عليك صحفك وما يكتبه لك كتابك وما يتعلمه أبناؤك في مدارسهم لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى تزييف وعيك ومنعه من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يحددها النظام العالمي الجديد والعولمة..

أريد أن أقول لك أيضا أيها القارئ أن بعض كتابك ينطبق عليهم الحديث النبوي الشريف : "سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .."

أريد أن أقول لك أنهم لا يكتبون لك بل يكالبونك : كالب الرجل مكالبة وكلابا أي ضايقه مضايقة الكلاب ..

سَمِنَ الكلب بجوع أهله..

في مقالة ماضية ذكرت أن بعض الكتاب قد تجاوزت ثروته من مصروفه الحكومي مائة مليون جنيه وقد تصل إلى مليار جنيه..

أي شيء باعوه..

أي وعي زيفوه..

متوسط ثمن المقال خمسون ألف جنيه ..

المقال الذي يزيفون به وعيك أيها القارئ يدفعون له فيه من دمك خمسين ألف جنيه..

سَمِنَ الكلب بجوع أهله..

كلب أدلعه العطش: أي أخرج العطش لسانه من فمه ..

يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعا لسانه في النار..

يبعث كاتب مقالات التزوير - لا التنوير - يوم القيامة مدلعا قلمه ولسانه ويمينه في النار..

يبعث الجائر - وإن كان ملكا أو رئيسا أو أميرا - يوم القيامة في النار.

يبعث الظالم – وإن كان مستشارا وقاضيا – يوم القيامة فى النار..

يبعث المستكتب المستنبح – وإن حصد كل جوائز الدولة – يوم القيامة فى النار..

ويقول الشاعر:

نكهت مقالهم فوجدت منه : كريح الكلب مات حديث عهد ..!!..

وقحب الكلب أى سعل ومنها امرأة قحبة حيث كانت الداعرات يسعلن حتى ينبهن طالبى المتعة إليهن..

قحب الكاتب أى أصدر صوتا ينبه فيه السلطان أنه مستعد لبيع ضميره وأهله وأمته وعرضه ودينه..

قحب الكاتب – حتى وإن كان مستشارا – حين يكتب فى أكبر الصحف كى يسبغ على حاكم ما لا يجوز إلا لله...

قحب المسئول – وإن كان وزيرا – حين يعترف بالزنا فيضحكون له ويهللون (فالزنا وأى كبيرة من الكبائر دليل قطعى على أنه ليس ظلاميا إرهابيا متأسلما) ..

قحبت الصحيفة التى ابتسرت الإسلام فى الفاشية فقالت:

" ... أما مواجهة الفاشية فهى مسئولية الفكر المدنى " ...

ثم تستطرد لتوضح ما يعنيه بالفاشية التى تكرسها السلطة:

" فعلى مستوى الإعلام أصدر مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون قرارا يفرز الفن الكافر من الفن المؤمن فى قوله أن تراعى البرامج والدراما أن مفهوم الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى يجب ألا يُنظر إليه فقط من منظور فلسفى واعتقادى لكن تتعين ترجمته إلى سلوك يشمل كل مجالات الحياة، وأن الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"...

ثم تستطرد الصحيفة القومية فض فوها وبورك لاعنوها :

" ... وهو ما يعنى فى رأينا أن المنهج الذى مارسته وسائل الإعلام كان أحد المنتجين الكبار للإرهاب فى مصر.."..

قحب رسام الكاريكاتير الذى ابتسر القرآن فى الفلكة فراح يتصدى فى أكبر الصحف لنداء الدكتورة نعمات أحمد فؤاد بالعودة لتعليم القرآن ولأن القحب لا يستطيع مهاجمة القرآن مباشرة فهو يهاجم الكتاتيب والفلكة كناية عن القرآن ..

قحب الصامت عن جريمة مسئول قالت إحدى الصحف أنه هرّب متهمة إلى الخارج بعد أن حصل منها على رشوة مقدارها ثلاثون مليون جنيه.. وأنه بعد أن تلقى الرشوة أدرك خطورة ما فعل .. أدرك أنها تكون القاضية فحاول التراجع لكن اللصة المجرمة كانت قد تحسبت لذلك فسجلت واقعة الرشوة فأسقط فى يده وتوكل على الشيطان وأكمل جريمته .. فلم يحاسبه أحد..

قحب الصحفى الذى هبط به الحقد الأسود إلى ما دون غريزة الحيوان الساعية إلى المحافظة على النوع والتعصب للجنس.. فإذا به يبارك لحبس زملائه وقد يهلل لقتلهم.. ويجعل مانشيت صحيفته الأكبر حربا عليهم وعونا لأعدائهم..

قحب الأجير ينبح على الوقور..

قحبت صحيفة منذ نشأت صحيفة ضرار..

هل رأيت أيها القارئ وهل ترى كيف يندفع قطيع من الكلاب لمهاجمة فريسة وتمزيقها

وهل رأيت أيها القارئ وهل ترى كيف يندفع قطيع من الكتاب لمهاجمة شخص أو رأى ..

هل حاولت أيها القارئ أن ترى اليد المحركة لهم.. هل حاولت أن تتلمس اتجاههم..

إنهم ليسوا أنصار ديموقراطية - وإلا ما سكتوا عن كل هذه الدكتاتورية - ولا أنصار حرية - وإلا ما سكتوا عن كل هذه العبودية التى ترسف فى أغلالها الأمة والأوطان- ولا أنصار طهارة - وإلا لما ارتكبوا كل هذا الدنس- ولا أنصار علم - وإلا لما كانوا بكل هذا الجهل - ولا أنصار تنوير - وإلا لما كانوا روادا للتزوير - وإنهم ليسوا مع اشتراكية ولا رأسمالية.. إنهم ضد الله ..إنهم عبيد الشيطان.. إنهم صنيعة

الصـــليبية وثمـــرتها المـــرة.. إنهـــم تلامـــيذ دنلـــوب وصـــبيان زويمـــر وجند كرومـــر.. إنهـــم العســـابير (العســـبورة ولـــد الكلـــب من الذئبة) التى تسلطت عليـــنا كـــى تخدعـــنا عـــن أمـــرنا وكى تنسينا موضعنا فى هذا الكون كخير أمة أخرجت للناس..

تخـــيل أيهـــا القـــارئ لـــو أن مجدى حسين باع الآخرة واشترى الدنيا وأيدْ إسرائيل وأمريكا..

أى دفـــاع محمـــوم – كلـــه بـــاطل كانوا سيدافعون به عنه مهما ارتكب–.. وتخـــيل أن يوســـف والـــى هجـــر إســـرائيل وأمريكا وهاجر إلى الله.. هل كانوا سيقبلون منه توبة..؟!..

إنهـــم يتســـترون خلـــف ألـــف ســـتار يخفـــون بـــه دنسهم.. تحميهم أجهزة الدولـــة.. وتحمـــيهم أمـــريكا وإســـرائيل وتحمـــيهم الصـــليبية.. وتغسل أجهزة الإعلام دنسهم .. جاهلة أو متجاهلة أن الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل..

***

فـــى روايـــة ســـلوى بكـــر ليل ونهار[1] يعود البطل زاهر كريم من الخارج محمـــلا بملاييـــن كثـــيرة، يتصـــل بمجلـــة لـــيل ونهار لإجراء مسابقة جائزتها ملـــيون جنـــيه لأفضـــل اقـــتراح عـــن فكـــرة مفـــيدة مبـــتكرة لصالح المجتمع أو بعـــض الـــناس فـــيه، علـــى أن يـــتكفل هو بتنفيذ هذه الفكرة فى حدود مليونْ جنـــيه أخـــرى بعـــد وصـــول آلاف الخطابـــات التى تساعده فى فرزها وتبويبها الصـــحفية المبـــتدئة يـــدور الحـــوار بيـــن زاهـــر كـــريم وبين الصحفية، فيقول بمرارة :

– المسألة مخيفة فظيعة جدا..

تساءلت :

ما هو المخيف والفظيع ؟..

رد مستنكرا سؤالى:

– ألـــم تلاحظـــى مـــا هـــو المخـــيف الفظيع؟.. كل هذه الخطابات لا يوجد بيـــنها خطابـــان مـــتفقان علـــى فكرة واحدة.. ألا تدركين معنى ذلك؟.. ألا يعكس هذا شيئا مخيفا فظيعا ؟.

لم أفهم مقصده على وجه التحديد، فقلت مدافعة عن غياب التشابه:

---

١ – روايات الهلال. العدد ٥٧٨.

- الناس لديها أفكار كثيرة مختلفة ومتباينة، وهذه مسألة صحية ولا أجدها مخيفة أو فظيعة..

- هذا غير صحيح، الناس عادة تتفق، تخلق أشياء وعوالم مشتركة، وتنتج أفكارا متقاربة، إذا كانت تعيش حالة من التفاعل والتمازج، إن هذا هو الطبيعي بالنسبة لأى جماعة بشرية يربطها ماض مشترك وحاضر مشترك وتعيش على أرض واحدة هل وجدت فكرة مشتركة بين جميع هذه الخطابات ؟..

قلت بعد تفكير:

- فى معظمها أفكارا تعبر عن الصالح العام..

- الصالح العام؟..

تساءل ثم واصل:

- إن هذه الخطابات لا تعكس بأى حال من الأحوال فكرة وجود هدف كبير مشترك على مستوى المجتمع ككل، لم تكن هناك فكرة تتعلق بمستقبل البلد،الوطن، المجتمع، بعبارة أخرى ليس هناك مشروع.. أين هؤلاء الملايين الذين ظلوا موجودين تحت دائرة الضوء يصنعون التاريخ، أين الذين كانوا فى الماضى يخرجون فى المظاهرات يتحدون البنادق والرصاص؟.. أين أولئك الذين كانوا يؤثرون فى صنع القرار؟.. يغيرون حكومات ووزراء ودول؟.. هل ابتلعهم الطوفان؟.. هل اختفوا فجأة من على خريطة الأحداث وكأنهم لم يكونوا أبدا؟.. كنت دائما أحلم بأن أستكمل ما بدأه جدى وأبى، أن تكون لنا صناعة مستقلة قادرة على المنافسة، وصنع اقتصاد مستقل متين، لكننى كلما توغلت فى دنيا الأعمال أكثر، أشعر أن حلمى يبتعد، وأن قدمى تغوصان فى عالم تحكمه قوانين السمسرة والعمالة والارتباط بالغريب فلا أعرف بصراحة إلى أين يسير مشروعى فى النهاية..

ولا ترد الصحفية عليه وإنما تحدث نفسها :

" لا أعرف من أين أبدأ الرد على كلامه، هل أحدثه أولا عن الملايين، التى باتت الآن الأغلبية الصامتة؟.. الأغلبية التى جرحت وسحقت لحد الانسحاق، بسبب فنون وشطارة السياسة الحديثة، وأساليب التهديد والوعيد بكل الأشكال والطرق؟.. هل أقول له أن هذه الملايين يئست من كل إصلاح بعد أن ظلت تدفع الثمن طوال سنوات وسنوات من دمها، ولم يتبق لها إلا لعق الجراح؟.. أنت يا زاهر كريم لا تعرف ما الذى حدث هنا، أنت لا تدرك مدى المأساة ومدى المهزلة..

***

هـل تدركـون أنـتم يـا معشـر المثقفيـن والكتاب، أو يا معشر المثقفين الكـتاب مـدى المأسـاة ومـدى المهـزلة ؟؟ المأسـاة والمهزلة التى تصنعونها وتضيفون عليها كل يوم بممارساتكم

* * *

فـى كـتابها النهائـي (المبتسـرون) الـذى انـتحرت بعـده تقول أروى صالح :

" لـم يعـد هـناك حلـم مشـترك، بل خوف مشترك من الخواء الذى يحل بعـد ضـياع الأحـلام، مـن عـدم الأمان الاقتصادى، ومن الوحدة التى تكتسح مجـتمعا يـبدو الجمـيع فـيه منشـغلا بنفسـه وقد فقد الموضوع مع ذلك، ليس لديـه مـا يتبادلـه مـع بعضـه الـبعض سـوى الشكوك أحيانا والمنافع طول الوقـت، الأفكـار فـيه تـرف غريب فاقد المعنى، شأن الواقع نفسه الذى لم يعد أحد يحلم بالخلاص من سطوته .." .

وتواصل أروى صالح:

" وسـط الانهـيار العظـيم، أخـذ الجمـيع يبحث عن أرض مضمونة يسند علـيها قدمـيه اللتيـن اتضـح أنهما كانتا معلقتين فى الهواء، وفى واقع انعدمت فـيه كـل أرضـية مشـتركة بيـن أفـراد المجـتمع بأسره، حيث الهم الوحيد الحقـيقى هـو أن يؤمـن كـل فرد نفسه ماديا، أصبحت الأسرة – بعد الشغل – هـى الحصـن الرئيسـى للفـرد الـذى لـم يعـد ينتمى فى الواقع إلا لأسرته، الأرض الحقيقـية الوحـيدة تحـت قدمـيه، وهـو ما لم يمنعها من أن تبلغ ذروة مـن الـتحلل لـم تعـرفها بلادنـا مـن قبل ولم يكن الثوريون السابقون استثناء مـن هـذا البحـث عـن جزيـرة صـغيرة خاصة يقف عليها المرء وسط هذا الطوفان، بل لعل حاجتهم كانت أشد ضراوة

* * *

لقـد كانـت إدانـة أروى صـالح لكم يا معشر المثقفين إدانة هائلة لم يكلف أحدكـم نفسـه عـناء الـرد عليها أو أنكم خشيتم مواجهة من تعلمون أنها صادقة فأحطتم كتابها بالصمت حتى انفجر ذلك الصمت بانتحارها..

* * *

يـا معشـر المثقفيـن والكـتاب لـم نكن حتى نطالبكم بمشروع قومى، كنا فقط نرجو أن تكفوا عن تكبيلنا بأساليبكم المجرمة..

فهـل كـنا علـى صـواب فى هذا الأمل؟ أم أننا تجاهلنا أن الإنسان وحدة متسـقة وكـل لا يـتجزأ، وأنـنا لا نسـتطيع أن نصـوم بالنهار ونصلى لنزنى باللـيل ونكـذب، الإنسـان وحـدة متسـقة، ولأنكـم رضيتم أن تكونوا للسلطان خدمـا بكـل مـا تحويـه كلمة الخدم من معان العبودية المطلقة الموغلة فى القدم فقـد كـان يسـتحيل علـيكم فعـل أى شيء آخر، فالإنسان إما أن يعبد الله وإما أن يعـبد قيصـر، ولقـد اخـترتم أن تعبدوا قيصر، وكان لابد مع اختياركم هذا أن تكونـوا مسـطحين مشـوهين بـلا مـبادئ ولا قـيم ولا مـثل ولا ثقافـة ولا وطنـية ولا ديـن، إن العملـة الرديـئة تطـرد العملـة الجيدة من السوق، واللاعـب السـيئ هـو الـذى يفـرض مسـتوى اللعـب لا اللاعـب الماهر، والمـناقش الجـاهل هـو الـذى يحدد مستوى الحوار، والمثل السيئ فى مسرحية يهـبط بمسـتوى الأداء حـتى للعمالقـة، ولقـد كـان مـن تأثير التلوث الثقافى والقـيمى الـذى نشـرتموه فـى الأمة أن أفقدتم الجميع الثقة بالجميع فجعلتم منْ الكـل جـناة ومـن الكـل مجنـيا عليهم، لم يعد فى المجتمع مثل أعلى، لا كفرد ولا كقـيمة، فرضـتم العـزلة علـى الآراء الحرة والصحيحة، خنقتموها فازدهر النبـت الشـيطانى وترعـرع، ومـن أجـل سيدكم ومولاكم يا خدم السلطان كان ديدنكـم فـرق تسـد، فـرق يبق مولاك فى أمان، اسخر من الكل وشوه الكل كى لا يملكوا فرصة الاجتماع، ففى اجتماعهم الخطر كل الخطر على مولاك..

يا معشر الكتاب والمثقفين : من اصطنعه السلطان صبغه الشيطان..

فيا مصبوغين .. أنتم تنهشون أمتكم ..

***

تهـش الكلـب نـبح الكلـب نـبح الكلـب فيا جل معشر الكتاب والمثقفين اسكتوا مشقوحين مقبوحين منبوحين ..

***

فلنعد مرة أخرى إلى العلامة محمود شاكر:

" ... وإذا كـان هـلاك بعضـي قد أفزعنى إلى التأمل ، فإن هذا قد أفزعنى إلـى النظر ومراجعة أمر مصيرنا ومصير أبنائنا من بعدنا. فنحن نعيش فى عالم يتربص بنا الدوائر، وإن زعم بعضنا لبعض أحيانا أننا بعض هذا العالم، وأننا على مدرجـه إنسانية شاملة من التطور.... كلا ، بل هو عالم يريد أن يبتلع عالما آخر: أن يفترسه، ثم يقضقضه، ثم ينهشه، ثم يبتلعه بضعة بعد بضعة ....."

" مـن أشـد الغفلـة أن نعـيش هـذه الأيام المظلمة بأعين مفتوحة وقلوب مغلقـة. فالقلـب إذا أغلقـت الأبـواب على بصيرته، فلم يعد له نور ينبثُّ وينفذ إلـى أعمـاق الحـوادث العظـام الـتى تحيط به من كل جانب، كانت العين بعد ذلـك أداة مجـردة مـن الإحسـاس، مكفوفة عن النفاذ واللمح، لا تكاد تدرك مما تـرى وتبصـر سـوى الظواهـر الخداعـة. وعـندئذ يصبح الزمان حطاما من السـاعات والأيـام، وركامـا مـن الشهور والأعوام، وتصبح الأشياء كلها صفا واحـدا، ونمطـا متشـابها، قـد خـلا من الروابط، وعُـرِّىَ من الأسباب. وإذا بلـغ الأمـر بـنا هـذا المبلغ، فقد يكون من أكبر الجهل أن يُسمى هذا (غفلة) ، إنمـا هـو ضـرب مـن المـوت يصـيب الحـىّ، وينقله إلى لحد مظلم لا تراه العيون، وهو بعدُ مقيم على ظهر الأرض يسعى أو يتحرك أو يتكلم . " .

***

فيا بعض معشر الكتاب والصحفيين ..

اتقوا الله فينا.. فى الأمة والله والدين والوطن..

كفوا عن النباح بأصوات الأعاجم..

كفوا عن الاستئساد علينا ..

ولا تكونـوا مـن وسـمهم القـرآن الكـريم : كَمَـثَل الكلب إن تحمِل عليه يلهث أو تتركه يلهث..!![1]

---

١ - يبدو هذا المقال الذى نشر قبل انفجار أزمة الوليمة بتسعة شهور فى إدانته العنيفة للمثقفين التنويريين وكأنه نشر بعد انفجار الأزمة لا قبلها!!. راجع الملف الخاص بالوليمة فى نهاية الكتاب.

صراط المغضوب عليهم .. والضالين[1] ..« ١ »

انفجرت فى الضحك أضحك الله سنكم..

يكاد الضحك الغالب علىّ يمنعنى من كتابة المقال..

كان اليوم يوم خميس كما جاء فى صدر الصحيفة القومية – هذا لو صدقت الصحيفة !!– .

وكان رئيس التحرير يكتب مبشرا بالتغيير الوزارى الذى ينتويه الرئيس..

أذهلتنى المفارقة فضحكت..

ذلك أن أول واحد تنتظر الأمة – على جمر – أن يشمله التغيير هو رئيس التحرير نفسه..

أذهلتنى مفارقة قدرة هؤلاء الناس أن يحتفظوا بكل هذه الشفافية لكن فى الاتجاه المضاد.. فضحكت.. .

اندفع بيت شعر لنزار قباني يتراقص أمامي .. .. حاولت أن أستنقذ من تلابيب الذاكرة عنوان القصيدة أو أبياتا أخرى لكنها استعصت علىّ..

كان بيت الشعر يقول:

ولم أر إلا جرائد تخلع أثوابها الداخلية..

تأملت خيال الشاعر فضحكت.. ضحكت .. .. ضحكت..

***

رحت وأنا من الضحك فى غاية أقرأ أحمد مطر:

لماذا كلما أمعنت في قتل الذباب ..

وانتقاد الاغتصاب..

أبدت إشمئزازها مني المفاسد..

والمراحيض التي تدعى جرائد..

لماذا كلما غطيت ثقب الزندقة جرحت أمزجة العهر..

---

١ – الشعب: ١٩٩٩٩/٩/٣

ولاكتنـي الفروج اللبقة..

أمن الفحشاء أن أستنكر الفحش..

وأدعو العيب عيبا..

أيسمى الصدق سبا..

حسنا . .

هذى حمير نهقت . . ماذا تسمون الحمير الناهقة؟!..

قرأت ذلك مستعيدا شطرة المراحيض التى تدعى جرائد ..

فضحكت.. ضحكت ضحكت..

***

رحـت أتـأمل مـا قـرأته فـى الأسـابيع الماضية وما أتوقع أن أقرأه فى الأسـابيع التالـية فقلـت لنفسـى أن مـنظر الأسـد العجوز الذى سقطت أنيابه وانـبرت مخالـبه مـنظر مأسـاوى لكن وقع المأساة لا يخلو من السخرية حين يتسول ذلك الأسد طعامه من الكلاب .. فضحكت..

وقلـت لنفسـى أن عـبقرية الديـن والأحاديـث الدينية كجواهر الأرض لا تـبدى لـنا بهاءهـا إلا إذا احتكـت بالـتجارب.. ومـن تلـك العبقريات اشتداد غضـب الله علـى شـيخ زان.. فغضـب الله علـى الزناة جميعا لكنه يشتد على الشيوخ حين تتم الخيانة بلا أى مبرر..

وقلـت لنفسـى أنـه مـرفوض أن تمتهـن بنـت العشرين الدعارة .. لكن المذهل حقا أن تمتهنها ابنة السبعين..

فضحكت..

***

يـوم السـبت كنـت مـا أزال أضحك – كان اليوم يوم سبت على عهدة الجريدة القومية الكبرى – عندما قرأت مقال رئيس تحرير آخر...

لقـد فقـدت الـثقة حـتى فـى أيام الأسبوع وتاريخ الأيام التى تورِدها تلك الصـحف فـربما قـرأت العـدد القادم فى الأسبوع الماضى وربما قرأت صحف السـبت يـوم الأحـد وصـحف الخميس يوم السبت.. .. لذلك أناشد القارئ ألا يحـاول اسـتنباط اسـم شـخص مـا لم أذكره بصراحة..لأننى أتناول النمط لا الشخص..

رحت أقرأ الجريدة..

أدهشتنى قدرة هؤلاء الناس على ألا يرتكبوا صوابا ولو بالمصادفة..

أن يسيروا دائما على صراط المغضوب عليهم والضالين ..

قلت لنفسى أن الساعة المتوقفة تماما عن العمل ترتكب الصواب مرتين كل يوم.. لكن هؤلاء الناس لا يصيبون أبدا .. أبدا..

تعانقت شطرتان من بيتى شعر عن المراحيض التى تدعى جرائد وعن الجرائد التى تخلع أثوابها الداخلية وراحتا تتراقصان أمامى..

فضحكت..

***

رحت أتصفح الصحيفة فإذا بكل الأقلام مجندة .. ليس لتحقيق التقدم الداخلى أو الخارجى.. ليس للعثور على علية العيوطى – ولن يعثروا عليها أبدا مادام : حاميها حراميها !!– أو للمطالبة بمحاكمة المسئول الذى ساعدها على الهرب دون معقب عليه، ولا لوقف التعذيب فى السجون ولا للإفراج عن المعتقلين دون أحكام ، ولا للمناشدة بوقف التزوير فى الانتخابات والاستفتاءات، لم تجند الصحيفة أقلام كتابها لأى من ذلك..

بل جندتها لاغتيال مجدى حسين[1] ورفاقه..

يقتلون رجلا أن يقول ربى الله ..

قيل ادخل الجنة..

قلت لنفسى : يهلكنا من أهلك من قبلنا .. وضحكت..

نصّب كاتب (أرجو عدم نسيان الشدة على الصاد وإلا اتهمت بالعيب فى الذات الصحفية وأحلت إلى القضاء لأسجن) .. أقول نصّب كاتب من نفسه قاضيا فراح ينصح قضاة مجدى حسين بإعادة محاكمته لأنه صرح أنه يرفض الحكم ويعترض عليه..

ضحكت..

الغبى لا يدرك أن نصيحته هذه فى عرف القضاء مرفوضة..

والغبى لا يدرك أن القضاء – العظيم الشامخ العادل الـ .. الـ .. الـ .. هو الذى وضع آليات النقض ، وما النقض إلا اعتراض..

---

١ – رئيس تحرير صحيفة الشعب المصرية، وكان مسجونا آنذاك فى قضية الدكتور يوسف والى، وقضيته تصلح كنموذج للدراسة عبر الأجيال، لقد قضت محكمة النقض ببراءته فى كل القضايا التى وصلت إليها، وكانت السلطة مصرة على حبسه كل مرة.

والغبي يجعل من القاضي إلها لا اعتراض على قضائه.. والغبي نفسه يعتبر التسليم بقضاء الله إرهابا وتخلفا وجمودا..

حمدت الله أن الغبي ليس قاضيا وإلا لصدق فيه شعر محمود درويش:

ما الذي تطلبه يا سيدي القاضي من العابر بين العابرين؟..

في بلاد يطلب الجلاد فيها . .

من ضحاياه مديحَ الأوسمة!!..

آن لي أن أصرخ الآن وأن أسقط عن صوتي قناع الكلمة..

هذه زنزانة يا سيدي . . لا محكمة . .

أنا الشاهد والقاضي . .

و أنت الهيئة المتهمة!!..

* * *

محمود السعدني[1] – ويا لقلبه الشفوق الرفيق– يطالب الشعب بأن تنشر اعتذارا ليوسف والي ثلاثة مرات بأبناط ضعف ما كانت تنشر بها ضده .. وبعدها فقط يمكن لهم أن يتوجهوا ليوسف والي ليطلبوا منه الصفح والمغفرة..

بلغت شفقة الولد الشقي أنه لم يطلب منهم أن يحملوا أكفانهم أيضا .. واكتفى بأن يحمل هو أكفان النزاهة والشرف...

فضحكت ..

* * *

كويتب آخر يتملق الشيطان فيهاجم صحيفة الشعب .. وكويتب يهاجم إبراهيم نافع.. وكويتب يهاجم المجلس الأعلى للصحافة.. لم أحتمل مواصلة مقاله فعدت إلى ديوان أحمد مطر[2] :

آه يا مرتزقة . .

ياجنادير . .

---

١ – صحافي مصري معروف، يكتب الآن في صحيفة أخبار اليوم ومجلة المصور وصحف أخرى عديدة، سجن في عهد السادات في قضية مراكز القوى، عمل بعد ذلك في الخليج والعراق ولندن حتى عاد في عهد مبارك، وهو كاتب ساخر، لكنه لم يكن معارضا أبدا.

٢ – ديوان: لافتات أحمد مطر– شاعر عربي معاصر شهير يعيش في المنفى، وأشعاره ممنوعة في معظم الدول العربية .

ياجرائيش . .

يا أصائيل مرابد..

يازبالات الموائد

كم تطوعتم لا لتحرير الجماهير بل لتحرير الصكوك..

كم جعلتم شعبي المسحوق . . .

مسحوقا لتجميل قباحات الملوك..

كم أقمتم في بيوت الشعب باسم الشعب . . .

والشعب بقعر السجن راقد..

دمه من فوقكم . . . من تحتكم..

من حولكم . . . بين أياديكم . .

على المأساة شاهد..

منذ أجيال وشعبي . . .

فوق سندان الحكومات..

وأنتم فوق شعبي مطرقة..

منذ أجيال وأنتم تستريحون على أكتاف شعبي المرهقة..

وتدورون بسوح المهرجانات سكارى..

كالكلاب الشبقة..

وتبولون عليه الكلمات الزلقة..

فمتى كان لكم ذوق . . . لكي تتهموا ذوقي بسوء الذائقة؟..

ومتى استاء من البصق . . . جدار المبصقة؟..

وضحكت.. ضحكت..ضحكت..

***

كان القارئ يقول على الهاتف حزينا :

- لماذا تكره الكلاب كل هذه الكراهية ؟!..

خشيت أن أبوح له بما فى قلبى فصمتّ .. فواصل هو معاتبا:

- عندما أشاهد بعض البشر حولى - أو أقرأ لهم - أحترم الكلاب ..!!..

ولم أحر جوابا فرحت أتلو عليه قصيدة لنزار[1] :

الدولة تحسن تأليف الكلمات..

وتجيد النصب.. تجيد الجر ..

تجيد استعراض العضلات..

لا يوجد شعر أسوأ من شعر الدولة..

لا يوجد كذب أذكى من كذب الدولة..

لا أحدّ يرقص بالكلمات سوى الدولة..

لا أحدّ يزنى بالكلمات سوى الدولة ..

ثم ضحكت ..!!..

***

وجدت نفسى أقف فى صف إبراهيم نافع ..

فضحكت..

وجدت نفسى أطالع هجومهم على إبراهيم نافع .. .. فضحكت..

نفس الأسلوب الحيوانى المجرم الكذاب المجنون اللاأخلاقى الذى هاجمونا به.. ولو أتيح للقارئ أن يقرأ كلامهم دون أن يعرفهم لظن أن إبراهيم نافع قد تحول إلى زعيم من زعماء الإرهاب (هم وحدهم الذين يعرفون حقيقة دوافعه وسيكشفون عنها فى الوقت المناسب) .. والحكاية أن إبراهيم نافع قد تورط فى جريمتين لا يمكن غفرانهما له من عبدة الشيطان: الجريمة الأولى هى الأساس الذى حولهم ضده وقلبهم عليه لكنهم لا يستطيعون الحديث فيها فسوءاتهم فيها بادية .. لكنهم يستطيعون تحميل غضبهم على الجريمة الثانية وهذا يمنحهم أمام السلاطين ميزة أنهم يدافعون عنهم .. كانت جريمة إبراهيم نافع الأولى أنه نشر عن جريمة إهدار للمال العام فى مؤسسة كبرى يرأسها مملوك منهم (المنطق يقول أن هذا أساس عمل الصحافة) لكنهم لا ينظرون للأمر كصحفيين (وربما هم أنفسهم لا يصدقون أنهم صحفيون) بل كعصابة لصوص ..

---

١ – من أشهر الشعراء العرب فى العصر الحديث، بدأ شعره فى أغراض الغزل المكشوف، توفى ابنه فى القاهرة، وزوجته فى بيروت بقصف مدفعى، وكان لكا حادث أثر عميق على شعره، حيث تحول إلى حاملٍ لهموم الأمة وانعكس ذلك على شعره الساسى.

ولا ينظرون إلى إبراهيم نافع كرئيس مجلس إدارة ونقيب وإنما ينظرون إليه كزميل فى العصابة خان عهد الشيطان بينهم فأبلغ العسس عنهم.. لكن ما ذنب إبراهيم نافع إن كان صحفيا حقا وليس لصا مثلهم.. كانوا متورطين محاصرين .. ولم يكونوا يستطيعون التبجح بوجوههم وظهورهم عارية..كانوا فى مأزق.. لم يكونوا يستطيعون مهاجمة إبراهيم نافع لأنه كشف للدنيا أنهم لصوص.. لذلك كظموا الغضب الناتج من حنقهم عليه لكشفهم ليسقطوه على قضية مجدى حسين ففى تلك القضية تستند ظهورهم وتتغطى بالسلاطين .. ولقد دفعهم هذا المأزق إلى تناقض مأساوى .. لقد كتلوا كل جهودهم كصحفيين لا لمناصرة زميل لهم دخل السجن.. بل لمطالبة إبراهيم نافع كنقيب ومسئول فى المجلس الأعلى للصحافة بإعادة محاسبة مجدى حسين وعقابه..!!..

قلت لنفسى أن الكلاب قد تتعارك مع بعضها لكنها حين تهاجمها الذئاب تتحالف ضدها ..

وقلت لنفسى أن الزمن القادم سيسجل هذه العجيبة عندما انبرى نقيب الصحفيين ومعظم الصحفيين معه لاستصدار قانون لصالح الصحفيين فإذا بعصابة تتنابح عليه وتكيل له الاتهامات..

إن اختلافى فى الفكر والتوجه مع إبراهيم نافع لا يحتاج إلى تدليل . لكنه كان اختلافا مع إنسان يمكن أن تختلف معه وأنت تحترمه .. مع إنسان لجأ إلى صناديق الانتخاب فنجح.. .. بينما هم لو رشحوا داخل بيوتهم لما نجحوا..

***

ضحكت..

أذهلتنى المفارقة فلجأت إلى كتاب " فئران البراميل" إعداد فريق من الخبراء بإشراف وتوثيق الأستاذ أسامة عرابى (وهو كتاب تحت الطبع) ....

والكتاب يتناول الملفات السرية للصحافة المصرية، ويسرد ما يسميه أسرار وحقائق عن معظم صحفيى مصر وعن – مؤسسة الأخبار، الأهرام، روز اليوسف– وعشرات الصحفيين النفطيين فى مصر.

يقـول الكاتـب : " فـى مصـرنا المحروسـة باللصـوص والأفاكين الآن، نمطـان لا ثالـث لهمـا مـن الكتاب والصحفيين: أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمـن الـتى تـنهض بمهمـة تعييـنهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى، بعـد أن امحـت تماما الحـدود الفاصـلة بيـن عمل المخبر الصحفى والمخبر السـرى. والـنمط الـثانى يسـتمد نفـوذه وقوتـه من علاقاته المشبوهة بقوى كونـية مهيمـنة علـى مقـدرات البلاد والعباد وهى - بلا ريب - أمريكا ومن ورائهـا إسـرائيل. أمـا مـن ارتضـى لنفسه الاختيار الصعب، وهو أن يعيش شـريفا عفـيفا، صـاحب مـبدأ وموقـف، فمكانـه الأوحد الانزواء فى غياهب النسيان، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه ."

***

قرأت .. فعرفت .. ففهمت .. فضحكت..

***

سـوف نعـود إلـى أسـامة عـرابى لـنطالع معـه إلـى أية هوة سحيقة انحدرنا..

لكـن بقيـت غصـة حقيقـية تجـاه محمـود السعدنى.. وهو الوحيد الذى أتناولـه باسـمه فهـو بالـرغم مـن كل شئ من فصيلة يمكن أن تختلف معها.. والاختلاف نوع من الاحترام.. وأنت لا تحاور من تحتقر بل تبصق عليه..

محمود السعدنى: الشتام الكبير والساخر الأكبر..

وعـندما يـتهم محمـود السـعدنى شخصـا آخـر بأنه يشتم أو يقذف فتلك نكتة..

فـإذا كـان هـذا الشـخص هـو مجـدى حسين فإن هذه النكتة تكون أكبر نكتة فى حياة محمود السعدنى..!!

ومحمـود السـعدنى رجـل الاختـيارات الخاطـئة طول عمره لكنه مارس هـذه الاختـيارات بعـذاب لا يوصـف.. وكـان هـذا العذاب كفيلا بدفعنا إلى الـتعاطف معـه رغـم الاعـتراض علـيه.. ولقـد نجح فى أن يفجر منا أعتى الضـحكات وهـو يسـخر من الآخرين ويقذف فى حقهم ويسبهم كما نجح أيضا فـى اسـتدرار دموعـنا وهـو يـتحدث عمـا لاقـاه مـن مذلة وعذاب وهوان وهـو يتـنقل فـى منافـيه.. ثـم وهـو ينتظر أعطيات أمير أو رئيس أو ملك كى يكمل علاج ابنته فى لندن..

أعترف أنني بكيت معه وهو يحكي تفاصيل الألم الذي كابده وهو يترقب – بعد شقاء لا حد له – هل ستستطيع ابنته السير..

كانت الاختيارات الخاطئة تدفعه من مأزق إلى مأزق أشد..

كان قد فقد المرجعية التي تجعل لفكره إطارا متماسكا ولم يعد له من مرجع سوى الهوى والفطرة التي كانت تصيب أحيانا وتخيب في غالب الأحيان..

ولقد كنت معجبا بمعارضته لمواقف السادات تجاه أمريكا وإسرائيل رغم شك – (تأكد الآن بعد موقفه من مجدي حسين ويوسف والي) في أنه لم يعارضه إلا لأنه لم يجد دورا في حكمه ..

ويالها من مأساة أن يفقد السعدني دنياه كلها والله أعلم بآخرته بمعارضته للسادات من أجل موقف السادات من إسرائيل وأمريكا ثم يتخذ هذا الموقف الآن مع يوسف والي..

مهما كانت الآراء فأحسبها جميعها تتفق أن السادات لم يبلغ في علاقته بإسرائيل أبدا ما بلغه يوسف والي..

يالها من مأساة أن يحول حياته كلها بموقفه الأخير ذاك إلى عبث لا يطاق ولا يعقل ..

لقد كنت أتجنب – احتراما لما عاناه ولشيخوخته – أن أتعرض لمواقفه ..

لم أتصل به إلا بعد أن كتب عن أحد كتبي .. وبرغم أسلوبه الساخر فقد كان يبدي إعجابه .. ودار أغرب حوار يمكن أن يدور بين كاتبين.. إذ قال :

– أي نوع من الحشيش تشرب؟!..

فقلت له:

– بل لم أر الحشيش في حياتي..

فقال بذهول:

أنت كذاب وأنا لا أصدقك..

أخذت فسكتّ فواصل هو قائلا بنفس الذهول (والمصيبة أنه حقيقي):

- كيف تكتب إذن مثل هذه الكتابة المتدفقة دون حشيش..

قلت له (مذهولا أنا هذه المرة) :

- بل كيف يستطيع من يشرب الحشيش أن يكتب أصلا ..

فانفجر ضاحكا.. ثم واصل:

- إن كنت تخشى من مراقبة تليفونك فلا تخف .. اعترف.. اصدقنى القول أى نوع تتعاطى.. فهو نوع فاخر فعلا..

أرتج على القول وهو يلح فى دعوتى للقائه للاستمتاع بمآدبه وحديثه ويحدثنى عن أصدقائه ويشرح لى أن إبراهيم نافع صديقه غير إبراهيم نافع الصحفى .. ثم واصل القول :

- لا تخش من حشيشنا فإنه حشيش شرعى..

وضحكت.. ضحكت .. ضحكت..

وواصل هو:

- هل تعرف الحشيش الشرعى ؟!..

فقلت له :

- أنا لا أعرف الحشيش أصلا حتى أعرف الشرعى من غير الشرعى ..

فإذا به يقول:

- الحشيش الذى أستعمله شرعى لأنه مستورد من وزارة الداخلية رأسا ..!!

وضحكت..

لكننى تجنبت بعد ذلك معاودة الاتصال أو الاستجابة لدعوته ..

***

واستمر موقفى ذلك حتى فوجئت به يطعن قلبى فيهاجم الإمام الحسين فى خروجه على يزيد ويضرب المثل على خطئه فيتساءل عما يحدث إذا خرج الشيخ الصباحى- قارئ الكف وزعيم الحزب - بأعضاء أسرته الذين هم فى نفس الوقت أعضاء حزبه ليواجه أمريكا.. ماذا يمكن أن يقول الناس عنه .. ثم راح يشبه ما قام به سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بالمثل الذى ضربه .. أخذ يواصل التخريف بأن يزيد أيامها كان القوة العظمى فى العالم حين خرج عليه الحسين بأعضاء أسرته وحزبه..

انفجر الألم..

صرخت فى نفسى غاضبا من نفسى : هل أتجنب التعرض له احتراما لما عاناه ولشيخوخته – أم تجنبا للسانه السليط ..

انفجر الألم..

رحت أردد شعر الإمام الشافعى (ولست أقصد به محمود السعدنى لكننى أصف به خشيتى من سلاطة لسانه) :

بلاء ليس يعدله بلاء.. عداوة غير ذى حسب ودين..

ينيلك منه عرضا لم يصنه.. ويرتع منك فى عرض مصون..

انفجر الألم ..

قلت لنفسى لا بد من مواجهته وعند الله أحتسب ما سوف يصيبنى من أذاه ..

مهما بلغ من أذاه لن أتردد ولن أفكر حتى فى محاسبته بل لعلى أشكره أن منحنى أنا الضعيف العاجز تلك اليد التى تجعلنى أتباهى أمام الله يوم القيامة أننى دافعت يوما عن الإمام الحسين فكأننى من جنده..

وكتبت فى الشعب مقالا كان مانشيته الرئيسى ببنط ضخم يتحدث عن قلة أدب السعدنى .. قلت فيه :

"كى تكتشف قلة أدب محمود السعدنى ، قلة أدب حقيقية دون رمز ولا استعارة ولا كناية ولا تشبيه (...) ومع محمود السعدنى نستعير كلمة من كلماته وجهها هو نفسه إلى من حاكمه ذات يوم : "بعض الناس عندما تقابلهم تخلع لهم قبعتك احتراما، والبعض ، الآخر تخلع لهم حذاءك"..

وواصلت : "تصطخب الكتب وتتهاطل التداعيات ، فيذيب الدم الحاجز بين الماضى والحاضر، وتهب رياح الصراعات القديمة فإذا بها ليست قديمة، وإذا بكل حركتنا عبر القرون إنما نتحرك إلى الوراء .

فقدنا البراءة والطهر ولم يفقد أعداؤنا الفجر والعهر، وماتت فينا فريضة الجهاد والسعى إلى الاستشهاد فازداد أعداؤنا عتوا وغلوا، ولم يكن صراع ،التقدم والتخلف إذن بل كان صراعا بين من يريدون عبادة الله ومن يعبدون الشيطان . نعم صراع بين من يريدون عبادة الله ومن يعبدون

الشـيطان ، ولقـد تخفـى هـذا الصـراع دائمـا فما كان يستطيع أبدا أن يسفر عـن وجهـه إلا فـى أحـوال شـاذة ونادرة منها تلك الواقعة التي صدعت قلب الأمـة أخـيرا عـندما ألقـت الشـرطة القبض على من يعبدون الشيطان مباشرة ويـربطون المصـاحف الممـزقة حـول أحذيـتهم ، فكـانوا كمن يحلون اللغز ويكشـفون الرمـز، ولـم يكونـوا وحدهـم ، بل كانوا هم الطليعة الجريئة التى أفصـحت ، لا عمـا تعـبده تلـك المجموعـة فقـط ، بـل عما تعبده أممهم ، ومجتمعاتهم وصفوتهم وقياداتهم ، وربما شيوخهم أيضا.

وتحـت ظـلال حاضـر مجلـل بالسـواد، ومستقبل تغلفه الغيوم ، لا يعود لـنا سـوى ماضـينا نرتكـز إلـيه ونستند عليه ، ومن هنا تأتى أهمية الأعمال التـي تسـتلهم ذخائـر الحكمـة من الفترات المضيئة فى ذلك الماضى .. العقاد قـد اسـتوعب تلـك الذخائر فصاغ رؤية محكمة عبقرية فى تناوله لها، ولنتأمل مـثلا كـيف تـناول أبـو الشهداء الحسين بن على رضى الله عنه يقول العقاد : (يتـناوب طـبع الـناس مـزاجان – مـتقابلان ، مزاج يعمل أعماله للأريحية والـنخوة، ومـزاج يعمـل أعمالـه للمنفعة والغنيمة، والمزاجان لا ينفصلان كل الانفصـال ، فقـد تقـترن الأريحـية بالمـنفعة، وقـد تقترن المنفعة بالأريحية، ولكـنهما إذا اصـطدما، ولاسـيما فـى الأعمال الكبيرة لم يعسر عليك أن تفصل بيـن المزاجيـن، أمـا موقـف المؤرخيـن فى العطف على حركات التاريخ فهو علـى مـا تـرى موقـف مـزاج بين هذين المزاجين ، وليس بموقف سبيل من سـبل البحـث أو مذهـب مـن مذاهـب التفكـير، فالذين يجنحون بمزاجهم إلى المـنفعة يفهمـون أعـذار المنتفعيـن ، وينكرون ملامتهم على ناقديهم ، والذين يجـنحون إلـى الأريحـية، يفهمـون دوافع النخوة يحسبونها إذا لأصحابها أقوى من غواية المنافع والأرزاق " .

ثم واصلت الكتابة:

" لـم ينتصـر معاويـة علـى علىّ بن أبى طالب إذن، ولا يزيد بن معاوية علـى الحسـين بـن علـى، بـل انتصـر أشـباه معاوية ويزيد على أتباع على والحسـين رضـى الله عـنهما وغلـب أشياع يزيد ومعاوية أشياع الحسين ويزيد رضـى الله عـنهما. لـم يكـن العيـب فى المغلوب ولا الميزة للغالب وإنما كان العيـب فـى الأمـة . كانـت ومـا زالـت قـد اختلت ودليل ذلك انه قد يجوز الخـلاف فـى المفاضـلة بيـن علـى رضى الله عنه ومعاوية غفر الله له ، لكن

لا تجـوز أبـدا المفاضـلة فـي الحسـين رضـى الله عنه ويزيد، ومع ذلك فقد كانـت النتـيجة واحـدة ولـم يكـن موقـف علـى أو الحسين رضى الله عنهما ضـربة مغامـر مـن مغامـرى السياسة، ولا صفقة مساوم من مساومى التجارة ولا وسـيلة مـن متوسـل يـنزل عـل حكم الدنيا، أو تنزل على حكمه ، ولكنه مـن يديـن الدنـيا، ويديـن نفسـه ، بـرأى مـن الآراء وهو مؤمن به ومؤمن بوجـوب إيمـان الـناس بـه دون غـيره ، فـإن قبلته الدنيا قبلها، وإن لم تقبله فسـيان عـنده فواتـه بـالموت أو فواته بالحياة بل لعل فواته بالموت أشهى إليه. لقـد خـرج الحسـين مـن مكـة إلى العراق واحتمالات الاستشهاد هى الغالبة، يـرجح العقـاد ذلـك ويؤكـد إبراهيم عيسى فى خروجه من مكة التقى الفرزدق الـذى أخـبره عـن شـان أهل العراق : " قلوب الناس معك ، وسيوفهم مع بنى أمـية، والقضـاء يـنزل مـن السـماء، والله يفعل ما يشاء" ، وفى الطريق لقى مجمـع بـن عبـيد العامـرى فقـال له : "أما أعاظم الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئـت غرائـرهم فهـم قلـب واحـد عليك، وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهـوى إلـيك ، وسـيوفهم غـدا مشـهورة عليك ، وكان الحر بن يزيد من قواد بـنى أمـية الذيـن أنـيط بهـم محاربـة الحسـين فلما رأى القوم يهمون بقتل الحسـين ولا يكـتفون بحصـاره سـال عمر بن سعد –قائد الجيش – أمقاتل أنت هـذا الـرجل ؟ فلمـا قـال نعـم ، تـرك الجـيش الأمـوى وذهـب يقـترب مـن الحسـين ، حـتى دانـاه فقـال لـه : جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله ، أنـا صـاحبك حبسـتك عـن الرجوع وجعجعت بك فى هذا المكان ، وما ظننت أن القـوم يـردون علـيك مـا عرضـته عليهم ، والله لو علمت انهم ينتهون بك إلـى مـا أرى مـا ركبـت مثل الذى ركبت ، وإنى تائب إلى الله مما صنعت فهـل تـرى لـى مـن توبـة ؟! ثم انضم إلى آل البيت وراح يقاتل حتى استشهد وآخـر كلمـة فـى فمـه: السـلام علـيك أبـا عبد الله.. لم يكن الحر بن يزيد سـاعتها طالـب دنـيا لا .. ولا يفسـر موقفـه حـتى الاستشهاد أى من غرائز منطق الدنيا ولا الجنس ولا الديالكتيك ولا المال ولا السلطة ولا الشهرة.."

ثم طفقت أصرخ:

" يـا حمقـى يـا علمانـيون ويـا يسـاريون حمقى : أن ذلك الذي ذكرت لا يصـلح مـبررا أو تفسـيرا لموقـف شـهدى عطية عندما فضل الموت على الرضوخ لجلاده بالاعتراف أنه امرأة..!!.

أفتستكثرون وتستكثر يا محمود السعدنى عل سيد الشهداء وآل البيت ما تسوغونه لشهدى عطية .."

وواصلت :

" أقام الحسين ليلته الأخيرة فى كربلاء وهو لا ينتظر من عاقبته غير الموت العاجل ، فأذن لأصحابه أن يتفرقوا عنه تحت الليل إذا كانوا سيستحون أن يفارقوه فى ضوء النهار، فأبوا إلا أن يموتوا دونه ، وقال له مسلم بن عوسجة الأسدى : أنحن نتخلى عنك ولم نعذر إلى الله فى أداء حقك؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر فى صدورهم رمحى وأضربهم بسيفى ما بقى قائمه بيدى، ولو لم يكن معى سلاحى لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك ، ودنا منه حبيب بن مظاهر وهو يجود بنفسه فقال له : لولا أنى اعلم انك فى إثرى لاحق بك لأحببت أن توصينى متى أحفظك بما أنت له أهل ، فنطق مسلم بكلماته الأخيرة: أوصيك بهذا رحمه الله أن تموت دونه.. وأومأ بيده نحو الحسين..

كان على الحسين إما أن يبايع يزيد وهو فى مكة أو المدينة غصبا حتى يتركه ولاة يزيد..و إما أن يستسلم ليبايع فى كربلاء ولو قد فعلها لكرس الشرعية لدولة الطواغيت حتى قيام الساعة . لم يعد أمامه إذن إلا الاستشهاد درسا داميا لكل من يليه . . درسا عمليا يثبت بالبرهان الساطع والبيان القاطع أن دين الرجال وشرفهم أغلى من أرواحهم . لم يكن الصباحى يا سعدنى ولا النظام العالمي الجديد ولكنه الإنسان فى عظمته وسموه حين يعطى التاريخ درسا يسربله بلباسه الدامى أن خليفة الله فى الأرض أشرف من أن يحنى رأسه أمام الطواغيت طمعا فى الحياة وخوفا من الموت ، موقفا مجردا عن الزمان ، مطلقا من المكان كي يلزم البشرية كلها الحجة . لم يكن الحسين يسعى إلى حكم ولا إلى نجاة وما كان أيسرهما عليه لو تخلى عن مكارم خلقه وسلك سبيل أهل لدنيا. كان كل جيشه اثنين وسبعين فى مواجهة نيف وأربعة آلاف . لو أراد الحسين أن يعيش لاستسلم قبل المعركة . ولو أراد أن يعيش والناس يلتمسون له المعاذير لاستسلم بعد استشهاد نصف جيشه . ولو أراد أن يعيش وسط إعجاب الناس بحسن بلائه وشجاعته لاستسلم بعد استشهاد ثلاثة أرباع جيشه.. ولو أراد أن يعيش موسوما بالبطولة لاستسلم بعد أن لم يبق معه

سوى ثلاثة ولو أراد ما هو أكثر من البطولة لاستسلم لأكثر من أربعة آلاف يقاتلهم وحده .. ولو أراد أن يعيش لاستسلم بعد أن ضربه زرعة بن شريك التميمى عل يده اليسرى فقطعها. . أو بعد أن ضرب على عاتقه فخر على وجهه ، ولكنه راح يقوم ليقاتل فيطعنونه بالرماح ويضربونه بالسيوف فيكبو فيقوم ويكبو حتى بلغت الطعنات فيه ثلاثا وثلاثين طعنة وضربات السيوف أربعا وثلاثين غير مائة وعشرين ضربة سهم أو نبل.

يا الله ..

ما اشد ما صعبت الابتلاء علينا

هذا ابن بنت نبيك أحب الخلق إليك وذاك هو ابتلاؤه .

كان حتما أن يموت .. وبهذه الطريقة نفسها. . بهذه البشاعة والإجرام والدموية والقسوة . . كيلا يكون لأى واحد منا ولا لأى جماعة ولا لأى دولة ولا لأى أمة سم خياط ينفذون منه .. أى اعتذار أمام الله يوم القيامة أن العدو كان أقوى وأكثر وأن الطواغيت كانوا - لا يهزمون . . حتى لو استحال النصر واصبح الموت حتما لا تسقط فريضة الجهاد وإلا سقطت كرامة الإنسان وشرفه قبل أن يسقط إيمانه ، وذلك هو الدرس ..".

***

أضحك أضحك أضحك أضحك..

أضحك حتى البكاء فأنوح مع نزار قبانى:

مواطنون نحن فى مدائن البكاء..

قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء..

طعامنا .. شرابنا .. عاداتنا .. راياتنا ..

صيامنا .. صلاتنا .. زهورنا .. قبورنا

جلودنا مختومة بختم كربلاء ..

أضحك وأبكى وأسأل نزار قبانى : لماذا لم تقل :

- وصحفنا القومية أيضا مختومة بختم كربلاء..

***

صراط المغضوب عليهم .. والضالين[1] .. «٢»

أى حُمّى وأى جنون يمكن أن تصيبنا جميعا لو سرت بين الناس شائعة – مجرد شائعة – أن أسهم شركة ما فى البورصة تبلغ قيمة السهم منها الآن مائة جنيه ستتضاعف فى نهاية العام ليباع بألف جنيه..

أى حُمّى وأى جنون وأى تكالب لو كان أصحاب هذه الشركة من الأسماء اللامعة فى عالم الاقتصاد وليسوا نصابين وشذاذ آفاق..

وكم يبلغ مدى الحُمّى ومدى الجنون ومدى التكالب لو أن البنك الأهلى وبنك مصر وبنك الإسكندرية ضمنوا ذلك..

من منكم يا قراء لن يبيع كل ما يملك كى يشترى من أسهم تلك الشركة..

***

أى حُمّى وأى جنون يمكن أن تصيب الناس جميعا لو قيل لهم أن الفدان الذى يباع فى توشكى بألف وخمسمائة جنيه ستصل قيمته بعد خمسة أعوام إلى مليون جنيه على الأقل.. وأن الدولة بنفسها تضمن ذلك..

أى حُمّى وأى جنون يمكن أن تصيبكم يا ناس..

من منكم سيبقى فى الوادى..

من منكم لن يبيع ما أمامه وما خلفه كى يشترى بثمنه أرضا فى توشكا..

من..

من منكم..

أى حُمّى وأى جنون يمكن أن تصيبكم يا ناس لو تعهدت الدولة أن الأمر لا يقتصر على ذلك.. لأن هناك فرصا أمام بعض الناس كى يجدوا الذهب والبترول والمعادن النفيسة فيما يشترونه من أراض.. وأنها – أى الدولة – لن تشارك أحدا فيما وجد.. بل إنها ستساعده فى استثماره .. وبالمجان ..

١– الشعب : ١٩٩٩/٩/١٠ .

أى حُمّى وأى جنون..

وأى حماقة وأى غفلة سنصم بها أولئك لا يغتنمون الفرصة..

***

هل يمكن أن يدع أحد – والحال ذاك – تلكما الفرصتان – فرصة أسهم البورصة وفرصة توشكا – تفلتان من يده..

حتى أولئك الذين لا يحملون فى قلوبهم الثقة واليقين الكاملين بضمانات الدولة..

حتى أولئك سيفسرون الشك لصالح هذه الضمانات.. سيقولون لأنفسهم من المؤكد أن خسائرنا ستكون قليلة جدا فى مقابل احتمالات للمكاسب هائلة..

لن ينكص عن الشراء – يا قراء – إلا فئة واحدة..

تلك الفئة التى تملك اليقين المضاد ..

يقين بأن الدولة كاذبة وليس فى ذلك أى ريب..

ويقين بأن الدول الكبرى تبيع لنا الأوهام وأنها كاذبة وليس فى ذلك أى ريب..

ويقين بأن من يندفع لاقتناء أسهم تلك الشركة فى البورصة أو لشراء تلك الأرض فى توشكا ليسوا إلا من الحمقى والجهلة الذين سيطرت عليهم غشاوات الظلام والجهل والخرافة وأنهم صدقوا ما لا يمكن أن يصدق.. وأن هؤلاء الجهلة المتخلفون الظلاميون إذ يندفعون ويتكالبون يخسرون ما يملكونه فعلا فى سبيل وهم لن يملكوه أبدا..

وهم لم يحركهم له سوى الجهل والغباء والتخلف ..

***

ماذا يمكن أن يحدث يا قراء لو أن هذه الفئة القليلة التى ظنت بنفسها العلم والاستنارة حاولت أن تعرقل مسيرة ملايين المندفعين نحو البورصة ونحو توشكى..

ماذا يمكن أن يحدث..

هل أقل من أن تسحق الملايين تلك القلة بالأقدام..

***

هـــل تتســـاءل أيهـــا القـــارئ الآن : لماذا استدرَجَنَا هذا الكاتب إلى كل هذا الخيال هذا اليوم..

يا مسكين ليس خيالا..

ولـــم أقصـــص علـــيك قصـــص شـــركة البورصة وتوشكا إلا كمجرد مثل عن الدنيا والآخرة..

***

أردت يـــا مســـكين أن أقـــول لـــك أنـــا المســـكين .. أننا فى حدود المثلين السابقين لن نجد فئة ثالثة..

سنجد الفئة الأولى: فئة الذين صدقوا وآمنوا فتكالبوا..

وسنجد الفئة الثانية: فئة الذين كذبوا وكفروا فانصرفوا..

لـــن تجـــدوا يـــا قـــراء أبـــدا مـــن كذّب فاشترى ولا من صدق فنكص عن الشراء..

أقـــول لـــك يـــا مســـكين أنـــا المســـكين .. أن الأمـــر لا يـــتعلق بحسابات الكمبـــيوتر ولا بقوانيـــن الاحـــتمالات.. لا توجـــد نسب مئوية ولا يوجد كسر.. ولـــيس ثمـــة نصـــف إيمـــان ولا ثلاثـــة أربـــاع كفـــر.. المـــادة تـــتجزأ.. لكن المعـــنويات لا تـــتجزأ.. لـــيس ثمـــت نصـــف شـــرف ولا ربـــع أمانة ولا ثلث ضمير..

أقـــول لـــك يـــا مســـكين أنـــا المســـكين.. أن الأمـــر لا يخرج عن اثنتين لا ثالث لهما..

إما إيمان وإما كفر..

إما إيمان وإما كفر..

إما إيمان وإما كفر..

***

ولقد أتيت لكم يا قراء بمثل واحد وبدليل واحد..

أغفلت مئات الأدلة..

تجاهلت آلاف البراهين..

عزفت عن ذكر ملايين الأسباب..

***

عندما يسألك صغيرك الذى لا يعرف أى شئ عن بلاغة الشعر وحلاوته ماذا تعنى حلاوة الشعر فتجيبه أنها تعنى حلاوة كحلاوة الشيكولاته فإنما أنت قد حاولت أن تشرح له الأمر فى حدود مدركاته..

وعندما يسألك عن لوعة الهجر فتجيبه أنها حارقة كالنار فأنت أول من يدرك أن إجابتك وإن ساعدت الصغير على الفهم ليس لها بالحقيقة أى صلة ..

وعندما يسألك سائل عن نوع العذاب الذى يعانيه المجاهدون فى سجون الطاغوت فتحدثه عن الآلات الكهربائية والعقاقير والضرب فهل سيكون لديك أى فكرة - رغم أنهم قريبون حتى أننا نسمع الصراخ - عن نوع هذا العذاب وألمه ، هل ستكون لديك أى قدرة على تصور آلات التعذيب الجهنمية المصنوعة كلها - تقريبا - فى الولايات المتحدة الأمريكية ..

وفى هذه الحدود أضرب لكم الأمثلة أيها المساكين أنا المسكين..

لكن الأمر فى حقيقته أكبر وأعظم وأشد هولا..

الأمر أمر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر..

الأمر أمر يوم ترجعون فيه إلى الله..

أمر يوم تصدقونه فأنتم مؤمنون أو تكذبونه فأنتم كافرون..

إيمان أو كفر..

إيمان أو كفر..

لا ثالث..

لكن الإيمان تصديق وليس ادعاء تصديق..

فمن يصدق يعمل..

ومن لا يعمل فهو غير مصدق حتى ولو قال أنه يصدق..

الإرجاء فرية لم يقل بها قرآن ولا سنة..

من يصدق يعمل.. ومن لا يعمل لا يصدق..

وكيف العمل ونوعه يجب أن يتناسبا مع ذلك اليوم الذى نحاسب فيه..

إن كنا نصدق به فكيف لا نعمل له..

إن خلص إيماننا بالله فكيف نشرك به سواه..

كيف نواجهه يوم القيامة..

كيف نواجهه فى يوم عقيم هو آخر أيام الوجود فلا أيام بعده..

كيف نواجه..

يوم..

القيامة..

يوم القيامة..

يوم تشهد عليكم ألسنتكم وأيديكم وأرجلكم بما كنتم تعملون..

يوم البعث..

يوم يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون..

أى هول ينتظرنا يوم الحساب..

أى هول..فهل يمكن أن يوجد شئ فى الوجود أهم من الاستعداد لهذا الهول؟..

وهل يمكن أن نعد أنفسنا لهذا الهول عن طريق الحضارة الغربية..؟.

قد تصلح الحضارة الغربية لإعدادنا للدنيا.. وأقول قد .. فالأمر مشكوك فيه.. وما حروبهم العالمية وقنابلهم النووية إلا دليلا على ذلك..

أقول قد تصلح للدنيا.. لكن هل تصلح للآخرة..؟!..

ذلك هو الفيصل الذى لا فصل بعده..

الفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية يقبع فى الإيمان بهذا اليوم.. إيمان يتجاوز اللسان إلى القلب .. ويتجاوز القلب إلى العمل..

إما إيمان وإما كفر..

إما عمل مكرس للدنيا فقط وإما عمل للدنيا والآخرة..

عمل للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

فكر للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

سياسة للدنيا لا تصلح ولا تستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

حكم للدنيا لا يصلح ولا يستقيم دون اعتبار ليوم القيامة..

يوم القيامة ، يومَ الآزفة، يوم الراجفة، يومَ الرادفة، يوم ينفخ فى الصور، يوم لا عاصم من أمر الله، يومَ يؤتى بالموت فيذبح فلا موت

بعده، يوم الغم، يوم الهم، يوم النشور، يوم النشر، يوم الحشر، يوم البعث، يوم الحساب، يوم الروع، يوم الفزع، يوم الجزع، يوم القلق، يوم العرق، يومٌ كل دين فيه عند الله سوى الإسلام زور، يوم الغاشية، يوم الواقعة، يوم القارعة، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم الحر، يوم العطش، يوم الخزى، يوم الذل، يوم تسودُّ وجوه وتبيض وجوه، يوم يكون لذى اللسانين في الدنيا لسانان من نار، يوم يؤتى بكل من ولي من أمر المسلمين شيئا فيوقف على جسر جهنم، يومٌ أشد الناس عذابا فيه أشدهم عذابا للناس في الدنيا ، يوم ينادى مناد من كان أشرك في عمله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك، ويومَ تَرَى الذِين كَذَبُوا على اللَّهِ وجُوهُهُم مُسْوَدَّة، يوم يؤتى بمَن سُئل عمًّا يَعْلَمه فكتمه فيلْجَمه اللّهُ بِلِجامٍ من نارٍ ، يوم يؤتى بطواغيت الأرض فيحاسبون على حكم كان أوله ملامة، وثانيه ندامة ، وثالثه عذاب يوم القيامة، يوم يظهر الله للناس فيَخِرُّ المسلمون للسُّجود وتُعَقَمُ أصْلاب المنافقين فلا يَسْجُدون، يوم يأتى شريف الدنيا ذليل الآخرة، يوم يأتى عظيم الدنيا خامل الآخرة، يوم يأتى من لبسَ ثوبَ شُهْرة وقد ألبَسه الله ثوبَ مَذلة، يوم يجمع فيه الله عز وجل الناس في أرضٍ يَشْهَدُ جميعُ الخلائق فيها مُحاسَبة العبدِ الواحدِ على انفراده، ويَرَوْنَ ما يَصيرُ إليه، يوم لا مرد له..

يوم لا مرد له..

يوم لا مرد له..

هو الأهم فى حياتنا كلها..

فما خلقنا الله إلا لنعبده.. ثم ليحاسبنا ذلك اليوم..

أى تزييف للوعى جعلنا ننحرف ونضل..

كيف ضلت النخبة فأضلتنا..

كيف..

إن هذه السلسلة من المقالات تحاول الإجابة عن هذا السؤال..

***

كيف..؟..

كيف يندفع- على سبيل المثال - عقل عملاق كمحمد حسنين هيكل ليكتب في العدد الأخير من مجلة : الكتب وجهات نظر مقالة شديدة التسطيح لو كتبها من هم دونه بكثير لوجهنا إليهم اللوم والعتاب..

إننى يمكن أن أقبل أن ينبهر واحد كإبراهيم سعدة أو سمير رجب أو أنيس منصور.. أما محمد حسنين هيكل فكلا.. ذلك أننى عندما أنتقده يقف معه جزء منى.. ولكنه جزء ليس صوابا..

فى ملاحظته تلك يقارن بين رد فعل الغرب والشرق لكسوف الشمس ..

إن الغرب هو العلم والأشواق إلى النور أما الشرق فكان الاختباء فى البيوت والالتجاء إلى المعابد حيث تقام الصلوات شفاعة وضراعة.. (..)

إنه الانبهار الكامل بالغرب.. وليته كان كاملا فقط.. لأنه أيضا أعمى.. ولأنه أعمى فإنه لم ير واقعة من أكثر الوقائع احتراما للعلم والدين جميعا.. لم ير محمد حسنين هيكل ذلك الحديث النبوى الشريف حين كسفت الشمس فقال الناس : هذا لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لا تنكسف لموت أحد ولا لحياته..

كان ذلك منذ خمسة عشر قرنا والغرب غارق فى ظلماته..

إننى حزين من أجل هيكل كعَلَمٍ سامق للنخبة النظيفة.. النخبة التى كنت أدافع عن أخطائها دائما بأنها أخطاء الاجتهاد ..

إن كان هذا هو الأفضل فكيف يكون الآخرون؟!.

حزين أنا من أجل هيكل.. ففى عدد سابق من نفس المجلة كتب مقالا بعنوان بقايا يوغسلافيا استبد بى الغضب بعد قراءته فوجدت نفسى أوجه رسالة قاسية إلى المجلة ، وكان فى قلبى ما يشبه الحداد على عزيز مات..

***

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها مقال للأستاذ محمد يوسف عدس نشرته مجلة الهلال[1] هذا الشهر..

فى نهاية المقال كنت أهتف: ياله من كاتب جبار.. لقد حاصر هيكل تماما بأدب جم ونعومة كنعومة حد السيف وباستعمال المنهج الغربى الذى

١- عدد سبتمبر ١٩٩٩ .

يـبهر الأسـتاذ هـيكل.. حاصـره حتى أن الأمر يخرج من دائرة حوار إلى رد مفحم..

انتصـب فـى وجدانـى خـيال قـرية أمـية لا يعـرف القراءة فيها سوى واحـد.. لكـن هـذا القـارئ لـم يكـن يقرأ المكتوب فعلا بل كان يقرأ ما يعن لـه هـواه ويضـيف مـا شاء ويحذف ما شاء.. ولقد فعلت بنا نخبنا المثقفة مثلما فعـل هـذا القـارئ.. وقلـت لنفسى أن جزءا هائلا من وعينا المزيف يعود إلى ذلـك .. وأن المأسـاة الـتى حدثـت بين محمود شاكر وطه حسين تعود لتحدث بين المحمدين: يوسف عدس وهيكل..

***

يتـناول محمـد يوسـف عـدس بالـنقد والتحليل اختيار هيكل لمراجعه فى مقالـه عـن كوسـوفا فيسـتبعد علـى الفور الماريشال تيتو لأنه مات، وضابط المخابـرات الـبريطانى القديـم فيـتزروى ماكلين لأن تعليقاته لا تضيف شيئا ذا قـيمة.. ثـم يلتفـت إلـى الشـاهدين الباقيـين لهيكل فيسحبنا إلى مناقشة بالغة الـثراء والعمـق متسـائلا : هـل يمكـن أن نقـرأ التاريخ على صفحات رواية (كـان محمـد يوسـف عـدس شديد التهذيب فلم يسأل هيكل مثلا إذا ماكان يمكن قـراءة تاريخـه هـو شخصـيا فـى روايـة: "وغابت الشمس ولم يظهر القمر" لإحسـان عـبد القـدوس - وهـى روايـة أعـترف أنـنى كرهتها.. من أجل هـيكل !..) .. وبعـد تفنـيد أن الشـاهد الثالـث إيفـو أندريتش مؤلف رواية جسـر علـى نهـر دريـنا لا يصـلح أن يكـون شـاهدا أصلا لم يبق لهيكل إلا الشـاهد الـرابع وهـو اللـورد دافـيد أوين الوسيط الأوروبى فى مفاوضات السـلام البوسـنوية.. حيـث تمـثل الخطـأ : " فى الثقة المطلقة التى منحت لكل مـن لـورد أويـن وإيفـو أندريـتش، وفـى اعتبار كلامهما مرجعية لا معقب علـيها وقضـايا مسـلمة".. ثـم يسـتطرد محمـد يوسف عدس محللا شخصية لـورد أويـن ليفاجئـنا بالمفاجـأة المذهلة .. ولنكتشف أن اللورد أوين ذاك رجل فشـل فـى كـل شـئ أسـند إلـيه طيلة حياته وأنه مزيج من شخصيات حسن الـتهامى ومحمـود السـعدنى ولا أقـول الشيخ الصباحى!!.. وليس هذا هو رأى محمـد يوسـف عـدس فـيه بل رأى مواطنيه ومفكرين كبار يمثلون مرجعيات غربـية أيضـا .. وبعـد هـذه الإضاءة ينتقل الأمر على الفور من إطار الحوار إلى إطار النكتة..

ووجدتـنى أهـتف : يـا إلهـى.. كيف وقع هيكل فى هذا الخطأ... إن أى محاولـة لتلخـيص مقـال محمـد يوسـف عدس هى إهدار لكنز ، فليس الأمر

أمر مقال وإنما هى مواجهة فكرية هزم فيها خصمه بالضربة القاضية.. ليس فى واقعة محددة بل بمنهج فكر وفى منهج فكر.. حتى أننى تمنيت وأتمنى أن تقوم إحدى صحفنا بنشر المقالين : مقال هيكل ومقال محمد يوسف عدس فى نفس العدد كى يتمكن القارئ من أن يعاين بنفسه كيف يُزيف وعينا بل ووعى نخبنا..

***

هل يعتب علىّ بعض القراء الآن أننى أسرفت فى القسوة على الأستاذ هيكل ؟!..

وهل يحس القارئ الذى تواصلت العلاقة بينى وبينه أن هناك ما أخفيه عنه ؟..

أعترف..

نعم..

هناك ما حجبته..

طعن قلبى فحجبته..

حجبته إشفاقا على هيكل.. على قيمة كنت فى بعض الأحيان أحبها وفى كل الأحوال أحترمها..

حجبته وأنا أصرخ : ماذا يحدث للمفكرين فى بلادنا بعد سن السبعين..

حجبته ملتمسا الرخصة فى ستر زلة عالم..

وإن هيكل عزيز علىّ لكن الحق أعزّ .. والقارئ أيضا أعز..

لقد توقفت فى الاستشهاد بملاحظة هيكل عن الكسوف عند حد ذبحتنى بعده كلماته.. حيث يواصل شرح رد فعلنا على الكسوف بقوله: " كانت الدعوة اختباء فى البيوت أو التجاء إلى المعابد حيث تقام الصلوات شفاعة وضراعة، واسترحاما واستغاثة، ودعاء إلى الله أن يزيح الهم ويكشف الكرب، وينقذ عباده ولا يعذبهم بكسوف الشمس وراء ظل القمر، وعواقب ذلك الهول الأعظم الذى يرمز إلى تفاهة الحياة ويؤذن بنهاية الدنيا.."..

صرخت: لماذا فعلتها يا هيكل..

لماذا تزيد من إدانتنا لأنفسنا لأننا أحببناك وأعجبنا بك ذات يوم..

هل نعود إلى مثل القارئ الوحيد فى قرية أمية فيقرأ ما يشاءله الهوى ؟!..

هل نصرخ فى هيكل: لقد اعتبرت رئيسا ميتا وكاتب رواية وضابط مخابرات سابق و" بلياتشو" انجليزى مرجعيات مطلقة لا ينالها الباطل أبدا.. ونحن لا نتدخل فى اختياراتك.. لكننا لا نسمح لك أبدا .. أنك وأنت تغترف من مرجعياتك المطلقة تهدم مرجعياتنا المطلقة.. تهدم أحاديث الرسول مثلا عن صلاة الكسوف.. نفس الداء الوبيل الذى حمله اليسار إلينا ذات يوم حين طلب منا أن نسحب القداسة عن الله والنبيين فالإنسان هو المقدس.. والعلم هو المقدس.. والعقل هو المقدس أما تقديس ما دون ذلك فهو رجعية وتخلف.. وغوى اليسار من الأمة من غوى.. لنفاجأ بعد ذلك.. أنه يمنح القداسة المسروقة لماركس ولينين..

أجل يا محمد حسنين هيكل.. مازلت أعتبر أخطاءك الماضية أخطاء الاجتهاد.. لكن الخطأ هنا يرقى إلى الانحراف .. ليس الدينى فقط بل والفكرى أيضا..

إننا لا نصلى مع الكسوف فقط.. بل مع الكسوف والمرض والكرب والحاجة والضعف.. وبدون كل ذلك أيضا مأمورون أن نصلى.. نصلى لخالق هذا الكون ومبدعه.. لأنه أمرنا بهذا ونحن نصدق.. بلغنا الرسول صلى الله عليه وسلم به ونحن نصدق.. رسول أبى فى سمو لا يتاح إلا لنبى أن يقول أن الشمس يمكن أن تنكسف لموت ابنه إبراهيم ..

هذا الموقف المتعالى والمزدرى يا أستاذ هيكل يحمل فى طياته ألف عام من التضليل والتشويه مارسه الغرب ضدنا حين أدرك أنه غير قادر على هدم قلعة الإسلام من الخارج فتلمس السبل لهدمها من الداخل..

يا أستاذ هيكل: إن كنت تنظر إلى من صلوا الكسوف بكل هذا الازدراء فكيف تنظر إلى بقية الصلوات، وكيف تنظر إلى الحج مثلا وإلى الصوم...؟!

إننى لا أريد أن أطيل فى ذلك الحديث.. لكننى حزين..

إنك تسخر من هول أعظم ومن رمز على تفاهة الحياة ونهاية الدنيا.. وجميع ذلك وارد فى القرآن والحديث..

إنك تسخر وتزدرى.. لماذا لم تحاول تدعيم استهزائك وسخريتك ببيان قاطع من الغرب يكشف لنا أن الساعة لن تقوم بغتة ؟!..

إنــك تســخر وتــزدرى .. ولقــد انزلقــت إلى خطيئة كبرى.. ثم بعد ذلك تــريد مــن الأمــة أن تــنزلق معك فيها .. ولقد ربطت بين موقف الغرب والعلم وموقــف الشــرق والديــن.. ولقــد خلطــت أنت وأنت تحذر الناس أن يخلطوا بين دور المعابد والمراصد..

ثــم أن الــناس عــندما اختــبأوا لم يفعلوا ذلك خوفا من المجهول ولا جهلا ولا غــيابا ولا حــتى غيبــية بــل اختبأوا خوفا على الشبكية!! .. بعد أن كرست أجهــزة إعــلام غبــية الخــوف فــى الناس ربما لصرفهم عن بلايا حاضرهم.. ولســت أظــنك مهمــا بلغــت خطايــاك بقادر على أن تنسب أجهزة الإعلام هذه إلــى الديــن أو الإســلام.. لا هــى ولا حكوماتهــا فــى كافــة أرجــاء عالمنا العــربى.. وأنــت تعــرف قــبل غيرك أن هذه النظم جميعا لا تمثل الإسلام بل تمثل ضده.. إنها الانقلاب عليه.. إنها صنيعة الغرب للحيلولة بيننا وبينه..

أنــت ولــيس الــناس يــا أســتاذ هــيكل الــذى خلــط بيــن دور المعابد والمراصد ..

وعــندما فعلــت ذلــك فــإنك فعلته بطريقة تزرى بالعقل الذى ترفع لواءه.. أخطــأت فــى الرصــد.. ثــم أخطــأت فى الاستدلال .. ثم أخطأت فى الحكم .. فكــان مــثلك كممــثل فــى مســرحية عبثية يتساءل أسئلة غير منطقية قد تصلح فــى المســرح لكــنها لا تصــلح فــى الفكر.. أسئلة من نوع : كيف تكون طبيبا وتصــلى؟ أو كــيف تكــون شــاعرا وتــأكل؟ أو كــيف تكــون كاتبا ثم تقضى حاجتك ؟!!.

يا أستاذ هيكل:

إما إيمان وإما كفر..

فإن كان الإيمان فاعترف وتب..

وإن كان الكفر فلماذا لا تقول ذلك للناس بصراحة ؟!!..

ويــا أســتاذ هــيكل: لقــد كان مشروعك الفكرى ضد الغرب..فكيف يغزوك الغــرب إلــى هــذه الدرجــة.. نعــم .. مشــروعك القومى هُزم هزيمة ساحقة ولا قــيام لــه أبــدا .. ولكــنك بــدلا مــن أن تبحث عن أسباب فشل مشروعك رحت تتماهى بقاهرك وتتشبه بقاتلك فلا حول ولا قوة إلا بالله..

***

لقد فرض الأستاذ هيكل نفسه على هذا المقال ولم يكن ضمن حساباتى أن أكتب عنه.. ذلك أن أى اختلاف مع الأستاذ هيكل هو خلاف بين عقل وعقل وبين فكر وفكر مهما كان رأينا فى نوع الفكر الآخر ومدى خطئه..

لم أكن أريد أن أتناول ذلك الآن..

كنت أريد أن أكتب فى شئ آخر..

كنت أريد أن أتناول تلك الحثالة البشرية التى نصبت علينا بالزور كرواد فكر..

كنت أريد أن أتناول ذلك الخسيس الذى مات ابنه غرقا فلم يعتبر لا بالموت ولا بالحزن فتدنى للدرجة التى باع فيها عظام ابنه كى يرتزق فراح مجاملا للسادات الذى كان على عداوة مع منظمة التحرير الفلسطينية يتهمها بأنها هى التى أغرقت ابنه.. ولقد ارتزق ..!!..

وكنت أريد..

وكنت أريد..

وكنت أريد مواصلة الحديث عن تجاوزات محمود السعدنى..

وأجدنى حزينا للجمع بين هيكل والسعدنى فى ذات الصفحة[1]..

***

محمود السعدنى الذى لم يكتب لنا أبدا رغم كثرة كتاباته كيف عاد من منفاه؟ وعلى أى أسس وبأى شروط ومن اتصل به كى يعود ؟.. وهل هو مسئول ثقافى أم سياسى أم أمنى؟!..

---

١ – كان محمود السعدنى يرد على مقالاتى فى أخبار اليوم بأبذأ ما ظهر على ساحات الصحافة المصرية، لم يكن ردا، بل كان كلمات من نوع: يا صايع يا ضايع، يا أبو قفا تخين، عندما أراك ساغمس حذائى فى المرحاض لأضربك به..و يا " نوكى" وهى كلمة لا أعرف معناها بالتحديد،وإن كانت صحيفة القاهرة– صحيفة وزارة الثقافة!!– قد أعادت توجيهها لى إبان أزمة الوليمة!! وكان غريبا، أن صحيفة وزير الثقافة بالذات تستعمل هذا النوع من الكلمات..وكانت روز اليوسف سعيدة ومؤيدة للسعدنى الذى وصفت قاموسه بأنه قاموس سكسكة– وأنا لا أعرف ما سكسكة– لكن ذلك كان مستوى الحوار والصحافة القومية. ولقد تولى القراء الرد بأشد ما يكون، ونشرت الشعب، ورفض ابراهيم سعدة لشر ردود القراء، لكن هذا خارج القضية التى أدافع عنها، وقد أفكر ذات يوم فى إيراد تلك الأحداث فى كتاب عن مدى تدهور الصحافة فى مصر. لكننى أنبه القارئ هنا أننى ترفعت عن كل هذا ولم أرفع حتى قضية ربما كانت مضمونة ضده فلم يكن ذلك شاغلى، لكننى أورد هذا الهامش مذكرا القارئ أهم بعد هذا ومثله، يتهمون صحيفة الشعب بالخروج على آداب الحوار !!..

إن الأمـــر يعـــنى الكثـــير.. لكنـــنا نـــتركه الآن لنعود إلى موقفه من مجدى حسين ورفاقه فى السجن..

إن بصيصـــا مـــن الضـــوء يلـــوح يجعلنا نقرأ فى ضوئه الخافت سر موقف السعدنى..

وقفـــزا علـــى كـــل التفاصـــيل فـــإن الدولـــة تجـــد نفسها فى قضية مجدى حســـين- والـــى فـــى غايـــة الحـــرج أمـــام العالم وأمام الأمة وأمام ضميرها.. وهـــى فـــى ورطـــتها تلـــك .. أشد ما تكون حاجة إلى واحد من الصحفيين يلقى بالكـــرة إلـــى مجـــدى حســـين والشـــعب.. إلـــى مـــن يحيل الحرام الذى ترتكبه الدولـــة إلـــى حـــلال.. فليـــتقدم إذن أحد أعوانها بحل مهما كان مستحيلا إلا أنه يمـــنح الدولـــة فرصـــة لالـــتقاط الأنفاس.. حلا مهما كان ساذجا ومرفوضا وأول مـــن يعـــرف أنـــه مـــرفوض هـــو الدولـــة نفســـها ورجلهـــا العائد من المنفى والحريص ألا يعود إليه.. هذا الحل سوف يشق الصحفيين والأمة..

ولقـــد كـــانوا فـــى حاجـــة إلـــى جرأة محمود السعدنى.. ولقد أعطاها لهم.. ليتشجع بعده آخرون ممن لا يملكون جرأته..

لكن هل نستغرب ذلك على السعدنى؟!..

هـــل نســـتغرب ذلـــك علـــى من قدح فى الصحابة وعلى رأسهم الإمام على كرم الله وجهه..

سوف أكتفى الآن بأن أورد نص ما كتبه:

" إن الخـــلاف بيـــن ســـيدنا علـــي وبين بني أمية كان محوره طمع الدنيا ، ولـــيس رســـالة الســـماء لأهـــل الأرض، الشـــيء نفســـه تكرر بين سيد الشهداء الحســـين بـــن علـــي والخلـــيفة يزيد بن معاوية، خرج سيدنا الحسين في خمسين فـــرداً مـــن أســـرته ومعهـــم بعـــض النســـاء والأطفـــال من كل بيت، خرج من الحجـــاز لـــيقاتل إمـــبراطورية امـــتدت شـــرقاً وغـــرباً، وجيشـــها يخفـــي وجه الشـــمس، وخزائـــنها ممتلـــئة بالذهـــب والفضـــة، ولها عيون وجواسيس وأجهزة مدربـــة ، ونصـــحه قـــائد جـــيش يـــزيد أن يـــرجع بأهله إلي الحجاز وكفي الله المؤمنيـــن شـــر القـــتال، ولكـــنه رفـــض (عملـــية الانتقاء القذرة مرة أخري ، إذ يـــتجاهل أن والـــى المديـــنة كـــان فـــي انتظاره إما المبايعة وإما القتل، ثم إنه رفـــض أن يســـمح لـــه بـــالعودة إلـــي الحجاز . . علي العموم لنعد إلي محمود

السعدني) . اقترح عليه أن يذهب إلي أمير المؤمنين في دمشق ليبايعه ولكنه رفض وألح في أن يسمح له بمخاطبة جنود معاوية ليقنعهم بحقه في الخلافة، فسمح له القائد الأموي بأن يخاطب عساكر الأمن المركزي فانبري يخطب والعساكر زنهاراً ، وبعد أن انتهي من خطابه جاءته الأنباء بمقتل أنصاره الذين أرسلهم إلي الكوفة، عندئذ طالب سيدنا الحسين السماح له بالعودة ولكن طلبه رفض بشدة وخيروه بين السفر إلي دمشق لمبايعة يزيد أو القتل، وكانت مأساة كربلاء التي يعرفها الجميع، تصوروا لو أن أنصار عمنا الشيخ الصباحي يخرج بأنصار حزب الأمة لمحاربة أمريكا في سبيل السيطرة علي النظام العالمي الجديد"

يا أيها الولد الشقي هل تستطيع أن تسخر من ابن بنت الرئيس مثلما تسخر من ابن بنت النبي صلي الله عليه وسلم ؟ ..

و لا يملك المرء إزاء ذلك إلا أن يقول في أسي ليس هذا أدباً .. بل قلة أدب ".

***

كانت هذه هى نهاية مقالتى التى كتبتها منذ أعوام ..

فهل يسمح لى القارئ أن أغير نهايتها فأسحب " قلة أدب" لأضع مكانها أنه بأحكام الفقهاء [1] وقد سب الصحابة وسخر من سيد الشهداء – فاسق؟!..

أجل..

فاسق..

فاحمد الله يا مجدى حسين واحمدوه يا رفاقه..

احمدوه حمد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سأل عمن قتله فعرف أنه مجوسى فقال:

– الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ..

---

١ – راجع أحكام الفقهاء فى الاجتراء إلى المقدسات فى ملف الوليمة الوارد فى نهاية هذا الكتاب.

ألم يعهد إليكم ألا تعبدوا الشيطان[1] ؟!..

يُطعن قلبى كلما تذكرت ما فعله الفرنسيون حين اقتحموا الأزهر[2] وربطوا خيولهم فى أعمدته وأهانوا المقدسات فيه ..

يُطعن قلبى ومصر الرسمية تحتفل بذلك حين يدعى الخونة فيها أنه بداية التنوير..

يُطعن قلبى فأتخيل أن الأمر قد تكرر مرة أخرى ...

لا .. لم يتكرر.. بل إنه من حينها لم ينقطع .. ولقد واصلوا فعلهم عبر تلاميذ دنلوب وصبيان زويمر وجند كرومر..

لم ينقطع .. وإن استتروا أحيانا وأخفوا وجوههم خلف وجوه الخونة منا.. وأنهم لم يحولوا صحن الجامع إلى اسطبل للخيل فقط بل إلى حانة للرقص واحتساء الخمر، لم يهدم الفرنجة المئذنة ولا هم أزالوا مكبرات الصوت، وحين حدث ذلك، فإن الأمة المغيبة، الأمة نازفة الوعى، الأمة مثقوبة الذاكرة، ظلت تحمل لمسجدها القديم ذات القداسة، بل واستمر جنود الأمة الذين اصطفاهم الفرنجة فى حراسته من الخارج، وسحق أى محاولة من (**الإرهابيين !!**) الذين يحاولون إعادة المسجد إلى سيرته الأولى ، أما الأنكى والأفدح ، فهو أن عموم الناس لم تكف عن الذهاب إلى الحانة التى كانت مسجدا ، وأنهم قلدوا على الرغم منهم – فى بداية الأمر – رواد الحانة فيما يمارسونه من رقص وسكر، قلدوهم مرغمين مستكرهين وقلبهم مطمئن للإيمان، كانوا يتحينون الفرصة للوثوب على العدو، ظلوا يتحينونها حتى ماتوا، وبعد أن مات من مات، وقُتِلَ من أبى، وأُخْرِسَ من تكلم، ونُفِيَ من اعترض، بعد هذا كله جاءت أجيال جديدة، لم تر أبدا كيف يكون المسجد، ولا عرفت أبدا كيف تكون الصلاة ، فراحوا يرقصون سكارى يؤمهم عدوهم وهم يظنون أنها صلاة..

***

هل هذا خيال يا أمة أم وصف لحالك؟!.

---

١ – الشعب ١٩٩٩/٩/٢٤.

٢ – ودخلت الخيل الأزهر. جلال كشك. ط٣. الزهراء لإعلام العربى .

هل حكامك يا أمة حكامك أم أمراء يمتثلون لطاعة الخليفة فى البيت الأبيض؟!

هل حكوماتك يا أمة حكوماتك أم هى مجالس محلية لا هم لها إلا متابعة تنفيذ أغراض الحكومات الفعلية فى واشنطن ولندن وباريس وبون و.. تل أبيب..

لماذا نسينا الله ورحنا نعبد الشيطان ؟.. لماذا دخل الشرك إلى قلوبنا .. ؟!. أين كبرياؤنا وعزنا واستعلاؤنا؟!..

***

حتى فى عنفوان انتصارهم علينا منذ تسعمائة عام كان الأمير الشاعر "**أسامة بن منقذ**"[1] والذي كان فى الرابعة من عمره حين استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وتوفى قبل عام واحد من استعادة صلاح الدين الأيوبي له ، وكان طيلة حياته على صلات مستمرة وثيقة بالصليبيين ، يخاصمهم حينا ويصادقهم حينا آخر، ويشترك فى الحرب ضدهم ، وفى الخروج للصيد معهم . وقد خلف لنافى كتابه "**الاعتبار**" ما يصلح شاهدا على نظرة الاستعلاء التي كانت لدى العرب المسلمين تجاه الغزاة الصليبيين . فهو يصف هؤلاء الأوروبيين بأنهم " **بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير ، كما فى البهائم فضيلة القوة والحمل** ". ويقول :

"كل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية ، أجفى أخلاقا من الذين عاشروا المسلمين، ليس عندهم شي عن النخوة والغيرة، طبهم ساذج جاهل بالمقارنة مع الطب العربي. ومحاكماتهم غبية غريبة".

أما المعلم "**برنار دي شارطر**" فقد ترك عبارة بليغة سارت بها الركبان في عصره والعصور اللاحقة، عبارة عن العرب والمسلمين يقول فيها : (**نحن أقزام محمولون على أكتاف عماليق، فإذا كنا نشاهد اكثر مما شاهدوا ونرى ابعد مما رأوا، فليس ذلك لأن بصرنا أحد، أو لأن أجسامنا أطول ، بل لأنهم يحملوننا على أكتافهم في الهواء ويرفعوننا بكل طول قاماتهم الهائل**).

كانوا يتعلمون منا العلم.. وعلى أيدينا انتقلوا من أطوار البداوة والتوحش إلى أعتاب الحضارة.. لكنهم لم يأخذوا من الحضارة سوى شقها المادى.. أما أرواحهم فقد كانت وما تزال أرواح وحوش.. كنا نعلمهم وكانوا يتآمرون علينا ..

---

١ - كى لا ننسى التاريخ لأن التاريخ لا ينسى. موسى الزغبي. بدون ناشر .

يقـول "**بطـرس الجلـيل**" رئـيس ديـر كلوني الذي قام بجولة على الحدود الفرنسـية مـع الأندلـس فـتعرف إلـى الإسـلام والمسلمين : "**يجب أن نقاوم الإسـلام لا فـي سـاحة الحـرب بـل فـي السـاحة الثقافية**. (..) إنه لإبطال العقـيدة الإسـلامية يجـب الـتعرف على كتبهم (..) إنه سواء وصفنا الضلال المحمـدي بالنعـت المشـين : بدعـة، أو بالوصـف الكريه : وثنية، فانه لا بد مـن العمـل ضـده ، لا بـد مـن الكـتابة ضـده (..) هذا السم القاتل " العقيدة المحمدية " أصاب اكثر من نصف الكرة الأرضية "..

***

كانوا ينهلون من علمنا ويتآمرون علينا ..

امتلئوا بالشعور بالدونية إزاءنا ..

كـان "**ادلار دي بـاث**" مـترجما مـن العربية إلى اللاتينية وكان فيلسوفا في الوقـت نفسـه . سـأله رجـل ذات يـوم أن يدخـل معـه فـي مناقشـة حول الحـيوانات ، فـرد علـيه قـائلا : "مـن الصـعب فـي أن أتحـدث معك عن الحـيوانات ، فأنـا تعلمـت ، فـي الواقع ، من أساتذتي العرب اتخاذ العقل هاديا ومرشـدا، فـي حيـن انـك قـانع بالخضـوع لسلطة مخرفة .. خضوع اسر وعـبودية، وهـل هـناك مـن اسم آخر يمكن إطلاقه على تلك السلطة سوى أنها قـيود وأغـلال ؟ فكمـا أن الحـيوانات الـبلهاء تقاد بواسطة حبل ، ولا تعرف لا إلـى أيـن ولا لمـاذا هـي مقـتادة، وتقنع بمسايرة الحبل الذي يجرها، فكذلك الأغلبـية مـنكم ، أنهـا سـجينة انقـياد حيوانـي ، مكتوفة مستسلمة لمعتقدات خطيرة تفرضها سلطة الكتاب.

***

ويشـتكي مـثقف آخـر مـن الاختـناق الـذي كـان يسود البلاد المسيحية ومـن اضـطهاد رجـال الكنيسـة للمفكرين الأحرار مما جعله يفكر في الرحيل إلـى ارض العـرب ، حيـث الحـرية الفكـرية مكفولة. يقول بيير ابيلار : الله يعلـم كـم مـرة فكـرت، تحـت ضـغط يأس عميق ، في الرحيل عن الأرض المسـيحية والعـبور نحـو الوثنييـن لأعـيش مـع المسلمين في سلام ، دافعا الجزية لأعيش مسيحيا بين أعداء المسيح".

ولـم يكـن اضـطهاد السـلطات الكنيسة لهؤلاء المثقفين الحداثيين لينال من الرغـبـة فـي الانـتماء المعرفـي إلـى العرب . فلقد كان الجيل الجديد لا يثق إلا فـي مـا يـأتى مـن العـرب أو ينسب إليهم . يقول "**اديلار دي باث**" في هذا الصـدد: "إن فـي جيلـنا عيـب مـتجذر فـيه . انـه يرفض جميع ما يبدو انه

صادر من عند المحدثين . ولذلك ، فعندما تكون لدي فكرة شخصية أريد نشرها بين الناس ، فإني انسبها إلى غيري مدعيا أن "فلانا هو الذي قال بها ولست أنا صاحبها". ولكي يثق الناس بي ثقة كاملة، أقول عن جميع آرائى: "إنها من ابتكار فلان ولست أنا قائلها. ولكي أتجنب العواقب الوخيمة التي تنجم عن اعتقاد الناس في أننى ، أنا الجاهل ، استقي أفكارى من أعماقى فإني أقدمها لهم بصورة تجعلهم يعتقدون إننى استقيتها من دراساتي العربية. أنا لا أريد أن أكون مرفوضا إذا كان ما أقوله لا يروق للعقول المتخلفة، فأنا اعرف المصير الذي ينتظر العلماء الحقيقيين بين السوقة من الناس، ولذلك تراني أدافع، لا عن قضيتي، بل عن قضية العرب).

كان لديهم كل هذا الشعور بالدونية وكانوا محقين – وكان لدينا الاستعلاء..

ثم كان ما كان..

غزوا القلعة من الداخل قبل أن تتهدم الأسوار..

***

ينوح رجال "**كمالك بن نبى**" و"**محمود ثابت الشاذلى**" وهما يصفان مرحلة الانحطاط.. تتقطع نياط قلبيهما وتتقطع نياط قلوبنا معهما:

وصلت عوامل التعارض الداخلية في العالم الإسلامي الواهن قمتها وانتهت إلى حتميتها الموعودة، فانشأت مجتمعا جديدا له خصائص وسمات جديدة في عصر جديد هو عصر الانحطاط ، حيث توقف إشعاع الروح فخمد إشعاع العقل ، وبالتالي فقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل ومقدرته على الهمة الناشطة واتسعت الهوة بين السلطة الحكومية والضمير الشعبي. وقد أدى هذا الانقلاب في القيم إلى انهيار البناء الاجتماعي فلم يعد يقوى على الوفاء بمقومات العلم والفن والابتكار. ذلك أن "الروح"، والروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية إن تنهض وتتقدم ، فحينما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت ، لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض ، وعندما يبلغ مجتمع ما هذه المرحلة، أي عندما تكف الريح التي منحته الدفعة الأولى عن تحريكه – تكون نهاية دورة وهجرة حضارة إلى بقعة أخرى تبدأ فيها دورة جديدة .. ولم يعد الدين هو "مركب " القيم الاجتماعية، أى بؤرة الارتكاز التي تنبثق منها كل المفاهيم والتصورات والعادات والتقاليد والإلهام الدافع إلى الخبرات المختلفة، بل صار إيمانا جذبيا أو نزعة فردية دون إشعاع . وعندما يتحول

الدين من التعبير عن فكرة جماعية إلى التقوقع في نزعة فردية، تتجمد رسالته التاريخية على الأرض .

ذلك إن الإيمان الناشط المشع يصنع حضارة، أما الإيمان الفردي الجذبي فيهرب إلى صومعة .. حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود وما كان لأى معوض زمني إن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية وهو الإيمان .. وقد ترتب على ذلك حالة من التشرذم خرّ معها الصولجان القادر، وتحطم ، واستحال إلى صويلجانات يتخاطفها صغار الملوك ..

***

إن هذه أمتكم أمه واحدة وأنا ربكم فاعبدون ..

كيف غفلنا .. كيف ذهلنا .. كيف عمينا .. كيف تعامينا ..

كيف عبدنا الشيطان.. كيف تركنا لتلاميذ دنلوب وصبيان زويمر وجنود كرومر أن يسوسونا.. بل يسوقونا ..

إننى أناشدك أيها القارئ، أيها القارئ المنكوب بكتاب معظمهم طلبوا الباطل وأصابوه وبعضهم طلبوا الحق فأخطأوه ، وبالرغم من ذلك ، يواجهونك بكبرياء أعظم الفلاسفة وثقة أعظم العباقرة، وكأنهم لا يخطئون، وكأننا بفضل كتاباتهم قد سدنا العالم .. أما أقل القليل من الكتاب فهم الذين ما يزالون قابضين على الجمر.. لذلك أناشدك والدواهى آخذة بنا .. ألا تستمر فى سلوك طالما أوردنا موارد التهلكة.. ألا تواصل القراءة بصورة سلبية مكتفيا بأن شاشات رادار عقلك مازالت صافية .. وأن بوصلة اتجاهاتك مازالت سليمة .. فذلك لم يعد يكفي .. فإزاء كل حرف تقرأه لكاتب يذكرك بمن أنت ومن أين أتيت وإلى أين ينبغى أن تمضى.. يوجد من يكتب ويطبع وينشر ألف حرف لكتاب ليسوا سوى عبدة الشيطان أو السلطان كل كاتب منهم يصل إلى ملايين القراء على أجنحة أجهزة إعلام غارقة فى بحار الجهل أو التخلف أو الخيانة .. لذلك فإن عليك – لا أقول المبادرة فقد فقدتها منذ زمان طويل- وإنما محاولة لتعويض الفارق الهائل بين وسائلنا الضعيفة المهيضة المحاصرة ووسائلهم الجبارة العالمية المدعومة بالشيطان..

نحن فى نفس المركب التى يخرقها السفهاء فينا .. وعليك أيها القارئ أن تبذل جهدك لخرق الحصار المضروب علينا ... لماذا يقرأ الصحيفة

مثلا قارئ واحد أو أسرة واحدة .. لماذا لا نتفق أن تتبادل الصحيفة خمس أسر .. والكتب .. الكتب الغالية محدودة التوزيع قليلة التأثير .. لماذا لا يتفق خمسون شخصا يكتفى كل منهم بشراء كتاب أن يتبادلوا هذه الكتب فيقرأ الواحد منكم خمسين كتابا بدلا من كتاب واحد .. ولماذا لا تعقد حلقات للمناقشة والحوار فى مضمون هذه الكتب والصحف .. فلعل ذلك يشكل فكرا متجانسا للأمة .. ولعله يخلق وعيا نكشف به ونحارب سموم شياطين الإنس .. ولعلها عودة إلى فكرة : "العامود" حين كانت مجموعة من الدارسين يتدارسون معا كتابا معينا أو منهجا ما .. يجب أن يتفاعل الناس.. أن يتحاوروا .. ولعل تأثير تلك الحوارات ينتقل إلى أطفالنا لينقذهم .. أطفالنا المساكين الذين يواجهون مستقبلا مروعا مجللا بالأباطيل والزيف والكذب.. أطفالنا المساكين الذين شغلتنا القوارع عنهم ... فليس لهم آباء كآبائنا يهدونهم سواء السبيل .. أطفالنا المساكين الذين ينتظرهم مستقبل تتسابق فيه أجهزة الدول وأنظمة العالم على تشويه الوعى وطمس الهوية وإعلاء شأن الباطل ..

***

كان صديقى يقول مذهولا: هؤلاء الأمريكيون أكذب ناس فى التاريخ، ثم أخذ يحكى لى عن الفيلم السينمائى الذى شاهده بالأمس .. كان الصديق يقول أنه برغم الإجرام والبربرية التى مارسوها فى فيتنام فقد عكس الفيلم الصورة تماما وجعل الفيتنامى المتخلف المتوحش هو الذى يعذب الضابط الأمريكى الفارس النبيل ثم يهرب بعد ذلك من الجوع والتخلف فى بلاده ليلجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويكاد يموت لولا أن الضابط الأمريكىينقذه !!.. وقلت لنفسى أنهم وأسلافهم قد مارسوا نفس الحملة الهائلة من الكذب والتضليل كى نكره أى دولة توحدنا.. ولكى يعزلوا لإسلام عن الحكم.. كى يدفعونا إلى عبادة الشيطان .. نفس منهج الكافر الفاجر "أتاتورك" .. ونفس سخريته من الدين .. حين أمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية وتلاوة الصلاة باللغة التركية ولما ثارت ثائرة رجال الدين والعلماء ، فكان رده عليهم: ألا يفهم الله اللغة التركية ؟..

ولقد نجحوا ونجح تلاميذهم.. تلاميذ دنلوب .. نجحوا وما زالوا ينجحون .. يسخرون من رموزنا .. ويشبه الفاسق سيد شباب أهل الجنة بالشيخ الصباحى.. ويسخر.. فلا يتصدى له من مشايخنا شيخ ..

نسوا الله ..

عهد الله إليهم وإلينا ألا نعبد الشيطان.. فعبدناه..

انظر أيها القارئ حولك ..

انظر بعينى رأسك لتحصى عبدة الله وعبدة الشيطان..

انظر فى حكوماتك .. فى كتابك ومفكريك.. فى المسئولين..

انظر قبل ذلك كله داخل قلبك.. انظر نظرة صدق..

هل يهولك أن الشرك فى قلبك..

هل يهولك أن تكتشف أن الشيطان لم يكن له أن يحكم ويسود إلا لأننا عبدناه من دون الله ..

أحص أيها القارئ – بعد أن تتخيل أننا أجرينا استفتاء – نسبة الأصوات التى يمكن أن نعطيها للشيطان..

هل يمكن أن تقل عن ٩٩, ٩٩%..

ألا تذكرك هذه النسبة بشيء أيها القارئ؟.. ألا تذكرك ببعث جهنم.. حين يصدع آدم عليه السلام لأمر ربه ليخرج حصاد جهنم .. من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين..

قلب عباد الشيطان الصورة، تماما كما جعلوا من الفيتنامى وحشا متخلفا ومن الأمريكى بطلا منقذا..

أولئك هم أعداؤك يا وطنى.. أولئك هم أعداؤك يا أمة.. شقوا الأمة..

فى خطبة الوداع قال خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم: "**يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى**"..

لمستنيرينا رأى آخر.. لفساقنا رأى آخر..

إذ الفضل قد يكون للون أو للجنس أو للوطن أو للقوم أما التقوى والفسوق فحرية شخصية لا حق لأحد بالتدخل فيها.. يعترف الوزير أنه زان والكاتب أنه حشاش فلا يتحرك أحد .. فإذا تكلمنا نبحت كلابهم وعوت ذئابهم وانقضت صقورهم.

مارسوا أبشع كذب وأبشع تزوير..

لم يكتفوا بالحاضر فعربدوا فى التاريخ أيضا..

ألقوا بروثهم عليه تماما كما ألقى المشركون بالروث على سيد البشر وخاتم النبيين..

يقول الأستاذ محمد قطب[1]:

وقد لاحظت في أثناء قراءاتي ، وفي التدريس كذلك ، أن التاريخ الإسلامي لا يقدم بمنهج صحيح ، سواء لطلاب العلم أو للقارئ العام . وأن معظم ما نقرأه في الدراسات الحديثة هو ما قدمه المستشرقون ، سواء أكان ذلك بطريق مباشر من كتبهم ، أم عن طريق تلاميذهم من "**المؤرخين**" المسلمين ، الذين يتلقون كلامهم كأنه القول الفصل الذي لا يحتمل النقاش ! وغني عن البيان أن المستشرقين كانوا أنشط ما يكونون – في عملهم التخريبي – في مجال التاريخ الإسلامي!.. وأحسست منذ تلك الفترة البعيدة أنه لابد من إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على نسق آخر غير ما يقدمه المستشرقون وتلاميذ المستشرقين ! .. وظل إحساسي بهذه القضية يتزايد مع مرور الأيام ، كلما ازددت اطلاعا على ما يكتبه "المؤرخون " المحدثون في التاريخ الإسلامي ، وكذلك كلما برزت إلى الوجود صيحات مشبوهة ، تنادي بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، ولكن من زوايا أخرى ، لا تقل تخريبا عما كتبه المستشرقون من قبل .. فمرة من زاوية القومية العربية ، ومن مضحكاتها أن صلاح الدين – الكردي – كان يدافع عن القومية العربية ، وبطلا من أبطالها ! ! ومرة من زاوية الاشتراكية ، ومن مضحكاتها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كان قائد ثورة الفقراء ضد الأغنياء..! ومرة من زاوية التفسير المادي – أو التفسير الاقتصادي –للتاريخ ، ومن مضحكاتها أن الدافع وراء الفتوح الإسلامية كان هو الدافع الاقتصادي ، ووراء الحروب الصليبية كذلك ، وأن الدين في الحالتين كان ستارا يستغله المستغلون..! وكنت كلما مرت مناسبة من هذه المناسبات أزداد اقتناعا بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من منطلق إسلامي، وبروح إسلامية، لا تتأثر بتلك التيارات المنحرفة والصيحات المشبوهة، التي تريد طمس معالم ذلك التاريخ ، وطمس مقوماته الخاصة النابعة من كونه تاريخ " **الأمة الإسلامية** " بالذات ، وإن ادعت تلك التيارات " الروح العلمية " أو " الموضوعية " أو "المنهجية " أو ما شابه ذلك من الشعارات!

كتب الأستاذ محمد قطب ذلك .. ونوه بأدب ووقار إلى مزورى التاريخ.. أولئك الذين قرءوا تاريخنا فى كتب المبشرين والقسس الذين يعتبرون نبينا المصطفى أكبر دجال فى التاريخ.. كبرت كلمة تخرج

---

١ – كيف نكتب التاريخ الإسلامى. محمد قطب. دار الشروق– راجع أيضا لنفس المؤلف والناشر: مذاهب فكرية معاصرة .

من أفواههم .. قرءوا ذلك وصدقوه .. ولم تكن لديهم الشجاعة لإعلان كفرهم .. ولا لمواجهة الناس .. ابتعدوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم (بعض حثالة حثالتهم لم تبتعد) وهاجموا من عداه.. وشبه أحدهم سيد شباب أهل الجنة ابن بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالشيخ الصباحى زعيم حزب الأمة وقارئ الكف الشهير..

فى ظل هؤلاء المستنيرين تمكن الغرب من عقلنا..

سيطر الغرب ووكلاء الغرب وعبيد الغرب على قطاعات الثقافة والإعلام والتعليم فاستنزفوا وعينا ووجداننا ..

راحوا يروجون للغرب الذى يعاملنا كالأطفال... فطفل يخدعه بالألعاب والحلوى (الكويت ؟) .. وطفل يفزعه بالضرب المبرح (العراق؟) .. وطفل يوهمونه لإشباع غروره أنهم يعاملونه كبالغ (مصر؟)..

اندفعوا يكررون تجربة الكافر الفاجر كمال أتاتورك بعد أن استفادوا مما حدث فى تركيا فتجنبوه فى مصر.. أجروا العملية الجراحية فى تركيا دون تخدير لكنهم فى مصر وباقى أرجاء العالم الإسلامى يجرونها بمخدر قوى ..

فى معظم دوائر الغرب الثقافية ينظرون إلى العلمانية كمرادفة للإلحاد.. مستنيرونا السفلة وجدوا أن العلمانية ستسقط فى بلاد المسلمين لو احتفظت بمعناها الحقيقى فى الغرب فراحوا يموهون عليها..

وإننى أرجو من القارئ أن يقرأ معى مطالب الجيش العلمانى فى تركيا من الحكومة هناك.. أن يقرأها لا ليعرف ما سوف يحدث لنا .. ولا ما سيحدث لنا .. بل ليعرف ما يحدث لنا بالفعل..كانت هذه هى أوامر العلمانيين فى تركيا[1]:

١ - منع أى دعوات مؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية .

٢ - فرض الرقابة على شبكات البث الإذاعى والبث والتليفزيون الإسلامية .

٣ - منع ارتداء "لباس " يتعارض مع ما نص عليه القانون ، مما يعنى فعليا تطبيق حظر ارتداء النساء للحجاب .

---

١ - مجلة الاجتهاد. دار الاجتهاد بيروت العددان ٤٥/٤٦. وراجع أيضا: تركيا. رضا هلال مكتبة دار الشروق .

٤ – فرض إجراءات للحيلولة دون خرق الإسلاميين المتشددين لأجهزة الدولة.

٥ – فرض رقابة مشددة على شراء البنادق قصيرة الماسورة، بحجة إقبال الإسلاميين على شرائها .

٦ – فرض رقابة على الموارد المالية للجمعيات الدينية) .

٧ – إحياء المادة ١٦٣ من قانون العقوبات ، التى تنص على تجريم أى نشاط سياسى بدافع دينى .

٨ – إلزام الحكومة بالمراقبة الدقيقة لجهود إيران لزعزعة النظام العلمانى فى تركيا.

٩ تجريم العمل ، بصورة مطلقة ، ضد النظام الديمقراطى العلمانى.

١٠ – تطبيق المادة ١٧٤ من الدستور، الخاصة بعدم التعرض للإصلاحات التى اعتمدت فى ظل الجمهورية التركية منذ تأسيسها عام ١٩٢٣.

١١– الطلب من المدعين العامين اتخاذ إجراءات فورية ضد أى عمل يعتبر انتهاكا للقوانين ، وإغلاق المؤسسات الدينية التى تنتهكها .

١٢ – زيادة مدة التعليم الإلزامى إلى ٨ سنوات (يعنى فعليا إغلاق مدارس إمام خطيب أى الكتاتيب).

١٣ – إغلاق مدارس تعليم القرآن التى يديرها أصوليون .

١٤ – مساءلة رؤساء الأحزاب عن تصريحات وبيانات رؤساء بلديات ينتمون إليها.

١٥ – حظر تسلم المجالس البلدية لأى تحويلات من منظمات دينية فى الخارج .

١٦ – منع إقامة المسجد (الجديد) فى حى "تقسيم " بإسطنبول .

١٧ – فصل ١٦٠ من ضباط الجيش لانتمائهم للتيار الإسلامى.

١٨ – فصل بعض حكام الولايات المنتمين للتيار الإسلامى .

هذه هى تعليمات الجيش العلمانى فى تركيا..

فى تركيا ؟!..

لماذا تطبق إذن ذات التعليمات فى مختلف أرجاء عالمنا العربى؟؟..

نفس التعليمات.. ليس الجيش إذن هو مصدر تلك التعليمات..

بل دوائر الصليبية والغرب..

راجع التعليمات أيها القارئ مرة أخرى..

وقارنها بما يحدث فى بلادنا من أقصاها حتى أدناها..

افعل ذلك.. واكتشف من يحكموننا..

وتحرك..

لا للوطن كرامة.. ولا للدين حرمة[1] ..!!..

أى شأو بعيد من السمو كنا قد بلغناه وسيد البشر وخاتم المرسلين يتلوها فى خطبة الوداع: "**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**"..

يقول المفسرون : أي ورضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم دينا باقيا بكماله لا أنسخ منه شيئا. لا ينقص يا أمة ولا ينسخ منه شيئا..

لا ينقص يا من أنقصتموه بحجج باطلة تحتج بأننا لسنا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتتحرك ألسنة تظهر الإيمان وتبطن الكفر لتقول: وهل نحن كالصحابة حتى نفعل ما كانوا يفعلون ؟!..

أى شأو وأى شأن كنا قد بلغناه .. ومتى ولم وكيف انحدرنا ..؟!..

إننا نعرف فى أى يوم وفى أى ساعة غزا الأعداء بلادنا لكن التساؤل هو : متى غزا الأعداء أرواحنا ..

متى ران ظلامهم فطمس النور فى قلوبنا؟..

إن رحى الإسلام دائرة فلِمَ لمْ تدوروا حيث دارت..

ولقد افترق السلطان والقرآن فلم فارقتم القرآن واتبعتم السلطان..

ألم يخبرنا حبيبنا وقائدنا ومعلمنا وشفيعنا المصطفى عليه السلام : "**ألا إنه سيكون عليكم أمراء مضلون، يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم**"..

وسأل السائل:

– فما نصنع يا رسول الله ؟..

قال:

– " **كما صنع أصحاب عيسى، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب، والذى نفس محمد بيده لموت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله عز وجل** "..

كان مثلنا وقدوتنا أصحاب الأخدود واستشهاد سيد شباب أهل الجنة فى كربلاء .. كانوا هم مثلنا العليا.. فمتى أصبحت مثلنا العليا– بل

---

١ – الشعب : ١٩٩٩/١٠/١.

السفلى- جماعة كوبنهاجن .. وبرامج التليفزيون .. والصحف الصفراء والكتاب الصفر .. ورموز حضارة الغرب وانحلاله..

إن الأمر لا يحتاج حتى إلى الإيمان بل إلى مجرد الإنصاف لندرك أن شطر سطر فى حديث نبوى شريف يرجح كل مواثيق حقوق الإنسان التى يتباهى بها الغرب علينا.. وشطر سطر آخر يرجح كل نظم الديموقراطية الغربية..

كان أصحاب الأخدود مثلنا الأعلى..

يقول الدكتور "**محمد السيد الوكيل**"[1] فى كتابه "**هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه**" : فى قصة أصحاب الأخدود ثورة على التفكير البشرى، وتمرد على جبروت الظالمين، وإذلال لكبرياء الملحدين، وتثبيت لإيمان المؤمنين.. وبطل القصة غلام حدث، صغير فى سنه كبير فى عقله، ضعيف فى جسمه قوى فى إيمانه، ذليل فى عشيرته، عزيز بربه، استقر الإيمان فى قلبه، وخالطت بشاشته روحه، فوجد حلاوته بين جوانحه، فاستعلى على الكفر، وتمرد على الظلم، لم يكن فى الأرض مؤمن سواه، ثم آمن على يديه جليس الملك بعد أن أبرأه الغلام من العمى باسم الله، وكان أجدر بالغلام أن يضن بحياته، لا ليعيش طويلا فى قصر الملك، ولا لينعم بملاذ الحياة فيه، ولكن ليدعو إلى الله، وينشر الدعوة بين صفوف معاصريه، وقد حاول الملك أن يقتله مرارا لكن الغلام كان يدعو الله فينجيه.. انتشر خبر الغلام بين الناس، وعجبوا لأمره، ولم يهمل الغلام فرصة يستطيع بها نشر دعوته ولو كان الثمن حياته، فقال للملك: " لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى ثم تأخذ سهما من كنانتى وتقول: باسم الله رب هذا الغلام، ثم ترمينى به".. وفعل الملك ذلك.. ولم يكن يظن أن فيه القضاء على جبروته، وأنه بذلك يقنع الناس بالإيمان برب الغلام.. كان خوفه من فكر الغلام دافعا إلى قتله دون أن يفكر فى النتائج التى ستترتب على ذلك، وكان يظن شأن كل طاغية أنه بقتله للغلام سيقضى على دعوته،ولم يكن يحسب قط أن أصحاب الدعوات إنما يستشهدون لتحيى مبادئهم وتخلد دعوتهم.. وفعل الملك كما قال له الغلام ورماه بسهم فوقع فى صدغه فمات..

يا أمة .. لو أن هذا الغلام فكر كما نفكر الآن..

لو أنه فكر أن يخدع نفسه أو أن يخادع الله .. كما نفعل..

---

١ – هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه. محمد السيد الوكيل.دار الوفاء.

لو أنه " حسبها " كما نفعل ..

لو أنه فعل ذلك لما رضى بالموت، أليس هو المؤمن الوحيد، أليس هو البذرة التى لما تنم بعد ولم تؤت ثمارها.. ومن الذى يضمن له إيمان القوم إذا هو مات..

لكن الغلام لم يفكر كما نفكر.. وأقدم على الاستشهاد مخلصا لدعوته.. وهذا ما يملكه.. أن يكمل القصد.. ولقد حدث على الفور .. فلم يكد الغلام يقتل حتى آمن الناس بربه الذى مات فى سبيله.. وانتصرت مقاييس السماء على مقاييس العقل البشرى.. وجن جنون الملك - وما أكثر ما يجن جنون الملوك - عندما رأى أن الأمر قد أفلت من يده.. وأن الغلام المقتول قد انتصر عليه وعلى جبروته.. ولو لم يكن جنون الملك مجنونا لخضع لإرادة شعبه ولأقدم على تغيير نظامه الفاسد الكافر بنظام خير مؤمن.. ولكن الملك الوحشى الجنون.. والذى لم يكن يهمه فى الوجود إلا استقراره على كرسى العرش حتى ولو على جماجم شعبه .. هذا الملك.. طاش صوابه - ولم يكن له أبدا صواب - إذ كيف يتمرد الرعاع على ربوبيته.. وكيف ينكر الدهماء ألوهيته.. أوليس هو الذى يطعمهم ويسقيهم ويكسوهم؟ أوليس هو الذى يدبر أمرهم.. أوليس هو الماثل المتجسد الذى يرونه رأى العين.. يحيى ويميت.. بيده الذهب والسيف والنار وهو على كل شئ قدير.. كيف يتركون الإيمان به إلى إله لم يروه.. كانوا بالنسبة للملك إرهابيين كفروا به .. كانوا بالنسبة للملك متأسلمين ظلاميين حمقى.. وأمّن خدم الملك وعبيده من كتاب وجنود على ما يقول.. لم يكونوا يرون إلا ما يرى.. وأمرهم الملك بخد الأخاديد فحفروا فى الأرض شقوقا هائلة.. استجاب الزبانية.. وأتى رجال مباحث أمن المملكة وأشعلوا فى الأخاديد نيرانا هائلة.. كانوا قد شقوا بالمناشير قبل ذلك اثنين آمنا بالغلام ورفضا أن يرجعا عن إيمانهما بالله الواحد القهار.. ووقفت أمّة الغلام أمام هذا المشهد الرهيب ثابتة كالطود.. لم تروعهم المحنة.. ولم ينل من إيمانهم هول الفتنة.. لم يشترطوا على الله أن يؤمنوا بشرط ألا يعذبوا أو يفتنوا.. لم يرجعوا فى بيع أنفسهم بأن لهم الجنة.. لم ينبت من بينهم رواد تنوير ولا رؤساء تحرير يزينون لهم الكفر بعد الإيمان.. لم يجروا استفتاء .. بل وقف كل واحد منهم ينتظر دوره.. ليلقى بنفسه فى الأتون المستعر.. كان الجبار الطاغية السفاح يستعلى عليهم بجنده وكتبته.. وكانوا يستعلون بالله .. وكانوا أعلى.. التهمتهم النار وكانوا أعلى .. بل التهمتهم النار فكانوا أعلى.. وطوت يد الظلم والجبروت صفحة غضة من التاريخ لم تكد تنشر..

يصرخ الدكتور محمد السيد الوكيل: لو أن مؤمنى الأخدود ترددوا مجرد تردد لبادوا وبادت دعوتهم إلى الأبد..

هكذا يجب أن يكون المسلم، ليثبت للعالم أنه لا سلطان للطغاة والمستبدين إلا على أجساد فانية، أما الأرواح فقد باعها المؤمنون لبارئها، وأهل الأرض جميعا عاجزون عن النيل منها..

يقول شهيد الإسلام المرحوم سيد قطب: " لقد كان فى استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لإيمانهم، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد"..

لقد كان مؤمنو الأخدود هم الأساتذة الذين علموا بلالا وصهيبا وعمارا وسلمان وسيد شباب أهل الجنة الحسين وسليمان الحلبى وسعد إدريس حلاوة وخالد الإسلامبولى وشهداء حماس ومقاتلى حزب الله وجيش تحرير كوسوفا ومناضلى الشيشان وثوار داغستان.. كانوا هم المعلمين الأوائل الذين علمونا كيف يكون الصبر عند البلاء وكيف تكون التضحية بأعز ما يملك الإنسان فى سبيل عقيدته..

يا أمة.. : العقيدة..

لو صلحت عقيدتكم لصلح لكم أمر الدنيا والآخرة..

وليس الصلاح الذى يحسبه المنافقون عبيد السلطان المتمردون على الله ويقيمونه بالذهب والدولار..

صلاح آخر يا أمة..

صلاح يبذل الإنسان حياته فيه فى سبيل الله لا فى سبيل الطاغوت..

صلاح من يؤمن بـ **{يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا}**.

لكم ارتجف قلبى يا أمة وأنا أقرأ الحديث النبوى الشريف عن أول من يدخل النار يوم القيامة.. إنه شهيد .. أجل شهيد يؤتى به فيُسأل فيم قاتلت واستشهدت فيقول قاتلت واستشهدت فى سبيل الله فيقال له كذبت بل قاتلت كى يقال شجاع وقد قيل.. اذهبوا به إلى النار..

ارتجف قلبى يا أمة..

بكيت..

تذكرت الآلاف والآلاف من شهدائنا.. ذلك الذى قاتل من أجل ذرة رمل فى سيناء.. وذلك الذى استشهد فى حفر الباطن.. وأولئك الذين يموتون فى العراق .. وذاك الذى مات فداء لزعيمه المفدى.. أو مضحيا من أجل وطنه العظيم .. هل هم شهداء حقا يا أمة.. أيؤتى بهم يوم القيامة فيقال لهم فيم استشهدتم فيقولون فى سبيلك يا رب .. فيقال لهم كذبتم.. بل قتلتم فى سبيل طواغيتكم وأوطانكم وعشائركم .. اذهبوا بهم إلى النار..

وا حسرتا .. وا حسرتاه يا أمة ... وا حسرتاك يا أمة..

لو أنك يا أمة آمنت حقا لما كان هذا الحال حالك..

أصلحى عقيدتك يا أمة فإن هذا السواد حالِك..

العقيدة..

لقد ضربت لكم فى المثل بالبورصة.. فلو أنكم آمنتم واعتقدتم بأن سهما سيرتفع سعره فى نهاية العام إلى عشرة أضعاف.. من منكم لن يشتريه..

من لا يؤمن لا يشترى.. ومن يؤمن لا بد أن يشترى..

العقيدة يا أمة..

إننى أفهم الآن فى عذاب لا يوصف بصيصا من معنى الآية القرآنية "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ..

تلك هى الأمانة يا أمة.. الأمانة التى عجزت عن حملها السماوات والأرض.. الأمانة .. العقيدة..

لشد ما أوغلتُ وأوغلتِ فى الخطأ يا أمة..

لكم كان يرعبنى أن أتهم واحدا بالكفر فأبوء به..

اقتصرت على اتهام المنهج والفكر لا الأفراد..

لم أكن أستسيغ أبدا أن يكون القائمون بالتعذيب أو مزورو الانتخابات مؤمنين..

ولم أكن أستسيغ أبدا أن يكون الموالون لأعداء الأمة على حساب الأمة مؤمنين..

كنت أقترب من هذه المنطقة برعب وحذر..

الآن ينفجر فىّ اللغم يا أمة رغم الحِرص والحذر..

الآن ينفجر التساؤل: هل هم الطواغيت فقط؟..

هل هم عبيد الطواغيت فقط..؟.. هل هم شرطة الطواغيت فقط؟..

هل هم كتاب الطواغيت فقط؟..

هل أصيب أولئك وأولئك وأولئك وسلمت أنت يا أمة..

هل سلمت عقيدتك يا أمة..

إننى أعلم أننى بهذا التساؤل أفتح بابا لنار من نيران الأخدود على نفسى، ولكن مرحبا بها ، لا والله .. ليس لكى يقال شجاع.. ولكن خوفى يا رب منك أكثر من خوفى منهم.. لا وحق جلالك وعزتك يا رب .. لا أطلب منك ميثاقا أن أجاهد فيك بشرط ألا أوذى.. أسألك العفو لكنى لا أشترطه.. يشترطه جل شيوخنا ومعظم مجاهدينا..

يشترطون عليك يا رب..

العقيدة يا أمة..

ليس الله بظلام للعبيد..

ثمة خلل فيك يا أمة لا أجرؤ على تسميته..

كان آخر من ألقي في النار من مؤمنى الأخدود امرأة معها صبي رضيع، فلما رأت النار صدّت بوجهها وأعرضت فقال لها: يا أمَّتاه قِفي ولا تُنافقي وقيل: إنه قال لها ما هي إلا غُمَيْضَة فصبرت..

فألقيت في النار..

فهل رأيت هذا المعنى للنفاق يا أمة..

وهل تعرفين أن الكلمة مشتقة من الفعل "**نفق**" .. ونفقت الدابة أى خرجت روحها من جسدها ونافق المنافق أى خرج الإيمان من قلبه خروج الروح من الجسد..

هل رأيت ؟!.. لن أجرؤ على أن أسميك يا أمة..

يا أمة إن الله حق والدين حق والغيب حق والجنة حق والنار حق..

يا أمة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو قيل لأهل النار ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا، ولكن جعل لهم الأبد".

جعل لك الأبد يا أمة فكيف تغفلين وتزوَرّين؟!

يا أمة عليك أن تدركى أن ثمة خلل فيك ..

لكم ضيعتِ من وقتٍ وجهد..

مبارك أم السادات.. السادات أم عبد الناصر.. الثورة أم الملك.. النحاس أم مكرم.. سعد زغلول أم عدلى يكن.. أمريكا أم روسيا.. الاشتراكية أم الرأسمالية.. الشرق أم الغرب.. الشمال أم الجنوب.. الإسلام أم العروبة .. مصر أم السعودية .. لبنان أم سوريا.. القدس الشرقية أم الغربية.. العراق أم الكويت .. الخليج أم إيران.. إرجاء أم تعجيل..

ماذا كان مرجعك يا أمة فيما اختلفتم فيه..

ماذا كان مرجعك..؟.. هل كان هو الله أم الهوى؟..

أجيبى يا أمة .. أجيبى تعرفى سبب ما أنت فيه..

حسنا .. بل ليس حسنا..

سنفترض أن فئة منا تحب مبارك أو السادات أو عبد الناصر..

فيم أحبت .. أفى الله أم فى الهوى..

ولنفترض أن فئة أخرى أبغضت هذا أو ذاك..

فيم أبغضت .. أفى الله أم بالهوى..

هل تعرفين الآن يا أمة لم تشرذمت..

لأنك فقدت الدليل والمرجع..

اتبعتم هواكم.. وما دمتم قد اتبعتم هواكم فقد حق لكل واحد منكم أن يكون جزيرة معزولة.. هو مرجع نفسه.. لم تلومونه إذن حين لا يتفق مع آخرين هم مراجع نفوسهم..

هبوا أننا فقدنا المتر كوحدة لقياس المسافة..

هل يتفق بعدها اثنان منك يا أمة على مقدار مسافة..

هبوا أننا فقدنا الكيلوجرام كوحدة لقياس الوزن..

هل يتفق بعدها اثنان منك يا أمة على مقدار وزن.

لماذا فقدت مقياسك ومرجعك يا أمة؟!..

لماذا فقد بعض كتابك عقولهم وضمائرهم فلم تقوّميهم..

عندما كتبت نعمات أحمد فؤاد تطالب بعودة الكتاتيب كى تعود للقرآن مرجعيته فوجئنا بانفجار طوفان المستهزئين فى صحفنا القومية بعد نشر مقالها بيوم واحد.. ولم يكن الوقت يكفيهم حتى لكتابة مقال فلكأنما كانت

مقالاتهم معتقة منذ ألف عام فى أقبية كنائس المستشرقين وأوكار المبشرين وأنها جاهزة للنشر – دائما – عند الطلب..

وعندما صرح الرئيس مبارك بعدها بأسابيع أنه تعلم القرآن فى الكتاب وحفظه كفت الكلاب الجرباء فجأة عن العواء..

إنهم يحبون الرئيس أكثر من حبهم لله..

ويخافون الرئيس أكثر من خوفهم من الله..

وليس على الرئيس فى ذلك وزر.. لكن واجبه أن يفعل بهم ما فعله إمام المتقين بمن عبدوه من دون الله..

على برنامج التغيير المزموع – وأرجو ألا يكون المزعوم – أن يتكفل بهذا ..

إن الإسلام طريد ومحاصر وعلى التغيير الجديد أن يفك أسره..

فى كتابه "آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم[1] " يقول الدكتور جابر قميحة: من كان يسمع بسلمان رشدى إلا بعد أن جعل من القرآن آيات شيطانية.. ومن كان يسمع بسعيد حبيب قبل أن يصف الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته الكرام بالحمق والطيش والتخلف الفكرى – كبرت كلمة من أفواههم إن يقولون إلا كذبا – .. ومن عجب أن ينهض فى بعض البلاد العربية والإسلامية من يدافع عن هذين المارقين ومن سار فى دربهما بحجة الحق فى حرية التفكير والتعبير فى الوقت نفسه الذى ينادون فيه بوجوب الشنق فى ميدان عام للرجعيين المتخلفين الذين يدعون إلى حاكمية الإسلام مما يسميه العلمانيون بجريمة الردة الفكرية أو الحضارية..

و على برنامج التغيير[2] أن يتكفل بهذا.. لأنها أصبحت ظاهرة .. ليس فى العالم الغربى فقط – وذلك منه فجر.. بل فى عالمنا الإسلامى أيضا – وذلك منا كفر – إذ الطريق إلى تسنم ذرى الشهرة والغنى وفتح أبواب الجاه لا تبدأ إلا للمتيقن أنهم بعيدون عن الإسلام.. وكلما ازداد بعدهم كلما ارتفع شأنهم..

إن تليفزيوننا – نحن الدولة المسلمة– يبعد المحجبات..

---

١ – آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم. د.جابر قميحة. رابطة العالم الإسلامى.مكة. العدد ١١٦ من سلسلة دعوة الحق.

٢ – أسفر الوعد بالتغيير الشامل عن تغيير وزارى أجمع الكل أنه أسوأ .

وتعليمنا نحن الدولة المسلمة تستبعد الملتحين..

هل تذكرون نداء المأسور الغالى مجدى حسين ذات يوم إلى الدولة.. كان مدعوا فى حقل زفاف فى إحدى قاعات الأماكن السيادية.. على الباب منعوه فالأوامر تقضى بمنع دخول الملتحين..

نحن الدولة المسلمة..

وأنت يا أمة إزاء هذا غائبة مغيبة لاهية ملهية..

تتركين وعيك ينزف وذاكرتك تستنزف وأنت سادرة فى خلافات واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان..

هل وقفت يا أمة ذات يوم تقولين أنا أحب فلانا لكننى أحب الله أكثر.. أو أنا أخاف فلانا لكننى أخاف الله أكثر.. أو أنا أبغض فلانا لكننى أقر أنه يطبق شرع الله..

هل تلوت يا أمة قول الله:

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين }.

فتربصى يا أمة ..

وسلى نفسك إلى أى مدى حكمت الإسلام فى حياتك..

إلى أى مدى صدقت الله وإلى أى مدى خادعتيه.. وما خادعت إلا نفسك ولكن لا تشعرين..

الإسلام الذى رضيه الله لنا دينا..

الإسلام الذى لا ينقص منه شيء ولا ينسخ منه شيء.. لا الإسلام المعدل ولا الإسلام بشرطة ولا الإسلام الذى توافق عليه أمريكا وإسرائيل..

لماذا يا أمة تركتيهم يفعلون بك كل هذا..

هل كان يتهددك أكثر من نار الأخدود؟!..

أخرج ابن عساكر عن سليمان بن يسار قال: بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء: أريد اليمن. فقال حسن الخلق: أنا معك. وقال الجفاء: أريد

الحجاز. فقال الفقر: أنا معك. قال البأس: أريد الشام. فقال السيف: أنا معك. وقال العلم: أريد العراق. فقال العقل: أنا معك. وقال الغنى: أريد مصر. فقال الذل: أنا معك.

لماذا اختفت الأشياء جميعا يا أمة ولم يبق إلا الذل والعجز وأنت ترين وتألمين فلا تتحركين.

كانت الحقيقة واضحة..

تركت لهم ميادين التعليم والثقافة والإعلام فعاثوا فيها فسادا..

لم تعد للوطن كرامة ولا للدين حرمة..

هل تعرفين لماذا يا أمة؟..

أقرئى معى كتاب الأستاذ أنور الجندى: الإسلام والتغريب الفكرى:

تقول المبشرة أنا مليجان: ليس ثمة طريق أقصر إلى حصن الإسلام من المدرسة، إنها أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب والمسيحية، وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم.. وهذا هو الهدف فى الحقيقة: السيطرة على الجيل الجديد منذ مطلعه،لإعداده على النحو الذى يكفل له عندما يصبح فى مكان القيادة السياسية والاجتماعية والثقافية فى وطنه أن يكون صاحب ولاء فطرى وثقافى قوامه الحب والإعجاب والتقدير للذين علموه ونشئوه..

هل أدركت يا أمة؟!

لقد كان النبت الشيطانى لهؤلاء هم الذين حملوا لواء التشهير بالدولة العثمانية وعملوا على تمزيق الرابطة بين العرب والترك وتمكين الدول الأوربية من تقسيم الفريسة فيما بينها، هم الذين خدموا النفوذ الأجنبى فى مصر، كانوا هم المقربين لكرومر، وهم أصحاب الصحف الكبرى، وهم الداعون إلى العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، ومنهم صدرت كل الدعوات التى تعمل على تعميق الإقليمية وتمزيق وحدة العرب والمسلمين الفكرية وإيقاع الخلاف بين العروبة والإسلام.

هل أدركت يا أمة؟..

يصف جبران خليل جبران أثر مدارس التبشير فيقول : " فى سوريا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز ولما أحيانا أماتنا، لأنه أيقظ بعض مداركنا، ونبه عقولنا قليلا، وأماتنا بأن فرق كلمتنا وضيع وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا " ..

أما ميخائيل نعيمة فيقول: " لقد عرفت سوريا غزاة كثيرين، فلم يكن من شنار عليها وهى الضعيفة أن ترضخ لقوة فوق قوتها، إلا أنها منذ أواسط القرن الماضى اتخذت مهدا لغزاة ما عرفت مثلهم من قبل، غزاة جاءوها لا ليملكوا جسمها بل ليقبضوا روحها، فقد شنوا عليها الغارة بالتوراة والإنجيل والريالات والعقاقير، فكانوا أشد قسوة عليها من كل من سبقهم، افتتح هؤلاء سوريا باسم الدين، وكان على المبشرين أن يزينوا مدنيتهم للسوريين كما لو أنها صفوة الكمال، فحملوهم على احتقار مدنيتهم واحتقار أنفسهم، ومن ثم فقد صوروهم للغرباء الذين أرسلوهم فى حالة تقارب الهمجية، فمسلمهم جاهل، ونصرانيهم وثنى، وكلهم كذبة ضد المدنية.."..

يقول الكاتب الفرنسى إبتين لامى : " إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيده انتشارا، أما الوسيلة الفعالة لهدمه وتقويض دعائمه فهى تربية بنيه فى المدارس التبشيرية أو المسيحية، ونفث جراثيم الإلحاد فى صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون، فإن لم يتنصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا مسيحيين..

أما زويمر كبير المبشرين فى العالم الإسلامى فيتحدث عن هدفهم من عزل القرآن عن الناشئة وتشويه تاريخ الإسلام لتكوين مجتمع لا هو يهودى ولا هو مسيحى ولا هو مسلم فيقول: " ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة .."..

لا للدين كرامة ولا للوطن حرمة..

فهل تمارين يا أمة أنه نجح..

لا للدين كرامة ولا للوطن حرمة..

كان عبد القادر الحسينى طالبا فى الجامعة الأمريكية، ويوم حفل التخرج طلب الكلمة، وفاجأ الجميع بقوله :

" إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس فى مظهر المدرسة العلمية، ولكنها فى الحقيقة بؤرة إفساد للعقائد الدينية، وهى تطعن فى الإسلام.."

وكشف عبد القادر الحسينى عن عدد من الكتب المقررة تمس النبى والإسلام.. وقال مدير الكلية أن هذه الكتب ليست مقررة على الطلبة..

وكان المدير كاذبا..

تكرر الكذب بعد ذلك ..

تيقن الغرب أن لا مجال لخروج المسلم من دينه بأساليب التبشير العادية.. فركز محاولاته على إبقاء الإسلام مادام لا مناص.. على أن يفرغه من مضمونه، راحوا يعلون شأن الثقافات الغربية ويؤلهون أبطالهم، وفى نفس الوقت يسفهون أبطالنا ويثيرون الشبهات حول حقائق الإسلام واللغة العربية والتاريخ العربى والإسلامى ..

كان العمل الأساسى للمبشرين تزييف تاريخ الإسلام والعرب، ومن بعدها تزييف العقيدة الإسلامية لحمل المسلمين والعرب على الاعتقاد بأنها سبب تخلفهم.. وأن السبيل الوحيد إلى النهضة هو التخلى عنها..

فى كتاب وجهة الإسلام تأليف جب وأربعة آخرين كانت أهدافهم العامة: الحيلولة دون وحدة المسلمين، والقضاء على جامعتهم الفكرية والسياسية..

يقول جب: تغريب الشرق إنما يقصد به إلى قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحى.. وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر، حتى إذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها.. وبقيت عيالا على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعادة.. وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا..".

كان محمد حسين هيكل(حسين وليس حسنين) واحدا من الذين تعلموا فى الخارج وأشربت أنفسهم بحب الغرب وعبادته، وراح يروج لفكر الغرب فى مجلة السياسة الأسبوعية وجريدة السياسة اليومية، وفجأة أحس بالهاوية تحت قدميه..رأى أن دينه هو المستهدف فغضب لإسلامه الذى يريد الغرب أن يمحوه.. وانطلق هادرا ليكتب أكثر من خمسين مقالا يهاجم فيها الغرب بعد أن انكشفت أمامه الحقيقة كاملة.. كان قد وصل إلى قرار

حاسم في موقفه من الغرب.. راح يعترف بمرارة أن الذين درسوا في أوروبا_ يقصد نفسه ومجموعة من زملائه: - طه حسين ومحمود عزمي ومصطفى عبد الرازق - كانوا هم رسل الحضارة الغربية والداعين إليها في مصر، ظنا منهم أن هذا هو السبيل إلى نهضتنا..

في عصرنا هذا البئيس لا نجد واحدا مثل محمد حسين هيكل يخطئ فيعترف بخطئه فيكفر عنه..

ويبقى السؤال..

منذ متى سكنت الدنيا قلوبنا التي عميت عن الآخرة..

والدنيا ما سكنت في قلب عبد إلا التاط قلبه منها بثلاث: شغل لا ينفك عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه.

الدنيا طالبة ومطلوبة ...

فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه..

وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه...

منذ متى فقدنا مثلنا الأعلى..

الإجابة هائلة ومروعة وطويلة يا أمة..

وإنها تشمل الدين والتاريخ والثقافة..

يقول العلامة محمود شاكر:

" من العسير إن لم يكن من المستحيل الممتنع، أن أقص عليك في كتاب كبير، قصة شعوب مختلفة كثيرة العدد، تطاولت عليها أيام وتتابعت سنون، منذ ذرّت عليهم شمس اليقظة، ثم انبسطت عليهم أشعتها، حتى تحركت أوصال كل حي من جماهيرها الغفيرة، هذا محال، أفتظن، إذن، أني قادر على مثل ذلك في ورقات قلائل، كلا، فما هو إلا الوصف السريع الخاطف.."

ويواصل:

" كيف كان ذلك؟ ولم كان ما كان؟ قصة طويلة عريضة ملؤها الغرائب والعجائب، والمضحكات والمبكيات، والحسرات والآهات، من مبدئها إلى منتهاها، ليتني أستطيع على المكان - أي الآن - أن أقصها عليك كاملة بتفاصيلها، ولكن أني أن يكون لي ذلك الآن؟ فأقنع مني بالاختصار المفهم، والإيماء الخاطف، واللمحة الدالة، إبراءً للذمة، ذمتي

أنــا، وأداءً للأمانـــة الــتى حملــتها لأســتودعها بيـــن يديـــك، وأنت مخير بين خطتيـــن لا ثالـــثة لهمـــا: إمـــا أن تتقصـــى المكنون الغائب من تفاصيلها المشتتة فـــى تـــاريخك وكتـــبك، بعقـــل وهمـــة وجـــد ويقظة وبصر وإدراك، وبأنفة من قـــبول الـــذل والعـــار والمهانـــة، وإما أن تملها فتطرحها عن كاهلك قابلا للمزيد مـــن الـــذل والعـــار والمهانـــة، مســـتحليا خـــداع النفس بأوهام سولتها لك حياتنا الأدبـــية هـــذه الفاســـدة، والـــتى ألقـــت بكـــل فسادها فى حياتنا اللغوية والثقافية والسياســـية والاجتماعـــية والأخلاقـــية، بـــل فى صميم حياتنا الدينية أيضا، حتى أوشـــك أن يضـــيع كـــل شـــىء كـــان غـــير قابل للضياع، فاختر لنفسك منها ما شـــئت، فـــإن اخـــترت الخطـــة الأولى، فاصبر على لأوائها ومشقتها ولا تجزع ، وكـــن رابـــط الجـــأش لا تســـتحوذ علـــيك المخـــاوف والرهـــبة ، ولا تهولنك أســـماء الـــرجال المحدثيـــن الكـــبار، والـــتى لها دوى وضخامة، فإنما هى طبل فـــارغ، وزق مـــنفوخ ملـــؤه هـــواء، واعلـــم أن الأمر جدّ كله، فإن داخله الهزل خرجـــت مـــنه صـــفر اليديـــن. ولا يغرُرْك زخرف الألفاظ الوسيمة المتلألئة ، مـــثل قولهـــم : الجديـــد والقديـــم، والأصـــالة والمعاصـــرة، والتخلف والتحضر، فإنمـــا هـــى ألفـــاظ لهـــا رنيـــن وفتنة، ولكنها مليئة بكل وهم وإيهام وزهو فارغ مميـــت فـــاتك، توغـــل بـــنا فـــى طريق المهالك، وتستنزل العقل حتى يرتطم فى ردغـــة الخـــيال، - أى طينـــته اللـــزجة- ، فـــإن استبان لك أول الطريق ولكن هبـــت وتـــرددت، فاســـتمع عـــندئذ لنصـــيحة الحسن البصرى رضى الله عنه: " إن مـــن يخوّفـــك حـــتى تلقـــى الأمن، أشفق عليك ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف" ، كان الله فى عونى وفى عونك.

الهلاك يتهددك يا أمة..

فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم..

تؤمـــنون بـــالله ورســـوله وتجـــاهدون فـــي سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون

يغفـــر لكـــم ذنوبكـــم ويدخلكـــم جـــنات تجـــري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم

ذلك هو الفوز العظيم..

ذلك هو الفوز العظيم..

لا للوطن كرامة.. ولا للدين حرمة[1].. ٢ !!..

طوفان بلا سفينة نوح ..

طوفان ..

طوفان يطاردنا ويغرقنا فيغفل كل منا عن سبيل النجاة ليأوى إلى جبل يعصمه من الماء..

لن يعصمنا الجبل من الماء..

فالجبل سيغمره الماء..

الجبل سيفنيه الماء..

أما من اعتصموا به فخالدين فى النار أبدا..

من يندفع إلى النار ستكون النار عليه بردا وسلاما..

ومن يبحث عن جبله الذى يعصمه من الماء سيكون الماء حوله جحيما لا يخبو أواره ولا تخمد ناره أبد الآبدين..

يا أمة ..

لست أدعى لنفسى الصواب والحكمة.. كما أننى لن أخدعكم أبدا لأدعى أننى وحدى اكتشفت طريق النجاة.. فما أنا إلا بقايا من مزقة شراع تمزق.. وشظية سفينة تحطمت.. ومزقة الشراع تدرك أنها وحدها لا تدفع السفينة أبدا ثم أنه لا سفينة.. وشظية الخشب تدرك أنها لا يمكن وحدها أن تكون سفينة أبدا ثم أنه لا شراع..

بك يا أمة يلتئم الصدع ويرتق الفتق وتعود المزق شراعا والشظايا سفينة نأوى إليها فتعصمنا من جبال الماء.. من الطوفان يا أمة.. كل واحد منا معلق بشظية أو يمسك مزقة من شراع.. بك يا أمة.. بكم يا قراء.. حينما يدرك كل واحد منكم أنه مزقة وشظية.. وحين يجاهد كى يقترب من الآخرين كى تعود السفينة سفينة والشراع شراعا.. بك يا أمة.. وبكم يا قراء.. عندما لا يكتفى كل واحد منكم بما يقرأ.. منتظرا من الغيب أن يأتى له من يقوم بالعمل عنه..

---

١ – الشعب : ١٩٩٩/١٠/٢٩ .

أحـيانا يـا قـراء يفـيض ألمـى فيسـوء أدبى.. أهتف من نفس مكلومة : يـا رب .. طـال السـفر وبعـدت الشـقة وغرتـنا الأمـانى وخدعنا الشيطان وابـتعدنا عـنك ولا نملـك القـوة والعزيمة - ربما ولا حتى الرغبة - للرجوع إلـيك .. عجـزنا.. طـال الابـتلاء فعجـزنا.. يا رب .. علمت أن فينا ضعفا.. فـتجاوز عـنا تجـاوز الحلـيم .. وارفع عنا غضبك رفع من لا يعجزه شئ .. ارفع عنا ما نعانيه من الذل والمهانة .. ارحمنا ..

وفى أحيان أخرى يا قراء أشعر بالخجل.. كيف أدعوه وما من أحد منا جاهد فـيه حق الجهاد.. أحيانا.. أجد جوارحى ساجدة لكرمه.. لأننا لم نفن ولم نبد بعد.. ولأن مـا حدث لعاد وثمود لم يحدث لنا بعد.. وأن السماء ما زالت تمطرنا الماء السلسبيل لا الرجم والشهب والصواعق .

يا أمة ..

غـثاء كغـثاء السـيل نحـن.. زبـد سيذهب إن لم تتداركنا رحمة الله جفاء.. تداعت علينا كلاب الدنيا كما تتداعى الأكلة على قصعة..

يا قصعة..

يـا قصـعة بترول العالم ومدفن نفاياته.. تداعت الأكلة عليكم.. فى الداخل والخارج تداعت الأكلة عليكم.. تداعى الطواغيت عليكم.. تداعى الأعداء عليكم.. تداعـى الاخوة عليكم.. تداعى الأبعد والأقرب.. بل تداعيتم على أنفسكم.. انظروا إلـى مـا يحـدث فـى جـروزنى والعراق .. وداغستان وفلسطين .. والبوسنة والسودان.. وكوسوفا والصومال .. وأمان الله التى حولوا اسمها إلى مانيلا والقاهرة التى لم تعد قاهرة.. والفليبين وبورما.. أما البلد الذى أنزلت فيه أعظم آيات التوحيد فى تاريخ الكون فقد صار البلد الوحيد فى الدنيا الذى ينتمى باسمه لاسم شخص.. انظـروا إلى بخارى وسمرقند وحفر الباطن .. انظروا إلى بقايانا .. إلى أشلائنا المتـناثرة وجـوارح الـدول تنقض عليها ..انظروا أنى شئتم .. فحيث لا للوطن كـرامة ولا للدين حرمة فثمة بلاد المسلمين .. كانت كل بلد فى هذه البلدان عضوا من أعضاء الجسد الإسلامى إذا ما مرض تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .. إذا مـا مـرض!!.. الآن تبتر الأعضاء فلا يتحرك أحد..!! فإذا ما جرؤ على التحرك أحد فهو إرهابى وهو من أتباع أسامة بن لادن.. يقول بذلك طاغوت يؤيده مائـة شـيخ وألف ألف سيف.. فُتِنَ اليسار العربى بذى اللحية جيفارا لأنه يقارع الاستعمار العالمى والإمبريالية وأمريكا.. ارتفعت بطولته لحد الأسطورة.. وعندما مـات بكته بالدماء العيون.. فلما جاء بديله.. بل الأفضل منه إلى ما غير حد وهو

أسامة بن لادن لم يجرؤ قلم أن يقول كلمة حق فيه.. الفعل ذات الفعل بل أعظم .. والقصد لله لا للناس.. والسجايا أعظم بما لا يقاس.. لكنه ارتكب الجريمة التى لا غفران لها .. فهو مسلم..

أنتم أيضا أيها القراء مجرمون لأنكم مسلمون..

هكذا ينظر الغرب إليكم .. وهكذا ينظر حكامكم إليكم..

وهكذا تنظر نخبتكم إليكم..

هو الطوفان يا أمة بلا سفينة نوح..

لا تنتظروا عرافا يستكشف لكم طريق النجاة..

لا .. ولا مفكرا ولا كاتبا ولا زعيما.. ولا دولة..

أنت يا أمة بإذن الله قادرة إن أردت..

لكن تذكرى دائما أنك لن تقدرى حتى تغيرى ما بنفسك..

يصيبنى اليأس أحيانا يا أمة..

ليس اليأس من رحمة الله ولا اليأس من وعد بالنصر أومن والله به بل لولا إيمانى به ما استطعت أن أعيش..

إنما أيأس من حاضرك يا أمة..

يستوقفنى القراء الذين يتابعون مقالاتى فى الصحف وعلى شبكة الإنترنت كثيرا..

كان ثمة قارئ يحمل أعلى الدرجات العلمية يهتف من الولايات المتحدة : " اكتب.. قل لهم أن ممارساتهم قد انتزعت من قلوبنا حب الوطن.. إننى أعرف أنك ستعارضنى.. لكننى أقول لك الحقيقة.. ليس هذا شعورا شخصيا.. كل المغتربين العرب والمسلمين هنا يشعرون ذات الشعور.. أصبحنا نكره أوطاننا.. فالمكان الذى نمتهن فيه ونهان ليس وطنا.. والمكان الذى لا يحافظ على كرامتنا وكرامته ليس وطنا.. والمكان الذى يمارس التعذيب والتزوير ليس وطنا .. والمكان الذى يعلى الطالح ويطيح بالصالح ليس وطنا.. والمكان الذى لا يحفظ للدين حرمته ليس وطنا .." .. صرخت فيه.. ذلك هو المكتوب بنصه فى بروتوكولات حكماء صهيون..

يقول البروتوكول العاشر:

"إن حكمنا سيبدأ في اللحظة التي يصرخ فيها الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم - وهذا ما سيكون مدبرا على أيدينا - فيصرخون هاتفين : إخلعوهم وأعطونا حكما يستطع أن يمنحنا السلام والراحة، لكن لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكام، اضطراب يستثمر العداوات والحروب والكراهية والموت استشهادا أيضا، هذا مع الجوع والفقر، وسيستمر كل ذلك إلى الحد الذي لا ترى شعوبهم الأمل في أي مخرج من المتاعب غير أن يلجئوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة ."

فزعت يا قراء.. فزعت..

إنهم - استهانة - بشأننا لم يخفوا عنا شيئا..

وطرق ذبحنا مكتوبة في كتبهم منشورة على أوسع مدى فهم كالقصاب القاسى الذى لا يبالى أن يدارى عن شاة ذبحه لشاة أخرى..

فزعت يا قراء.. واشتد فزعى برسالتين من رسائل القراء..

كانتا كخنجر أغمدا فى قلبى..

عجزت بعدها عن الكتابة..

كانت الرسالة الأولى من طالب فى قسم التاريخ فى كلية الآداب:

الدكتور محمد عباس

أنا طالب بالفرقة النهائية بكلية الآداب - قسم التاريخ وقد حرصت علي دخول ذلك القسم من باب قول الشاعر . .

اقرؤوا التاريخ فإن فيه العبر قد ضل قوم ليسوا يدرون الخبر

و اكتشفت بعد قراءتي لكتب ومذكرات الأساتذة ومتابعتي لسلسلة مقالاتك كيف زور تاريخنا وكيف ترك مثقفونا أقلامهم لمؤرخي الغرب كي يكتبوه بدلا منا وصدقني يا أستاذ أن هؤلاء فى الغالب ينقلون كتبهم من مصادر أوربية كتبت بأيدي قساوسة وشماسين تقطر مؤلفاتهم سماً وحقداً.

فمثلاً ندرس مادة اسمها نصوص تاريخية مترجمة عن اللغة الأوروبية تصف المسلمين بأنهم وثنيون يعبدون محمدا والغريب أن الأستاذ الدكتور لا يرد علي تلك الترهات وإنما يطلب منا أن نتبع الكتب الأصلية التي وردت بها تلك النصوص لكي تزداد الغشاوة علي أبصارنا.. إنهم يدرسون لنا مثلا إن محمد الفاتح قام بقتل كل اخوته الذكور حتى لا يشاركوه

فـي الحكـم وأن السـلطان بايـازيد تعقـب أخاه المنشق الأمير نجم في أوروبا حـتى تخلـص مـنه وإن كمـال أتـاتورك أقام دولة عصرية في تركيا أزال بها دولـة الـتخلف والخلافـة.. والآن .. الحاضـر هـو انعكـاس الماضي (...) مـنذ فـترة وجـيزة ظهـرت المذيعـة فـي بـرنامج إخـباري في التليفزيون المصـري منتشـية وهـي تعلـن عن خبر إقامة حفلة في الجزائر لاختيار ملكة جمـال وحضـره الرئـيس الجزائـري وكان ظهور الفتيات الجزائريات عاريات الجسـد فـي رأي السـادة معـدي البرنامج وهو دليل علي أن الجزائر انتصرت علي الإرهاب الإسلامي فقلت في نفسي بل فرنسا هي التي انتصرت .

إننـي يـا دكـتور أحـاول قدر استطاعتي وقف نزيف الوعي عن طريق نشـر مقـالاتك بيـن زملائـي الطلـبة وبين كل من أعرفه والحمد لله أنها تجد إقـبالاً رغـم كـل تلـك الهالة من التي تطل علينا من خلال إعلام كاذب ونفاق رخيص وصور مبتذلة .

و إننـي أنظـر حولـي سـواء فـي الشارع أو الجامعة وأتساءل في صدق هل نحن مسلمون بل إنني أشك في نفسي هل أنا مسلم أم لا . . .

علاء محمد عبد الراضي

***

آلمتنى يا بنى.. آلمتنى..

هـو الطوفـان يـا بـنى.. فكـيف أسـتطيع بجهدى المتواضع أن أواجه المؤسسة التعليمية والإعلامية وقد اخترقت حتى النخاع..

كـيف أسـتطيع.. ربمـا يقـرأ هـذا الكـتاب خمسة آلاف .. خمسين ألف أو حـتى مائـة ألـف.. مـاذا عـن ستين مليون آخر.. ماذا عن ثلاثمائة مليون ومـاذا عـن مليـار وربع المليار.. كيف أصل إليهم لأقول أن ما يتخرصون به .. وما يعتبرونه العار هو الفخار بعينه..

لقد حاول الصليبيون – دائما – ولا يزالون اختراق النخبة الحاكمة ..

ولقد كانوا دائما – ولا يزالون – ينجحون ..

فى صدر الدولة العثمانية.. عندما كان الإسلام هو المحرك والمرجع.. لم يكن هـناك أى تسـامح مع الخونة الذين يتآمرون مع العدو ضد الأمة.. لم يكن الخونة والجواسـيس يتولون الحكم.. كان دوندار عم عثمان بن أرطغل متآمرا خائنا فلما اكتشـف أمـره أعدم.. وكان ساوجى ابن السلطان مراد خائنا آخر تآمر على أبيه عـندما كـان يواجـه تحالف أوربا كلها ضده تحت رعاية وبتوجيه البابا أوربيان

الخامس تحت شعار الانتقام للصليب من العثمانيين المسلمين.. فى هذا الظرف تآمر ساوجى بن السلطان مراد مع الأمير البيزنطى أندرونيقوس، الابن الثانى للإمبراطور يوانيس.. وانتقلت المؤامرة من طور التدبير إلى طور التنفيذ.. فسار الأميران على رأس جيش للقضاء على السلطان مراد الذى هزمهما شر هزيمة وألقى القبض عليهما .. وحوكم ساوجى وحكم عليه بالموت ونفذ فيه الحكم..

هاتوا لى ملكا من ملوك العرب والعجم يحاكم ابنه .. مجرد محاكمة !!..

شقيق السلطان محمد الفاتح كان طفلا غفلت المربية عنه فى المسبح فغرق ..

السلطان بايزيد الصاعقة.. لم يقتنع علماء الشرع بمبررات إعدام أخيه .. فماذا كان موقفهم؟ .. لقد قاطعوه – وهو السلطان والملك – وردوا شهادته..وعندما ذهب ليفتتح مسجد " أولو جامع " سأل الحاضرين إذا كان ينقص المسجد شئ فأجابه العالم المؤمن شمس الدين الفنارى معرضا به وساخرا منه ومحتجا على عدم التزامه الكامل بالإسلام إجابة لا يستطيع أى عالم من علماء المسلمين على أعتاب القرن الحادى والعشرين أن يوجه مثلها لحاكمه .. قال الشيخ لأقوى سلطان فى الدنيا:

بالنسبة لنا نحن المسلمين فإننا لا نجد أى نقص فى بناء المسجد، أما بالنسبة لك يا بايزيد، فإننى أخشى أن تكون قد نسيت أن تضع خزانة تحفظ فيها خمورك بجانب المحراب ..!!..

كان خطأ فرد لا خطأ الإسلام..

كان خطأ فرد لم يعرف عنه أنه اتخذ الإسلام مرجعه.. ومع ذلك يحملون جرائمه على الإسلام..

ولكن الخطأ الذى يأخذه الصليبيون على العثمانيين لم يكن ذلك.. لأن الجرائم التى ارتكبت فى كواليس القصور الأوروبية كانت أفظع إلى ما غير حد ..

الجريمة التى ارتكبها العثمانيون كما يعبر عنه المستشرق الألمانى فولدكه فى مجلة " دار إسلام" عام ١٩٢٤ هى: " **إن دخول الأتراك فى الإسلام كان أكبر نكبة فى التاريخ**" .. مؤرخونا لا يذكرون ذلك يا بنى.. مؤرخونا درجوا على خداعنا بأن الحروب الصليبية انتهت عام ١٢٩١..

إن ماضى الأتراك غامض قبل دخولهم الإسلام .. لكنهم بدخولهم الإسلام وإنشاء الدولة قلبوا كل مخططات الصليبيين رأسا على عقب

عـندما حولـوا مـيدان الحـروب الصـليبية بعيدا عن قلب الأمة.. إلى الشمال وإلـى الغـرب.. فـى عقـر دار الصليبيين .. فهل تعلم يا بنى متى بدأ ذلك ؟.. بـدأ عـام ١٣٠٠ مـيلادية.. فـتذكر على الفور التاريخ الآخر الذى يقولون لك أن الحـروب الصـليبية انتهـت فـيه: ١٢٩١ مـيلادية!!.. لا يمكـن أن يكون مؤرخونا قد أخطئوا عن جهل.. أليس ذاك يا بنى؟!..

لـم تـتوقف الحـروب الصـليبية أبـدا .. يذكر زياد أبو غنيمة فى كتابه: جوانـب مضـيئة مـن تـاريخ العثمانيـن الأتـراك : اضطر العثمانيون بل المسـلمون - لخـوض غمـار الحـروب ضد أعدائهم بشكل متواصل ومستمر خـلال الأعـوام التالـية : ١٣٠١ م (وهـي السـنة التي أعلن فيها عثمان بن أرطغـرل تأسـيس الدولـة العثمانـية) ١٣٠٩ ، ١٣٥٢ م ، ١٣٦٥ م ، ١٣٧٠ م ، ١٣٨٩ م ، ١٣٩٤ م ،١٤٠٢ ، ١٤٣١ م ، ١٤٤٢ م ، ١٤٤٣، ١٤٤٤م ، ١٤٥٢م ، ١٤٥٥ م ، ١٤٥٦ م ، ١٤٥٧ م ، ١٤٦١م، ١٤٦٤ م ، ١٤٧١ م ، ١٤٧٣ م ، ١٤٧٤ م ، ١٤٩٤ م ، ١٥٠٨ م ، ١٥١٧ م ، ١٥٧١ م ، ١٥٩٦ م ، ١٦٠١ م ، ١٦١٤ م ، ١٦٥٧ م ، ١٦٦١م ، ١٦٦٤ م ، ١٦٧٢ م ، ١٦٨٣ م ، ١٦٨٧ م ، ١٦٩٥ م ، ١٦٩٦ م ، ١٦٩٧ م ، ١٧٠٩ م ، ١٧١٣ م ، ١٧١٦ م ، ١٧٣٦ م ، ١٧٦٢ م ، ١٧٦٨ م ، ١٧٦٩ م ، ١٧٧١ م ، ١٧٧٣ م ، ١٧٧٤ م ، ١٧٨٧ م ، ١٧٩٨ م ، ١٨٠٦ م ، ١٨٠٧ م ، ١٨١٥ م ، ١٨٢٢ م ، ١٨٢٧ م ، ١٨٢٨ م ، ١٨٣٠ م ، ١٨٥٣ م ١٨٦٠ م ، ١٨٦٧ م ، ١٨٧٧ م ، ١٨٨١ م ، ١٩١١م.

وفـى عـام ١٩١٨ م أقحمـت عصـابة الاتحـاد والترقي - وهى حكومة عمـيلة خائـنة زرعهـا الصـليبيون لـتحكم تركـيا تماما كما فعلوا فى العديد مـن بلادنـا - أقحمـت الدولـة فـي الحـرب العالمـية الأولى حيث انهزمت شـر هـزيمة ممـا أدى إلـى إعطـاء الفرصة لأعداء الإسلام ، لتنفيذ مخططهم للقضاء نهائيا على الدولة العثمانية ، سلطنة ، وخلافة .

سـتمائة عـام هـى عمـر الدولـة العثمانية المسلمة - أطول دولة إسلامية عمـرت فـى الـتاريخ - يسـقطها أسـاتذتك المستنيرون يا بنى كى يستطيعوا القول فى بساطة: انتهت الحروب الصليبية عام ١٢٩١..!!

هـل تـريد أن تلـم بطـرف من تفاصيل هذه الحروب يا بنى.. كى تربط شظية خشب بشظية خشب ومزقة شراع بمزقة شراع..

لم تتوقف الحروب الصليبية أبدا يا بنى .. ولا ليوم واحد..

والذيـن يقولـون بغـير ذلـك هم ما بين جاهل غبى وضال حائر ومضلل جائر وخائن سافر..

لقـد أسـقطوا الإسـلام كـرابطة ومرجعـية وقـرءوا الـتاريخ فى إطار منهجهم الشيطانى ذاك وسكبوه فى آذننا سما ناقعا..

أسـاتذة الـتاريخ فـى جامعاتـنا مثلا لا بد – بحكم التخصص– أن يعرفوا الحقـيقة.. لكـنهم عـرفوها فكـتموها ودرسـوا لتلاميذها سواها.. ليس سواها فقط بل عكسها تماما تماما ..

فـى موجـة الاندفاعـة الصـليبية لحصـار الإسـلام والمسلمين .. اندفع البرتغالـيون لاحـتلال مديـنة سـبته المغربـية عـام ١٤١٥ م ، مازالت سبته حـتى الآن تحـت الاحـتلال، مؤرخونـا الأشاوس لا يذكرون لنا كيف احتلت، لقـد احتلـت بطـريقة حصـان طـروادة، كنـت قد كتبت شيئا كهذا فى إحدى قصصـى الخيالـية وكنـت ألـوم نفسـى لأن الخـيال جمح بى فتصورت أنهم سـيحتلون القاهـرة بجـيش يرسـلونه فى صناديق المعونة الضخمة[١]. بعد أعوام قـرأت أن ذلـك قـد حـدث بـالفعل فـى سبته. سلطوا قراصنتهم على الميناء فافـتقد الأمـن وكسـدت الـتجارة فساوموا المغاربة أن يديروا لهم الميناء مقابل تأميـنه، ووافقـوا كمـا مـا زلـنا نوافق، وذات ليلة أرسل الصليبيون صناديق ضـخمة فـيها جـيش صغير مكون من أربعة آلاف، هاجم المدينة من الداخـل وفـتح الأبـواب لجـيش أسـبانى ضـخم وصـل إلى الميناء بعد نجاح الخطة، وهكذا نجحت المحاولة بعد محاولات كثيرة فاشلة سبقتها.

اسـتهدف البرتغالـيون المسـلمين أنـى كانوا.. وفى ١٤٩٨ وصل فاسكو ديجامـا إلـى كالـيكوت علـى سـاحل مليـبار، كانت دول المماليك فى مصر وفـارس ودلهـى تعـانى الضـعف الشـديد ولـم يكن لديها أسطول.. وفرض الأسـطول الـبرتغالى سـيطرته علـى المحـيط الهندى، ولم يعد لأى سفينة أن تعـبره دون أن تحمـل ترخيصـا يسـمى: (Cartaz) مـن قرطاس، مقابل دفع إتـاوة، وكانـت السـفن الـتى لا تحمـل هـذا الترخـيص، وأحيانا التى تحمله عرضـة للإغـراق أو المصـادرة مـن قـبل الأسـطول الـبرتغالى إذا ما كان التجار من المسلمين.

وبرغم الضعف كان ما يزال للأوطان كرامة وللدين حرمة..

---

١ – قصة المؤتمر فى المجموعة القصصية : إعلانات مبوبة – دار جهاد للنشر .

أدرك السلطان الهندى المسلم خطورة الوضع فاستغاث بسلطان مصر قنصوه الغورى الذى أرسل أسطولا بقيادة الأمير حسين التركى حيث أوقع الهزيمة بأسطول برتغالى بالقرب من ميناء شيول فى يناير ١٥٠٨ إلا أن البرتغاليين استطاعوا فى العام التالى القضاء الكامل على الأسطول المصرى، ثم طوروا هجومهم ليحتلوا سواحل عدن وجزيرة هرمز وجزيرة سوقطرة فيمدوا سيطرتهم إلى جميع الدول المطلة على الخليج العربى.. وتدهورت الحالة الاقتصادية فى مصر بعد نجاح الحصار الاقتصادى الذى نجح البرتغاليون فى فرضه، وبادر قنصوه الغورى بالاستنجاد بالعثمانيين، فأمدوه بأربعمائة مدفع وأربعين قنطارا من البارود ومواد لصناعة السفن وعدد من الخبراء والبحارة.

انظروا يا قراء كيف كانت سائر الأعضاء تتداعى للعضو المريض ..

وانظروا إلى حالنا اليوم..

فى عام ١٥١٣ دخل الأسطول البرتغالى إلى البحر الأحمر واحتل جزيرة كران بقيادة ألفونسو دى بوكويرك، كان ينوى الاتصال بملك الحبشة المسيحى وتدمير محاولة المصريين لبناء أسطول جديد واحتلال جدة وإنشاء قاعدة بحرية للأسطول البرتغالى بها ثم الإغارة على المدينة المنورة وحمل رفات النبى صلى الله عليه وسلم، وفى عام ١٥١٦ أبحر فى البحر الأحمر آخر أسطول مصرى بقيادة تركى هو سليمان ريس يرافقه الأمير حسين الذى كان قائدا للأسطول فى معركتى شيول وديو..

تكررت المأساة التى ابتليت مصر بها دائما دون بلاد العالمين.. خطأ فادح من السلطان قنصوه الغورى، الذى شغل الأسطول بمعارك فى عدن واليمن ثم أمر بسحبه ، وتعقب الأسطول البرتغالى الأسطول المصرى الذى لجأ إلى جدة، كان العثمانيون قد أخذوا يد المبادرة وهزموا المماليك بعد تاريخ سابق خانت فيه مصر دورها التاريخى وتآمرت مع البندقية ضد القسطنطينية (ومع ذلك لم يتوان العثمانيون عن المساعدة عندما يكون الأمر أمر الإسلام والأمة) ، ضم العثمانيون مصر إلى الدولة الإسلامية الكبرى وتولوا مسئولية الدفاع عنها ضد الصليبيين، وتصدى الأمير التركى سلمان للأسطول البرتغالى فمنعه من احتلال جدة ، وتولى العثمانيون مهمة حماية البحر الأحمر وأحبطوا محاولة البرتغاليين إقامة قاعدة لهم فى سواكن بل واحتلوها..وبعد استيلاء العثمانيين على العراق أصبح فى إمكانهم مواجهة البرتغاليين فى البحر الأحمر والخليج بل وفى المحيط الهندى، وفى عام ١٥٤١ تحالف البرتغاليون مع ملك الحبشة ضد الزعيم

الصـومالى أحمـد الغـازى، فـأمده بحامـية علـى رأسـها ابن فاسكو ديجاما، وبادر العثمانيون بالتدخل فأبادوا الحامية البرتغالية وهزموا ملك الحبشة .

يقـول أميـن توفـيق الطيـبى فـى دراسة منشورة بمجلة الاجتهاد: بفضل قـوة العثمانييـن الـبحرية فـى الـبحر الأحمـر سـلمت المـنطقة من أخطار البرتغالييـن وأطمـاعهم، وكانـت تتمـثل فـى تهديدهم للبقاع الإسلامية المقدسة فـى الحجـاز، وسـعيهم فـى الـتحالف مع ملك الحبشة ضد المسلمين، والعمل علـى تعطـيل تجـارة المسـلمين مـع الشـرق (..) وبدا واضحا فى منتصف القـرن السـادس عشـر بأنـه لـم تكـن لـدى البرتغاليين القدرة الكافية للتحكم بـتجارة المحـيط الهـندى (..) وفـى عـام ١٥٦٤ كانـت كمـية التوابل التى وصلت إلى الإسكندرية أكثر من تلك التى وصلت إلى لشبونة.

إنـنى أذكـرك يـا بـنى بأنـه لـولا الدولـة العثمانية الإسلامية لكان بقايا المسلمين فى العالم العربى اليوم كبقاياهم فى الفلبيين وبورما والأندلس..

هـذا هـو الـتاريخ الصـحيح يـا بنى .. ولكن .. لا بد أن يشوه أساتذتك التاريخ خدمة لسادتهم ولسادة سادتهم..

لأننا لو قرأنا التاريخ قراءة صحيحة لانقلبت الأمور جميعا..

لـم تـتوقف رومـا أبـدا عـن مواجة مكة.. تغيرت الأسماء والبلدان لكن المواجهـة لـم تـتوقف أبـدا.. الآن روما هى واشنجتن.. أما بديل مكة فشظايا خشب ومزق أعلام..

ونحـن لـو قـرأنا الـتاريخ كذلك يا بنى لكان أى تحالف مع واشنجتن هو حلـف ضـد الإسـلام وضـد الله.. ولكانـت أى قاعدة لواشنجتن فى أى بلد من بلادنـا هـى حـرب علـى الله ورسـوله والمؤمنيـن.. ولكانت كل كلمة مديح وتقديـر وإطـراء لحـاكم مـن حكامـنا تـأتى مـن واشنجتن ليست إلا اتهاما بالخيانة العظمى..

يصـرخ مـراد هوفمـان أن كـل شـئ مسموح به فى الغرب إلا أن تكون مسلما..

هل قرأت ذلك يا علاء محمد عبد الراضى..

هـل كنـت أسـتطيع أن أقـول كل ذلك يا بنى وأن أضمن وصوله إلى كل مـن اسـتنزفت آلـة التعلـيم الجبارة وعيهم وإلى كل من شوهت أجهزة الإعلام الهائلة ذاكرتهم..

أحسست بالعجز يا بنى..

انفجـرت الذكـرى بواقعـة حزيـنة ومريـرة.. فمـنذ عدة أعوام حاولت أن أجـرى بحـثا عملـيا عـن سـبب تدهور التعليم فى الجامعة.. لماذا تحولت إلـى أوكـار للتجهـيل لا للتعلـيم.. فكرت فى أن أعد ثلاثين سؤالا لأوجهها إلى ثلاثيـن مـن الأسـاتذة المرموقيـن حرصـت علـى أن يمثلوا دولا عديدة من عالمـنا العـربى.. نجحـت فعـل فـى إعـداد تسعة وعشرين سؤالا ثم استغلق علـىّ.. وكنـت حريصـا علـى أن يكـون العـدد ثلاثيـن كى يسهل عمليات الإحصـاء والاسـتقراء.. ووضـعت السـؤال الثلاثيـن لإكمـال العدد ولم أكن أنا نفسى مقتنعا به .. كان السؤال :

ما هو دور الحرس الجامعى فى تدهور التعليم..؟!

وعندما عرضت الأسئلة على الأساتذة ذهلت.. لقد تركوا الأسئلة كلها واهتموا بالسـؤال الأخير.. كان رأيهم أن الحرس فى جامعات كثيرة هو الذى يدير الجامعة فعلا.. وتمنى أحدهم ساخرا أن يكون رئيس الجامعة لواء.. فعلى الأقل سنعرف مع من نتكلم ومن نحمل المسئولية.. فهم والوضع ذاك يمارسون سلطة مطلقة دون أى مسـئولية.. وواصـل الأساتذة نزيفهم: الحرس الجامعى ليس إلا الواجهة الظاهرة لأجهـزة الأمـن السياسـى .. تلك الأجهزة الحريصة على قمع أى حركة طلابية صـحيحة وسـليمة ومسـتقلة.. كل من يرون فيه بادرة لاستقلال الشخصية يعتقل أو يفصـل أو على الأقل يقمع.. أى بادرة للمعارضة – ليس بالضرورة معارضة سياسـية – إثـم كبـير يستحق العقاب الشديد.. ليست الجريمة فى موضوع ماذا تعـارض.. بل الجريمة أن تعارض أصلا.. وليس حتى أن تعارض بل مجرد أن يكـون لك رأيك المستقل.. وواصل الأساتذة نزيفهم.. تقوم أجهزة الأمن هنا بتبوير الـتربة الـتى يمكن أن تنبت للأمة قياداتها.. قال أحدهم فى مرارة: المطلوب أن نخـرج جـيلا ذلـيلا خاضعا بلا نخوة ولا كرامة ولا إرادة.. ثم واصل الأساتذة نزيفهم: تنجح أجهزة الأمن فى عملية الخصاء .. نجحوا فى تخريج أجيال مخصية عقيمة.. أما من توجد عليه أى شبهة.. فسوف تطارده تقارير الأمن فلا يعين أبدا.. وفى الجامعة نفسها.. تكون ورقة الأمن هى الورقة الرئيسية فى تعيين أعضاء هيئة التدريس.. الخنوع هو المسوغ الأول للتعيين.. من عارض مرة.. ومن جرؤ على إبـداء رأى لا مكان له.. فإذا حدث وتسرب أحد منهم إلى هيئة التدريس فما تزال هـناك أكثر من مراجعة.. فالترقية من معيد أو مدرس مساعد إلى مدرس مصفاة.. وكـل ترقية بعد ذلك مصفاة أخرى.. أما الاختيار للمناصب القيادية بعد ذلك فليس مجـرد مصفاة.. إنه مجزرة تسلخ على مذبحها كل قيمة ومبدأ ومثل أعلى.. صرخ واحد من الأساتذة :

ليس الأستاذ مخزن معلومات ولا جهاز كمبيوتر.. إنه شيخ عامود يعطى نموذج الشخصية والروح ومنهج العلم قبل العلم نفسه.. ولكنهم حرصوا على أن يكون الأستاذ مخزن معلومات فقط.. لكن المحزن أن أكثر الأساتذة علما هم أقواهم شخصية وأكثرهم على العطاء وبناء جيل سوف يقود الوطن فى المستقبل.. أما أولئك الخانعون الذين يستقر اختيار أجهزة الأمن عليهم .. فلا علم ولا أدب ولا شخصية ولا قيمة.. لذلك فهم يعلمون الجهل..

***

هل تدركون يا قراء أنى لست ضد أجهزة الأمن.. على العكس .. أنا معها.. مع أجهزة أمن تستطيع الإطاحة بالحاكم إن تنكب الطريق القويم.. ومع أجهزة أمن تستدعى رئيس وزراء سابق وزوجته إلى مخفر الشرطة بعد أن تفتش بيته[1].. مع أجهزة أمن حقيقية ولست مع فرق عبيد مدربة للحكام..

هل أدركت يا علاء محمد عبد الراضى وهل أدركتم يا قراء عمق الكارثة ..

وهل أستطيع يا أبو ياسر أن أواجه ذلك وأنت تحملنى مسئولية أفزعتنى وأبهظتنى.. أبو ياسر هذا هو مرسل الرسالة الثانية:

د. محمد عباس

أيها المقاتل أيها المحارب خذ الحذر وسدد الله رميك ..

أيها الطبيب أيها الحبيب أيها الجمعة..

حوصر الكتاب وضيعت الأحكام وغيب الفرسان وتاريخ الفرسان . .

نعم .. أيها الجمعة كم كنت جمعة دون أن تدري..

وكم اعتليت منابر وما الجمعة للجمعة دون منبر أو مضمون ؟

ابق علي جبل الرماة واستمر فلا سبيل للخسران ولا استسلام للشلل..

أيها الحبيب لا تهبط من هذا الجبل وصوب سهامك بالدواء وصوب سهامك بالسموم نعم بالسموم ونعم بالدواء ..

تقول . . يا أمة ثمة خلل فيك . . لا أجرؤ علي تسميته ..

---

١ – حدث هذا مع بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيلى سابق، بغدها وجهت اتهامات مالية إلى رئيس الجمهورية نفسه ، واستقال !!

ماذا لو سميته هلا سميته لله جرأة في الله لا علي الله . .

أمـــا رأيـــت ؟ .. رأيـــت الـــذي يكـــذب بالدين.. و.. ولا يحض علي رفع المعاناة والحصار

والويـــل لمـــن ؟ له ؟ أم الويل لمن؟ . . لمجلس الأمن . . لحلف الشياطين؟ الويل لمن ؟..

أمـــا رأيـــت ؟. وكـــم المصلين في الأمة ؟ وكم من المصلين عن صلاتهم ســـاهون؟ وما الصلاة بغير الله أكبر ؟ الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر .. وفي قلوبهم غير الله أكبر.. ألم تشهد عليهم بذلك ؟..

جـــل المصـــلين نالوا من الدين ما لم ينل منه من قبل المكذبون بالدين فالويل للأمة الساهية . . الأمة المرائية..

الويـــل . . ومتي كان الويل لغير المكذبين . . إلا في السهو عن الدين فما الدين بلا صلاة وما الصلاة بلا تكبير ..

الويل .. لامة ما منعت الماعون ..

أيها الباحث في ثقوب الذاكرة أرجوك ابحث عن الماعون ..

ما الماعون؟ .. ابحث عنه بعيداً عن معاجم اللغة ..

فلـــيس بالضـــرورة دلـــواً أو فأساً أو إناءاً فالقرآن يتحدي مستجدات العصور فابحـــث عنه من بعيد وقريباً في لوازم الطب في حاجيات الحياة في حقوق السجين وفي وزارة التعليم وفي الدستور لعلك تجده قلماً أو فكراً أو قانونا أو في كل ذلك .. ابحـــث عنه أيها الحبيب في قائمة المحظورات علي المسلمين المصلين ابحث عنه أيهـــا الحبيب في قائمة الممنوعات عن العراق والسودان والأطفال وفلسطين وبلاد القوقاز المسلمين والبلقان، ابحث عنه أيها الفارس في كل مكان بعيداً عن الأزهر..

يا ويلنا إن كنا منعناه نحن المصلين. يا ويلهم أن كانوا منعوه.. هم المصلون.. يا ويل الأمة ..

أرجوك ابحث عن الماعون ابحث عنه في ثقوب الذاكرة في ساحة جهادك ما هو ؟ هل منعناه؟ ومن منعه ؟ وعن من ؟ ومتي ؟ وكيف السبيل ؟ وأين المفر؟ ..

أبو ياسر ألمانيا – ميونخ

فكيف يمكننى أن أرد عليك يا أبو ياسر..

لقد حاولت أن ألمس في إيجاز شديد دور مؤسستين من أهم المؤسسات فى بلدنا فيما صرنا إليه.. مؤسسة التعليم ومؤسسة الأمن ..

وتذكر يا أبو ياسر.. وتذكروا يا قراء.. أن الاثنين .. يحصلان على شهاداتهم العليا أو تدريبهم فى روما التى أصبحت واشنجتن..

هو الطوفان يا أبو ياسر.. هو الطوفان يا قراء..

هو الطوفان يا أمة .. طوفان بلا سفينة نوح ..

طوفان ..

طوفان يطاردنا ويغرقنا فيغفل كل منا عن سبيل النجاة ليأوى إلى جبل يعصمه من الماء..

لن يعصمنا الجبل من الماء..

أما من اعتصموا به فخالدين فى النار أبدا..

من يندفع إلى النار ستكون النار عليه بردا وسلاما..

ومن يبحث عن جبله الذى يعصمه من الماء سيكون الماء حوله جحيما لا يخبو أواره ولا تخمد ناره أبد الآبدين..

هو الطوفان..

كنت أريد أن أختم المقال بآى من الذكر الحكيم..

لكننى أريد أن أسمع الذين بآذانهم وقر.. الذين إذا قرئ القرآن عليهم ازورّوا واستهزءوا.. فلأختتم المقال إذن بما يمكن أن يسمعوه:

يقول البروتوكول الخامس عشر من بروتوكولات حكماء صهيون:

لخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا، إنهم قادرون على أن يلقوا ستارا على مشروعاتنا، وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف، وأن يعاقبوا أيضا أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا.."

أما البروتوكول السابع عشر فيقول:

"إننا سنعرف كل شئ دون مساعدة بوليسهم الرسمى، الذى بلغ من إفسادنا إياه، أنه لا ينفع الحكومة إلا فى أن يحجبها عن رؤية الحقائق "..

هل يرضى الذئب عن الحمل[1] ؟!

لا..

لن أستجيب للقراء ولن أكتب عن الشيشان الآن..

فلأدع العار يلاحقنى يا قراء ويلاحقكم..

فالكتابة لن تطهرنا..

نعم..

لن تطهرنا الكتابة..

يا إخوتى فى الله..

ثم أننى لا أستطيع الكتابة عنها وأنا مثلكم..

أخبُّ كما تخبّون في ثوب النجاة الدنىء..

وأن أكتب معناه أننى مازلت أحيا.. وحياتي دليل خزيي .. لأننى أود لو داريت وجهى من العالم ومنكم ومن نفسى.. أخجل من نفسى.. ومنكم ومن مواقف حكوماتنا.. أخجل من كونى حيا.. وأخجل من الله..

قيل فى محاولة لفهم بطولة أهل الشيشان التى لا يمكن أن يمارسها إلا عباد ربانيون.. أن المفتى هناك .. منذ مائتى عام أفتى لهم.. بأن من يظل حيا بعد دخول الروس أرضهم لا يمكن أن يكون مسلما .. فلا يسلم أرضه للكفرة الفجرة إلا كافر.. فالمؤمن حقا والمسلم حقا لا يعرف الهزيمة.. وليس ثمة من نجاة إلا لشهيد أو منتصر..

هل تنطبق الفتوى على أهل الشيشان فقط؟؟..أم تجمعنا جميعا فى نفس الحزمة للعار وذات العصبة للشنار.. يا حطب النار.. يا أنا وأنتم..

لا أستطيع الكتابة عن الشيشان يا إخوانى..

أخبُّ مثلكم فى ثوب النجاة الدنىء..

وكلما حاولت الكتابة بكيت..

---

١ - الشعب: ١٩٩٩/١١/١٩، منقحة بجزء من مقال نشرته الشعب فى٢٠٠٠/٢/١٨ .

أديـن نفسـى.. وأديـنكم .. وأديـن حكومـات لم ترع حق الله.. حكومات هى بالضبط عبدة الشيطان..

توقفـت تمامـا عـن سـماع نشـرات الأخـبار مـنذ آخر انتصار فى أيام العـيد.. وكنـت أسـمع أخـبار النصر فأبكى.. لأننى أرى عالما يسمى إسلاميا يشـغل قلـب الأرض وواسـطة العقـد.. وعالمـا عربـيا يشـغل قلب القلب.. وفـى هـذا كلـه.. لـم تخـرج مظاهـرة يسـقط فـيها شهيد دفاعا عن إخوتنا فى الشيشان..

والحكومـات الشـاذة العمـيلة لا تكـف عـن التصريح بأنها لا تتدخل فى شـئون روسـيا الداخلـية.. فلمـاذا شـئونكم الداخلية أنتم لا يحركها إلا الغرب الـذى اسـترقكم وراحـت أصـابعه تعبث فى كل شئونكم .. ثم من قال أنه شأن داخلـى يـا خونـة.. لـم تكـن الشيشـان أبدا جزءا من روسيا.. حافظت على اسـتقلالها مـنذ بدايـة الإسـلام وحتى ضعفت الدولة الإسلامية بقيادة العثمانيين فغزتها روسيا فلم تكف عن المقاومة والاستشهاد منذ نيف ومائتى عام..

لـيس شـأنا داخلـيا يـا خونة.. الشيشان كفلسطين وكوسوفا وبورما وبغداد وبيروت والقاهرة.. جزء من قلبنا ولحمنا وجسدنا المستباح..

ماذا يمكننى أن أكتب يا إخوتى..

هـل أكتـب مطالـبا بطـرد السـفير الروسـى.. أم أكتب لمجرم الحرب بوتيـن.. أم للقرصـان يلسـتين.. أم لمـنظمات العـالم المجرمة التى استباحت دمـاء المسـلمين أيـنما كـانوا.. أم لحكوماتنا.. حكوماتنا التى لم تخجل وإخوتنا يقـتلون هـناك مـن الذهـاب لمجاملـة الـروس بإشراكهم فى عملية السلام.. سلام.. أى سلام يا من خانوا الله والرسول..

يخـيل إلـى أحـيانا أن جـل ولاة أمورنـا رجـل ديوث.. يرى ابنته وأمه وامـرأته يغتصـبن.. فيـنكر – درءا للعـار – علاقـته بهـن ويقـف يتضاحك مـع مـن يغتصـبهن.. فهـل درأ العار؟.. أم بلغ به العار أكثر وأكثر وأكثر.. ألم – وألا – يشارك بنفسه فى الاغتصاب فى بغداد..

ماذا يمكننى أن أكتب وبمن أستنجد..

هـل أكتـب لأناشـد الأفـراد لا الحكومـات كما صرخ قارئ.. أم أستنجد بأسـامة بـن لادن كمـا صـرخ قارئ آخر.. أم أرقع ثوب النجاة الدنس لأكتب متشـدقا بـأن الشيشـانيون سينتصـرون لا محالة.. وأنهم بشرى الزمن الآتى.. فعـندما نقـاتل مـثلهم سننتصـر.. وأنهـم التجسـيد الحـى لحروب الصحابة

وانتصار الحسين بالاستشهاد .. هل أكتب ذلك ثم أخلد للراحة كأنما أديت ما عليّ فكأنما حروف تلك الكلمات قد غسلت عنى العار أو منعت عنهم صاروخ دمار.. هل أكتب عن نصرهم كى أخفى هزيمتى.. ولكن نصرهم وأحسبه والله وشيك – عار لنا فنحن لم نشارك فيه..

ألفان فى جروزنى الحبيبة فعلوا ما فعلوا.. مرغوا فى الطين ثانى أقوى دولة فى العالم.. ماذا لو كانوا عشرة آلاف.. ماذا لو كانوا مائة ألف.. ماذا لو كانوا مليونا.. وهل كان يمكن حينها يا أمة لا إله إلا الله أن ينتهكنا ذلك العالم الداعر كما يفعل الآن..

دعونى يا قراء..

لن أكتب.. عن الشيشان ولا عن لبنان ولا عن بغداد ولا عن.. ولا عن .. ولا عن..

لن أكتب..

فالكتابة أحيانا نباح كلاب .. ولن تطهرنا الكتابة .. لن يطهرنا إلا الدم ..

نعم.. لن يطهرنا إلا الدم..

لن تطهرنا الكتابة كما يطهر الاغتسال النجس..

لن تطهرنا..

لن تطهرنا..

لن تطهرنا..

فالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل..

***

أحيانا والله أود لو توقفت عن الكتابة وعن القراءة

أنقض الهم ظهرى فتوقفت عن القراءة والسماع..

ولولا إدراك عميق أننى جندى على ثغر من الثغور ليس له الانسحاب وليس له أن يتوقف عن جهاده إلا بالاستشهاد أو الأسر أو الموت لكنت قد توقفت منذ زمان طويل طويل..

***

يا ناس..

يا من تخشون بأس الناس..

يا من توقفتم عن الجهاد فى سبيل الله..

سوف يحيق بكم كل ما خشيتموه ثم تحرمون من أجر الجهاد..

عار الدنيا وخزى الآخرة..

استسلموا كما شئتم أو كما شاء لكم الشيطان..

لن تفلحوا أبدا..

ولن يرضى عنكم الوحوش أبدا..

ستُسَامون سوء العذاب..

مالئوا أعداء الله..

طاردوا أشرف من فيكم زلفى لهم وقربى..

افعلوا ما شئتم..

فلن يرضى الذئب عن الحمل..

طاردوا علماءكم.. اتهموهم بالإرهاب ..

طاردوا وانفوا واحدا -لا أزكيه على الله- من أفضل وأعلم علماء المسلمين ألا وهو الشيخ يوسف القرضاوى الذى يقف فارسا مغوارا على ثغور المسلمين يذب عن عقيدتهم ويرتق ذاكرتهم الممزقة ويعيد إليهم وعيهم المفقود..

أطلقوا عليه كما أطلقتم ذات يوم من تونس على الهواء مباشرة كلب مسعور وذئب عقور وخنزير حاول إلقاء الروث عليه..

وذلك مخطط يا قراء.. يدرُسونه ويدرّسونه فى أجهزة الأمن وأوكار المباحث.. إذ يظنون أنهم بذلك يفقدون مثل هذا الشيخ الكبير بعض مهابة.. يظنون أن التجريح الشخصى يمكن أن يمنع مثله من المواجهة.. فإن لم ينجحوا فى ذلك فإنهم يأملون عن طريق كسر الهيبة أن يقللوا تأثيره على الناس..[1]

نفس الشىء حدث مع فضيلة الإمام محمد الغزالى رضى الله عنه.. وكان الكلب العقور من الجزائر..

١- نفس ما فعلوه إبان أزمة الوليمة مع كل من رفض الإساءة إلى المقدسات .

العالم العلامة محمود شاكر تجاهلوه وحبسوه..

مـئات الكتـب ومـئات الـبرامج عـن سـفيه خائن مثل سلامة موسى أما مصطفى صادق الرافعى فلا أحد يكتب عنه..

خسئوا..

لكـن يـا نـاس .. هـل رأيتم مجنونا بل خائنا يستكين لجلاده ويطعن اليد التى تمتد لإنقاذه من الموت .. ويقطع الحبل الذى قد ينقذه من الغرق ؟!..

لن أكتب عن كل ذلك..

لقـد تركـتموه جمـيعا بحجـة مواجهـة الـتحديات المصـيرية فى الفترة الحاسـمة الـتى تمـر بهـا الأمة من أجل تقدم الوطن ورفاهية المواطن وجميع هذه الجمل الضخمة الشكل والفارغة من المضمون.

فهل فعلتم شيئا من ذلك؟..

هل توقف التزوير والتعذيب والفساد؟..

هـل تركـتم القضـاء علـى سـبيل المـثال كمـا كان وتوقفتم عن تحويل المدنييـن إلـى محـاكم عسـكرية وكـأنكم تـزرعون فتنة بين الجيش والأمة.. أم أنهم يحرصون على فصم تلك العلاقة..

إن قـوة الدولـة الأسـطورية وقدرتهـا علـى انتقاء أسوأ العناصر وأشدها شـذوذا وفسـادا لشـغل المناصـب الحساسـة العلـيا .. إضـافة إلى أن الدولة ألحـن.. كـل ذلـك يمكـنها من أن تحكم بما تشاء على من تريد.. فلماذا توريط الجيش إذن؟!..

توقفت عن القراءة والسماع فما هى أنباؤكم كم يا قراء..

ورئـيس وزرائكـم يقسـم أن مـن رابع المستحيلات أن يكون ثمة فساد فى بـيع القطـاع العـام ونحـن نقسم أن الفساد يزكم الأنوف.. لكنه يقسم كما أقسم وزيـر اقتصـاد قـبل ذلـك بشـرف أمه أن الاقتصاد المصرى بخير ثم صحونا علـى القارعـة والرئـيس مـبارك يخبرنا أن الاقتصاد المصرى كان قد وصل إلـى مـرحلة دون الصـفر وأنـنا مـن أجـل هذا دخلنا حرب الخليج.. وكانت خطيئتـنا الكـبرى.. كانـت عـار الدنـيا وذلهـا وخرابها وندم الآخرة ونارها وعذابهـا ..لكـن رئـيس الـوزراء يقسـم.. محافظ الجيزة السابق أيضا كان كثيرا ما يقسم..

ما هى أخباركم يا قراء ..؟ ما هى أخبار محافظ الجيزة السابق.. والذى كتبت عنه فى صحيفة الشعب عندما نقل من محافظة الغربية إلى محافظة الجيزة..كتبت منوها بفساده وفساد من يساندونه ومنهم رئيس تحرير كبير عند الدولة صغير عند الله .. كتبت أننى أهنئ شعب الغربية وأعزى شعب الجيزة ..وكان رجل الشارع العادى يروى الأعاجيب عن فساده المكشوف..ومن المؤكد أن أجهزة الدولة كانت تعرف ومن المؤكد أن بعضها عرض ما يعرف وهذا لا يعنى إلا أن مقاييس الاختيار –مثلها مثل من يختار– غير صالحة للاستمرار..

لقد كان ما نشرته صحيفة الأسبوع[1] عن الفساد صاعقا ليس لأننا لا نعرفه بل لأنها امتلكت الشجاعة لتقول ما نعرفه وتضعه فى إطاره الصحيح ولقد دفعنى لاستثنائها مما أقاطع .. كانت الصحيفة واضحة وقاطعة وصريحة: "الفساد أصبح قاعدة" .. "الرشوة فى عز الضهر" .. "بالمستندات: سكرتير الوزير يلف الحبل حول عنق الكبار" ... ". ماهر الجندى مجرد تلميذ خائب فإذا كان قد حصل على أكثر من مليون جنيه فإن هناك عشرات غيره قد حصلوا على مليارات"..

وتتساءل الأسبوع متى بدأ ماهر الجندى فساده..هل منذ أصبح محافظا..أم أن الفساد قد صاحبه منذ تولى منصبه القضائى الحساس.. ولم تجب الأسبوع عن السؤال لكن رجل الشارع يعرف والحكومة تعرف وجميع رؤساء تحرير الصحف يعرفون..إلا أن هناك نقطة أخرى أشد مرارة .. فقد يكون من اختاره منذ البداية اختاره لأنه يعلم فساده .. راجعوا كم من القضايا لفقت لأبرياء تعلموا أن منصب المحافظ كان قليلا عليه .. ولولا أنه رجل يرضى بالفتات لكان منصبه أعلى..

لم تقتصر الأسبوع على محافظ الجيزة السابق بل تحدثت أيضا عن الرجل الثانى فى وزارة الزراعة..الرجل الثانى بعد يوسف والى.. ومن الطبيعى أنه يعمل تحت إشراف يوسف والى وبرضائه.. فإن كان يدرى فإنها مصيبة وإن كان لا يدرى فليست المصيبة أقل..لكن مجدى حسين وصلاح بديوى وعصام حنفى هم الذين يسجنون!!..

ما نشرته الأسبوع ليس كافيا لإقالة حكومة بل لإشعال ثورة..

هل لديكم أخبار أخرى يا قراء؟!

---

١ - الأسبوع : ١٩٩٩/١١/٩.

فلقد توقفت عن السماع وعن القراءة..

لقد اقتصرت على قراءة الشعب والأسبوع ..

فهل لديكم أخبار عن رجائى العربى. النائب العام السابق الذى نشرت عنه الشعب وعن تصرفه فى المليارات ولعله واحد ممن تقصدهم الأسبوع..

هل كانت الأسبوع تقصده عندما قالت أن ماهر الجندى مجرد تلميذ صغير خائب ؟..

أما من أحد منكم يا معشر القراء قد سمع ضمير العدالة يئن ويصرخ ؟!..

وهل أحس منكم أحد يا معشر القراء بالجمر الذى أحسه..

الجمر..

الجمر الذى كنت أحس لهيبه فى يدى انتقل إلى دمى .. يسرى فى العروق.. يحرق القلب ويشوى الكبد ويسمل العينين..

فى محاكم التفتيش كانوا يشعلون النار تحت الحديد حتى يحمر لونه ثم يبيض ثم يقربون الكتلة الملتهبة بالنار من عين الضحية فيفقد البصر على الفور..

أحيانا أشعر يا قراء أن صفحات الصحف كقطعة الحديد المتوهجة بالنيران تلك..

أحاذر الاقتراب منها. أختلس النظر إليها من بعيد. فالأخبار التى أنتظرها يمكن رؤيتها من بعيد إذ لابد لها أن تكتب بأضخم الأبناط..

فى محاكم التفتيش أيضا كانوا يشعلون النار تحت الرصاص حتى ينصهر. ثم يسكبونه فى الأذنين..

أحيانا أشعر يا قراء أن محطات الإرسال بأخبارها المسموعة والمرئية ليست سوى ذلك الرصاص المنصهر..

كنت أستمع إلى أخبار الشيشان حين اتخذت قرارى بالتوقف عن القراءة والسماع..

كنت أتفرج معك يا عالم الوحوش على الوحوش تفترس البشر..

كنت أتفرج معك يا عالم الوحوش على اللحم المسلم ... والدم المسلم.. والأشلاء المسلمة وأعراض المسلمين وأرض المسلمين كل ذلك ينتهك ويغتصب..

كنت أعجب منك يا عالم الوحوش إذ اعتبرت دماء الخراف ملوثات لبيئتك.. فهل تطهرها دماء المسلمين؟..

وكنت أنتظر يا عالم الوحوش من حاكم مسلم أو من دولة مسلمة أن تتخذ موقفا..لا أقول أن ترسل جيشا رغم أن هذا واجب .. بل مجرد موقف.. أى موقف.. قطع العلاقات.. استدعاء سفير .. وقف تجارة.. أو حتى كلمة شجب يرشون بها مشاعرنا المسحوقة..

وكنت أدرك أن أيا من ذلك لن يحدث..

وكنت أدرك أننى لن أستطيع قراءة الصحف ومشاهدة التلفاز وكأن شيئا لا يحدث..

تُحاصرون ..

تُحاصرون يا حمقى على أمل أن يرضى الذئب عن الحمل..

تُحاصرون.. وترضون بالحصار بل وترحبون به عسى أن يقيكم مما هو أسوأ..

أسقطتم فريضة الجهاد فهنتم..

رجعتم عن بيع أنفسكم لله وخنتم..

أسقطتم فريضة الجهاد..

سوف تسقطون الفرائض فرضا فرضا..

سوف تسقطونها بالرغم منكم..

بقوانين الباب السابع للأمم المتحدة وبالنظام العالمى الجديد..

لن يبقوا لكم سوى فريضة واحدة..

صلاة الجنازة ..!!..

كان ثمة قارئ على الهاتف يبكى ويهتف فىّ:

اكتب عن الشيشان.. وجه نداء إلى العالم علّ أحدا يسمع..لا تيأس من موقف الحكومات ..اكتب إلى الأفراد لعل أحدا فى أقصى الدنيا يستطيع أن يفعل شيئا..

لكن قارئا آخر كان يكتب على الإنترنت :

- لماذا توقفت عن الحديث عن كوسوفا ..إن أبشع ما يمكن أن يحدث لهم يحدث الآن .. فبعد أن تعمدوا بالنار والدم والموت والجوع والرعب والتهجير..بعد كل ذلك ..وبعد الصمت المخزى لعالمهم المسلم .. وبعد تقدم الناتو لنجدتهم .. الآن يُعرض عليهم الخلاص المطلق من كل هذا إن هم استجابوا لجماعات التبشير وتخلوا عن الإسلام..لم يعد الشعار أسلم تسلم بل تهود أو تنصر تسلم..

وكنت أقول لنفسى أن أمة من الأمم لا تملك ما نملك.. أكبر مساحة متصلة فى الدنيا..أكبر تجمع بشرى.. ثم أن هذه المساحة الهائلة المتصلة ..وكل ذلك التجمع البشرى.. وكل تلك الملايين من إخوتنا فى كل بقاع الأرض خارج كتلتنا المسلمة..لو أن كل أولئك اتفقوا على أن يخرجوا فى مظاهرة صامتة تشمل كل بقاع الأرض فى نفس الساعة لاهتزت الدنيا.. لما سقطت جروزنى ولما تنصر الألبان ولما انضمت أفغانستان إلى طائفة البلاد المحاصرة..

كنت أقول لنفسى أننا نشبه كائنا خرافيا له امتداداته فى كل الدنيا .. وأنه يستطيع أن يقلبها رأسا على عقب - أو على الأحرى يعدلها- إذا ما قرر أن يتحرك.. هذا الكائن الخرافى يتحرك بالتروس.. لكن الترس الرئيسى الذى يحرك التروس كلها توقف عن الحركة فأصاب العطب والعجز الكيان كله.. هذا الترس المحورى كان ذات يوم المدينة المنورة .. وذات يوم آخر دمشق وذات يوم ثالث بغداد ثم الآستانة والقاهرة.. ثم لا شئ..

ما أشد عتبى عليك يا مصر..

كان يمكنك أنت دون سواك أن تكونى الترس والمحور الذى يحرك العالم الإسلامى كله فينقذه ويحفظه من الدمار ويقيه من البوار..

فما أشد عتبى عليك..

كيف وصل بنا الضياع إلى هذا المدى..

اقذف كلبا بحجر..

سوف تتجاوب معه كلاب الحى كلها بالنباح ..

هاهم أولئك يقذفون إخوتنا..لا بالحجارة.. بل بالصواريخ عابرة القارات..

وما من كلب ينبح..

أصرخ: هل مسلمون أنتم..

ثم أواصل الصريخ مع مظفر النواب..

هل عرب أنتم..بشر. .حيوانات..

حيوانات..

حيوانات..

فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها..

والكلبة تحرس نطفتها ..

والنملة تعتز بثقب الأرض..

أهتف : وا إسلاماه

قالتها امرأة فأغاثتها جيوش..

الآن تقولها دول فلا يغيثها مغيث..

توقفت عن القراءة يا قراء كما توقفت عن السماع..

توقفت كي لا أرى بعيني رأسي رايات لا إله إلا الله محمد رسول الله ممزقة منكسة مغموسة بالدم.. دمنا لا دم عدونا ..

توقفت كي لا أرى بعيني رأسي أتباع محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون وبناته سبايا وذريته مقتلة..

توقفت كي لا أرى المزيد من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم مهجرين لاجئين..

توقفت يا قراء فهل من أحد منكم يروى لى أنباء الدنيا؟..

هل من أحد منكم يحكي لي..ليقول لى أى من عواصم المسلمين سقطت بعد جروزني ؟..

آه ياجروزني..

يا شلوا من الجسد يُقطع..

يا جزءًا من القلب يُنزع..

كنت أشاهد نضالك البطولى .. وتقاعسنا.. فيقتلنى العار والخزى ..

كنت أسترجع التاريخ[1] حينما كانت الشيشان دائما عصية على الغزو.. ولقد بدأ احتكاكك بالإسلام منذ القرن الأول الهجرى ..انتشر إليك عبر بخارى وداغستان وشيروان وحافظت على استقلالك طالما كان للإسلام مهابة ودولة تدفع عن هذه المهابة، ثم تسلل إلينا الوهن، عاملونا كقطع الشطرنج.. ووقفت قطعة الآستانة فى مواجهة قطعة طهران أما قطعة القاهرة فكانت تتفرج أو تتآمر حينا مع هذا وحينا مع ذاك ناسية عدوها الرئيسى. .كانت موسكو تعتبر نفسها وريثة روما والمكلفة بمواجهة العالم الإسلامى ودحره وهزيمته. .وفى غبار المعارك الخائنة اكتمل سقوط القوقاز كله فى يد الروس فى عام ١٧٨٥... .كان العالم الإسلامى قد بدأ مرحلة التدهور والاضمحلال. .كانت القاهرة تطعن الدولة الإسلامية من الخلف حينما قام "**علـى بيك الكبير**" بالتمرد على الخلافة.. وكانت موسكو هى الممول والمحرض.. كانت تضرب فى الشمال وتحرض فى الجنوب الخونة.. لكن تاريخنا يجعل من المنشق بطلا لمجرد أنه انشق على الدولة الإسلامية التى كان منوطا بها حماية الإسلام والمسلمين. .كان علينا أن نصلحها.. أو حتى نهدمها لكى ننشئ دولة أقوى لا لكى نتشتت فى الضياع.. والآن.. عندما جرح يهودى فى لندن احتلت إسرائيل لبنان وما تزال.. ولو أصيب مسيحى فى أى ركن من أركان هذا العالم لانقلب العالم المسيحى كله دفاعا عنه..

أما نحن .. فغثاء كغثاء السيل.. دول تضيع وأمم تباد وما من حاكم من حكامنا يجرؤ حتى على كلمة شجب دون تصريح من واشنطن..

لم يستسلم الشيشان للاحتلال كما يذكر الدكتور محمد عوض الهزايمة[2] ..وظهر المجاهد الكبير الشيخ منصور الشيشانى الذى نظم المقاومة ضد المحتلين الروس.. وجاء بعده الإمام مولا الداغستانى ثم تلاه الإمام شامل حيث حشد القيصر له ثلث الجيش الروسى كله.. وهزم الشيشان لكن مقاومتهم لم تخمد حتى نجحوا فى عام ١٩١٨ فى إعلان الجمهورية الجبلية المستقلة لكنها سرعان ما تفككت وعادت تحت سيطرة البلاشفة الذين ساموهم سوء العذاب عندما اتهموهم بالتعاطف مع الألمان.. ثم عادت الثورة عام ١٩٩١ حيث أعلنت الشيشان جمهورية مستقلة..

---

١ – أطلس تاريخ الإسلام. د: حسين مؤنس. الزهراء للإعلام العربي– وتاريخ القوقاز. محمود عبد الرحمن. دار النفائس.

٢ – حاضر العالم الإسلامي. محمد عوض الهزايمة.دار عمار.عمان.

حتى عام ١٩٢٨ كانت اللغة الشيشانية تكتب بحروف عربية وتحتوى على عدد كبير من الكلمات العربية..

الشيشان إذن جزء من لحمنا المسلم المستباح..

ما يحدث لها هو ما حدث لبعضنا فى عصور سابقة وما سيحدث لبقيتنا فى عصور لاحقة..

غثاء كغثاء السيل..

لاعن قلة.. بل دب الوهن فى عروقنا..

المملكة العربية السعودية واليمن وعمان والإمارات وقطر والبحرين والكويت..

غثاء كغثاء السيل..

مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال وجيبوتى وإريتريا..

غثاء كغثاء السيل..

العراق والأردن ولبنان وفلسطين وتركيا – وحتى إيران – وأفغانستان والباكستان وبنجلاديش وجمهورية المالديف وجمهورية اتحاد ماليزيا وسلطنة برونى وإندونيسيا ..

غثاء كغثاء السيل..

أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وكازاخستان وقرغيزستان والشيشان ..

غثاء كغثاء السيل..

السنغال وناميبيا وغينيا الشعبية وغينيا بيساو ومالى وبوركينا فاسو وساحل العاج وسيراليون ونيجيريا والكاميرون والنيجر وتشاد وتنزانيا وجزر القمر وأوغنده..

غثاء كغثاء السيل..

ألبانيا والبوسنة والهرسك..

غثاء كغثاء السيل..

هل يهولك أيها القارئ كل هذا العدد من دول يشكل المسلمون أغلبيتها الساحقة..

هل تراجع وعيك النازف وذاكرتك المثقوبة لتدرك أنك لا تعلم عنها إلا أقل القليل بينما تعرف كل شئ عن سامبسون وجاكسون ومادونا..

غثاء كغثاء السيل..

الدول التى تحتوى أقليات إسلامية لكن هذه الأقليات أيضا غثاء كغثاء السيل رغم أن عددها فى بعض هذه الدول يفوق كل سكان مصر..

تصوروا يا قراء ولو للحظة أننا أم نهدر مرجعيتنا الإسلامية ولو أن هناك زعيما لم نشوهه وننسج حوله الأباطيل ولو أن هذا الزعيم وجه نداءه للأمة المسلمة فى كافة أرجاء الأرض. تصوروا ماذا كان يمكن أن يحدث ..

لكننا غثاء كغثاء السيل..

وأنت تقرأ تاريخك من كتب عدوك..

فيصبح أنت وأمتك غثاء كغثاء السيل..

توقفت عن القراءة والسماع يا قراء فلم يعد مما أسمع أو أقرأ إلا ما يدمى قلبى..

فما هى أنباؤكم ..

ماذا تم فى جريمة سقوط الطائرة المصرية.. بل إسقاط الطائرة المصرية التى ستتوصل أمريكا المجرمة إلى مسئوليتنا عنها. فليس ثمة مرجع عند هؤلاء القوم إلا المصلحة الذاتية .. والأمر الآن قد يسئ إلى واحد من ثلاثة: إما أجهزة الأمن والمخابرات الأمريكية .. وإما شركة البوينج الأمريكية.. وإما مصر.. ولأن مصر غثاء كغثاء السيل فلابد أن تكون هى المخطئة..

فى لمحة نادرة أعجب كيف جرؤ الأهرام عليها نشر بريده ملاحظة قارئ حول الصلاة على ضحايا الطائرة. فلقد أقيمت الصلاة فى آلاف المساجد وفى كنيسة واحدة. وعندما أذاعت محطة **CNN** الخبر فقد تجاهلت تماما آلاف المساجد وأذاعت صلاة الكنيسة.. هكذا يتناولون تاريخنا كله.. نحن – المسلمين – بالنسبة لهم غير موجودين اعتبارا بما هو كائن وبما سوف يكون..

شوهوا تاريخنا..

سملوا عيوننا..

شوشروا على سمعنا..

ونحن صدقناهم..

بعد ستمائة عام من الحكم الإسلامى ظلت الأقليات المسيحية تنمو وتترعرع فى حماية المسلمين حتى استطاعوا بعد ستمائة عام هزيمة الدولة الأم والانفصال عنها..

ستمائة عام..

وفى ثمانية أعوام فقط اندثر من على وجه البسيطة شعب الأندلس.. ثمانية ملايين.. اندثروا.. لم يبق منهم أحد..

ثم تكون الدولة الإسلامية تحت قيادة آل عثمان هى البربرية المتوحشة الهمجية..

يصرخ جلال كشك[1]:

ثمانية ملايين مسلم ومسلمة فى الأندلس ، حيث جرت أول وأضخم عملية إبادة جماعية لشعب بأكمله على يد الكنيسة والدولة الكاثوليكية فى أسبانيا والبرتغال .. وتلك الجريمة التى تحلل منها الضمير العالمى ، بحذفها من ذاكرة التاريخ ، فهى لم تقع !!..ولا يوجد مرجع غربى حاول أن يفسر ، ولا أقول أن يدين ، لغز اختفاء شعب بأكمله ، وزوال حضارة دامت حوالى سبعمائة سنة ، ولا حاجة للحديث عن كمية ما نشر عن الستة ملايين يهودى (..) .. ولكن لا أحد يهتم بالبحث عن شعب الأندلس الضائع ، لا أحد يقدم أمام محكمة التاريخ واقعة إبادة هذا الشعب .. لا أحد استقصى أصل ودين العبيد الذين نقلوا من العالم القديم إلى العالم الجديد فى سفن الأوروبيين ، وفى طليعتها طغاة أسبانيا والبرتغال ، ولا كلمة عن مئات الألوف الذين ماتوا على المجداف فى هذه السفن وتحت ضربات السياط ، أو فى حقول أمريكا ، والذين ما زالت أسماؤهم ودماؤهم وألفاظهم فى دول أمريكا اللاتينية تشى بأنهم مسلمو الأندلس وسواحل أفريقيا ، وتشير بأصابع الاتهام إلى الجريمة التى ارتكبتها حضارتهم ومازالت مستمرة بالإصرار على تجاهلها وحذفها من التاريخ . .

ولأن الفكر العربى المعاصر هو مجرد مسخ للفكر الأوروبى ، فإن كتابنا لم يكتفوا بجهل مأساة إبادة الأمة الأندلسية وتناسيها ، بل نجد بعض

---

١ – إنهم يذبحون المسلمين. جلال كشك. مكتبة التراث الإسلامى .

كتابنا إذا ما أراد التشهير بالإسلام والمسلمين يصرخ قائلا : تريدون إعادة محام التفتيش ؟ ويظن جيل الجهل من تلاميذ هذه المسوخ، أن محاكم التفتيش قد ظهرت فى العالم الإسلامى ، أو أنها اختراع إسلامى ، أو استخدمها المسلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغيير دين الشعوب التى خضعت للسلطة الإسلامية!!..

وكلنا نعرف أن السلطة الإسلامية هى أول سلطة فى تاريخ البشرية اعترفت بحق رعاياها فى اعتناق دين مخالف للدين الرسمى للدولة أو دين الفئة الحاكمة .. وأنه فى تاريخنا عبر ألف سنة لم يعدم أو يعذب إنسان بسبب معتقداته ، وإنما لأسباب سياسية وللصراع على السلطة ..

أما الحقيقة التى لا يكاد يذكرها أحد، فهى أن محاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيرا وفقط فى أوروبا الكاثوليكية ، ولكن أهم من ذلك أنها ظهرت أولا وأساسا ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم فى جنوب أوروبا وبالذات فى أسبانيا والبرتغال حيث كان الشعب الأندلسى المسلم ... ومحاكم التفتيش هذه ، التى كانت باكورة هدايا الحضارة الغربية الناهضة للجنس البشرى ، هى التى عذبت المسلمين حتى الموت أو الردة عن الإسلام ، وحققت هدفها بنجاح لم يستطعه طاغية عبر التاريخ الدموى للبشرية ، ولا حتى فى حالة الهنود الحمر، فقد بقيت بقية من هؤلاء إلى اليوم ، ولكن فى ظل الحضارة الأوروبية وعصر النهضة وسلطة الكنيسة الكاثوليكية اختفى شعب بأكمله فلم يبق فى ما كان يعرف بالأندلس أو أسبانيا والبرتغال اليوم ، لم يبق مسلم واحد ولا ناطق بالعربية ولا مسجد واحد .أحصوا عدد غير المسلمين وعدد الكنائس فى البلدان التى حكمها المسلمون ..

نحن الذين لم نجبر مسيحيا واحد فى الأندلس على الإسلام.. ولا أغلقنا كنيسة فى وقت كان بوسعنا إبادة جميع المخالفين دون خسائر مادية .. نحن الذين تركناهم يتمتعون بالقدرة على الحركة والتآمر حتى انقضوا على الدولة الإسلامية ، كنا أول ضحايا محاكم التفتيش، ومع ذلك تجد المفكرين الغربيين وصبيانهم بيننا إذا تحدثوا عن محاكم التفتيش لا يذكرون المسلمين بحرف .. وإنما يروج هؤلاء أن ضحاياها هم اليهود أو المذاهب المسيحية المنشقة (...) المهم أن محاكم التفتيش قامت أصلا وأساسا لإبادة المسلمين فى أسبانيا والبرتغال وكريت وصقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا ..وكما قلنا نجحت فى إزالة الإسلام والمسلمين من هذه المناطق .. ونفس التجاهل والحذف من التاريخ نجده إزاء إبادة المسلمين فى الفليبين حيث كانوا

الأغلبية على زمن ماجلان فتحولوا إلى أقلية تجرى إبادتها إلى اليوم ، ونفس الموقف من التهام روسيا المقدسة بقيادة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، للعالم الإسلامى الإيرانى والتركى حيث كان السكان مائة بالمائة مسلمين ، وحيث عاشت وازدهرت حضارة إسلامية من أرقى الحضارات التى عرفها الإنسان ، بنجوم شوامخ فى تاريخ الفكر البشرى .. سقطت كلها تحت قبضة الاستعمار الروسى عبر مجازر وحروب وثورات لا تكاد تجد لها مكانا فى التاريخ ، (..) ونفس الشيء عن الإبادة والتجاهل فى دول أفريقيا التى كانت أغلبيتها مسلمة ، وها هو مؤلف رواية الجذور عندما راح يفتش عن جذور الأمة الزنجية فى أمريكا، لم يستطع، رغم أنه مسيحى، أن ينكر حقيقة كون هؤلاء السود الذين اختطفوا واسترقوا ونقلوا إلى الولايات المتحدة ، جاءوا من بلدان إسلامية وعائلات وقبائل مسلمة ، ولكن هذه الحقيقة محيت محوا من ذاكرة الإنسان الأبيض ، ومن ثم جهلها أو تجاهلها البيغاوات التى تكتب بالعربية !.. وليت نزيف الذاكرة وتشويه الوعى يقتصر على ذلك.. بل يندفع من بيننا.. من أبناء جلدتنا ..كلاب من كلاب جهنم تتهم العرب بأنهم هم الذين كانوا وراء تجارة العبيد..

هل لديك أنباء عن ذلك أيها القارئ..

هل تضيفها أجهزة تعليمك وإعلامك وتثقيفك إلى وعيك..

بل هل تسلحك بها أجهزة أمنك القومية؟!..

هل يهولكم يا قراء ما حدث فى الأندلس[1]..

فى كل أندلس فى شتى أنحاء العالم..

إقرءوه.. وعوه..

لأنه هو ما سيحدث لكم..

لكن .. دعونى أنقل الآن لكم عن كتاب "المسلمون والإبادة" للأستاذ ممدوح الشيخ " – مكتبة مدبولى الصغير – شهادة لأحد الضباط الفرنسيين الذين ذهبوا لتنفيذ مرسوم نابليون الصادر فى ١٨٠٨ بإلغاء محاكم التفتيش فى المملكة الأسبانية فقد كتب يقول :

---

١ – أخبار سقوط غرناطة. واشنطن إيرفنج. الانتشار العربى .

أخذنا حملة لتفتيش إلى أحد الأديرة التى سمعنا أن فيها ديوانا للتفتيش وكادت جهودنا تذهب سدى ونحن نحاول العثور على قاعات التعذيب ، لقد فحصنا الدير وأقبيته وممراته كلها فلم نجد شيئا يدل على وجود ديوان للتفتيش فعزمنا على الخروج يائسين ، وكان الرهبان أثناء التفتيش يقسمون ويؤكدون أن ما شاع عن ديرهم ليس إلا تهما باطلة وراح زعيمهم يؤكد لنا براءته بصوت خاشع خافت ، وتوشك عيناه أن تطفرا بالدمع ، فأعطيت الأوامر للجنود بالاستعداد لمغادرة الدير ولكن اللفتينانت دى ليل استمهلنى قائلا :

أيسمح لى الكولونيل أن أخبره بأن مهمتنا لم تنته حتى الآن ؟!..

قلت له :

فتشنا الدير كله ولم نكتشف شيئا مريبا ، فماذا تريد أيها الليفيتانت؟!.

قال:

- إننى أرغب فى فحص أرضية هذه الغرف فإن قلبى يحدثنى أن السر تحتها.

عندئذ نظر الرهبان إلينا نظرات قلقة ، فأذنت للقائد بالبحث فأمر الجنود أن يرفعوا السجاجيد الفاخرة عن الأرض ثم أمرهم أن يصبوا الماء بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة ، وكنا نرقب الماء فإذا بالأرض تبتلعه فى إحدى الغرف ، فصفق الكولونيل دى ليل من شدة الفرح وقال هاهو الباب ، فنظرنا فإذا بالباب قد انكشف كان قطعة من أرض الغرفة يفتح بطريقة ماكرة بواسطة حلقة صغيرة وضعت إلى جانب رجل مكتب رئيس الدير .

فأخذ الجنود يكسرون الباب بقحوف البنادق فاصفرت وجوه الرهبان وعلتها الغبرة وفتح الباب فظهر لنا سلم يؤدى إلى باطن الأرض فأسرعت إلى شمعة كبيرة يزيد طولها على متر كانت تضىء أمام صورة أحد رؤساء محاكم التفتيش السابقين ، ولما هممت بالنزول وضع راهب يسوعى يده على كتفى متلطفا وقال :

- يا بنى لا تحمل الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال !! .. إنها شمعة مقدسة..

فقلت له :

– يا هذا.. إنه لا يليق بيدى أن تتنجس بلمس شمعتكم الملطخة بدم الأبرياء .. وسنرى من النجس فينا ومن القاتل السفاك!!..

هبطت على درج السلم يتبعنى سائر الجند والضباط شاهرين سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج فإذا نحن أمام غرفة كبيرة مربعة وهى عندهم قاعة المحكمة فى وسطها عمود من الرخام به حلقة حديدية ضخمة ربطت بها سلاسل من أجل تقييد المحاكمين بها ، وأمام هذا العمود كانت المصطبة حيث يجلس عليها رئيس الديوان وا لقضاة لمحاكمة الأبرياء .

ثم توجهنا إلى غرف التعذيب وتمزيق الأجساد التى امتدت إلى مسافات كبيرة تحت الأرض ، رأيت فيها كل ما يستفز نفسى ويدعونى إلى القشعريرة والتقزز طوال حياتى .

رأيت غرفا صغيرة فى حجم الإنسان بعضها عمودى وبعضها أفقى فيبقى سجين الغرف العمودية واقفا على رجليه مدة سجنه حتى يموت ، وسجين الغرف الأفقية ممددا حتى يموت وتبقى الجثث فى السجن الضيق حتى تبلى ويتساقط اللحم عن العظم وتأكله الديدان .

ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى فتحوا نافذة صغيرة إلى الفضاء الخارجى .

كان السجناء بين الرابعة عشرة والسبعين وقد استطعنا إنقاذ عدد من السجناء وهم فى الرمق الأخير من الحياة وكان بعضهم قد أصابه الجنون من كثرة ما صبوا عليه من العذاب ، وكان السجناء جميعهم عرايا حتى اضطر الجنود إلى أن يخلعوا أرديتهم ويستروا السجناء ، وأخرجناهم إلى النور بالتدريج حتى لا تذهب أبصارهم ، وكانوا يبكون فرحا وهم يقبلون أيدى الجنود وأرجلهم لأنهم أنقذوهم من هذا العذاب وكان مشهدا يبكى الصخور.

ثم انتقلنا إلى غرف أخرى فرأينا فيها ما تقشعر لهوله الأبدان ، عثرنا على آلات رهيبة للتعذيب منها آلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشرى، كانوا يبدءون بعظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا حتى يخرج الجسم البشرى

مــن الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم ، هكذا كانوا يفعلون بالأبرياء المساكين .

ثم عثرنا على صندوق فى حجم رأس الإنسان تماما يوضع فيه رأس المعذب بعد ربط يديه ورجليه جيدا بالسلاسل والأغلال حتى لا يستطيع الحركة وفى أعلى الصــندوق ثقب تتقاطر منه نقط الماء البارد على رأس المسكين بانتظام كل دقيقة نقطــة ، وقــد جــن كثيرون من هذا اللون من العذاب ، ويبقى المعذب هكذا حتى الموت .

آلة أخرى للتعذيب فى شكل تابوت تثبت فيه سكاكين حادة، كانوا يلقون الشاب فــى هــذا التابوت ثم يطبقون بابه بسكاكينه الحادة وخناجره فإذا أغلق الباب مزق جسد المسكين وقطعه إربا إربا .

كمــا عثرنا على آلات كالكلاليب تغرز فى أثداء النساء وتسحب بعنف حتى تتقطع الأثداء وتبتر بالسكاكين .

وعــثرنا على سياط من الحديد الشائك يضرب المعذبون بها وهم عراة حتى تتفتت عظامهم وتتناثر لحومهم .

هل لديكم القدرة على مزيد من الاحتمال يا قراء..

لقد سكتم عن كل هذا وذاك كى يرضى الذئب عن الحمل ..

فهل رضى..

وصدق الله العظيم..

{ ولــن ترضـــى عــنك الــيهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هــو الهــدى ولئـــن اتبعــت أهواءهــم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير } .

صدق الله العظيم

ويـا أيهـا القـارئ المسـلم فـى ألمانيا .. يا من كتبت تعاتبنى لأننى أقدر لـنهوض الأمـة الإسـلامية مـا بين مائتى إلى ثلاثمائة عام .. حين رحت تؤكد أن ربع قرن يكفى..

قد أوافقك.. ومع ذلك نحن لا نختلف..

ربـع قـرن تكفـى للـنهوض.. أمـا الـباقى فزمـن ابـتلاء مأزور غير مـأجور.. الـباقى عقـاب علـى ما فرطنا فى جنب الله .. الباقى عقاب.. وأظن أنـه سـيحدث لـنا جمـيعا ما يحدث الآن لإخوتنا فى الشيشان.. وما حدث من قـبل لإخوتـنا فـى الأندلـس .. ثـم يذهب الله بنا.. ليأتى بقوم يحبهم ويحبونه ينهضون فى ربع قرن..

أما نحن.. فقد أضعنا الصلاة واتبعنا الشهوات فسوف نلقى غيا..

سوف نلقى غيا..

سوف نلقى غيا..

وصدق الله العظيم حين قال:

{ فخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا } ..

ليس على الشيشان وحدها أبكى[1] ..

الدكتور محمد عباس :

... أرسل لسيادتك صورة من مقال : مواقف لأنيس منصور المنشور في أهرام ٢٠٠٠/٢/٢٩ وأنا أكاد أنفجر من الغيظ، ولا أعرف ماذا أفعل بالنسبة لهؤلاء الناس والكتاب. عندما تقرأها ستكتشف أن السم في كل كلمة منها. إننى أبكى كل يوم قبل أن أنام بسبب ما يحدث للمسلمين فى العالم وعلى رأسهم اخوتنا الشيشانيون، ولست أتخيل كيف طاوع هذا الرجل قلبه فكتب بهذه الطريقة المستهترة المسمومة عن أشد آلامنا. إننى حزين جدا بسبب ما يحدث، وحزين أكثر بسبب موقف حكوماتنا، وحزين أكثر وأكثر بسبب ما يكتبه أمثال مثل هذا الرجل، وحزين أكثر وأكثر وأكثر .. لأن المسئولين لم يجدوا إلا هذا الرجل وأمثاله كى يكتبوا لنا.

مواقف

العالم كله يتفرج على الوحشية الروسية فى بلاد الشيشان وقد ابتلع كل واحد لسانه، واتجه إلى ما يحدث على حدود لبنان وإسرائيل وأهل الشيشان وقعوا فى غلطة غير مغتفرة ... فقد راحوا ينسفون ويقتلون المدنيين فى روسيا.

فانضموا بذلك إلى بقيه الإرهابيين وتولت روسيا تأديبهم، كما سكت العالم عن المذابح الروسية لسبب آخر وهو أن أهل الشيشان قد أعلنوا انفصالهم عن روسيا، وأنهم دولة مستقلة ذات سيادة. والعالم كله من أوله لأخره ضد انفصال جزء من الدولة عن جسمها.. (..)

وأذكر أننى ذهبت إلى الرئيس الفلبينى ماركوس استوضح ما تفعله الفلبين بالمسلمين فى جزيرة مندناو. ودافع عن سياسته . وأدهشه جدا موقف العرب المسلمين وتساءل : مل تقبلون فى بلادكم أن ينفصل جزء منها ، وذهبت إلى مندناو، ورأيت المسلمين البعيدين عشرات الألوف من الكيلو مترات ومئات السنين عن مهبط الإسلام، إنهم أناس على فطرتهم . وفهمهم للإسلام ساذج، فقد رأيت

---

١ – الشعب: ٢٠٠٠/٣/١٠ .

فى أحد المساجد دولابا مكتوبا عليه (كتب مقدسة).. ولم أجد سببا يجعلنى اشرح لهم أن الكتاب المقدس واحد فقط عندما وجدت في الدولاب: (ألف ليلة) وكتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (أدب الدنيا والدين)وهززت رأسى.. وبالمنسبة لشعب الشيشان، لا أطلب رد القضاء عنهم، ولكن اطلب اللطف فى ذبحهم ..

أنيس منصور

أحمد التلوانى- كندا

***

لا فرق بين الخنزير الأبيض والخنزير الأسود

يا أخى فى الله :

يبدو أننا نحتاج فيما نحتاج إلى رعيل نتعقب به كتّاب السلطة كذلك الرعيل الصالح الذى أخذ فى قرون الإسلام الأولى يتعقب أصحاب الأحاديث الموضوعة الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأننا نحتاج إلى صياغة عصرية تقلد كتب الجرح والتعديل كى تكشف لنا من يزيفون وعينا .. فتصف كاتبا بأنه فاسق لا تقبل مقالته، والآخر بأنه كذاب لا تقبل روايته، والثالث بأنه سكير لا تقبل شهادته، والرابع بأنه لص لا ترجى أمانته، والخامس بأنه خائن لا يؤتمن حكمه، والسادس بأنه شاذ، والسابع أنه مجرم والثامن بأنه ضعيف العقل والتاسع أنه شيطان والعاشر بأنه يجمع بين هذه الموبقات جميعا، وهكذا دواليك..

لقد توقفت عن قراءة أنيس منصور منذ أدركت دوره فى تزييف الوعى (وهو دور أخشى أن أقرر أنه رسمى) .. والرجل يتمتع برشاقة عبارة وصفها هو نفسه بقوله: " عباراتى مثل فساتين ضيقة وشفافة تغطى المعانى وتفضحها أيضا ، وبين الستر والفضيحة يتأرجح قبيح الكلام!!" .. ولقد كان فى البداية حريصا على ألا تنكشف نواياه.. فكان السم يتسلل بين سطوره فى خفاء لا يدركه إلا حصيف.. وقد اعتمد ككل أقرانه -ليس اعتماد الصدفة بل اعتماد التدريب - على سحر الكلمة المطبوعة على الناس.. ولقد دأبت فى فترة على تحقيق ما يكتب بالرجوع إلى المصادر التى ينقل منها.. وأشهد أننى وجدت الرجل يكذب.. يكذب حينما يكون للكذب داع - كما فى السياسة -.. لكنه يكذب أيضا حينما لا يكون للكذب أى داع

- كما فى القضايا العلمية - .. لكنه كان كذبا خفيا لا يدركه إلا مدقق.. وازداد ضعفنا وازدادت قوة أعدائنا فتحول الرجل أكثر وقل حرصه على إخفاء أكاذيبه.. بل لقد بلغت به الجرأة فى فترة قيام الغرب وإسرائيل بتحطيم بقايا الدولة القومية- أن ادعى أن سيناء تشكل سدس مساحة مصر وأن جمال عبد الناصر أضاعها.. كان أحمد بهاء الدين يكتب العمود المقابل فى نفس الصفحة.. وصحح له المعلومة الخاطئة منوها أنه ليس ثمة فرق فى أن تشكل سدس مساحة الوطن أو مجرد ذرة رمل واحدة فيه.. فالوضع بالنسبة لها ولنا لا يختلف.. لكن الحقيقة أنها ٦% من مساحة مصر وليس سدس مساحتها.. وكنت ما أزال على قدر من حسن النية وعدم فهم أمثال أنيس منصور.. وظننت أن الرجل سيذوب خجلا لجهله أو لانكشاف ضلوعه فى تزييف وعى الأمة.. بل ظننت أن الأهرام احتراما لنفسه واحتراما لقرائه - إن كان الأهرام معنا - سيقصيه.. فإن كان الأهرام علينا - لا لنا - فإنه سيقصيه أيضا لأنه- بمنطق المخابرات والجواسيس - كاتب قد احترق .. ورحت أتابع عموده فى شغف لأعرف كيف يغطى موقفه وكيف يعتذر.. إلا أنه بعد أيام كتب فى الموضوع مرة أخرى.. كتب عن سيناء التى تشكل مساحتها سدس مساحة مصر..!!

وتوقفت عن قراءته.. حتى جاءتنى رسالتك يا أخى.. فذهلت.. إن الرجل يبدى شجاعة أكبر من حجمه بكثير فيعرّض فى السطور الأولى بموقف من أفضل مواقف الرئيس مبارك منذ حكم.. وهو توجهه إلى لبنان.. لقد كان عهدى بالرجل أنه يدس كلمة سامة كل ألف كلمة ظاهرها صحيح.. فى هذه المقالة ليس هناك كلمة صحيحة.. فأهل الشيشان لم ينسفوا منازل فى موسكو.. والعالم كله حتى مرجعيات أنيس الغربية والإسرائيلية تقر وتعترف بأن هذه الانفجارات قامت بها المخابرات الروسية نفسها تمهيدا وتبريرا لغزو الشيشان.. والروس عندما اتهموا الشيشانيين بذلك لم يقدموا دليلا واحدا ولم يقبضوا على شيشانى واحد.. ثم حديثه عن الانفصاليين الشيشانيين.. وكأنه لا يعرف أنها دولة مستعمرة تجاهد من أجل الاستقلال.. ويسرد الوقائع على الموقف العالمى ضد الانفصال لكنه يتجاهل ما يفعله هذا الموقف العالمى لتفتيت العالم الإسلامى.. وتجاهل الشيطان فى قلمه محاولات تقسيم العراق والسودان

وإندونيسيا وحتى مصر.. بعد تقسيم دولة الخلافة الإسلامية إلى نيف وثلاثين دولة..

وتبقى بقية باقية من حصافة وذكاء - لا أقول حياء - تردع الرجل عن السخرية من الشيشانيين الذين ينظر لهم العالم الإسلامى كله بانبهار وألم لا يوصف.. الشيطان فى قلمه يريد أن يسخر من إسلامهم.. لذلك فهو يحول هذه السخرية إلى أشقاء مسلمين فى الفليبين التى كانت دولة إسلامية وامتدادا طبيعيا لإندونيسيا .. وقد دخلها الإسلام فى القرن الثالث الهجرى (قبل أن توجد على ظهر الأرض بلد اسمها روسيا يا أنيس منصور) وكانت عاصمتها أمان الله حتى غزاها الصليبيون عام ١٥١٦ ميلادية فدافعت عن نفسها حتى لقد قتلت الاستعمارى القبيح ماجلان نفسه .. لكن أرتال الصليبيين جاءت خلفه فاستولت على البلاد ..واستمرت المقاومة الضارية للمسلمين الذين سماهم الصليبيون (الموروس) وهو نفس الاسم الذى كان يطلق على المسلمين فى أسبانيا(مازالت وسائل إعلامنا تستعمل نفس الاسم فى مزيج من الجهل والغباء وربما الحياء.. كى لا يدرك الناس أن الموروس هم إخوانهم فى الدين).. استمرت المقاومة أربعة قرون حتى حل الأمريكيون محل الأسبان وواصلوا فعلهم .. وحرفوا اسم العاصمة من أمان الله إلى مانيلا وفعلوا بأهل الفليبين المسلمين ما يفعله الروس الآن فى الشيشان.. أبادوا معظم أهلها وأرغموا الباقين بالحديد والنار على التنصر.. وحاصروا الباقين وعزلوهم عن العالم.. ولم يجدوا من العالم الإسلامى من يناصرهم.. ولا حتى من يعلمهم يا أنيس.. ولست أدرى لماذا لم تجب على التساؤل الداعر للرئيس الفليبينى ولست أدرى كيف تعاطفت معه.. لماذا لم تقل له يا كاتب السلطة الرسمى أن الفليبين كلها كانت دولة إسلامية اقتطعت من العالم الإسلامى ؟!!.. ولست أدرى لماذا سخريتك بمسلمى الفليبين فى مقال عن الشيشان إلا إذا كان الإسلام نفسه هو المقصود..

نعم.. الإسلام هو المقصود بالسم شديد المفعول الذى تنفثه أقلام الشياطين.. (وفى التفسير فإن الشياطين نوعان : إنس وجن).. فما دام المسلمون فى الفليبين على هذا الجهل بالإسلام فذلك يعنى أن اخوتهم فى الشيشان كذلك.. وأنهم والأمر ذاك ليسوا مسلمين حقا.. ولا يستحقون تعاطفكم يا أمة الإسلام والمسلمين.. وهذا بالضبط ما يهدف إليه كاتب الأهرام الكبير.. وهذا الدور بالذات هو ما جعلهم يصنعون منه كاتبا كبيرا.. وهذا بالضبط ما جعله أنيسا للرؤساء

والملـــوك.. يطـــوع لهـــم كلماتـــه.. وهى أمضى من النار وأنقع من السم وأفـــتك مـــن الرصـــاص..نعـــم.. عندما تكون الكلمة كلدغة الحية الرقطاء .. تنـــتهى فـــى ثانـــية أو ثانيتيـــن ويستغرق العلاج منها عاما أو أعواما.. هذا إذا نجح العلاج ولم نهلك..

لم يقل لنا أنيس منصور أن القوقاز التى احتلتها روسيا تقارب مساحتها مســـاحة أوروبا.. وأن دولة منها هى الداغستان – وليست السودان – هى أكبر بلد فى العالم الإسلامى.. ولم يقل لنا أنيس منصور أن الإسلام قد دخل هـــذه الـــبلاد فـــى نفس العام الذى دخل فيه إلى مصر (إذ ربما ينبه هذا المصريين إلى أن ما يحدث للشيشان اليوم سيحدث لهم غدا).. ففى عام ١٨ هجرية (٦٣٨م) أرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده عياض بـــن غنم عام والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان صاحب سر الرسول صلى الله علـــيه وسلم حيث انتشر نور الإسلام صلحا فى معظم الأحوال فلم يأت عـــام ٢٤ (٦٤٤م) إلا وقـــد خضع جنوب القوقاز كله للحكم الإسلامي وذلك خـــلال ست سنوات فقط من الجهاد.. وهناك استشهد قثم بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم..

كانـــت الفتـــنة الكبرى قد أطلت برأسها وخفت اندفاعة المسلمين فانتهز الـــيهود الخـــزر الفرصة وتصدوا للفتح الإسلامى، وفى سنة ٦٥٢ م نشبت معركة هائلة استشهد فيها أربعة آلاف مسلم.. وفى سنة ٧٣٠م انتصر اليهود فـــى معركة إردبيل وتقدموا حتى وصلوا الموصل وديار بكر عازمين على غـــزو دمشق نفسها والقضاء التام على الخلافة الإسلامية لكنهم أخفقوا فى الـــتقدم نحـــو عاصمة الخلافة وردوا على أعقابهم بعد هزيمة نكراء.. وفى عهـــد مـــروان بن محمد الأموى تمكن المسلمون من هزيمة الخزر هزيمة كـــبرى.. وأدركوا عجزهم عن مواجهة المسلمين وفشلت خطتهم التى كانوا يخططـــون لهـــا وهـــى هزيمة العالم الإسلامى ثم اكتساح أوروبا بكاملها لتهويدها.

و لقـــد لجـــأ الأمويـــون والعباسيون لتعزيز الفتح فى بلاد القوقاز – والشيشـــان مـــنها – إلى توطين العناصر العربية فى تلك المناطق ليعلموا الـــناس الإســـلام. وكانت البداية توطين ٢٤٠٠٠ من أهل الشام في المنطقة تبعـــتها عشرات أخرى من الآلاف.. وذلك تفسير ما يقولونه اليوم هناك عن أصولهم العربية.

عـــند الفـــتح الإسلامى لم تنشب أى معارك مع الروس فروسيا نفسها لـــم تكن موجودة حتى ذلك الوقت كما يقول الأستاذ محمد يوسف عدس فى

دراســة قــيمة منشورة بمجلة الهلال عددها الأخير.. كان الموجود مجرد إمارة حقيرة لا تتجاوز مساحتها ٢٥٠ كيلومترا مربعا وكان اسمها موسكوفيا .. وخلال الخمسة قرون التالية حين تشكلت ما تعرف اليوم بروسيا من قبائل الــنورمان وهم مجموعة من الغزاة البرابرة الوثنيين امتهنوا القرصنة وقطع الطرق .. لم تزد مساحتها عن مساحة مصر اليوم..

وفــى بدايــة القرن العاشر الميلادى كانت ثلاث قوى تتصارع لكسب الــروس: الإمبراطورية البيزنطية التى كانت تبذل جهودها لنشر المسيحية بيــن الروس على المذهب الإرثوزكسى، ودولة الخزر اليهودية تحاول نشر اليهودية بينهم، ومن جهة ثالثة كان المسلمون قد نجحوا فى نشر الإسلام فى معظــم القوقاز، كان الطريق ممهدا أمامهم لولا وَهَن الثقة وجَلَدِ الفاجر، ففى ذلــك الوقت أرسل أحد حكام المنطقة وهو ألمش بن يلطوار طلبا إلى الخليفة العباســى المقــتدر بــالله (٩٠٨-٩٣٢م) لكى يرسل إليه بعثة تنشر الإسلام وتفقهــه بالدين وتبنى مسجدا يقيم عليه الدعوة للخليفة فى جميع مملكته وأن يدعمــه بجــيوش تحميه من اليهود الخزر. وقد استجاب المقتدر وأرسل له العالم والمؤرخ المسلم " ابن فضلان" الذى رحل من بغداد يوم الخميس ١١ صــفر ٣٠٩ هـــ الموافق ٢١ حزيران ٩٢١ م، وقد نجح فى مهمته مبدئيا، إلا أن المســلمين لــم يــأخذوا المسألة على محمل الجد، ولم يرسلوا الدعاة ولا الجيوش ، وقد ترك لنا ابن فضلان وصفا دقيقا للأمة الروسية الهمجية، ولــم يكــن عددهم حينئذ يتجاوز المائة ألف فقال: "و هم أشر خلق الله على الأرض...شــقر الأبــدان صــفر الشــعور طــوال القامات ضخام الأجسام مستهترون بالخمر ، يشربونها ليلاً ونهاراً وربما مات الواحد منهم والقدح في يــده... إذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوهم أو يستبيحوا نســائهم وأطفــالهم ويسترقونهم .. وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا يغتســلون مــن جنابة كأنهم حمير ضآلة ."..(ترى هل يختلف الوضع الآن ؟!)..

و إزاء درع منــيع كــان المسلمون أقوى حلقاته انهارت دولة الخزر وفــر بقايــا الــيهود إلى أوروبا .. ومن بطش أوروبا لجأ عدد كبير منهم إلــى ســماحة الإســلام فى الأندلس.. وبعد سقوط الأندلس فروا مرة أخرى إلــى ســماحة الإسلام فى الدول الإسلامية خاصة تركيا حيث شكلوا يهود الدونمة التى تنتمى إليهم حركة الاتحاد والترقى وكمال أتاتورك الذين قضوا علــى الخلافــة الإسلامية.. ثم التف بقايا كل هؤلاء .. التفوا وعادوا إلينا فى إسرائيل !!.. لنفس الهدف: القضاء على الإسلام والمسلمين..

و بدخــول القرن الخامس الهجري سيطر السلاجقة الأتراك على معظم القوقـــاز وازدادت نســبة المسلمين في عهدهم زيادةً عظيمة إلا أن المنطقة أصيبت بنكسة بسبب الهجمة المغولية. ثم حدثت آية من آيات الله وهي تحول تلــك القبائل الهمجية الشرسة إلى الإسلام وحسن إسلامهم فيما بعد وصاروا حماة للإسلام في القوقاز وعلى ضفاف الفولجا والذى أصبح نهرا إسلاميا .

خضـــعت إمارة موسكوفيا للحكم الإسلامى حتى بدأت الصراعات بين المســلمين فبدأت هذه الإمارة الصغيرة الحقيرة فى الاستيلاء على الأراضى المجـــاورة.. وسامح الله المقتدر بالله فقد ترتب على إهماله فى نشر الإسلام نجـــاح الضغوط والإغراءات البيزنطية وتحول الروس إلى المسيحية عندما تنصر أميرهم فلاديمير عام ٩٨٩ ميلادية وكان هذا انتصارا كبيرا لبيزنطة على المسلمين.

وكانت الشيشان يا أنيس حرة مستقلة..

بعد ذلك وحتى القرن الحادى عشر كانت روسيا الأوروبية مقسمة إلى أربع وستين إمارة. وظلت موسكو قرية مغمورة حتى القرن الثالث عشر.

فـــى القـــرن الثالث عشر الميلادى كان دوق روسيا الأعظم يقسم يمين الولاء للمسلمين ويعلن خضوعه وجميع الأمراء الروس لهم .. نعم .. كانوا يدفعون الجزية ويدعون لهم فى الكنائس. كان إيفان الأول موظفا عينه الحكام المســلمون لتحصيل الجزية من الروس.. فكان يسرق لنفسه أضعاف الجزية وبـــدأ فى تكوين جيش قوى.. وحتى عام ١٤٨٠ كانت روسيا تدفع الجزية للمسلمين القوقازيون.. والشيشان يا أنيس !!.

وحـــتى ذلـــك الوقت لم تكن مساحة روسيا تتجاوز مساحة مصر لكنها أخذت بعد ذلك تتوسع توسعا همجيا فوق جماجم المسلمين حتى بلغت اليوم خمســـة عشـــر ضعفاً من حجمها الأول فوصلت إلى البحر الأسود في عهد بطرس (١٧٢٢م) ولم يكن لها موضع قدمٍ فيه من قبل.

كان الهجوم الكاسح على الإسلام والمسلمين قد غير اتجاهه من الهجوم على القلب (فى الحروب الصليبية) إلى الهجوم على الأطراف.. وكان البابا يبارك.. والتدين المحرف المنقوص يتلاقى مع هوى نفوس الملوك اللصوص .. وكان أمثالك يا أنيس قد زيفوا وعى الأمة أيامها.. وأوهموها أن الحروب الصليبية قد انتهت وانقضى الخطر.. بينما هذه الحروب لم تتوقف.. ولا ليوم واحـــد حـــتى الـــيوم.. بدأ الهجوم تلك المرة من الغرب بعد سقوط الأندلس (١٤٩٢ م) وفى الشمال والشرق بدأ هجوم كاسح آخر من الروس (أذكر

القارئ وأسأله أن يتساءل معي: ماذا كان سيحدث لنا جميعا لولا وجود الدولة العثمانية التى تصدت للهجومين قدر ما استطاعت)..

وكانـــت القوقاز كلها -والشيشان منها- حتى ذلك الوقت يا أنيس حرة مستقلة..

فـــى منتصـــف القرن السادس عشر الميلادى بدأ إيفان الرابع المسمى "بالرهيـــب" (حفـــيد إيفـــان الأول أجـــير المسلمين) هجومه .. ولقد سمي بالرهيـــب لكثرة الفظائع التي ارتكبها. تولى الحكم وهو في الثالثة من عمره بعـــد وفاة أبيه. وفي الثالثة عشر قرر التخلص من الوصي عليه ولكي يبث الرعـــب فـــي نفوس النبلاء الروس قام بإلقاء الرجل الذي رباه للكلاب لكي تنهشـــه وهـــو حـــي! وقد بلغت قسوة إيفان هذا وإجرامه أن ذبح ابنه بيده. (لم يتحدث المستنيرون ورائدهم أنيس عن ذلك.. يتحدثون فقط عن المسلمين الإرهابييـــن وعن الحكام العثمانيين) !!.. قام هذا المجرم بعد أن تغلب على بعـــض إمـــارات المســـلمين ودخـــل عاصـــمتهم قازان بقتل كل سكان تلك المدينة...فى مجزرة هائلة عام ٩٥٩هـــ (١٥٥٢م).

بعد سقوط قازان المروع تحول نهر الفولجا من نهر إسلامي إلى نهر يسيطر عليه مجرمو الروس بعد أن أراقوا دماء المسلمين على ضفتيه. أيضاً بســـقوط أســـتراخان أصبح للروس موطأ قدم على الشاطئ الشمالي الشرقي لبحر قزوين (أو بحر الخزر) ذلك البحر الذي كان بحيرة إسلامية على مدى أكثر من أربعة قرون..

كـــان مـــن العوامل المساعدة على انتصارات الروس ذاك التنازع الذى نشـــب بيـــن الـــدول الإسلامية الكبرى قبيل القرن الخامس عشر.. المماليك فـــى مصر والصفويون فى إيران والعثمانيون.. (نفس ما يحدث الآن) .. وفي عام ٩٨٦هـــ (١٥٧٨م) كان العثمانيون (السنة) والصفويون (الشيعة) يقتسمون النفوذ على الجمهوريات الإسلامية فى قازان ، وبعد وفاة شاه عباس ١٦٢٨م استنجد مسلمو قازان بالسلطان العثماني يؤكدون له أنهم من رعاياه ويطلـــبون مساعدته لمواجهة الخطر الروسي الذي عظم في ذلك الوقت. لكن العثمانييـــن كانوا مشغولين بجهادهم في وسط وجنوب أوروبا في هذا الوقت مما أعطى الروس اليد الطولى فى البلاد الإسلامية فى القوقاز ..

عـــام ١٥٥٦ قـــام الـــروس بإغـــراء حـــاكم مسلم هو الأمير تيمروك بالـــتحول إلـــى المســـيحية مقـــابل مســـاعدة الـــروس لـــه ضد منافسيه، وبـــالفعل تحـــول تـــيمروك إلـــى المســـيحية وزوج إحـــدى بناته للقيصر

الروسي إيفان الرهيب.. ولقي الحاكم المرتد جزاءه عام ١٥٥٨ فقد استعاد المسلمون الإمارة ودمروا المرتدين.. وفي عام ١٥٩٤ أرسل الروس حملة عسكرية أخرى للاستيلاء على مزيد من الأراضي الإسلامية فتصدى لها المسلمون (العثمانيون والتتار والداغستانيون) وهزم الروس بعد معركة شرسة لكنهم عادوا مرة أخرى عام ١٦٠٤ حيث قام القيصر بوريس جودونوف بهجوم كبير على داغستان في محاولة لاحتلالها ولكن حملته انتهت بكارثة كبرى فقد دمر المسلمون جيشه وحطموا القلاع الروسية على أنهار سولاك وسونجا وتريك.

وحتى ذلك الوقت – يا أنيس كانت معظم القوقاز ومن بينها الشيشان حرة مستقلة..

وصب الروس غضبهم على المسلمين الذين في قبضتهم ..

واستغرقت سياسة البطش والتنصير الإجباري وهدم المساجد وحرق المدارس الإسلامية قرنين من الزمان لقمع المسلمين على ضفاف الفولجا وفي سيبريا التي سقطت عام ٩٨٨ (١٥٨٠م) بعد أن كانت تحكم بالإسلام .. سقطت سيبيريا بعد معارك استمرت ٥٦ عاما..

وفي عام ١٧٢٢م بدأت حملة روسية استعمارية جديدة بقيادة بطرس (المسمى بالكبير). واستطاع بطرس انتزاع داغستان من جسد الأمة الإسلامية على حين غفلةٍ من المسلمين. ثم استولى للمرة الأولى في التاريخ (يا أنيس منصور) على شمال الشيشان وشرقها . ومن الفظائع التي تروى بعد سقوط تلك البلدان أن الروس جعلوا بعض أسرى المسلمين فريسة يتبارون لاصطيادها عن طريق كلاب الصيد تماماً كما كان يفعل الإنجليز بالثعالب البرية.

و توالت المصائب بتولي كاثرين عرش روسيا وتلك المرأة كان حلمها وهدفها المعلن هو السيطرة على بلدان المسلمين وتحويلها إلى بلدان أرثوذكسية . ففرضت النصرانية على المسلمين القاطنين فيما يسميه الروس وأولياؤهم بالجزء الأوروبي من روسيا (يعنون بذلك تتاريا وباشكريا والشوفاش وكومي وغيرها من بلدان المسلمين التي لا تمت لروسيا بصلة دينيةٍ كانت أو عرقية أو لغوية أو تاريخية أو حضارية (إن كان للروس حضارة تذكر عدا الهمجية والوحشية وسفك الدماء). وعندما اصطدمت بتمسك المسلمين بدينهم سراً أصدرت مرسومها الشهير بأنه على المسلمين الذين عمدتهم الكنيسة

قهـراً (و كـان هـؤلاء المستضعفين يمارسون شعائر دينهم سراً كما كان الأمـر فـي الأندلـس فـيما بعـد ١٤٩٢م وهـو تاريخ سقوط غرناطة) التوقـيع علـى إقـرار كتابـي "يـتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية (أي العقـيدة الإسـلامية) وتجنـب كـل اتصـال بالكفـار (أي المسـلمين) والتمسـك بتعالـيم النصـرانية والثبات عليها". وبالطبع كان هذا المرسوم أيضـاً حـبراً علـى ورق إذ بعـد مـا يقـرب مـن قرنين على إصداره وتحديـداً فـي عـام ١٩٠٥م عـندما أتيحـت بعـض الحريات الدينية في روسـيا ظهـر هـؤلاء المقهوريـن كمسـلمين حافظوا على إسلامهم سراً طوال تلك القرون.

لـم يكـتمل سـقوط القوقـاز والشيشـان بيـن أيدى البرابرة الهمج إلا فى عام ١٧٨٥..

ولتـتذكروا يا قراء .. أن ذلك هو الوقت الذى كانت روسيا تساعد فيه على بيك الكبير على الانفصال عن الدولة العثمانية.. على بيك الكبير ذلك يا قـراء تدرسـه وزارة تعليمنا لا تعليم الروس ولا الأمريكان ولا إسرائيل ولا صربيا لأبنائنا كبطل للتحرر والاستنارة..

ولتـتذكروا يـا قـراء.. أن الحملـة الفرنسية قد بدأت بعد ذلك بأعوام قلـيلة.. فـى حـرب طويلـة مستمرة.. وضع أسسها وبدأها الباباوات.. ثم يسخر كلاب جهنم منا الآن حين نتحدث عن المؤامرة..

حيـن استيقظ المسلمون القوقاز والشيشان على تلك المصائب هرعوا إلـى حكـامهم وأمـرائهم يلتمسون منهم العون.. يلتمسون منهم السماح لهم بالاستشهاد.. لا يطلبون منهم إلا تدعيم وتنظيم هذا الاستشهاد.. لكن الحكام والأمـراء خـانوا بل وتحالف بعضهم مع الروس لقمع المسلمين (ما أشبه اللـيلة بالـبارحة !). أما العلماء والقادة فحملوا راية الجهاد ضد الروس. . وكـان أولهم الشيخ منصور الشيشانى الذى استطاع توحيد عشائر المسلمين تحـت رايـة الإسـلام بدعـم من الخلافة العثمانية رغم بداية أفول نجمها واستطاع كذلك أن يذل ناصية الروس على أرض القوقاز الإسلامية. . وذلك بعد أن تمكن من إلحاق هزائم متتالية ومذلة بالروس خلال ما يقرب من تسع سنوات (١٧٨٣-١٧٩١م). فأمرت إمبراطورة الروس كاثرين أصغر عشاقها الكونت بافل بوتيومكين بأن يأتي لها برأس الشيخ. وأرسل الأخير الكولونيل بـيري لـيفعل ذلك. وتمكن الشيخ منصور من إنزال هزيمة منكرة ببيري وقواته عند نهر سونجا عام ١٧٨٥م وقتل بيري نفسه.. وجن جنون كاثرين واعتـبرت تلك الهزيمة أسوأ كارثة تعرضت لها القوات الروسية في عهدها

الــذي توســعت روسيا خلاله حتى أحكمت السيطرة على شمال شرق البحر الأســود. وبعــد ست سنوات من هزيمتهم على ضفاف نهر سونجا استطاع الــروس أن يأسروا الشيخ منصور أثناء معركة ضارية تسمى تتار - تومب عــام ١٧٩١م .. فخلفــه فــي الجهاد الإمام مولا الداغستاني.. ثم الإمام شامل.. الذى قاد المقاومة فى عام ١٨٢٤، وكان شخصية أسطورية شامخة جمعــت فى جوانبها شجاعة الفارس وورع المؤمن وأخلاق الزاهد وتضحية الشــهيد، وقد حقق انتصارات هائلة حتى تمكن الروس من أسره بعد خمسة ثلاثيــن عامــا مــن الجهــاد: (١٨٢٤ - ١٨٥٩) بعد أن حشدت القيادة القيصــرية له ثلث الجيش الروسى(٢٠٠٠٠٠ رجل) ، لكن الجهاد لم يخمد كليا بل أعلن فى ١٩١٨ قيام الجمهورية الجبلية المستقلة.. لم يخمد الجهاد - يا أنيس- رغم قيام الروس بإغلاق جميع المساجد والمدارس وجعل مناسك الإســلام جرائم يعاقب عليها القانون.. وكان من أسلحة الروس مع المسلمين نفس السلاح الذى استعمله الصليبيون مع الفليبينيين.. ونفس السلاح الذى ما يــزالون يســتعملونه حــتى الــيوم..معــنا جميعا أيها الساخرون من فكرة المؤامرة.. هذا السلاح يا نساء المسلمين ويا شيخ الأزهر هو إصدار قوانين للأحوال الشخصية تخالف الدين الإسلامى الذى يزعم المجرمون أنه يضطهد النساء..

فــى عــام ١٥٥٦ ارتد تيمروك عن الإسلام فقتل شر قتلة.. الآن يكافأ المرتدون بأعلى المناصب.. ويقودون .. يا أنيس..

لــم يخمــد الجهــاد .. وبعد الحرب العالمية الثانية قتل السفاح المجرم ستالين نصف مليون شيشانى (٦٠% من الشعب الشيشانى ذلك الوقت) بعد أن أرغمهم بالآلة العسكرية الروسية على الهجرة من بلادهم إلى سيبيريا .. لكن أبناء الشهداء عادوا ليواصلوا الجهاد..

نعم.. فمنذ بداية الاحتلال الروسى وحتى اليوم لم تنته المقاومة. كانت تخبو أحيانا تحت وطأة الآلة العسكرية الجبارة المدعومة من الغرب الصليبى كلــه .. وكانت تخبو إزاء خيانات حكام يدعون أنهم مسلمون لكنهم يخونون الله والرســول.. ويخونــون أهل الشيشان.. ويستعملون مثلك يا أنيس.. كى ينشــر بيــن الــناس بــالكذب.. أن مشكلة الشيشان والقوقاز مشكلة روسية داخلــية.. وأن الشيشانيون إرهابيون انفصاليون.. كانت المقاومة تخبو أحيانا وتســتعل أحــيانا .. لكنها لم تخمد أبدا.. وكان العالم الإسلامى.. الأمة التى يــريدها الله أمة واحدة.. تتحول إلى فتافيت أمة.. فتافيت أمة وليست فتافيت

امـــرأة يا نساء المسلمين.. ويا شيخ الأزهر.. وكانت الأمة كمريض أصابه البرص.. تتساقط أطرافه دون أن يحس..

فـــى معـــركة اســـتيلاء الـــروس على البلاد الإسلامية وبدون حصر للحروب المحلية مع الإمارات المسلمة المستقلة شنت روسيا ١٢٠ حربا ضد العثمانيين الأتراك استغرقت ١٥٠ عاما و٦٠ حربا ضد الصفويين استغرقت ٩٤ عاما ..

كانـــت حـــرب إبـــادة.. بلغ تعداد إحدى القبائل فى تعداد أجرى عام ١٨٨٩ ثلاثـــة ملايين (يقارب الرقم تعداد مصر فى ذلك الوقت) .. الباقى منهم الآن ٨٥٠٠٠٠!!.. فى مائة عام.. ترى كم سيبقى من المصريين بعد مائة عام..

فى منطقة القبرطاى كان تعداد المسلمين ٤٠٠٠٠٠ لم يبق منهم الآن إلا عشرين ألفا .. بقاياك يا فتافيت الأمة.. بقايا كبقايا الهنود الحمر..

ومـــع ذلك فقد كانت هذه المناطق أحسن حالا من سواها .. فثمة قبائل كاملة ومدن هائلة لم ينج منها أحد ولم يبق منها أحد...

انظـــروا علـــى شاشـــات الـــتلفاز إلى جروزنى.. وإلى مدن الشيشان الأخـــرى.. هذا ما يحدث فى القرن الحادى والعشرين.. انظروا .. وتخيلوا الـــذى كـــان يحدث من قرن وقرنين وثلاثة.. انظروا.. وانظرى يا فتافيت الأمة..

حـــتى عام ١٩٢٨ كانت اللغة الشيشانية – يا أنيس – تكتب بالحروف العربـــية ومـــا زالت تحتوى على قدر هائل من الكلمات العربية.. يا أنيس منصـــور الـــذى يعتب على الشيشان (الإرهابيين) محاولتهم للانفصال عن الدولة الروسية..

ولم يكن إسلامهم سطحيا يا أنيس (ومن بلايا الدهر أن يحكم مثلك على سطحية الإسلام أو عمقه) بل لقد كان مسلمو القوقاز – والفلبيين أيضا – من أشد الشعوب الإسلامية تمسكا بالدين وكانوا للمناسبة من المعترضين على إنهـــاء الخلافـــة الإسلامية فاضطهدهم كمال أتاتورك ونكل بمن لجئوا منهم تحـــت وطـــأة الحديد والنار الروسية إلى تركيا .. وكمال أتاتورك هذا.. هو معبود أنيس منصور!!..

كانت الفرقة التى يكرسها ويدعو لها أمثالك يا أنيس منصور هى السبب فيما حدث للإسلام والمسلمين..

يقــول المــؤرخ جــون بــادلى فــى كتابه: "الغزو الروسى للقوقاز" : لو اتحدت إيران وتركيا لتم هزيمة الروس هزيمة ساحقة.. (ترى ماذا يحدث الآن لو اتحدت إيران وتركيا وانضمت إليهما مصر ؟!)..

وكــان العــالم كلــه – وما زال – شديد الإعجاب بالمجاهدين القوزاق والشيشــان .. حــتى المنصفين من الروس أنفسهم راجع يا أنيس بوشكين وتولستوى (راجعهما آمنا مطمئنا .. فليسا مسلمين!) .. راجع أيضا الشاعر الروسى ليرمنتوف ومارلينشكى ومن المعاصرين فاليرى تشكوف .. راجع أى مرجع لا يرجع إلى يهود الخزر أو يهود إسرائيل قبل الوصول إليك..

كــان كارل ماركس يقول: " يا شعوب العالم ليكن قتال القوقازيين من أجل حرياتهم درسا لكم"..

.

إن نــبل القــوزاق والشيشان جزء منهم لا تقتصر على البطولة والشجاعة والتضحية والفداء.. بل يتعدى ذلك إلى أفاق قد لا يتخيلها القارئ الذى دمر وعيه أمثال أنيس منصور..

يقــول المــؤرخ الروسى فادييف:" إن الحرب القوقازية شلت حركات الجــزء الأكــبر مــن الجيوش الروسية بعض الوقت، ولولاها لاستطاعت الجيوش الروسية أن تحتل الشرق جميعه من مصر إلى اليابان"

هؤلاء هم الإرهابيون الذى أدانهم أنيس منصور.. وسخر منهم..

ولعــل القــارئ يــدرك أنــنى لم أتكلم إلا عن رؤوس الموضوعات.. ولــم أذكــر إلا العناوين.. وأن كل سطر من هذا المقال يحتاج إلى كتاب.. كــتاب لا تحــرمه وزارة التربــية والتعليم ولا تقاطعه الإذاعة والتليفزيون والصحف ولا تطلب مباحث أمن الدولة حظر نشره تجفيفا للمنابع .. نعم .. لقد أوجزت الإيجاز المخل.. فاغفر لى يا ربى.. لأننى وجلال وجهك أحسب أنــنى لــو قضــيت العمر كله أكتب فسوف تكون جنايتى أمامك يوم القيامة وســؤالى: ماذا فعلت.. أذلك كان قصارى جهدك؟.. وأخشى يا قراء أن يأتى ملاك بأطنان الحبر التى سودت بها مقالاتى ليضعها فى الميزان.. ثم يضع فــى الكفــة الأخــرى .. قطرة دم واحدة.. لشهيد واحد.. من ملايين شهداء المســلمين.. فى أنحاء المعمورة.. من الشيشان إلى الفليبين.. ومن الأندلس إلى فلسطين.. فترجح قطرة الدم أطنان الحبر.. فيقال اذهبوا به إلى النار..

نعم يا قراء .. ما أفدح ذنبى وذنبكم..

كثيرا يا قراء ما أربط تفاصيل كوارث حياتنا اليومية بالتاريخ.. وكأن هــذه الكــوارث مجرد رمز .. أو تعبير فنى عن التاريخ كله.. ومن ذلك يا قــراء مــا أحسســت بــه مع الوقائع الفاجعة للجريمة البشعة التى ارتكبها

الأمريكيون بإسقاط الطائرة المصرية[1].. حين تخيلت .. أن هذه الطائرة هى الأمة الإسلامية التى أسقطها العالم.. واغتالها.. ومدركا أن المجرمين الروس كالمجرميـــن الأمريكييـــن وأذنـــابهم وعبيدهم.. يهدفون إلى طمس تاريخنا الشهيد كله.. طمسه بصورة مطلقة ونهائية وأبدية.. تماما كما فعل المجرمون بحادثـــة الطائرة المصرية.. يسقطون الطائرة.. يموت الجميع فلا يبقى ثمة شـــاهد.. ثـــم يلفقون الأدلة كى يكون الضحايا هم الجناة.. أما من شاهد من بعـــيد فإمـــا الصمت وإما الموت.. يتعاملون مع تاريخنا بنفس المنطق..لذلك فـــإنهم هـــم المتحضـــرون ونحن المتخلفون الهمج.. والشيشانيون إرهابيون انفصـــاليون.. أمـــا أنـــيس منصور الذى أدان الإرهاب الشيشانى والجهل الفلبيينى.. فإنه هو الطبعة العربية لذلك العلج الأمريكى .. الذى خرج ليعلن أن الطيار المصرى هو الذى انتحر بكل ركابه.. وكان دليله على ذلك كلمة : " توكلت على الله.."..

يجمح بى الخيال المعذب كثيرا لأتخيل الموقفين.. وفى الحالين يا قراء.. الشيشان والطائرة.. كان موقف مصر.. يخزينى ويضنينى ويبكينى..

يجمـــح بـــى الخـــيال.. وأحايل ذاكرة مستنزفة..فأستعيد ما كتبه أنيس منصور ذات يوم: " كان فى مصر شارع واحد للبغاء يتنفس فيه المراهقون، أما الآن بعد إلغائه فقد صار هناك مائة شارع" ..

قال ذلك فلم يمنعوه من الكتابة.. ولم يوقفوا النشر له..

أوقفوا النشر لفهمى هويدى..

فاهـــنأ يا أنيس منصور لا هنئت- .. اهنأ .. لم يعد البغاء فى أمتنا مقصـــورا على مائة شارع فقط.. بل انتشر فى الأمة.. فى فتافيت الأمة.. وليس بغاء الجسد وحده ما انتشر..

فاهنأ..

يجمـــح بـــى الخـــيال أحيانا يا قراء.. فأتخيل أن أعداءنا كانوا الخنزير الأبـــيض.. وأن من باعونا من ولاة أمورنا عبر التاريخ ومن زيفوا وعينا كانوا الخنزير الأسود..

أمـــا نحـــن .. أنا وأنتم يا قراء فأظن أن منطقنا تجاه كل ذلك هو نفس منطق المثل الشيشانى: "لا فرق بين الخنزير الأبيض والخنزير الأسود".

١- فى نهايـــة القرن العشرين كانت طائرة مصرية تحمل مئات الركاب تسقط بجوار الساحل الأمريكى.. المـــرجح أن صاروخا أمريكيا أسقطها.. كان عليها خيرة كبار ضباط الجيش المصرى..وادعت أمريكا أن الطيار المصرى انتحر بركاب الطائرة.. وكان دليلهم على ذلك أنه قال: توكلت على الله..!!..

أنا مع الإرهاب[1] ..!![2]

كان صديقى يقول معاتبا:

- أسرفت على القراء.. حاول أن تعطيهم جرعة أمل..

وقبل أن أرد عليه استطرد قائلا والدموع فى عينيه:

الكارثة أننى أطلب منك ذلك رغم أننى أعرف أنك لا تذكر كل الجرائم والغباوات والجهالات والبشاعات والخيانات والكوارث.. بل إنك رغم كل ما تكتب ما أحطت منها إلا بجزء يسير.. ورغم علمى بذلك فأنا - والقراء - يحتاجون إلى جرعة من الأمل..

وقلت له:

عندما نهوى من حالق فليس من الحكمة ولا من صالحنا أيضا - أن يطمئننا أحد .. بل الأولى أن يصرخ فينا أن نتشبث بالصخور وبالثوابت كى لا تتهشم عظامنا.. وعندما تشتعل النار فى بيتنا فنحن لا نحتاج - أثناء الحريق - لمن يسرّى عنا بل لمن ينقذنا من النار..

صرخت فيه:

تريد الأمل المزيف .. أنظر إلى شاشات التلفاز.. لقد أحصيت بالأمس اثنين وعشرين محطة عربية.. تابعت برامجها.. ما من برنامج منها كان يوقظ الأمة أو يوحى أنها مهددة بالتلاشى.. ما من برنامج منها يكشف للأمة أننا قطيع يساق إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان.. ما أكثر الغناء والرقص.. ما أكثر البرامج التافهة.. كل البرامج لا تضيف إلى الوعى بل تستنزفه.. كل البرامج لا تستدعى الذاكرة بل تشوهها.. تريد الأمل المزيف.. طالع صحافة العرب والمسلمين.. حيث كل عهد أروع العهود.. أنظر إليها.. لن تجد منها ما يذيع حتى عن أحداث الطائرة المصرية أو عن أحداث الكويت.. أمريكا المتهمة لا تبالى وتنشر.. والكويت التى تدفعنا للرعب من وعيد الله من فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة .. أما نحن فلا شئ ينقذنا من الغيبوبة أو ينهى الرقص فى محطات إرسالنا.. لن تجد من يتحدث عن لحمنا الذى يتمزق فى الشيشان.. ولا أعراضنا التى

---

١ - قصيدة لنزار قبانى.

٢ - الشعب: ١٩٩٩/١١/٥.

تنتهك فى أربعة أنحاء المعمورة.. ولا عن رقابنا التى تقطع.. ولا عن ديننا المحاصر المضطهد المطارد.. ولا عن حكامنا الذين يستنسخهم الغرب كيفما شاء فيوليهم علينا.. هل رأيت كيف يغير ملكا ولى عهده وهو على فراش الموت فى بلد العدو.. هل رأيت وزارة تشكل تصلح مجلسا للجامعة الأمريكية لا وزارة .. ثم يتحدثون عن استقلال القرار وعدم الخضوع للضغوط ..هل رأيتهم يقدمون القرابين لبيت الشيطان الأبيض فيتبادلون التمثيل الدبلوماسى مع إسرائيل.. دون أى مبرر.. دون أى خطر مباشر.. انفرط العقد .. وكنا نحن من قطع الخيط الذى يربطه.. ولم يكن ذلك الخيط سوى الإسلام.. إذ ما الذى يربط الأندونيسي بالمصرى بالموريتانى سوى الإسلام.. وقد قطعوه وحاصروه.. قطعوه وشتتوا أمة يجمعها الدين والجغرافيا والتاريخ والقرآن وهم يواجهون أمة تجمعت من شتات الأرض لا يجمعها إلا الدين .. إسرائيل .. قطعوه فأفقدونا أقوى سلاح كان فى أيدينا.. قطعوه فهان أمرنا على العالمين.

أبشع مراتب المهانة والألم أن يشفق عليك حتى عدوك..

سيناتور أمريكى صفت سريرته فضج ضميره فصرخ:

ليت المسلمين كانوا درافيل حتى يمكننا الدفاع عنهم..

ويا أيها السيناتور لو أن آلك لم يكونوا وحوشا ضارية.. لما احتجنا أن نكون درافيل..

ويا أيها السيناتور لولا الخداع والانخداع والخيانة لما كان للأمور أن تسير على هذا النحو..

***

أجل يا مسلمون .. لو أنكم درافيل أو قطعا من الحمار الوحشى لضج العالم من مذابحكم..

لكنهم يستنكرون ذبح شاة كأضحية – أيها المتوحشون المتخلفون القساة – المسلمون – ولا يهتز لهم جفن لذبح مئات الآلاف منكم..

بل لو اختلجت مشاعر واحد منكم لذبح أخيه فهو متهم بالإرهاب يجب استئصاله..

يصرخ نزار قبانى:

متهمون نحن بالإرهاب..

إذا رفضنا محونا..

على يد المغول ..واليهود.. والبرابرة..

متهمون نحن بالإرهاب..
إذا رفضنا أن نفاوض الذئب..
وأن نمد كفنا لعاهرة..
متهمون نحن بالإرهاب..
إذا حملنا الخبز والماء..
إلى طروادة المحاصرة..
متهمون نحن بالإرهاب..
إذا رفعنا صوتنا..
ضد الشعوبيين من قادتنا..
وكل من غيروا سروجهم..
وانتقلوا من وحدويين إلى سماسرة..

***

يا أمة: الغرب ووسائل إعلامنا علمونا أن الجهاد إرهاب..

و رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **أنا آمركم بخمس الله أمرني بهن بالجماعة وبالسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى قال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم..**"..

ماذا فعلنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟..

الجماعة تفرقت وتشرذمت..

السمع والطاعة لأمريكا وإسرائيل ..

الهجرة لا إلى الله بل إلى ملاجئ اللاجئين أو إلى الشيطان..

الجهاد تجرمه قوانين عقوباتنا..

ثم نزعم أنا مسلمون..

إنهم يدعونك بدعوى الجاهلية يا أمة فلا تستجيبي ولا تصدقي..

وصلوا بك إلى ما دفع بعض عدوك للإشفاق عليك..

لقد كان قلبي ينزف وأنا أتابع جورج جالاوي في قافلة مريم[1]..

---

١ – عضو مجلس العموم البريطاني، انفعل بالطفلة مريم التي أصيبت بسرطان الدم نتيجة المواد المشعة التي قصف التحالف العربي–الغربي بها العراق. قام برحلة عبر العالم العربي يناشده إنهاء الحصار على العراق.

دعـــنا الآن مـــن أن اســـمها قافلـــة مـــريم.. فنحن المسلمين أكثر من يبجلها فى الدنيا..

دعنا الآن من أن اختبار الاسم نوع من النفى لنا..

دعـــنا مـــن أن خديجـــة وزينـــب – رضـــى الله عـــنهما – أســـماء لا تصـــلح عـــندهم إلا للمهانـــة والاســـتهزاء فســـموا ما ينتعل فى القدم : خدوجة وزنوبة.. فعلوا ذلك وفعلناه خلفهم..

دعنا من كل ذلك..

يصـــف جـــورج جـــالاوى معظـــم حكوماتـــنا العربـــية بأنها "**عـــبدة وعمـــيلة**".. ويصـــرح بـــأن ثلاثـــة وزراء بريطانييـــن هم تاتشر وميجور وبلـــير قـــد أخـــبروه أن الحكومات العربية هى التى تشجع ضرب العراق وأنهـــا أعطـــت الغـــرب تفويضـــا كـــاملا بذلـــك وقد أعطونى إحصائيات مفصـــلة عـــن المـــبالغ الـــنقدية الـــتى تدفعهـــا حكومات عربية لبريطانيا لتمويل قصف العراق وحصاره..

يا إلهى..

هـــل أســـامة بـــن لادن وعمـــر عـــبد الرحمن ومن على دربهم هم المجـــرمون الذيـــن يســـتحقون الشـــنق؟.. وهـــل هـــم الخونة؟! وهل ثمة فرجة لأمل تحت حكم مثل هؤلاء يا صديقى المعاتب؟..

يا إلهى..

ثم تعجبون حين تدعون فلا يستجاب لكم..

يســـتعرض جـــورج جـــالاوى مـــا وصـــل إلـــيه الحال فى العراق فيقول:

إن مـــا يحـــدث للشـــعب العـــراقى مـــن حصـــار وجـــوع وضرب بالقـــنابل وقـــتل للأطفـــال والنســـاء والمدنيين ونشر للأمراض بينهم إنما هـــو عمـــل مشـــين ونحـــن نعلم يقينا من الذى يقوم بوأد أطفال العراق.. إنـــه الاســـتعمار الأمـــريكى والـــبريطانى.. ولكننا نعلم فى نفس الوقت من الـــذى لا يقومـــون بـــأى جهـــد لـــردع هذا العدوان ووقفه.. إن ما يحدث فـــى العـــراق هـــو مـــن أكبر جرائم العصر..ولكن المجرمين ليسوا أولئك الذيـــن يخططـــون ويـــنفذون الجـــريمة فقـــط.. المجرمون أيضا هم الذين لا يفعلـــون شـــيئا لوقـــف هـــذا الإجرام.. شاهدت المأساة العراقية بعينى.. اســـتمعت إلـــى أصـــوات لا أتمـــنى أن يســـمعها أعدائي.. سمعت صوت امـــرأة تضـــع طفلهـــا فـــى عملـــية قيصـــرية دون مخدر.. ورأيت نساء

يحملــون أطفالهــن الموتـــى بأيديهــن.. ورأيتهن يضعن أطفالا مشوهين.. لقــد رأيــت أطفـــالا يولـــدون دون رؤوس.. وأطفـــالا يولدون برأسين .. وأطفالا يولدون بلا أطراف.. وأطفالا يولدون بأطراف إضافية..

ثم لا يتمالك نفسه فيصرخ:

إن هــذا الأمــر هــو كرامــتكم وشرفكم.. وإذا كان هذا الأمر بالنسبة لـــى كغــير عربــي وغــير مســلم ومــن مجتمع استعمارى قضية شرف بالنســبة لـــى.. فأتــرك لكــم أن تحــددوا مــاذا يعــنى هذا الأمر بالنسبة لكم؟!..

ماذا يعنى هذا الأمر بالنسبة لك يا أمة؟..

هــل تتخــيلون أن مســاعدة العــراق أو ليبـــيا أو السودان أو سوريا أو إيران إرهاب..

وأن ولاة أمرنا آمنوا بذلك وأمّنوا عليه..

وأصرخ مع نزار قباني:

متهمون نحن بالإرهاب..
إذا اقترفنا مهنة الثقافة..
إذا قرأنا كتابا فى الفقه والسياسة..
إذا ذكرنا ربنا تعالى..
إذا تلونا سورة الفتح..
و أصغينا إلى خطبة يوم الجمعة..
فنحن ضالعون فى الإرهاب..
متهمون نحن بالإرهاب..
إن نحن دافعنا عن الأرض..
وعن كرامة التراب..
إذا تمردنا على اغتصاب الشعب..
إن كان هذا ذنبنا..
ما أروع الإرهاب..

***

لقــد ســألتكم - يــا قراء - فى مقال سابق أننا نعرف بالتحديد متى احتلت بلادنا لكن التساؤل الأهم هو متى احتلت أرواحنا..

يحاول الأستاذ أنور الجندى[1] أن يجيب عن السؤال فيقول :

---

١ - الإسلام فى وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق . أنور الجندى - دار الاعتصام .

ظهرت فى السنوات الأخيرة وثائق كثيرة كانت خافية على المسلمين والعرب لها أثرها الكبير فى مصائرهم ومقدراتهم وإليهما يمكن تفسير أسباب هزيمتهم ونكبتهم ومنها يوجد المنطلق إلى الأصالة الحقة. بعد هزيمة لويس التاسع فى المنصورة، وجنوحه إلى التأمل فى نتيجة خطته التى جرت عليه الهزيمة والاعتقال، كتب مذكرة خطيرة أشارت إليها مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسى، وذكرها مؤرخه جوانفيل، يحدد بها الموقف من العالم الإسلامى بعد هذه السنوات الطويلة من الحروب الصليبية والمعروف أن لويس كان يقود الحملة الثامنة.

لقد أشار لويس التاسع فى وثيقته إلى أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، ذلك لأن فى دينهم عامل حاسم هو عامل المواجهة والمقاومة، والجهاد وبذل النفس والدم رخيصا فى سبيل حماية العرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين، فمن المستحيل السيطرة عليهم، لأنهم قادرون دوما انطلاقا من عقيدتهم على المقاومة ودحر الغزو الذى يقتحم بلادهم،وأنه لابد من وجود سبيل آخر من شأنه أن يزيف هذا المفهوم عند المسلمين، حتى يصبح مفهوما أدبيا أو وجدانيا، وإيجاد ما يبرره على نحو من الأنحاء بحيث تسقط خطورته، واندفاعاته، وأن ذلك لا يتم إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامى وتحويله عن منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام لقاء القوى الغربية وتروض أنفسهم على تقبلها على نحو من أنحاء الاحتواء، أو الصداقة أو التعاون، وحتى نحصل على نص وثيقة لويس التاسع التى لم نتمكن من الحصول إلا على مقتطفات منها فيما أورده الأستاذ محمد على الغتيت فى كتابه من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، فإن الضرورة تقضى بدراسة هذا الهدف الذى كان له أثره فى ذلك المنحنى الخطير الذى تحولت إليه علاقات الغرب مع عالم الإسلام، هذا الهدف الذى جندت له قوى التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافى، فى خطة محكمة مدبرة ما زالت مفروضة على العالم الإسلامى منذ عام ٥١٥ هجرية الموافق ١١٢١ ميلادية، هذه الخطة التى سيطرت عليها من بعد قوى الصهيونية العالمية.

المذهل فى الأمر يا قراء أن لويس التاسع حدد نقطة ارتكاز فى الشرق لكى يتخذها الغرب لتقويض الإسلام، وأن نقطة الارتكاز هذه تتطابق حدودها مع حدود إسرائيل!!..

أدرك لويس التاسع، وأدرك الغرب كله معه أن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولا من تزييف عقيدتهم الراسخة التى تحمل طابع الجهاد والمقاومة، والتى تدفع بألوفهم إلى ساحات الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن الحق وعن الأرض وعن العرض. إذن فهذه هى بداية المعركة ولابد إذن من تزييف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمان، وذلك بالتفرقة بين العقيدة والشريعة، أو تصوير الإسلام بصورة دين عبادى كالمسيحية وفصل الدين عن الدولة، حتى يفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن فى أصالة عقيدتهم، وجوهر دينهم، عندئذ يصبحون قطيعا من السائمة التى تنطوى وتقهر.

***

المرض إذن قديم يا أمة..

مرض وبيل عضال.. أخطر ما فيه أنه شمل النخبة وأصابها أكثر ما أصاب وأخطر ما أصاب.. لم يفلت منها إلا أقل القليل..

ولقد كان الكتاب والمفكرون من بين إصاباتنا الفادحة..

لقد باع معظمهم نفسه..

يصرخ نزار قباني:

لم يبق فى حياتنا قصيدة..

ما فقدت عفافها..

فى مضجع السلطان..

***

إننى ألاحظ خطابات القراء فأجدها أشد نضجا وأكثر وعيا - بل وربما أصح لغة - من معظم الكتاب.. ذلك أنه كان من شروط الغزو الثقافى الكاسح الذى تعرضنا له أن تنشأ آلية كآلية أجهزة الأمن فى الجامعة والتى حدثتكم عنها فى المقال الماضى.. آلية تحاصر المفكر الجاد وتحاول أن تمنعه أصلا من الوصول إلى منابر لفكر التى يمكنه أن ينشر منها رأيه.. فإن عجزت عن منعه سعت إلى أن تقضى عليه.. فإن عجزت حاولت أن تحيطه بالتجاهل والظلام.. فإن عجزت حاولت أن تسفه فكره.. فإن عجزت حاولت أن تسلط كلابها عليه .. فإن عجزت تلقفته أجهزة الأمن وآوته السجون[1].. لا تنجو من مقصلة الجزار إلا النماذج المشوهة..

---

١ - كان هذا نظريا فى تاريخ كتابة هذا المقال، لكنه بعد أزمة الوليمة أصبح تجربة شخصية..!! فيما عدا السجن.. حتى الآن !!..

إن محمـــود شــاكر – علـــى ســبيل المـــثال – هو نموذج فذ وكامل لكل هذه الآلية الجهنمية.. وهو فى نفس الوقت بفضح كل آلياتها..

ألاحظ كتابات كبار الكتبة ..

لحظـــوا كـــتابات الدكـــتور جابـــر عصـــفور على سبيل المثال.. فهو ينـــتمى إلـــى فصـــيل من الكتاب يكون ملء السمع والبصر طالما بقى فى وظائفـــه العديـــدة فـــإذا أقـــيل منها لا يسمع به ولا له أحد.. تفرض الدولة كتـــبه وأحاديـــثه إلـــى القـــراء مدعومة وتناقش كل الصحف الكبرى كل إصـــداراته وهـــو عـــن طـــريق علاقاته المتشعبة والخدمات التى يمكن أن يؤديهـــا ينتشـــر وينتشـــر وينتشـــر.. لكن .. ثمة سؤال هام : ما هى القيمة الفكـــرية الـــتى يمـــثلها فـــى النهاية ..؟ ما هو الفكر أو الإبداع أو الإنجاز الذى شيده..

فكروا يا قراء.. وسوف تجدون أن النتيجة : لا شئ..

فـــى كـــتابه : " **مواجهـــة المواجهـــة**" يتناول الأستاذ "**محمد إبراهيم مبروك**" مواقف الدكتور عصفور ويتساءل ذات السؤال فيجيب: ":

انظـــروا كـــيف يعـــالج الدكـــتور جابر المسألة ؟.. إنه لا يفعل شيئا ســـوى أن يطـــبق مصـــادرته المســـبقة علـــى الحالة التى أمامه فمن يؤيد الشـــيخ (وجهـــة نظـــر جابـــر) مـــن دعـــاة الاستنارة والعقلانية والتقدم والحالميـــن بالديموقراطـــية والحـــرية أمـــا مـــن يرفضون فهم دعاة الحكم المطلـــق وأنصـــار الأتـــباع والتقلـــيد وبمفهوم المخالفة فهم غير تنويريين وغـــير عقلانييـــن كمـــا أنهـــم مـــتخلفون رجعـــيون.. هـــل فعل الدكتور شـــيئا؟.. هـــل فكـــر فـــى شئ؟ هل قدم أى نوع من الدلائل على ما يقول؟ أيـــن هاذا الفكـــر الـــذى ناقشـــه فيه؟ وأين فكر الدكتور حتى نناقشه نحن؟ لا يوجـــد شـــئ مـــن كـــل هذا والمسألة كلها عبث فى عبث، وإطلاق تهم عدوانـــية مســـبقة لا أكـــثر.. والســـؤال الأهـــم مـــن كـــل هـــذا: أين تلك العقلانية التى يتحدث عنها الدكتور؟ أين هى فى فكره هو؟..

يتـــناول الأســـتاذ مـــبروك نمـــاذج مذهلـــة من كتابات جابر عصفور المـــنحرفة، ومـــنها علـــى ســـبيل المثال اعتباره أن من المحن التى حاقت بالتـــنوير تـــراجع محمـــد حســـين هيكل تحت ضغط التقليديين ليكتب كتابه "**حياة محمد**" واتجاه "**العقاد**" ليكتب فى "**العبقريات الإسلامية**"..

مشـــكلتنا مـــع أمـــثال الدكـــتور جابر ممن تسند إليهم السلطة عشرات المناصـــب وتمهدهـــم لمناصـــب أعلـــى أن أفكـــاره بلا قيمة حقيقية وأنها تكـــرار وتـــرديد لأقـــوال المستشـــرقين، لـــيس المنصـــفون منهم بل غلاة المتعصـــبين الكارهيـــن للإســـلام والحاقديـــن علـــيه، لا يوجـــد فكر، لكن

يوجـد إلحـاح إعلامـي مـدر.. ضـجيج ولا طحن.. لذلك فإن أى مفكر يـتردد كثـيرا قـبل أن يواجهـه ويفند فكره.. لأنه لا فكر.. ثم أن فكره كلـه سـيتهاوى كجـذع شجرة نخره السوس فى أول بادرة لتخلى السلطة عـنه.. الـنقطة الأخـيرة .. أنـه يملك - بفضل ما ذكرنا وما لم نذكر - الوسـائل الـتى يمكـن أن ينشر بها لا فكره على أوسع نطاق.. كما يملك - وهـذا هـو الأهـم - مـن الوسـائل ما يمنع المتصدى له من الوصول إلى وسائل إعلام يسيطر هو عليها.. إما بالوظيفة وإما بالعلاقات[1]..

فى كتابه مركسة الإسلام وفى مقالات نشرتها صحيفة الشعب المصادرة واجه الأستاذ منصور أبو شافعى كاتبا آخر من نوع الدكتور جابر عصفور، الدكـتور القمنى، وببراعة دمر مشروعه الفكرى - أو لامشروعه - ليثبت الأخطاء والأكاذيب الفادحة التى تهدف بصراحة ووضوح إلى تدمير السيرة النبوية.. لا فى مجالات قد يجوز الاختلاف فيها.. لا .. فالمجال الذى يسير فيه المشروع هو تكذيب النبوة كلها..

مـا فعلـه محمـد غبراهـيم مبروك ومنصور أبو شافعى مثالى، لكن مـن أيـن نـأتى لكـل تـنويرى بكاتـب باحـث مجتهد يفضح مشروعه ويكشفه أمام الناس.

إنـنى ألاحـظ والأسـى ينهشـنى أنـه كلمـا ابتعد القارئ عن كتاب التنوير كلما كانت رؤيته أصوب وأصدق..

القـارئ العـادى يفهـم المسـألة أفضـل من كثير كتابنا.. من أكبر كتابنا..

وبعض الأميين يفهم المسألة أكثر من كثير من المتعلمين..

فلقـد نجـا الأمـيون بأميـتهم مـن عملـيات غسيل المخ واستنزاف الوعى وتشويه الذاكرة..

ولقد اهتممت بهذه القارعة كثيرا..

كيف أن نخبة المثقفين تسقط كل هذا السقوط..

ولقـد ألممـت بجانـب مـن الإجابة عندما فكرت أن الاستعمار حين جـاء لـم يجـئ لـيلهو.. بـل جـاء ليشـكل بممارسات فى غاية التعقيد

---

١ - بعـد أزمة الوليمة أصدر الدكتور جابر عصفور كتاب : " مواجهة التعصب" وهو كتاب فى ٤٦٤ صفحة ويباع بثلاثة جنيهات!!. الغريب أنك تقرأ الكتاب كله فلا تجد فيه إلا " مكلمة" لا تتوقف . لكـنه لا يقـول شيئا.. وفى أزمة الوليمة على سبيل المثال لا يجرؤ على إيراد نموذج واحد من رواية حيدر حيدر. ربما بعد أن اتعظ من تجربته القاسية مع الدكتور محمد سليم العوا على إحدى القنوات الفضائية.. وكانت تجربة قاسية لحد الفضيحة: راجع هوامش ملف الوليمة فى نهاية هذا الكتاب

والشمول تغيير نخبة الأمة .. وقد غيرها.. وعندما رحل فقد سلم زمام الأمور إليها.. ولقد نصب فى كل بلد من بلاد العالم الإسلامى أصناما.. يستطيع الناس أن يجترئوا على الله وعلى الرسل وعلى الصحابة دون أن يمسهم سوء (بل على العكس.. تفتح لهم الأبواب للسيادة والرئاسة أنى كانوا..من رئاسة الدول إلى رئاسة التحرير إلى رئاسة الصفحات الثقافية) لكنهم إذا اجترءوا على هذه الأصنام فهم إرهابيون ظلاميون متأسلمون حمقى..

لقد كان مذهلا لى أن أكتشف أن معظم ما يردده دعاة التنوير الآن مكتوب بنصه فى تقارير اللورد كرومر السنوية..

يقول أنور الجندى:

" فى هذه التقارير، سجل كرومر الخطوط العامة لتهديم كل عوامل الإيمان الوطنى والاعتزاز العربى الإسلامى.. وكان أول من ساق الأكذوبة الضخمة التى تقول أن المصريين كانوا خاضعين أكثر زمانهم.. فقد حكمتهم دولة الفرس فاليونان فالرومان فعرب جزيرة العرب، وبغداد، فالجراكسة، فالترك آل عثمان.."

هذا بالضبط ما كتبه اللورد كرومر عام ١٩٠٦ ومازال كبار مثقفينا الرسميين الذين تفرضهم حكوماتنا علينا يرددونه حتى اليوم.. متجاهلين أن صلة مصر بالعرب لم تكن صلة استعمار وأن الرابطة بين العرب وبين الدولة العثمانية لم تكن رابطة احتلال..

لقد تحدث كرومر أيضا على أن مصر ليست جزءا من أفريقيا ولا من الشرق وكان يهدف إلى نزع مصر من دورها وجذورها.. وهو ما يزال صبيته يرددونه حتى اليوم.. إن الأفارقة متخلفون والعرب أجلاف وتركيا بلد احتلال فمال مصر وكل هذا.. وليت نخبة مثقفينا - حتى بمفهومهم الغبى الخائن - فكروا ما هو الثمن الذى سنحصل عليه عندما نقطع جذورنا.. هل سنلتحق بأوروبا مثلا.. ؟!..

كان كرومر أيضا هو أول من هاجم الحكومة الإسلامية، ووصفها بأنها الحكومة الثيوقراطية..

أخطئ يا عربي يا مسلم فى تلاوة القرآن..
أنكر حديثا نبويا شريفا..
عارض شرعا أو فقها..
لا ضير..

لكن حاول أن تعارض ما غرسه كرومر لتنطلق كلاب جهنم تعوى عليك من كل صوب..

والرجل - للدهشة والأسى- لم يحاول إخفاء دخيلته.. فهو يعترف بالنص فى تقرير عام ١٩٠٦: " إنى واثق من قوة أوروبا، واقتدارها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة (الحركة الإسلامية) من الجهة المادية وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية.."..

شن كرومر حملة شاملة على الإسلام..

وما زالت حملته وتعاليمه هى المسيطرة والحاكمة..

ما زال كرومر هو مندوب الإعلام السامى ومندوب التعليم والثقافة..

ما زال كرومر هو المرجعية الأولى لأجهزة الأمن السياسي..

وما زالت نفس عباراته هى العبارات التى يلوكها كبار كتابنا..

أنظر إلى قوله مثلا عن المنهج الإسلامى: " **السعى فى القرن العشرين فى إعادة مبادئ وضعت من ألف سنة صدى لهيئة اجتماعية فى حالة الفطرة والسذاجة، هذه المبادئ مناقضة لآراء أهل البصر..**"..

هل رأيتم يا قراء..

هل لاحظتم معى أن كبار كتابنا قد رضعوا لبن كرومر وأنهم يحاربون حتى الآن بسيفه ولا يزالون يحصلون على ذهبه..

كانت الطبقة القديمة التى حملت هم الدين والوطن قد استشهدت أو قمعت أو غيبت فى غياهب السجون.. وكانت الطبقة الجديدة - ويسميهم كرومر: الأحداث - قد انسلخت عن الدين والوطن إما عن جهل وإما عن ضلال وإما عن خسة.. وكانت طبقة الأحداث هذه تطلب الثمن طموحا عارما مجنونا إلى السلطة والسيادة والريادة.. وكان كرومر جاهزا.. إنه يقول: بدأ أحداث المصريين يصيحون للحصول على نصيب أعظم فى حكومة بلادهم وإدارتها ..(..) ..إنهم يريدون أن يرتقوا إلى مناصب الحكومة العالية التى يتقلدها الأوربيون الآن وليس عندى كلمة ضد هذه الأمنية"..

وولاهم..

وخدعت يا مصر .. وخدعتم يا عرب .. وخدعتم يا مسلمون..

كنتم تحسبون أنكم أرغمتم الاستعمار على أن يخفف قبضته وأن يولى رجالنا بدلا من رجاله..

وكان كرومر - وكل كرومر - كالحية الرقطاء قد نفث سمه واستودعه النخبة التى ما تزال حتى اليوم تحكمنا..

كان على النخبة أن تدافع عن وعى الأمة..

لكنها كانت للمأساة أكثر من شوهه..

تستر الصليبيون خلف مفكرين وشيوخ وقادة لم ينطقوا إلا بلسان أعدائنا..

يلاحظ "**محمد جلال كشك**" أن العالم الغربى يقسم تاريخه إلى حقب ثلاث .. يسمى الحقبة الوسطى منها عصور الظلام.. كانت قمة تخلفه.. وكانت فى نفس الوقت عصرنا الذهبى الذى سدنا فيها العالم ألف عام.. لكن مفكرينا جريا على ما جرى عليه الغرب طبقوا نفس التقسيم علينا ليجعلوا من أزهى عصور ازدهارنا عصرا للتخلف والظلام..!!..

لم يفضح كبار كتابنا المعايير المزدوجة..

فضحها بعد إسلامه "**مراد هوفمان**" كما يذكر فى كتابه: **الطريق إلى مكة**- دار الشروق- تشدق الغرب بحقوق الإنسان قائلا: " **يبدو أن الغرب فى تعريفه للإنسان يقصد ذوى العيون الزرقاء والشعر الأشقر!**" .. ثم يواصل فضح العالم الغربى الذى ترسبت فى أعماقه مشاعر الفزع والرعب من كل ما هو إسلامى . هذا الفزع التاريخى، يصل إلى درجة اللامعقول، وسرعان ما يتحول وبسهولة شديدة إلى عداء سافر..

ويتغذى هذا الفزع على ذكريات جماعية مشتركة، تتوارثها الأجيال عن المنازعات الحربية المريرة بين العالمين المسيحى والإسلامى فى العصور الوسطى. لم تغب أبدا عن ذاكرة الألمان - حتى بشكل غير واع -حقيقة وجود المسلمين لعدة قرون فى إسبانيا وصقلية والمجر.

ولعبت الحروب الصليبية، بطبيعة الحال، دورا أساسيا فى إزكاء هذا الفزع وروح العداء تجاه الإسلام والمسلمين. فلقد أصابت هذه الحروب - برغم نجاحها العسكرى - الأوربيين بصدمة ثقافية هائلة ومروعة، لأنهم تيقنوا أن هؤلاء " الكفرة " الحقراء، الذين يقطنون

بــلاد الشــام، أصــحاب حضــارة كــبرى مزدهــرة، بل إنها تتفوق على الحضارة المسيحية – الأوربية فى مختلف الأوجه والمجالات ..

ولقــد أدرك بعــض الأوربييــن، فــى ذلــك الوقــت، حقــيقة أثارت حــرجهم، بــل أزعجــتهم، حقــيقة مفادهــا أن الغرب هو غروب صباح أشرق فى بلاد الشرق .

وتأتى صحوة الإسلام، وعودة الحياة والروح إليه التى شهدها فى العقود القلــيلة الماضية، لتضيف أسبابا جديدة لفزع الغرب من الإسلام، خصوصا وأن هــذه الصــحوة تــتعارض تماما مع تكهنات المحللين المتخصصين فى دراسة الشرق .

فــى عــام ١٩٠١ نشرت للمرة الأولى ترجمة القرآن كتب المترجم فى مقدمتها : " إن الإسلام على ما يبدو قد استنفد دوره السياسى " . وكانت هذه العبارة فى ذلك الوقت تحمل الكثير من الصحة، نظرا لوقوع العالم الإسلامى بنســبة تصــل إلــى ١٠٠% تحت وطأة الاستعمار الأوربى . وكان دارسو الإسلام، إبان فترة الاستعمار وحتى خمسينيات هذا القرن، على يقين تام من موت وفناء موضوع بحثهم، حتى إنهم انطلقوا يبحثون عن الإسلام قبل زواله وأفــول نجمــه، ليتمكــنوا مــن وصــفه وتصــويره، مــثلهم مثل علماء الأنثروبولوجيا، وعلماء النبات . لقد كان واضحا بما لا يدع مجالا للشك، أن ديانــة الســكان الأصــليين البدائية ستذوب أمام شمس الحداثة الغربية. أما الصــدمة الكبرى، والأمر المثير لاستفزاز دول الغرب وحكوماته، فهو ذلك الــتطور فــى مسيرة الإسلام وصحوته، والذى بلغ قمته عندما ألحقت دولة شــيعية، هى إيران، إهانات بالغة ومتتالية لأمريكا، بدأت منذ عام ١٩٧٩ . وأن . هذه الإيران تصمد لكل ردود فعل الولايات المتحدة وعقوباتها . وعلى الجانــب الآخر، أجبر المجاهدون الأفغان الجيش السوفيتى، وهو جيش قوة عظمى، على الانسحاب من أراضيه .

ويعتــبر الكثــير من الغربيين صمود الإسلام، ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، خروجا عن سياق الزمن والتاريخ، بل إنه يمثل إهانة بالغة للغرب، خاصة بعد انتصار النظام " الرأسمالى " على غريمه الشيوعى .

ثم يواصل مراد هوفمان فضحه للازدواجية والعنصرية الغربية قائلا:

"لا يــتوهم المســلمون على أى حال أن الغرب ما كان ليتدخل عسكرياً وبقــوة إذا كان الصرب – بكل ما اقترفوه من الجرائم ضد البشرية مسلمين، والبوسنيون – بكل ما تحملوه من آلام هم المسيحيين. إننا على يقين تام بأن الغرب كان سيشن حربا شعواء على هؤلاء المسلمين المتوحشين الهمج، وكل

هـذا باسـم حقـوق الإنسان، ومبادئ الأمم وقيم الإنسانية الغربية.. أما أن يفـرض حظـر سلاح على البوسنة الكاثولوكية الضعيفة فلا أستطيع تخيل وجوده أبدا."

***

كنت أعود إلى صديقى المعاتب..

وكنـت أقـول لـه أنـنى لـم أشـك لحظة واحدة فى حتمية انتصار الإسلام.. فذلك وعد الله..

و أن حـزنى كلـه هـو مـن أجـل نفسـى.. وأهلـى.. وقومـى.. وأمـتى.. فقـد كنـت أتمـنى أن نكـون مـن ينفذ الله على أيديهم وعده.. والآن أشـك فـى ذلـك.. وأحسـبه يذهـب بنا ليأتى بقوم يحبهم ويحبونه يحقق على أيديهم النصر..

كنت أقول له ذلك.. ثم أتمتم مع نزار قبانى:

أنا مع الإرهاب../ إن كان يستطيع أن يحرر الشعب..
من الطغاة والطغيان../ وينقذ الإنسان من وحشية الإنسان..
أنا مع الإرهاب../ إن كان يستطيع أن ينقذنى..
من قيصر اليهود../ أو قيصر الرومان..
أنـا مـع الإرهـاب../ بكـل مـا أملك من شعر .. ومن نثر .. ومن أنياب..
مادام هذا العالم الجديد../ بين يدى قصاب..
أنا مع الإرهاب../ إن كان مجلس الشيوخ فى أمريكا..
هو الذى فى يده الحساب../ وهو الذى يقرر الثواب والعقاب..
أنا مع الإرهاب../ مادام هذا العالم الجديد..
يكره فى أعماقه../ رائحة الأعراب..
أنا مع الإرهاب../ مادام هذا العالم الجديد..
يريد أن يذبح أطفالى../ ويرميهم إلى الكلاب..
من أجل هذا كله../ أرفع صوتى عاليا..
أنا مع الإرهاب..
أنا مع الإرهاب..
أنا مع الإرهاب..

***

ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله[1] ..؟!

مـــواجهـــة

أشهدك يا رب..

وأشهدك يا أمة..

و أشهدكم يا قراء..

لـو أنـنى جعلـت مـرجع عـنوان مقالـتى الماضـية: "أنـا مـع الإرهـاب.." كـتاب الله أو سـنة نبـيه أو اسـتندت إلـى أبـى حنيفة أو الشـافعى أو أحمـد بـن حنـبل – ولا أقول ابن تيمية – رضى الله عنهم أجمعين، لكنت الآن محالا إلى محكمة عسكرية..!!..

لكن المرجع كان نزار قبانى..

كـان القلـب يـنزف سـخرية وهو يتوقع تلمظ الوحوش المفترسة إذ تقرأ العنوان فتتهاتف :

– هـا هـو قـد وقـع فى المحظور .. هاتوه .. لقد انتظرناه طويلا وتربصنا به طويلا..[2]

تربصوا يا وحوش .. نحن أيضا نتربص..

يا وحوش..

وحوش سوط ووحوش صوت ووحوش قلم...

وحوش..

وحـوش إذا ذكـر اسـم الله اشمأزت قلوبهم وإذا ذكر الرسول صلى الله علـيه وسـلم كـأن فـى آذانهـم وقـر فـإذا ذكـر فقهاؤنـا إذا هم يستهزئون..

لكنهم إذا ذكر نزار قبانى يخشعون..!!

---

١ – الشعب: ١٩٩٩/١١/١٢

٢ – ومع ذلك.. كان د. رفعت السعيد على قناة الجزيرة يوم ٢٠٠٠/٥/٣٠ يلوح بالصحيفة فى تتسنج مظهـرا عـلى الشاشة عنوان المقال: " أنا مع الإرهاب" ويقدمه للمشاهديت على أنه اعتراف منى بذلـك.. والاعتراف سيد الأدلة.. وكان يحرض الناس والسلطة.. وكان أمين عام حزب التجمع المفروض أنه معارض !– وكان عضوا معينا فى مجلس الشورى!!..

وهذا هو تزييف الوعى يا أمة..

هذا هو تزييف الوعى الذى عليك أن تواجهيه..

***

أمـــل

لست يائسا..

فلا ييأس من رحمة الله إلا الظالمون..

لكننى يا أمة حين أقارن ما وهبه الله لك وما صرت إليه يفرى الألم كبدى..

يذكر الدكتور سعيد عبد الحكيم زيد[1] - أن العالم الإسلامى يحتل ربع مساحة العالم (٣١، ٧ كم مربع) وتشكل مساحته أكبر وحدة روحية وفكرية فى العالم، تضم مجموعة من البشر تزيد على سدس سكان العالم، يكونون أمة واحدة تفوق أى كتلة بشرية مجتمعة فى العالم..

هذا ما وهبه الله لنا..

هذه المساحة تزيد عن ١٥٠% من مساحة أوروبا والولايات المتحدة مجتمعتين ..

فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه المساحة تشغل وسط العالم وقلبه وأنها أغنى مناطقه بالثروات وأكثرها اعتدالا فى المناخ لازدادت إدانتنا لأنفسنا.. ولازدادت مرارة السؤال : كيف وصلنا إلى هذا الحال..

إن مساحة البلاد الإسلامية التى اقتطعتها روسيا من العالم الإسلامى تفوق مساحة أوروبا مجتمعة.. اقتطعتها مع تدهور الأحوال فى الدولة العثمانية المسلمة وكانت موسكو قد اعتبرت نفسها وريثة روما وحامية الصليب.. يقدر عدد المسلمين فى هذه الجمهوريات بستين مليون مسلم.. وتشغل مساحتها أربعة ملايين كيلومتر مربع.. وجمهورية كازاكستان هى أكبر بلد إسلامى فى العالم - وليس السودان - حيث تبلغ مساحتها ما يقرب من ثلاثة ملايين كيلومتر مربع..

١- واقع العالم الإسلامى . الدكتور سعيد عبد الحكيم زيد. مكتبة وهبة .

هذا هو لحمنا الذى نسيناه..

من تلك الأرض المحتلة كان أسلافنا العظام.. كان الإمام البخارى، والزمخشرى والترمذى والنسائى وكان أيضا ابن سينا والبيرونى والشاشى والخوارزمى وعبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض وإسحق بن راهويه ..

هؤلاء هم أسلافنا العظام الذى يسيل دم أحفادهم الآن فى الشيشان والداغستان دون عون ولا غوث ولا حتى احتجاج..

إن مائتى مليون مسلم يعيشون فى بلاد غير إسلامية فى آسيا: ثمانون مليون فى الصين ومثلهم تقريبا فى الهند ..

وخمسة وعشرون مليونا فى بلاد غير إسلامية فى أفريقيا..

وسبعة وعشرون مليون مسلم يعيشون فى أوروبا..

وأكثر من عشرة ملايين مسلم فى الأمريكتين..

قلت لأصحابى وهم يحاورونني:

لست متشائما .. أنتم المتشائمون..

ونظروا نحوى فى دهشة فواصلت:

أقصى أمانيكم أن نستطيع الوقوف على أقدامنا .. مجرد الوقوف.. أقصى أمانيكم أن تعود إسرائيل إلى حدود ٤٨.. أقصى أمانيكم أن تتعامل أمريكا معنا بقدر أقل من الإذلال والمهانة.. هذا أمر يسير جدا لا يحول بيننا وبينه إلا اختلافات - أو خيانات - ولاة أمورنا.. وإننا - على ما بنا من عجز وذل ومهانة وتخلف - نستطيع أن نواجههم اليوم لا غدا لو اتحدت كلمتنا.. وإن القوة التى أهدرت فى حربى الخليج كانت كفيلة بأن تكون أقصى مطالب أى يهودى فى العالم لا تتجاوز ما سمح به عمر بن الخطاب رضى الله عنه..

ثم صحت فى وجوههم :

- لا .. لا وحق جلال الله ما أنتظر ذلك وما هو ما أريد.. إنما أرنو إلى وعد سينفذ إن شاء الله لأنه وعد الله.. وإلى زمن سيأتى.. لن تعود إسرائيل فيه إلى حدود ٤٨ بل بإذن الله سنمحقها من الوجود محقا.. سنجوس الديار.. وسيهتف الجهاز الإليكترونى فى أيدينا : يا مسلم هنا يهودى فاقتله .. فنقتله.. لا .. ليس مطروحا حتى أن يعيشوا بيننا فى بلد عربى مسلم بعد ما فعلوا.. والقدس وفلسطين التى

استودعناها الفاروق عمر ستعود إلينا.. نحن عباد الله بإذن الله سنستعيدها.. هذا الطرح لم تطرحه - ولن تطرحه - دولة قومية لكننا نطرحه.. لست متشائما.. بل أرنو إلى زمن يكتب فيه خليفتنا : من خليفة المسلمين إلى كلب الروم.. فترتعد أوصال فى لندن وباريس وواشنجتن وموسكو.. أرنو إلى زمن تستغيث فيه امرأة - لا دول وأمم - فنغيثها بجند أولهم عندهم وآخرهم عندنا.. نعم.. لست متشائما .. أنتم المتشائمون إذ تشكون ولو للحظة أن ما أقول بإذن الله سيحدث.. أنتم المتشائمون إذ رضختم لمقولات ما أنزل الله بها من سلطان.. لا سلام مقابل أرض ولا أرض مقابل سلام.. لا كامب ديفيد ولا مدريد ولا أوسلو ولا ممرا آمنا.. افعلوا ما شئتم فأنا لا أعترف به.. إن جورج الخامس يفاوض جورج الخامس وكلينتون يفاوض كلينتون وباراك يفاوض باراك.. كل ذلك ستذروه الرياح .. رياحنا ..وسيذهب هباء منثورا.. نحن الأعلون.. نحن خير أمة أخرجت للناس.. وستتبوأ فى الدنيا المكان الذى وعدنا الله به.. والفارق بين ما نحن فيه وما سنصير إليه هو الذى يبعث الحزن فى قلبى.. لا عن شك.. بل عن ألم لأننى كنت أود أن أكون شهيدا فى تلك المعركة الكبرى.. لست متشائما حين أتوقع أن تكون تلك المعركة بعد مائتى أو ثلاثمائة عام.. وربما لا يكون ثمة اختلاف بَيْنَ ما أراه وما يراه مفكر كبير كالأستاذ عادل حسين الذى يرى أن الأمة الإسلامية حين تنهض فإنها تتقدم بخطى خوارزمية - وليس لوغاريتمية - وأنها فى خلال ربع قرن تستطيع المواجهة.. لعلنا لا نختلف كثيرا.. ولعله يقصد بداية القدرة على المواجهة بينما أقصد أنا نهاية المواجهة..

لست متشائما .. وإنما أدرك ما أدركه الغرب الصليبي أنه لم يكن من باب المصادفة أن يغدو المسلمون سادة العالم طوال حلقة كبيرة من حلقات تاريخه ، ولم يكن من باب المصادفة أن تصبح الدولة الإسلامية على مدى عدة قرون سيدة دول العالم سياسيا وحربيا، وأعظمها حضارة ورقيا، وأكثرها إبداعا وخلقا وابتكارا .

يقول سعيد عبد الحكيم :

أدرك الغرب أن هذه القوة، وتلك العظمة الخالدة قد تحققت نتيجة لما تمتع به العالم الإسلامي من إمكانات ضخمة، روحيه وبشرية واقتصادية وغيرها، مما زوده بطاقة بناءة كبيره، ساعدته على تحقيق تلك المكانة السامية.

هذه الإمكانات التي توفرت للعالم الإسلامي ليست بالمزايا المؤقتة التي تتغـــير بتغير الوقت ومرور الزمن ، وإنما هي راسخة ثابتة، بعضها أصيل في بنية البشر، خالد في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم ، تتوارثه الأجيال جيلا بعد جد، وبعضها الآخر تمتد جذوره بعيدا في البيئة والأرض ، مما يضمن للأمة الإســلامية بقاء أبديا، ورفعة وازدهارا. هذه الإمكانيات البشرية الهائلة هي التي ترهب أعداء الله في كل زمان ومكان .

يقــول الألماني " بول شيمتز" في كتابه الإسلام قوة الغد : إن مقومات القوة في الشرق تنحصر في عوامل ثلاثة :

(١) في قوة الإسلام كدين ، وفى الاعتقاد به ، وفي مثله، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة .

(٢) وفـــي وفره مصادر الثروة الطبيعية في رقعة الشرق الإسلامي ، الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربا إلى المحيط الهادي علـــى حدود إندونيسيا شرقا. وتهيئ هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية ســليمة قويـــة، ولاكتفاء ذاتي لا يدع المسلمين في حاجة مطلقة إلى أوروبا، أو إلىغيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا.

(٣) خصـــوبة النسل البشرى لدى المسلمين ، مما جعل قوتهم العددية متزايدة .

ثـــم قال : فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث ، تآخى المسلمون على وحدة العقـــيدة " وتوحيد الله ، وغطت ثرواتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم ، كان الخطـــر الإسلامي خطرا منذرا بفناء أوروبا، وبسيادة عالميه في منطقة هى مركز العالم كله ..

ثـــم يقـــترح لصـــد هذا الخطر الذي صوره ماحقا لأمته : أن يتضامن الغـــرب المسيحي، شعوبا وحكومات ، ويعيدوا الحروب الصليبية في صورة أخرى ملائمة للعصر، ولكن في أسلوب نافذ حاسم .

ويقـــول روبرت بين في مقدمة كتابه السيف المقدس : "علينا أن ندرس العـــرب ونسبر أفكارهم ، لأنهم حكموا العالم سابقا وربما عادوا إلى حكمه مـــرة أخرى، سيما والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك مـــا يدعو إلى الاعتقاد بان الشعلة لا تطفأ، ولهذا ألفت هذا الكتاب لكي يقف القراء على اصل العرب..

***

ما هو الحل ؟!

نعود إلى التساؤل يا قراء كيف ومتى غزوا أرواحنا ..

يقرر سعيد عبد الحكيم أن الكارثة استفحلت مع سيادة منهج التعليم الغربى فى بلادنا.. كانت العلوم الغربية التي تعلمها أبناء الأمة الإسلامية في تلك المدارس والكليات مخالفة في أصولها وفروعها لأصول الأحكام الإسلامية وجزئياتها. صورت لهم أن الدين مجرد عقيدة شخصية ، لا علاقة لها بالحياة الإنسانية، وان الوجود الإلهي ليس بشيء ثابت ، كما أن الوحي شئ مرتاب فيه . وصوروا لهم العبادات والأعمال – التي هي في الإسلام فرائض وواجبات – على أنها من تقاليد العصور المظلمة الجاهلة، مما لا فائدة منها في الوقت الراهن .

اكتسبت الأجيال في هذا التعليم الغربي غير الإسلامي أمورا تتناقض وتتضاد مع تعاليم الإسلام في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخلاق، كان من نتيجة ذلك أن افتقد أبناء الأمة القدرة على النقد والتمييز، واعتبروا كل ما تعلموه من الغرب مقياس الصحة والصواب ، ثم راحوا ينتقدون الإسلام بهذا المقياس مع علمهم الناقص ، ونظرهم القاصر ... وكلما وجدوا في الإسلام اختلافا مع الغرب حملوا الإسلام ما ليس فيه ، بل اقبلوا على مبادئه وقوانينه يحرفونها عن وجهها، ويستبدلون بها مبادئ أخرى .

كانت تلك بداية استفحال الكارثة يا أمة.. ومن هنا يبدأ باب من أبواب العلاج.. ومن هنا أيضا أرد على القارئة شيماء عز الدين التى كتبت تقول :

أكتب إليك وأنا أبكى... ولقد فكرت أن أكتب إليك يوم كتبت أنك لا تتمالك نفسك فتنهمر دموعك كلما قرأت آية : " ويضل الله الظالمين" عندما لا تتخيل كيف يصل إنسان إلى درجة الوحشية الهائلة وكأنه أكثر من شيطان.. إننى أتعذب عذابا نفسيا هائلا عندما أرى التناقض والفساد فى كل شأن من شئون الحياة.. مناقضة الحقائق ببجاحة صارخة فى كل الأمور.. فى الدين والسياسة والزراعة والتاريخ والاقتصاد.. والناس ما بين ظالم طاغ متجبر قذر وذليل خسيس دنئ وغبى .. وعامتهم .. بل كلهم موتى صم بكم عمى لا يعقلون..

وتواصل القارئة رسالتها لتشترك فى المعنى والتساؤل مع القارئة ف.ع.م خريجة الجامعة – كالقارئة الأولى – والتى كتبت تقول :

"... تعجبني مقالاتك كثيرا وتؤثر في نفسي تأثيرا عميقا ولكني لا أعرف بعد قراءتها ماذا أفعل.. أقرأ الكلمات كثيرا لكني لا أعرف كيف أترجمها إلى فعل.. وإن كلماتك وكلمات أمثالك حجة علينا عند الله تعالى .. فدلنا بالله عليك إلى الحل وإلى عمل أشارك فيه وكل قرائك.. إلى عمل يعود على الأمة بالنفع والخير.."

إنني أورد هذه الرسائل كي ندرك جميعا كم يتمزق شباب هذه الأمة مما يفعله السفهاء فيها.. أما عن الحل فلن تجود به قريحة كاتب.. الحل موجود.. كان موجودا دائما وسيظل موجودا أبدا .. حل لو اتبعناه لن نضل أبدا .. كتاب الله وسنة رسوله.. الحل موجود .. ونحن الغائبون..

***

الفكر المراوغ

لشدما أرثي لنفسي ولكم يا قراء..

ذلك أن العقل خادع والحقيقة مراوغة..

وما قد تراه اليوم يقينا قد لا يكون سوى سراب..

وإننا لا نصل إلى الحقائق كلها بالدليل العقلي أو التسلسل المعرفي أو تركم المعلومات..

العقل خادع والحقيقة مراوغة..

ونحن نشبه – أحيانا – من ينظر إلى شاشة تلفاز فيرى عالما بأسره ثم يأتي من يقول له أنه يرى غير ما يرى ويسمع غير ما يسمع..

لا تحدوا البصر ولا تنظروا في الزوايا المظلمة والأركان البعيدة كي تروا ما يرى..

ولا تظنوا أن الصورة أمامكم باهتة ومهتزة وبعيدة..

ولا تظنوا بمن يقول لكم أنه يرى غير ما ترون الجنون..

لا تحدوا البصر.. بل البصيرة..

غيروا اتجاه الهوائي..

أو بلمسة واحدة غيروا قناة الاستقبال..

سوف ترون عالما آخر غير ذلك الذى كنتم مستعدين أن تقسموا منذ ثانية واحدة أنه غير موجود وليس موجودا سوى ما ترون..

العقل مخادع والفكر مراوغ..

لقد مررت بهذه التجربة عندما قرأت العلامة محمود شاكر..

تجربة مروعة ياقراء..

تجربة مروعة تفهمون بعدها أن من يهدى الله هو المهتد..

أحيانا ياقراء .. أشعر أننى وأنكم مرضى.. وأن الجرعة السليمة للدواء وللحقيقة قد تكون قاتلة..

اشتد بنا الداء ياقراء..

اشتد حتى لا نحتمل إلا العلاج المتدرج..

أنظر إلى نفسى وإليكم ياقراء أحيانا كمريض نفسى امتلأت نفسه بالضلالات والهلاوس.. وأننا لو تعاملنا كأصحاء فقد هلكنا..

الفكر مراوغ يا قراء .. والعقل كثيرا ما يزل فيضل..

وقد تجد نفسك اليوم مقتنعا بفكرة أشد ما يكون الاقتناع .. مقتنع بها حتى لتكاد تقاتل أو تقتل من يقول بسواها.. ثم إذا بك ما بين عشية وضحاها تكتشف كم كنت على باطل.. وكم كانت الحقيقة منك قريبة وتحسبها بعيدة وعصية..

الفكر مراوغ ياقراء حتى لو صدق التاريخ فما بالكم لو كذب..

الفكر مراوغ ياقراء وياكتاب ويا مفكرون فلا تصروا على ما أنتم فيه من ضلال باسم الفكر والعقل..

***

الدكتور محمد اسماعيل المقدم

لقد طاف كل ذلك بخاطرى وأنا أتصفح الموسوعة الضخمة التى كتبها الدكتور محمد إسماعيل المقدم تحت عنوان : عودة الحجاب..

أعترف.. أننى رغم اهتمامى بكل ما ينشر إلا أننى لم أكن أعرف شيئا عن الموسوعة حتى شرفت بلقاء كاتبها.. الموسوعة تقع فى ثلاثة أجزاء وتناهز صفحاتها الألف وخمسمائة صفحة..

قلت لنفسى لعلها طبعت طبعة محدودة ووزعت على نطاق ضيق..

في الصفحات الأولى ذهلت..

كانت الطبعة التى بين يدى هى الطبعة الثالثة عشرة..

والموسوعة وإن كان عنوانها عن الحجاب إلا أنها سفر هائل للتاريخ يكشف كيف زيف وعى الأمة.. ومن الذين زيفوه..

وبمناسبة الاحتفالات الصاخبة واحتفالات عباد الشيطان بأعياد تحرير المرأة فقد كنت أود يا قراء أن أروى لكم ما جاء فى هذا السفر الضخم عن جذور المهزلة..

لكن .. هل تحتملون جرعة الحقيقة يا قراء..؟!

كنت أريد أن أقتطع لكم من الموسوعة التفاصيل المخزية لجذورها ولحياة قاسم أمين..

كلاب سوط وكلاب صوت وكلاب قلم..

كنت أريد أكثر أن أقدم من هذا الكتاب نموذجا للفكر الجاد المحاصر فى مواجهة الفكر السفيه المدعم..

هل كنت أستطيع أن أفعل ذلك؟..

أم تتناهشنى وتتناهشكم الكلاب لو قلت..

***

أولاد المياسس

فلتسمحوا لى إذن أن أؤجل جرعة الدواء هذه لنتناولها مخففة فيما نشرته صحيفة الأسبوع[1] عن أعياد تحرير المرأة التى عقدت فى مدينة الأربعين ألف مئذنة.. فى القاهرة..

وأنا أقرأ الأسبوع تساءلت إن كانت كلمة " مومس " كلمة عربية صحيحة..

كنت أذكر بيتا من الشعر أظنه لأبى العلاء المعرى يقول فيه:

العقلُ إن يضعفْ يكن مع هذه الدنيا كعاشق مومسٍ تغويهِ

لكن الأمر كان يستحق العناء فبحثت فى لسان العرب:

امرأةٌ مُومِسٌ ومُومِسَةٌ: فاجرة زانية تميل لمُريدِها كما سميت خَريعاً من التَخَرُّع وهو اللين والضعف، وربما سميت إماءُ الخِدْمَة

---

١ – الأسبوع: ١٩٩٩/١١/٩ .

مُومِســـات، والمُومِســـات: الفواجـــر مجاهـــرة. وفـــي حديث جريج: حتى يَنْظُرَ في وجوه المُومِسات، ويجمع على مَيامِس أيضاً ومَواميس،

وأصـــحاب الحديـــث يقولـــون: ميامِـــيس ولا يصـــح إلا على إشباع الكســـرة ليصـــير يـــاء كمُطْفِـــل ومَطافِل ومَطافيل. وفي حديث أبي وائل: أكْـــثر أتْـــباع الدَّجَّـــال أولاد المَـــيامِس، وفـــي رواية: أولاد المَوامِس؛ قال ابـــن الأثـــير: وقـــد اخـــتلف فـــي أصـــل هـــذه اللفظة فبعضهم يجعله من الهمزة وبعضهم يجعله من الواو، كلٌّ منهما تكلّف له اشتقاقاً ..

رجعـــت إلـــى صـــحيفة الأســـبوع إذ تـــروى مـــا حـــدث فى مؤتمر تحرير المرأة:

كاتـــبة تقـــول أنهـــا ســـيئة الســـمعة.. وأخـــرى تعتـــبر الختان قطعا للســـان.. هجـــوم شـــديد علـــى الشريعة الإسلامية والمطالبة بإلغاء قوانين الزنا والميراث..

كـــان الديـــن فريســـة وكـــن كـــلاب الصيد وأسفرت الحقيقة العارية عـــن وجههـــا المومـــس فـــإذا بالـــتحرر الذى يقصدنه مجرد بغاء.. مطلقة منهـــن كانـــت تدافـــع عـــن نفسها إذ تتقاضى نقودا من أصدقائها الرجال.. وواحـــدة أخـــرى بلغـــت مـــن المجاهـــرة بالفحشاء أن احتج صديقها عليها فصـــرخت فـــيه مـــن علـــى المنصـــة: لا تصاحبنى إذن.. مندوبة الكويت خرجـــت علـــى الـــنظام .. أشـــعلت سيجارتها رغم منع التدخين فى القاعة ففتحت الباب للباقين للتدخين.. كالكويت!!..

شـــاعرة مصـــرية تحدثـــت عـــن نجاحها وفشلها فى تجاربها الجنسية وذكـــرت بجـــرأة تحســـد علـــيها أســـماء الأعضـــاء الجنسية وأوضاعها لدرجـــة أن إحـــدى الحاضـــرات مـــن الجمهـــور اشتبكت معها بعد الندوة واتهمت الكاتبات بالابتذال الجنسى..

كاتـــبة مصـــرية أرســـلت مـــن أمـــريكا حيـــث تعيش- وحيث يعيش الخونـــة – تقـــرر أن ارتـــباط الشـــيطان باللذة الفنية لا يمنع من الإحساس بها.. وكذلك ارتباطه باللذة الجنسية لا يمنعنا من الإحساس بها..

أكـــثر مـــا آلمـــنى .. أن الصحفية ميرفت إسماعيل عبد التواب وهى صـــحفية فـــى الأهـــرام قـــد نشـــرت مقـــالا فى الأسبوع تندد فيه بانعدام الحـــياء الـــذى ســـاد الـــندوة وتصـــرخ فى نهاية المقال: على المرأة بعد

مائة عام تحرر ألا تطالب بقاسم أمين جديد إنما بمن يعلمها الدين الذى كله حياء..

آلمنى ذلك.. لأننى فهمت أنها لو وجدت لفكرها فى الأهرام مكانا لما لجأت لغيره..

وذلك وحده يكفى لكى يكون دليلا على عمق الكارثة..

***

أتباع الدجال

اختلفت كثيرا مع الأستاذ منصور أبو شافعى فى دأبه واجتهاده وموسوعيته فى التصدى لرموز العلمانية والتنوير، كنت أرى دائما أنهم أقل شأنا من التصدى لهم، وأن الكتاب الإسلاميين الذين يعانون الحصار ولديهم مهام كالجبال ينبغى عليهم تجنب هؤلاء الذين لا يسعدهم شئ قدر التصدى لهم، فذلك يروج لكتبهم وأسمائهم ويعطيهم قيمة لا يستحقونها.

والحقيقة أنه تناول أحدهم فسحقه سحقا، لكننى قلت له: وماذا بعد؟ لقد أثبت أنه كذاب وملفق ومدلس .. أثبت أكثر من هذا كفره.. ثم ماذا.. إن رجل الشارع العادى الذى لم يقرأ له إلا حديثا عابرا فى مجلة يعرف عنه كل ذلك.. أنت تحاول إثبات قضية مثبتة، أما عن الصوت العالى والصحافة السوداء والمجلات الحمراء فلا تلق لها بالا لأنها ظاهرة من ظواهر حياتنا الثقافية والسياسية.

وكان رأيه أن هؤلاء الناس يمثلون أخطر ظاهرة تواجه المجتمع الإسلامى[1] وأنه يجب مواجهتهم باستمرار لأنهم كالسوس الذى ينخر فى أساس المجتمع. وكتب إلىّ يقول:

" قبل أى شئ أقول - بصدق- أنك واحد من الذين أدهشونى بقدرتهم على الكتابة المغامرة التى لا تكتفى فقط بإضافة الجديد إلى عقل القارئ، وإنما - والأهم - تسعى إلى تحريضه على الوعى كحتمية لمواجهة تتار التنوير العلمانى الذين استهدفوا تضبيب الحقائق لتغييب الثوابت الدينية والتاريخية عن الفعل..تمهيدا لنفيها من إطار

١ - بعد أحداث الوليمة.. أجدنى مسلما بأن الحق كان مع الأستاذ منصور أبو شافعى .

الثوابت وإدخالها في إطار المتغيرات التي يمكن أو يجب تجاوزها.: وهذا الهدف العلماني - كما تعلم - بدأ بعلمنة الإسلام في " الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق وانتهى الآن بنفي إلهية الإسلام والقرآن في " الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية لسيد القمني".. وبهذه النهاية فقد نقل تتار التنوير معركتهم من مواجهة أوهام الحكم والدولة الدينية ... إلخ ... إلى مواجهة الدين كعقيدة"..

هل قرأتم يا قراء..

هل تريدون معرفة الهدف النهائي لرواد التنوير..

إنه كما ينقله الأستاذ منصور أبو شافعي عن أحد التويريين حيث أنهى كتابا له بهذا البيت من الشعر:

لعبت هاشم بالملك فلا ... مَلَكٌ جاء ولا وحي نزل ..

هذه هي النهاية عندهم ياقراء مهما حاولوا إخفاءها ..

نبيكم دجال وأنتم وثنيون حمقى..

ياقراء: هذه هي نفس نظرة الغرب لكم ..

فيا قراء..

مالكم لا تقاتلون في سبيل الله..؟؟!!..

* * *

يذوب قلبى ..

ما من أحد منا برئ..

نعم..

ليس من حق أى واحد منا أن يدعى أنه برئ ..

كلنا نعلم..

وكلنا نصمت..

الله جل جلاله يجرءون عليه..

والقرآن يتجرءون عليه..

والدين مستباح..

بل إن كل هجوم عليه علامة تحضر وتنور..

كل ذلك مستباح..

وكل ذلك تستطيع أن تخوض فيه آمنا فى كل وقت وفى أى وقت باسم حرية التعبير والتنوير...

لكن جرّب مرة أن تتحدث عما تفعله بعض قطاعات الشرطة خاصة ضباط مباحث أمن الدولة والسجون..

جرب مرة باسم حرية التعبير والتنوير أن تتحدث عنهم.. أو عن النيابة والقضاء..

جرب مرة أن تواجههم بالواقع الذى يقول فى تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان:

"صعدت الأجهزة الأمنية من إجراءاتها القمعية فى مواجهة الجماعات الإسلامية المسلحة، على نحو يشير إلى إطلاق يد الأجهزة الأمنية فى ملاحقة هذه العناصر وتصفيتها جسديا، دونما التقيد بأحكام القانون وهو ما أفضى إلى سقوط عشرات القتلى فى صفوف الجماعات الإسلامية على أيدى رجال الشرطة دون إحاطة الرأى العام بتحقيقات النيابة أو بتقارير الطب الشرعى فى هذا الشأن كما

---

١ - الشعب: ١٩٩٩/١١/١٧ .

استمر تعذيب المعتقلين في مراكز الاحتجاز سواء بمقار الشرطة أو داخل السجون العمومية، وسقط مالا يقل عن ١٥ قتيلا داخل هذه المراكز بشبهة التعذيب"..

صحيفة فاسقة واصلت وتواصل الادعاء بأن المعتقلين يتعمدون إصابة أنفسهم كي يهدروا الأدلة التى ضبطت ضدهم ..

ليس حسنا.. بل رهيبا..

فقد ينطلى هذا الكذب والتزوير على المصابين فماذا عن الشهداء يا فاسقة؟..

يواصل تقرير المنظمة:

" وقد رصدت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وفاة ٩ من عناصر الجماعات الإسلامية بالسجون ومقار مباحث أمن الدولة، وأربعة مواطنين فى أقسام الشرطة خلال عام ، وتقدمت بمذكرة معلومات للنائب العام فى أواخر ديسمبر تضمنت قائمة بأسماء هؤلاء الأشخاص الذين تثور الشكوك حول وفاتهم نتيجة التعذيب وهم : فاروق احمد على، عفت محمد والى، محمود حسين محمد، حسين صلاح سيد، المحمدى محمد مرسى، محمد جمعة عبد السيد، احمد عبد الرحمن محمد، عيسى طاهر سليمان، بهاء الدين عبد الرؤوف ، محمد سلومة عبد الحميد،محمد عطية شمرول ،عبد الستار رشوان ، عمرو محمد صفوت ، سيد حسنى فتوح..

لم تتناول الصحيفة أبدا موت هؤلاء..

تناولت فقط سمكة ميتة فى الخليج ومن أجلها وافقت وأيدت موت مليونى عراقى..ثم ثبت أن السمكة قد جاءوا بها ميتة من بحر الشمال ووضعوها فى الخليج وصوروها.. وانتشرت الفضيحة .. لكن متى كانت الداعرات يخشين الفضائح..

كانت تلك الصحيفة أيضا من الذين شرعوا خناجرهم ومداهم لذبح منظمات حقوق الإنسان بتهمة التمويل من الخارج..

كانت بعض المنظمات حقا تستحق الهجوم.. لكن بعضها الأخر كان العلامة الوحيدة التى تدل على أن هذه الأمة مازالت تمتلك بقايا من شرف ومن ضمير..

لم يكن الهجوم عند الجل من أجل التمويل الخارجى.. فبعض من هاجموا يحترفون التمويل الخارجى والداخلى ونهب أموال الأمة.. وصحفهم تخسر بالملايين لكنهم يتقاضون منها الملايين..

وذلك كله لا يهمنا الآن..

لم يكن علينا أن ننظر إلى من قال بل إلى ما قال..

ولقد قرر تقرير المنظمة السابق ذكرها أنها اهتمت بحالتين من حالات الاعتقال :

الأولى خاصة بعدد المعتقلين السياسيين الموجودين داخل السجون فقدرتهم بما لا يقل عن خمسة آلاف معتقل سياسي ..

أما الحالة الثانية، فتتعلق بأعداد من تم اعتقالهم بطريقة عشوائية من العناصر المتطرفة. وتقدر المنظمة أعدادهم بحوالى١٥ ألفا، وتعتمد المنظمة بشأن هذا التقدير على البيانات الصادرة عن السلطات الأمنية بعدد العناصر المتطرفة والمشتبه فيهم الذين تم القبض عليهم فى أعقاب كل حادثة من حوادث العنف ، وكذا على الإحصائية الصادرة من مكتب التظلمات لدى النائب العام ، ببلوغ عدد التظلمات فى أوامر الاعتقال ٢٩ الف تظلم خلال العام ..

كما ترصد التقارير الواردة للمنظمة أن معظم حملات الاعتقال والقبض قد اتسمت بالعنف الشديد ورافق بعضها فرض حظر التجول على بعض مدن الصعيد، كما رافقها فى الكثير من الحالات ، تعدى أجهزة الأمن على الأثاث والممتلكات فى المنازل التى جرى اقتحام العديد منها وتفتيشها دون التقيد بأحكام القانون..

وقد شهدت السجون حالات من الهياج والتذمر والإضراب بسبب استمرار وزارة الداخلية فى تجاهل أحكام الإفراج الصادر فى حق مئات المعتقلين ، ويعانى المعتقلون منذ تفجر الأحداث الأخيرة من منع الزيارات عنهم.. وتلقت المنظمة العديد من الشكاوى من أهالى المعتقلين تشير إلى استمرار حرمانهم من زيارة أقاربهم .. كما تعددت الشكاوى التى تلقتها المنظمة عن سوء الرعاية الصحية والتغذية كما اشتكى العديد من السجناء والمعتقلين من المعاملة السيئة من قبل ضباط مباحث أمن الدولة وضباط مصلحة السجون ، وأشار المتهمون فى أحداث أغسطس بأبى زعبل إلى تورط مباحث أمن الدولة في هذه الأحداث..

وتظل أخطر الظواهر التى تعانى منها السجون ومراكز الاحتجاز المصرية هى اتساع نطاق ممارسة التعذيب داخل السجون

ومقار مباحث أمن الدولة وأقسام الشرطة.. وقد اشتد الجدل هذه الظاهرة اثر صدور قرار بإدانة التعذيب فى مصر من جانب لجنة مناهضة التعذيب بالأمم المتحدة ... إذ كثفت وزارة الداخلية تصريحاتها حول نفى وقوع تعذيب فى السجون ، ومحاسبتها المستمرة للتجاوزات لبعض الضباط ورجال الشرطة.

كما اتهم وزير الداخلية منظمات حقوق الإنسان بالكذب ومساعدة الإرهابيين وقد أصدرت "المنظمة المصرية لحقوق الإنسان" بيانا فى ٢٤ أكتوبر تعقيبا على تصريحات السيد الوزير أوضحت فيه التزامها المبدئى بالوقوف ضد التعذيب باعتباره ممارسة روتينية مستمرة جرى توثيقها ليس فقط من خلال تحقيقات المنظمة المستقلة، بل أيضا استنادا إلى المحاضر الرسمية للنيابة العامة والتقارير الطبية ا لرسمية فضلا عن صدور العديد من الأحكام القضائية التى تؤكد وقوع التعذيب على المتهمين..

كما أعربت المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن اعتقادها بأن الإنكار الدائم لوزارة الداخلية لوجود ظاهرة التعذيب فى مراكز الاحتجاز المصرية، لا ينفى وجودها الفعلى ولا يحول دون تفاقم آثارها السيئة فحسب ، بل يؤدى إلى إفلات القائمين على هذه الانتهاكات من العقاب.. لذا ناشدت المنظمة السلطات المعنية بإجراء تحقيق قضائى حول كافة الادعاءات والبلاغات المتكررة بشأن التعذيب وإعلان نتائج هذه التحقيقات للرأى العام[1] ..

ثم يتحدث تقرير المنظمة عن حق المتهمين والمعتقلين فى المحاكمة العادلة فيقول :

" تابعت المنظمة بقلق بالغ المحاكمات التى جرت لمئات المدنيين من الجماعات الإسلامية المتطرفة أمام المحاكم العسكرية خلال العام وتعتقد المنظمة أن المحاكمات قد أهدرت الضمانات الأساسية للمحاكمة العادلة المنصفة الواردة فى العهد الدولى للحقوق المدنية والسياسية، ومن بينها حق كل متهم فى المثول أمام قاضيه وحقه فى أن يتاح له وقت كاف لإعداد دفاعه، وحقه فى الاستئناف ، وحقه فى قضاء حقيقى يتمتع بالحيدة والاستقلال.. ففى حين أن القضاة المدنيين فى مصر معينون من قبل مجلس القضاء الأعلى وغير قابلين للعزل ضمانا لاستقلالهم ، فإن العسكريين هم

---

١ – التمويل الخارجى للمنظمات كارثة.. لكن الهجوم عليها كان كلمة حق أريد بها باطل..

ضـباط عسـكريون عـاملون يعينهم وزير الدفاع لمدة عامين قابلة للتجديد ويخضـعون للعزل والترقية، مما لا يوفر الضمانات الكافية لاستقلالهم كما لا يـتوافر لديهـم الخبرة الكافية فى تطبيق القوانين الجنائية على المتهمين المدنيين..

وقـد لاحظـت المـنظمة فـى قضية الاعتداء على السياح والمنشآت السـياحية الـتى ضـمت ٤٩ مـتهما مـن بينهم سبعة هاربون .. أعلن الدفـاع عـن المتهميـن عـند بـدء جلسـات المحاكمـة أمـام المحكمة العسـكرية العلـيا بالقاهـرة فى ٩ مارس عدم قناعته بإحالة المتهمين إلى المحـاكم العسـكرية، وأكـد على عدم قانونية وعدم دستورية هذه الإحالة .. وطالـب بتمكيـن المحاميـن مـن مقابلة المتهمين مشيرا لانقطاع كل صـلة بهـم مـنذ صـدور قرار إحالتهم إلى المحكمة العسكرية وطلب من هيـئة المحكمـة التحقـيق فـى الادعـاءات المـتعلقة بـتعرض المتهمين للتعذيـب والإكـراه المـادى والمعـنوى لـلإدلاء باعـترافات على غير الحقـيقة، وتسـليمهم" لضـباط مباحـث أمن الدولة " دون إذن كتابى من النـيابة العامـة بالمخالفـة لأحكـام قـانون الإجـراءات الجنائية .. وفى جلسـة ٢٩ مـارس أعلنـت هيـئة الدفـاع عـن المتهمين انسحابها من المحكمـة ورفضـها سـماع شـهود الإثـبات ، بسـبب رفـض المحكمة مـنحها أجـلا جديـدا للاطلاع على ملف القضية باعتبار أن الأجل الذى منحـته المحكمـة لمـدة عشـرين يومـا فقط غير كاف بالنظر لضخامة الملـف .. وقـد قـررت المحكمـة نـدب محاميـن جـددا للدفـاع عن المتهميـن وفـى ٢٢ أبـريل أصـدرت حكمهـا فى القضية بإعدام سبعة متهميـن والأشـغال الشـاقة المؤبـدة لثلاثة متهمين ، كما قضت بالسجن مـع الأشـغال الشـاقة لمـدد تـتراوح بين ١٥ عاما وعامين على ٢٢ متهما، بينما برأت ساحة ١٧ متهما آخرين ..

كذلـك لاحظـت المـنظمة فـى قضية تنظيم الشوقيين والتى انتهت بإصـدار أربعـة أحكـام بـالإعدام وبالأشـغال الشـاقة والسجن لـ ١٣ مـتهما أن المحكمـة العسـكرية قـد أخلـت بحقـوق المتهمين الأساسية ورفضـت الاسـتجابة لطلـب الدفاع بشأن استدعاء شهود نفى، ولم تلتفت لدفـع المحاميـن بـبطلان الاعـترافات لأنهـا ولـيدة التعذيـب والإكراه الواضـح والثابـت فـى تقاريـر الطـب الشرعى، كما لم تتح للمحامين الوقـت الكـافى للاطـلاع أو لإعداد دفاعهم.. وأكد المحامون أن الأحكام الصادرة ضد المتهمين قاسية جدا بمفهوم القانون ذاته.."

ليس حسنا بل رهيبا..
فما من أحد منا برئ..
ما من أحد منا برئ..
فلنواصل ما يقوله التقرير:

وتعتقد المنظمة أن حكم محكمة أمن الدولة السابق لا يشكل فقط إدانة واضحة لأجهزة الأمن المصرية بالتعذيب الذى صار من الناحية الفعلية جريمة لا عقاب عليها، وهو الأمر الذى يتأكد يوما بعد آخر من خلال اتساع نطاق دائرة ضحاياه وعجز النيابة العامة والجهاز القضائى عن وضع حد له ، بل يطرح أيضا العديد من التساؤلات الجوهرية بشان تقييم المحاكمات العسكرية التى جرت خلال العام وما إذا كانت قد راعت الضمانات والحقوق للمتهمين بما يكفل تمتعهم بمحاكمة عادلة منصفة، أم أنها كانت أكثر حرصا على الحسم والإسراع فى المحاكمات دون إطالة فى الإجراءات - وهو ما أعلنه السيد رئيس الجمهورية هدفا لإحالة قضايا الإرهاب إليها- بصورة أدت إلى التضحية بالهدف الأول ؟ وهل راعت المحاكم العسكرية وهى تحاكم المدنيين أن الاعترافات الصادرة عنهم لم تنتزع قسرا، عن طريق الإكراه والتعذيب بحيث يتعين إهدارها؟ والواضح للمنظمة أن المحاكم العسكرية غلبت عنصر الحسم والإسراع على حساب عنصر الضمانات والحقوق للمتهمين ، ولم تلتفت للدفوع الخاصة ببطلان اعترافات المتهمين الصادرة عن طريق الإكراه والتعذيب، ففى قضية أحداث زينهم ، التى ضمت ٨ متهمين ، أثبت المحامون فى جلسة ٢٩ أغسطس تراجع رئيس المحكمة العسكرية عن قراره الصادر فى جلسة ٢٣ أغسطس بعرض المتهمين على الطب الشرعى لبيان ما بهم من إصابات وتاريخ وسبب حدوثها، واكتفى بمناظرة المتهمين وإثبات إصابتهم ، وعلل الإصابات بأنها حدثت نتيجة تعرضهم لضرب المواطنين أثناء القبض عليهم فى مسرح الجريمة وقد أكد المحامون أن قرار المحكمة باطل ، لأنه ضد مصلحة المتهمين ويعد سابقة خطيرة لم تشهدها المحاكم من قبل .. كما رفض رئيس المحكمة تسليم المحامين صورا من محاضر الجلسات وطالبهم بالاطلاع فى قاعة المحكمة وفى جلسة ٧ سبتمبر قام رئيس المحكمة بانتداب محامين عسكريين للدفاع عن المتهمين ضد رغبتهم عندما انسحب محامو الدفاع بعد أن رفض رئيس المحكمة السماح لهم باستجواب الشهود بدلا من

تأجيل القضية والسماح لنقابة المحامين بانتداب محامين جدد وفى ١٥ سبتمبر أصدرت المحكمة العسكرية العليا حكمها فى القضية بإعدام اثنين والأشغال الشاقة المؤيدة لأربعة وبراءة متهمين آخرين واللافت للنظر أن جلسات المحاكمة فد بدأت فى ٢٣ أغسطس ثم أجلت أسبوعين للاطلاع أى أن المحاكمة استغرقت فعليا ١٣ يوما فقط..

ليس حسنا بل رهيبا..

وأنت يا أمة جميعا مسئولة..

رأيت الظلم والفاحشة فصمت..

إننى لا أريد أن أعادى أحدا..

لكننى لن أنكص عن هذا العداء إن كان من أعاديهم أشد وحشية من الوحوش وأكثر رجسا من الشيطان..

***

فى غيبة مرجعية الإسلام تغولت الوحوش..

عندما كان رجاء جارودى[1] حينما كان معتقلا فى الجزائر وشارك فى القيام بتمرد أصدر الجنرال الفرنسى أوامره إلى الجنود الجزائريين بإطلاق الرصاص عليه وعلى زملائه من المتمردين.. لكن الجنود رفضوا إطاعة الأمر.. وهددهم الجنرال بمحاكمة عسكرية قد يترتب عليها إعدامهم رميا بالرصاص لكنهم أصروا على عدم إطاعة الأمر.. وبعد انفراج الأزمة سأل جارودى الجندى الجزائرى لماذا كاد يضحى بحياته من أجل من لا يعرف .. وأجابه الجندى أنه يخاف الله وأن الإسلام وليس الجنرال الفرنسى مرجعه..

لقد فقدت أمنك يا أمة منذ تخليت عن الإسلام كمرجع..

فى الخارج أصبحنا سخرية الأمم ..

وفى الداخل لا أمن ولا أمان ..

ما هى مرجعيته جنودنا ..

إنهم يخافون من رئيسهم..

---

١ – كيف صنعنا القرن العشرين. روجيه جارودى. دار الشروق– راجع أيضا· الإسلام والقرن الواحد والعشرون. الدار العالمية للكتب والنشر.

ومرجعيته أمر شفوى لا يجرؤ على كتابته أبدا ولا على قوله فى العلن وإن كان لسان كبير لهم قد أفلت بها ذات يوم فصرح أنه قد أمر جنوده " بالضرب فى المليان " فى سويداء القلب وأنه لن يتورع عن قتل مليون فى سبيل استتباب الأمان فياله من أمان..!!..

لم يكن الجنود كجنود جارودى وضربوا " فى المليان.."

وأنتم تباركون بالصمت أو بالهتاف يا حمقى.. يا رواد التنوير..

إننى أنظر إلى الأمور فى إطارها الكلى.. ليس ثمة شئ عبث ولا شئ سدى.. أرى مكر خير الماكرين..

خنتم الله وخنتم أنفسكم.. وظننتم أن الوحش الذى تتم تربيته فى أقبية السجون لن يخرج منها.. لا والله .. لقد خرج.. وحش لا مرجعية له ولا مسئولية عليه ولا قانون يحاسبه ولا عقاب يناله..

فقدتم الأمن والأمان..

إننى لا أتحدث عن بعض قطاعات الشرطة إلا كرمز.. ويمكنك أيها القارئ أن ترفع كلمة : " الجندى " من السطور السابقة لتضع مكانها أى مهنة .. أى مهنة أى مهنة.. حتى مهنة كبار شيوخك ومصدرى فتاواك.. اسأل نفسك ممن يخافون؟!.. كل واحد يخاف رئيسه.. والرئيس يخاف رئيسه ورئيس الرئيس يخاف رئيس الرئيس وتستمر السلسلة.. سلسلة يباركها الشيطان حتى تفضى إلى نتيجتها الحتمية فإذا بنا راكعون أمام إسرائيل منسحقون أمام روما الجديدة .. وعلى الرغم من ذلك .. على الرغم من أننا قد فعلنا ذلك كى نحصل على الأمن والأمان فلا أمن ولا أمان.. لا على مستوى الدول ولا على مستوى الأفراد.. امش فى الشارع.. سوف يفترسك وحش مسعور كذلك الذى افترس الصحافى محمد همام فى الشارع ..والذى يفترس ألف همام كل يوم لكن ذنبهم أنهم لا يعملون فى صحف كبرى تسلط الضوء على قضاياهم..لا تمش فى الشارع.. قرّ فى بيتك.. ستقتلك سحابة مسمومة فإن أفلتّ فماء ملوث فإن أفلتّ فغذاء مسموم .. وكل مرؤوس يخاف رئيسه ولا أحد يخاف الله .. ومن يخاف الله إرهابى..!!..

هل تعرفون لماذا يا ناس؟!..

يجب أن نفهم الداء العضال قبل أى محاولة للقضاء عليه..

فمن يخاف الله لا بد أن يُرهِبَ الشيطان..

ومن يخاف الله لا بد أن يُرهِبَ أعداء الله..

والمسلم .. المسلم الذى يهتف كل يوم بـ : " الله أكبر " مائة وأربعة وثلاثين مرة فى صلواته المفروضة فقط يدرك إن كان يعنى ما يقوله أن الله فقط هو القوة وهو المرجع وهو المنتهى وأنه لذلك يجب عليه أن يخشاه وحده وألا يخشى سواه..

الجندى المسلم حقا هو الذى يقف أمام الجنرال ليهتف : لا طاعة لك فى معصية الله..

القاضى المسلم حقا هو الذى تهون عنده رغائب الحكام إن كانت فى معصية الله فيأبى أن يتلقى أمرا من حاكم أو أن يتولى قضية أحكامها معدة قبل أن يتولاها..

وكيل النيابة المسلم حقا لا يتلمس رضاء السلطة واتجاهاتها بل يلتمس مرضاة الله..

أستاذ الجامعة المسلم حقا .. لا يدلس ولا يغش.. ولا يزور كى يكون أبناء زملائه فى المراتب الأولى..

رئيس التحرير المسلم حقا لا ينتظر " مهاتفة المساء " التى تخبره بما يكتب فى الصباح بل يكتب ما يمليه عليه ضميره وما يرضى الله..

رئيس لجنة الانتخابات المسلم حقا لابد أن يعلم أن التزوير من أكبر الكبائر فلا يقدم أبدا عليه..

التاجر المسلم حقا لا يدلس ولا يغش ولا يغبن..

السائق المسلم حقا لا يستهين بالروح الإنسانية حتى لو كان يقود سيارة ملك أو أمير لأنه يعلم أن الله أكبر..

الطالب المسلم حقا لا يهمل دروسه لأنه يعرف أن الإتقان فريضة..

المفكر المسلم حقا لا يرفض أن يستعبد تكنولوجيا الغرب لكنه يرفض أن تستعبده تكنولوجيا الغرب.. إنه يأخذ من الغرب ما يحتاجه من تكنولوجيا مهما كانت آفاقها وهو لا يخجل من أن تبدأ تلك التكنولوجيا من التغليف والإبرة ثم لا يخاف أن تنتهى بالقنبلة النووية والصاروخ (الغريب أن دعاة الغرب يكتفون من تلك التكنولوجيا

بـــالملابس والســـيارات وأدوات تجمـــيل النســـاء .. والفـــياجرا..!! لكـــن حـــاول أن تحـــدث أحـــدا مـــنهم عـــن حقـــنا فـــى تكنولوجـــيا الصواريخ والذرة)..

والمســـلم حقـــا يعـــرف أن القنـــبلة الذريـــة والنووية وأسلحة الدمار الشـــامل هـــى أســـلحة غـــير إسلامية لأنها تدمر وتقتل وتخرب وتفعل ما نهـــى رســـول الله صـــلى الله علـــيه وســـلم عنه وما حذر منه .. ذلك أنها تقـــتل الشـــيوخ والأطفـــال والنســـاء وتقـــتل الأشـــجار وتهلـــك الـــزرع والضـــرع.. لكـــنه بالـــرغم مـــن كـــل ذلـــك يعتبر الحصول عليها فرض عيـــن لا لكـــى يســـتعملها بـــل لكـــى يمـــنع أعـــداء الله مـــن استعمالها.. أو من الاستهانة به وإذلاله لأنه لا يملكها..

العـــالم المســـلم حقـــا لا يرضـــى أن يـــتفوق أعداء الله علينا وفرض الكفاية علينا عليه فرض عين..

ثـــم أن المســـلم حقـــا إذ يـــتعلم مـــن عدوه لا ينهار أمامه ولا يركع ولا يفقـــد ثقـــته بأنـــه الأعلـــى وبأنـــه واحد من خير أمة أخرجت للناس.. أجـــل.. لا يفقـــد المســـلم حقـــا اســـتعلاءه بالحق .. تماما كما فعل أسلافنا العظـــام حيـــن واجهـــوا أكبر إمبراطوريتين فى التاريخ : روما وفارس.. أخذوا منهم التكنولوجيا ولم يتعلموا منهم الفساد..

والمســـلم حقـــا لا يـــرفض أى شـــئ فـــى صالح الأمة من أى مكان فـــى العـــالم .. فالحكمـــة ضـــالة المؤمن.. أنى وجدها فهو أولى بها.. لكن المســـلم حقـــا إذ يفعـــل ذلـــك يفعلـــه بعقـــل يقـــظ وضـــمير نـــزيه .. ولـــيس بطـــريقة المفســـدين فـــى الأرض .. الذين يفسدون أرض الزراعة – علـــى ســـبيل المـــثال – كـــى يتمكـــنوا مـــن بـــيعها بأغلى سعر حتى لـــو جاعـــت الأمـــة.. ويخـــربون مصـــانع الأمـــة كى يفرطوا فيها بأدنى ســـعر وأعلـــى عمولـــة (العمولـــة اســـم تنكرى للرشوة) حتى لو ضاعت الأمـــة.. فمـــثل هـــؤلاء يخـــربون الإسلام كى يمكنوا الغرب منا.. ومنهم أولـــئك الذيـــن يخـــتزلون الإســـلام فـــى بنود عقوباته دون حتى نظر إلى ضوابط التنفيذ..

المســـلم حقـــا لا يخـــتزل الإســـلام فـــى الإعدام ولا التنوير فى الكفر ولا الفـــن فـــى الدعـــارة (فـــى أفلام فنان المستنيرين الرسمى عادل إمام تُعتـــبر الصـــلاة واللغـــة العربـــية والحجـــاب مـــن سمات الإرهاب بينما العرى والخنا ومعاقرة الخمر دليل تحضر)..

المسلم حقا لا يسرق أصوات الناس ولا أقواتهم.. ولا يقهرهم ولا يروعهم ولا يحقرهم ولا يعذبهم..

أجل يا أمة.. فالإسلام أخلاق وتعامل..

والتعامل فى الإسلام ليس مادة دستور ولا كتاب مونتسكيو أو روسو وليس بندا فى القانون ولا تعليمات من مجلس الأمن أو النظام العالمى الجديد.. بل هو ميثاق مع الله..

التعامل فى الإسلام ضد البراجماتية والنفعية (كتاب الغرب المقدس الآن).. أجل ضدهما .. وبضدهما نكون خير أمة أخرجت للناس..

التعامل فى الإسلام يجعل الله بينك وبين الآخر يحميك منه ويحميه منك..

والله هو الذى يحدد معايير الأخلاق فيقول وقوله الفصل: هذا حلال وهذا حرام.. هذا حسن وهذا قبيح.. ثم أن المسلم حين يفعل ذلك لا يفعله ابتغاء مرضاة السلطان ولا خشية طغيانه بل إنه يفعله ولو غضب السلطان وطغى..

المسلم الحقيقى يعرف أن الأخلاق كل لا يتجزأ .. وأن الأمانة التى عرضها الله علينا فقبلناها أمانة شاملة فلا يقال عن شئ أنه خارج نطاق الأمانة.. لا الأخلاق قضية فردية بين العبد ونفسه.. ولا السياسة شأن من شئون الساسة منفصل عن الأخلاق أو الدين..ولا الحرب ولا الأمن ولا الانتخابات ولا الاقتصاد ولا الاجتماع ولا الفكر ولا حتى الفن .. ولا ساعة الجد ولا ساعة الترويح .. وحتى مسلسلات رمضان وفوازيره.. كل ذلك داخل فى شأن الأمانة التى حملناها.. وكلها داخلة فى الميثاق المعقود مع الله وكلها يقوم بها المسلم حقا ..

يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه " واقعنا المعاصر" :الارتباط لا ينفصم بين لا إله إلا الله وأخلاقيات لا إله إلا الله، وإن هذه الأمة بحكم أنها أمة ربانية أمة عقيدة فهى أمة أخلاق وأن التزامها بأخلاقيات لا إله إلا الله هو معيار من معايير صدق إيمانها لا يمكن إغفاله، وأنها لا تستطيع أن تتفلت من أخلاقها ثم تزعم أنها صادقة الإيمان..

هل قرأت أيها القارئ فى التاريخ أبدا حاكما يطلب من أمته أن تقومه إن أساء ولو بحد السيف..

حكامنا المسلمون حقا قالوها..

أقصى ما يصلون إليه فى أعتى ديموقراطيات الغرب أن يعاملوا الحاكم كغول يحيطونه بعشرات الضمانات والقوانين والمؤسسات كى لا يطغى وكى يتمكنوا من مواجهة طغيانه إذا ما طغى.. ثم أن الحاكم الجيد هناك من يرضخ تحت وطأة هذه المؤسسات لنبض شعبه.. لكن لا أحد منهم أبدا يناشد الأمة أن تهدى إليه عيوبه..

هل رأيت أيها المسلم كيف أضعنا كنزا وأخذنا وباء..

وهل رأيت أيها كم خسرنا عندما أقصينا أنفسنا عن الله..

هل ترك الآن لم افتقدنا الأمن والأمان..

وأى حماقة كانت حين تخلينا عن ضمانة أن يكون الله بيننا وبين الآخرين فإذا بنا ننتهى الآن والشيطان بيننا وبين أنفسنا ثم بيننا وبين كل الآخرين..

هل كان يمكن أيها القارئ تحت رايات الإسلام أن ترى ذلك الجبروت البشع فى قهر أمم وتعذيب أبرياء – أو حتى غير أبرياء – فى أقبية السجون وهم لا حول لهم ولا قوة..

هل كان يمكن لضابط أمن الجمهورية أو المملكة أو الإمارة أن يكون بكل هذه الوحشية لو أن الله كان بينه وبين ضحيته..

وهل تدرك الآن جريمة الطواغيت الذين يحاربون الإسلام ويحاولون عزله..

أننى إذ أكتب لا أقول لك كل ما عندى.. لتعلم ذلك منذ البداية..فليس كل ما يحدث يعرف .. ولا كل ما يعرف يُقال.. ولا كل ما يقال يكتب.. ولا كل ما يكتب يستشهد به.. لا تخدع نفسك إذن بأننى أنقل لك صورة لقمة الجبل فما أنا وأنت إلا زاحفين على سفحه.. ولا تظنن أنى مبلغك بعظائم الأمور.. بل أبلغك فقط ببعض ما تسرب..

اعلم إذن أيها القارئ أننى لا أنقل إلا القشور..

أننى من بحر الدموع أغترف مجرد دمعة..

ومن قرار الجحيم لا أكويك إلا بجمرة..

ومن حدائق الشيطان لا آتيك إلا بغصن صغير..

ولتعلم أن الأنين الذى قد يتردد فى حلقك يجب أن يكون صراخا.. وأن الصوت الذى يخرج من فيك يجب أن يكون نواحا.. وأن الدموع التى تختنق بها عينيك اغرورقا يجب أن تكون طوفانا..

أنَّ يَئِنُّ أنَّاً وأنيناً وأُناناً وتَأناناً...

لا تتأوَّهَ بل اصرخ..

لا تهمهم بل عليك بالعويل..

بُحْ ونُحْ..

اصرخ أيها القارئ أنّى كنت.. اصرخ فى وجوه الجبابرة: إن المجتمع الذى يسكت عن إذلال بعض أفراده هو مجتمع مختل ومريض وبلا كرامة..

اصرخ أن الكل مسئول..

الكل مسئول..

الكل مسئول.. ليس ذلك فقط.. بل إن المجتمع الذى لا يتحرك أفراده لرفع الضيم عن مظلوم والذل عن ذليل .. إما عن خوف وإما عن خسة .. هو مجتمع لابد أن يكون ذليلا ولابد أن ينتمى إلى أمة ذليلة.. وأن ذل الخارج هو الوجه الآخر لذل الداخل..وأن النخبة المُذِلّة لبعض شعبها لابد لها أن تكون – فى أفضل أحوالها – مُذَلّة ومهانة أمام قوى الخارج.. ذلك أن البديل الوحيد أمامها كى تهرب من الذل والمهانة.. ليس سوى الخيانة..

فى الولايات المتحدة الأمريكية، كانت رواية هاريت بيتشر ستو: "كوخ العم توم" التى فضحت أنماط الذل الذى يتعرض له العبيد من أسباب انفجار الحرب الأهلية الأمريكية التى نشبت كى تخلص هؤلاء العبيد من ذلهم (يكفيك ألما الآن أيها القارئ.. لذلك لن أضغط عليك بالإسراف فى تذكيرك أن هؤلاء العبيد هم نسل أجدادك المسلمين الذين استسلموا ذات يوم – كما تستسلم أنت اليوم – لذل حكامهم).. رواية كوخ العم توم هزت الضمير الأمريكى كله.. أسفرت عن أهم حدث فى تاريخ الأمريكيين حتى الآن ..فجّرت الحرب.. فلماذا لم تهز رواية العميد حمدى البطران ضمائرنا كما

هـزت ضـمائرهم .. أم لـم تعـد لـنا ضمائر.. ولمن يدّعى أن ما كتبه حمـدى الـبطران[1] مجـرد روايـة نقـول أن ما كتبته هاريت بيتشر ستو كـان أيضـا مجـرد روايـة.. أمـا أنـت يـا أمة فاعلمى أنك بصمتك تكررين مـا فعلـه أسـلافك.. وأيقنى أن أبناءك وأحفادك سيكونون خدما وعبيدا عند أعدائك..

أريـد أن أذكـرك أيضـا أيها القارئ، أن مجموع الممارسات البشعة المذلـة المهيـنة الحيوانـية المتوحشـة الـتى تعامل بها الآن شعوبنا هى الـتى حلـت محـل الـتعامل بالشـريعة الإسـلامية التى اتهمها الوحوش المـتخلفون الهمـج بالوحشـية والـتخلف والهمجية.. هى التى حلت محل سـماحة الديـن وإعلائـه لكـرامة البشر حتى جعلت حرمة دم المسلم أشد عند الله من حرمة بيته الحرام..

هـل حـرمة دم المسـلم تسـاوى الآن يا أمة عند جلاديك حرمة دم كلب أو دم ذبابة؟!..

هل حرمة دم المسلم تساوى حرمة دم الدرافيل؟!..

كنـت أحـاور أحـد الذين عانوا بلاء الاعتقال فى سجون الجبابرة.. كنـت أقـول له أنـنى أظـن أن الحال الآن أفضل بكثير مما قبل .. ونظر نحـوى مشـدوها مسـتنكرا ومحـتجا.. وقلت له مبررا أن أحداث التمرد فى السجون قلت وكذلك شكاياتهم.. وصرخ الرجل فى وجهى:

فـى الـبدايات الأولـى كـان يمـوت كـل عام معتقل لكن الثورة والإضـراب والـتمرد فـى السـجون والمعـتقلات كانـت تحـدث كل أسـبوع.. الآن لا يكـاد يمـر أسـبوع دون ضـحية.. لكن التمرد لم يعد يحدث أبدا..

ونظـرت أنـا نحـوه هـذه المـرة أنـتظر تفسيرا ومبررا للتناقض فاندفع يقول:

الـيأس.. الـيأس الكـامل المطلـق المطـبق الأسود.. كانوا يثورون فـى الـبداية لـردع الوحشـية الـتى يعـاملون بهـا.. فلما قوبل التمرد بوحشـية أشـد ثـاروا لعـل أنينهم وصراخهم يصل إلى خارج المعتقلات والسـجون.. إلينـا .. ومـنا كـانوا يلتمسـون الغوث .. فلما نكصنا عن إغاثـتهم .. لمـا صـمتنا صـمت القـبور.. وأدركوا أن التمرد على كلمة

---

١ – حديث مفصل عن الرواية فى كتاب بغداد عروس عروبتكم للمؤلف.

يستدعي صفعة.. ورفض الصفعة يولد ركلة .. وعدم الاستسلام للركلة يوجب السوط.. وعدم الرضا بالسوط يتمخض عن إطلاق الرصاص.. حيث لا يعانون مجرد الموت.. بل يعانون الموت المتكرر.. الموت الذى لا ينتهى بالموت.. يتأله الجبابرة.. يصلون بضحاياهم إلى مشارف الموت كل مرة ثم يتركونهم يعودون إلى الحياة من جديد كى يذيقوهم بعد ذلك الموت من جديد .. كل يوم موت .. كل يوم موت .. كل يوم موت .. ليس موت شخص يذهب فيموت بعده شخص آخر.. بل الكل يموت ثم يموت ثم يموت .. بلا أى أمل ولا فرصة فى النجاة .. لا الأمة تتكلم.. ولا المجالس تعترض.. ولا الصحف تكتب.. وحتى أحكام القضاء بالبراءة والإفراج لا تفيد.. عندما حدث كل ذلك ملأهم اليأس .. استسلموا.. أنت لا تعرف نوع الخيارات المرة التى يتعرضون لها..

صمت محدثى قليلا.. هل كان يقاوم دمعة .. هل كان يمنع دفقة بكاء.. هل كان يتماسك كى لا ينهار..؟!.. واصل الحديث فى أعقاب الصمت قائلا:

– تمنع الزيارة شهورا.. وعندما يسمحون بها يخبرون المعتقل الأسير أن له زيارة.. يقولون له أنه إذا أراد أن يلتقى بأهله فإن عليه أن يمر بين صفين من الجنود ينهالون عليه بالضرب الوحشى حتى يصل إلى أهله مضمخا بالدم مسربلا الألم.. حطاما بشريا أو أنقاض إنسان تقوض.. فإن كان من أهله امرأة محجبة أو منقبة فإن جلادا آخر يكشف ما أمر الله بستره.. ثم ينطلق أمام الشلو الدامى يكيل لها السباب كى يحيلها هى الأخرى إلى شلو آخر .. يسبها .. ليس أى سباب.. وإنما ذلك السباب المنتقى لخدش العرض والذى يحطم ما تبقى من كرامة الرجل إن كانت ما تزال لديه بقية لم تنسحق.. والسجين مخير بين أن تتم الزيارة بهذه الطريقة أو لا تتم..

رحت أنظر إلى محدثى وقد عقد الألم لسانى فانحبس صوتى..

ولم يكن المسيطر على خواطرى ووجدانى مجرد آلام المعذبين.. بل طوفان آخر من الألم .. حين رحت أفكر فيك يا أمة.. ورحت أتخيل .. أى درجة هائلة من الترويع والإرهاب والقهر والخوف والجبروت تعرضت لها حتى تصمتين عما يحدث لبعض بنيك صمت السائمة..

لا والله.. بل أكثر من صمت السائمة..

فمـــا كـــل الســـوائم تســـكت عـــن الضـــيم .. بل إن منها من يثور وينتقم ..

أى نظام غير الإسلام اخترتموه يا حمقى..

وما المصير الذى قاد أمتكم إليه بعد أن تركتم شرع الله ؟!..

أعليتم العقل وبخستم الإيمان؟!..

لا والله..

لأن قمة نضج العقل البشرى أن يدرك محدوديته ونسبيته ..

وقمة نضجه أن يعمل حتى طاقته القصوى لكن فى إطاره..

وقمة نضجه أن يدرك أن الله خارج إطاره وإمكانياته وقدرته..

وأنه ليس من حقه أن يحكم هو على الله .. ولا على شرع الله..

لـــيس مـــن حقـــه أن يـــتأمل الشـــريعة ليقول : هذا عدل وهذا ظلم.. أو هذا خطأ وهذا صواب..

علـــيه أن يـــدرك أن أقصـــى طاقاتـــه أن يصـــل إلى تخوم الإيمان.. أو أن يستنبط آيات الإعجاز حينما يتعدى تلك التخوم..

علـــيه أن يـــدرك أنـــه إذا حـــاول غـــير ذلـــك فليس عقلا جامحا بل جنونا مطبقا..

كرافع أثقال يفكر فى حمل الكرة الأرضية..

كمـــن يحـــاول أن يســـمع بعينـــيه أو يرى بأذنيه أو يطير محلقا فى أجواز السماء بقدميه..

العقل نسبى.. لا يستطيع أبدا أن يحكم إلى المطلق..

لا يصـــح إذن يـــا قـــراء أن نقـــول أنـــنا مؤمـــنون ثم نؤمن ببعض الكـــتاب ونكفـــر بـــبعض معتمديـــن علـــى أحكـــام عقولـــنا التى تقبل هذا وترفض ذاك..

ليس هناك نصف إيمان ونصف كفر..

وتلـــك الجـــرأة الفاجـــرة علـــى الديـــن وعلـــى الله ليســـت اســـتنارة ولا تقدما وإنما مجرد جهل وكفر وفجور..

وأولـــئك الذيـــن يدعـــون قدرتهـــم علـــى صـــياغة نظام بشرى يفوق شـــرع الله ليســـوا ســـوى مجانيـــن حمقـــى.. بل ومجرمين .. إن نظامهم

البشـــرى – العلمـــانى – لا يمكـــن أن ينشـــأ إلا على أنقاض الدين ذاته.. وهــو نظــام لا يمكــن أن يقــبله العقــل إلا بعد أن يكفر بالغيب والآخرة والجــنة والــنار.. وإن نظامــا لا يضـــع الآخـــرة فى حسبانه حيث العدل المطلـــق والـــرحموت المطلـــق والجـــبروت المطلـــق والحســـاب الأخير هـــو نظـــام بالضـــرورة كافـــر.. ونظام يدعى الإيمان ثم يتجاهل كل ذلك هو نظام منافق مجنون..

مـــن أجـــل ذلـــك فـــإن الخيار محسوم فى الاختيار ما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كأسلوب للحياة ومنهج..

ولـــو طـــرح علينـــا الاختـــيار أن نكـــون كأمـــريكا بكـــل جبروتها وغـــناها.. أو كأوروبـــا بكـــل ألـــوان ديموقراطيتها.. فإن الاختيار محسوم فى قلب كل مؤمن..

ليس لمجرد أننا نؤمن بالغيب رغم أن هذا وحده سبب كاف..

وإنمـــا لأن العقـــل الصـــحيح أيضـــا يقـــول أن حضارتنا وديننا أرقى بما لا يقاس..

أرقـــى بـــنفس النســـبة بيـــن الله وبيـــن الناس إن صح أن تكون ثمة نسبة..

لو اخترنا الحضارة الغربية إذن نكون قد أخطأنا خطأ مروعا..

فهل الأمر الآن هو أمر الخطأ المروع ذاك..

أم أننا أضل سبيلا..

ظلمنا فضللنا السبيل ..

وواصلنا ظلمنا فأضلنا الله..

فالاختـــيار المطـــروح علينـــا الآن لـــيس الحضـــارة الإســـلامية أو الحضارة الغربية..

و لـــو أنـــنا كـــنا الآن سويســـرا أو أمـــريكا أو حتى بريطانيا .. بل لو كنا إسرائيل لاختلف الأمر..

كـــان يمكـــن لـــنا ســـاعتها أن نقـــول أنـــنا اخـــترنا الدنـــيا وخسرنا الآخـــرة.. وأن فـــى الدنـــيا مغـــريات كثـــيرة تبيح لنا أن نفضل عصفورا فى اليد على عدد لا نهائى من العصافير فى الغيب..

مثل هذا المنطق منطق الشيطان لكنه منطق..

لكننا دون حتى منطق الشيطان..

لقد تركنا تعاليم الإسلام.. اتهمتها نخبتنا أنها سر بلايانا وتخلفنا..

فهل انتهى التخلف أو توقفت المصائب؟..

وهل عندما تركناها تركناها إلى معادل موضوعى ولو كان خطأ؟..

هل تركنا البيعة مثلا إلى انتخابات حرة ونزيهة كما هى فى الديموقراطية الغربية؟ أم إلى انتخابات دامية فاضحة التزوير..

هل تركنا أحكام الدين إلى أحكام أخرى لها منطق وقانون؟..

أم أننا تركنا أحكام الدين إلى اللا منطق واللا قانون..

لكم اشمأزت الوجوه النجسة من حدود الدين ولكم تخرصت الألسنة المخمورة متهمة الدين بالقسوة والوحشية بسبب الحدود (وتلك قضية ناقشناها فى مقال سابق وضح فيها مدى الزيف والبهتان الذى يدعونه عن الدين).. لكن هل تركنا ما اشمأز منه المناكيد إلى مجال لا يعاقب الإنسان - من فرط الرحمة والحنان والرقة المدعاة - حتى وإن أخطأ.. أم تركناه إلى نظم همجية وحشية مسعورة تعاقب الإنسان حتى ولو لم يخطئ.. بل تحاسبه بالذات إن لم يخطئ.. بل تسحقه سحقا.. وتلك الوجوه النجسة والألسنة المخمورة التى اشمأزت من قسوة حدود الدين وعقوباته هى هى التى لم تنطق ببنت شفة والرقاب تقطع والعيون تسمل والجلود تحرق وتجلد والأمم تقهر فى سبيل الحاكم الرئيس الأمير الملك.. وفى سبيل الشيطان..

ليس حسنا يا فجرة..

فهناك رقاب تقطع وألسنة تنزع وثروات تنهب وأمم تستباح..

هناك تعذيب وهناك تزوير..

تصرخ فيهم بذلك..

فلا تملك كلاب جهنم إلا أن ترتدى مسوحا زائفة للحكمة لتحدثك عن السياسة التى هى فن الممكن لا المستحيل.. ثم محاضرات طويلة ومقالات لا أول لها ولا آخر عن تطور المجتمعات وعلم السياسة والتاريخ والمنطق..

يا فجرة: هناك قتل وتعذيب وتزوير..

ويأتيك الرد أطنانا من الكلمات لا يأتى فيها أبدا ذكر التعذيب والتزوير.. لأنهم لو تطرقوا إليه فلابد أن يحددوا المسئول عنه..

ولكن الوجوه النجسة والألسنة المخمورة لا تجرؤ..

إنها تجرؤ فقط على الطعن فى شرع الله..

نصرخ فيكم: هناك قتل..

لا تمدوا أيديكم لتتناولوا كتابا يحدثنا عن السوسولوجيا..

اصرخوا معنا: القتل إجرام ويجب أن يتوقف.. الآن على الفور وليس بعد خمسين عاما أو مائة عام تحملنا فيها عربة تطوركم لنتجاوز تلك الوحشية والهمجية.. وعربة تطوركم هذه غيب لكنه غيبكم الذى تؤمنون به دون غيب الله..

يا فجرة: هناك قتل..

يجب أن تصرخوا معنا: هذا إجرام ويجب أن يتوقف على الفور..

يا فجرة: عندما نصرخ فيكم: هناك تعذيب فلا تعدونا بأن يقودنا التطور إلى توقف التعذيب بعد مائة عام بل اصرخوا معنا : يجب أن يتوقف التعذيب على الفور وأن يحاسب مقترفوه..

يا فجرة: عندما تزور الانتخابات فلا تغرقونا بالكلام والتحليلات والخطب بل اصرخوا معنا وساعدونا كى نوقف هذا التزوير..

يا فجرة: حصانات مجالسكم النيابية تحولت إلى ستار يحمى اللصوص كى لا نلاحقهم..

لا تصمتوا صمت القبور.. بل اصرخوا معنا أن العضوية فى بيت آل النبى لم تكن تمنح حصانة لفاطمة بنت محمد – صلى الله عليه وسلم – إذا سرقت..

هل رأيتم يا قراء كيف ضلوا وأضلونا وأضلهم الله..

ألا أجد من بينكم من يرفع قضية لإلغاء الحصانة لعدم الدستورية فلا حصانة فى حضارتنا الإسلامية الراقية السامية حيث الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم إلا بالتقوى..[1]

***

---

١ – المحامى الكبير الأستاذ عبد الحليم رمضان رفع دعوى بإلغاء الإسلام واعتماد العلمانية دينا وإغلاق المساجد وتسليمها للحزب الحاكم كمعاهد لتدريس العلمانية!!.. وسألته فى دهشة.. فأجاب أن المحكمة سوف ترفض الدعوى بالتأكيد مما يعنى إقرار القضاء بإسلامية الدولة.. عندئذ سيرفع دعوى أخرى لتمكين الإسلام لأنه مستبعد.

يا معشر الكتاب والمفكرين..

إن الطبيب الذى يترك مريضه ينزف ويذهب ليبحث فى كتب الطب عن طريقة وقف النزيف ليس طبيبا جاهلا فقط .. بل وقاتل أيضا..

ورجل الإطفاء الذى يترك الحريق مشتعلا ليطلع على تاريخ الحرائق ليس مجرد جاهل وإنما مجرم أيضا..

والمفكر الذى يترك التعذيب وإهدار القانون وتحدى أحكام القضاء واتخاذ الأبرياء رهائن ليس مفكرا وإنما دجال يخون أمته ودينه..

يا معشر الكتاب والمفكرين..

هاتوا أيديكم..

ضموا أصواتكم إلى صوتى..

واصرخوا معى:

ليكن آخر القرن العشرين هو آخر عهدنا بالتعذيب..

أما أنت يا أمة ..

فالعبء عليك ثقيل.. والمسئولية أمام الله باهظة..

أشك يا أمة تذوب قلوبها كما يذوب الملح فى الماء مما ترى ولا تستطيع أن تغيره أن تُقبل لنا صلاة أو يُرفع لنا صوم وكل هذه الجنايات والكبائر تحدث فلا تغيريها..

نهلك يا أمة.. يهلكنا فسوق بعضنا وإجرامه..

ولقد صدق الصادق الأمين..

نعم..

صدق..

صدقت يا سيدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم صدقت..

"أماتوا الصلاة واتبعوا الشهوات وكان الأمراء الخونة والوزراء الفسقة.." .. صدقت..

و **"أصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا.."** ... صدقت..

" وعندها -يا سلمان- يذوب قلب المؤمن فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء مما يرى ولا يستطيع أن يغيره.." ... صدقت..

"**يؤتمن الخائن ويخون الأمين..**".. صدقت..

"**يصدق الكاذب ويكذب الصادق..**" .. صدقت..

صدقت يا سيدى ويا حبيبى ويا مولاى .. صدقت ..

وقومنا الآن هم القوم الذين أخبرت عنهم..

"**قوم يمشى المؤمن بينهم بالمخافة.. إذا تكلم أكلوه.. وإن سكت مات بغيظه..**" .. صدقت..

هذا هو الزمن الذى "**تفيض فيه اللئام فيضا.. وتغيض الكرام غيضا.. ويعظم فيه رب المال.. ويباع الدين بالدنيا.. وتلتمس الدنيا بعمل الآخرة..**" .. صدقت..

ظهر القوم الذين "**جثثهم جثث ناس وقلوبهم قلوب شياطين..**"

صدقت..

"**عليهم لعنة الله..**"

صدقت..

"**كثرت الشرط..**"

صدقت..

"**كثرت الصفوف وتباغضت القلوب واختلفت الألسنة..**"

صدقت..

"**يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب**" .. ..صدقت ..

علماؤنا "**شر من الجيفة.. وهم شر خلق الله على وجه الأرض.. منهم بدت الفتنة وإليهم تعود**" ..

صدقت..

لو أنهم يا سيدى ويا حبيبى ويا مولاى أفتوا أن التعذيب كبيرة لا يبررها أمر ولى أمر لما استمر كل هذا التعذيب والظلم..

لكنهم لم يفعلوا..

وما أظنهم فاعلين..

بل إنهم "**يعينون على المنكر .. بل منهم بدأت الفتنة**".. صدقت..

"**ذهب الخير وأهله وبقى الشر وأهله**".. ..صدقت ..

"ألهتنا الجبابرة فيمنعون حقوقنا ويملئون قلوبنا رعبا"..

صدقت..

"اغبرّ الأفق .." ... صدقت..

"تشاتم الناس وفسدوا.."

صدقت..

"كثرت الأشجار وقلت الثمار وغلت الأسعار"..

صدقت..

"قلّ الرضا واستعملوا السفهاء علينا وكثرت الخيانة وقلت الأمانة وزكى كل امرئ عمله ونفسه واشتهر كل جاهل بجهله" ..

صدقت..

"كثرت الآيات ، وتتابعت العلامات وتراجمنا بالظنون ودارت علينا رحى المنون"..

صدقت..

"عميت القلوب وذهب التواصل وعم الفساد وصارت المباهاة فى المعصية والكبر فى القلوب والجور فى السلاطين" ..

صدقت..

"صار الناس بحيث لا يعبأ الله بشىء من أعمالهم" ..

صدقت..

"ويل لنا من الله" ..

صدقت..

"إن تكلمنا قُتلنا وإن سكتنا قتلنا.."..

صدقت..

ويل لنا..

ويل لنا ..

ويل لنا ..

ملف وليمة لأعشاب البحر

المقالات التى هزت العالم الإسلامى
النصوص الكاملة لبيانات الأزهر الثلاثة
خطبة فضيلة الشيخ يوسف القرضاو
هوامش المؤلف

لو كنت مكان الدولة لكرمت الدكتور محمد عباس

الرواية في ميزان الإسلام : ساقطة داعرة.. في ميزان العقل: مختلة فاسدة.. في ميزان الأدب: ضعيفة مهترئة..

(..) اتهام الدكتور محمد عباس بالإثارة والتهييج اتهام ساقط(..) إنه أديب وناقد من الطراز الأول بكل المقاييس فالرجل له روايات وقصص لها قيمتها الفنية والأدبية ، وقد رأيت بعض أساتذة الأدب في إحدى الجامعات العربية يصف محمد عباس بأنه رائد فن : "المقال الدرامي" ويقدم نماذج من هذا الفن لطلابه كمادة دراسية ضمن منهج : "الفنون النثرية في العصر الحديث" ولا يستطيع منصف أن ينكر أن محمد عباس معروف مشهور على مستوى الوطن والأمة العربية والإسلامية، وجاليات العرب والمسلمين في أوروبا و أمريكا من سنوات ككاتب شديد المراس، متميز المنهج والأسلوب، يقصد بكتاباته وجه الله ومصلحة الوطن ونصرة الإسلام.

الأستاذ الدكتور / جابر قميحة

أستاذ الأدب العربي

لا إلــه إلا الله..

من يبايعنى على الموت..
تبّت أيديكم .. لم يبق إلا القرآن ..
ماذا لو قلنا أن رئيس الوزراء خـراء[1] ؟!

لا إلـــه إلا الله ..

بكيت..

جرح قلبى كما لم يجرح من قبل..

لــم يكــن طــول الجــرح بالمســافة بــل بالزمــن .. جــرح طوله ألف وخمسمائة عام..

صــرخت: تبــت أيديكــم .. أيمــا كنــتم .. وأينما كنتم.. وأيما أنتم .. وأيا كان من وراءكم.. يا كلاب النار يا حطب جهنم..

تبت أيديكم.. وتبت أيدى من يسكت عنكم بعد اليوم..

لا إلـــه إلا الله..

بكيت يا قراء .. صرخت..

وصلت الإهانة إلى نخاعى فزلزلت عظامى .. فذابت دموعا..

تمنيت لو أننى مت قبل هذا اليوم وكنت نسيا منسيا..

تمنيــت ألا يــأتى الله بــى يــوم القــيامة علــى هــذه الــنوازل الــهائلة ولــو كشــاهد .. لأن الشــاهد هــنا أسوأ من ديوث.. ومثل تلك النوازل لا ينجو منها من يشهد عليها بل من يستشهد فيها .. أو ينتصر..

---

١ - صحيفة الشعب ٢٨/٤/٢٠٠٠ .

اختنقت..

لا إله إلا الله..

لم أشعر بمثل هذا الشعور طيلة حياتى..

وكما يحدث لأفراد العائلة يجتمعون عند المصاب الجلل راحت آلامى يستدعى بعضها بعضا.. ينادى بعضها بعضا.. فلا أملك من العزاء إلا:

لا إله إلا الله..

رحت أستعيد الآلام ألما بعد ألم.. وكارثة بعد كارثة.. وداهية بعد داهية.. ومصيبة بعد مصيبة .. ورحت أقول لنفسى أن أشد آلامنا وأعظم كوارثنا وأدهى دواهينا وأنكى مصائبنا لم تأت من أعدائنا.. بل جاءت على أيدى ولاة أمورنا..

فاض بى الألم.. وأنا أهتز وأترنح كالمذبوح ..

لا إله إلا الله..

أمسكت بالهاتف واتصلت بصديق كى أبثه همى..

ما أن بدأت الحديث حتى أبعدت المسماع عن فمى على الفور.. فقد كنت أنتحب.. وكنت أشعر بالخزى من نفسى .. ومن أمتى .. و بالخجل من الله..

استطعت بعد جهد جهيد أن أقرأ للصديق بعض الجمل التى انصبت على جسدى كالنار .. كرصاص منصهر.. طفحت من كتاب داعر فاسق فاجر كافر .. طبعته لنا ونشرته بيننا وزارة الثقافة المصرية.. وليس الإسرائيلية ولا الأمريكية..

لا إله إلا الله..

كانت الكلمات التى نشرتها وزارة الثقافة المصرية[1] تقول:

لا أستطيع أن أكتب تلك الكلمات فلا إله إلا الله .. لا أستطيع أن أنقل ذلك الفسوق ولا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..

آآآآآآآآآآآه يا قراء..

حرون هو القلم فى يدى..

تتأبى الكلمات على بيانى..

وتستعصى الحروف على لسانى..

وقلبى لا يطاوعنى أن أنقل لكم الكلمات الفاسقة الداعرة الكافرة التى أوردها كتاب فاسق داعر كافر.. نشرته هيئة لابد أن تكون لابد أن تكون فاسقة داعرة كافرة تحت رئاسة مسئول لابد أن يكون داعرا فاسقا كافرا..

آآآه..

لا إلـه إلا الله..

لو أنصفت يا قلم لانكسرت..

ولو أحسست يا ورق لاحترقت..

فهل تريدون الآن أن تعانوا ما عانيته يا قراء..

إليكم ما طبعته ونشرته وزارة الثقافة المصرية:

" وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلى الوراء، فى عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين إلهة البدو وتعاليم القرآن..خراء[٢] "..

آآآه..

إلـهة البدو..؟؟!!

القرآن..

خـراء..

لا إلـه إلا الله .. لا إلـه إلا الله .. لا إلـه إلا الله .. لا إلـه إلا الله.. لا إله إلا الله .. لا إلـه إلا الله .. لا إلـه إلا الله ..

يا ليت أمى لم تلدنى..

لو أن صاعقة من السماء انقضت على أم رأسى لما شعرت بمثل هذا اللهيب اللافح فى رأسى..

لهيب..

لا لهيب الشمس فى الصحراء .. بل لهيب قلب الشمس حيث كل شىء ذوب منصهر..

شعرت بالدوار يا قراء..

غامت عينى.. وغامت الدنيا..

صرخت فى نفسى: كيف يا صفيق قرأتها فلم تمت الفور.. كيف؟!..

كـيف يـا صـدئ الـروح قرأتها فلم ينفجر النزيف فى رأسك على الفور.. كيف[٣].؟!

وصرخت:..

لا إلــه إلا الله..

تـراءى لـى الرسـول صـلى الله علـيه وسـلم ينظرنى معاتبا يوم القيامة فصرخت من الخجل..

تـراءى لـى أبـو بكـر وعمـر وعـثمان وعلىّ رضى الله عنهم أجمعين فصرخت من الخجل..

تـراءى لـى الحسـين سـيد الشـهداء.. إذ يبذل روحه وأرواح جميع أهل بيـته.. أهـل بيـت رسـول الله صـلى الله علـيه وسلم.. يبذلون أرواحهم كى تكون كلمة الله هى العليا.. فصرخت من الخجل..

تـراءى لـى الزبـير بـن العـوام يهتف صارخا فى حروب الردة : من يبايعنى على الموت..

تـراءى لـى حمـزة بـن عـبد المطلب.. وعبد الله بن الزبير.. ومصعب بـن عمـير.. وزيـد بـن حارثـة.. وجعفـر بـن أبـى طالب.. وعبد الله بن رواحـة.. وسـعد بـن معـاذ.. وسـعد بن عبيد.. وعكرمة بن عمرو بن هشام يصرخ فى اليرموك : من يبايعنى على الموت[٤]..

تراءى لى الإمام أحمد بن حنبل..

تـراءى لـى ملاييـن وملايـن مـن الشـهداء والصابرين.. بذلوا حياتهم واحتسـبوا صـبرهم لـتقديس اسـم الله ورفـع كلمته.. ثم يأتى الشيطان ليكتب مـا يسـميه كـتابا تعتبره وزارة الثقافة المصرية - وهى الأخرى شيطان- أدبا فتنشره على الناس كى تنورهم..

وزارة الـثقافة المصـرية فـى بلـد الأزهـر وصـلاح الدين وقطز وخالد الإسـلامبولى تنشـر يـا قـراء كـتابا يدعى أنه رواية يقول أن القرآن خراء.. ثم لا يلبث أن يقول: إخرأ بربك...

اااه..

لا إلــه إلا الله..

لا إلـــه إلا الله..

لا إلـــه إلا الله..

لا إلــه إلا هــو الرحمـــن الرحـــيم الملـــك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيـــز الجـــبار المتكـــبر الخـــالق الـــبارىء المصـــور الغفـــار القهار الوهاب الـــرزاق الفـــتاح العلـــيم القـــابض الباســـط الخـــافض الرافع المعز المذل السميع البصـــير الحكـــم العـــدل اللطـــيف الخبـــير الحلـــيم العظيم الغفور الشكور العلي الكبـــير الحفـــيظ المقيـــت الحســـيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الـــودود المجـــيد الباعـــث الشـــهيد الحـــق الوكـــيل القـــوي المتين الولي الحميد المحصـــي المـــبدى المعـــيد المحيـــي المميـــت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحـــد الصـــمد القـــادر المقـــتدر المقـــدم المؤخـــر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالـــي المـــتعال الـــبر الـــتواب المنـــتقم العفـــو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكـــرام المقسـط الجـــامع الغنـــي المغنـــي المـــانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور..

لا إلـــه إلا الله..

لا إلـــه إلا الله..

لا إلـــه إلا الله..

أول مرة ألقى مثل هذا الألم فى حياتى ..

أبدا..

ولا حتى هزيمة ٦٧..

ولا حتى قتل الشهيد سيد قطب..

ولا حـــتى اســـتدراجنا كقطـــيع مـــن الخراف إلى مقتلة الخليج .. حين اندفع بالشـــرك والغـــباوة والخـــيانة والجهـــل والـــنفاق نصفنا يقتل نصفنا .. كقطيع .. قطيع من الخراف يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان..

ولا حـــتى عـــندما حمـــل الســـادات كفننا وكرامتنا وتاريخنا ليذهب مذموما مدحورا إلى القدس..

ولا حـــتى يـــوم اجـــتمع ثلاثـــة آلاف من جنود الشيطان ليقتلوا سعد إدريس حـــلاوة لأنـــه اعـــترض علـــى أن يدنـــس علم الصهاينة الكلاب أرض مصر.. وعـــندما اخـــتاروا بالـــرغم مـــنا أن تكـــون سفارتهم فى الجيزة لا فى القاهرة.. علـــى الضـــفة الغربـــية للنـــيل.. لأن أســـاطيرهم الفاجرة تقول لهم أن أرضهم

مـــن النـــيل إلـــى الفـــرات.. فكـــيف تكـــون لهـــم سفارة فى القاهرة .. والقاهرة أرضـــهم.. واخـــتاروها – رغـــم دواعـــى الأمـــن – أمـــام أضخم تجمع شبابى فـــى الوطـــن.. أمـــام جامعـــة القاهرة.. كى يروضوا أبناءنا على رؤية العلم كما يروض العبيد..

ولا حتى يوم استشهاد خالد الإسلامبولى بالإعدام°..

ولا حتى مع الذبح اليومى الذى نشارك فيه للعراق..

ولا حتى مع انهيار الآمال أملا بعد أمل..

و حتى مع تراكم الآلام ألما بعد ألم..

ولا حتى يوم موت أبى..

أبدا..

لم أشعر بمثل هذا الألم..

القرآن..

خراء...

عندما وقعت عينى على الكلمات الفاجرة الكافرة أحسست أنى تدنست.

لا دنـــس الجســـد .. بـــل دنســـا يتســـلل إلـــى خلايانـــا خلية خلية.. يختلط بالذرات.. ويتسلل إلى القلب .. ويدمغ الروح بخاتم جهنم ..

دنس كالنار ترعى الـــهشيم فتأكله..

دنس كإشعاعات الذرة تخترق الخلايا فتدمرها خلية خلية..

دنس يكتب على وجه الشيطان الأخرس فينا : آيس من رحمة الله..

دنس لا يُدنس فردا بل يدنس أمة..

دنس لا يدنس يوما بل يدنس عصرا..

دنس لا يمحوه اغتسال بالماء..

ولا كل أمواه الدنيا..

دنس لا يمحوه إلا الدم ..

دنس لا يمحو عاره وذنبه عنا إلا أن نموت شهداء ونحن نزيله.. نموت شهداء.. مدركين أن استشهادنا ذاك لا يمنحنا الحسنات بل يمحو عنا بعض السيئات.. أقصى آمالنا بالاستشهاد أن يعفو الله عنا.. وألا يسألنا يوم القيامة: لماذا انتظرنا كل هذا الانتظار قبل أن نستشهد..

شعرت بالدوار..

ملاذنا الأخير ينتهك ويهان..

فلا كتبت لى الحياة ولا لكم يا قراء إذا لم ندافع عن ملاذنا الأخير..

***

كان صديقى ما يزال على الهاتف..

وكنت ما أزال أبكى وأنا أقرأ له مما نشرته وزارة الثقافة المصرية.. رائدة التكفير لا التنوير..:

(.. " الله قال انكحوا ما طاب لكم. رسولنا المعظم كان مثالنا جميعا ونحن على سنته.. لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية وخليلة ومتعة.. وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: تناسلوا تناسلوا فإنى مفاخر بكم الأمم . استبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة ، أما أنتم فتريدونها شيوعية")..

ثم يدعى الكتاب الفاجر الذى لا ينشره إلا فاجر ولا يطبعه إلا فاجر على القرآن ما ليس فيه حين يقول ساخرا من القرآن: " والله تعالى قال فى كتابه العزيز فإذا ابتليتم بالمعاصى فاستتروا .." وصرخ مهدى ضاحكا: يا عمى الحاج رغبنا فى الاستتار فإذا بمخابرات ربى تقرع علينا الأبواب الموصدة " .

ثم يستطرد الكتاب الفاجر الكافر الذى يلبس عباءة رواية وليس برواية إلا فى عقول مخصية شاذة مريضة سعت وتسعى إلى نشر الكفر والفاحشة.. يستطر مجترئا على الذات الإلهية ليقول:

" إن رب هذه الأرض كان يزحف وهو يتسلل من عصور الرمل والشمس ببطىء السلحفاة " .

ويسوق فى حوار فاجر كافر:

هو من صنع ربى..

لا بد أن ربك فنان فاشل إذن..

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله..

ويقـول الفاجـر بـن الفاجـر الفاسـق بـن الفاسق الكافر بن الكافر: مؤلفا وطابعا وناشرا ووزارة[٧] :..

" داخـل هـذه الأهـواز الـتى خلقهـا الرب فى الأزمنة الموغرة فى القدم ثـم نسـيها فـيما بعـد لـتراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفى عام " .

و ..

" أقام الله مملكته الوهمية فى فراغ السموات " ..

و ..

.. " .. الله الله يـا ولـد يـا داود.. لقـد غفـرت لـك .. انكح كل صبيان بونة وأنا شفيعك يوم القيامة.."..

و ..

.. " وخلـع الجلـد المـتخلف والـبالى الـذى خاطـه الإسلام فوق جلودنا القديمة.." ..

و ..

" فلـه المسـاوية لـروح الله الجامعـة هبطـت كالـروح القـدس فجمعت الجسد إلى النفس وأعادت تكوين التنسيق الأول بعد اختلالـه" ..

وفلة هذه عـاهرة..

و..

.. " ربـى خـذ بـيدى فـى مملكـتى لآخـذ بيدك فى مملكتك، ربى زدنى أرصـدة فـى الدنـيا والمصـارف لأزيدك ابتهالا فى الآخرة.. ربى لتكن منافعنا متـبادلة وليـتحقق القصـد الـذى مـن أجله ولدتنى فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية "..

و..

" إن حـبل السـرة مـا يـزال موصولا مع الأزمنة الرعوية وأزمنة عبادة الله الواحـد القهـار فـى السـماء والأرض، وذلك الذى يقول للشىء كن فيكون، ومن خلال تلك الـهشاشة الرثة "[٨] .

آآآه..

آه من القلب لا من الحلق..

آه ينصدع لها القلب وينحطم الفؤاد وتتكسر الروح..

برح الخفاء يا ناس وهذا وقت المفاصلة إما إيمان وإما كفر..

للوهلة الأولى.. والدوار يكتنفنى قلت لنفسى اذهب إلى الأزهر على الفور واصعد منبره واصرخ:

من يبايعنى على الموت..

ثم آخذ الرهط الذى يجتمع حولى وأتوجه بهم إلى قصر الرئيس مبارك.. عراة صدورنا نازفة قلوبنا دامعة عيوننا عزلاء أيدينا .. نسأله والسؤال دم: ما هى الحدود بين الإسلام والكفر.. ما هى التخوم بين التنوير والتعهير.. ما هى الطخوم بين تجفيف المنابع والخروج من الملة .. ما هى البيون بين أن تكون مصر قائدة للتنوير حقا يرتضيها العرب والمسلمون وبين أن تكون قوادة للكفر والفسوق والعصيان..

نهتف فيه :

أنت ولى الأمر.. وليس لنا أن نقيم الحد على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا..

ثم نواصل الهتاف:

إن لم تقم عليهم الحد .. إن لم تدافع عن القرآن فاقتلنا.. لأننا لا نستطيع أن نواجه الله يوم القيامة وقد اخترنا الحياة بعد هذا الكفر[٩]..

***

تسلل إلى نفسى أمل ميت.. أن يكون ثمة لبس قد حدث أمام صحيفة الأسبوع[١٠] عندما فجرت هذه الفضيحة منذ أسابيع قليلة.. لعل الكتاب طبع فى سرائيل مثلا.. وقلت لنفسى أن الإسلام يأمرنى بالتثبت.. بحثت عن لكتاب.. ووجدته..:

وليمة لأعشاب البحر.. حيدر حيدر.. سلسلة آفاق الكتابة.. العدد ٣٥- الهيئة العامة لقصور الثقافة.. وعنوانها كما هو مثبت : ١٦ أ شارع أمين سامى - قصر العينى - القاهرة ت: ٣٥٦٤٨٤١ - ٣٥٦٤٨٤٢- فاكس ٣٥٦٤٢٠٢-[١١] أما الطابع فهو: شركة الأمل للطباعة والنشر أما قائمة

العار الدنسة المكتوبة على صفحات الكتاب الأولى فتجمع: رئيس مجلس الإدارة: على أبو شادى.. أمين عام النشر: محمد كشيك.. رئيس التحرير إبراهيم أصلان.. الإشراف الفنى: د .محمود عبد العاطى.. مدير التحرير حمدى أبو جليل[١٢] ..

***

حصلت على الكتاب منذ أسبوعين.. كنت أتصفح أوراقه السبعمائة كمن يقلب بيديه العاريتين الجمر..

وتأكدت مما قيل..

***

لا إله إلا الله..

كنت يا قراء أتابع الحملة الصحفية التى بدأها المجاهد الأسير مجدى حسين[١٣] ضد عملية التكفير التى تقوم بها وزارة الثقافة مستعينة بسلطات الدولة.. وعزمت على المشاركة خاصة بعد أن قرأت الفواجع الرهيبة التى فضحها كتاب كاريمان حمزة: "لله يا زمرى"[١٤].. وقلت لنفسى أننى سأكمل سلسلة المقالات التى أكتبها الآن : " **بروتوكولات حكماء العرب** " فى أسبوعين أو ثلاثة ثم أبدأ على الفور فى ولوج المعركة..

كنت أظننى محتاجا لقراءة الرموز بين السطور كى أكشف الشرك الخفى ..

حتى جاء هذا الكتاب وفجرت صحيفة الأسبوع قضيته..

لا لإله إلا الله..

ليس الشرك الخفى بل الكفر البواح..

لا إله إلا الله..

هذا هو التنوير الذى يدفعونك إليه يا أمة..

برح الخفاء..

هو التكفير لا التنوير..

هو الخيانة لله ولرسوله.. هو الخيانة للأمة وللوطن..

هى العمالة الصريحة المباشرة لأمريكا وإسرائيل..

هى تزيين الباطل كما يزين القواد الزنا لبغى..

هـــو التســـلل إلـــى عقـــول أبنائـــنا لإخـــراجهم مـــن الإسلام تماما كما قال زويمـــر..

هو نشر الإباحية والسفالة والشذوذ وقتل روح الأمة..

وكـــل الكـــوارث الـــتى قادتـــنا إلـــيها وزارة الـــثقافة وكل الفضائح حلقات فى سلسلة التكفير والتعهير يا أمة..

***

إن العـــار لا يلحـــق بـــوزارة الـــثقافة فقـــط.. فتضامن المسئولية الوزارية يجعـــل مجلـــس الـــوزراء كلـــه مســـئولا وكل وزير مسئول.. ورئيس الوزراء مسئول .. و..

تـــرى مـــاذا كـــانوا يفعلـــون بى لو أننى قلت أن كلينتون أو باراك أو حتى أحد الوزراء خـــراء..

هل كنت أجد من يدافع عنى لو أننى قلت اخرأ برئيس الوزراء..

لكـــن الفاجـــر يكتـــب والفاجـــر ينشر أن "القرآن خراء" .. و "خرا بربك" .. ثم يجد من يدافع عنه..

أما من وزير يستقيل ؟![15] ..

***

لا إلـــه إلا الله..

إنـــنى أناشـــد الرئـــيس مـــبارك.. باســـم الله.. باســـم رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم.. باســـم الأمـــة .. أن يدافـــع عـــن القرآن.. لأنه بمثل هذا الدفاع لا يدافع عن الدين فقط بل يدافع عن تاريخه وتاريخنا..

إن الـــوزارة الـــتى ســـمحت لمـــثل هـــذا الكـــتاب أن يصدر لابد أن تنسف نسفا بكل هيئاتها ومؤسساتها.. ولن ترضى الأمة منك بأقل من ذلك..

وليست الإقالة فقط هى ما نطلبه منك..

وإن لـــم تكـــن المحـــاكم العســـكرية لمحاكمة من خانوا الله والرسول والأمة والوطن فلمن تكون..

***

لا إلـــه إلا الله..

يـــا جلالـــة ملـــوك وفخامـــة رؤساء الدول الإسلامية.. لطالما تعاونتم على الإثـــم والعـــدوان.. فـــتعاونوا ولـــو مـــرة للدفـــاع عـــن القرآن.. اطلبوا الرئيس مـــبارك الـــيوم.. قولـــوا لـــه أن مـــا نشـــرته وزارة الـــثقافة المصرية لم يذبح المســـلمين فـــى مصـــر فقـــط بل في العالم الإسلامى كله.. من لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه[16]..

***

لا إلـــه إلا الله..

إن كـــل ســـفير مســـلم[17].. وكـــل دبلوماســـى يغـــار على الإسلام ويغضب للقـــرآن علـــيه الـــيوم أن يـــبلغ ملكه أو رئيسه بهذا النداء وأن يستحثه للاستجابة له.. من لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

***

لا إلـــه إلا الله..

إن كـــل كاتـــب وكـــل مفكـــر علـــيه أن يـــرفع الآن صـــوته دفاعـــا عن القرآن[18].

كنا نختلف ونتفق ونتشاجر ونتنابز بالألقاب..

لكن عندما يكون الأمر أمر القرآن فلنتفق..

من كان منكم يحب الله والرسول فليدافع عن القرآن..

من كان منكم يحب الأمة فليدافع عن القرآن..

من كان منكم يحب الوطن فليدافع عن القرآن..

من كان منكم يحب نفسه فليحمها من النار بالدفاع عن القرآن..

من كان منكم مذنبا فليكفر عن ذنوبه بالدفاع عن القرآن..

مـــن كـــان قـــد انخـــدع منكم بالتنوير وظن أنه تنوير لا كفر بواح فليكتشف الحقيقة وليكتب وليتكلم..

من كان منكم قد تدنس فليتطهر..

أناديكم جميعا..

وأطالبكم جميعا أن تدافعوا عن القرآن..

ومن لم يفعل منكم ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

***

يا شيخ الأزهر[19]..

يا شيخ الأزهر..

يا شيخ الأزهر ..

لا إلـــه إلا الله..

***

يـــا فضـــيلة المفـــتى.. أنـــت تعـــرف أن الأمة تحترمك مستعيدة أن أفضل السـلاطين مـن صـاحب العلمـاء وأسوأ العلماء من صاحب السلاطين.. والأمة تـراك يـا فضـيلة المفـتى حـتى الآن - ولا نزكـيك علـى الله - بعيدا عن السلاطين قريبا لشرع الله..

إن هذه الصفحة تنظر يوم الجمعة القادمة فتواك فيما حدث..

فتواك فى الوزير الذى سمح به وروجه..

فتواك فى رئيس الوزراء إن صمت..

فتواك فى النظام كله إن لم يرجع إلى الله..

فـإن حـيل بيـنك وبيـن الفـتوى فـإن هذه الصفحة تنتظر كى تنشر يوم الجمعـة القادمـة اسـتقالتك.. فـو الله لأن يسـب القرآن ويهان فى بلد ليس فيها مـن يفـتى للإسـلام والمسـلمين لأفضـل مـن أن يحـدث هذا تحت ظلال وصور تهيئ للناس أن الكفرة مسلمون..

أعيذك من أن يخفى خلفك الكافر كفره..

استقل..

ولـيأتوا إن أصـروا علـى الكفـر والفسـوق والعصيان بحاخام من اليهود وليصـدر القـرار - لا مـن أعلـى بل من أسفل سافلين - بأن يحل مكانك مفتيا للمسلمين.. فذلك أفضل من أن تختلط الأمور..

افعـل ذلـك يـا فضـيلة المفـتى..دافع عن القرآن.. فإنك إن لم تفعله تأت الله يوم القيامة والقرآن خصمك..

***

يا شيوخ الأزهر ويا طلبة جامعة الأزهر[20]..

لا إلـه إلا الله..

يا طلبة العلم..

يا كل الناس..

يا أمة.. إنه الله الذى لا إله إلا هو .. وإنه القرآن .. إنه ملاذك الأخير وقدس أقداسك الأخير.. لم يتركوا لك حرما إلا لوثوه ولا وطنا إلا اغتصبوه ولا كنزا إلا انتهبوه.. فإن سكت فأولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أن تتوقفى عن الصلاة.. وعن الإسلام كله..

دافعى عن القرآن يا أمة..

إلا تفعلى تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير..

***

لا إله إلا الله..

يا خطباء المساجد[٢١]..

لا إله إلا الله..

***

لا إله إلا الله..

يا كل قاض وكل محام[٢٢]..

فلتثبتوا غدا فى مضابط المحاكم احتجاجكم ورفضكم.. ولتطلبوا من ولى الأمر القصاص للقرآن..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

***

لا إله إلا الله..

يا كل حزب سياسى وكل نقابة وكل هيئة[٢٣]..

فلتصدروا بيانا تعترضون فيه عما لحق بالدين والقرآن.. فلتكتبوا إلى الرئيس مناشدين أن يستعمل صلاحياته على الفور ..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

***

لا إله إلا الله ..

يا كل صحيفة وكل مجلة وكل كاتب وكل كاتبة فى مصر[٢٤]..

دافعوا عن القرآن..

اكتبـــوا..

أو فاكسروا أقلامكم..

إن لم تفعلوا فلتأتوا الله يوم القيامة والقرآن خصمكم..

***

لا إلـــه إلا الله..

يـــا ضـــباط مباحـــث أمـــن الدولـــة[٢٥].. تعلمون والله أننى أبغضكم فى الله.. لكنـــنى لا أيـــأس مـــن ذبالـــة خـــير فـــيكم.. أو أنكـــم عـــندما تكتشـــفون هول مـــا فعلـــتموه وأن جـــل مـــا فعلتموه كان لكى تمكنوا فى الأرض لمن يقول أن القرآن خراء .. عندما تكتشفون ذلك فقد تدركون هول ما تورطتم فيه..

أناشدكم.. كفروا عن بعض ذنوبكم ..

لقد دستم على القانون كثيرا من أجل النظام..

فنفذوا القانون اليوم من أجل القرآن..

ارفعـــوا إلـــى الرئـــيس الـــيوم تقريـــرا بأن مثل هذا العفن والكفر وازدراء كـــتاب الله هـــو الـــذى يهـــدد الأمـــن القومى والسلام الاجتماعى وهو الذى يثير الفتنة.. بل ويهدد النظام ذاته..

ارفعـــوا إلـــى الرئـــيس أيضـــا تقريرا بالأمور المشينة المخزية التى تورط فـــيها المســـئولون عـــن نشـــر هـــذا الكـــتاب فى مصر.. وأظن أن هذه الأمور المخزية مسجلة عندكم صوتا وصورة..

من لم يفعل ذلك فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

***

لا إلـــه إلا الله..

يـــا كـــل امـــرأة[٢٦] فـــى هـــذا الوطن.. أما كانت أم زوجة أم ابنة.. فلترفعى الـــيوم صـــوتك أمـــام زوجـــك أو أبـــيك أو ابـــنك.. ولتطلبى منه أن يدافع عن القرآن.. فالقرآن ليس خـــراء..

***

لا إلـــه إلا الله..

يا كل هيئة ومؤسسة وصحيفة فى العالم الإسلامى[٢٧].. اكتبوا أنهم فى بلد الأزهر ينشرون أن القرآن خراء..

***

لا إله إلا الله..

إلى الجاليات الإسلامية فى الخارج[٢٨].. اذهبوا إلى السفارة المصرية فى بلادكم أو اكتبوا لها..

فإنه القرآن..

***

لا إله إلا الله..

يا شيخ يوسف القرضاوى[٢٩].. إن الأمة الإسلامية تضعك - شئت أم أبيت - على رأس العلماء المجاهدين المجددين على مستوى العالم الإسلامى بأسره، وترى فيك - شئت أم أبيت - واحدا ممن يبعثهم الله لتجديد شباب هذا الدين.. يرون ذلك فيك.. رغم أن سلطات بلدك نفسها أنكرتك.. بل واعتبرتك إرهابيا.. فالإسلام بالنسبة لهم هو الإرهاب.. والقرآن هو المستهدف.. والذين أنكروك هم الذين ينشرون أن القرآن خراء.. وأنت تعلم أن الأزهر قد اخترق.. وأن المقاومة فيه إما محاصرة وإما مقموعة وإما مفصولة.. أصبحنا بلا دفاع.. والأمة ترى فيك بديلا.. الأمة ترى فيك ذلك فلا تخذلها.. وهذه معركة مفروضة عليك .. ولعل القتال يكتب فيها عليك وهو كره لك.. ولعلنا مثلك.. كنا نتمنى أن نموت قبل أن تفرض علينا هذه المعركة.. أما وقد فرضت فنحن نتمنى أن نموت فيها.. فلا تخذل الأمة.. دافع عن القرآن بما أنت له أهل.. إن الأمة تنتظر فتواك فى كل مسئول عن نشر هذا الكتاب فى بلد الأزهر..كل مسئول.. من الخفير.. إلى الوزير.. إلى الأمير..

لا ..

ليس فتواك فقط..

بل إن الأمة تنتظر منك حملة شاملة على مستوى الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى كله..

أصرخ فيك..

أنـت بعـيد عـن مصـر بعـد أن أنكـروك.. أنكـروك فاحتضنك العالم الإسـلامى قـرة عيـن ومهجـة قلـب وفلذة كبد وومضة عقل.. لكنك بعيد عن مصر.. ولعلك تظن أنها مازالت بخير..

أهـتف فـيك: مصـر لـم تعـد بخير.. مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد بخيـر..

فالنجدة النجدة والغوث الغوث..

فإنه القـرآن..

***

لا إلـه إلا الله..

إلى السيدة سوزان مبارك..

أناشدك مرتيـن..

مـرة باعتـبارك زوجـة لأكـبر مسـئول فـى الـبلاد .. ومرة باعتبارك المسـئولة عـن سلسـلة مكتـبة الأسرة.. التى أخشى أن يتسلل إليها مثل هؤلاء المشركين الذين نشروا بحجة التنوير- أن القرآن خراء ..

ولا إلـه إلا الله..

***

لا إلـه إلا الله..

إلى كل قارئ لهذه الصرخة..

ألا قد بلغت والله يشهد..

فهل بلغت أنت أيها القارئ؟!

هـل بلغـت؟! هـلا بلغـت.. وكـم بلغت؟!.. عشرة..؟! مائة ؟! ألف..؟! وهل هذا هو قصارى جهدك فى الدفاع عن القرآن؟!..

لا إلـه إلا الله..

***

اغضبى يا مصر..

اغضبى يا أمة..

اصرخى: لا إلـه إلا الله..

***

إلى كل من يستطيع الحديث مع الرئيس اليوم في هذا الأمر ثم لا يتحدث فليأت الله يوم القيامة والقرآن خصمه..

***

يا سيادة الرئيس..

أطفئ الفتنة..

واعلم هدانا وهداك الله أن ما ظهر أمامك الآن إنما هو رأس الدنس.. وكل ما تحته دنس..

واعلم هدانا وهداك الله أننا كنا صادقين حينما حذرنا من أن ما يدعون أنه التنوير إنما هو التكفير والكفر بعينه..

واعلم هدانا وهداك الله أنهم لم يقصدوا أبدا الإرهاب بل قصدوا الإسلام دائما..

واعلم هدانا وهداك الله.. أن تجفيف المنابع كان المقصود به الخروج من الإسلام والخروج على الإسلام..

واعلم هدانا وهداك الله أن الأمر ليس أمر وزير فاسق أو وزارة فاجرة بل هو منهج مشرك تسلل إلى النظام مسئوليتك أمام الله أن تزيله وأن تحاربه حتى لو استشهدت دونه.. منهج مشرك لا يقتصر على وزارة ولا يقوم به مجرد أفراد..

واعلم هدانا وهداك الله أن مثل هذا المنهج الفاجر هو الذى يغيب في السجون والمعتقلات عشرات الآلاف من شباب لم يأخذوا عليهم سوى أن الإسلام دينهم والقرآن كتابهم.. بينما يرى ذلك المنهج الخائن الفاجر الكافر العميل أن القرآن خراء.. وذلك ما ينقمونه عليهم..

واعلم هدانا وهداك الله أن أسوأ ما تفعل أن تكتفي بإقالة وزير أو تنحية مسئول..

فالخطب أطم والمصيبة أعم..

قل لي يا سيادة الرئيس : هل ترضى لعهدك دون العهود جميعا أن تصمه هذه الوصمة.. فالقرآن لم يتعرض لمثل ما يتعرض له الآن.. أبدا .. ولا حتى في عهد كرومر.. بل وحتى الفراعنة كانوا يقدسون كتب الدين..

قل لى يا سيادة الرئيس: هل كانت الدولة تسكت لو أن من كتب هذا الكتاب أو طبعه أو نشره ووزعه كان قد وضع الإنجيل أو التوراة مكان القرآن ؟!.. ما كانت الدولة لتسكت.. وما كنا نحن أيضا سنسكت..

يا سيادة الرئيس: إنك مسئول عن هذه الفئة المنحرفة الشاذة .. مسئول أمام الأمة وأمام التاريخ وأمام الله.. إن القانون فى بريطانيا يحمى الإنجيل والتوراة.. واخوتنا المسلمون هناك يجاهدون لمد مظلة الحماية إلى القرآن.. فهل ترضى لنفسك أن نجاهد أمامك لسن قانون يحمى القرآن ؟!..

يا سيادة الرئيس إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه.. وإنى والله لمشفق عليك من أن تلقاه وهذه الفعلة الشنعاء فى كتابك.. توضع فى ميزانك.. وما أثقلها .. ما أثقلها.. ما أثقلها..

وإننى أناشدك يا سيادة الرئيس – أبيت اللعن – أن تطفئ لهيب الفتنة ببيان يصدر عن الرئاسة اليوم.. بيان استغفار إلى الله .. واعتذار إلى الأمة .

افعل ذلك يا سيادة الرئيس نشفع لك نحن الأمة التى وضع الله شفاعته فيها – عند الله يوم القيامة..

لا إله إلا الله..

فإن لم تفعل يا سيادة الرئيس..

فإننى أرجوك:

مر رجالك بقتلى.. قتلة غلام أهل الأخدود[1]..

---

١ – نشرت داخل المقال إطارًا أنوه فيه إلى أننى سأعود فى الجمعة التالية إلى مواصلة نشر النص الأدبى الذى كنت أنشره حينها بعنوان "بروتوكولات حكماء العرب" .. كنت أود أن أعطى الفرصة والمهلة لأجهزة الدولة لاتخاذ القرار الصحيح ، ولكن تناقضات تصريحات وزير الثقافة والهجمة الشرسة التى بدأها صحيفتها أخبار الأدب والقاهرة (صحيفة وزير الثقافة) لم تدع لنا مناصًا من المواصلة .

الجريمة مستمرة..[1]
ثلاثية الثقافة فى مصر:
الكفــر والعهــر والتطبيــع ..
هل الله جليسة أطفال.. ويعلمنا الحب؟!
وهل الأنبياء آبقون؟!..

الجريمة مستمرة يا ناس فلا إله إلا الله..

الجريمة مستمرة..

وسوف تخطئون خطأ مروعا إذا ظننتم أنه مجرد كتاب داعر فاجر كافر أفلت .. وأن الأمر قد لا يتكرر مرة أخرى..

ليس مجرد الكتاب بل إنه المنهج.. منهج متعمد مقصود.. منهج أخطبوطى ينفذ بالضبط تعاليم المستشرقين والمبشرين والاستعمار فى صورته الحديثة.. منهج يدرك أن أخطر ما فى الإسلام والقرآن هو ذلك الإيمان اليقينى الذى يجعل من المسلمين بشرا يمكن أن يتفوقوا حتى على الملائكة ويجعل من المنافقين أشبه بالخنازير والقردة.. وتلك هى النقطة التى تثير عجب وحنق المنافقين عندما يلاحظون استعلاءنا عليهم مهما أدبرت عنا الدنيا وأقبلت عليهم.. استعلاء البشر على الخنازير.. ولقد أدرك الغرب منذ قرون أنه هزم فى المواجهة المسلحة مع الحضارة الإسلامية.. وأنه لا سبيل أمامه إلا إفراغ الإسلام من محتواه.. ولقد استعان على ذلك حينا بالاستعمار حتى اطمأن إلى أنه ربى بيننا نخبة فاسدة مفسدة فتركها لتنوب عنه.. وهم منا لكن قلوبهم قلوب ذئاب..

ليس مجرد كتاب يا أمة..

الجريمة مستمرة ولا إله إلا الله..

---

١ - الشعب : ٥/٥/٢٠٠٠م.

الجريمة مستمرة.. والثقافة فى بلدنا تهدف إلى ثلاثة أشياء لا تنسوها:

أن تكون حرية التفكير مرادفة للكفر..

وأن تكون حقوق المرأة مرادفة للعهر..

وأنه بعد نشر الكفر والعهر سيكون المجتمع الإسلامى قد غرق فى غيبوبة فقد معها كل مناعة.. ليسهل التطبيع بعد ذلك مع إسرائيل والانسحاق أمام الغرب..

لا تنسوا يا قراء الاختراق الذى حدث للثقافة فى بلادنا فعكس اتجاهها ليتلخص فى تلك النقاط : التكفير.. والتعهير.. والتطبيع..

ولكى يصل الاختراق الثقافى إلى مبتغاه كان عليه أن يميط القداسة عن القرآن والأحاديث النبوية الشريفة والتراث.. وأن يستعمل الألفاظ التى أحاطتها هالات القداسة استعمالا فاجرا يميط عنها القداسة..

***

لا إله إلا الله

الجريمة مستمرة يا ناس.. وسأعرض عليكم على الفور نماذج لا تقل سفالة وبشاعة عما عرضت عليكم فى المقالة الماضية.. فلنتناول معا كتابا أخرجته وزارة الثقافة أيضا – الهيئة العامة لقصور الثقافة- كتابات نقدية- العدد ٩٧ – ديسمبر ٩٩- والكتاب[١] معروض عند باعة الصحف وإن كنت أحسب أن السيد الوزير الذى يطلقون عليه "زين الرجال" سوف يأمر بسحبه غدا قبل انتشار الفضيحة.. عنوان الكتاب: شعر الحداثة فى مصر- وقائمة العار للهيئة المشرفة عليه هى ذات قائمة العار التى نشرناها فى الأسبوع الماضى (وعلى رأسها أيضا : على أبو شادى)..

ولقد وفر علينا إدوارد الخراط مئونة البحث فى عشرات من إصدارات وزارة الثقافة المصرية لعشرات الشعراء المصريين- وأغلبهم والله ليسوا شعراء وليسوا بشرا- حين استعرضها فى هذا الكتاب: ٧٠٠ صفحة تقريبا .. وسعره خمسة جنيهات.. وتذكروا يا قراء أن هذه الكتب هى التى يخرءونها – إذا صح التعبير- لتشكيل وجدان الأمة..

---

١ – شعر الحداثة فى مصر. إدوارد الخراط .

فلـــندلف معـــا إلى كلمات السفالة والشذوذ والكفر البواح.. فلندلف دامعين إلى السخرية من الذات الإلـــهية والمرسلين.. فلندلف إلى محاكاة هازلة هازئة كمحاكاة مسيلمة الكذاب.. فلندلف إلى خيوط الشبكة التى يصطادون بها الأمة.. إلا أننى أجد لـــزاما علىّ أن أنبه القراء أن ما سيقرؤونه على الفور بالغ الفحش وأن يبعدوه عن أيدى أبنائهم..

فلنقـــرأ:

" **وكأن الله سيعمل منذ اختفت الأرض جميعا**

تحت رؤوس الناس

جليسا للأطفال

يعلمهم آداب الحب

وفقه اللغة "..

ص٢٥٥

لا إلـــه إلا الله..

ولنقـــرأ :

" **فهل يكون لى أن أسمى الأفق ثوبا ضيقا، (.) والشعر شركا شائكا والمآذن حرابا سامة حتى مطلع الفجر**".

ويضـــيف المؤلف[١] : "فضلا عن النص القرآنى العظيم بطبيعة الحال : "أخرق الأرض ، وأبلغ الجبال طولا" .

ويكرر الخطأ مرتين وهو يضع الآية بين علامات التنصيص .. وصحة الآية:

{ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحـــًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُـــولاً {٣٧} الإسراء..}

والمؤلـــف رغـــم حساسية وضعه كغير مسلم يستشهد بالقرآن لا يأبه بتحقيق الآية.. لا يأبه بأحد ولا لأحد.. ولا أبو شادى ولا كشيك ولا محمود عبد العاطى ولا مجدى توفيق ولا محمود حامد .. ولا أى من المشرفين على السلسلة المنكودة.. ولا وزارة الثقافة كلها..

---

١ – إدوارد الخراط .

ولنواصل القراءة:

"تلف على الأعضاء الخرقة

تشعلها الأعضاء فنخرج نحو النار

ونشهد أنا كنا اثنين

وصرنا خيطا لا يتفرق فى خيطين

ونشهد أن الله تجلى فينا

فانفرطت أشجار العاشق والمعشوق

الخالق والمخلوق

وباحت كل الناس لكل الناس .."

لا إلــه إلا الله..

هــل تــدرك أيهــا القــارئ ذلك المزج الوثنى بين الله تقدست أسماؤه وبين الجنس العاهر[30]..

ويمتدح الناقد الحداثى ذلك العهر بقوله:

"المــزج مــن ناحــية أخــرى بيــن الفعــل الميتافــيزيقى والفعــل الشبقى الفيزيقى .."..

ولنواصل القراءة يا قراء:

"العضو الناشز تحت فضاء البطن جميل ..

هذا ما سواه الأب الله.."[31]

لا إلــه إلا الله

هذا ليس أدبا وليس شعرا يا قراء.. هذا فعل لواطيين مخمورين..

لا إلــه إلا الله.. لكن فلنواصل قراءة الكفر العاهر والعهر الكافر:

"يمتلك غرابة أن يتدخل فى ملكوت الله" ..

ص ٢٥٦

و:

" حينئذ سوف ترتعشين

وتبتهجين

وتنالين رائحة الرب "

تجسيد في الإسلام يا قراء فلا إله إلا الله .. ليس كمثله شئ لا إله إلا الله ..

و :

" دم من سرير الفضاء

ينز..

وتهبط منه الأساور

تهبط رائحة الله "..

و:

" ماذا لو صارحت الله

بأن الوردة ليست تصلح لي ".

ص ٢٥٦

يعلم الجهر وما يخفى ولا إله إلا الله..

و :

"الناس هنا يقصون الله..

عن الحجرات الدافئة المسكونة"..

ص: ٢٥٧

و :

" واتخذى من كلمات الله غطاء مثل البحر إذا ما نفد البحر فليست تنفد فاتخذت "

"ياتيهن النبق من السدر المخضود.. أفرد جسمي فوق فراش من عهم منفوش .."

.. ص٢٦١

و:

" فالتحمت..

واتكأ عليها كوع الله..

واحدث ثقبا..

يكفى أن يدخله الرجل..

فتحمل عنه الوحدانية..

كل شظايا الكون " ...

ص٢٥٠

و:

"من قال الله أتى من ضلفة نافذتى

من قال الله أطل علىّ

وأعطى الناس القصص

الغامضـــة

ووهج الأحلام

وأوشك أن يعطيهم شيئا آخر

غير المـــنّ

وغير السلوى

من قال بأن الله تفضل بالبركات

على الناس

وبالفيض على قلبى

فانشق إلى نصفين

وصارت ناريمان الثمرة"..

ويعلق الناقد الحداثى ربيب الوزارة:

(فهـو هـنا يـناوش الأسـئلة الميتافيزيقـية، دون أن يدخـل إلى أغوارها حقـا. بـل هـو هـنا يتسـاءل - فقط - ويكتفى من فيض الله بثمرة ناريمان ، فـى الوقـت الـذى رأيـنا فـيه أن الكـون كلـه أصـغر من امرأة وأن المرأة هى المطلق الحق ..) ص٢٧٧

و:

"رأته فى النوم يرقى فى إلـــهواء وقرونه مضيئة..

وقال: من رآني فقد رأى الحق.."

و :

"أم تراها ستولد من نفسها كل آن كأن لا نساء سواها

تعشقها الله. خبأ فيها كمال الأنوثة ثم تراجع ينظر مندهشا ليديه.."

ص ٥١٩

و:

"يتجمع . . . . العاشقون صائحين :

انقشنا

بفقه اللذة .."

هل لاحظتم يا قراء أين وضع السفيه كلمة فقه؟..

و:

"وأنا مرح دون مناسبة أصرخ في السبرية يا قوم قد زهق الحق وجاء الباطل ، إن الباطل كان فعولا "..

ص ٣٤٨

و:

" رأيت يد الله تأخذ من طينتي وتكور نهديك

تأخذ من طينتي وتدور فخذيك

تأخذ من طينتي وتقبب سرتك"..

ص ٥٢٠

أو هذا النص المونق الجميل – والجملة السابقة لإدوارد الخراط وليست لي – :

"رأى طائرين على نهد عاشقة يسفدان ، رأى كيف تخرج من سرة امرأة جنتان. رأى امرأة وهي تدعك نهدين مندلعين بماء الذكورة. فامتلأت غرفة بأزيز القراش (أو الفِراش) رأى النمل يحمل خاتم عاشقة وهى غائبة، تحتها موجة وعلى صدرها يتناسل ورد من الشهقات..

ص ٥٢١

يا رفاق مسيلمة يا عبيد الشيطان يا كلاب جهنم..

و:

" أن تسر له بكنوز مخبأه ، وتقود يديه إلى جسد لم يبح بعد. سوف تقول له إنها منذ كورها الله ، لم تتوضأ بماء أنوثتها، سوف تعلن أن الزمان مضى فى انتظارك فيما تضئ وتمحو بماء الذكورة ما ظل من طين سرتها"..

فهل لاحظتم يا قراء كيف امتهن الصفيق قداسة كلمة الوضوء؟..

و :

"ستة أيام تبكى وتصلى ، انتفض الهدهد وتخبط فى سقف الغار المعجزة .. المعجزة.."

و:

"وانكشف سقف الغار فانطلق الهدهد صائحا: انظرى"

و:

" رأت نفسها تطل من علٍ على قبة من نور"..

و :

" قامت و أشعلت البخور، وحوم الهدهد فى سقف الغار يقرأ : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد..

فتح العاشق عينيه فرأى الظلمة ظلمة وعرفها..

ورأى النور نورا وعرفه.."

ص٥٢٧

لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله لا إله إلا الله .

هل تريدون المزيد يا قراء..

يا خطباء المساجد يوم الجمعة..

يا طلبة.. يا عمال.. يا موظفون.. يا كتاب.. ويا ضباط أمن الدولة الذين لم يسألوا أنفسهم قط ماذا يسمى من يحرس هذا العهر ويصفى أعداءه..

حنانيكم..

ما يزال لدينا الكثير..

فلندلف إلى الأسماء الحسنى.. ولا إلــه إلا الله..

يقول الكــاتب:

تأتي الأسماء الحسنى السبعة على ترتيب أيام الأسبوع.

-أ هُـوج: الواحــد الأحــد، لــيوم الأحد، وحرفه الألف ، وملاكه رفيائيل ، يظهر فيه رجل من الذهب واسمه المذهب ونجمه الشمس.

– يــوه: الأول والآخــر لــيوم الاثنيــن وحــرفه الــياء، وملاكه جبرائيل يظهر فيه رجل من الفضة واسمه الأبيض وكوكبه القمر.

– هَلْهلــت : الباســط لــيوم الــثلاثاء، وحــرفه إلــهاء، وملاكه سمسائيل يظهر فيه رجل من الياقوت واسمه الأحمر ونجمه المريخ .

– دوْســم: الرحــيم لــيوم الأربعــاء وحرفه الدال وملاكه ميكائيل يظهر فيه رجل من الزئبق واسمه يرقان ونجمه عطارد.

– حوســم : الرحمــن لــيوم الخمــيس وحــرفه الحــاء وملاكاه صلحائيل وشــهدائيل ويظهــر فــيه رجــل مــن القصــدير واســمه شمهورش ونجمه المشترى .

– أواه : المحــيى لــيوم الجمعــة وحــرفه الــواو ومالكته ميهائيل يظهر فيه رجل من النحاس واسمه زوبعة ونجمها الزهرة .

– وأخــيرا أيــزام المتيــن لــيوم الســبت وحــرفه الزاى وملاكه كسفائيل يظهر فيه رجل من الرصاص واسمه ميمون ونجمه زحل ."

ويحاول ربيب الوزارة أن يشرح فيقول:

لعــل هــذا التقطــير والتجمــيع عــبر فصــول الكــتاب السبعة مما يوحى أن ثم نسقا فيه تكرار مقصود وموضوع سلفا، كأنه مرسوم ومخطط ..

لكن الشرح يحتاج إلى شرح فيضيف:

ومــع هــذا فــإن هــذا التكرار يوحى على نحو ما بوحدة كامنة وليس بتعدد مبعــثر، الأســماء الحســنى الســبعة هى أسماء إلــه واحد، والرقم ٧ رقم فريد وأحــادى حاصــل اثنيــن أو ثلاثــة أو أربعــة فهــو لا يكرر إلا ذاته، هذا إلى أن الأيــام الســبعة هــى أيــام الخلــق فكأنها يوم واحد، هو الزمن الواحد الذى تمت فيه الخليقة !!!.

هل فهمتم شيئا يا قراء؟!..

لكنه يواصل:

" وإذا سلمنا بافتراض أولى – سنحاول أن نتلمس صدقه – فيما بعد – بأن ثم خبرة عشق تغمر نص الكتاب كله ، وأن ثم عاشقة موجودة وثابتة ومتغيرة فى الوقت نفسه ، فسوف نجد أنها فى البداية تصلى، أو تبكى. أو تخرج تطلب عاشقها، أو هى فى الفراش بينما العاشق نائم وهى تشاهد أحلامه ، أو هى فى الفراش والعاشق يتحسس بطنها، وكأنما ممارسة طقوس العشق هى أيضا ممارسة طقوس صلاة . " ..

" وسوف نجد. بعد المفتتح بقليل . قبة من نور هى فى الأول من سندس أخضر. وفى الآخر من نور أسود وثم لواء أو لواءان أو ثلاثة أو ستة أو عشرة ألوية، من ألوان تتراوح بين الأصفر والأحمر والأبيض والأسود، وثم أعوان يقفون فى خدمة الملائكة، تحت القبة، تتراوح أعدادهم في كل مرة. لكنهم قائمون هناك دائما فى كل مرة" ..

هل لاحظت أيها القارئ ..؟!

وهل تحتاج إلى تعليق..

ليس إله المسلمين الذى يتحدث الشاعر عنه بل يهوه كما صرح باسمه.. فلماذا لا تنتقل وزارة الثقافة بكل مكاتبها وموظفيها إلى إسرائيل ؟!..

لم ينته إلهزء بالقرآن ولكننى أكتفى – مؤقتا – بما ذكرت لننتقل إلى السخرية من الأحاديث النبوية الشريفة :

"زملينى أنا العاشق المرتبك"

"دثرينى وخلى نهودك تحرث قلبى بنصلين من وبر"..

و:

" نمضى إلى الوادى المقدس أنبياء أبقين نامر بالمنكر وننهى عن المعروف دون أن نكظم الغيظ أو نعفو عن الناس" ..

و:

"أنا الغريب المريب الذى لا يكظم الغيظ لا يعفو عن الناس ".

ص ٣٦١

و:

آآه زمّلونى.. زمّلونى..

من حروفى ومن فنونى..

فى مغارات المحاولة..

البلابل دثّلونى..

ص ٩٤

ولنقـــرأ:

" تمنيت لو أحتويك أجرب فيك هوى الشعراء

سبحان من سيسرى بك يا حبيبتى إلى الفعل من القوة .. ص ١٣٣

ولنقرأ:

" زملونى زملونى يا خاصتى الأقربين

واخضعوا مليا مليا فى حضرة البنفسج اللعين"..

ص ١٣٣

ويعلق الناقد إدوارد الخراط فض فوه:

تلــك المقــاطع الــتى تقــول – مــن غــير أن تقول – أن الشعر هو نبوة ولــيس فقــط نــبوءة، بكــل مــا فى النبوة من آلام غائرة وحرارة دفينة وتجاوز للألم والمعاناة فى سبيل مجد مؤثل..

إن الشــعراء هــم الأنبــياء الحقيقــيون.. وفى نفس الوقت يرى الخراط أن نبــيا حقيقــيا كســيدنا آدم: " إنـــه آدم الســـاقط من الجنة.. آدم العجوز، الطيب ، الـــهستيرى، الشاب ، القاتل .."

هل فجعتم يا قراء .. لكن انتظروا فما يزال لدينا الكثير..

"دثرينى دثرينى

ورطبى لى جبينى

النار فى عيونى

والريح فى يقينى

ثـــم

وهو يقبل الكفلين من خلاف ، ويجثو بجوار البصل

المبشــور"

أو "شعائر دهن الثدى بالمانجو والتقاطه باللسان" [٣٢]

ص ٢١٥

و:

. . امرأة قالت : أنا أغنى من البحر

من غير أن لكون واثقة

من قدرة الوركين على إثبات المزاعم

وحينما خانتها الحلمتان بصحوة غير محسوبة

تحسست شعرها الذى مشطته فى عربة النوم .

ص: ٢١٥ -

وإن أبطأت قليلا ..

فاستيقاظك

يسعى خلف عسيلتها

و إذا ما بلغ الذروة

يسند كفا فوق الحوض..

وكفا تحت الإبط

يعلق ساقا فوق الكتف اليمنى

ساقا فوق الأخرى

ينتزع الأشواق جميعا

كيما تصعد فى ناموس الكون [٣٣]

ص ٢٥١.

ويستطرد الشاعر:

ولا تذكروه بحواء

حتى تعود من البوتيك

ومعها السوتيان والكيلوت

معها المانجو" [٣٤]

يقول الناقد فى نشوة شبقية وهو يمتدح الخروج على كل الأديان والأعراف والمحرمات : "والسمة الثانية الواضحة أن هذا النص قد نزع حرمة الطابو عن المحاشم والمحارم والفيتشيات وأفعال الجنس . وهذه أيضا تسرى فى النص كله مما يكاد يعيى الحصر"[٣٥]..

اقرأ مثلا:

" يصلح أن يلتصق بأعشاب الإبطين ، وأعشاب صالحة أخرى

دم لايتنزل من أعماق الفرج"

و:

"كيف يكون لعابك غير لعاب العضو"[٣٦]

ص٢٦٥

يقول الناقد:

"الشاعر أو رؤيته أو حسه بازاء مشكلة تمضه وتعنيه: مشكلة المرأة والرجل والشبقية وميتافيزيقا الجسد".

ولنواصل قراءة تلك الكتب التى تطبعها وزارة الثقافة وتدعمها لتبيعها بأرخص الأسعار لأبنائنا:

" السائل المنوى الأصابع الإبط اللسان القضيب

الرعايا الأسرى الرعايا

ها ها هـا

هى هى هى"

ص٢٦٦

و لا ينسى الشعراء بين العهر والكفر أن يسبوا العرب:

"والعرب قبائل متفرقة تنهب النخل فى اتجاه السماء.."

لكننا نعود إلى الفحش العاهر فى كتاب وزارة الثقافة.. أو على الأحرى ماخور الثقافة:

" لن أسألك عن العجوز الذى كان يقرصك/ فى ثديك الأيمن(..) / فقط . . / سأكون حذرا من الدبابيس التى تكمش فتحة السوتيان / من القطط التى ترعى صمتك / وتمسح فروتها فى نهديك / خلسة / بمكر/ خاص . . جدا

و :

ثمــة شــياطين ملهمــة / فكــى شرائط الستيان / واتركيها تلفلف الفضاء على جسدك

ص٣١٧

و :

يقــبلها، يــاخذ مــن ريقهــا، وتأخذ وترتخى وسيدها يفرك حلمتها فتوسع عينها وتميل مع حركته ، تتألم وتنتشى. حتى تنز بمائها فتصــرخ :

خذنــى..

أريد أن أشعر بثقلك علىّ..

ص ٥٢٢

إنــنى آســف يــا قــراء لكن الذبيح قد لا يشعر بالحياء إذا ما كشف الجلاد ســوأته..

أنا آسف لإيراد هذه النصوص الداعرة..

هذا هو تنوير وزارة الثقافة المصرية يا مسلمون ويا عرب..

هذا هو ما يحاربون به الإسلام..

وأكــثر مــن عشــرين ألــف معــتقل يسومونهم سوء العذاب لأنهم يقرءون القرآن..

لا إلــه إلا الله ..

ولكــن.. لــنكمل مــاخور الــثقافة وهــو يــتحدث عن بقايا ما زالت لديهم أو لديهن مسحة ظلامية وتأسلم:

"أو سنذهب إلى أمهاتنا إذن

بلا أوسمة

بملابس داخلية غير مبقعــة"[٣٧] ..

يا للعار ويا للفحش..

و:

"رغم الأفخاذ المتسلخة تعودين أجمل لكننى فقدت عادة الاشتهاء.."

و:

" أبعدى نهديك : جبلين شاهقين

بينهما ثعالب ظمأى إلى جسدى

أبعدى فخذيك :

بينهما مستنقع ملىء بالكلاب المسعورة"..

أبعدى .

أنت وسخ..

جبال عينيك لا تلد إلا الحيات "

ص ٤١٧

يا لخجلى يا قراء..

لكن.. كيف تدركون حجم الكارثة إن لم أكشف لكم عن بعضها..

وتأملوا يا قراء كيف لا يتركون مقدسا إلا انتهكوه.. حتى الأمومة:

"عورة أمى تنكشف / ولكنها تلملم الروث "..

***

يا عاطف عبيد.. هذا هو الفجر بعينه.. فجر فاجر وعهر عاهر لا يرعاه إلا فاجر وعاهر.. وتذكر.. أن من ولى أمر المسلمين فاجرا فهو فاجر مثله..

***

هؤلاء اللواطيون هم الذين يرفضون قراءتنا للقرآن والحديث والتاريخ بل ويقرءونه لنا قراءة مسيلمة.. فإذا حاولنا أن نقرأ شعرهم قالوا لنا أن للشعر طقوس لا يمكن قراءته دون دراستها.. ونسى اللواطيون أننا قراء المعلقات السبع والبحترى والمتنبى وأبى تمام وأبى فراس الحمدانى وحافظ وشوقى وأمل دنقل..

لا إله إلا الله ..

هل تفهمون الآن يا قراء كيف أن أصحاب هذا الماخور نشروا أن القرآن خراء دون أن تطرف لهم عين..

كنا نتصور أن مصر ستعلن الحرب على الفور إذا ما تجرأ واحد من دولة قريبة أو بعيدة فنطق بمثل هذا الكفر..

لــم نتصـــور أبـــدا أن نؤتـــى مـــن مأمننا .. و أن نطعن فى مكمننا.. فإذا بعيونـــنا تـــتحول عـــن مكامـــن الخطـــر فى الخارج.. لتنظر إلى الداخل.. حيث بلغ اختراق نخبنا المثقفة أن صاروا أشد سوءا من الأعداء..

***

لا إلــه إلا الله ..

ماذا حدث للأمة..

وكـــيف صـــار بـــنا الأمـــر إلـــى هـــذا الحال.. كنت أسأل نفسى .. وكان الـــرجل يجلـــس أمـــامى مســـتخذيا وراجـــيا كمـــا لو كنت أملك أن أمنحه صك غفران.. ويقول:

كنـــت أريـــد أن أرد عـــن الله والقـــرآن والرســـول صلى الله عليه وسلم.. كنـــت علـــى المنـــبر .. وكنـــت أريـــد أن أصـــرخ فى عباد الشياطين أن القرآن لـــيس خـــــراء.. ولكنـــنى خفـــت.. فأنت لا تدرى ماذا يمكن أن يفعل بنا الأمن لو أننا خرجنا على الخطبة المكتوبة لنا والتى تجيئنا كل صباح..

لم أزد على قول لا إلــه إلا الله..

وواصل الرجل وكأنما شعر بأن ما قالـــه لم يكن مقنعا فأراد أن يزيد:

أنـــت لا تعلـــم إلـــى أى مـــدى تـــبلغ فظاظـــة الأمـــن.. ثـــم أن من يجب أن يحميـــنا صـــنيعة لهـــم.. بـــل هو الذى يبلغهم عنا و يسلمنا إليهم .. هل تذكر مـــا حـــدث مـــع أحـــد كـــبار الشـــيوخ فـــى الإسكندرية.. إلى أى مدى وصلت إهانته..

وأشحت عن الرجل وأنا أتمتم : لا إلـــه إلا الله..

وواصل الرجل:

- لكنـــنى عـــندما انتهيـــت مـــن الصـــلاة وجـــدت أن عشرات من زملائى فـــى المســـاجد الأخـــرى قـــد تـــركوا النص المكتوب ولم يعبئوا بالأمن وخطبوا فدافعوا عن القرآن.. فيا ويلتى ويا شقوتى.. لم أدافع عن القرآن..

انفجر الرجل باكيا فرحت أردد : لا إلـــه إلا الله..

لكن صديقا كان يحضر اللقاء لم يتمالك نفسه فصرخ فى الرجل:

لـــو أنـــك تركـــت الإمامـــة والخطابـــة وجلست تمسح الأحذية أمام المسجد لكـــان أفضـــل لـــك.. ولـــو أتقنـــت عملـــك ذاك لضمنت وضعا أفضل فى الدنيا وفى الآخـــرة..

***

لا إلـــه إلا الله

أعـــترف لكـــم يـــا قـــراء أن قـــراءتى لرواية : وليمة لأعشاب البحر كانت تجـــربة ألـــيمة.. وأقســم لكـــم بـــالله الواحـــد القهـــار.. أننى أثناء كتابة مقالتى الماضـــية: "لا إلـــــه إلا الله .. مـــن يبايعـــنى علـــى المـــوت .. تبت أيديكم .. لـــم يـــبق إلا القـــرآن.. مـــاذا لو قلنا أن رئيس الوزراء خراء".. كنت واثقا أننى ســـأموت مـــن الألـــم والقهـــر.. وأنـــه لـــم يدفعـــنى لمواصلة الكتابة رغم يقينى بـــالموت إلا أنـــنى أحببـــت أن ألقـــى الله وأن أقدس اسمه وأدافع عن كتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم عساه أن يرحم ذلى وضعفى .

لقـــد قـــرأت كثـــيرا فـــى كتـــب المستشرقين.. وبعضها يقارب ما فى ذلك الكـــتاب الملعـــون مـــن ســـفالة وبـــذاءة.. إننى مع المستشرقين أتوقع و أتوجس وأحـــذر.. لكنـــنى مـــع كـــتاب نشـــرته وزارة الـــثقافة فى بلادى قد أخذت على حين غرة وطعنت من مأمن..

ربمـــا لأنـــنى لـــم أتـــابع انحـــدار وزارة الـــثقافة وانهيارها بعد أن قاطعت إصـــداراتها مـــنذ عشـــرة أعـــوام.. فلقد تصادف بعيد تعيين السيد فاروق حسنى وزيـــرا للـــثقافة أن نشـــر كـــتاب لكاتـــب يســـارى يدافـــع عن الشذوذ الجنسى ويعـــترف عـــن نفســـه أنـــه لواطى ويتهم زملاءه اليساريين بالنفاق.. لأنهم رغم تأيـــيدهم لمـــا يقـــول فـــى الغرف المغلقة قد رفضوا الإعلان عن هذا التأييد.. بل وقـــاوموه عـــندما أراد أن يخصـــص كـــتابا للدفـــاع عـــن اللـــواط .. أحسست بالاشـــمئزاز والقـــرف.. وحـــدث ارتـــباط مـــا.. لســـت أدرك كـــنهه.. فقاطعت إصـــدارات وزارة الـــثقافة مـــنذ ذلـــك الوقـــت.. حتى جاء ذلك الكتاب الملعون تحت يدى فكاد أن يقتلنى..

***

تصـــورت يـــا نـــاس أن نشـــر المقـــال سيســـفر عـــن نسف كل مؤسسات وزارة الـــثقافة علـــى الفـــور.. وأن أولـــى الأمـــر سيدركون أنها مليئة بالتلوث والـــنفايات.. تمامـــا كـــتلك الـــنفايات التى ضبطوها فى ميناء بور سعيد منذ وقت قريـــب.. حيـــن كانـــت الشـــحنة الـــتى اســـتوردها خائن زنيم تحوى حفاضات أطفـــال مســـتعملة مليـــئة بالخـــــراء والمـــواد الســـامة لدفنها فى مصر.. قلت لنفســـى أن المســـئولين فـــى بلادنـــا ســـوف يتصرفون مع تلك المؤسسات التى نشـــرت أن القـــرآن خـــــراء بـــنفس الطـــريقة الـــتى تصرفوا بها مع مستورد الشحنة النجسة..

تصورت ذلك..

لكن تصورى كان أملا جهيضا فى القلب..

وعلى العكس..

وجدت من المثقفين والنخبة من يدافع عن الكفر البواح..

***

لماذا خاننا مثقفونا ...

لماذا اتشحوا بأردية الأعداء؟..

لقد انهزموا فلماذا حين انهزموا لم يذهبوا إلى بلاد الأعداء ليعيشوا فيها ..

لماذا ما داموا لم يذهبوا لم يصمتوا حتى يموتوا ...

لماذا روجوا بيننا فكر الهزيمة...

لماذا زيفوا التاريخ حتى لم يتركوا لنا ما نفخر به أو ما نعود إليه مستلهمينه كى ننهض من كبوتنا لنتقدم ...

لماذا ... لماذا ...

ولماذا ينطلق المناكيد منهم مدافعين عن موقف لا يدافع عنه إلا شيطان.. ولماذا يحاول أولئك المناكيد أن يصوروا أننا ضد حرية الكلمة والإبداع.. على العكس ... فإننى متطرف فى اتجاه منح حرية الكلمة لجميع الاتجاهات بصورة تكاد أن تكون مطلقة... ... وما ذلك لاستهانة منى أو –معاذ الله – تفريط، بل إننى أدرك أننى أنضوى تحت لواء عقيدة تشكل فكرا هو الأقوى والأعظم والأصح ... عقيدة هى العقل والروح والمنطق... عقيدة تجعلنى أقوى من محمد على كلاى فكيف أخشى مصارعة أطفال صم بكم عمى مرضى أو لواطيين... إننى أثق فى أسلحتى... لذلك لا أعترض على منح الحرية كلها للآخرين .. ولا أعترض أبدا على حريتهم فيما يكتبون ... لكننى فى نفس الوقت أرفض أن أكون محمد على كلاى فأقيد ويكمم فمي ويسلط الذباب والهوام على[٣٨٠] !!.

كنت أقول لمراسل وكالة أنباء الأسوشيتيد برس عندما سألنى:

لا .. لست ضد الإبداع بالطبع.. لكننى ضد الإسفاف والابتذال.. ولست ضد تناول أية قضية مهما كانت شائكة إذا كان التناول يتوازى مع أهمية القضية.. وإننى لا أنسى على سبيل المثال القسم الأخير من الجزء الثانى من رواية الاخوة كرامازوف لدستويفسكى.. رغم أن هذا الجزء كان

يتحدث عن درجة مروعة من الإلحاد.. كان عناء هائلا لأناس يحاولون الوصول إلى الحقيقة.. وكنت أصدق ما قاله دستويفسكى بعد ذلك أن أقرب الدرجات إلى الإيمان الصادق هى الإلحاد الصادق.. إننى لم أهاجم رواية الشحاذ لنجيب محفوظ أيضا.. لكننى أهاجم بمنتهى الضراوة أولئك المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان فيتصدوا لتمزيق مقدساتنا وهم يدعون أنهم الأكثر فهما..

قلت للرجل أيضا:

لقد احتفظت حضارتنا بتراث أوغل فى الفحش بل والكفر.. وتذكر أبى نواس والأغانى والفرق المختلفة التى زاغت عن الإسلام.. كان المجرى الرئيسى للنهر سليما ولم يكن يضره كثيرا أن يبول كلب أو خنزير فيه.. لكن عندما يكون الماء راكدا.. وليس لدينا سوى كوب من الماء ونحن تائهون فى البيداء فى الهجير فكيف نسمح للكلاب أن تبول فى مائنا الأخير..

وواصلت: قد نتجاوز عن دواء به ١% من السم لكن الـ٩٩% الأخرى منه مواد نافعة.. لكننا لا نحتمل أبدا أن تسحب من الدواء كل المواد النافعة وتعطينا السم فقط.. وربما لو كانت الظروف غير الظروف والوضع غير الوضع لما أبهت لكلب يعوى..

***

لقد كان رد فعل الناس على صرختى للدفاع عن المقدسات رائعا.. لكن رد فعل بعض الكتاب كان فاجعا..

أولئك الكتاب الذين تربوا فى أحضان الفكر الغربى الاستشراقى الاستعمارى التبشيرى الذى يحمل للإسلام كل الحقد والازدراء.. غيلان يُروّج لفكرها بالأبناط الضخمة والأبواق الضخمة ... وفى نفس الوقت يُحاصر أو يُصادر كل فكر آخر ... فهؤلاء الكتاب الكبار يلعبون بالنسبة لفكر التغريب دورا أشبه بدور "البودى جارد" أو البلطجى... إنهم لا ينتمون بالضرورة ولا بالطبيعة إلى العالم الذى يدافعون عنه ... لكنهم يتكفلون بحمايته وفتح الطريق أمامه وبمنع الآخرين من الاحتكاك به ... ثم أنهم مأجورون ....!!.

***

لقد كان غريبا وإن كان مفهوما أن تحرف وكالة أنباء أجنبية فيما قلناه وأن تنسب إلينا ما لم نقله.. لكن الغريب وغير المفهوم أن تنقل عنها

صحيفة عربية كبرى تصدر فى لندن .. فتورد ما لم نقل وتحذف مما قلناه كل البذاءات السافلة التى احتوى عليها الكتاب الملعون.. وللقارئ أن يتصور كم تبدو صورتنا متشنجين وإرهابيين إذا ما اجتزئ من السياق ما أغضبنا..

***

كان موقف السلطة – وما يزال – غريبا.. فما معنى تشكيل لجنة.. كتاب يقول أن القرآن خراء.. الكتاب موجود والكلمات موجودة والكارثة أن وزارة الثقافة المصرية طبعته بأموال المسلمين.. فما الذى ستبحث عنه اللجنة..؟.. هل هناك احتمال مثلا أن يثبت أن ما أورده الكتاب صحيح؟!.. أو أنه مقبول؟!!.. ولماذا وحتام تبدو الأمور فى بلادنا كمحكمة بلا قاض.. تخيلوا أننا نطلب من قاتل أن يشكل لجنة من عصابته لبحث أدلة اتهامه .. أو من لواطى أن يشكل لجنة من عشاقه كى يضبطوه .. أو.. أو.. أو..

أكاد أجن والله يا ناس..

***

من بين الكتاب كان موقف صلاح عيسى مأساويا بشكل خاص.. فالرجل له تاريخه وعمقه واحترامه لكن هل يستطيع أن يحافظ على كل هذا بعد رئاسته لتحرير القاهرة.. بدا موقفه مأساويا ومتناقضا مع ماضيه.. بدا وكأنه يتوسل لإنهاء المسألة قبل أن يضطر لشهادة الزور.. وبدا أيضا نموذجا مأساويا لمن يفتقدون المرجعية الإسلامية فيجعل الله كل ماضيهم وكل أعمالهم هباء منثورا..

يا صلاح عيسى إننى أحترمك.. لكنك تتغير..

وإن كنت تحمل كل هذا الولاء لمن دفعوا لك تكاليف إجراء عملية جراحية فى القلب فكم تحمل من الولاء لمن خلق القلب كله[٣٩] .

***

موقفان أثارا من الضحك أكثر مما أثارا من الاستياء.. الموقف الأول موقف على أبو شادى.. لكن أمره لا يستحق أن يذكر[٤٠].. أما الموقف الآخر فهو للكاتب إبراهيم أصلان رئيس الهيئة التى أصدرت الكتاب المنكود حيث كتب معلقا على المقال الماضى: ويقوم المقال المنشور

بجـريدة الشـعب علـى اجـتزاء بعض الكلمات من سياقها مقتديا بالمثل الشائع: "لا تقربوا الصلاة"..!!

إن الكاتـب الكبـير الجهـبذ المسـئول عن تثقيف أبنائنا وتنويرهم و تجفيف المـنابع لا يعـرف أن " لا تقـربوا الصـلاة" ليست مثلا شائعا وإنما كلمات من آية من القرآن الكريم!!..

تخيلوا يا قراء.. هذا هو حال كبار مثقفينا..

تذكـرت يـا قـراء حادثـة حقيقية طريفة نشرتها الصحف حينما تسلل لص أحذيـة إلـى أحـد المسـاجد والـناس يـؤدون الصلاة.. فسرق بعض الأحذية وانطلـق يجـرى.. وخـرج بعـض المصـلين مـن الصلاة وانطلقوا يطاردونه فـألقى الأحذيـة المسـروقة وواصـل الجـرى لكـنهم أمسـكوه .. اقتادوه إلى الشـرطة الـتى حولـته إلـى النـيابة.. وكـان وكـيل النـيابة حصيفا – عادة مـا تـتوفر الحصـافة إذا كـان المـتهم غير إسلامى– فسألـه .. فأنكر وادعى أنـه كـان يصـلى الصـبح معهـم وأنه شاهد اللص مثلهم فانطلق قبلهم يطارده فـتقدمهم فظـنوه اللـص.. وهـنا طـرأت لوكـيل النيابة فكرة.. فسألـه على الفور عن عدد ركعات الصبح.. فأجاب اللص بثقة: ثلاث ركعات..

"لا تقربوا الصلاة " .. مثل شائع يا إبراهيم أصلان؟!!..

وهل يصح أن أناقشك فى أى شئ بعد ذلك..

هـل يحـق لـنا أن نسـألـه فيما قالـه مؤكدا فى إطار دفاعه عن ما ورد فـى الـرواية السـافلة مـن كلمـات : اخـرأ بـربك أن كلمة ربك فى الشام لا تعـنى الله سـبحانه وتعـالى (..) أحـيانا يكـون مقصـودا بهـا رب البيت وفـى معظـم الأحـيان لا يكـون لهـا معـنى على الإطلاق.. هل يحق لنا أن نسـألـه فمـاذا عـن القـرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ؟!.. أم نغلق الشفاه على ابتسامة ازدراء مريـرة..

لكنـنى أقـول لكـم يـا قراء أن هذا نموذج للكنز الذى أضعناه وللوباء الذى أخذنـاه..

وهذا نموذج على من يتصدى للتنوير فى دولة إسلامية..

***

رد فعـل آخـر يدعـو إلـى الأسـف والـرثاء أكثر مما يدعو إلى أى شئ آخـر.. فقـد كتـب أحدهـم والغريـب أن موقفه عكس اتجاه صحيفته– كتب يقول معلقا على المقال الماضى:

" كاتب كبير نشر في صحيفة الشعب بكائية على صفحة كاملة لأن بضعة سطور في رواية تجاوزت حقائق الدين.. صور الأمر بأنه أخطر من هزيمة ٦٧ وأن مصر على وشك الفناء إن لم تصادر الرواية وتحاكم المسئولين عن إصدارها.. وببلاغته المختلف عليها أطار النوم من عيون الناس.."..

فكرت أن أقسى عقاب يمكن أن ألحقه به أن أكشف للقراء اسمه.. لكني أشفقت عليه..[1]

***

يا سيادة الرئيس أصدقك القول:

إن كارثة واحدة من كوارث وزارة الثقافة كانت تكفي لتحويل جل موظفيها إلى محاكمة فورية..

إن الناس لم تنس كارثة الاحتفال بالحملة الفرنسية.. ولا كوارث الآثار.. ولا الرقص على الكعبة..ولا.. ولا.. ولا.. ولا احتفالية المواخير بالألفية عند الهرم.. هي الاحتفالية التي صرح ميشيل جار مؤخرا في التليفزيون الفرنسي أنه يهديها لدولة إسرائيل..

إن الأمة تغلي من الغضب.. وعلامات الاستفهام تتحول إلى قرارات اتهام..

وأخال العالم الإسلامي ينظر إلينا بازدراء ودهشة..

والناس لا تتصور أنك يمكن أن تعلم فتسكت..

الفتنة تطل..

فأطفئها..

نرجوك[2]..

***

١- الأستاذ مجدى شندى- نائب رئيس تحرير الأسبوع، وقد تعهد بعد ذلك أنه سيعتذر اعتذارا علنيا لو أن فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى أو الأستاذ فهمي هويدى أيدانى ، ولم يف بوعده، بل حذفت صحيفة الأسبوع من تصريحات الشيخ القرضاوى تحية وجهها إلىّ.

٢ - كانوا قد فرضوا علينا مواصلة المعركة .. ونشرت مع المقال هذا الإطار للقراء: "نعتذر مؤقتا عن مواصلة بروتوكولات حكماء العرب ونقرأ معا فى الأسبوع القادم كتابا آخر نشرته وزارة الثقافة يحتوى برنامجا لتعديل القرآن الكريم كى يتوافق مع النظام العالمى الجديد "

نداء ورجاء إلى سيادة الرئيس[41]:

أستحلفك بحق خالقك عليك..

أستحلفك بمن استرعاك علينا وجعل رعيتك أمانة فى عنقك..

أستحلفك بحق القرآن..

استحلفك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم..

أستحلفك ..

أن تصدر أوامرك الشخصية بمنع أى تعذيب عن أبنائنا طلبة وطالبات جامعة الأزهر.. وأن توصى بهم خيرا تماما كما لو كانوا أبناءك فهم أبناؤك.. وهم رعيتك الذين يسألك الله عنهم يوم القيامة..

لقد بكيت والله يا سيادة الرئيس عندما قرأت بياناتهم واستغاثات البعض منهم.. ورجاءهم لى أن أنشر ما يحدث لهم..ولكنى نكصت عن النشر .. لا خوفا والله فإنما أحتسب عند الله نفسى.. ولكن أملا فى تدخلك لإطفاء النار.. وأرجو الله أن يكون ما يشاع عن تعذيبهم كذبا..

يا سيادة الرئيس .. إن من يأتى بكتاب من وزير أو لواء أو مسئول كبير يشفع له حتى لو كان مرتكبا لأعتى الجرائم..

نقدم لك كتاب الله يشفع فيهم..

فشفعه..

لا إلـه إلا الله[1]

يا سيادة الرئيس: الفتنة تطل .. فأطفئها..

يا شيخ الأزهر : دافع عن دين الله

يا فضيلة المفتى: صمتك مذهل..

اشهد عليهم يا رب..

واشهدى يا أمة..

واشهدوا يا ناس..

أنهم يكذبون على أنفسهم وعلينا وعلى الله..

اشـــهدوا .. أن الفاســـق والفاجـــر والســـكير والذى لم يقم قط صلاة يريد أن يحتكر تفسير القرآن والدين .. وأن يستقطب الدولة لاتجاهه..

الفاســـق والفاجـــر والســـكير والـــذى لم يقم قط صلاة يريد أن يعلمنا ما هو الإيمان وما هو الكفر..

الفاســـق والفاجـــر والســـكير والـــذى لـــم يقم قط صلاة يريد أن يعلمنا من ديننا الحلال والحرام.. والمسموح والممنوع..

الفاســـق والفاجـــر والســـكير والـــذى لـــم يقـــم قط صلاة والذى لا يستطيع كـــتابة جملـــة صـــحيحة ولا أن يصـــوغ معنى، يمنعنا من إبداء رأينا فى شعرهم بعد أن حولوا الشعر إلى دور بغاء..

اشهد يا رب..

اشهدى يا أمة..

اشهدوا يا ناس..

اشهدوا أن ما يحدث الآن على الساحة أبشع عملية تزوير للحق..

أبشع ما يمكن أن يحدث لإلباس الحق ثوب الباطل..

أبشع ما يمكن أن يحدث لإلباس الباطل ثوب الحق..

---

١ – الشعب: ٢٠٠٠/٥/١٢ .

اشـــهدوا أن الصـــحافة الحمـــراء لا تشـــن حـــربا على حزب ولا على دين وإنما على الله ورسوله والمؤمنين ..

اشـــهدوا أن حـــثالات وبقايـــا الشـــيوعية والإلحـــاد يحـــادون الله ورسوله والمؤمنيـــن..

اشهدوا أنهم يكذبون..

إنهـــم يحولـــون القضـــية مـــن قضـــية كفر فاجر فاسق وتطاول غير مقبول علـــى الله ســـبحانه وتعـــالى وعلـــى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى قضية إبداع والإبداع منهم براء..

يا ناس ..

إنهـــم يشـــبهون لصـــا أو مجـــرما يرتكب من الجرائم ما شاء فإذا ما أطبقت الشـــرطة علـــيه الـــتجأ إلـــى المســـجد.. لـــيدعى بعـــد ذلـــك أن الشرطة تقتحم المســـاجد.. ولكـــى يتمكـــن مـــن الإفـــلات بجريمـــته يقيم الدنيا ولا يقعدها حول حرمة المساجد وإجرام الشرطة التى دخلتها لتقبض عليه..

نعـــم..

هـــم كذلـــك اللـــص المجـــرم الذى يمتهن المسجد بالاحتماء به بعد ارتكاب جريمـــته.. ثـــم يمتهـــنه مـــرة أخـــرى عندما يتصور أن المسجد يمكن أن يحمى المجرمـــين ..

كذلك فعلوا يا ناس..

يجرمون ويفسقون ويكفرون ثم يحتمون بالإبداع والإبداع منهم براء..

نحن لم نهاجم الإبداع..

نحـــن هاجمـــنا وســـنهاجم إلـــى أن نموت أى فاسق فاجر كافر يجرؤ على تشبيه القرآن بالخـــراء ..

نحـــن هاجمـــنا وســـنهاجم إلـــى أن نموت أى زنديق كافر يقول أن العاهرة أكثر قداسة من الله..

فهل هذا هو الإبداع يا ناس..

إننا لم نعترض على الإبداع.. بل اعترضنا على تشبيه القرآن بالخراء.. وعلى سب الرسول والقرآن ...

أكرر السؤال يا ناس .. هل الإبداع وصف القرآن بأنه خراء؟.. هل هذا هو الإبداع الذى انفردوا به وعجز أن يأتى بمثله دستويفسكى وتولستوى وفوكنر وجيمس جويس وصمويل بيكيت ويوجين أونيل وهنريك إبسن وكيركجارد وسارتر وكامي وباسترناك وشكسبير؟..

هل هو إبداع أم خيانة لثوابت الأمة يدفع ثمنها أعداء الأمة شهرة ومالا ومجدا وحماية..

نعم ..

إنهم تماما كلص فى السوق.. أو نشال فى "الأتوبيس" ما أن يرى الناس قد كشفوه وكادوا أن يطبقوا عليه حتى يشرع فى الصراخ بعد أن يلقى بالمحفظة تحت قدى برئ ليصرخ : هذا هو اللص..

كذلك فعلوا يا ناس..

هدموا الإبداع ثم راحوا يتهموننا بهدمه..

خربوا الثقافة ثم راحوا يتهموننا بما اقترفوا..

فى عهدهم خربت اللغة – أساس كل إبداع – كما لم تخرب من قبل .

فى عهدهم انهارت القيم كما لم تنهر من قبل..

إن وزيرة فى الحكومة المصرية هى التى صرحت أن ١٧% من طالبات الجامعة قد تزوجن زواجا عرفيا..

فكم يا ترى لم يحتجن إلى ورقة التوت المغشوشة يغطين بها سوءاتهن..

ولماذا نندهش لذلك إذا كانت مطبوعات وزارة الثقافة تتدنى حتى تنشر الفسق والفجور.. وتصف بعهر – على بوليس الآداب أن يضبطه – كل ما يهدم القيم والثوابت..

لماذا نندهش عندما تتحدث بعض الدراسات إلى أن أكثر من ٥٠% من طلاب الجامعة يتعاطون البانجو..

يا نـــاس..

نحن خير أمة أخرجت للناس..

يـــا نـــاس.. نحـــن أعظـــم حضــــارة فـــى الـــتاريخ وعلينا أن نستعد ليوم ننهض فيه من كبوتنا لنواجه أعداءنا وأعداء الله..

يـــا نـــاس.. هـــل الجـــيل الـــذى تشكل وجدانه كتب وزارة الثقافة هو الذى نعتمد عليه لنرد عن الوطن والدين الغوائل..

يـــا نـــاس .. هـــذا الجـــيل الـــذى تشكل وجدانه وزارة الثقافة هل هو القادر على مواجهة إسرائيل ؟..

يـــا نـــاس .. ليـــت أحـــد المراكز المختصة يجرى استبيانا عن الشباب الذى شـــكلت وجدانهـــم مطـــبوعات وزارة ثقافتـــنا.. أن يســـألـــهم: لو فتحت أبواب الـــهجـــرة فكـــم مـــنكم يهاجـــر وكـــم مـــنكم يـــبقى.. وأظن الإجابة معروفة.. فمطـــبوعات وزارة ثقافتـــنا لـــم تكـــتف بهـــدم ثوابـــت الديـــن بـــل زلزلت كل أحاسيس الانتماء والمواطنة وهى بهذا تترك الوطن عاريا أمام أعدائه ..

يا نـــاس..

إنهم يلبسون الحق ثوب الباطل..

وبـــرغم ذلـــك كلـــه فـــإن اعتراضنا على تشبيه القرآن بالخـــراء لم يتركز علـــى المؤلـــف ولا علـــى روايـــته.. فليذهب إلى الجحيم ما دام قد اختار الطريق إلـــيها.. لقـــد انصـــب اعتراضـــى علـــى قيام وزارة الثقافة المصرية بإعادة نشر الـــرواية فـــى مصـــر.. والـــرواية الـــتى تـــباع فى الأسواق بثلاثين أو أربعين جنـــيها دعمـــتها وزارة الـــثقافة حـــتى بيعت بأربعة جنيهات.. هل هذا هو الفكر الـــذى نـــنقله ونعلمـــه لأبنائـــنا.. إنـــنى بهذا لا أترك عملية الاختيار طبيعية.. إنـــنى ألجـــأ ألـــى شـــئ شبيه بالإغراق فى سوق الاقتصاد.. تخيلوا لو أننا ذهبنا إلـــى بريطانـــيا أو أمـــريكا لنبـــيع السيارة المصرية نصر بسدس أو سبع ثمنها.. ألـــن نحـــاكم حيـــنها بـــتهمة ارتكاب جريمة اقتصادية اسمها الإغراق.. إننا بهذا نـــرغم الـــناس ولا ندعهـــم يخـــتارون ضد قيم الأمة وضد دينها بل وضد أمنها القومى...

بل إنهم لكى يدافعوا عن اختياراتهم الشائهة كذبوا..

نعـــم.. كـــذب المســـئولون فـــى وزارة الـــثقافة وكانـــت مجلاتهم وصحفهم تكذبهم..

لقد صرحوا بأن الرواية مسموح بها فى كل الدول العربية..

لكـن أخـبار الأدب : العـدد ٣٥٦ الأحـد ٢من صفر ١٤٢١ هـ الموافق ٦من مايو تذكر بالنص على لسان حيدر حيدر:

"عشـت فـى بيـئة تحاربنى على المستوى الدينى ولا يقولون أننى علمانى ولا عقلانى وتنويرى بل يقولون ملحدا"..

ويسألونه:

هل كنت تجد صعوبة فى نشر أعمالك ؟

فيجيب:

"صعوبة شديدة جدا .. معظم كتبى تم نشرها فى لبنان حيث لا توجد رقـابة علـى النشـر وبعضها نشرته على حسابى الخاص فأنا باستمرار فى مشكلة مع الـرقابة وفى المرحلة الأولى عانيت بسبب الزمن الموحش حيث منعوا نشرها فأقمـت الاتصالات والمحاولات المستميتة لإعادة قراءتها ونشرها .. وفى فترة مـن الفترات منعوا الوعول وعندما نشرتها في لبنان منعوا دخولها إلى سوريا وكذلـك ولـيمة لأعشـاب البحر فقد عشت أنا وكتبى فى حالة منع مستمر من بلاد عربية كثيرة "

حيدر حيدر بنفسه يعترف بنفسه ..

فلمصلحة من تكذب أجهزة وزارة الثقافة..

ألمصلحة الشيطان..

اقـرءوا أيضـا فـى نفـس العـدد مـن أخبار الأدب تعليق الأستاذ محمود أمين العالم:

"أخـذت أقلـب بين يدى رواية " وليمة لأعشاب البحر" أو "نشيد الموت" للأستاذ حـيدر حـيدر " بحثا عن اسم ناشر أو مطبعة فلم أجد وأخيرا علمت أن دور النشـر العربـية جميعا رفضت نشر هذه الرواية فقام هو بطبعها على نفقته ولكن يبدو أن المطبعة التى قامت بطبع هذه الرواية ، قد آثرت هى أيضا السلامة فاكتفت بالطبع ، وامتنعت عن ذكر اسمها.

صدرت الرواية مجهلة إلا من اسم مؤلفها . ولقد علمت كذلك أن الرواية تكاد تعتمد في توزيعها على اليد . وعلى العلاقات الشخصية، كما توزع المخدرات أو المنبهات المحظورة"..

انتهى كلام محمود أمين العالم..

فلماذا كذبت أجهزة وزارة الثقافة..

لماذا كذب الوزير نفسه كل يومين .. لقد صرح أولا بأن الرواية مصادرة منذ منتصف نوفمبر الماضي.. وفي نفس يوم نشر بيانه كان بيان على أبو شادى يقول أن الرواية صدرت في منتصف نوفمبر..

لماذا حاول الوزير باستمرار أن يخلط بين طبعة مصرية هو الذى أصدرها ورعاها وباعها بعشر ثمنها وبين طبعات لبنانية لم نسأله ولم نطلب حسابه عنها رغم أنه بحكم مسئوليته الوزارية مسئول عما يدخل إلى البلاد من عناصر الثقافة..

إنني أتهم وزير الثقافة أنه بسبب مواقفه المتناقضة قد أشعل غضب الناس.. أشعل غضب الطلاب.. يوم الخميس نشرت صحيفة الوفد بدهشة تصريحا عن اللجنة التى شكلها وقوله أنها ليست لجنة تحقيق بل لجنة ستشرح للناس ما خفى عليهم من إبداع في الرواية.. يوم الجمعة الماضى نشرت صحيفة الأهرام في مكان بارز خبر مصادرة الرواية .. ويوم الأحد نشرت صحيفة الأخبار تصريح وزير الثقافة بأن الرواية لم تصادر.. وانفجرت مظاهرات الطلاب يوم الاثنين..

لماذا يا ناس هذا العبث بمقدرات الوطن؟

لمصلحة من؟؟..

تذكرون يا ناس أنني حذرت من الاقتصار على الرواية أو على كاتبها الملعون.. بل إنني أعتبر أن ما كتبته في المقالة الثانية عن مجموعة الصعاليك والمرضى والشواذ – كما سماهم فاروق جويدة[٤٢] – أخطر مما كتبته عن حيدر الملعون وروايته.. فوزارة الثقافة المصرية تبدو كما لو كانت قد تعهدت للشيطان ألا تدع قيمة إلا هدمتها ولا ثوابت إلا حطمتها..

إن القانون الإنجليزى مثلا يجرم الاعتداء على التوراة والإنجيل.. وهم لا يعتبرون القرآن كتابا سماويا مقدسا.. هم وشأنهم.. لكن ألا يحق للقرآن فى بلاده أن يقدس.. لقد منع فيلم العشاء الأخير للمسيح فى لندن وخرجت المظاهرات تحطم دور السينما التى تعرضه فى باريس..

ثم ما هو السر فى ذلك الهجوم العنيف التى تشنه علينا الصحف الحمراء.. إننى واثق أن القاعدة الثقافية المصرية بخير.. وأن السمك الميت والبيض الفاسد هو الذى يطفو على سطح الماء فيراه الناس..

يا ناس..

القضية ليست كما يحاولون تصويرها قضية إبداع بل قضية غزو فكرى تتعرض له بلدنا..

يقول العلامة محمود شاكر فى كتابه: أباطيل وأسمار: "حين شرعت فى كتابه هذه الفصول سنة ١٣٨٤هـ - سنة ١٩٦٤ كنت قد قدرت لها مقادير ، ونهجت لها نهجا مستتبا ظننت أنى بعون الله ، قادر على أن أمشى فيه وفى دروبه أتهادى لا يذعرنى شئ حتى أبلغ نهايته . ولكن شاء الله غير ما شئت ، وقدر غير ما قدرت ، وخابت ظنونى واختطفت عن السير فى أوائله، فدع عنك بلوغ نهايته ...

ثم كان ما كان ..

لهذه الفصول غرض واحد ، وإن تشعبت إليه الطرق و وهذا الغرض هو ما قلت لأخ الصديق الأستاذ محمد عودة هو الدفاع عن أمة برمتها هى أمتى العربية الإسلامية. وجعلت طريقى أن أهتك الأستار المسدلة التى عمل وراءها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم فى زمانها ، وهمهم جميعا أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا ، وعلى حياتنا وعلى ثقافتنا وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذى بناه آباؤنا فى قرون متطاولة وصححوا به فساد الحياة البشرية فى نواحيها الإنسانية ، والأدبية والأخلاقية والعملية، والفكرية وردوها إلى طريق مستقيم. علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، وكان مما قدر الله أن أفتح عينى على ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، وعلى دار تموج بالثوار، فعقلت من الأمر يومئذ ما عقلت ، ورأيت بعينى رجالا ، وسمعت بأذنى آراء ، ورضيت بقلبى أو سخطت، وأعانتنى فطرتى بضرب من التمييز، كان يرج نفسى رجا شديدا ، وأنا بعد فى نضارة الصبا . ولم أكد حتى

انطلقت أجوب مجتمعا يفور بالمتناقضات ، ويتشقق بالصراع المر في ميادين مختلفة: من الدين إلى العلم ، إلى الأدب إلى الفن، إلى السياسة إلى السنن الموروثة فخضت محنة زماني في أول نشأتي، بنفس غضة مجرحة بالتجارب ، ومضت بي الأيام ، وأثخنتني التجارب ،وهلك رجال، ونشأت رجال ، فرأيت وسمعت، ورضيت وسخطت، وعلمت من أسرار الصراع ما لم أكن أعلم ...

صار حقا علي واجبا أن لا أتلجلج، أو أحجم ، أو أجمجم ، أو أداري ، مادمت قد نصبت نفسي للدفاع عن أمتي ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وصار حقا علي واجبا أن أستخلص تجارب خمسين سنة من عمري ، قضيتها قلقا حائرا ، أصارع في نفسي آثار عدو خفي شديد النكاية ، لم يلفتني عن هول صراع شئ ، منذ استجمعت قوتي ، واستنارت بصيرتي ، منذ استطعت أن أهتك الستر عن هذا العدو الماكر الخبيث، ثم صار حقا علي واجبا أن لا أعرج على بنيان الطريق، وإلا بعد أن أجعل الطريق الأعظم الذي تشعبت منه واضحا مستبينا ، ثم صار حقا علي واجبا أن لا آلو جهدا في الكشف عن حقيقة هذا العدو، وعن حقيقة الصراع الذي عانيته وحدي على وجه من الوجوه ، والذي عانيته مع أمتي العربية والإسلامية على وجوه أخر.

.وقد سرت في هذه الفصول المتشعبة المعاني سيرة واحدة ، فضمنت جميعا بابا أو أبوابا من النظر إلى حقيقة الصراع الذي دار ولم يزل يدور على أرضنا ، وفي عقولنا وفي ضمير أنفسنا، وأشرت في مواضع كثيرة إلى أن هذا الصراع صراع بين حضارتين مختلفتين في جذورهما أشد اختلاف: حضارة طال عليها الزمن فغفت غفوة آمن مستريح لا يفزعه شئ ، وحضارة واتاها الزمن فهبت يقظة متلفتة جريئة، لا تأمن أحدا ولا تطمئن إليه فلما بدرت بوادر الصراع ، قامت " الغافية " تتمطى ، تطرد الفتور عن أعضائها ومفاصلها ، وتمسح النعاس اللذيذ عن وجهها، غافلة لا يفارقها شعورها القديم بالأمن والاطمئنان، أما " اليقظة" فهبت حذرة ، تراقب وتتحسس ، وتطوف ، وتتأهب للسطو على هذه " الغافية " باغية لا يفارقها شعورها الجديد اللذيذ بالقوة والبطش والضراوة ، وبحب الغلبة وبسط السلطان، ونشب الصراع جسا بأطراف الأسنة ودسا بأسباب التجارة، وشيئا فشيئا جاءت الجيوش واستفحلت التجارة، وجاء معها أو سبقها طوائف المبشرين . لم يكونوا طائفة من الدعاة إلى الديانة فحسب ، بل كانوا طوائف لكل

منها صفة ورسم تمشى به فى الناس ، تأخذهم من غفلاتهم قبل أن يفيقوا. وأطبقت على رقعة العالم العربى والعالم الإسلامى ضبابة كثيفة ووطئ عليها تاريخ طويل يسحق القوى وينسفها نسفا ... وكانت قصة طويلة متمادية ، تقطر دما وغدرا وخيانة ، وترشح مكرا وخبثا وخسة وفظاظة ...

فهذه الفصول التى كتبتها ، ترفع اللثام عن شئ عن هذه القصة التى تجرى أحداثها فى أخطر ميدان من ميادين هذا الصراع، وهو ميدان الثقافة والأدب والفكر جميعا، ويزيده خطرا : أن الذين تولوا كبر هذا الصراع ، والذين ورثوهم من خلفهم ، إنما هم رجال منا، من بنى جلدتنا ، من أنفسنا، ينطقون بلساننا، وينظرون بأعيننا. ويسيرون بيننا آمنين بميثاق الأخوة فى الأرض أو فى الدين، أو فى اللغة أو فى الجنس ويزيد الأمر بشاعة : أن الذين هم هدف للتدمير والتمزيق والنفس لا يكادون يتوهمون أن ميدان الثقافة والأدب والفكر أخطر ميادين هذه الحرب الخسيسة الدائرة على أرضنا من مشرق الشمس إلى مغربها ، ولا أن معارك الثقافة والأدب والفكر متراحبة لا تحد بحدود ، ولا أكثرها يأتى مؤقتا توقيتا دقيقا إما قبيل حركات النهضة والإحياء ، وإما معها ، وإما فى أعقابها ولا أن الأمر صار أخطر مما كان منذ سبعين سنة ولا أن هذه المعارك ليست فى حقيقتها أدبية أو فكرية أو ثقافية، بل هى معارك سياسية، تتخذ الثقافة والأدب والفكر سلاحا ناسفا لقوى متجمعة، أو لقوى هى فى طريقها إلى التجمع ، ولا أن أمضى سلاح فى يد عدونا هو سلاح الكلمة الذى يحمله رجال من أنفسنا ينبثون فى كل ناحية ، ويعملون فى كل ميدان وينفثون سمومهم بكل سبيل، ولا أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم علم ، وبعضهم قد أخذ من غفلته ، فهو ماض فى طريقه على غير بينه "[١]

انتهى الاستشهاد الطويل بالعالم العلامة محمود شاكر ولعله يشرح لكم القضية كلها يا ناس..

لقد كان أحد المواطنين يهاتفنى ويصرخ:

أبشع من الكلمات التى أوردتها الرواية الفاجرة موقف مثقفينا.. هذه ليست قضية حزب ولا اتجاه ولا تيار.. هذه قضية دين وأمة ومستقبل..

---

١ – مقدمة فى الطريق إلى ثقافتنا– مرجع سابق.

ولم أحر جوابا ..

لكننى رحت أستعيد ما قرأته لأسامة عرابى ذات يوم:

"فى مصرنا المحروسة باللصوص والأفاكين الآن نمطان لا ثالث لهما فى الكتاب والصحافين :

أحدهما لا بد يعمل مع أجهزة الأمن التى تنهض بمهمة تعيينهم ودفعهم دفعا فى سلم الصعود والترقى ، بعد أن امّحت تماما الحدود الفاصلة بين عمل المخبر السرى . والنمط الثانى : يستمد نفوذه وقوته من علاقاته المشبوهة بقوى كونية مهيمنة على مقدرات البلاد والعباد وهى بلا ريب أمريكا - ومن ورائها إسرائيل، أما من أرتضى لنفسه الاختيار الصعب ، وهو أن يعيش شريفا عفيفا صاحب موقف ومبدأ فمكانه الأوحد الانزواء فى غياهب النسيان ، أو الملاحقة والمطاردة فى لقمة عيشه، والمقامرة بمستقبل أبنائه " إننى لا أصدق كلام أسامة عرابى[٤٣] وإلا فقولوا على الدنيا السلام.. لكن تصرفات بعض كتابنا وصحفيينا ومثقفينا قد تجعل البعض يصدقون..

إنهم أشبه بالطابور الخامس.. ولكى أبرهن لك على ذلك فإن هؤلاء الذين يطالبون بالحرية المطلقة ويدافعون عن وصف الله بالخراء وتشبيهه بالمومس الداعرة والسخرية من الرسول صلى الله عليه وسلم .. هؤلاء.. لا يجرؤ أحد منهم على توجيه أى انتقاد لأصغر مسئول ..

إنها حرية ضد الأمة وضد الله ولصالح الحكام أعداء الأمة ولصالح أعداء الأمة أيضا..

إنها حرية هدم الدين..

نأتى بعد ذلك للرواية..

وبغض النظر عن أنها رواية ركيكة تافهة متهافتة فإن ثمة فارق بين أن يلجأ الكاتب إلى خرق ثوابت الأمة كى يؤكدها أو يثبتها وفارق بين الاختراق من أجل الشهرة ولو على حساب هدم المجتمع نفسه.. وفارق بين أن يتناول هذه القضايا بالمسئولية الواجبة وبين أن يكون التناول سافلا ومبتذلا ومنحطا.. بل إنه لا يستطيع أن يتناول حتى رجل الشارع العادى بكل هذه البذاءة والانحطاط..

فــى الجــزء الــثانى مــن الاخــوة كرامازوف كانت أعتى صور الإلحاد تــناقش بالحــرية كلهــا ومــع ذلــك لم يتملكنى إلا الإعجاب والانبهار بالكاتب لمناقشته..

لماذا لجأ بعض مثقفينا إلى هذا الــهجوم الضارى؟..

هجــوم لــم تشــهده مصــر عــبر تاريخهــا منهم فى أى قضية.. لا قضايا الوطن ولا قضايا الناس.. ولا أى قضية أخرى..

ألأنه القــرآن..

هل احتشدوا له كل هذا الاحتشاد لأنهم يعلمون أنه أمنع حصوننا..

هذه قضية ما كان يجب أن يكون فيها اختلاف فلماذا اختلفنا..

لمــاذا اعتــبرتم فــاروق حســنى فــرعونكم فرحتم كالكهنة القدامى تدعون لعبادته من دون الله..

هــل لــو أنــى قلــت عــن فــاروق حسنى فى رواية ما تدافعون عن حق حيدر حيدر فى أن يقوله عن الله أكنتم تاركىّ ؟..

لــو أنــى قلــت - علــى لســان أبطــال روايتى - عن فاروق حسنى أنه خــراء وأن المومس أفضل منه أكنتم تدافعون عن حقى فى التعبير؟..

أنا أقول لكم يا قراء..

الــــهدف الأول أن يمــنعونا مــن مواصــلة جهادنــا للحفــاظ على قداسة القــرآن..

والــــهدف الــثانى.. أن يحولونــا مــن الـــهجوم علــى رموز الكفر إلى الدفاع عن أنفسنا....

والــــهدف الثالــث أن يفصــموا العلاقــة الحمــيمة بيــن من تصدوا لهذه الحملــة وبيــن الــناس.. وأن يشــوهونا باستدراجنا إلى قضايا فرعية.. يعلم الله فيها أنهم لكاذبون..

يالـــها من خطة يفخر بها الشيطان ويسعد..

وأقــول لكــم علــى الــرغم مــنى يــا نــاس أنهــم حققــوا بعض النجاح فــى خطــتهم.. فقــد وعدتكــم فــى الأســبوع الماضى أن أتناول اليوم كتابا من كتــب وزارة الــثقافة تدعــو فــيه كاتبته إلى تعديل القرآن كى يتوافق مع النظام العالى الجديد ومواثيق حقوق الإنسان..

هــاهم قــد أجــبرونى علــى تأجــيل ذلك للأسبوع القادم فهنيئا لهم وهنيئا للشيطان..

ولا أملــك فــى نهايــة مقالــتى.. إلا أن أستشــهد ببعض ما يهاجموننى به وهــى مقالــة كــان عــنوانها: وكــأنهم يقولــون: قل هو الرئيس أحد.. الرئيس الصــمد.." وقــد نشــرت فــى صــحيفة الشعب قبل أعوام ثم فى كتاب عنوانه: "مــن مواطــن مصــرى إلــى الرئيس مبارك"[1].. أختم به هذا المقال..أن ما قلته لهــم أيامهــا يســتحق أن يقــال لهــم الآن أيضــا.. لأنهــم لــم يتعلموا أبدا .. ولم يكفوا عن الكذب والنفاق أبدا و لم يتوبوا أبدا:

"المهــم هــو القــيام بــالدور الــذى رسم لهم ، الذى اصبحوا مهمين – من الـــهم لا الأهمــية لــيس مهمــا أيضــا التاريخ ولا الصدق ولا الوطن ولا أى شــئ .. المهــم هــو القــيام بالدور الذى رسم لهم، وهذا الدور هو امتداد لدور جهــاز الأمــن ، حــتى انــه اصــبح من الواجب أن تحدد رتب معروفة لبعض الصحفيين حتى نعرف حجم ما يمثلون من السلطة لا من الشعب.

والحقــيقة أنــنى أســتطيع أن أتخــيل جــزءا مــن مشــاعر هؤلاء الذين يهــاجمون كــل قــيمة نبــيلة فــى مجتمعنا(..) فأولئك قوم – كفاوست – باعوا أنفســهم للشــيطان الــذى حــدد لهم ما يدفعونه ، أن يقوموا بتزييف وعى أمتهم وتخريــب وجدانهــا ومحــو ذاكــرتها وتشــويه رموزهــا وإفقادهــا الأمل فى احــتمال الخــلاص ، فــى تفتيــت الوجــدان الجماعى للأمة حتى تصبح شراذم متــناثرة يســهل اغتصــابها، وكلمــا وجــد أحد هؤلاء الفاوستيون بوادر توحى أن الأمــة لــم تــنس وان الذاكــرة لــم تمح ، وأنه ما زال هناك رجال وأبطال وشــهداء ومناضــلون وتــاريخ وفــن ، كلمــا وجدوا ذلك امتلئوا فزعا ورعبا، لأن معــنى وجــود هــذه الــنماذج أنهــم لــم يقوموا بواجبهم تجاه الشيطان كما يجــب ، وأنــه قــد يغضــب عليهم فيذهب بهم ليأتى بغيرهم يكون كمّ الشر فيهم أكــبر ونوعــه أعــتى . . لذلــك فــانهم عندما يواجهون النماذج النبيلة بكل هذه الحــدة وكــل هــذا الحمــاس لا يفعلــون ذلك كراهة فى الأمة فقط بل دفاعا عن وجودهــم ذاتــه ، وجودهــم مرتــبط بتدمــير الأمــة فان بقيت فيها علامة حياة بــادوا. والحــق أنــنى لا اعتــب عــل مــن باع نفسه للشيطان فالعتاب أسمى ، ولــو كــانوا مجــرد خــدم للسلطان ما حملنا عليهم لكنهم خدم أعدائنا وأعدائه .. وكــل مــنهم لا يقــل بــذاءة وسفاهة عن علاء حامد ، وكل منهم أولى أن يكون مكانــه ، لكــن : ليبــيعوا أنفســهم كمــا شاءوا ولا عتبى عليهم، العتبى عل من يسمح لهم أن يبقوا فى مناصبهم .

---

١ – كتاب للمؤلف– مرجع سابق.

وثمـــة عـــتاب آخـــر علـــى المثقفيـــن والكتاب والنقاد، فأقل القليل منهم من يواجـــه، أمـــا الـــباقون فيتصـــرفون كرجال محترمين يتجنبون الخوض فى مياه المجـــارى القـــذره أو مواجهـــة بلطجـــى فـــى ملهـــى ليلى ، لكن مصر ليست ملهـــى، وهـــم أنفســـهم مـــاذا يفعلـــون إذا طفحت مياه المجارى فى بيوتهم حتى لتوشـــك أن تغـــرقهم ؟ لـــيس أمـــامهم إلا أن ينزحوها، عليهم أن يواجهوا، حتى لـــو طـــالـــهم الـــرذاذ القـــذر فذلـــك أفضـــل مـــن الغرق (...) إنهم يؤلهون الرئـــيس كـــل رئـــيس فـــإن مات أو قتل انقلبوا على أعقابهم ، فاخذوا بنبشون قـــبره ويســـلخون أهلـــه ويـــرجمون ذكـــراه . وهـــم بذلـــك يا سيادة الرئيس لن يضـــروا الله شـــيئا لكـــنهم يضـــرونك أنـــت ، ويضـــرونا معك ، ديدان مقززة تتغذى على الجسد طالما هو حى ، فإذا مات نهشته ثم انتقلت إلى غيره .

أجـــل .. كـــم تســـىء إلـــيك هـــذه الأقلام وتيك الصحف يا سيادة الرئيس ، تســـىء إلـــيك حـــتى لتصـــبح اخطر عليك من أعدى أعدائك ، تسىء إليك حين لا تهـــدى إلـــيك عـــيوبك ، وتســـىء إليك حين تسعى لتأليهك ، متى يبرح الخفاء فنسمع الترانيم الكافرة التى تتردد فى صدورهم تنم عنها أقوالـــهم :

قل هو الرئيس أحد..

الرئيس الصمد.."[٤٤]

* * *

كان هذا ما كتبته منذ أعوام وما يتهموننى اليوم بسببه..

ترانى أحتاج إلى إضافة مزيد؟..

وإلـــى الأســـبوع القـــادم إن شـــاء الله يـــا قـــراء.. وأعدكم ألا أمكنهم منى ولا منكم مرة أخرى.. سوف نواصل الحديث عن القرآن..

لا لنحميـــه..

فهو الذى يحمينا...

لا إلــه إلا الله[1]

وَلئِنْ سَأَلتَهُمْ ليَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبُ قُل أَبالله وَآيَاته
وَرَسُولهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزئُونَ لا تَعْتَذرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانكُمْ

صدق الله العظيم

لا إله إلا الله..

أتصــور أحـيانا يــا نــاس أن مقــالاتى القليلة الماضية لم تنشر فى مصر، كــنانة الله فــى أرضــه، مصــر الــتى حمت الإسلام والمسلمين مرتين، مصر بلــد الأزهــر، وأنــنى حيــن دافعــت عن قداسة لفظ الجلالة والقرآن والرسول لــم أفعــل ذلــك فــى بــلاد لا إلــه إلا الله محمد رسول الله .. بل دافعت عن القــرآن بيــن بــنى إســرائيل أو فــى روســيا الملحدة أو فى أى بقعة من بقاع الأرض حيــث لا يوجــد مــن يشــهد : " أشــهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمــدا رســول الله".. لــو أنــنى كتبــت مقــالاتى تلك هناك.. هل كان سينهمر كل هذا الطوفــان الكــاذب الــذى انهمــر من نخبتنا المزيفة المزورة التى وضعوها فى واجهــة حياتــنا الثقافــية فاتضــعت؟!.. نخــبة النواصــى الكاذبة الخاطئة، التى شــنت أضــخم حملــة صــحفية فــى تاريخ مصر الحديث.. ليس ضد إسرائيل ولا أمــريكا ولا مناصــرة للشيشــان أو كوســوفا أو الفلبييــن أو كشــمير.. لــيس أيضــا فــى أى قضــية مــن قضايا الوطن.. بل ضد من يدافع عن قداسة لا إلــه إلا الله محمــد رســول الله.. و راح معظمهــم يكــذب ولا يخجــل مــن الكــذب أبــدا.. وبــدا أن كــل شــئ عــندهم مستباح كى يبيحوا لصعاليكهم، كــلاب الــنار حطــب جهــنم.. أن يجــترئوا على مقدساتنا.. على الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ..

---

١ – الشعب ٢٠٠٠/٥/١٩

كـان رد فعـل الأمـة رائعـا وكان رد فعل الطغمة المسيطرة على صحفنا فاجعـا.. وبعـيدا عـن كـل الغـبار والقـذى فلقد كشفوا أنفسهم.. فهذا الموقف يـا نـاس لـيس شـأنا من شئون الدنيا يحق لنا أن نختلف فيه.. الموقف موقف حصننا الأخير..

ملاذنا الأخير..

الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم .

إن موقفهـم رغـم أنـه يخـزى مصـر أمام العالم، العالم الذى تتلمذ ذات يـوم علـى ريـادة مصـر، فإذا به الآن يحتاج أن يعلمها أبجدية الحروف، وإذا بنخبـتها المفكـرة الـتى وضـعت فـى المواجهة فاتضحت، أشبه بطفل معوق، توقـف نمـو عقلـه، فأصـبحت تصرفاته تثير من الرثاء أكثر مما تثير العجب، ومـن الـتأمل أكـثر مـن الغضـب. لكن كارثة موقفهم عليهم، أنه كشف عن دخـائلهم القبـيحة ، كشـف عـن نفاقهم، لتكتشف الأمة الحقيقة ناصعة واضحة، وليتمـيز الخبيـث مـن الطيـب، ولـتحدث عملية الفرز والمفاصلة الكاملة بين الإيمان والنفاق والكفر.

أعلـم أنـه محـزن لـك يـا أمة.. أن تكتشفى أن كل هذا النفاق كان يصب سـمومه طـيلة مـا مضـى مـن حقـب كى يزيف وعيك ويفقدك رويدا رويدا الإيمـان بـالله.. ولـم تكونـى قد اكتشفت حقيقة أمرهم بعد أيتها الأمة المنكوبة بهـم.. كنـت قـد منحـت بعضـهم حـبك وبعضهم احترامك وبعضهم عقلك.. الآن تكتشـفين يـا أمـة أن معظمهـم لـيس إلا الحـثالة الباقية من مطلع القرن التاسـع عشـر.. حيـن انهزمـت الحملـة الفرنسـية.. فتركت لنا أوباشها كى يواصـلوا دس السـم فـى عروقـنا.. فلكـأن طلبة جامعة الأزهر حين انتفضوا غـيرة علـى ديـنهم.. أسـقطوا مـن الـزمان عار قرنين من التزييف والكذب والـتزوير.. وكـأنهم اكتشـفوا فجـأة أنـه وقـد انتهـت ثورتهـم الثالثة على الفرنسـيس.. فـإن ثورتهـم الـرابعة علـى أذنـاب الحملة يجب أن تبدأ على الفـور. وبـدأت المظاهـرة السـلمية بفتـيات الأزهـر مفتتة كل أراجيفهم عن وضـع المـرأة فـى الإسـلام، وبـرغم المعالجة الخاطئة للسلطة فإن ما حدث ما حدث يمثل نقطة تحول حاسمة سيذكرها التاريخ.

نعـم.. خدعـت الأمـة فـى نخبـتها المـثقفة طويـلا ، ففى كل القضايا الأخـرى، الـتى كانـت تحـتمل اتخـاذ موقفين، كان على الأمة أن تتصور أن

هـؤلاء الكـتاب والصـحفيين، يقولـون مـا يعتقدونه حقا، وقد يخطئون، لكنهم يعـودون إلـى الحـق عـندما يتبيـن لهـم.. عانـت الأمة منهم طويلا .. طيلة قرنيـن.. وجهوهـا فـى جمـيع اتجاهات الفكر إلا إلى الاتجاه الحقيقى الذى كان يجب أن يوجهوها إليه.

فـى هـذه القضـية الفاصـلة لـم يكـن هـناك عند الأمة لبس يحتاج إلى تـأويل.. كانـت تعـرف الحقـيقة بالمعايـنة العقلـية والقلبـية المباشرة، كانت تعـرفها بـتراث وتـيار أشـد وأعظـم من تيار الكهرباء ملايين المرات.. تيار يسـتمد طاقـته مـن نـور سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ومن القرآن المجيد، تـيار يمـتد عـبر الزمـن ألفا وخمسمائة عام.. وكانت الأمة، للمرة الأولى فى تاريخهـا، أكـثر علمـا – مـنذ اللحظـة الأولـى بالقضية المثارة من نخبتها وكـتابها ومثقفـيها.. وكـان الوضـع ينعكس، وكانت الأمة هى التى تحكم على نخبـتها.. ولـيس العكـس ، العكـس الـذى ظل يحدث طوال الحقب الماضية، وتدرك الأمة الآن أنه كان يسير فى الاتجاه الخطأ وأن مثقفيها خانوها..

إنهـا لحظـة أشـبه بلحظـة اكتشـاف غـدر الغادر وحيلة المحتال وشرك النصـاب الـذى ظلـت الأمـة تبتلعه بحسن النية والثقة كلها طيلة قرنين، لكن، هاهى ذى الآن فجأة تكتشف كم خانتها وضللتها هذه النخبة..

لا تنسـى أسـماء المنافقيـن يـا أمة.. واذكرى دائما .. عندما كان القرآن فى الميزان ففى أى صف وقفوا..

لا تنسـى يـا أمـة: عـندما كـان القرآن فى جانب وذهب المعز فى جانب ففى أى مكان وقفوا..

لا تنسـى يـا أمـة: عـندما كان القرآن فى جانب ووظيفة صغيرة يغرون بهـا شـابا غـرا يحطمونـه بـتحويله إلى عبد للشيطان فى الجانب الآخر ففى أى اتجاه وقفوا..

لا تنسـى يـا أمـة حـتى أولئك الذين وقفوا فى منتصف الطريق ففى مثل هذا الأمر ليس هناك نصف شرف ولا نصف كرامة ولا نصف دين..

سـبحانك يـا رب.. والحمـد لـك.. وضـعت كـل واحد منهم فى مكانه.. وكانوا قد خدعوا الأمة طويلا طويلا..

لـم يـدرك الحمقـى أن هـذه القضـية قضية حاكمة فاصلة، وأنها لا تنظر فـتاواهم ولا تدليسـهم.. وأن الأمـة قـد سـبق حكمهـا فيها.. وأنها لا تنتظر أحكامـا مـن أحـد.. بـل إنها هى التى ستحكم على كل من يحكم بنوع حكمه.. فإما احتفظت به فى سويداء قلبها وإما ألقت به فى مزابل التاريخ..

فـى هـذه القضـية يـا ناس تدنت بعض أقلام فى الصحافة المصرية كما لـم تـتدن مـن قـبل.. كـان الأمر مسابقة فكلما ازداد التدنى ازدادت الجوائز المـنهالة .. ولقـد كـنا جمـيعا ندرك أن الداء العضال موجود، لكن لا أحد كان يتخيل أن كل هذا العفن يعشعش فى عقول كثيرة طيلة كل تيك السنين..

تدنت أقلام ما كان لها أن تتدنى..

وكذبت ألسنة ما كان لها أن تكذب..

وظهـر للأمـة كمـا لـم يظهـر مـن قبل أن أسباب تخلفها الرئيسية يقبع فـى نخـبة لا تمـثلها.. بقـدر مـا تمثل حضارة الغرب وفكره.. وثبت لأمة أن بعـض مـن ائتمنـتهم علـى وعـيها.. كـانوا مخترقين بالكامل من الأعداء.. وكـان يمـثلوا امـتدادا سـرطانيا مـن الفكر المعادى لها.. وأنهم استطاعوا أن يـتخفوا طـيلة السـنوات الماضـية حـتى كشـفتهم قضية سب القرآن.. كانت القضـية مـثل كشـاف ضـوء باهـر سـطع فجـأة فكشـف خبايا كل الأوكار والجحـور..

لا تبتئسـى يـا أمـة.. ولا تحـزنوا يـا نـاس.. فإن هذه النخبة المنفصلة عـنك ليسـت إلا السـمك الفاسـد الـذى يطفو على الماء.. والبيض الفاسد الذى يعـوم فوقـه.. المشـكلة فقـط .. أنهـم مكـنوا فتمكـنوا، وزرعـوا فانزعوا، ووضـعوا فاتضـعوا، لكـن ثقـى يا أمة أن زهرة مثقفيك ما زالت بخير.. وإن كانت محاصرة مطاردة..

فـى قضـية سـب القـرآن كانـت صحيفة الشعب تحمل عبء المواجهة الرئيسـية فـى المعـركة .. وكـان – ومـا يزال يواجهها – أكثر من خمسين مجلـة وصـحيفة يدعمهـا احـتفاء بعض وسائل الإعلام الرسمية بها .. اتحدت كلهـا علـى الـباطل والكـذب.. وبالرغم من ذلك.. فإن هذه الصحف جميعا .. وبعـد أسـبوعين مـن المواجهـة الـتى كانـت تنثر فيها الظلام وتنشر الباطل لـم تحـتمل عـندما راحـت الشـعب – حماها الله من كيد الكائدين – تقصفهم بـه مـن حـق فـإذا باطلهم يزهق.. وإذا بكذبهم ينكشف .. وبعد أسبوعين فقط مـن المواجهـة.. كـانوا يطلـبون إغلاق الشعب.. وامّحت الفواصل بين أقلامهم وبيـن هـراوات الأمـن المركـزى.. وبدا التشابه للناس واضحا وجليا.. جندى الأمـن الغلـيظ الخشـن الـذى يحرصـون على عدم تثقيفه وتدينه كى يكون آلة طـيعة.. وبيـن الصـحفى الـذى مارسوا معه نفس الشيء.. حتى أصبح الاثنان وجهيـن لـنفس العملـة.. وكانـت الأقـلام الخـئون هى التى فقأت أعين فلذات أكبادنا فى جامعة الأزهر وكانت الهراوات الغشوم هى التى تواجهنا[٤٥]..

لـم يعـد أمـام كـل تـيك الأقـلام إلا أن تطلب بمصادرة الشعب وإغلاق حزب العمل ..

لقـد اكتشـفوا فجـأة - وإن كـان مـتأخرا جـدا - أن قضية سب القرآن قد كشفتهم..

ولكـن الحمقـى لا يدركـون أن الكشـف قـد تم بالفعل.. وأنه مهما حدث بعـد ذلـك فـإن الأمـة الآن تـدرك طـريقها.. وقد يستطيع تحالف الهراوات والأقـلام أن يحجـب الـنور ولـو لفـترة.. لكـن فـى هذه القضية بالذات فإن القضية محسومة منذ اللحظة الأولى..

لقد حاولوا إطلاق قدر هائل من الأكاذيب..

ليس حسنا يا حمقى..

هبوا أن جميع ما تقولونه صحيح ..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هـبوا أن حـزب العمـل تآمـر وخطـط وأن الإخـوان المسلمين وإيران والسودان وأفغانستان والشيشان وكشمير وباكستان قد شاركونا فى التخطيط

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أننا عملاء أمريكا وإسرائيل وأنكم اكتشفتمونا ننشئ لجانا للتطبيع

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا ذلك كله يا حمقى ..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أننى أسوأ كاتب فى التاريخ.. أو أننى لست كاتبا على الإطلاق..

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

هبوا أننى لا قدر الله لى فعلت أكثر مما فعله حيدر فى كتابه الملعون

فهل يبرر ذلك سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم؟..

كـان المـنطقى لـو لـم تكونـوا كمـا كنتم أن تشاركونا فى الدفاع عن مقدساتنا.. أو حتى تقصونا عن الدفاع كى تتولوه أنتم..

لكنكم اندفعتم بحماقتكم إلى مصارعكم التى تؤجلونها منذ مائتى عام..

نعم .. شنت معظم الصحف المصرية علينا أشرس وأكذب حملة فى تاريخها الحديث.. ولم يكن أيا منها يهتم إلا بأن يشغلنا للابتعاد عن قضيتنا الرئيسية: الدفاع عن مقدسات هذه الأمة..

يا حمقى.. لم تحركنا دنياكم.. بل آخرتنا..

يا هلكى.. لم نكن نبحث عن الغنائم بل الشهادة..

لقد سلطوا مثلا على شخصى الضعيف ما لم يسبق أن وجه إلى كاتب من القذارات والأكاذيب[٤٦].. وأضحت روايتى قصر العينى فجأة هى المشكلة الكبرى فى الوطن.. وراحت عشر صحف ومجلات على الأقل تنشر عنها الأكاذيب والأعاجيب.. ولم يفتنى والله يا ناس أن أراجع نفسى.. قلت : لعل بعض ما يقولونه صحيحا .. و أن الشيطان الذى يجرى منا مجرى الدم يمكن أن قد خدعنى عن نفسى فتسلل فى بعض فقرات منها.. خفت والله يا ناس من الله.. دفعت بالرواية إلى صديق من السلفيين المتشددين الذين يختلفون معى فى أفكار كثيرة.. قلت له اقرأها .. اقرأها لا بعين الإبداع بل بعين الدين.. فإن كان فيها ما يخدش الإيمان بحرف تبرأت منها.. فحتى لو كان الشيطان نفسه هو الذى يهاجمنى فيها فما بالى لا أنقذ نفسى لأتوب قبل ألا تكون هناك توبة.. ولأحاسب نفسى قبل أن يحاسبنى الله.. عاد إلى الصديق بعد أسبوع ليقول بل هى كتاب هائل يحض على الإيمان.. اطمأن قلبى يا ناس أننى لم أخطئ فى حق الله.. ثم كانت مفاجأة أخرى حين قال لى أحد الأصدقاء أن صحيفة القاهرة التى لا أقرؤها قد نشرت خبرا منسوبا إلى الصحفى البارز محمد عبد القدوس خبرا فى سطرين يقول أن مأمون الهضيبى قرأ رواية القصر العينى وأنه وجدها عادية وليس فيها شئ.. ليس لدى مصدر آخر أؤكد أو أنفى به هذا الخبر[١] لذلك لن أعلق عليه لكننى أقول حسبى الله ونعم الوكيل.[٤٧]

ومع ذلك مرة أخرى يا حمقى.. هاجمونى كما شئتم لكن دافعوا عن القرآن ..

اقتلونا.. لكن دافعوا عن القرآن..

١- المقصود تأكيد هل صرح المستشار الهضيبى بذلك أم لا، لكن المؤكد أن مخبرى القاهرة نشروا هذا التصريح، وظاهر التصريح لا يصب فى صالحهم، بل يصفعهم ويثبت كذبهم، ولما كان المعروف عنهم أنهم لا يحرصون على الصدق، فقد تنبهت للاحتمال الآخر، وهو أنهم اخترعوا هذا الخبر لاستدراج الإخوان المسلمين لمقصلة الحكومة.

لكن هجومكم كان والله شهيدا والأمة شاهدة- لكي تشغلوني عن مواصلة الحملة في الدفاع عن القرآن..

عنّ لي أن أواجههم لكنني سألت نفسي في حزن معظمهم ليسوا كتاباً وإنما جمعية المنتفعين بوزارة الثقافة والوزير .. وأنني لو واجهتهم بالقلم فسوف أرتكب حماقة من يحاول بالمنطق إقناع جندي أمن مركزي ألا يطيع أمر قيادته.. ووالله يا ناس.. لا أقولها استنتاجا بل علما .. أن بعضهم - على الأقل - تكتب له مقالاته في بعض الأجهزة وترسل إليه فيدفع بها إلى المطبعة حتى دون أن يقرأها..

ولعل بعض هذه الأجهزة هي التي أرسلت خطيبا إلى مسجد مجاور لجامعة الأزهر كي يخصص خطبته للهجوم على صحيفة الشعب وعليّ!.. والحقيقة يا قراء أنكم السبب.. فهذه العلاقة الوثيقة الحميمة بيننا وبينكم هي التي دفعت سلطة تعودت أن يكون الكاتب كاهنا يدعو لعبادة الفرعون إلى أشد درجات القلق من وجود كاتب أو صحيفة يتأثر بالناس ويؤثر فيهم.. لذلك عليكم أن تتوقعوا يا ناس أن يكثف الشيطان حملاته لفصم عرى هذه العلاقة الحميمة.. ولكن .. إذا كانوا قد خدعونا كثيرا فيما مضى فليس لنا بعد معركة القرآن أن نخدع مرة أخرى.. فأخيرا يا ناس وقع الشيطان في الخطأ القاتل الذي كشفه أبد الآبدين..

لن أجادلهم يا ناس.. لكنكم وقد عرفتم حقيقة الأمر أصبح عليكم مواجهتهم..

يا ناس.. إن القضية قضية الأمة كلها..

وإنني أقسم لكم بالله الذي لا إله إلا هو أن ما يقولونه عن تدبير وتخطيط وانتخابات هو محض كذب.. وأنني حين غضبت فإنما كانت غضبتي لله الواحد القهار ولم يخالطها شئ لسواه.. إنهم يتكلمون عن الانتخابات.. وأنتم تعلمون يا ناس أنني على سبيل المثال لست حتى عضوا في حزب العمل.. وتلك تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه.. وأنني منذ أكثر من ثلاثين عاما..عندما أدركت فساد الحياة السياسية والثقافية في بلدنا اعتزلت الوسط كله ولجأت إلى داري أبحث عن حقيقة تنقذني من عذاب النار يوم القيامة.. ثم لماذا يخططون للانتخابات في حزب العمل والانتخابات كما تعلمون والمجلس سيد قراره.. فكيف يدخلون كل هذا الهزل في كل هذا الجد.. ولماذا.. ألكي يسوغوا للأمة أن قضية سب القرآن مفتعلة.. ماذا إذن عن موقف الكاتب الشريف فاروق جويدة

فـــي الأهـــرام؟ مـــاذا عـــن موقف اللجنة الدينية فى مجلس الشعب[48] .. ماذا عن شرفاء آخرين لم تكد تخلو منهم رغم طوفان الظلام صحيفة..

يا أمة .. القضية قضية الأمة وليست قضية الشعب أو حزب العمل..

أغلقـــوا حـــزب العمـــل وصـــادروا الشـــعب لكـــن دافعـــوا عـــن الثوابت والمقدسات..

بأكـــثر الطـــرق تحضـــرا ورقـــيا واجهـــي يـــا أمـــة.. لماذا مثلا لا يلجأ أعضـــاء هيـــئات الـــتدريس فـــى الجامعـــات إلـــى عقد مجالس طارئة للأقسام يســـجلون فـــيها اعتراضـــهم علـــى الجـــرأة على الله و القرآن الكريم والرسول صـــلى الله علـــيه وســـلم لـــيس فى كتاب حيدر حيدر وحده بل فى مئات الكتب الـــتى أصـــبحت تشـــكل مـــنهجا لـــوزارة الـــثقافة ولتتصاعد هذه القرارات إلى مجـــالس الكلـــيات فالجامعـــات فتشـــكل وفـــدا لمقابلـــة الرئيس كى تطرح عليه حقـــيقة الكارثـــة.. كارثـــة أن أجهـــزة الدولـــة الرســـمية ممثلة فى وزارة الثقافة تنشر الكفر والعهر بين الناس..

إنـــنى واثـــق أن الرئـــيس لـــو اطلـــع على التفاصيل الحقيقية للأمر لاختلف قـــراره..

قولـــوا للرئـــيس أيضـــا أن أبســـط كـــتاب فى علم السياسة والاجتماع يقول أنـــك لكـــى تهـــدم مجـــتمعا عليك أن تدمر إيمانه بالله كخطوة أولى.. وتلك تمهد الطـــريق للخطـــوة الثانـــية وهـــى نشـــر الفاحشـــة والعهر.. وتلك تمهد للخطوة الثالثة: وهى انهيار ذلك المجتمع..

قولـــوا للرئـــيس أيضـــا أنـــه حـــتى لـــو لم يشأ أن ينظر للأمر من مفهومه الديـــنى رغـــم أنـــنى لا أرى إلا هـــذا المفهوم الدينى- فإن عليه أن ينظر إليه مـــن مـــنظور الأمـــن القومـــى.. فمجتمع ازدري دينه وانتشر العهر فيه مجتمع لا يمكن أن يصمد فى أى مواجهة عسكرية أو حضارية..

قولـــوا للرئـــيس أنـــه لـــو كـــان قد استجاب لرجائى له بأن تصدر رئاسة الجمهوريـــة بـــيان اســـتغفار إلـــى الله وتـــبرؤ من الكتاب السافل .. ومن منهج وزارة الـــثقافة لحقـــق بيـــن الـــناس شعبية لم ينلها رئيس مسلم منذ قرون.. ولما عانت الأمة من هذا الاحتقان الذى تعانيه الآن..

إنـــنى أناشـــد فـــئات المجـــتمع الأخرى – وأخص المحامين والقضاة – بأن يفعلوا ذلك أو مثله..

أناشـــد الـــوزراء مـــثلا.. فلـــيس مـــن المعقول ولا من المتصور أن يكونوا جمـــيعا مـــثل فـــاروق حســـنى.. أناشـــدهم أن يجـــتمعوا ويتفقوا فيقنعوا رئيس

الـــوزراء فيذهـــبوا إلـــى الرئـــيس ليقولوا له : يا سيادة الرئيس : الناس على حق ونحن أخطأنا..

يا أمة .. حكاما ومحكومين..

إن المعـــركة ليســت معــركة صـــحيفة ولا حـــزب ولا كاتـــب.. المعركة معـــركة الأمـــة.. معـــركة القـــرآن.. وعليكم أن تخوضوها حتى لو أغلق الحزب وصودرت الصحيفة وقتل الكاتب..

وتلـــك نقطـــة أخـــرى أحـــيطكم علما بها يا قراء.. لقد بدأت تهديدات بالقتل تصـــلنى .. حاولـــت فـــى الـــبداية أن أخفيها عن أهل بيتى .. لكنها وصلت إليهم أيضـــا.. فلـــم يفـــزعوا[٤٩].. ولـــم يكونـــوا أقل منى حرصا على المواصلة حتى استشهادٍ أظننى أقل عند الله من أن أنالـــه..

إنـــنى لـــم أبلـــغ جهـــات الأمـــن[٥٠] .. ثقـــة بالله ورضا بالمقدور.. إلا أننى أقـــول لكـــم يـــا نـــاس.. أنـــنى أشـــعر أن هواتفى مراقبة طيلة الفترة الأخيرة.. وأن أجهـــزة الأمـــن ربمـــا تكـــون قـــد ســـجلت هذه المكالمات التى هددتنى ولو شاءت لحددت المتهمين..

يـــا نـــاس.. والله مـــا ظننـــت أن تصل الأمور إلى هذا الحد.. ولا أن يكون عبـــيد الشـــيطان فـــى بلادنـــا بهـــذه الكـــثرة.. لكن ما حدث .. يدل على عمق الاختراق الذى طالما حذرنا منه..

اعلمـــوا يـــا نـــاس ومـــيزوا بيـــن الـــناس بمن وقف مع القرآن ومن وقف ضده..

و اعلمـــوا.. أن مـــن لا إيمـــان لـــه لا أمـــان لـــه.. وأن معظـــم النخـــبة المســـيطرة الظاهـــرة لا تـــتورع عـــن كـــذب ولا عن خيانة ولا عن عار.. إنها ليســـت يســـارية ولا شـــيوعية وإنمـــا هى ببساطة فئة المنافقين التى حذرنا منها القـــرآن.. فـــئة تبطـــن الكفـــر وتظهر الإيمان .. وأن هؤلاء الناس ينظرون إلى الإســـلام وإليـــنا كمـــا يـــنظر مـــبدعهم حيدر حيدر الذى يقول فى صفحة ٥١٠ من كتابه الملعون:

"ضـــحك الـــرجل وهـــو يـــرمم جـــثة البدوى فيه : لكننى ملحد كما تعرفيـــن .. الشـــرف والـــبكاة (لعلـــه يقصـــد الـــبكارة) وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام" .

لا تعترضوا يا قراء.. فنقادنا الجهابذة يرون أن هذا الكلام السافل البذيء إبداعا..

لا تعترضوا وإلا هاجموكم كما هاجموني..

نقادنا الذين كنت ما أزال - ربما لأنني قاطعتهم منذ سنوات - أحتفظ ببعض احترام لهم[٥١].. نقادنا هؤلاء قد كذبوا عليكم يا قراء أما اللجنة التي كتبت التقرير فقد خدعتكم.. أحصيت بضعة أماكن - أظنها ثلاثة - فأنا لم أقرأ التقرير لأنني أعلم أنه هراء.. في مواجهة لهم أحصى الدكتور محمد سليم العوا خمسة وستين موقعا للفجر والكفر والعهر في الكتاب الذي يدافعون عنه..

كنت مشاركا لهم في الندوة على الهاتف.. ووالله يا ناس لو أنني ظننت بهم الجهل لما ثار في نفسي كل هذا الغضب.. كانوا يدلسون على الأمة.. واستشهد أحدهم بأربعة مواقع ادعى أنها إيمانية وراح يتلوها بصوت متهدج.. وفي واقعة فذة فريدة - أتمنى دون أمل أن يذيعها التليفزيون[٥٢] المصري - بدأ الدكتور محمد سليم العوا يقرأ ذات الفقرات الأربعة مرة أخرى.. فإذا بالناقد الجهبذ قد سكت عن جملة في أول الفقرة أو نهايتها تكشف أن الجملة التي استشهد بها كجملة إيمانية ليست إلا كفرا بواحا[٥٣]..

تصورت أن يسقط الناقد الجهبذ من الخجل..

لكنه تجاهل تماما ذلك وراح يدافع بحجج أخرى..

تماما كما تعاملنا أمريكا وإسرائيل.. ما أن تكشف حيلتهم في موقع حتى يتركوه إلى موقع لم تكتشف فيه حيلهم بعد..

وإنني أناشد الاخوة المحامين أن يرفعوا قضية على كتاب تقرير الوزير لأنهم تعمدوا إخفاء الحقيقة عن الأمة..

في تلك الندوة قلت لهم ما لو مسّ الحديد لذاب وما لو طرق أذني أعتى الخطاة لتاب..

قلت لهم أنني استمعت إلى تقاريرهم النقدية وأنها كانت سيئة.. لكن الأسوأ هي تقاريرهم الأمنية.. وتمنيت عليهم لو أنهم تركوها لضباط شرطة..|وقلت لهم أن المبدع ليس جنسا ثالثا من البشر.. يولد مبدعا ويموت مبدعا.. وأنه يمكن مثلا أن يفقد القدرة على الإبداع في أي وقت.. تماما كما أن الإنسان قد يفقد الذاكرة بل أن يفقد العقل.. وقلت لهم أنه في عالم الطب على سبيل المثال فإن الحصانة الطبية تسبغ حمايتها على

الطبيب الجراح طالما يمارس عمله فى حدود خبرته.. وأنه حتى لو مات المريض أثناء إجراء العملية الجراحية فلا تثريب على الطبيب ما دام قد حاول أن يفعل أقصى ما فى وسعه..لكن هذا الطبيب نفسه إذا خرج خارج حجرة العمليات واستعمل نفس المشرط ليخدش إنسانا فإنه يفقد حماية الحصانة الطبية له على الفور ويعامل كمجرم عادى.. فلماذا يا نقادنا الجهابذة لا نعامل المبدع على هذا الأساس.. وأن نسبغ حماية الإبداع عليه طالما احترم ثوابت الأمة ومقدساتها فإن اجترأ عليها سقطت عنه هذه الحماية على الفور..

قلت لهم أنهم يخدعون الناس عندما يتحدثون عن شخوص روائية تخيلية من حقها أن تقول ما شاءت دون أدنى مسئولية من الكاتب عن قوله[٥٤].. وقلت أنه حتى لو صح ما يقولون فإن ذلك ينتهى على الفور فى اللحظة التى تتناول فيها هذه شخصية معروفة محددة .. أى شخصية عادية فلا أستطيع أن أكتب رواية مثلا فأورد فيها اسم فارق حسنى[٥٥] فأسبه وأقذفه بما أشاء لأدعى بعد ذلك أننى غير مسئول عما ورد.. لأنه على لسان شخوص تخيلية.. قلت لهم لم يصل إبداع أى مبدع من مبدعيكم إلى أن يمس ولو بشعرة ملكه أو رئيسه أو حتى أصغر ضابط فى بلاده.. لم يجرءوا ولم تجرؤا .. فلماذا لا تدافعون عن حرية الإبداع إلا إذا كان العمل الذى تدافعون عنه يهدم الثوابت..

أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية معروفه.. كيف جاز لكم إذن أن توافقوا على سبه.. أليس القرآن أقدس مقدساتنا.. كيف هان عليكم أن تدافعوا هذا الدفاع الشائه عن الخراء ونقطة وعلامة تعجب.. فماذا قلتم فى "خرا بربك" ؟!.. وقد تكررت مرات عديدة .. ولماذا هذه النظرة المتعالية على الأمة والناس الذين وصفتموهم فى كتاباتكم بالغوغاء ..

يا ناس.. ألا إنهم هم السفهاء لكن لا يعلمون..

كان الدكتور محمد سليم العوا يقرأ بعض المقاطع الفادحة الفاجعة التى وردت فى الرواية الملعونة..مثل:

ص٥٩٤

فى تلك الأيام الأخيرة بدا مهيار الباهلى رغم يأسه العام ودمار أحلام ثاراته كأنما انقد جسده وتوهجت روحه الخاصة بنار أسمها : فلة بوعناب ..

كانــت نــارا شخصية تراءت له بغتة فى وقت الضيق تراءت العليقة الملتهبة لموســى فى الوادى المقدس طوى. خاطبته: أنت فى الوادى المقدس فاخلع ثيابك وتقدم . بغتة خلع أستاره كلها وتعرى. اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بوعــناب: العاهــرة المقدسة التى وطئها الثوريون والمنفيون والسفلة والخنازير ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الثمرة .."

ص٥٩٢ "خــرا بــربك دعــك مــن الانحطــاط العضــوى . ما حدث كان خارقا."

ص٣٤٨ (وهــنا يــا قــراء فــإن المؤمــن ولــيس الملحد كما دلس علينا النقاد هو الذى يتحدث)..

" فــى تلــك اللــيلة تحــدث عــن تحطــيم الأوثــان الــتى أقامها الآباء والأجــداد ، وضــرورة الانفصــال عــن الدين والله ، والأخلاق والتقاليد ، والأزمــنة الموحلــة والجــنة والجحــيم الخرافيــن وطاعــة أولــى الأمر والوالديــن والــزواج المــبارك بالشــرع وســائر الأكاذيــب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب " .

ص٣٢٢ "بعــيدا عــن هــذا شــد ما تبدو غريبة حكايات وهرطقات هذه المــرأة المســماة : فلــة بوعــناب المــرأة الــتى ســقطت سهوا شواطئ بونــه حيــث نســيها الله بعــد أن أختار لها زاوية من زوايا الجحيم قائلا لهــا: امكــثى هــناك ملعونــة إلــى أبــد الآبدين فترد بصرخة شيطانية : فى مؤخــرتى الحــياة الآخــرة وأنهــارك العسلية وينابيع الكوثر . هذه حياتى الأولى والأخيرة وما تبقى خذه. سامحتك فيه. أعطه لعبادك الصالحين ."

***

إنــنى أكــتفى الآن بهــذا القــدر يــا قــراء.. آمــلا أن يعــود بعض من يهاجمونــنا إلــى الحــق.. فــوالله مــا هى بقضية سياسية وإنما مسئولية دينية.. ووالله ليس إبداعا بل إجراما فى إجرام..

إن أحــيلكم إلــى ضــمائركم.. لقــد تجنبــت أى تعلــيق.. لكن إذا سمحتم اقرءوا المقاطع السابقة مرة أخرى..

مع النقاد الجهابذة كنت أقول:

هــا أنــتم قــد ســمحتم للإبــداع الشيطانى أن يحكم على الله وعلى القرآن وعلــى الرســول صــلى الله علــيه وســلم .. فهــل يــا ترى تسمحون للقرآن

أن يحكم على مثل هذا الإبداع.. ويبدو أن صورتى الإرهابية اكتملت عندهم آنذاك.. وقلت لهم هل من المعقول أن تضعوا القرآن فى مرتبة المحكوم بالإبداع وليست له أى سيطرة على الإبداع بينما هو المسيطر المهيمن على دنيانا و آخرتنا..

كنا نتكلم لغة مختلفة..

لذلك لم أسألهم.. إذا كانت كل هذه الحمية فى الدفاع عن حق حيدر حيدر فى التهجم على الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، أين كانوا وعملا أدبيا لى يصادر منذ عام ٩٢ وحتى الآن .. عملا كانت به قصة قصيرة عنوانها: "مباحث أمن الوطن" وصودرت المجموعة كلها منذ ذلك الوقت وكنت أتحدث عن التعذيب وحقوق الإنسان وكانت جميع شخوصاتى تخيلية ولم أذكر الأسماء الحقيقية.. صودرت المجموعة وصودر حقى فى الإبداع ولم يتصد من النقاد الجهابذة ناقد..

ألم أقل لكم يا ناس أنه النفاق..

ألم أقل لكم يا ناس أن كل جهدهم لصرفنا عن مجهودنا الرئيسى فى إثبات أن هناك اختراقا وغزوا ثقافيا.. يتهدد ثوابتنا ومقدساتنا.. ليست المسألة مسألة حيدر حيدر ولا مسألة كتاب واحد و إنما فساد المنهج..

***

يا أمة..

وأنا أراجع كتب الفقه فى حكم من سب الله والرسول اكتشفت أن انفعالى الطاغي قد أوقعنى فى خطأ عندما قلت الفاسق ابن الفاسق ..و.. ما كان لى أن أتعرض للآباء[٥٦].. وهذا ذنب أضرع إلى الله أن يغفره لى.. أما من سب الله والقرآن والرسول فهيا بنا إلى جولة سريعة فى كتب الفقه (لم يصلنى حتى الآن يا قراء أنها ممنوعة !)..

***

حكم من سب الله سبحانه تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

قال ابن حزم الظاهري في المحلى :

مَسْـألةٌ : مَـنْ سَـبَّ رَسُـول اللهِ صلى الله عليه وإلــه وسلم أوْ اللهَ تَعَالى، أوْ نَبِـيًّا مِـنْ الأنْبِـيَاءِ ، أوْ مَلَكًـا مِـنْ المَلائِكَةِ ، أوْ إنْسَانًا مِنْ الصَّالِحِينَ ، هَل يَكُونُ بِذَلِكَ مُرْتَدًّا – إنْ كَانَ مُسْلِمًا – أمْ لا ؟

وَهَل يَكُونُ بِذَلِكَ نَاقِضًا لِلعَهْدِ – إنْ كَانَ ذِمِّيًّا – أمْ لا ؟

قَـال أبُـو مُحَمَّـدٍ : اخْـتَلفَ الـنَّاسُ فِيمَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وإلــه وسـلم أوْ نَبِـيًّا مِـنْ الأنْبِـيَاءِ ، مِمَّنْ يَقُولُ : إنَّهُ مُسْلِمٌ : فَقَالتْ طَائِفَةٌ : لَيْسَ ذَلِكَ كُفْـرًا . وَقَالَـتْ طَائِفَـةٌ : هُـوَ كُفْـرٌ..(..).. لكِنْ يُقْتَلُ مَنْ شَتَمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وإلــه وسلم .

وَأمَّـا سَـبُّ اللهِ تَعَـالى – فَمَـا عَلى ظَهْرِ الأرْضِ مُسْلِمٌ يُخَالِفُ فِي أنَّهُ كُفْرٌ مُجَـرَّدٌ ، إلا أنَّ الجَهْمِـيَّةَ ، وَالأشْـعَرِيَّةَ – وَهُمَـا طَائِفَـتَانِ لا يُعْـتَدُّ بِهِمَـا – يُصَـرِّحُونَ بِـأنَّ سَـبَّ اللهِ تَعَـالى ، وَإعْلانَ الكُفْرِ ، لَيْسَ كُفْرًا ، قَال بَعْضُهُمْ : وَلَكِـنَّهُ دَلِـيلٌ عَلَـى أنَّـهُ يَعْـتَقِدُ الكُفْـرَ ، لا أنَّـهُ كَافِرٌ بِيَقِينٍ بِسَبِّهِ اللهَ تَعَالى وَأصْـلُهُمْ فِـي هَـذَا أصْـلُ سُـوءٍ خَـارِجٌ عَنْ إجْمَاعِ أهْلِ الإسْلامِ – وَهُوَ أنَّهُمْ يَقُولُـونَ : الإيمَـانُ هُـوَ التَّصْـدِيقُ بِالقَلْـبِ فَقَطْ – وَإنْ أعْلنَ بِالكُفْرِ – وَعِبَادَةُ الأوْثَانِ بِغَيْرِ تَقِيَّةٍ وَلا حِكَايَةٍ ، لكِنْ مُخْتَارًا فِي ذَلكَ الإسْلامَ .

قَـال أبُـو مُحَمَّـدٍ رحمــه الله : وَهَـذَا كُفْـرٌ مُجَرَّدٌ ؛ لأنَّهُ خِلافٌ لإجْمَاعِ الأمَّـةِ ، وَلِحُكْـمِ اللهِ تَعَـالى وَرَسُـولِهِ صَـلى الله عَلَـيه وسلم وَجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَمَـنْ بَعْدَهُـمْ ؛ لأنَّـهُ لا يَخْـتَلفُ أحَدٌ – لا كَافِرٌ وَلا مُؤْمِنٌ – فِي أنَّ هَذَا القُرْآنَ هُـوَ الـذِي جَـاءَ بِـهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وإلــه وسلم وَذَكَرَ أنَّهُ وَحْيٌ مِنْ اللهِ تَعَـالى ، وَإنْ كَـانَ قَـوْمٌ مِـنْ الـرَّوَافِضِ ادَّعُوا أنَّهُ نُقِصَ مِنْهُ ، وَحُرِّفَ ، فَلمْ يَخْتَلفُوا أنَّ جُمْلتَهُ – كَمَا ذَكَرْنَا . وَلمْ يَخْتَلفُوا فِي أنَّ فِيهِ التَّسْمِيَةَ بِالكُفْرِ (..)

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني :

فَصْـلٌ : وَمَـنْ سَـبَّ اللهَ تَعَـالى ، كَفَـرَ ، سَـوَاءٌ كَـانَ مَازِحًا أوْ جَادًّا . وَكَذَلِـكَ مَـنْ اسْـتَهْزَأ بِـاللهِ تَعَـالى ، أوْ بِآيَاتِـهِ أوْ بِرُسُلِهِ ، أوْ كُتُبِهِ ، قَال اللهُ تَعَـالى : {وَلَئِـنْ سَـألتَهُمْ لَيَقُولُـنَّ إنَّمَـا كُـنَّا نَخُـوضُ وَنَلعَـبُ قُل أبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُـولِهِ كُنْـتُمْ تَسْـتَهْزِئُونَ لا تَعْـتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ } . وَيَنْبَغِي أنْ لا يُكْـتَفَى مِـنْ الْـهَـازِئِ بِذَلِـكَ بِمُجَرَّدِ الإسْلامِ ، حَتَّى يُؤَدَّبَ أدَبًا يَزْجُرُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَإنَّـهُ إذَا لَـمْ يُكْـتَفَ مِمَّـنْ سَبَّ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالتَّوْبَةِ فَمِمَّنْ سَبَّ اللهَ تَعَالى أوْلى .

و قال ابن فرحون المالكي في "تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام :

فَصْلٌ فِيمَنْ سَبَّ اللهَ تَعَالى أَوْ المَلَائِكَةَ أَوْ الأَنْبِيَاءَ أَوْ سَبَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم :

وَقَدْ اسْتَوْعَبَ القَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله الكَلَامَ فِي هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لِغَيْرِهِ مَقَالا ، وَقَال رحمه الله :

لا خِلافَ إنْ سَابَّ اللهَ تَعَالى مِنْ المُسْلِمينَ كَافِرٌ حَلالُ الدَّمِ وَاخْتُلِفَ فِي اسْتِتَابَتِهِ .

وَرِوَايَةُ ابْنِ القَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلا يُسْتَتَابُ .

وَقَال المَخْزُومِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ وَابْنُ حَازِمٍ : لا يُقْتَلُ بِالسَّبِّ حَتَّى يُسْتَتَابَ .

مَسْأَلَةٌ : وَأَفْتَى ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِيمَا حُكِيَ عَنْهُ فِي رَجُلٍ لَعَنَ رَجُلا وَلَعَنَ اللهَ ، وَقَال : إنَّمَا أَرَدْت أَنْ أَلْعَنَ الشَّيْطَانَ فَزَلَّ لِسَانِي ، فَقَال : يُقْتَلُ بِظَاهِرِ كُفْرِهِ وَلا يُقْبَلُ عُذْرُهُ ، وَهُوَ مَعْذُورٌ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالى .

فَصْلٌ : وَكَذَلِكَ الحُكْمُ فِي سَبِّ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام .

قَال القَاضِي عِيَاضٌ : مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَوْ عَابَهُ أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِهِ ، أَوْ عَرَّضَ بِهِ أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ وَالازْدِرَاءِ عَلَيْهِ ، أَوْ النَّقْصِ لِشَأْنِهِ أَوْ الغَضِّ مِنْهُ وَالعَيْبِ لهُ فَهُوَ سَابٌّ تَلْوِيحًا كَانَ أَوْ تَصْرِيحًا ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَعَنَهُ أَوْ ادَّعَى عَلَيْهِ أَوْ تَمَنَّى مَضَرَّةً لهُ ، أَوْ نَسَبَ إلَيْهِ مَا لا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِ عَلَى طَرِيقِ الذَّمِّ ، أَوْ عَبَثَ فِي جِهَتِهِ العَزِيزَةِ بِسُخْفٍ مِنْ الكَلَامِ أَوْ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنْ البَلاءِ وَالمِحْنَةِ عَلَيْهِ ، أَوْ غَمَّصَهُ شَيْءٌ مِنْ العَوَارِضِ البَشَرِيَّةِ الجَائِزَةِ وَالمَعْهُودَةِ لدَيْهِ قُتِل .

قَال : وَهَذَا كُلُّهُ إجْمَاعٌ مِنْ العُلَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الفَتْوَى مِنْ لدُنْ الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم إلى هَلُمَّ جَرًّا .

و في الموسوعة الفقهية :

تَكْفِيرُ مَنْ سَبَّ اللهَ عَزَّ وَجَل :

اتَّفَـقَ العُلَمَـاءُ عَلَـى تَكْفِـيرِ مَـنْ سَبَّ الذَّاتَ المُقَدَّسَةَ العَلِيَّةَ أَوْ اسْتَخَفَّ بِهَا أَوْ اسْـتَهْزَأَ ، لقولـه تعـالى : { قُـلْ أَبِـاللهِ وَآيَاتِـهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }

وَاخْتَلَفُوا فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ فَذَهَبَ جُمْهُورُ الفُقَهَاءِ إِلى قَبُولِهَا .

وَذَهَـبَ الحَـنَابِلَةُ إِلَـى عَـدَمِ قَـبُولِهَا ، وَيُقْـتَلُ بِكُلِّ حَالٍ ، وَذَلِكَ لأَنَّ ذَنْبَهُ عَظِـيمٌ جِـدًّا يَـدُلُّ عَلَـى فَسَـادِ عَقِيدَتِهِ . وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ للآخِرَةِ ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي تَوْبَتِهِ قُبِلَتْ بَاطِنًا وَنَفَعَهُ ذَلِكَ .

و فيها أيضا :

تَنْزِيهُ الأَنْبِيَاءِ عَنْ السَّبِّ وَالاسْتِهْزَاءِ :

كُـلُّ مَـنْ سَـبَّ نَبِـيًّا مِنْ الأَنْبِيَاءِ ، أَوْ عَابَهُ ، أَوْ أَلْحَقَ بِهِ نَقْصًا فِي نَفْسِهِ ، أَوْ نَسَـبِهِ أَوْ دِيـنِهِ ، أَوْ خَصْـلَةٍ مِـنْ خِصَالِـه ، أَوْ عَرَّضَ بِهِ ، أَوْ شَبَّهَهُ بِشَيْءٍ عَلَـى طَـرِيقِ السَّـبِّ لَهُ ، أَوْ الإِزْرَاءِ بِـهِ ، أَوْ التَّصْغِيرِ لِشَأْنِهِ ، أَوْ الغَضِّ مِنْهُ ، أَوْ العَيْبِ لَهُ ، فَهُوَ كَافِرٌ .

وَكَذَلِـكَ مَـنْ لَعَـنَهُ ، أَوْ دَعَـا عَلَيْهِ ، أَوْ تَمَنَّى مَضَرَّةً لَهُ ، أَوْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا لا يَلِـيقُ بِمَنْصِبِـهِ عَلَـى طَـرِيقِ الـذَّمِّ ، أَوْ عَبِثَ فِي جِهَتِهِ العَزِيزَةِ بِسُخْفٍ مِنْ الكَـلامِ وَهَجْـرٍ ، وَمُـنْكَرٍ مِـنْ القَـوْلِ وَزُورٍ ، أَوْ عَـيَّرَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَرَى مِنْ الـبَلاءِ وَالمِحْـنَةِ عَلَـيْهِ ، أَوْ غَمَصَـهُ بِـبَعْضِ العَـوَارِضِ البَشَـرِيَّةِ الجَائِـزَةِ وَالمَعْهُودَةِ لَدَيْهِ.

قَـالَ إِسْـحَاقُ بْـنُ رَاهَوَيْـهِ : أَجْمَـعَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّ اللهَ ، أَوْ رَسُـولا مِـنْ رُسُـلِهِ ، أَوْ دَفَـعَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَ – أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَ – أَنَّهُ كَافِرٌ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُقِرًّا بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ اللهُ .

وَالسَّـابُّ إِنْ كَـانَ مُسْـلِمًا فَإِنَّـهُ يَكْفُـرُ وَيُقْـتَلُ بِغَيْرِ خِلافٍ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَإِنْ كَانَ ذِمِّيًّا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ عِنْدَ الجُمْهُورِ.

وَقَالَ الحَنَفِيَّةُ : لا يُقْتَلُ ، وَلَكِنْ يُعَزَّرُ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ .

وَفِي فَتْحِ القَدِيرِ

وَأَمَّا تَوْبَةُ السَّابِّ عِيَاذًا بِاَللَّهِ تَعَالَى فَلا تُقْبَلُ عِنْدَنَا ، وَعِنْدَ مَالِكٍ فَقَبْلَ التَّوْبَةِ يُقْتَلُ كُفْرًا وَبَعْدَهَا حَدًّا وَلا تَعْمَلُ تَوْبَتُهُ فِي إسْقَاطِ قَتْلِهِ عِنْدَنَا وَلا فَرْقَ بَيْنَ تَوْبَتِهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ شَهِدَ الشُّهُودُ عَلَيْهِ وَلا فَرْقَ بَيْنَ سَبِّهِ صَحْوًا أَوْ سُكْرًا وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ الْهُمَامِ التَّقْيِيدُ فِي السُّكْرِ بِكَوْنِهِ بِسَبَبٍ مَحْظُورٍ وَعَدَمِ إكْرَاهٍ وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رحمه الله تعالى تُؤَثِّرُ تَوْبَتُهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ فِي إسْقَاطِ قَتْلِهِ وَتَسَبَّبَ الْخِلافُ فِيهِ بَيْنَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِخِلافِ سَبِّهِ تَعَالَى؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم يُمْكِنُ إلْحَاقُ الْمَعَرَّةِ فِي جِنْسِهِ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى كَذَا فِي التَّبْيِينِ أَيْضًا لَعَلَّ ذَلِكَ مُخْتَلِفُ أَحْوَالِ السَّابِّ عَمْدًا وَخَطَأً وَصَلاحًا وَفِسْقًا كَمَا أُشِيرَ فِي مَحَلِّهِ ، وَأَمَّا سَبُّ الشَّيْخَيْنِ وَقَذْفُ عَائِشَةَ رضي الله تعالى عنهم فَكُفْرٌ كَنَفْيِ خِلافَتِهِمَا وَسَابُّ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَلْعُونٌ مُوجِبٌ لِلنَّكَالِ الشَّدِيدِ .

***

إننى أشعر الآن يا أمة بما كان يشعر به أستاذنا وسيدنا العالم العلامة محمود شاكر..

كان قد فتح هذه القضية منذ نصف قرن.. وفى عام ١٩٦٤ بدأ كتابة مقالاته التى نشرها بعد ذلك فى كتابه أباطيل وأسمار.. كان يكتب عن ذات القضية.. الغزو الثقافى.. ويبدو أن هذه النقطة من المحرمات وكأنها طلسم تركه الأعداء بيننا كى يمكنهم من السيطرة علينا أبدا..

لم يمكنوا العلامة محمود شاكر من إكمال مقالاته..

حولوا القضية وجهة سياسية وصادروا المجلة التى كان يكتب فيها واعتقلوه..

وفى كتابه يختم القضية ببيتين من الشعر لأبى العلاء المعرى:

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة..

فأفّ من الحياة وأفّ منى ومن زمن سياسته خساسة..

وإلى الأسبوع القادم إن شاء الله إن كنا على قيد الحياة .. وخارج السجون..

***

وكانت هذه الكلمات آخر ما نشر..

فقد اتخذت السلطات فى مصر أغرب موقف يمكن أن تتخذه دولة ينص دستورها على إسلاميتها.. كان يمكن للدولة أن تترك جحافل التنويريين -المسيطرين على كافة وسائل الإعلام- تنال منا وأن تتصنع هى الحياد .. لكنها فى قرار بالغ الحماقة انضمت إليهم..وقامت السلطة فى بلد الأزهر بإغلاق صحيفة الشعب المصرية لأنها دافعت عن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم -..

حاصروا من يدافع عن لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله، وتضاعف النشر ضدنا بعد إغلاق الشعب وأوصدت أمامنا كل أبواب النشر للرد على أكاذيبهم.. لكن الله قيض الله لنا من ينقل أصواتنا .. و..

هل كانت السلطة تنصر ميليشياتها الثقافية ولو بالباطل؟!.. أم أنها على دينهم وما هم سوى جنودها.. فلما رأت عجزهم عن مواجهتنا قررت قتلنا بالخنق..

المذهل هو كيف عميت البصائر حتى لم ير من اتخذ هذا القرار أنه ينهش فى نظام الدولة لا فينا.. ويخنق شرعيتها.. ثم أن خنقنا : أمام الله والتاريخ والأمة لا ينهى القضية بل يزيدها حياة واشتعالا ..

كان رأى المؤسسة الدينية قد صفع الوجوه حين أثبت أن ما ورد بالرواية كفر.. وأن من يقرأها فيعتبر أن ما بها إبداعا فهذا أيضا كفر..

أسكت من يدافع عن لا إله إلا الله وبقى من لا يعترض على وصف القرآن بالخراء.. بقوْا يشوهون الوعى ويستنزفون الذاكرة..

كانت القضية دينية.. وحولوها هم إلى قضية سياسية..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..

فاللهم.. احكم بيننا وبينهم..

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان الأزهر

الأزهر

مكتب الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشـــأن

رواية (وليمة لأعشاب البحر) لمؤلفها السيد حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة

***

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على لجنة البحوث الفقهية فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية لعرضها فى جلسة استثنائية لمجمع البحوث الإسلامية حدد لها يوم الأربعاء ١٧ مايو سنة ٢٠٠٠ وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع فى جلسته الاستثنائية وتبين ما يأتى:

أولا: أن وزارة الثقافة التى نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة وذلك على خلاف ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢ فبراير سنة ١٩٩٤ (ملف رقم ٥٨/١-٦٦) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص

بالمصنفات وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وما يتبعه من إدارات هو صاحب الولاية في فحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام لإبداء الرأى فيها.

ثانيا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسول - صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل (ص: ٢١٩) ، وأنه نسى بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها (ص:٢٥٧)، وأنه أقام مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته (ص:٤٢٦).

كما يفترى على الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه تزوج أكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية، وخليلة، ومتعة (ص:١٤٨)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها(ص:٤٢٧،٤٢٦).

وأنه حرف في آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله : " والله تعالى قال في كتابه العزيز: " إذا بليتم بالمعاصى فاستتروا)" (ص: ١٤٨)، كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج على الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب (ص:٣٤٨).

ثالثا: إن الرواية خرجت على الآداب العامة خروجا فاضحا وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ فى الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفظا على الحياء العام الذى انتهكته الرواية.

رابعا: إن الرواية لم تكتف بذلك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم، والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامسا: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية " وليمة لأعشاب البحر" لمؤلفها حيدر حيدر خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة، والقيم القومية، ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة التى هى

الركــيزة الأساســية لبــناء الدولــة، ويضــع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون اســتطلاع رأى أهــل الاختصــاص المســئولية الكاملــة عــن هذا التجاوز والآثــار المترتــبة علــيه دينــيا واجتماعــيا وذلك على النحو الموضح تفصيل بالتقريرين المقدمين من عضوى مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولى التوفيق..

تحريرا فى ١٣ من صفر سنة ١٤٢١ هــ

الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠ م

شيخ الأزهر

الدكتور محمد سيد طنطاوى

***

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

تقرير عن رواية

(وليمة لأعشاب البحر) المؤلف: حيدر حيدر

طبع ونشر الــهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة

تقع فى ستمائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط وهى القصة الخامسة والثلاثون فى سلسلة آفاق الكتابة وسعر البيع أربعة جنيهات

***

بتكلــيف مــن لجــنة الــبحوث الفقهــية بالمجمع فى جلسة الأربعاء ١٠/٥/٢٠٠٠، قــرأت هــذه الــرواية قــراءة محــايدة فــى خمس وعشرين ساعة وقد وجدت فيها ما يأتى:-

أولا: الدعــوة إلــى الشيوعية والكفاح المسلح والاستيلاء على السلطة بالعنف والدماء:

١- مهــدى جــواد: (بطل الرواية) شيوعى بحى الكاظمية هارب من العــراق إلــى الجزائــر، نزل فى بلدة "بونة" وفيها حواراته مع النساء والشراب والبحر، والحقد على سلطان الإلــهة وميراث الأجداد المنقرضين ص٧٢.

٢- تخطيط للثورة المسلحة والحرب الشعبية مع الاستشهاد بقول لينين ونصيحته فى ذلك ص٧٤.

٣- دعوة إلى استلام السلطة بالعنف المسلح وتنفيذ أوامر لينين فى عدم المهادنة واتخاذ الطريق السلمى ص ٧٦.

٤- أن تكون شيوعيا حقا فهذا يعنى أن تقاتل حتى ترتوى الأرض بدمك ص ٧٦.

٥- أنا أرى فى ماركس أو لينين محمدا جديدا، محمد القرن العشرين، ماركس أو لينين العربى.. هذا ما نحتاجه فى هذا العصر المضطرب ص ٨٧.

٦- ما ينقصنا فى هذا الوقت الرخو والمتسيب هو إيمان وبسالة الصحابة الأوائل، بمثل أولئك يقدح الزناد فى الحجر البارد وتسطع الشمس من جديد ص ٨٨.

٧- وصف لحالة الحزب الشيوعى فى العراق وأخطاء القيادة التى أبعدته عن الاستيلاء على السلطة. وهو درس للأحزاب الشيوعية لتنظيم نفسها وعدم الثقة بوعود غيرها ص ١١٨-١٢٤.

٨- جاهدا حاول مهدى جواد أن يبين الفرق بين العرب القدامى والعرب المعاصرين. كيف يحاول الجيل الجديد التعبير عن الحياة ببساطة وصدق وحرية. الجيل القديم ما يزال الأقوى فى الوقت الراهن، لكن الصراع بين الجيلين سيكون مستقبلا لصالح الأجيال الجديدة المتطورة ص ١٥١.

٩- لقد بدأ المحققون الساديون فى أقبية التعذيب والمعتقلات وداخل القلاع العسكرية ووزارات الدفاع والداخلية والأمن القومى يحلون رموز الشيفرة بوضوح ومهارة ضرورة التحطيم الذرى لهيولى الجنين الماركسى النامى فى رحم الأرض العربية إلى أبد الآبدين. ص١٦١.

١٠- أريد أن أموت عاريا تحت الشمس فى غابة أو صحراء تأكل جثتى الصقور ووحوش البر. هذا أفضل وأهدأ لنفسى من صلوات الدجالين وقبور المسلمين المظلمة ص١٣٧.

١١- فهمت ! أنت وهم والإله إلى الجحيم.. إنما أنا رجل ملعون فقد الأب والإله ولا يريد غفرانا ص١٦٨.

١٢- فصل " نشيد الموت" وصف كامل ومفصل لما قام به الشيوعيون من الثورة المسلحة ومواجهة قوات الحكومة والاستيلاء على أسلحتها مع ذكر أسماء قيادات الشيوعية و أوامرها وما انتهت إليه المعركة المسلحة مع الضحايا وما رآه أحدهم من قتل الرفاق ودمائهم ورأى فوق غشاوة العينين ليلا مديدا نجومه كانت تتساقط وتنطفئ من ص ٣٥٧-٤٠٩.

ثانيا: الاستهزاء بثوابت العقيدة الإسلامية وإهانتها (الله الرسول القرآن . اليوم الآخر:

١-أسيرات الجهل والأسرة الأبوية ومجتمع الذكور والله وميراث القتل والوأد ص ٩٢.

٢-بلاد رازحة تحت عصور الظلمات، والرجال، والسلاسل، وجراثيم الله المهيمنة، والخصاء". ص٩٥،٩٣ .

٣-عندما تكون المقدمات خطأ فالنتائج خطأ. الوعى العميق بالتاريخ غائب وهؤلاء يهمشون التاريخ ويعيدونه مليون سنة إلى الوراء فى عصر الذرة والفضاء، والعقل المتفجر. يحكموننا بقوانين إلهة البدو وتعاليم القرآن.خراء!. ص ١٢٩.

٤-لكن الله قال انكحوا ما طاب لكم ورسولنا المعظم كان مثالنا جميعا، ونحن على سنته، لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية، وخليلة، ومتعة، وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: "تناسلوا تناسلوا فإنى مفاخر بكم الأمم"، (الصواب : تناكحوا تناسلوا) ..

واستبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة، أما أنتم فتريدونها شيوعية، والله تعالى قال فى كتابه العزيز: (إذا بليتم بالمعاصى فاستتروا) : (كذا! ليست آية)..

وصرخ مهدى ضاحكا: يا عم الحاج رغبنا فى الاستتار، فإذا بمخابرات ربى تقرع الأبواب الموصدة. ص١٤٨.

٥-حول الثقافة والحضارة الأوروبية انطلق حوار مقتضب طرح على شكل أسئلة وجهها مهدى إلى منار. كانت تجيب بالفرنسية. آسيا ترجمت الجمل الصعبة. لخصت فكرتها بأن الأوروبيين عفويين أكثر صدقا مع الحياة منا وأقل تعقيدا. يعبرون عن أحاسيسهم ببساطة وحرية. أما العرب فمتعصبون محكومون بشروط التقاليد الموروثة. ليسوا أحرارا من الداخل. ص ١٥١.

٦- كـم كانـت إلـهوّة عميقة، كم كان الخراب كثيفا! فى تلك الأزمنة، أزمـنة العواصـف بـدا مريـرا بـأن التنبؤ بأن رب هذه الأرض كان يزحف وهو ينسل من عصور الرمل والشمس ببطيء السلحفاة. ص ١٥٧.

٧- أنف آسيا الكبير: قالت: هو من صنع ربى، لماذا تسخر منه؟!

-لابد أن ربك فنان فاشل إذن.ص ٢١٩، ص٢٢٠.

٨- داخـل هـذه الأهـواز الـتى خلقها الرب فى الأزمنة الموغلة فى القدم ثـم نسـيها فـيما بعـد لـتراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها حيث الزمـن يـدور علـى عقبـيه مـنذ ألفـى عـام. كان آلاف البشر الـهامشيون يعيشون حياة بائسة، منحطة تذكر بعصور ما قبل التاريخ. ص ٢٥٧..

٩- فلة بو عناب. امرأة مومس. يصفها المؤلف:

"المـرأة الـتى سـقطت سـهوا علـى شواطئ بونة حيث نسيها الله بعد أن اخـتار لهـا زاويـة ضـيقة من زوايا الجحيم قائلا لها : امكثى هناك ملعونة إلى أبـد الآبديـن، فـترد بصـرخة شـيطانية: فى مؤخرتى الحياة الآخرة وأنهارك العسـلية وينابـيع الكوثـر، هـذه حـياتى الأولـى والأخـيرة، وما تبقى خذه، سامحتك فيه، أعطه لعبادك الصالحين. ص٣٢٢.

١٠- وفـى تلـك اللـيلة تحـدث عـن تحطـيم الأوثان التى أقامها الآباء والأجـداد وضـرورة الانفصـال عـن الدين والله، والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلـة، والجـنة، والجحـيم الخرافييـن، وطاعـة أولـى الأمـر والوالدين، والـزواج المـبارك بالشـرع، وسـائر الأكاذيـب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب. ص ٣٤٨..

١١- وكمـا أقـام الله مملكـته الوهمـية فـى فـراغ السماوات ليدخل فى خلـود ذاتـه بذاتـه، سـيقيم ذلك الجنرال المعتوه مملكته داخل النسيج الأرجوانى لـلأرض الـتى طويهـا باسـمه. المملكـة الـتى سـتزدهر على مدى السنوات الصـفراء متمطـية فـى إهـاب لحظـتها الأبدية بدءا من زواجاته المقدسة من عذارى القبائل بغية توحيدها أسوة بالرسول الأعظم.. ص ٤٢٦..

١٢- وهـو أى الجـنرال المعـتوه- يـردد فى سره: رب خذ بيدى فى مملكـتى لآخـذ بـيدك فـى مملكـتك، ربى زدنى أرصدة فى الدنيا والمصارف لأزيدنـك ابـتهالا فـى الآخـرة، ربى لتكن منافعنا متبادلة وليتحقق القصد الذى من أجله ولدتنى فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية.ص٤٢٧..

١٣-وفي ذلك الزمن الأسود زمن الخنوع والغروب، ما كانت تلك القطعات قد دمرت إلهتها القديمة، ولا خرجت من أرحام أجدادها ومقابر طواطمها. كان حبل السرة ما يزال موصولا مع الأزمنة الرعوية وأزمنة عبادة الواحد القهار في السماء والأرض، وذلك الذى يقول للشيء كن فيكون. ومن خلال تلك إلهشاشة الرثة والرسيس العكر المترسبين فى أعماق القلب الضعيف، والدماغ النحلى، كان يتبختر أى خنزير أو لواطى أو لص أو قاتل ليتوج نفسه ملكا فى تلك الأرض الخراب.ص٤٣٣..

١٤-لم أسمع ولم أر إلا خذ وهات. إله المال كان يصرخ صراخ وحش جائع فى غابة. الإله السماوى إلههم الذى يصومون له ويركعون من أجله فى الجوامع، كان يداس ويجرجر. كانوا خاشعين أمام الإله الجديد. الدينار. ص ٤٥٦.

١٥- لكننى ملحد كما تعرفين، الشرف والبكارة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام. ص٥١٠..

١٦- فاجأ نفسه متلبسا داخل مقبرة الأسلاف، ينقر الشواهد باحثا عن عظام النقاء والعفة والوضوء. البقايا التى خيل إليه أنه دفنها فى الصحراء وبال على ترابها..

أوقف هذا الهراء القديم يا مهدى بن عبد المطلب الديناصورى الحميرى : قال لنفسه وهو يرى زجاجة النبيذ الأحمر..

١٧- لا إله إلا الله الحى القيوم الدائم الباقى والذى لا تأخذه سنة ولا نوم. هـأ. عينى!. ينتفض مهيار من هذا الاستخفاف، فيتحدث عن فلة التى أشعلت النيران فى العراء تحت الزمهرير. فلة المساوية لروح الله الجامعة.هبطت كالروح القدس فجمعت الجسد إلى النفس وأعادت تناسق التكوين الأول بعد اختلاله. ص ٥٩٣.

١٨- فلة بو عناب: " كانت نارا شخصية تراءت له بغتة فى وقت الضيق كما تراءت العليقة الملتهبة لموسى فى الوادى المقدس طوى، خاطبته: أنت فى الوادى المقدس، فاخلع ثيابك وتقدم، فجأة خلع أستاره كلها وتعرى، اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بو عنّاب العاهرة المقدسة التى وطئها الثوريون والمنفيون والسفلة والخنازير ثم لفظوها لفظ النواة بعد امتصاص الثمرة. ص ٥٩٤.

١٩- مهيار يؤكد بأنه نجا بجسد "فلة" . " لقد افتدتني كما افتدى الله اسماعيل بالكبش.. يضحك مهدى جواد: إنها المرأة وكفى. مليون مرة وصفناها لك كتميمة، لكن لا حياة لمن تنادى يا مسيو طهارة.ص ٥٩٣..

ثالثا: إهانة حكام العرب ووصفهم بأقذع و أقبح الأوصاف:

١- تتوقف قليلا لالا فضيلة أم آسيا ومنار لتسأل مهدى: قل لى يا سى مهدى عندكم كاين اشتراكية. يضحك . فى العراق وسوريا ومصر وسائر بلاد العرب لا يوجد غير النهب والقتل والأكاذيب. الحكام العرب يا خالة " لالا" حلاليف وطغاة وأعداء لشعوبهم. هؤلاء يتحدثون عن الاشتراكية كما يتحدث الحاج محمد عن الدين، ولكن كما الدين برئ من الحاج كذلك الاشتراكية بريئة من حكامنا.ص ١٥٣.

٢- من خلال تلك الهشاشة الرثة والرسيس العكر المترسبين فى أعماق القلب الضعيف، والدماغ النحلى، كان يتبختر أى خنزير أو لواطى أو لص أو قاتل ليتوج نفسه ملكا فى تلك الأرض الخراب . ص ٤٣٣..

٣-كانت مدينة جميلة مطوقة بالبحر والغابات، لكنها كأى مدينة عربية كانت متوحشة ومحكومة بالإرهاب، والجوع، والسمسرة، والدين، والحقد، والجهل، والقسوة، والقتل. ص ١٢.

رابعا: عبارات فاضحة في الجنس ومنافية للآداب العامة:

١- ما الذى تخشاه فيهن فى الإفريقيات الجزائريات يا سى مهيار؟

- لبؤات ورثن من الغابة شراستها

تقول " فلة" مستفزة، وهى تجهز مقلاة اللحم: لبؤات يا قديس! والحرارة والجلد الطرى هذا تنساه. هاه . نحكي واللا ...

- حرارة وطراوة الأفعى..

- تعرو " فلة" حالة هرج فاحش . تأخذ جرعة نبيذ من كأسها. اللبؤة تبحث عن ليثها. نحن الأفريقيات ننتشى بالقوة. هنا المرأة لا تخون إلا الرجل الذى لا يروى أرضه جيدا. ها. ها. ص ٥٧ وص ٥٨.

مــع ضـحكاتها الفاسـقة تحديـدا تمـد يـدا تحـت المائدة وتجس ما بين فخذى مهدى. ص٥٨.

٢- ما الذى يفعله رجل وامرأة إذا ما انفردا فى حجرة مغلقة؟.

دود رأس الحـاج محمـد وجراثـيم سـلالته كانـت تشـير نحو الفاحشة. ص ٥٩.

٣- تصـوروا يـا نـاس . يـا هوه . يا كائنات . رجل على أبواب القـرن الواحـد والعشـرين فـى مدينة تعج بآلاف النساء يتعبد فى محراب امـرأة واحـدة مـنذ عاميـن. تسـألـه: شـنو عينى. لم هذه التقوى للرب الأحـد! يـزم شـفتيه ثـم يعقـد غضـون الجـبهة ويؤدلج: شف حبيبى ذو الـنون: إنـى رجـل مخلـص. البنـت بنـت شـهيد. وأنـا وفى لميراث الثورة..ص ٤٦٦..

٤- يقـول مهـدى وهـو يـرفع زجاجـته: نخـبك ذو النون. أنت جوهرة فى عالم موحل. صدقنى. طيز أم الذى لا يحبك. ص ٤٦٧..

٥- صـرخ داود وهـو يحفـر ليـنزع الـزجاجات مـن الـرمل : يا عجوز يا سكران ممنوع الحديث فى البوليتيكا المنيكة. ص ٤٦٨.

٦- قـواد . شـنو تفهـم أنـت غـير فى النيكا !.. يا ولد يا معود اتـبع الـدم. اتـبع الجسـد شهوة الدم الأنثوى. رائحة المرأة التى تنسج حول جسـد الذكـر هالـة فيصـعد الحنيـن الأمومـى الـبخار.. الجنون الجنون العظـيم للجسـد المـتألق فى جحيم مجده. الجنون الذى يلغى العقل والإرادة فيضـعهما تحـت هيمـنة دوى تلـك الصـرخة البدائـية للوحش وهو يندفع محمومـا نحـو أبهـة الأنـثى.. هـذا الـذو الـنون الزانى الزنديق. خاطئ أو مصـيب. وجـودى أو سـريالى. واقعـى أم مـثالى. هـذه التصـنيفات لا تعنيـنى. الكـأس والكـس مـنجاتك يـا ولـد فى هذه الدنيا الفانية. هذه فلسفتى فى حياتى. ص ٤٦٩.

٧- فلـة بـو عـناب أيـتها المومـس المقدسة أيتها النجمة. آه. آه.. يـا ولـد يـا داود. لقـد غفـرت لك، انكح كل صبيان بونة وأنا شفيعك يوم القيامة. قال ذلك بغبطة مطلقة. ص. ٤٧٠

٨- حلوفة قحبة. هم العرب خير منا؟.

إذ يقـتربان ويعـبران بيـن كراسـى القـش. تعلو الـهمسات تتقذف الغيرة وأشواق الجنس. ها. شوف أخويا شوف. لبوة بونية مع ذئب شرقى.

-بالسلامة. عضو الغريب حلو. وحق ربى. كما العسل الجزائرى.

- عنابية خايبة. عشها راح. أى طائر غريب يضع فيه بيضه.

- واش. واش. قضيب الجزائرى كما الحديد السخون.

- هذه الفحلة الطويلة قتلتنى. أى على ليلة معاها. عمرها لن تنساه.

- كل يوم مع هذا الحلوف العراقى. واحنا واش ندبر هنا.

- راح الاستعمار الرومى، و هاهو الاستعمار العربى ينيك فينا

عندما يسأل مهدى جواد مستفزا عن هذه الغيرة. تقول آسيا هازئة من الوضع: لماذا خيرهم يروح لغيرهم. الأفارقة غيورون بطبعهم. رؤوسهم عامرة بالسكس. ص ٥٠٥ و ٥٠٦.

٩- عندما صفعها على ردفيها براحة كفه ظهر من منعطف الطريق رجلان نظراتهما تطق استفزازا.

- حلوف. ألا ترى الناس.

- الرابية تدعو الأصابع.

- لا تختلف عنهم. رأسك بين فخذيك..

- وضحك الرجل وهو يرمم جثة البدوى فيه، لكننى ملحد كما تعرفين. الشرف والبكارة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى منذ عشرات الأعوام. ص ٥٠٩ و ٥١٠.

١٠- يضحك مهدى جواد. إنها المرأة وكفى. مليون مرة وصفناها لك كتميمة ولكن لا حياة لمن تنادى يا مسيو طهارة.

- خرا بربك. دعك من الانحطاط العضوى. ما حدث كان خارقا. ثمة أمور خارجة عن نطاق المعقول. ما حدث لى صرت من جماعة اللا معقول . ص ٥٩٢.

١١-لقد غمرته المرأة والدفء والحنو واللذة. أعطته فى لحظة الصقيع وتوقف جريان الدم نبضها وحرارة دمها. اندفعت داخله كحبل سرى أمومى لتغذيه وتعيد له حرارة جسده الميت. ص ٥٩٤ و ٥٩٥..

١٢-يصف مهدى جواد ليلته مع آسيا فى غرفة النوم:

- كان يداعب تلال المؤخرة وحلمة الثدى.

- للتنويع. الأمان لكم أنتم الرجال كالأمان للحنش الأرقط. ضحك وهو يجمعها إلى جسده. صح والله صح. خلق الرجل للمبيت فى أكثر من عش. تلك رغبة ربنا ونبينا محمد أول (كذا) المرسلين.

- أى عش يفضل وريث الأنبياء؟

- الدافى والضيق والذى يغطيه بالأعشاب الندية فى أوقات الحمى وهبوط الوحى. ص ٦٠٩.

١٣- ولأنه كان ملحدا ومجوفا كان يتصور أن الله يتقمص المرأة ويغويه فى جسدها ثم يخطف روحه ليعاقبه فى عرش مملكته. وهكذا كن يأتين معطرات. الخ ص ٦١٣...

... لكنه كان يرتعد لحظة ولوجهن وهو تحت السطوة البرقية للجسدين اللذين سيباغتهما الله وهما مشتبكان.

وحده الذى يرى الآن محمولا على محفة أو جرف صخرى أو تابوت المقبرة. حى وميت وحوله الجسد.

أصوات: مولاى صل وسلم على حبيبك خير الخلق كلهم.

صوت: مولاى . مولاه. مولاكم..

أصوات: بل هو ربى وربك. ورب المشرقين ورب المغربين..

وينتهى فى هذه المشاهد بعد صفحة كاملة إلى قوله:

- كان فى الغيبوبة التى تشبه الموت إثر سهرته قرب المرأة الحميمة. ص ٦١٣ ٦١٥.

١٤- فى حوار بين مهدى جواد ومهيار الباهلى: هناك تتجرد من أقوى موهبة تتميز بها.

- أى موهبة مسيو عقل.

- موهبة القضيب وبكارة الإست.

- ها. ها. ها. لا. عينى لا. كلش ولا هذا. نعترف ثم نوقع صك براءة ونتخلى عن الشيوعية. أما الخصى. واللواط والطيز فلا. إننى حريص جدا على مداخل ومخارج الشرف العربى. ص٦٥٣.

==================

وبعـد: فإنــه مــن غــير المعقول أن تقوم وزارة مسئولة فى نظام حكم لبلد مسـلم بطـبع ونشـر هـذه الـرواية (وليمة لأعشاب البحر) وأن تدعمها ماليا لتيسر قراءتها للجميع وقد نقلت منها ما يدعو ويدعم الأفكار الآتية:-

١- الدعـوة إلـى الشـيوعية، والكفـاح المسـلح، والاسـتيلاء على السـلطة بالعـنف، وإراقـة الدمـاء اسـتجابة لتعالـيم مـاركس ولينين! الأنبياء الجدد.

٢- الاسـتهزاء بثوابـت العقـيدة الإسـلامية وإهانتها بجرأة وبذاءة نادرة : الله، الرسول، القرآن، اليوم الآخر. كل مواريث الآباء والأجداد.

٣- إهانــة الحكـام العـرب ومـنهم "حكـام مصر" ووصفهم بأقبح وأقذع الأوصاف، مع سيل من الشتائم المتناهية فى القبح.

٤- دعـوة فاضـحة إلـى الجـنس العارى من أى غلالة، واستباحة قاموس الألفاظ الصريحة فى الوقاع وأعضائه للذكر والأنثى ولا حياء.

قلـت: غـير معقـول أن تقـوم هيـئة مسئولة فى نظام الدولة بطبع ونشر وتدعـيم مـثل هـذه الـرواية. ولعلهـا لا تـدرى ما فيها، و أن الذين اختاروها خدعوا رئاستهم، ولكن الشاعر يقول:

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة.. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

ولـو أن أحـدا أدخـل هـذه الـرواية خلسة وضبطت عنده لحاكمته الدولة علـى جلـب هـذه المفاسـد الـتى تصـيب وحـدة هذه الأمة وتدعو إلى الفتنة والحرب والدم بين أبنائها.

فهل صرنا فى زمن اللا معقول!! نرجو ألا يكون.

أ.د. عبد الرحمن العدوى

عضو مجمع البحوث الإسلامية

تحريرا فى: ١٤٢١/٢/١٠هـ

١٤/٥/٢٠٠٠م

***

تقرير عن رواية (وليمة لأعشاب البحر)

بقلم

الدكتور محمد رأفت عثمان

عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة

عضو مجمع البحوث الإسلامية

***

الرواية من تأليف حيدر حيدر كاتب سورى، طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر سنة ١٩٩٩ وهى مكونة من ٦٩٠ صفحة عدا الفهرست، من القطع المتوسط.

والانطباع العام عن هذه الرواية أنها مكتوبة بأسلوب ركيك، غامض فى كثير من صفحاتها، لا فكر فيها، ولا تنبئ عن ملكة فنية عند كتابتها، مليئة بالعبارات الفاحشة الخادشة للحياء، والتى تحقر وتهين المقدسات الدينية، ما بين الاستهزاء بذات الله تبارك وتعالى، والسخرية بأحكام شريعة الإسلام، وإهانة القرآن الكريم، ويتبين ذلك مما يأتى:

١- فى ص٩ يقول المؤلف : " فبدا كالرخام فخذاها الناصعان المكتنزان"

٢- فى ص ١٢ يضع المؤلف الدين بين كل الأشياء المبغوضة، فيقول فى سياق وصفه للمدينة التى نزلها: " كانت مدينة جميلة مطوقة بالبحر والغابات، لكنها كأى مدينة عربية كانت متوحشة، محكومة بالإرهاب، والجوع، والسمسرة، والدين، والحقد، والجهل، والقسوة، والقتل"

٣- فى ص١٦ يقول المؤلف على لسان بطل روايته: " نحن الآن فى المطهر، لسنا فى مسجد الله، أو كنيسته، هذه برارينا ونحن هنا إلهة هذه البرارى"

٤- يصف المؤلف الذات الإلهية بالجهل، فيقول فى سياق كلامه عن العراق فى ص٣٨ : " ودخول شمس العراق تحت الخسوف الرمادى، حيث لن يعرف لا الحزب، ولا الرب متى ستشرق الشمس من جديد".

٥- في صـ٤٨ يصف المؤلف رجلا متدينا سماه الحاج محمد- والرمز واضح في اختياره اسم محمد قائلا عنه: " وبالدمدمات الأخلاقية التي يطلقها ذهنه الملتاث بالأموال والصلوات والكبت الجنسي".

٦- في صـ ٥٨ يقول المؤلف: " مع ضحكاتها الفاسقة تمد يدا تحت المائدة وتجس ما بين فخذي مهدي".

٧- في صـ٧٨ : "أنا أرى في ماركس، أو لينين محمدا جديدا، محمد القرن العشرين، ماركس، أو لينين العربي، هذا ما نحتاجه في هذا العصر المضطرب".

٨- في صـ٩١ يقول المؤلف واصفا شعور مهدي بطل روايته: " امتزج الغبن بالغضب، لاحت على شاشة رأسه بلاد رازحة تحت عصور الظلمات، والرجال، والسلاسل، وجراثيم الله المهيمنة، والخصاء"

٩- يقول المؤلف أيضا على لسان بطل روايته مهدي جواد لصديقته في صـ ٩٤: " إن قوانينك تخرج من قوانينك الداخلية لا من قوانينهم الدينية والعمياء، إنهم يكمموننا بالطقوس البائدة طقوس الصحراء والحريم".

١٠- لا يهتم المؤلف بصحة كتابة الآيات القرآنية التي تجئ فيبعض صفحات روايته، فيقول في صـ١١٤: " والله تعالى قال في كتابه العزيز(إنا خلقناكم فوق بعض درجات) " ويقول المؤلف أيضا في صـ ١٤٨: " والله تعالى قال في كتابه العزيز(إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا)"

١١- في صـ١٢٧ نوع من كلماته الفاحشة، يقول على لسان إحدى نساء روايته: " كل شئ مسموح لهم، أما النساء فليس لهن إلا فتح الفخذين، يا للحلاليف، طيز أمكم، تفوه"

١٢- في صـ١٢٩ يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: " في عصر الذرة والفضاء، والعقل المتفجر، يحكموننا بقوانين آلهة البدو وتعاليم القرآن.خـراء".

١٣- في صـ١٤٧يقول المؤلف على لسان أحد أشخاص روايته: " هذا أفضل وأهدى لنفسي من صلوات الدجالين وقبور المسلمين المظلمة".

١٤- كتب المؤلف حوارا بين بطل روايته مهدي وشخص آخر أسماه الحاج محمد يقول فيه مهدي: هل أحببت في حياتك؟ وقال الحاج: واحدة واحدة على سنة الله ورسوله.

- طبعا تزوجتها؟

- أكيد

- ولكن الله قال انكحوا ما طاب لكم ورسولنا المعظم كان مثالنا جميعا، ونحن على سنته، لقد تزوج أكثر من عشرين امرأة بين شرعية، وخليلة، ومتعة، وكان صلوات الله عليه وسلم يقول: تناسلوا فإنى مفاخر بكم الأمم، استبد الغضب بالحاج: الرسول تزوج حسب الشريعة، أما أنتم فتريدونها شيوعية، والله تعالى قال فى كتابه العزيز: (إذا بليتم بالمعاصى فاستتروا) وصرخ مهدى ضاحكا: يا عم الحاج رغبنا فى الاستتار، فإذا بمخابرات ربى تقرع الأبواب الموصدة.

١٥-الرواية مليئة بالعبارات الجنسية الفاحشة، مثل ما فى ص٢٠٥ تقول إحدى بطلات روايته فلة بو عناب لمهيار الباهلى: " لأول مرة أتعرى، هم كانوا يعرونني، رشيد الفلسطينى مزق سروالى ونام معى أربع مرات فى ليلة واحدة.. مرسى المصرى بعد أن يشرب النبيذ والحشيش كان يتحول إلى منشد شعبى وهو يضاجعنى حتى الصباح، ذو النون العراقى كان يبكى بين فخذى وهو يهذى بالشعر، ويقول المؤلف ص٢٠٧: " بدأت فلة بوعناب العارية تمارس بالقلم شهوتها، وتتأوه، وكانت جالسة على البساط فارجة ساقيها، وبينما قلم الباهلى (الرجل الذى معها فى الحجرة) يهتز ويحتك بحواف فرجها وبظرها وهى تئن وتهذى".

وقال المؤلف فى ص٢١٨: " رأى فرجها يبكى، ثم يضحك، ثم يغلى، ثم يصرخ باللذة".

١٦-يتمادى المؤلف فى كفرياته فيقول فى ص٢١٩: " تجذبه آسيا من شعره فيلتقى بصراهما: أنت لى، ها، عليك أن تفهم هذا منذ الليلة، ويضحك، أنفها الكبير المفلطح يواجهه، يقرص أنفها، لكن أنفك هذا سيعترض مستقبلنا

-هو من صنع ربى، لماذا تسخر منه؟!

-لابد أن ربك فنان فاشل، إذن.

١٧- في صـ ٢٥٧ يقول المؤلف: "داخل هذه الأهواز التي خلقها الرب في الأزمنة الموغرة في القدم ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها"

١٨- يقول المؤلف في صـ٢٨٣: "بذلك سيوسوس لها وهو يوغل في أعماق رحمها الاستوائي المندّى" ويقول في نفس الصفحة: "ثم تطعمهم من طهو يديها وما يدره ثدياها وفرجها من المن والسلوى"

١٩-يصف المؤلف إحدى نساء روايته(فلّة بوعناب) في صـ٣٢٢ قائلا: "المرأة التي سقطت سهوا على شواطئ بونة (اسم بلدة في الجزائر) حيث نسيها الله بعد أن اختار لها زاوية ضيقة من زوايا الجحيم قائلا لها امكثي هناك ملعونة إلى أبد الآبدين، فترد بصرخة شيطانية: في مؤخرتي الحياة الآخرة وأنهارك العسلية وينابيع الكوثر، هذه حياتي الأولى والأخيرة، وما تبقى خذه، سامحتك فيه، أعطه لعبادك الصالحين"

٢٠-في صـ٣٤٨ يقول المؤلف: "وفي تلك الليلة تحدث عن تحطيم الأوثان التي أقامها الآباء والأجداد وضرورة الانفصال عن الدين والله، والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموحلة، والجنة، والجحيم الخرافيين، وطاعة أولي الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التي رسمتها دهور الكذب".

٢١-في صـ٤٢٦و٤٢٧ يقول المؤلف: "وكما أقام الله مملكته الوهمية في فراغ السماوات ليدخل في خلود ذاته بذاته، سيقيم ذلك الجنرال المعتوه مملكته .. بدءا من زواجاته المقدسة من عذارى القبائل بغية توحيدها أسوة بالرسول الأعظم.. وهو يردد في سره: رب خذ بيدي في مملكتي لآخذ بيدك في مملكتك، ربي زدني أرصدة في الدنيا والمصارف لأزيدنك ابتهالا في الآخرة، ربي لتكن منافعنا متبادلة وليتحقق القصد الذي من أجله ولدتني فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية".

٢٢-فـــى صـــــ٤٥٥ يقــول المؤلــف: " وهـــى فى غمرة نشوتها تروى لــه للمـــرة الألــف كــيف بكـــى مرسى الولد المصرى فى فراشها، ثم كيف لعق بظرها بطريقة صبيانية تشبه امتصاص الثدى بعد أن بكى نام بين ساقيها"

٢٣-فـــى صـــــ٤٦٧ يقــول المؤلــف علـــى لسان أحد أشخاص روايته: " أنت جوهرة فى عالم موحل، طيز أم الذى لا يحبك".

٢٤-فـــى صـــــ٤٦٨ يقــول المؤلــف: " يــوازى بين حبه لهذه الصحبة الحميمة وبين فروج النساء التى يعبدها".

٢٥-فـــى صـــــ٤٦٩ يقــول المؤلــف: " يقــول المؤلــف على لسان أحد أشخاص روايته: " شنو تفهم انت غير النيكا".

٢٦-فـــى صـــــ٤٧٠ يقــول أيضـــا: " الله الله يا ولد يا داود، لقد غفر لك، انكح كل صبيان بونة(اسم المدينة التى يقيم بها) وأنا شفيعك يوم القيامة".

٢٧-فـــى صـــــ٥٠٦ يقــول: " راح الاســتعمار الــرومى، وهـــاهو الاستعمار العربى ينيك فينا".

٢٨-فـــى صـــــ٥١٠ يقــول المؤلــف: " وضــحك الرجل وهو يرمم جثة الــبدوى فــيه، لكنــنى ملحــد كمــا تعرفين، الشرف والبكارة وأخلاق المسلمين فى مؤخرتى من عشرات الأعوام".

٢٩-فـــى صـــــ ٥١٥ يقــول المؤلــف علـــى لسان إحدى نساء رواياته: "طيز أمهم خليهم يولوا".

٣٠- فـــى صـــــ٥٩٢ يقــول أحــد أشخاصـــه الذى سماه مهيار الباهلى لشخص آخر هو مهدى جواد : " خرا بربك".

٣١-فـــى صـــــ٥٩٤ يقــول المؤلــف: " خاطبــتك أنــت فـــى الـــوادى المقــدس، فــاخلع ثــيابك وتقــدم، فجأة خلع أستاره كلها وتعرى، اندفع فى اللهب فاكتشف الله فى جسد فلة بو عنّاب العاهرة المقدسة".

٣٢-صـــــ٦٥٣ يقــول: " نخــر مهــيار: لا يســلم الشــرف الرفيع من الأذى، وأتم مهدى: ما لم يراق على طيوزهم الدم"

وبعد، فهذا قليل من كثير ملئت به هذه الرواية المنحطة فى التعبير والفكر، والفن، و أرى مصادرتها، ومحاكمة مؤلفها وكل الذين ساعدوه على نشرها، بل أرى كفر مؤلفها، لذكره العبارات الساخرة بذات الله تبارك وتعالى، وبرسوله، وبالقرآن، وبالإسلام كله.

وإذا كان بعض المدافعين عن هذا النوع من الكتابة الساقطة يقولون أنه يحكى ذلك على لسان أبطال روايته فالرد:

أولا: أن بعض العبارات التى تؤدى إلى السخرية من الله عز وجل ومن رسوله ومن القرآن والإسلام جاءت على لسان الكاتب نفسه.

ثانيا: العبارات التى قالها المؤلف على لسان أشخاص روايته التى تؤدى إلى كفر قائلها تؤدى أيضا إلى كفر المؤلف، وذلك لأن ذكر الكفريات سواء أكانت أقوالا أم أفعالا إما أن تكون على سبيل الحكاية عن إنسان قالها أو صدرت منه فعلا، أو تكون على سبيل التخيل والاختراع لقول أو فعل لم يحدث فى الواقع.

فإن كان ذكر الكفريات حكاية عن إنسان قالها أو صدرت منه فهذا جائز فيما يأتى:

أولا: إذا كان ذكر هذا فى مقام بيان قبح هذا القول أو الفعل.

ثانيا: إذا ذكر هذا فى مقام بيان حكمة.

ثالثا: إذا ذكر هذا فى مقام بيان الرد عليه.

رابعا: إذا ذكر هذا فى مقام الشهادة.

خامسا: إذا ذكر هذا فى مقام بيان آراء الفرق والمذاهب، وإما إن كانت الكفريات قد عبر بها المؤلف على سبيل التخيل ولم ينطق بها صاحبها أو يفعلها فى الواقع وإنما هو فقط على لسان المؤلف فهذا محرم، بل ويصل فى رأيى إلى درجة الكفر، بدليل أنه لا يجوز لمؤلف رواية أو قصة مثلا أن يتخيل إنسانا معينا حقيقيا موجود على قيد الحياة أو توفاه الله فى موقف مهين ويكتب عنه فى الرواية أو القصة أنه كان يزنى مثلا،

ويجـــرى حـــوارا بيـــنه وبيـــن من يتخيل أنه يزنى بها، فإن هذا يعد جريمة قذف فى الشريعة والقانون مع أنه أجراه فى قالب روائى.

ولا يشـــفع لـــه أنـــه يتخـــيل ذلك وليس على سبيل الحقيقة والواقع، فإذا كان هـــذا لا يجـــوز بالنســـبة للإنســـان فهـــل مـــن المعقول أو المقبول أن يكون ذلك جائـــزا بالنســـبة إلـــى ربـــنا تـــبارك وتعالى؟! فأى عبارة تكتب تخيلا ولو على لســـان شخصـــية وهمـــية مـــن شخصـــيات الروايات أو القصص، أو غير ذلك يصـــدر عـــنها عـــبارة أو فعـــل فيه سخرية بالله عز وجل، أو برسوله صلى الله علـــيه وســـلم، أو بالقـــرآن، أو بأحكـــام الإســـلام تـــؤدى إلـــى كفـــر مؤلفهـــا، وقـــد وجدنـــا علماءنـــا رضـــى الله عنهم قد بينوا أنه إذا قال شخص عن عدوه: " لـــو كـــان ربـــى مـــا عـــبدته" فإنـــه يكفر، وكذا لو قال: "لو كان نبيا ما آمنت به "[1]، مع أن هذه العبارة هى فرض لما قد يحدث.

إن الإبـــداع فـــى الكـــتابة لا يكـــون بالســـخرية مـــن ذات الله عز وجل أو بإهانـــة المقدســـات، وإنمـــا الإبـــداع تعبـــير سام راق عن فكر محترم دينيا يتفق وتقالـــيد المجـــتمع وثقافـــته ومـــثله العليا، وأما غير ذلك مما يريدوننا أن نوافقهم علـــيه فهـــو لـــيس إبداعـــا ولا ينـــتمى إلـــى الأدب بـــل أحرى أن يوصف بقلة الأدب، بل بعدم الأدب.

---

١ – كفاية الأخيار، لأبى بكر الحصنى جـ٢ صـ٢٠٠.

القرضاوي يطالب مبارك بالتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة[1]

***

ناشد فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي الرئيس المصري حسني مبارك أن يتدخل لوقف الموجة الثقافية الفاجرة – حسب وصفه- عند حدّها، وشدد فضيلته على أهمية الحرص على وحدة الأمة، كما حيّا شيخ الأزهر والأزهر ورئيس جامعة الأزهر والطلاب والطالبات الذين وقفوا موقفا موحدا ضد رواية الكاتب السوري وليمة لأعشاب البحر التي طبعتها وزارة الثقافة المصرية وتسببت في حالة الهياج التي شهدها الشارع المصري مؤخراً، واعتبر د. القرضاوي في خطبة الجمعة أمس إن الرواية تدخل في باب الكفر مستنداً في ذلك علي بيان الأزهر الشريف ورأي فضيلته أن هذا العمل كفر بغض النظر عن الأشخاص واعتبر من قاله ورضي به كافرا.

1– نص المنشور فى صحيفة الراية القطرية: ١٩٩٩/٥/٢٠

العلامـــة القــرضـــاوي في خطبة الجمعة

(١٥ صفر ١٤٢٠   ١٩/٥/٢٠٠٠)

كُلٌّ ما في "وليمة لأعشاب البحر" مُنكر

أنـــا وأنـــتم وشـــيخ جـــامع الأزهـــر ومجمـــع الـــبحوث الإسلامية ورئيس جامعـــة الأزهـــر وخطـــباء المســـاجد فـــي العـــالم ظلامـــيون ووزير الثقافة المصري وحده يحمل النور !!!!!

تلخيص الخطبة بقلم د. حسن علي دَبَـا :

شـــن فضـــيلة العلامـــة د. يوســـف القرضاوي هجوما شديدا على وزارة الـــثقافة المصـــرية علـــى مـــا نشـــرته من رواية "وليمة لأعشاب البحر" لكاتب ســـوري واســـتنكر مـــا بهـــا مـــن مـــنكر وتحقير وإهانة الذات الإلهية والقرآن والرســـول والقـــيم الدينـــية وتحريضـــها علـــى الخروج على الشريعة الإسلامية وطالـــب فضـــيلته المســـؤول الأول فـــي مصر **الرئيس حسني مبارك** وناداه أن يوقـــف هـــذه الموجـــة الثقافـــية الفاجـــرة عند حدها وان يعيد الثقافة عند حقيقتها فـــلا يجـــوز أن نقســـم الأمـــة بين الثقافة الغربية المستغربة الصادة عن سبيل الله والســـائرة فـــي ركـــاب الشـــيطان والـــثقافة التي مع القيم الدينية مع الله ورسله وكـــتابه ومـــع الربانييـــن.. وشـــدد فضـــيلته علـــى أهمـــية وحدة الأمة خاصة فـــي هـــذا الـــزمان التعـــيس – حسب وصفه – الذي استغلته إسرائيل وبغت فيه وطغت، فينبغي أن نضم صفوف الأمة بعضها إلى بعضها.

ثـــمّ تـــابع الدكـــتور القرضـــاوي قـــائلاً : الكلمة الآن **للرئيس مبارك** الذي أســـأل الله أن يهديـــه ســـواء الســـبيل وأن يوفقـــه لموقـــف الحق الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

كمـــا حـــيا د. القرضـــاوي الأزهـــر وشـــيخ الأزهـــر ورغـــم اختلافه معه فـــي قضـــية الـــربا وغـــيرها وحـــيا جامعـــة الأزهر ورئيسها وطلاب الأزهر وطالـــباته وجـــريدة الشـــعب والكاتـــب الإســـلامي " **د. محمـــد عـــباس**" الذي صـــرخ فـــي الأمـــة قـــائلاً : "**لا إلـــه إلا الله : من يبايعني علي الموت**" . قال:

غضب الرجل لدينه، لربه وربما في غمرة هذا الغضب خرجت منه بعض الألفاظ في بعض الناس، لكن الإنسان في حالة غضبه يقول ما قد لا يحمد في بعض الحالات.. كما حيا الشاعر الكبير فاروق جويده في صحيفة الأهرام والمثقفين الشرفاء الذين وقفوا ضد هذا الباطل وهذا الفجور الأدبي، الذين يحترمون عقائد الأمة ومقدساتها.. أقف مع كل هؤلاء أشد أزرهم وأصلب ظهرهم.. بكل قوتي - وأقول الحق لا أخاف في الله لومة لائم..

وكان فضيلته قد بدأ خطبته متحدثا عن انشغال الأمة بهم جديد أضيف إلى همومها هو الهم الثقافي الذي بدأ بنشر وزارة الثقافة المصرية لرواية تسمي **وليمة لأعشاب البحر** - معبراً عن استغرابه من العنوان لكاتب سوري مغمور شهرته تلك الرواية شهرة كبيرة.. وقال: لم أشأ أن أتحدث عن تلك الرواية حتى أراها و(الحكم علي الشيء فرع عن تصوره) كما قال علماؤنا وقرأت ما يقارب نصفها أغالب نفسي فهي من أول صفحة تقزز نفس الإنسان المؤمن وهي رواية لا تعرف شيئا اسمه الحرام ولا العيب ولا تعرف الله ولا تقدره حق قدره ولا عجب.. فقد كتبها إنسان **نصيري** العقيدة **شيوعي** الفكرة ..

ثم ذكر فضيلته إن عقيدة الإنسان الدينية والأيدلوجية تنضح على فكره وعلى كتابته وعلى أسلوبه وكل إناء بالذي فيه ينضح،.. وأضاف: لكني سأتجاوز عن عقيدة الرجل الدينية والأيدلوجية ونحاكم النص الذي كتبه: لم استطع أن استمر في قراءة الرواية في اكثر من النصف، لقد بلغ الاشمئزاز مني مبلغه، فاكتفيت بتصفح الباقي وكلما تصفحتها وجدت أشياء وأشياء ينكرها الدين وينكرها الخلق، والعقل والأعراف كل ما فيها والعياذ بالله منكر، **فوجدت فيها اكثر مما انتقد عليها الناقدون**، في السطور وما بين السطور..

المؤلف يرسم شخصياته

وبدأ د. القرضاوي يرد على أصحاب الرأي الآخر الذين وقفوا مع الكاتب فقال:

" قالوا إن ما ذكره الكاتب جاء على ألسنة شخصيات الرواية.."

وأقــول نحــن نعــرف إن الــرواية قصة يتخيلها الكاتب، قد يكون لها اصل فــي الواقــع وقــد لا يكــون، هو الذي يرسم صورتها، مبدأها ونهايتها وعقدتها وحلهـــا، وهـــو الـــذي ينشـــيء شخصـــياتها وينطق هذه الشخصيات بما يريد أن تـــنطق بـــه ، يعـــبر عـــن نفســـه أو يعبر عن هذه الأشخاص ولو كان له فكرة معيـــنة فهـــو يجـــريها علـــى لســـان أحـــد الأشخاص ويقوي هذه الفكرة ثم يأتي الـــرد علـــيها مـــن الطـــرف الآخر ضعيفا، أو لا يأتي رد عليها قط . هذه حيلة نجدها عند القصاصين والروائيين.

وأضـــاف إذا كـــان مـــن حـــق الإنســـــان ألا يعري جسده أمام الجمهور: فهـــل مـــن حقـــه أن يُعـــري أدبـــه، وفـــنه أمام الناس؟ إن العري الذي في هذه الـــرواية عـــري فضـــائحي بأهدافهـــا وأســـلوبها وكتابـــتها أشـــد مـــن العـــري الجســـدي.. هـــل مـــن حـــق الإنســـان المـــبدع أن يتجرأ على الله وعلى رسله وعلـــى كتـــبه وعلـــى الـــيوم الآخر وعلى القيم والدين والأخلاق كما يفعل هذا الكاتـــب؟ أيســـتطيع أن يقـــول ذلـــك **لرئيس دولته** ، يتجرأ عليه ويقول كذا وكذا أم أن الديـــن والله والكتـــب والرســـل أصـــبحت الحـــائط الواطي التي يتجرأ عليها كل الناس.

ورجـــع بالذاكـــرة إلـــى مـــا مضـــي فقـــال: لقد رأينا كثيرا من القصاصين الكـــبار يذكـــرون النواحـــي الجنســـية ويتحدثون عن الشـــواذ والجناة واللواطين وتجـــار المخـــدرات لكـــنهم لا يذكـــرونها بمـــثل هـــذه الألفاظ المسفة العارية.. رأيـــنا ذلـــك فـــي قصـــص **محمود تيمور** ، و**توفيق الحكيم**، و**محمد عبد الحليم عـــبد الله**، و**الطيـــب صـــالح** و**نجيـــب الكيلانـــي** و**يوسف السباعي** و**إحسان عبد القـــدوس** رغـــم انهـــم ذكـــروا أشـــياء كثـــيرة تحدث في الفراش، لكن لم يجرؤ أحدهم ولم ينزل أحدهم إلي مثل هذا الدرك.

واســـتمر د. القرضـــاوي يـــرد: قـــالوا في أدبنا أشياء مكشوفة مثل ما قاله امـــرؤ القـــيس أو مـــثل مـــا ورد فـــي خمـــريات أبـــي نـــواس أو فـــي التغزل بـــالذكور.. وقـــال: بـــان هـــذه الأشياء في أدبنا لا تمثل الاتجاه العام، وليس لها اثـــر فـــي مجـــرى الحـــياة، وكانـــت أشـــياء خاصـــة يـــتداولها بعـــض الناس فـــي مجالســـهم أو يقـــرأها بعـــض الـــناس في كتبهم وكانت هذه الكتب محدودة الانتشار.

وتناول مظاهرة شباب الأزهر فقال: لقد عابوا علي طالبات وطلاب الأزهر أن غضبوا لهذا الدين: وهل يلام الإنسان إذا غضب لدينه . . وقال مثلاً : إذا مشيت في الشارع ومعك زوجتك أو ابنتك أو أختك ثم اجترأ عليها أحد من أولئك الفاسقين فنبذها بكلمة نابية جارحة: ألا تغار لها ؟؟ ألا يثور الدم في عروقك ؟؟ ألا تقف له بالمرصاد ؟؟ هذا ما يفعله الإنسان الحر، فالشريف لا يقبل أن يهان في عرضه..

أكان الدين أهون على الإنسان من العرض، أكان الله وقرآنه ونبيه محمد أهون لدى الإنسان المسلم من الغيرة على ابنته وامرأته وأخته ؟.

<u>وقرر:</u> لقد كان طلبة الأزهر وطلابه معذورين حينما سمعوا ما سمعوا وقرؤوا ما قرؤوا.

قالوا: " إن طلبة الأزهر لم يقرؤوا الرواية "

ورد: وهل يجب أن يقرأ جميع طلاب الأزهر وطالباته هذه القصة حتى يغضبوا من اجلها، لقد رأينا في صحيفة الأهرام كاتبا يدعي انه تقدمي يدافع عن الرواية وفي نفس الوقت يقول: أنا لم اقرأها.

وزير الثقافة يدافع عن الخط التنويري :

ورد فضيلة الدكتور القرضاوي على وزير الثقافة المصري فقال:

لقد قال وزير الثقافة: إننا منذ بضع عشرة سنة ونحن ننشر هذه الثقافة المستنيرة.. لنقاوم بها ثقافة الظلاميين الرجعيين وارتفع صوت د. القرضاوي يرد عليه: أنا وأنت وانتم أيها الاخوة ظلاميون : كل من يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله وفهم القرون الأولي لهذه الأمة خير القرون: كل هؤلاء ظلاميون.. أنا وأنت ظلامي .. الأزهر ظلامي ..شيخ الأزهر ظلامي .. مجمع البحوث ظلامي .. ورئيس جامعة الأزهر .. واللجنة الدينية في مجلس الشعب .. وحزب العمل، جريدة الشعب، الجمعيات الإسلامية في مصر وخطباء المساجد كلها ظلامى: هم إذن أهل النور!! وزير الثقافة وحده هو الذي يحمل النور! والثقافة المستنيرة !! وهي هنا الثقافة التي تَسخر بالدين وتستهين بالقيم الدينية ومن الله ومن رسله ومن كتب الله وقد سكت الناس على قصص وكتب وروايات دهر من

الزمن ثم كان لابد أن يحدث الانفجار: (ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار).

لا بأس بالمظاهرات

وأضاف : أنا لا أرى في تظاهرات الطلاب شيئا منكرا، إذا كان تظاهرا سلميا يجب أن نعود أمتنا ما تعودته أمم الحضارة من التظاهر السلمي.. وقد كنا طلابا في المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية في كليات الأزهر، وكنا نخرج نحتج على كل أمر يخالف الدين كل أمر يهتم به المسلمون: خرجنا من اجل فلسطين وتونس والجزائر ومراكش وسوريا ولبنان وكشمير.. الطلاب هم نبض الأمة لا يستطيعون العيش بعيدا عنها، كل ما نمنعه هو التخريب، أما التظاهر السلمي فلا مانع منه (واستشهد في ذلك بتظاهرات سياتل)..

وتابع: إن من حق الناس أن تغضب لدينها، ومن حق أبناء الشارع خصوصا الطلبة في الجامعات فهم أوعى الناس بهذه القضايا، فهم الذين يحملون الروح الثورية، ويتأججون من داخلهم، فمن حقهم أن يقولوا: لا، دون أن يدخلوا في تخريب أن يستغلوا من الآخرين..

وعلل عدم التغاضي عن الرواية بأنها نشرت من قبل مؤسسة من مؤسسات الدولة ووزارة تطبع طبعة شعبية ٦٩٠ صفحة بأربعة جنيهات . ولو كان المؤلف نشرها على نفقته أو على نفقة دار نشر خاصة فلها من الأمر وكان يمكننا أن نسكت ويحكم في ذلك القارئ..

وقال : كنت أتمنى ألا أتحدث عن هذه الأشياء حتى لا أجعلها تشتهر فكم كنت أتمنى ألا يقف المسلمون من **رواية سلمان رشدي** ذاك الموقف الذي شهرها في الآفاق. ثم قال : لا يجوز لوزارة تحترم نفسها وتعمل من اجل الشعب أن تنشر أشياء ضد قيم الشعب وعقائد الشعب ومقدساته ومن هنا كانت غضبة كل المثقفين المسلمين إلا طائفة معينة للأسف إما لأنها جهلت دينها وتراثها أن باعت نفسها لما تنتفع به من وراء هذه الوزارة وإني اعجب كل العجب لبعض اللجان التي تشكلها الوزارة تدافع عن هذه الرواية الساقطة في مضمونها وأساليبها.

السمة العامة في الرواية

وعاد إلى الرواية فذكر أنّ : الشرب والخمر من أول الرواية حتى آخرها.. فحين تزوج الرجل العراقي بفتاته الجزائرية احتفلوا بشرب الكونياك .. هذه هي السمة العامة في الرواية: ليس منها خشية لله ولا توقيرا له ولا اعتبارا لحسابه ولا ليوم الجزاء ولا الجنة والنار بل هي تسخر من هذا كله.. واستشهد ببعض العبارات من الرواية ، منها مثلاً :

ما قاله الرجل الذي قال للمرأة العاهرة التي كان يصف جسدها وصفا مكشوفا إنّ الذي يقف بيني وبينك هو أنفك هذا ، قالت له ماذا أفعل هذا خلقة ربي قال لها ربّك إذن فنان فاشل .

أي أنّ ربك لا يحسن التصوير !! ورد القرضاوي عليهم : إن الله تعالي يقول هو الذي صوركم فأحسن صوركم .. خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك .. لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم.

وتابع : لقد قالت اللجنة التي شكلها وزير الثقافة انه قال ذلك في مقام الدعابة والمزاح ورد يا عجباً هل هنا مقام دعابة ومزاح؟!! الحديث عن الله جل جلاله يدخل فيه المزاح؟!! يقول تعالى: ولئن سألتهم ليقولن: إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم . وهذا في أمثال هؤلاء..

وأضاف مثالاً آخر مما ورد في الرواية : انه يتحدث في روايته قائلاً:

<u>وهؤلاء الناس يهمّشون التاريخ ويعيدونه مليون عام إلي الوراء في عصر الذرة والفضاء والعقل المتفجر يحكموننا بقوانين إلهة البدو وتعاليم القرآن . . خراء .</u>

هكذا يذكر الكلمة <u>خراء</u> !! وأنا أقولها مضطراً . وتتردد كلمة إلهة كثيرا في كلامه فهو لا يؤمن بإله واحد بل إلهة .

الأزهر يفصل في الموضوع

وقال د. القرضاوي: لقد فصل في الأمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر واصدر قراره وهو الجهة العليا المتخصصة في هذا الأمر بحكم

قانون تأسيسه وبحكم فتوى مجلس الدولة التي صدرت ١٩٩٤م وجعلت من شأن الأزهر النظر في المؤلفات والمصنفات وإعطاء حق الترخيص أن رفضه لها لان كل ما يتعلق بالشأن الإسلامى هو من اختصاص الأزهر فقد اصدر الأزهر أول أمس بيانه الذي أعلنه شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوي بوصفه رئيسا لمجمع البحوث قال: انه قد كلف اثنين من أعضائه المتخصصين بكتابة تقريرين عن هذه الرواية وعرض هذان التقريران على المجمع في جلسة استثنائية ثم قرر إصدار هذا البيان:

أولا: أن وزارة الثقافة التي نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأي الأزهر الشريف أن مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة. ولا يخفي على وزارة الثقافة مسؤولية أن يؤخذ رأي الأزهر في هذا.

ثانيا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله سبحانه وتعالي والرسول والقرآن والقيم الدينية ومن ذلك أنها تهزأ بذات الله مثل وصفه بأنه فنان فاشل صفحة ١٢٩. وانه نسي بعض مخلوقاته في الأهواز من تراكم مشاغله التي لا تعد في بلاد العرب وغيرها صفحة ٢٥٧ وانه أقام مملكته الوهمية في فراغ السماوات ليدخل في خلود ذاته لذاته صفحة ٤٢٦ كما يفتري على الرسول صلي الله عليه وسلم بأنه تزوج اكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية وخليلة ومتعة وانه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها صفحة ٤٣٦-٤٣٧ وانه حرف في آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه. كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج على الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والأخلاق والتقاليد والأزمنة الموصلة والجنة والجحيم الخرافيين !! وأولي الأمر والوالدين والزواج المبارك في الشرع.. صفحة ٣٤٧ .

ثالثا: أن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجا فاضحا وذلك بالدعوة للجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ في الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفاظا على الحياء العام الذي انتهكته الرواية.

رابعـــا: أن الـــرواية لـــم تكـــتف بذلـــك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفهم بأقبح الأوصاف مما يعف المقام عن ذكره.

خامســا: اتضــح لمجمــع الــبحوث الإســلامية مــن كل ما سبق أن ما ورد بــرواية ولــيمة الأعشـــاب لمؤلفهـــا حـــيدر حيدر وهو خروج على ما هو معلــوم بالديـــن بالضـــرورة، وانـــتهاك للمقدســـات الديـنـــية والشرائع السماوية والآداب العامـــة والقـــيم القومـــية ونشـــر الفتن وزعزعة تماسك وحدة الأمة التي هـــي الركـــيزة الأساســـية لبـــناء الدولة ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون اســـتطلاع رأي أهـــل الاختصــــاص المســـؤولية الكاملـــة لهـــذا الـــتجاوز والآثـــار المترتـــبة علـــيه دينـــيا واجتماعيا وذلك على النحو الموضح بالتقريرين المقدمين من عضوي مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

داخل الخطبة

بعـــد انـــتهاء الخطـــبة اتصـــلنا بفضـــيلة العلامـــة د. يوســـف القرضاوي وسألناه عن مدي دخول هذا العمل الروائي في باب الكفر فأجاب:

إن بـــيان مجمـــع الـــبحوث الإســـلامية بالأزهـــر الشريف يدل على أن هـــذا مـــن الكفـــر لأنـــه خروج على ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وانتهاك للمقدســـات الدينـــية والشـــرائع الســـماوية، وهـــذا واضح لكل من قرأ الرواية لما فـــيه مـــن ازدراء واســـتخفاف بالألوهـــية والقـــرآن والرسول والقيم الدينية كلها في مواضع شتي.. وأضاف:

ونحـــن نقـــول: إن هـــذا العمـــل كفـــر بغض النظر عن الأشـــخاص، فمن قالـــــه واعـــيا مـــتعمدا ذاكـــرا فهـــو كافر، ورضي به وهو يعلم هذا فهو كافر ومـــن كـــان يجهـــل بمـــا فـــيه ثـــم أعلم بمضمونه ورضيه فهو كافر.. هذا هو الحكـــم الشـــرعي.. أمـــا الحكـــم علـــى الأشخاص فلا ندخل فيه، فهو يحتاج إلى تحقيق وقضاء.

هوامش ملف الوليمة..

***

هامش حول الهوامش..

يمكن للقارئ قراءة هذه الهوامش بالطريقة العادية ملحقة بمقالات الوليمة، كمـا يمكنه قراءتها كفصل مستقل، حرصت أن أضمنه إشارات موجزة تجمع من أطـراف القضـية الحد الأدنى الضرورى لاستيعابها. إننى لم أقصد بها أن تكون سـردا لما حدث، لكننى قصدت فيما قصدت أن تكون عونا للباحثين فى توجيههم إلى الأوكار التى يجب أن يتعقبوا أفكار التنويريين فيها. كما قصدت أيضا، أن أقدم إشارات خاطفة، إلى طرق الخداع التى ينتهجها التنويريون لخداع الأمة والتغرير بالمواطن العادى الطيب الذى يحمل احتراما بالغا للكلمة المطبوعة، ولا يتصور أن الكثيرين ممن يتصدرون الساحة الثقافية، هم فى الحقيقة أكذب من مسيلمة.

إن الأمـر يحـتاج إلى دراسة أشمل بكثير لا يتسع لها المجال الآن، دراسة قـد يكون عنوانها: " قصة صعود وسقوط النخبة الثقافية المنحرفة"، وهى دراسة لا ينبغى لها أن تقتصر على أكثر من ١٥٠٠ مقال نشرت حول أزمة الوليمة، بل يجـب أن تغـوص فى عمق التاريخ كى تتعقب جذورها المريضة. جذورها الأبعد بكثـير جدا من رواية أو مؤلف، بل أبعد بكثير جدا من وزارة مخترقة أو حكومة غافلـة، أبعـد من الدولة.. والعصر.. لأنها تنتمى إلى الأمة فى صراعها الأبدى للحفـاظ على دينها وهويتها.. الصراع الذى يمكن إيجازه فى كلمات قليلة: " إما إيمان وإما كفر"..

نعـم لـم تكـن الولـيمة إلا القشة التى قصمت ظهر.. البعير.. وحيوانات أخرى..!!

نعم..

قشة..

مجرد قشة..

***

يقول الأستاذ محمد يوسف عدس المستشار السابق بهيئة اليونسكو: " إننى لأرثى بل أتحسر كثيرا على عشرات الكتاب وأدعياء الثقافة الذين دافعوا عن هذه الرواية الوضيعة وهاجموا ناقدها بلا منطق ولا رحمة، وبذلك كشفوا عن حقيقة موقفهم فى مواجهة جماهير الأمة فعزلوا أنفسهم عن اختيار أو تهور غبى أو غواية شديدة، الله وحده يعلم بما فى نفوسهم !.

ثم يستطرد مستعيرا من الدكتور محمد على العريان وصفه لمثل تلك النخبة المثقفة: "يسيرون فى الحياة بإرادات زائفة ولديهم مناعة مذهلة ضد إدراك البديهيات"..

ثم يستعير من العقاد وصفه لهذا النمط من بلطجية السياسة والثقافة بقوله: "إنهم كالمخاط إن أزحته تقززت وإن تركته تقززت فهو مقزز على الحالين"..

ويواصل الأستاذ محمد يوسف عدس قائلا: " هذا ما فجر ثورة الدكتور محمد عباس، وهو انفعال تلقائى وليس "افتعال انفعال"[1] ، ربما كانت النبرة حادة والعبارات ملتهبة بنار الغضب الذى يتأجج فى صدره، ولكن يبرره أن مقاله حول هذه القضية كان ذروة انفعال طال أمده وسكن فى صدره على امتداد خمسين مقال سابق نشرتها الشعب تحت عنوان: " الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة" يدافع فيها عن هوية الأمة ومقدساتها التاريخية والثقافية ويكشف عن زيف الأوضاع الثقافية وانحراف النخب المثقفة"..

***

إحساس النخبة المثقفة بفداحة الخسارة التى تعرضوا لها تدفعهم إلى التخبط فى كل اتجاه، وهو تخبط يدفع بهم إلى مزيد من الفضيحة والحصار، ويشاء الله أن يسلطهم على أنفسهم، فيفضحون بعضهم البعض، ليكشفوا ولو بصورة غير مباشرة جذور الخيانة والخداع.

فى هذا الصدد يأتى ما نشرته مجلة أخبار الأدب، مجلة التنويريين المصريين فى العدد ٣٧٣ الصادر فى ٢٠٠٠/٩/٣.. حيث نشرت المجلة مقالا بعنوان: "المثقفون فقدوا مصداقيتهم" للدكتور على حرب.. وهو لا ينتقدهم كى يردهم عن باطلهم بل ليدفعهم إلى المزيد منه..إنه يدين عمليات الخداع التى يقومون بها.. خداعهم للأمة .. ويطالبهم بمصارحة الأمة ومواجهة الناس.. أن يعترفوا صراحة وأن يجاهروا بالفحشاء قائلين نعم .. حيدر حيدر يسب الله والقرآن والرسول لكن ذلك يعجبنا.. يقول بالنص –فض فوه– : " لنعد إلى رواية "الوليمة" حيث نجد المثال البارز الفاضح فى مواقف الذين حاولوا الدفاع عن الرواية بالسعى إلى

---

١ – يشير إلى التعبير الذى استخدمه محمد حسنين هيكل فى مقالته عن الوليمة، والتى نشرها فى مجلة الكتب وجهات نظر.

حصر نقدها في أهل الاختصاص..(..).. لقد فكروا وتصرفوا بعقلية مدرسية ونخبوية ضيقة ومحصورة، لكى يقولوا أن الرواية تعرض آراء مختلفة ومتناقضة على لسان الشخصيات المتعددة المنازع والمذاهب والمواقف، هذا فى حين أن للرواية منزعها وطابعها الغالب، من حيث المرجعية الدلالية، إذ هى لا تدافع عن المقدسات الدينية، بالعكس، إنها تخضعها للنقد الساخر اللاذع كما عبر بحرية وجرأة حيدر حيدر. وهذا هو موقفه فى الأساس. أما أن نقول أن الرواية تدافع عن الإسلام وأن نقول بأن تقييمها من حق أهل الاختصاص، فإننا بذلك نقع فى السذاجة، ونمارس لعبة الخداع، وربما الاستغباء، سواء من حيث علاقتنا بأنفسنا أو بالمجتمع أو بالناس."

إن على حرب إذن يدفع النخبة المثقفة المنحرفة إلى مأزق جديد، فبدلا من أن يقرهم على مبدئهم الذى يسيرون عليه، وهو للغرابة أشبه بالتقية، حيث يخفون ما فى صدورهم بطريقة إذا بليتم فاستتروا، يدفعهم على حرب إلى طريقة: إذا بليتم فافتخروا.. وجاهروا بالفحشاء!!.. لينطبق عليهم قول على عزت بيجوفيتش: يخجلون مما يجب أن يفخروا به ويفخرون بما يجب أن يخجلوا منه.

ولكى لا يتصور القارئ أننا نحمل النص أكثر مما يحتمل فإننا نحيله إلى جزء آخر من نفس المقال إذ ينتقد ردود فعل نصر حامد أبو زيد بعد أن يعلن اتفاقه مع خطه الفكرى، يقول فض فوه: " هو ليس فقيها يختلف مع زملائه على الاجتهاد فى تفسير النص. وإنما هو صاحب مشروع نقدى للخطاب الدينى، لأنه يتعامل مع هذا الخطاب لا كما يقدم نفسه، بل يخضعه للتحليل التاريخى والفحص العقلانى، محاولا بذلك هتك الأستار الغيبية والحُجب القدسية. ومع ذلك نرى صديقنا الدكتور نصر يحاول الهروب من المشكلة عند المجابهة، لكى يتصرف كفقيه معمم أو لكى يقدم الشهادة على حسن إسلامه وسلامة إيمانه".

يا إلهى..

هل رأيتم يا قراء إلى أى مستنقع بلغ المدى بهم..

وإننى هنا أنبه القارئ إلى منهجهم المعروف لدينا، ولم يزد "على حرب" إلا أن اعترف به، هذا المنهج يقبع فى الفقرة الأخيرة التى أوردتها لعلى حرب. إنها كفر بواح يتسربل بالغموض المتعمد، إنه يضع مصطلح "الخطاب الدينى" على سبيل المثال بدلا من القرآن والحديث وكتب السنة والفقه، فإذا ما شرحنا ذلك وفسرناه يولول التنويريون ويلطمون خدودهم صارخين أننا اجتزأنا النص الذى لم نفهمه.

يواصل على حرب إدانته للمثقفين فى دفاعهم عن مارسيل خليفة، معترضا على أن همهم الأساسى كان: " أن يبرهنوا للعموم أن مارسيل لم يكن فيما لحنه وغناه مسيئا للإسلام والقرآن" ..

فهل لاحظت أيها القارئ.. إن التنوير والإبداع أن يدافعوا عن مارسيل خليفة بالرغم من إساءته للإسلام والقرآن.. وتلك هى مبلغ شجاعتهم.

ومرة أخرى .. يا إلهى..

هل تريدون المزيد..

المقالة كلها تسير فى هذا الاتجاه.. المجاهرة بالهجوم على الإسلام وعدم خداع الناس.. لكنها تنتهى بدفاع حميم.. أو على الأحرى محموم .. عن .. سعد الدين إبراهيم.. وهجوما على المثقفين الذين هاجموه..

ألم أقل لكم يا قراء..

ألم أنبئكم..

إنه الكفر والعهر والتطبيع..

***

فى نفس هذه الآونة.. والكتاب تحت الطبع.. وليس لدى فرصة للمزيد من المتابعة.. يشن الكاتب الصحفى إبراهيم عيسى[1] هجوما شديدا على الصحيفة التى تصدرها وزارة الثقافة والتى يرأس تحريرها صلاح عيسى.. لأن صلاح عيسى وصحيفته { ربما استجابة لنصيحة على حرب } قد أسفروا عن وجههم الحقيقى من ناحية التطبيع مع إسرائيل..

صلاح عيسى.. يؤيد التطبيع..

إنا لله وإنا إليه راجعون..!!

كل هذه التقية قبل أن يسفروا عن وجههم الحقيقى..!!

***

لا أملك إلا أن أشير إلى مقال يرد فى نهاية هذه الهوامش بعنوان خيانة المثقفين.. الذين قررت المخابرات الأمريكية منذ نصف قرن أن يكونوا سلاحها السرى لغزو العالم والسيطرة عليه. وأن أذكر أيضا، بالهالة التى حاول معظم الشيوعيين المصريين أن يحيطوا أنفسهم بها، الهالة التى تدعى النزاهة والشرف، وذلك قبل انهيار الاتحاد السوفيتى، أما بعد أن انهار، وفتحت المخابرات الروسية

---

١ – ابراهيم عيسى مصنف من الكتاب اليساريين ولا أظنه كذلك، كتب مقالا نشرته صحف عديدة عن أزمة الوليمة، وكان من أوائل من أدانوا حملة المثقفين المسعورة ودفاعهم الأحمق عما سموه إبداعا، كان مقالا عميقا منصفا وخفيف الظل أيضا، بل إن جملة من جمله راحت بين الناس مثلا رغم فجاجتها، إذ أنه فى خضم تحذيره للمثقفين من إدانة الأمة لهم صارحهم بأن أى واحد منهم لو نزل إلى الشارع بهذا النوع من الكتابات الهابطة ليقدمها إلى رجل الشارع العادى كنموذج للإبداع فإنه سيصرخ فيهم على الفور: " إبداع إيه يا روح أمك "!!..

أضابيرها، لتعلن على العالم أسماء الذين كانوا يحصلون على مصروفات سرية منها، لتذكر منهم السياسى المصرى الشيوعى الشهير: (ر.س)، التنويرى، المثقف، عدو الظلاميين والمتأسلمين، ولتنشر الأهرام ذلك مفجرة الفضيحة، ليكفوا بعد ذلك عن التباهى بالنزاهة والشرف، ولينتقلوا على الفور، من المركب الروسى إلى المركب الأمريكى، وقد يبدو للناس أن هناك تناقضا، وذلك غير صحيح، فالعداء للإسلام واحد. وحتى بعد أن أثبت الكاتب المتميز جمال سلطان؛ أن مصطلح : " التأسلم" تم صكه فى المخابرات الأمريكية، فإنهم لم يكفوا عن استعماله، ليس لأن برقع الحياء كان قد سقط فقط. بل لأن المخابرات الأمريكية أغنى بكثير من الروسية!!..

ترى.. متى يأتى اليوم الذى تفتح فيه كل أجهزة المخابرات أضابيرها ليسقط أدعياء الثقافة والتزوير .. كالذباب.. والصراصير!!..

الأمر ليس أزمة عابرة، بل سيثبت التاريخ أن أزمة الوليمة كانت بالنسبة لنخبة المثقفين المنحرفة كحرب السويس بالنسبة للاستعمار القديم، نهاية عصر، وبداية عصر آخر، ولا ريب عندى، أن هذا العصر سيكون انتصارا للثقافة الإسلامية، ثقافة العقل الحقيقى، لا العقول المخمورة، ثقافة النور الباهر المستمد من القيم لا ثقافة العهر والتحلل والانحلال. ثقافة تبنى الأمة لصالح أبنائها لا ثقافة تسلمها لأعدائها، ثقافة تتفاعل الأمة معها وتحتضنها لا ثقافة تنعزل عنها الأمة وتحاصرها وتنضوها عنها كما يطرد الخبثَ الحديدُ وكما يلفظ الجسد الصديد..

و.. إلى الهوامش..

١- محاولة وزارة الثقافة التبرؤ من رواية الوليمة: فى البداية حاولت وزارة الثقافة التنصل من الأمر كله. وقد أوردت أخبار الأدب: العدد ٣٥٦ ص٦ ذلك بالتفصيل فى مقال: وائل عبد الفتاح عن تصريح وزير الثقافة المنشور فى الأهرام فى ٣٠/٤/٢٠٠٠م وهو أن الهدف من اللجنة العلمية التى شكلها: "التحقيق فى ظهور طبعة لبنانية من رواية وليمة لأعشاب البحر للسورى حيدر حيدر منسوبة لوزارة الثقافة".. ويستطرد الكاتب أنه يبدو أن الوزير وجدها " واسعة " فغير أقواله بعد ذلك.

نفس الخبر نشرته بتفصيل أكثر صحيفة آفاق عربية فى عدد ٤ مايو ص١١ تحت عنوان وزارة الثقافة تزعم أن جهة مجهولة نشرت الرواية المجهولة ونسبتها إليها.

كان التخبط هائلا وشمل الجميع، فرئيس الوزراء على سبيل المثال صرح لست أدرى كيف؟!- أنه استعان بخبير أجنبى لمواجهة الأزمة كما نشرت صحيفة الوفد، وصرح الدكتور أحمد فتحى سرور بأنه طلب تقريرا عاجلا لاتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة ومحاكمة المؤلف طبقا للقانون الدولى(أخبار الأدب١٤ مايو) كانت الأمة تغلى بالغضب، وكان قلبها متمثلا فى طلبة جامعة الأزهر حيث تظاهر ٢٥ ألف طالب ، وكانت الدولة مترددة حتى حسمت أمرها بإطلاق الرصاص على قلب الأمة. على طلبة جامعة الأزهر. وأصبح من المستحيل مواصلة استطلاع الرأى تحت التهديد بإطلاق الرصاص مرة أخرى، وبلغ النفاق ببعض التنويريين ومدعى الإبداع، الذين أجازوا الاجتراء على الله، أن وجهوا اللوم لصحيفة الشعب ولحزب العمل ولشخصى الضعيف، فنحن الذين حرضنا ونحن الذين أخرجنا الطلبة فتسببنا فيما حدث لهم، أكثر من مائة جريح منهم خمسة فقئت عيونهم، وجهوا اللوم لنا، ولم يجرؤ منهم أحد على توجيه اللوم إلى المعالجة الأمنية والسياسية الخاطئة، لا تعقيب على الأمن وكأنه القدر، بل أكثر من القدر، لأننا فى القدر نسأل الله اللطف فيه، هم لم يسألوا أجهزة الأمن اللطف، وهذه الواقعة وحدها كافية لفضحهم تماما ونهائيا أمام الأمة وأمام التاريخ، لكن هذه الفضيحة لا تنفجر، ولا تأتى بالتأثير المتوقع، بسبب تهديد جاثم مستمر بإمكانية إطلاق الرصاص فى أى وقت، وعلى أى أحد، أحد رؤساء التحرير اتصل بى حزينا ليقول: لماذا لم تتعلموا الدرس الذى تعلمته: ففى هذا البلد يمكن أن يحدث لأى واحد أى شئ فى أى وقت، أحد كبار السياسيين هاتفنى ليقول أن مشكلتى، ومشكلة صحيفة الشعب، هى أننا صدقنا ما يقال، وأننا أخذنا أمور الدين والوطن والسياسة والمجتمع، بينما كل ما يحدث عبث فى عبث، ولا أحد غيرنا يأخذ الأمور على محمل الجد.

بعد ما حدث لطلبة جامعة الأزهر خفتت أصوات معظم الغاضبين لدينهم، وارتفعت أصوات الحيدريين، وأصبح الكذب مجانيا، خاصة عندما أقدمت السلطة على عقاب صحيفة الشعب التى دافعت عن المقدسات ، وأصبح الاجتراء على الذات الإلهية إبداعا وتقدما واستنارة، وفى نفس الوقت أصبحت إدانة وزير ثقافة النظام الباقى فى مكانه منذ أربعة عشر عاما رغم كل ما أثير حوله إرهابا وظلامية وتخلفا، ووقف الوزير الذى قلت تناقضات تصريحاته بعد أن اطمأن إلى تدعيم الدولة له ليصرح أن مصر دولة علمانية، وارتفعت أصوات تنادى بإلغاء المادة الثانية فى الدستور والتى تنص على إسلامية مصر، ونشرت

صـحيفة الحـياة اللندنية مقالا لكاتب ظن أنه يفحم الإسلاميين بقوله أنه إذا كان علينا أن نحترم التراث فليس علينا أن نحترم التراث الإسلامى فقط، بل علينا أن نعطى اهتماما مساويا لمصر المسيحية والفرعونية، كان الإسلام بالنسبة للمسكين تـراثا، مجرد تراث، لم يكن دينا ولا مطلقا من المطلقات، وبدا أن هؤلاء الناس وأقـرانهم فـى مصر، ينظرون إلى الإسلام تماما كما ينظر له المتعصبون من المستشـرقين، فالقـرآن مـن تأليف محمد- صلى الله عليه وسلم- أما هو نفسه فكـذاب أسـتغفر الله العظيم - وأن أولئك التنويريين قد ابتلوا بمجموعة من المتخلفين أمثالنا، وما القابضون على الجمر سوى حزب متخلف لا يستحق من الاحترام ما يستحقه حزب كحزب الأمة ، بل ولا الله نفسه يستحق من الأدب فى الحديث معه ما يستحقه الشيخ الصباحى، كان الله فى عقولهم المريضة أسطورة قضـت علـيها الاستنارة وبقى المتخلفون أمثالنا يؤمنون به، ولعل المؤمنين به يشـفون مـن تخلفهـم ذات يوم. وإنهم يحتملون تخلفنا -ووجودنا ذاته - على مضـض، فنحـن ضيف ثقيل عليه ألا يضاعف من ثقله بأن يتكلم، نظر كلاب جهـنم إلى الدين كما لو كان مرضا كلفهم الشيطان بالقضاء عليه، وبدا لهم أنهم كلمـا أوشـكوا على إنجاز مهمة الشيطان واجهناهم نحن لنصيب الأمة بنكسة جديدة.

بلغت قدرة بعضهم على الكذب أن راح يدعى أن رواية حيدر الكافرة رواية إيمانية..

وانفجر الألم بصحيفة آفاق عربية فنشرت بمانشيت كبير أنها لا تستبعد أن يـنجح التنويريون فى استبدال المادة الثانية فى الدستور لكى يصبح حيدر حيدر هو المصدر الرئيسى للتشريع!!.

٢- فضيحة اللجنة: اللجنة التى شكلها وزير الثقافة من كبار المتعاملين مع وزارته: الدكـتور عبد القادر القط وصلاح فضل وكامل زهيرى وأحمد هيكل ومصطفى مـندور. اعتذر الوقور الفاضل الدكتور أحمد هيكل كما قالوا لكنه أدان الرواية فـى تصريحات صحفية، ولقد كان تقرير اللجنة مأساة ليس على مستوى الدين فقط بل على مستوى النقد الأدبى ذاته. راجع الكتاب القيم الذى أصدره الدكتور جابـر قميحة بعنوان: وليمة لأعشاب البحر فى ميزان الإسلام والعقل والفن دار الاعتصام. الكتاب لا غنى عن قراءته. لكننا فى إلماحة سريعة نتعرض لما ارتكبـته اللجنة من خطأ فادح، لن نقول فى حق الله أو الأمة أو الوطن، بل فى حق نفسها.

حاولت اللجنة الدفاع عن وزارة الثقافة فقالت أن المعترضين على الرواية لم يفهموا النص وأن هناك نقطة بين القرآن والخراء وأننى تجاهلتها بسوء نية- لعل القارئ يلاحظ أننى وضعت نقطتين لا نقطة واحدة. كان تفسير اللجنة مضحكا. فعند وضع النقطة يكون الوضع أسوأ، إذ تعود الصفة ليس إلى القرآن فقط بل إلى آلهة البدو أيضا. أما الاحتمال الذى تقول به اللجنة أن الخراء يعود على الحكام، وهو تفسير فاسد، إلا أنه يعود مرة أخرى فيفضح اللجنة، إذ أنه حتى لو صح ما يأفكون، لكان وصف أولئك الحكام بالخراء بسبب أنهم يحكموننا بتعاليم آلهة البدو والقرآن!!. ثم أن اللجنة قد كذبت عندما أحصت ثلاثة مواقع فقط فى الرواية للاجتراء على المقدسات، فالدكتور العوا أحصى ٦٥ موقعا، والدكتور قميحة أحصى ٢٠٠ موقعا، أما أنا فقد توقفت عن العد بعد رقم ٣٠٠ موقع، بعض هذه المواقع يشتمل على صفحات كاملة.

إننى هنا ألفت نظر القارئ إلى سمة رئيسية للعلمانيين، ألا وهى الكذب، يستوى فى ذلك علمانيو الخارج أو الداخل، إن القيم عنهم نسبية، ولا قيمة مجردة للصدق فى حد ذاته، وهم يصدقون إذا كان ذلك فى صالحهم ويكذبون بنفس السهولة إذا كان الكذب يفيدهم. إن ازدواجية المعايير ليست انحرافا أخلاقيا عارضا بل هى سمة أخلاقية دائمة. ولو أننا أدركنا ذلك منذ البداية لوفرنا على أنفسنا كثيرا من العناء فى حوارهم. وإذا أضفنا إلى ذلك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم أن المؤمن قد يقتل وقد يسرق وقد يزنى لكنه لا يكذب لاستطعنا تكوين منهج متكامل فى التعامل معهم.

٣- أخلاق التنويريين وآداب الحوار: أعادت صحف أخبار الأدب والقاهرة والأهالى نشر مقال لكاتب سورى نشره فى صحيفة القدس العربى يهاجمنى فيه بألفاظ بالغة البذاءة والسوقية يرد بعضها فى الجدول المرفق: هامش ٤٦.

٤- دليل الإرهاب: اعتبر رواد التنوير هذه الجملة دليلا دامغا على الإرهاب، ووصل الأمر بأحدهم كما ورد فى أخبار الأدب: ٣٥٧ ص ٤ : مقال ياسر عبد الحافظ: أن اعتبر أن بداية الإرهاب تعود إلى عام ٦٤ فى عهد عبد الناصر حين أمر بقطع الإرسال فى التليفزيون فى مواقيت الصلاة لإذاعة الأذان.

٥- دلائل إرهابية أخرى: اعتبر مجرد ذكر أسماء الشهداء: سيد قطب وخالد الإسلامبولى وسعد إدريس حلاوة دليلا لا يدحض على تورطى فى الإرهاب.

٦- اعتــبر دعـــاة التنوير ذلك دعوة لسفك الدم. وكان ردى فى مقال فى صحيفة القدس العربى : لقد أطلقت فعلا- وما زلت وسأظل- حكما بالكفر على الرواية وعلـــى ناشـــرها، وربما كان من حق البعض أن يدينوا موقفى لولا أن الأزهر والشـــيخ يوسف القرضاوى والأمة كلها قد وافقونى فيما ذهبت إليه، بل إن بيان المجلـــس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر قد حكم بأكثر مما حكمت به، فقد حكموا ليس بكفر الرواية ومن ينشرها فقط، بل وكفر من يعلم بما فيها ويعتبره إبداعـــا. لـــم تكن دهشتى إذن لأن الآخرين لم تهتز لهم شعرة عندما اتهمتهم أنا بالكفر، بل عندما اتهمهم صفوة علماء الأزهر والأمة.

ثـــم الفرية الثالثة التى تطلقها علىّ الميليشيات الثقافية فى مصر، الميليشيات الأشبه بجيش أنطوان لحد فى جنوب لبنان، فتجمع خصائصه وانفصاله عن أمته ولها إن شاء الله نهايته، تلك الميليشيات دأبت منذ البداية على اتهامى بالتحريض على القتل. رغم أن ما ورد فى مقالى نصا فى ندائى للسيد رئيس الجمهورية :

"أنت ولى الأمر.. وليس لنا أن نقيم الحد على الفجرة الكفرة الفسقة بأيدينا .."

" إن لم تقم عليهم الحد .. إن لم تدافع عن القرآن فاقتلنا.. لأننا لا نستطيع أن نواجه الله يوم القيامة وقد اخترنا الحياة بعد هذا الكفر.."

ثم أناشده فى نهاية المقال إن لم يدافع عن القرآن :

"مر رجالك بقتلى.. قتلة غلام أهل الأخدود.."

ولقـــد كـــان هذا تحريضا على قتل المدافعين عن القرآن لا المجترئين عليه، ومع ذلك لم يعجب ميليشيات الثقافة فقلبوا الأمر وكذبوا وزوروا..

٧- رغم أننى استغفرت الله بعد ذلك عن تناول الآباء، استغفرت الله ولم أعتذر إلى بشـــر ربما كانوا غير جديرين بأن أعتذر لهم حتى ولو عن آبائهم كما قلت فى قـــناة الأوربـــت وأبـــى ظبى الفضائيتين، إلا أن رواد التنوير والمبدعين نسوا الاجـــتراء الفاجـــر على الله والقرآن الكريم والرسول -صلى الله عليه وسلم وتوقفـــوا عند هذه الفقرة فقط، وإننى أرجو القارئ أن يراجع الجدول الوارد فى الهـــامش ٤٦، وأن يقارن بين غضب لله وغضب للشيطان وليدرك نوع الأدب الـــذى يتمـــتعون به ويمارسونه، وربما أستميح القارئ عذرا أن أستعير تعبيرا لمجدى سرحان فى صحيفة الوفد(٨/١٢) حين وصف بعض ممارسات الصحف

المصـــرية بالدعارة الصحفية ، وتعبيرا آخر لصلاح منتصر فى الأهرام : أنه عـــندما يـــراد القضـــاء على شخص وتلويثه وتشويه سمعته فى عيون مواطنيه تـــتحول عناوين الصحف عنه إلى كلاب وحشية تنهش شرفه وتاريخه ، بل إن سلامة أحمد سلامة الهادئ الوقور نفسه فقد كتب يقول : " .. فى كل قضية تثار أو مشـــكلة تســـتجد تـــنطلق بعض الكتابات مغمضة العينين مثل كلاب الصيد المدربة تتشمم آثار الفريسة من بعيد، لتقتنصها، دون أن تجهد نفسها فى البحث عـــن حقيقة..".. ثم لعلى أضيف إلى ذلك تشبيه أستاذ فلسفة فى جامعة القاهرة- الدكتور عاطف العراقى- للمثقفين بالصراصير- صحيفة العربى ١٤/٥، ولعلى أخـــتم هـــذه الـــباقة المحزنة من الأوصاف بما نشرته وكالات الأنباء، وأثبتته صحيفة القاهرة فى عددها الرابع من أن الوزير اليمنى عبد الله غانم قد صرح بأن: "بعض الصحفيين اليمنيين يشبهون الراقصات وعبيد سوق النخاسة." ولست أدرى لـــم اخـــتص اليمنييـــن رغم أن الوباء عميم. هذا هو مستوى الحوار فى صحافتنا، ولم تكن الشعب ولا قضية الوليمة طرفا فى كل ذلك.

فـــى بـــرنامج رئيس التحرير الذى أذاعه التليفزيون المصرى يوم ٢٩/٥/ ٢٠٠٠ خســـر صلاح عيسى كما لم يخسر من قبل، لم يكن الأمر يتعلق بوقار ولا بمـــنطق بيـــن مثقفيـــن بل أسوأ من هذا بكثير، وقلت لنفسى أنه لولا الهيبة الطاغية للمستشار طارق البشرى والدكتور محمد عمارة لبدر من صلاح ما لا تحمد عقباه، كان المستشار البشرى يرد على هجوم صلاح عيسى على صحيفة الشـــعب وعلـــىّ بسبب حدة الألفاظ التى استعملتها فى مقالاتى بقوله أن القانون ينظر نظرة خاصة إلى هذا النوع من الانفعال، فهو رد فعل مباح لإساءة بالغة، لأنـــه لـــو أن أحدا سب أبا أحد أو أمه لبلغ انفعاله مبلغا عظيما يعفيه فى أغلب الأحـــوال من عواقب رد فعله، فإذا كان السباب موجها إلى الله سبحانه وتعالى، الله الـــذى نضـــع له رأسنا فى التراب ٣٤ مرة على الأقل كل يوم فى سجودنا، فمـــن الطبيـــعى جدا أن يكون انفعال كل المؤمنين عظيما وغضبهم جامحا إزاء سباب يوجه إلى ربهم الذى يعبدونه.

أنهـــى حمـــدى قنديل البرنامج قبل أن يكتمل فقد بدا صلاح غير قادر على تمالك أعصابه.

جلست مع صلاح عيسى مرة واحدة، كنا فى رمضان وكان يدخن، التمست له المعاذير وقلت لنفسى أننى لا أعرف ظروفه، لكن أحد أصدقائه دخل، كان يدخن هو الآخر، وداعب صلاح وهو يسأله عن سبب عدم صيامه، فإذا به يجيبه أن معه فتوى أن التدخين لا يفطر. ذبحتنى استهانته فقررت ألا أراه مرة أخرى.

ويومها انشرخت الهالة التى كنت قد رسمتها فى وجدانى منذ قرأت مقالته : "ماذا حدث للكاتب ص.ع . ذات شتاء". وهى المقالة التى تلقفها غالى شكرى وهو فى فرنسا فأشعل بها حربا ضد نظام الرئيس السادات وتلقفتها منظمات حقوق الإنسان منددة بما تعرض له صلاح عيسى فى تلك الليلة من تعذيب، ظلت هذه الهالة تحيط به حتى قرأت فى كتاب أسامة عرابى تفسيرا آخر للواقعة فتحطمت الهالة تماما أو تحولت إلى هالة سوداء، وهو تفسير لا أجزم بصحته ولا أستطيع لأسباب قانونية إعادة نشره، لكن خلاصته أن ما حدث للكاتب ص.ع. ذات ليلة شتاء لم يكن بسبب السياسة ولم تكن الشرطة هى الجانية!!.. كان أمرا مختلفا تماما..

٨- حول تقرير الأزهر: سوف يدرك القارئ بعد قراءة تقرير الأزهر أننى تناولت الأمر بحياء كبير، ولم أورد الجمل الفادحة الصارخة فى الكفر أو فى خدش الحياء العام، ويعلم الله أننى ترددت فى نشر تقرير الأزهر كاملا بسبب ما فيه من استشهادات، لكننى أدركت أن التنويريين ينالون منا من هذه النقطة، إنهم أشبه بمن يرتكب زنا المحارم، فإذا فكرت الضحية أن تفضح الجريمة انهال عليها هو وأمثاله لوما وتقريعا أن هذا عيب ولا يجوز، وكأنما العيب فضح الجريمة وليس ارتكابها.

٩- استشهدت بهذه الفقرات فى مقال نشرته صحيفة القدس العربى، وهو المقال الوحيد الذى نشرته لى من بين عشرات المقالات التى نشرتها لأدعياء الإبداع. كان موقف عدد كبير من الصحف غريبا، كان الجميع فى مأزق، فما تنشره وزارة الثقافة كان فعلا بالغ الفحش والبذاءة والكفر، وكان لا يمكن نشره، وكنت أوافقهم على ذلك، لكن رد الفعل الطبيعى بعد هذا كان يجب أن يكون الإدانة لهذا الفحش العاهر الكافر وإخراجه على الفور من إطار الإبداع، ذلك لم يحدث، حدث العكس، كانت تلك الصحف تعتذر عن نشر تلك النماذج، وكانت فى نفس الوقت تدافع عنها !!..

١٠- كانت صحيفة الأسبوع أول من تعرض للموضوع، تعرضت له بهدوء ولو أن فـــى أجهــزة وزارة الــثقافة من يرى ويحس ويسمع لاستدركوا الأمر ولداروا عورتهم، وكان يمكن للأمر أن ينتهى باعتذارهم واعترافهم بالخطأ، لكن الله شاء للأمور أن تتخذ مجرى آخر كى يفضحهم على الأشهاد. لقد استنكروا علينا حدة أسلوبنا، فماذا فعلوا عندما نشرت الأسبوع يوم ٢٠٠٠/٢/٢٨ مقالا صغيرا بقلم حسن نور يعترض فيه على قيام وزارة الثقافة بنشر الرواية، وفى الأسبوع الذى يلـــيه: ٢٠٠٠/٣/٦ واصلت الأسبوع بنشر مقالين: مقال بقلم خيرى شلبى يرد فــيه علـــى مقال حسن نور بقوله: "لقد دمغ الجريدة بخاتم الصحافة القبرصية الصـــفراء الفـــاقدة الهوية ولا بضاعة لها سوى الفضح والتشهير(..) إنه لشىء عجيــب حقـــا أن يتطوع من بيننا من يقبل أن يكون مخلب قط للقوى الظلامية المتربصـــة بنا فى كل مكان، وأن يجعل من نفسه مخبرا ومعاونا ومرشدا كأنه مفـــتش مباحـــثهم".. ويواصل خيرى شلبى ليتهم حسن نور بالتحريض والتكفير (الأمـــر إذن لا يتعلق بهدوء التعبير أو حدته، بل بمواجهة من يدافع عن دينه أو يعترض على كفرهم مهما كانت الطريقة)..

فـــى نفس العدد من الأسبوع علقت الصحيفة على مقال خيرى شلبى بقولها: "لكنـــنا نظـــن أنـــنا حيـــنما نشرنا المقال كنا نقاوم الفحش.. ولم نقصد إطلاقا الـــتحريض صراحة وضمنا (..) قراءة الرواية تبرز أنه فحش مجانى لا يؤدى وظـــيفة فنـــية بنائية (..) لأن هناك فرقا بين إبلاغ المباحث عن كاتب وإبلاغ المجتمع بحقيقة موجة ضمن تيار جارف تستهدف قيمه ودينه(..) أما وقد كان النشـــر علنيا وفى صحيفة لها انتشارها ففى ذلك براءة للكاتب وللصحيفة معا .. لكـــن بيننا للأسف من يكتب وعينه على الغرب.. وبدلا من أن ينقل واقعه بدقة يحاول أن يزايد على الغربيين فى فحشهم ورغبتهم فى التحلل من أى دين.."..

ولـــم يتوقف الأمر على هذا.. ففى ٢٠٠٠/٥/١٣ يرد حسن نور على خيرى شلبى مؤكدا فحش الرواية وكفرها مواجها خيرى شلبى : .." .. لم أكن أعرف أن تقدميتهم تعنى التجديف والفحش والسكوت عن الحق" ..

فى نفس العدد نشرت الأسبوع مقالا للكاتب حميد مجاهد يعترض على خيرى شـــلبى مؤكدا أن كاتب الرواية الملعونة: .." يهدم الحائط الأخير الذى يحتمى به المســـلمون (..) .. تحول الأدب إلى قلة أدب..(..).. الذين يعتبرون أى كتابة فى الهلس هى عيون الأدب" ثم يتحدث حميد مجاهد بعد ذلك عن كتب منعت من دخـــول المدارس فى الغرب ومنها كتب لفولتير وشكسبير وألف ليلة وليلة، كما

أنهم حتى اليوم يمنعون على الإنترنت كتبا لوالت ليبمان واعترافات جان جاك روسو والليلة الثانية عشرة لشكسبير وذات الرداء الأحمر وتاجر البندقية.. لم يحدث هذا فى العصور الماضية بل سنة ١٩٩٦.

لمدة شهر ونصف بعد ذلك لم تتدارك وزارة الثقافة الأمر.. وبدأت الشعب تناول القضية يوم ٢٠٠٠/٤/٢٨، بعد بداية النشر فى الأسبوع بشهرين كاملين.

١١- جمال الغيطانى: فى جل المطبوعات التى يستطيع الكتابة فيها، وفى كل البرامج التليفزيونية والإذاعية والندوات كان جمال الغيطانى يتحدانى ويسأل لماذا كتبت العناوين الشخصية وأرقام الهواتف الشخصية للمسئولين عن نشر الرواية الكافرة، وكنت محاصرا وممنوعا من أن يُنشر لى، ويبدو أنه كان مطمئنا لذلك، لكننى أجبت عندما أتيحت لى الفرصة أخيرا فى صحيفة القدس العربى، قلت أن الإجابة بسيطة جدا، وهو أن ما يقوله الغيطانى كذب، كنت أعبر عن شك حقيقى فى أن تكون وزارة الثقافة المصرية هى التى نشرت هذا الكفر، وظننت - فعلا - أن الكتاب مدسوس عليها، ورجعت إلى صفحة ٤ فى أى كتاب والتى تحوى معلومات عن الناشر وعنوانه، وكان هيئة قصور الثقافة، ولا أظن أن الموظفين يقيمون بها! كما أننى حتى كتابة المقال لم أكن أعرف المسئولين عن نشر الرواية الكافرة، الأمر يشبه أننى لو قلت أن جمال الغيطانى قد نشر كذا فى صحيفة أخبار الأدب، وعنوانها كذا وهواتفها كذا، هل يعد ذلك تحريضا على قتل الغيطانى ؟! وفضحا لعنوانه الشخصى وأرقام هواتفه الشخصية؟؟!!

الأهم فى هذه الواقعة، أن الغيطانى لم يعد إلى ترديد فريته بعدها، تماما كما توقفت التهديدات الموجهة لى بالقتل بعد إبلاغ النيابة.

إن ذلك يكشف منهج أدعياء التنوير والعلمانيين، إنهم يرمونك بالباطل طالما لا تملك وسيلة تواجههم بها، فإذا كشفتهم تركوها فورا ليرموك بباطل آخر، عامدين طول الوقت، أن يبتعدوا عن مناقشة جوهر أى مشكلة حقيقية، وهكذا دواليك.

الغريب أن الغيطانى كان قد أقام الدنيا وأقعدها فى رمضان السابق بسبب تعيين إمام غير صوفى لمسجد مولانا الإمام الحسين، ذلك أن الإمام رفض حضور الاحتفال بمولد سيد الشهداء باعتباره بدعة. أقام الدنيا على أمر أقل ما يقال عنه أنه مشكوك فيه، ودافع عن كفر غير مشكوك فيه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

قبل هذه الواقعة كان للغيطانى فى قلبى مكان، كان قد شكرنى بالهاتف عندما ذكرت اسمه فى مقالاتى: " من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك" والتى طبعت بعد ذلك فى كتاب يحمل نفس الاسم، لم ألتق به، كان اللقاء التليفونى الثانى بعد الأول بثمانية أعوام على قناة أبى ظبى الفضائية إثر انفجار أزمة الوليمة، لم تكن حملته فى أخبار الأدب قد اتخذت شكلها النهائى بعد، خطر ببالى أننى قد أستطيع رده عن الباطل الذى وقع فيه، فناشدته بما تحويه أعماله الأدبية من أدب أراه رغم آراء بعض النقاد أدب جيد وحقيقى ، ناشدته بالتجليات ورسالة فى الصبابة والوجد أن يقول كلمة حق، كنا هادئين حتى ذلك، ولكنه أخذ يدافع عن الوليمة، قلت له قل للناس على الهواء ما فيها، لم يجرؤ، أخذت المبادرة ووجهت حديثى للمشاهدين وللمذيعين فى الاستديو أن الرواية تقول... وتقول.. صعق المذيعان فأخذا يرددان: أستغفر الله .. أستغفر الله.. كيف يا أستاذ جمال تدافع عن عمل كهذا وكيف تنشره وزارة ثقافتكم.. أخذ الغيطانى لوهلة ثم انطلق يصرخ: أنت إرهابى.. أنت إرهابى.. أنت تريدها بحارا من دم..

أنهى المذيعان البرنامج، لكننى كنت أسأل نفسى فى دهشة: ماذا أغضبه.. إننى أدافع عن القرآن..لم أسئ إليه.. لم أهاجمه .. بل على العكس جاملته.. فما الذى أغضبه إلى هذا الحد..؟!

وحتى الآن لم أجد للسؤال إجابة.

لكن ما لاحظته أن صحيفته لم تتحر الصدق بغد ذلك وهى تنقل ما جرى..

١٢- بدلا من التوبة والاعتذار.. رفعوا علىّ قضية بدأت محكمة جنايات جنوب القاهرة نظرها يوم ٢٠٠٠/٩/١٦.

١٣- رئيس تحرير الشعب، والذى كان قد بدأ قبل ذلك بشهور فى فضح منشورات وكتب وزارة الثقافة المجترئة على الدين والمقدسات ، وفى إحدى هذه المقالات، عندما أضناه الصمت الرسمى على الاجتراء على الدين، أعلن أنه سينزل وحده إلى الشارع يقاتل بيديه العاريتين دفاعا عن الدين.

١٤- مذيعة للبرامج الدينية فى التليفزيون المصرى، وفى كتابها لله يا زمرى نشرت ما لا يصدقه عقل من الاجتراء على الدين ورفض المسئولين استمرار أى برنامج ناجح أو استضافة أى شخصية دينية لها شعبية، فالشيخ محمد الغزالى والدكتور يوسف القرضاوى على سبيل المثال إرهابيان، أما عندما

حاولت تغطية أداء بعض كبار المسئولين وزوجاتهم لأداء العمرة فقد رفض التليفزيون ذلك، حتى مع السيدة سوزان مبارك، وكانت حجتهم أنه لا داعى لربط كبار المسئولين بالدين بأى شكل، وأنهم يطبقون تعليمات تأتى من فوق بمحاصرة البرامج الدينية، وتصرخ كاريمان حمزة فى النهاية أنها تنزه وزير الإعلام ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية أن يكونوا مصدر هذه التعليمات، ولكنها فى نفس الوقت تؤكد أن هذه التعليمات التى تأتى " من فوق " حقيقية، لكن هذا الفوق لا يوجد داخل مصر.. إنما خارجها.

فى أحد برامجها كانت تعد موضوعا عن العشرة المبشرين بالجنة، واحتج المسئول الكبير على اقتصارها على شخصيات من عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطلب منها أن تختار جزءا منهم من ذلك العهد وأن تكملهم بالمعاصرين(قائلا : مثل عاطف صدقى.. أم أن رأيك أنه لن يدخل الجنة ؟!) .. لم تكن طرفة، ولا مأساة جاهل .. بل كارثة أمة..

١٥- صرح وزير الثقافة أنه لن يستقيل طول عهد الرئيس مبارك، وكتب محمد حسنين هيكل فى مجلة الكتب وجهات نظر عدد يونيو ٢٠٠٠ فبدأ بكشف عملية التزوير وتضليل الأمة، والتى حاولت الميليشيات الثقافية خداع الرأى العام العربى بها، فقرر أن الاعتراض لم يكن كما قال التنويريون على تأليف رواية أو صدورها، بل كان بسبب قيام وزارة الثقافة بنشرها: (وأما صدور طبعة مصرية بقرار مؤسسة دولة وبأموالها فمسألة أخرى ! وهنا نشأت المشكلة !) .. وانتقد هيكل نبرة الثقة الزائدة فى تصريحات وزير الثقافة والتى (توحى لمن يهمه الأمر بأن وزارة الثقافة لها وضع خاص . وأنها تعتبر نوعا من المحميات السياسية تشبه المحميات الطبيعية ، وهذه المحميات الطبيعية والسياسية مناطق يكون الدخول إليها باحتراس ، والتعامل معها بحذر، والخروج منها برقة !). ثم أضاف هيكل فى إسقاط جرئ وخطير يضع فيه مبضعه على وجيعة الأمة : وكانت الثقافة على مسار التاريخ وتزال فى حاجة إلى رعاية الأمير لكن رعاية الأمير تختلف عن حماية الأمير). ثم تناول فى سخرية راقية الأسلوب الذى لجا إليه الدفاع عن الوليمة : (فوزارة الثقافة التى فوجئت بما قيل حول الوليمة ، راحت تتصرف على عجل كما يتصرف رجل وقعت من حوله الجدران أثناء وجوده فى الحمام ، وأخذته المفاجأة ولم يعرف كيف يتصرف . ولجنة من أدباء و كتاب حاولت أن تجد مخرجا، ثم صدرت بيانات لم يتنبه أصحابها إلى أنهم خسروا المعركة قبل الطلقة الأولى) ..

(وبين المقولات إيحاء بأن النص الأدبى لا تصح مقاربته دون إرشاد من ناقد، وذلـك معناه أن هؤلاء الذي يرفضون تعرض المشايخ والكهنة للعمل الأدبى والفـنى ، تحولـوا هم بدورهم إلى مشايخ وكهنة).. طعن هيكل أيضا فى تسمية المثقفين لأنفسهم بالمثقفين مشككا فى أحقيتهم بذلك، وتناول جميع الحجج والأسانيد التى لجئوا إليها فحطمها تحطيما، علق مثلا على احتجاجهم بأن معظم مـن رفضوا الرواية لم يقرءوها بأن كتاب رأس المال لكارل ماركس لم يقرأه كاملا اكثر من بضع مئات من العلماء والدارسين على امتداد قرن ونصف القرن من السنين ! كما استهجن المقولات التى انفرطت : منها أن أعشاب البحر ، دافعت عن الإسلام أو أن أبطال الرواية وليس المؤلف هم المسئولون عما يرد بهـا من حوار، منوها أن أنصار سلمان رشدى لجئوا إلى نفس المنطق. وعن بـيان الأزهـر قـال هيكل أنه تجاوز فى صفحة واحدة كل ما نشرته صحيفة الشـعب. ما أن نشر هيكل مقالته هذه حتى هبت رياح الخماسين والسموم من المثقفيـن علـيه . فهم لم يغفروا له أنه فضحهم ، وسفه أحلامهم، ولا أنه شهد كحكـم لا شـك فـى جدارته أنهم قد هزموا فى المعركة قبل أن تنطلق الطلقة الأولـى. كـل ذلـك لـم يقـع على هواهم، لتظهر أبرز وأسوأ صفاتهم: أنهم استئصاليون لا يطيقون رأيا آخر مهما كان مصدره. فلقد بدأ هجومهم الضارى علـى محمـد حسـنين هيكل، وقال أحدهم فى أخبار الأدب والقاهرة – أنه لا يختلف عن الشيخ كشك: فالأخير أهدر دم نجيب محفوظ، أما هيكل فقد أهدر دم حـيدر حـيدر. كمـا وقع الآخرون فى سقطة غباء مضحكة، إذ أنهم وهم يواجهـون هـيكل، الـذى عقد مقارنة بين رواية حيدر ورواية سلمان رشدى، وبـدلا مـن أن يحاولوا الادعاء بكذب لم يتورعوا عنه أبدا – أن الروايتين لا تتشابهان، بدلا من ذلك اندفعوا للدفاع عن رواية سلمان رشدى !!..

فـى ٢٠/٥/٢٠٠٠ كانت قناة " أبو ظبى الفضائية " تذيع تسجيلا مع فاروق حسـنى وعادل حسين وبعض مدعى التنوير بالإضافة إلى كاتب هذه السطور، كـان الوزير آخر المتكلمين، وكانت آخر كلماته بعد أن وجه كثيرا من السباب إلـى الظلاميـن المتخلفيـن مثلـنا، أنه سيوافق موافقة تامة على رأى الرجل المسـتنير الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى الرواية دون أى تعقيب منه.

والحقيقة أنه كان معذورا فى ذلك، لأننى أنا نفسى ما كنت أتوقع أن يأتى بيان الأزهـر بهذه القوة والوضوح، على العكس، كنت أتصور أن يكون على هوى

الدولـــة، ولقد انعكس هذا على حديث صحافى نشرته مجلة المجلة اللندنية ونشر يـــوم ٥/١٦ كنـــت أجيـــب علـــى سؤال بهذا الصدد بقولى: هذه القضية بالغة الوضـــوح، يفهمهـــا رجل الشارع العادى بنفس الدرجة التى يفهمها بها العلماء، إنهـــا قضـــية لا تنتظر الحكم من خارجها، قضية محكوم فيها فعلا، وهى التى تحكم على من يحكم فيها.

لم نتوقع ولم يتوقع الوزير بيان الأزهر.

وأذاعـــت قـــناة أبـــى ظـــبى كلام الوزير وأتبعته على الفور بصورة لبيان الأزهر..

ولم يف الوزير بوعده.. بل راح يهاجم الأزهر..!!..

أمـــا صحافته، خاصة القاهرة وأخبار الأدب، فقد بلغ بها أن اتهمت الأزهر بأنـــه ينصـــب مـــن نفسه محكمة من محاكم التفتيش، وأنه لا علاقة له بالأدب ولا حـــق لـــه أن يحكـــم فيما هو خارج الدين، بل وشبهت هذه الصحف رئيس جامعة الأزهر بالنازيين.

يلخـــص مأســـاوية الوضـــع كله ما قاله الدكتور أحمد عمر هاشم فى حديث نشرته مجلة المصور الصادرة فى ٢٠٠٠/٥/٢٥، من أنه كرئيس للجنة الدينية فـــى مجلـــس الشعب مُنِع من إلقاء بيان يدافع فيه عن الله والقرآن والرسول – صـــلى الله عليه وسلم – بينما سمح لفاروق حسنى أن يلقى بيانه الذى يدافع فيه عمـــن يسبون الله والقرآن والرسول – صلى الله عليه وسلم ، وراح الرجل يردد فى ألم: حسبنا الله ونعم الوكيل.

كان الدكتور أحمد عمر هاشم قد ألقى قبل صدور بيان الأزهر بيانا عنيفا فى مجلـــس الشعب يتهم فيه الرواية بالكفر البواح ويؤكد أنها رواية تستحق الحرق. كان يتكلم بناء على تقرير اللجنة الدينية فى مجلس الشعب.

وانـــبرت صـــحافة التنويريـيـــن تندد بمحاكم التفتيش الجديدة، لم يخجل دعاة الـــتزوير لا التـــنوير مـــن ذلـــك الاستشهاد وكأنما محاكم التفتيش وصمة عار إســـلامية، كأنهـــا ظهـــرت فـــى العـــالم الإســـلامى، أو أنها اختراع إسلامى، أو اســـتخدمها المســـلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغيير دين الشعوب التى خضـــعت للسلطة الإسلامية، أما الحقيقة التى لا يكاد يذكرها منهم أحد، فهى أن

محـــاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيرا وفقط فى أوروبا الكاثوليكية، ولكن أهم من. ذلـــك أنهـــا ظهرت أولا وأساسا ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم ، ومع ذلك تجد التزويريين لا التنويريين – إذا تحدثوا عن محاكم التفتيش لا يذكرون المسلمين بحـــرف ، ولا أنهـــا قامت أصلا وأساسا لإبادة المسلمين فى أسبانيا والبرتغال وكريت وصقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا..

فـــى العـــدد ١٦٥ من مجلة الأهرام العربى كان أحمد عمر هاشم المجروح بهجوم غير كريم من كمال الشاذلى: رجل كل العصور واليد الباطشة فى مجلس الشـــعب والذى هدده بعدم الدخول إلى مجلس الشعب مرة أخرى ومن إبراهيم سعدة رئيس تحرير أخبار اليوم، كان يقول: أن بياناته عن المظاهرات والرواية منعـــت من النشر.. وأن ما نشر كان كاذبا.. ويحمل وزير الثقافة المسئولية عن المظاهرات.. كما صرح لمجلة أكتوبر ٢٨ مايو: بعد أن ألقيت بيانى فى مجلس الشعب " ذهبت لأصلى العشاء فى مسجد السيدة نفيسة، وما أن رآنى الناس هناك حتى بكوا واستصرخوا للإسلام..

١٦- لم يستجب منهم أحد.

١٧ - لم ينشر أن أحدا منهم قد استجاب.

١٨- استجاب العديدون أخص بالذكر منهم الشاعر فاروق جويدة وأحمد بهجت (الأهـــرام)، ومقالات للدكتور مصطفى محمود، والأستاذ الدكتور جابر قميحة ، والدكتور محمد سليم العوا (الأسبوع ومجلة الكتب وجهات نظر) ومحمد حسنين هـــيكل (مجلـــة الكتـــب وجهـــات نظر) وتهانى إبراهيم ونبيل أباظة ومحمد الـــزرقانى وآمال عثمان ومحمد عدنان سالم " رئيس اتحاد الناشرين السوريين ووكيل اتحاد الناشرين العرب" (أخبار اليوم) ومصطفى بكرى واللواء كمال حافظ وحامد زيدان وفاروق أباظة (الأسبوع) وإبراهيم الدسوقى أباظة وأحمد أبو الفتح ومجدى مهنا وجدى سرحان وطلعت المغاورى ومحمد الحيوان ومحمد عـــبد القـــدوس وســـيد عبد العاطى وسمير محمد غانم وعصام العديدى وعماد الغزالى (الوفد) ومحمد الزرقانى. وأحمد الشيخ ومحمد الشندويلى وعبد العزيز عـــبد الحلـــيم ومحمـــد إبراهيم الفيومى وعمرو شنن (صوت الأزهر) وعادل الأنصارى ومحمد جمال حشمت وعامر شماخ ومحمد رضا والنعمانى ومحمد حســـين وعـــبدالله الطحاوى (آفاق عربية) وخالد عبد الحميد (النبأ) وإبراهيم عيســـى (أخـــبار الأدب) وأحمد عبد الحفيظ وسليمان الحكيم(العربى) والدكتور

حلمـــى محمــد القـــاعود وسيد الفضلى وصلاح الإمام وصبحى عبد السلام (الحقيقة) .

فـــى الصـــحف العربـــية كتب الدكتور محمد على الفرا نائب رئيس جامعة الأردن السابق وعضو الجمعية الملكية للتاريخ والكاتب الكبير إبراهيم العجلونى والكاتب الكبير ياسر الزعاترة وطه خليفة.

إنـــنى أنـــبه القارئ أن بعض الكتاب قد كتبوا أكثر من عشرة مقالات حول الوليمة، كما أن هذه الأسماء لا تشمل ما نشر فى صحيفة الشعب ولا فى معظم الصـــحف العربـــية، وأنها مجرد عينة لما نشر عن الموضوع، الأسماء السابقة كلها انتصرت لدينها وربها، أما الحيدريين فكانوا ثلاثة أضعاف هذا العدد!!.

١٩- راجع نص بيان الأزهر الذى تجاهلته معظم الصحف القومية.

٢٠- كـــان موقف شيوخ الأزهر وطلبته رائعا: فقد أصدر ٧٠ عالما أزهريا بيانا يطالـــبون فـــيه: " بوقف جرائم وزارة الثقافة وتطهيرها ممن أساءوا إلى الدين والوطن، كما دعا البيان الرئيس مبارك إلى رفع الحصار عن الدعاة المخلصين. وأوضـــح البـــيان أن وزارة الثقافة قد دأبت منذ سنوات على إصدار مطبوعات استهدفت أخص خصائص الأمة فى العقائد والأخلاق والسيرة النبوية. ندد البيان بسيطرة الماركسيين والشيوعيين على مؤسسات الثقافة مؤكدين أن لها رموزها من الألوان الأخرى ذات الانتماء إلى الثقافة العربية والإسلامية الرافضة لارتداء عـــباءة الآخر والذوبان فى بضاعته. إن تسليم إدارة دفة الثقافة لرموز تغريبية أمـــر غـــير معقول ولا مقبول، وهو لا يمكن أن يصب فى صالح الوطن. فى الـــدول التى تحترم شعوبها وثقافتها يكون القائمون على الشأن الثقافى من أكثر المؤمنين بثقافة أمتهم وحضارتهم، أما فى بعض دولنا العربية والإسلامية فيؤتى بأعـــتى المتغربين ويسلمون تلك المواقع.. أليس فى ذلك ما يدعو إلى كثير من الحزن والرثاء بل والاحتجاج أيضا".

طلـــبة الأزهـــر مثلوا ضمير أمتهم الإسلامية، لا نريد أن ننكأ الجرح الآن خاصـــة بعـــد الموقف العظيم الذى اتخذته قيادات الأزهر والذى أسفر عن بيان الأزهـــر بعـــد ذلك. لكننا فى الوقت نفسه يجب ألا نغمط حق أبنائنا الطلبة. لقد حاولوا دون جدوى الالتقاء بمسئول فى جامعتهم كى يعبروا عن رفضهم للرواية الكافرة. لم يستجب لهم. كانوا معتصمين فى مدنهم الجامعية، فكروا فى التجمع كطلـــبة وطالبات كى يذهبوا فى مظاهرة سلمية إلى مكتب مسئول، ولأنه يوجد

شــارع يفصل ما بين مدينة الطلبة ومدينة الطالبات فقد فكروا أن تعبر الطالبات كــى يصحبن الطلبة، واختاروا أن تبدأ الطالبات كنوع من إبداء نواياهم السلمية ولإحــراج أجهزة الأمن، لكن الأخيرة لم تعان من أى حرج، هاجمت الطالبات، ونــزل الطلبة من مساكنهم ليدافعوا عن زميلاتهم، وأطلقت الشرطة الرصاص وقــنابل الدخان دون حساب. لا يمكن فهم دوافع أداء الشرطة دون الرجوع إلى حادث العربى شحاتة فى بور سعيد، عندما فصل كبار رجال الأمن جميعا، كانوا يدافعــون بجنون الرعب من القهر الباطش عن وجودهم. لقد أدركوا منذ زمان طويــل أنهــم مهما قتلوا من الأمة فلا تثريب عليهم، لكن، إذا حدث أى تجاوز للأمــن فــالويل لهم. من أجل هذا كانت مواجهتهم قاسية وعنيفة ومتجاوزة كل الحدود.

أرســل الطلبة المحاصرون نداءات استغاثة على الإنترنت، وفى واحد منها كانوا يصرخون ويستصرخون: هل على طلبة الأزهر، أكبر جامعة إسلامية فى العالم، أن يستنجدوا بالصليب الأحمر؟!.

انــتهزت فرصة حديث مباشر كنت مشاركا فيه على قناة الأوربت الفضائية، ونقلت نداءهم إلى العالم.

المــنافقون أدعــياء التنوير والإبداع الكذبة ادعوا أن حزب العمل حرضهم، وكــان الطلبة يردون فى ازدراء: ولماذا لم يحركونا فى قضاياهم الخاصة قبل ذلــك. وبعد ذلك أغلقت الحكومة حزب العمل وصحيفة الشعب، ولو كان لكلام المنافقيــن أى ظــلال مــن الصدق لحركوهم بعد أن صدر حكم بالإعدام على الحزب، أو بالأحرى على الشرعية كلها.

٢١- كــان الموقــف رائعا: كان الخطباء يبكون وهم يلقون خطبة الجمعة. كانت التعلــيمات مشــددة إلــيهم ألا يتطرقوا للأمر، لكنهم انتصروا لربهم ولقرآنهم ولرسولهم - صلى الله عليه وسلم وخالفوا الأوامر. فى المدن تم الأمر بسلام. أمــا فــى القرى فإننى أعرف واحدا على الأقل استدعته أجهزة الأمن لتضربه ضربا مبرحا.

٢٢- فــى الإســماعيلية فقط قدم المحامون ٣٠٠ بلاغا ضد وزارة الثقافة، وفى القاهرة تم تقديم ١٥٠ بلاغا إلى النائب العام، ثم جرى التعتيم على الأنباء بعد ذلك.

٢٣- كــان موقــف الوفد جيدا فى عمومه، أما موقف التجمع والناصرى فقد كان فاجعا.

٢٤- كان مذهلا موقف الصحف فى مصر: فيما عدا مقال فاروق جويدة بالأهرام يــوم ٥/٧ حاولت الأهرام أن تكون بعيدة عن الأحداث فى الأيام الأولى، بعد ذلـــك، وكما لو أن أمرا قد صدر من جهة ما (أرجو ألا تكون الخبير الأجنبى) انبرت أقلام للهجوم والتشويه، منها قلم صلاح منتصر.

كتب أيضا إبراهيم نافع وإبراهيم سعدة وسمير رجب.

الأخبار وأخبار اليوم كان موقفهما غريبا وغير متوقع، هاجمت وزير الثقافة والـــوزارة بعنف شديد ، وبدت بعض مقالاتها كما لو كانت منشورة فى الشعب، بـــل وتطرقـــت المقـــالات إلى كشف فساد مالى، وهجوم شديد على الشيوعيين الملاحـــدة وسيطرتهم على أجهزة الثقافة وطلب بتنحيتهم. بقية الصحف ظهرت سيطرة وزارة الثقافة عليها إما بسيف المعز(المصادرة) أو بذهبه (الإعلانات). وظهـــرت الحكمة الشيطانية التى دفعت الحكومة للمحافظة على عشرات وربما مئات الصحف الصغيرة التى تدور فى فلكها لا تستطيع أن تعصى لها أمرا، ثم أنها تقوم بالعمليات القذرة التى لا يليق بالصحف الكبرى القيام بها.

بمجهود فردى أحصيت حوالى ٧٠٠ مقالا فى الصحف المصرية خلال شهر واحـــد. ومثلها تقريبا فى الصحف العربية. وكان ٧٥% تقريبا من هذه المقالات يصـــب فى اتجاه السلطة التى حددت اتجاهها مع أدعياء التنوير. الأمر قد يبدو محـــزنا، لكنـــنا من وجهة نظر أخرى نستطيع القول أن نسبة ٢٥% انتصرت لـــربها ولدينها وللحق فى هذا الخضم من الإرهاب والبطش وتزييف الوعى هى نسبة مرتفعة ومبشرة.

و الأمر يحتاج إلى جهد متخصص لبحث سياسى اجتماعى شامل لما نشرته الصحف فى تلك الفترة.

٢٥- لم تعلق مباحث أمن الدولة على ذلك، بل علق عليه صحافى من صحفيى أمن الدولة.. وفى أخبار الأدب!.

٢٦- كـــان معدل الخطابات ورسائل البريد الإليكترونى فوق طاقتى وطاقة صحيفة الشعب ليس على نشره بل على مجرد قراءته كله.

٢٧- كـــان موقف الصحافة فى العالم العربى غريبا: كانت بعيدة عن سطوة جهاز الأمـــن، وكانـــت بعـــيدة عن سطوة جهاز الثقافة الأشد سوءا من جهاز الأمن، وبالـــرغم من ذلك لم يختلف شأن معظمها عن شأن معظم الصحف المصرية، كـــان ذلك محزنا، وكان يدل على عمق الاختراق من ناحية وعلى فقدان التمايز

مع فقدان الهوية من ناحية أخرى. هل بلغت سطوة العولمة أن قولبت الجميع؟ أم أن الأمر لا يعدو ثمارا مرة لتأثير الماركسيين المصريين والشوام وسيطرتهم على معظم الصحف؟ أم لسيطرة أجهزة الأمن على مكاتب هذه الصحف في القاهرة؟ أم لعملية تبادل منفعة ومصالح أهدرت حق الناس في أن يعرفوا الحقيقة؟ أم لافتقاد خطير للإيمان؟ أم كل ذلك جميعا.

صحيفة الحياة على سبيل المثال، والتي نشرت عشرات المقالات المؤيدة للفحش والكفر خلف اسمه التنكري: " الإبداع " ، والتي تنشر للكتاب الإسرائيليين، نشرت لي مقالا واحدا بعد تلخيصه(والتلخيص في مثل هذه الأحوال تشويه وانحياز للطرف الآخر) صحيفة القدس العربي كانت أسوأ حالا، صحيفة الزمان اللندنية كانت متوازنة ونشرت ما قلته دون تشويه. مجلة المجلة السعودية والتي تصدر في لندن كانت استثناء ونشرت ما قلته بأمانة. المذهل حقا أن بعض الصحف السعودية قد نشرت مؤيدة لوزارة الثقافة المصرية (راجع مجلة البيان اللندنية: العدد ١٥٣) والتي كتبت تحليلا جيدا قارنت فيه بين ما يحدث في بلادنا وما حدث في فرنسا من مصادرة رواية : " بادية فرنسا" بسبب ما فيها من عبارات ماسة باليهود.

٢٨ – أرسلت العديد من الجاليات المصرية احتجاجا إلى الجهات المختصة، أذكر منها جواتيمالا وماليزيا واليابان واستراليا، كما فعلت الجالية المصرية في سويسرا: كان القسم العربي في إذاعة سويسرا قد أجرى حديثا مطولا معي، وقد تصادف أن أذيع الحديث أثناء وجود الرئيس مبارك في سويسرا لزيارة أمير عربي في المستشفى، وأرسل الرئيس وزيرا للالتقاء بالجالية المصرية ، الذين قدموا له –كما ذكرت صحيفة الوفد – احتجاجا شديدا على قيام وزارة الثقافة المصرية بنشر أعمال تسئ إلى المقدسات.

٢٩– راجع خطبة فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي في الملف.

٣٠– كان إدوارد الخراط نفسه هو الذي ينبه القارئ في كتابه إلى المزج بين المقدس والجنس، لكن جمعية المنتفعين بوزارة الثقافة، أدعياء التنوير والإبداع، راحوا يهاجمونني بأشد الألفاظ سوقية وبذاءة ، ألفاظ أكثرها تأدبا: يا جاهل، مدعين أن للخرقة رمزا صوفيا، متجاهلين تعليق إدوارد الخراط نفسه، والأهم من ذلك أنهم تجاهلوا بقية القصائد وما فيها من عهر وفجر وكفر لا يمكن الدفاع عنه.

٣١- للقارئ البرىء: يقصد كاتب هذا الفحش العضو الذكرى.

٣٢- هنا بلغ الفحش الداعر حدا خجلت معه من إيراد النص، قصيدة منها كانت تصف تفاصيل فعل فاحش لمواقعة كاملة لأنثى، وبرغم أننى طبيب وهذا جزء من دراستى، فقد عجزت عن فهم الوضع المقصود فى الشعر الداعر، وكنت أخشى أن يكون ثمة رمز لا أفهمه، فاستعنت بزميل غير ملتزم قضى ردحا من الزمان فى أوروبا، وضحك الزميل كثيرا وهو يشرح لى الوضع الداعر.

٣٣- وضع جنسى آخر!!

٣٤- تذكر هنا أن المانجو ليست للأكل!! بل لدهن الثدى بها .. و..

٣٥- هذا هو إقرار الناقد، لكن واحدا من أدعياء التنوير أخذ يسبنى ويسب جهلى سبابا فاحشا لأننى لا أفهم رموز الشعر، وفى إطار رده على نقاد (منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض أستاذ النقد بجامعة عين شمس) قارنوا بين أعمالى الروائية وبين أعمال وجيمس جويس وجورج أورويل وباسترناك، فقد ارتكب الصحافى ما لا يمكن تصوره.. ونشرت صحيفة العربى الناصرى له ما كتب.. إذ أنه كتب اسم الكاتب الروسى باسترناك بطريقة بذيئة فاحشة تركز على حروفها الأخيرة.. كان هذا هو قدر أدب الإبداع والتزوير..

الواقعة نفسها لا تهم فى ذاتها، فمن الممكن سماع مثل هذا من أى حوذى فى الطريق، أو من مخمور فى مستنقع، لكن أن يكتبه من ينتمى إلى الصحافة وأن تنشره الصحيفة يدل على عمق الكارثة التى وصلنا إليها وفداحة الانحطاط.

٣٦- لعل القارئ الذى استنار الآن بعد مجهود وزارة الثقافة المضنى يدرك ما المقصود بالعضو!..

٣٧- المقصود خجل الشباب: ليس من ممارسة الفحشاء.. بل من عدم ممارستها!!..

٣٨- هذه الفقرة وردت بنصها فى مقال سابق لى نشر قبل أزمة الوليمة بشهور طويلة..نعم لم تكن الأزمة أزمة الوليمة.. بل أزمة النخبة المتسلطة على الأمة.

٣٩- من المؤسف أن صلاح عيسى كان واحدا من أكبر الخاسرين فى أزمة الوليمة، وبدا أنه قد حسم أمره، ويبدو أن موقفه كان محسوما منذ البداية لكننا لم ندرك ذلك، وما قبوله منصب رئيس تحرير صحيفة القاهرة وهى الصحيفة الملاكى لوزير الثقافة سوى دليل على ذلك. لأعداد متوالية خصص صلاح عيسى صفحات كاملة ومانشيتات الصفحة الأولى للهجوم علىّ. استكتب

العديديـــن، وأطلـــق علـــىّ كاتبا يمنيا اسمه بلال فضل دبج صفحات وصفحات فـــى الهجـــوم علىّ. وليس كل ذلك مهما. المهم فيه هو كشف طريقة العلمانيين فـــى الهجـــوم، كـــانوا قد حوصروا وضبطوا متلبسين فتركوا القضية الأساسية وحاولوا طول الوقت جرّنا إلى قضايا فرعية. منها مثلاً أننا ضد الإبداع دون أن يحددوا ماهية هذا الإبداع، مما دفع المحامى الشهير مرتضى منصور أن يصرخ فـــى بـــرنامج تلـــيفزيونى على قناة الجزيرة: إنهم يشبهون تاجر جنس يعرض شرائط فيديو للأفلام الداعرة والفاحشة لكنها يخفيها فى علب للقرآن الكريم!! فإذا ما هاجمه أحد صرخ: إنهم يهاجمون القرآن!!..

لكم هو مرير أن يترك بعض المثقفين منزلتهم العالية لكى يعملوا "بودى جارد" عند بعض المسئولين..!!..

٤٠- كتب بيانا مليئا بالأخطاء الإملائية والنحوية (مما دفع البعض للمطالبة بإعادة تأهيله) يتهمنى فى هذا البيان بالإرهاب.

٤١-- بـــدأت المظاهـــرات فـــى الأزهر مساء الأحد ٢٠٠٠/٥/٧.. اشترك فيها ٢٥٠٠٠ طالـــب، وأطلـــق الأمـــن الرصـــاص على الطلاب.. كان القناصة يصـــطادونهم داخـــل الحجـــرات فـــى المدينة الجامعية.. وكانت رسائل البريد الإليكـــترونى من الطلاب أقسى على من ذوب الرصاص المنصهر، فكتبت هذا النداء إلى الرئيس ونشرته صحيفة الشعب..

٤٢- شـــاعر مصرى شهير نشر مقالا هاما فى الأهرام يوم ٢٠٠٠ /٥/٧ راجع نـــص المقال فى كتاب الدكتور جابر قميحة عن الوليمة. انهال الحداثيون رواد التزوير بالهجوم والسباب عليه بعد نشر مقاله.

٤٣- كـــان الدكـــتور رفعت السعيد على قناة الجزيرة الفضائية عندما راح يصيح أنـــنى أتهـــم نصف الصحافيين المصريين بالعمالة لأجهزة المباحث فى الداخل والنصـــف الأخر بالعمالة للخارج، كان يلوح بالصحيفة واثقا أن المشاهدين لن يســـتطيعوا قـــراءتها ومراهنا على ضعف الذاكرة وقصور المتابعة، ولقد أغفل الدكـــتور -الذى تحميه حصانته من المقاضاة- سطرا فى بداية الفقرة أنسب فيه القول إلى كتاب الصحافى أسامة عرابى، كما أغفل فى النهاية سطرا آخر أقول فيه أننى شخصيا لا أصدق هذا الكلام!.

كـــان الدكتور أيضا يلوح بمقال "أنا مع الإرهاب" مؤكدا أنه اعتراف وإقرار مـــنى بذلـــك، ما لم يذكره من عينته الحكومة عضوا مجلس الشورى أن عنوان المقال كان عنوان قصيدة لنزار قبانى، وكان المقال يتحدث عنها: (المقال وارد فى الجزء الأول من هذا الكتاب).

تـــناول الدكـــتور أيضـــا بعضا من رواياتى : " بروتوكولات حكماء العرب" وعاملهـــا على أنها مقالات، وراح يندد بما فيها، كان منها على سبيل المثال : "فتـــنة الوزيـــر الشاذ" و"القسم الأعظم". كنت مندهشا جدا من غضبه، لقد كتبت رواية ولم أحدد فيها أسماء وزعم ذلك أصابه الغم من أجل ذكر وزير شاذ، لكنه لـــم يغضب من شتائم سافة وجهت مباشرة لله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم.

إنه نمط فى القراءة المغلوطة التى لا تسعى إلى حق أو حقيقة بل إلى تناصر قبلى متخلف.

٤٤- كانت هذه الجملة من الجمل التى هاجمونى بسببها بضراوة.

٤٥- لم يدن أحد من أدعياء التنوير والإبداع والحرية بطش أجهزة الأمن.

٤٦- قضـــية الولـــيمة أصـــبحت ملك التاريخ الذى سيثبت أنها كانت منعطفا بالغ الأهمـــية فى مسار العمل الإسلامى والثقافى، وبرغم أنهم شنوا أشرس وأكذب حملة فى تاريخ الصحافة المصرية إلا أنهم خسروا المعركة. كان صلاح عيسى يـــندب فى صحيفة القاهرة حظهم قائلا أن الإسلاميين نجحوا فى إقناع الناس أن كـــل علمانى كافر، وكان الغيطانى يندب حظهم فى صحيفته أخبار الأدب قائلا أنـــنا أقنعنا الناس بأن كل مبدع زنديق. ولم يكن هذا صحيحا فى عمومه، كان يعـــنى فقـــط أن العلمانـــية علـــى طريقتهم كفر وبعض الإبداع الذى يؤيدونه وينشـــرونه هـــم هـــو الزندقة، على أى حال كان ذلك اعترافا بأنهم خسروا المعركة.

يعـــتمد العلمانيون، الذين لا يعترفون بقيم مطلقة على سيطرتهم على وسائل الإعـــلام، وأنهـــم يســـتطيعون إبـــراز ما يشاءون وإسدال ستائر النسيان على مـــا يفضحهم ويكشف أخلاقياتهم، وهم بهذه الطريقة ينجحون فى مواصلة خداع الناس، لذلك علينا أن نكشفهم باستمرار.

الجـــدول الـــتالى يحـــوى مقتطفات قليلة جدا من السباب الذى وجهوه إلى شخصى الضعيف، كان هذا أدبهم وثقافتهم ومنتهى قدرتهم على الحوار.

وبالــرغم مــن ذلــك تجدهم يدعون الاشمئزاز والاشمئناط من أسلوبنا الفظ وانعــدام قدرتنا على الحوار. لقد نجحنا هذه المرة أن نجعلهم بتعبير الأستاذ وجــدى غنيم الداعية المعروف يخرجون من جحورهم، فلقد تعودوا دائما تمامـــا مثل بنى إسرائيل أن يجعلوا غيرهم يحارب لهم معاركهم، فهم إما أن يستعدوا السلطة أو يسلطوا غلمانا سفهاء غير معروفين ويظلوا هم فى بروجهم المشــيدة كى لا تنال المعارك من قداستهم المزيفة.. فى هذه المعركة أخرجناهم من جحورهم. وضبطناهم متلبسين، وبرغم أن الغلمان قاموا بالدور الأكبر إلا أن العلاقة كانت شديدة الوضوح هذه المرة.

لقــد كــان غريبا أن موسوعيا كمحمد حسنين هيكل وصف أسلوبنا بالغلظة، وعاقلا كسلامة أحمد سلامة يصف أسلوبنا بأنه "كالبلطة".. لقد عجزا عن الحكم الصحيح الذى يستطيع القارئ العادى أن يصل إليه، والعتبى على منهج وفلسفة تكرس المعايير المزدوجة.

لقــد انفجــرت المعركة بعد ضغط استمر من الزمان قرنين. لذلك فليس من حقــى أن أحجب عن القارئ ولا عن التاريخ ذلك الجدول بما يحويه من فحش وبذاءة، لأنهم سيحاولون التعتيم عليه بعد ذلك تماما، كى يواصلوا خداع الناس.

الصحيفة	التاريخ	الكاتب	كلمات السب والقذف
أخبار الأدب	٧مايو	جمال الغيطانى	اتهــام كاتــب المقــال بالتحريض على القتل ونشر عناويــن المسئولين عن النشر(لم يحدث فالذى نشر عنوان هيئة قصور الثقافة)
	.	وائل عبد الفتاح.	صــحيفة متعطشة لقضايا..مسرح يلعب عليه بعض الحواة. المقال محتشد بكلمات هستيرية مهووسة- تحريض- اتهام كاذب بأن محمد عباس كتب منذ خمس سنوات مقالا ضد الكاتب ياسر إبراهيم- البحث عن الشهرة- الفشل فى الكتابة-كاتب فاشل. الشعب: حمى الفاشية-
		على أبو شادى	مجموعــة فشلت فى أن تحكم بالقوة والسلاح فأرادت أن تحكم الأدب.
		عبد العزيز موافى	محمد عباس لا هدف له إلا الشهرة نقد رواية قصر العينى بسوء نية-
	١٤ مايو	جمال الغيطانى	حملــة تحــريض فاشية- قراءات مغرضة- الهدف: إحــداث العنف-وتهديد السلام الاجتماعى-وتحريض

			علـنى علـى القتل.. إلخ نشر أسماء وهواتف ناس محدديـن بقصد التحريض على قتلهم(ملحوظة: هذا كـذب: فلم ننشر فى الشعب عناوين ولا هواتف ناس محددين بل عنوان وتليفونات دار النشر المدونة على الرواية) تصيد-تربص-ترويع-بث السموم- ثم مهاجمة اللجنة الدينية في مجلس الشعب
		عبد العزيز موافى	شـيزوفرنيا عـباس- يوهمـنا بدفاعه عن الأديان- انـتهاك السـيدة العذراء(هنا يزور بحذف الرد) الساذج الباهت- انحطاط- غرائز. (الهـدف العـام مـن الـنقد هو الإساءة عن طريق الاقـتطاع والنية السيئة لدفعنا للدفاع ضد الاجتزاء، فإذا قلنا ذلك قالوا أننا فعلنا نفس الشيء برواية حيدر)
أخبار الأدب-		صبحى حديدى	المنافق- كاذب-الرداح- الرقص-هز البطن ركيك- تحريض خبيث- اصطياد رخيص نفاق الرداح- المعلمة الصفيق وصدئ الروح-
أخبار الأدب		خالد اسماعيل	فشـل فى أن يكون أديبا.. ما ذنبنا نحن- دكتاتورية هتلر وموسيلينى..صراخ-إبلاغ مباشر-إثبات قوة فى الشـارع للمعركة الانتخابية-المتآمرين- هناك تنسيق بين صحيفة محمد عباس وبعض عناصر الحكومة- محمـد عباس العائد من السعودية على هيئة مليونير يمتلك معامل وأرصدة فى البنوك- هل المطلوب منا أن ندفع ثمن فشل محمد عباس فى أن يكون روائيا- الصراخ الجعير- لعب الصغار
		محى الدين اللباد	حملـة غوغائية نائحة نادبة- رزالتهم-ثقل دمائهم- غوغائـية- مهيجون- رقابهم الغليظة-أثر من تفكير الشعوذة
أخبار الأدب- عن صحيفة القدس العربى		إلياس خورى	حملـته المسـعورة-ذرائـع لتحطيم الثقافة محاكم الاستهبال- فقهاء الموت والتزمت- ناقد معتوه- نقد هسـتيرى- سـلاح للقتل- نقول للناقد ولكل عصبة الجهـل.. ضـدكم وضد غبائكم وضد جهلكم- كذبة الأخلاق والتستر بالدين.
القاهرة	٩مايو		المانشيت الرئيسى: فضيلة الدكتور عباس كتب رواية تتطاول على الله وتحرف القرآن وتدعو للزنا
		المحرر	الذيـن يصـدون عـن دين الله - استخدام صفحات الصـحف ومـنابر المسـاجد لتوجـيه ألفاظ الفحش والسباب كذاب أشر- أعمى البصر والبصيرة إلخ

		سيد خميس	شـــهوة التكفـــير- جمع مقال محمد عباس أيتين من آيـــات الـــنفاق: الكـــذب فـــى الحديـــث والفجر فى الخصـــومة- صـــحيفة الشـــعب ومن تنطق باسمهم شـــريكان- حولـــت الصـــحيفة ما كتبه محمد عباس بطـــريقة وعاظ السوق وبائعى شربة الدود ..محمد عـــباس تدفعـــه شهوة شهرة تعمى وتصم .. مقال فـــج.. بلطجة فكرية.. ..إبراز الصحيفة ذلك بطريقة غوغائية .. تبنى خطباء المساجد للمقال بجهالة
		بلال فضل	فضـــيحة- نقد سيئ النية لرواية قصر العينى ونسبة جمل الحوار إلى الكاتب والاقتطاع والاجتزاء.. شاء الله أن يسقطه فى نظرى ويفضحه على رؤوس الأشهاد.. بأى سطور مجرمة أبداً.. الدكتور محمد عباس يقع فى إلحاد المجسدة دعـــوة صريحة لارتكاب الكبائر- يواصل الدكتور عـــباس كتابة الفجور- يكتب العهر- مصاب بمرض الفصام
		استطلاع جيهان محمود- عمرو يوسف	لكى لا تصبح مصر وليمة لأعشاب العنف المهووس- الفقيه الجاهل المحرض محمد عباس.. عبد العظيم رمضان: جريدة الشعب: تضليل وأكاذيب
العربى	٧مايو	فتحى عامر	أديـــب فاشل-مليونير- يعيش فى قصر كبير- العقدة التى تحولت إلى عصاب- الأديب المغمور الفاشل- هذا هو الأديب الذى يشعل الفتنة- لسان حاله يقول: شهرتى شهرتى وليذهب الوطن إلى الجحيم إلخ
الأهالى	١٠مايو	تحقيق: بهيجة حسين	أحمد الخميسى:صحيفة الشعب تضع نفسها فى قائمة الصـــحف الإرهابية والعرقية-رؤية ظلامية- ابتزاز رخيص مارسته صحيفة الشعب- جريمة لا أخلاقية- عفاف السيد: موقف الشعب بلطجة
		أحمد اسماعيل	سيطر الهوس على الجميع حملـــة ظلامـــية مسعورة- هوس تطرف ظلام- يجب لجم جريدة الشعب
		المحرر	صـــحيفة تتعمد الإثارة والتهييج-تضليل وغسيل مخ متعمد- صحيفة لا يشعر القائمون عليها بأى مسئولية تجاه الوطن وأبنائه.. الخ جريمة عبث بأمن الوطن وسلامة الشعب- عملية تضليل شريرة

الأهرام العربى	١٣ مايو	حوار مع حيدر	عقلــية محمــد عباس وعقليات غيره من المتشنجين المتخلفين.. إلخ
الأهرام	من ١٣ إلى ٦١ مايو	صلاح منتصر	دكــتور تحالــيل طبــية- لم يفعل ما يفعله أى مسلم حقيقى- راح مثل الندابات يصرخ مولولا- إلخ
البلد	١٥ مايو	على أبو شادى	كاتب غير أمين ليس كاتبا أو أديبا-المسألة فيها بعد شخصى لمصادرة أعمالــه- قــراءة جاهلة متعسفة غير منصفة وغير واعية-
الميدان	١٦ مايو	المانشيت	تكفير محمد عباس على الهواء بسبب الملك العارى.
		محمد حسن الألفى	حريق عباس ولعة المحتسـب الهـائج الطــارئ المائج محمد عباس الغوغائــية- هوس محمد عباس- ما كتبه المجذوب فــى الغيبوبة محمد عباس هو الكذب- كاتب مسموم العقل مدسوس اللسان .. مجند فى صفوف الشيطان- - كــذب وضلل متعمدا- عصر المجاذيب الذى من علاماته محمد عباس وعادل حسين وجريدة الشغب(بالغيــن وليس بالعين)- عباس هجاص وضحك على الناس-
آخر خبر	٢٢مايو	مانشيت	هروب عادل حسين إلى بيروت فى ظروف غامضة (ملحوظــة: فيما عدا العنوان الكاذب لا يوجد شئ مهم.
الخميس	١ يونيو	فاروق حسنى	محمد عباس يشرب من نفس كأس حيدر الذى فجر القضية مؤلف كتاب سيئ جدا يتطاول على الــذات الإلهــية- هــو يعتقد أننا لا نراه وأنه تحت الســلم- سوف ينال عقابه الرادع- هذه الحملة مجرد متاجرة سياسية رخيصة. هدفهم الثقافة فى مصر وهم يتلقون دعما من الخارج بميزانيات ضخمة جدا بهدف السيطرة على المجتمع المصــرى- يمســكون بسـيف الجاهلــية لمحاربة التكنولوجيا- قمعيون دكتاتوريون دمويون.
العربى	٢٥ يونيو	فتحى عامر	بذاءات محمد عباس- مخبر تمرس فى كتابة التقارير المباحثية لماذا انزعج عباس ووقف يولول ويتسافل حديثك التافه الوضيع دور عباس مشبوه ومأجور

			مركبات نقص وعقد نفسية وجنون عظمة والرغبة في تدمير كل شئ في ميزان سيئاتك الدور المأجور الذى قمت به الخ ملحوظة: المقال المذكور رد على رسالة خاصة منى لرئيس تحرير العربى، لم أرسلها كمقال ، وفوجئت بنشرها(مما يعنى انتفاء العلانية عما كتبته أنا عن الصحفي المذكور).
القاهرة	٣٠ مايو	عاصم حنفى	حزب الثلاث ورقات جورنال بدأ اشتراكيا يتخصص الآن فى فرش الملاية لمن لا يدفع أو يخضع مقالات الأخ عباس التى تتدفق كحنفية مكسورة أو قطار عطلان- هناك من على استعداد لدفع الشيء الفلانى مقابل استمرار واحد اسمه عباس يعانى من البارانويا الفاقعة فالتحقوا بفضل حماقة سعادتك بطوابير العاطلين.. مرحى بالأخ عباس
الأهرام العربى	٢٠مايو	الأهرام العربى	تزوير الحوار: المانشيت على غلاف المجلة: محمد عباس: أخطأت فى حق أبى حيدر وأدعو الله أن يغفر لى، يأتى عنوان الموضوع فى ص ٧٢: د. محمد عباس الذى أشعل الفتنة مازال مصرا على موقفه. حاولنا إجراء حوار يبرئ " ساحة د. محمد عباس من الجهل والدعوة لإهدار الدم، لكن ذلك لم يحدث- ملحوظة: يوجد لدى تسجيل للحوار.
		د. عبد المنعم سعيد	حزب العمل.. صورة بالغة البشاعة.. الشعارات الدينية تطرح بصورة هستيرية.. مخالفة صريحة للدين ومبادئه..
روز اليوسف	٢٦ مايو	كرم جبر	قالها عادل حسين بالفم المليان: ليس أمامنا إلا تهييج الناس والضغط على الحكومة بأن يثور الناس" ولو واحد قال كلام خارج سأضربه بالجزمة" هم جنرالات الثورة والتهييج وحملة الأحذية والقباقيب.
		عاصم حنفى	حزب الثلاث ورقات صار الحزب وكرا مختارا للمتطرفين والمهووسين من أمثال محمد عباس وأنصاره هذا الحزب التلفيقى وقف البهوات فى جبهة التطرف والانعزال وحرق الكتب وسجن المثقفين الخ

		بدون	عناصـــر التهيـــيج والإثارة، أقلامهم خناجر مسمومة مست الأبرياء وهددت أمن واستقرار البلاد.. صـــحف التهييج والإثارة التى استخدمت كل أشكال التجريح الشخصى .. فهـــل تـــتحرك النقابة قبل الأوان لإنقاذ الصحافة من المدعو عباس وأمثاله

هل قرأت أيها القارئ؟!..

اقرأ أيضا قول الشاعر:

فإذا تمعّر أو تكشّر ضاحكا فكأنه من وجهه يتغوّط..!!

٤٧- نمـــط آخـــر من منهج التزويريين فى خداع الناس الذين يثقون ثقة بالغة فى الكلمـــة المطبوعة، ولقد تجلى ذلك فى نقدهم لرواية قصر العينى. وعلى سبيل المـــثال فقـــد اخـــتار أحدهـــم جملة: "وكانت سناء فى هياج عظيم" ليدلل على استعمالى لألفاظ مكشوفة مثل حيدر حيدر، لم يذكر المدلس أن سناء هذه مصابة بشلل رباعى، وأن الهياج كان هياجا عصبيا، دعك من تجاهله للرمز لأن البطلة هـــنا بشـــللها الـــذى أصاب كل أطرافها ترمز للدولة بعد الهزائم المتتالية والإحـــباط المروع الذى أصاب الأمة بعد حرب الخليج. فى موقع آخر اتهمونى بإثـــارة الفتـــنة الطائفـــية لأننى نشرت شك بطل من أبطال الرواية يمثل التيار القومـــى العلمـــانى فى أن يكون عيسى عليه السلام وجد دون أب، نشروا ذلك وتجاهلوا السطر التالى مباشرة وهو رد مفحم من البطل الآخر الذى يمثل الدور الإيمانى يقول فيه : كيف تنكرَ أنه وجد دون أب ثم تصدق أن آدم وجد دون أب ولا أم. كـــانوا يريدون دفعى لاتهامهم بأنهم يجتزئون من روايتى ليصيحوا فى وجهى : أنت أيضا اجتزأت من رواية الوليمة، وكان يمكن أن يفعلوا ذلك بصدق وشرف، لكنهم اختاروا الكذب. المشكلة أن هذا الكذب صعب الإثبات، فلكى تثبته لابد من قراءة الرواية، وهم يعتمدون على ذلك.

لقـــد لاحظ الكثيرون منهم الدكتور جابر قميحة أن هؤلاء التنويريين يكذبون كذبـــا مجانيا طول الوقت، ولقد استشهدوا على سبيل المثال فى محاولتهم لتبرير الفحش فى إصدارات وزارة القافى بألفاظ خارجة فى كتاب الطب النبوى وفى كـــتاب إحـــياء علـــوم الدين للإمام الغزالى، وأتوا فعلا بنماذج تدلل على صحة قولهـــم، ولكـــن الدكتور قميحة قام بمراجعة النماذج التى استشهدوا بها فوجدها كاذبـــة وموضوعة!!.. إنهم يأتون مثلا بنص من الأغانى ثم ينسبونه إلى الإمام

الغـزالى، إن مواجهة جملة كاذبة من تلك التى يستشهدون بها تستلزم مراجعة كاملـة للكـتاب الـذى يستشـهدون به، وبعض هذه الكتب مكون من عشرات الأجـزاء، ومراجعـتها الدقيقة قد تستغرق أسابيع من المطالعة لكشف الأكاذيب الـتى تنسـب إلـيها، فما بالنا إذا كانت مئات الجمل؟! ومئات الأشخاص، إنها مؤامرة شيطانية. لأننا حتى عندما نكشفهم سيدعون أن الأمر مجرد خطأ مطبعى حـدث أثـناء جمع المقال!!.. فإذا ما ضيقنا عليهم الحصار أكثر، ستقف الدولة معهم وتغلق صحفنا التى نكشفهم فيها.

٤٨- تعرض الدكتور أحمد عمر هاشم لإهانات بالغة بسبب تصريحاته عن الرواية الكافرة. ونشرت بعض الصحف أخبارا عن استبعاده من عضوية مجلس الشعب وعن فصله من منصبه كرئيس لجامعة الأزهر.

٤٩- كان هذا من أعجب ما حدث، كانت الأزمة في الظاهر تتكون من شقين، شق مع الدولة وشق مع أدعياء التنوير، لذلك عندما بدأت التهديدات تصلنى عبر الهـاتف بقـتلى عجبـت، فالدولة يمكن أن تقتلنى دون تهديد، وأدعياء التنوير والإبـداع لا يفعلون ذلك جبنا لا ورعا، إنهم يمكن أن يسلطوا الدولة، لكن من غـير المحـتمل أن يقومـوا بذلك بأنفسهم، كانت التهديدات بالغة البذاءة، وكان واضـحا أن القائم بها يعرف الكثير عنى وعن أسرتى، أخبرت بعض الأصدقاء فطلـبوا منى ألا أستهين بالأمر، كان رأيهم أن كتاباتى قد حركت الشارع وهذا غير مسموح به، وأن عبد القادر عودة قتل من أجل سيطرته على وجدان الناس. رفضت نصيحتهم بالإبلاغ، كنت مؤمنا بأن لن يصيبنى إلا ما كتب الله لى، لكن الـتهديدات توالـت، قـررت ألا أتلقـى المكالمات، لكن التهديدات لم تتوقف، وأصبحت توجه لموظفى مكتبى ثم لأفراد أسرتى، طلبت من أفراد أسرتى إخفاء الأمر عن أمى، كان ذلك وضعا إنسانيا يضغط قلبى، فأمى : نبع الحنان الصافى والـرقة الخالصـة الذى طالما أرهقنى متابعتها لى بالقلق علىّ ولو من مس الـريح، كـان عمـرها يناهز الثمانين، وكان يمكن أن تظل الليل بطوله تبكى لـو وخزتـنى شوكة أو ارتفعت درجة حرارتى نصف درجة!! لكنهم رغم ما اتخذتـه من احتياطات وصلوا إليها، كانت تظنهم بشرا فراحت تردد: حسبى الله ونعـم الوكـيل، لكن الشيطان على الطرف الأخر لم يتورع عن استعمال أحط الألفـاظ وأبشـع الـتهديدات بقـتلى وقـتل أبنائى، رجوتها أن تكف عن الرد عـن الهـاتف، ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية، وهنا كان موقفها العظيم الذى لا أنساه قط، ذلك الموقف الذى ينتمى إلى تاريخ عظيم لأمة عظيمة، ولعلها

تمثلت موقف السيدة أسماء ابنة سيدنا أبى بكر، كنت أخشى أن يصيبها الانهيار من ضراوة وبذاءة ما تسمع، لكننى وجدتها صابرة متجلدة محتسبة وهى لا تكتفى بأن تطمئننى على نفسها بل وتشد من أزرى مؤكدة أن قضية الدفاع عن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم قضية لا يجوز معها التفكير فى مدى ما يمكن أن يصيبنى من ضرر مهما كان، وأنها راضية مرضية بقضاء الله.

٥٠- اضطررت إلى نشر التهديدات فى مقالى فى الشعب، ولم تتوقف التهديدات، وقام أحد الاخوة المحامين بتقديم بلاغ إلى النائب العام، كان آخر تهديد قد وصلنى قبل تقديم البلاغ بساعة واحدة. كان معدل المكالمات يصل إلى خمس أو ست مكالمات فى اليوم، بغد البلاغ لم يتكرر التهديد ولو لمرة واحدة.

ما زلت حتى الآن لا أعرف من الذى كان يهدد ولماذا وكيف بدأ ولماذا توقف؟!..

إن الأمر كله ما يزال مستغلقا علىّ، أوله عصىّ على التفسير كآخره!!..

٥١- جزى الله الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربى كل خير، فبمقالاته وكتابه القيم سد ثغرة هامة بتناول أطراف المسألة من كل جوانبها، الدكتور حلمى القاعود أيضا أبلى بلاء حسنا، لكن صحف الدولة كانت تغلق الأبواب أمام النقاد الذين يرفضون الاجتراء على المقدسات بينما تفتح الصفحات الطوال لمروجى البذاءة والفحش، وكنت تجد الواحد منهم يكتب كثيرا جدا لكنه لا يستشهد بفقرة واحدة من الرواية الكافرة أو الشعر العاهر الذى رفضناه، كلام قد يظن عير المتمرس أنه صعب وغير مفهوم لصعوبته بينما هو فى الحقيقة كلام بلا معنى يكشف شخصيات مريضة مهتزة.

كان من النقاط المضحكة وشر البلية ما يضحك- أنهم بدلا من الدفاع عن حيدرهم وشعرائهم راحوا يوجهون سهامهم نحوى، وكان من حججهم التى طالما رددوها أننى طبيب تحاليل (والصحيح أشعة) لا علاقة له بالنقد والأدب، ولو أن قائل مثل هذا الكلام أستاذ متخصص فى النقد والأدب على سبيل المثال لواجهناه وبينا له خطأه، لكن معظم من كانوا يقولون ذلك كانت مهنهم بعيدة تماما عن التخصص، فجمال الغيطانى دبلوم صناعة وخبرته فى مصنع سجاد .. وصلاح عيسى معهد فنى متوسط.. إبراهيم أصلان ساعى بريد، وعلى أبو شادى دبلوم تجارة وعبد العزيز موافى ضابط قوات مسلحة، بل إن منهم من فصل من عمله

لارتكــاب جرائم أخلاقية. ناقد آخر منهم كل مؤهلاته أنه تاجر فاكهة تعرف به المســيطرون علـــى الساحة الثقافية فى بواكير شبابهم، استأجر لهم شقة خاصة يســهرون فــيها ويشــربون الخمر على حسابه و.. و.. وكانت هذه الشقة هى مؤهلاته التى فتحت له أبواب صحفهم عندما كبروا - وما كبروا - ليكون ناقدا كبيرا متخصصا. لقد كان تقرير على أبو شادى على سبيل المثال فضيحة أدبية فقد وقع فى أخطاء إملائية ونحوية لا يقع فيها تلميذ فى الصف الابتدائى!! عدد كبــير مــن الحداثيين مثل على أبو شادى، بل إن معظمهم يعتبر الجهل باللغة والنحو ميزة إضافية تحسب له. والأمر هنا ليس أمر قصور أفراد بل اقتناعات نخبة بازدراء كامل فى ماضينا .. حتى اللغة..

إن الســاحة الثقافية الفاسدة فى مصر تحفل بكثير من هذا وما هو أسوأ منه، فالكثــيرون ممــن يحــتلون الصدارة فى ميدان الصحافة والأدب بدءوا بدايات غريــبة، أحدهم مثلا كان سائقا لمسئول فعينه صحفيا فأصبح بعد عشرين عاما رئــيس تحرير، رئيس تحرير آخر محكوم عليه بثلاث سنوات سجن فى قضية تســهيل دعــارة لكن كبار القوم أسبغوا عليه حمايتهم رغم الحكم الذى ما زال واجــب الــنفاذ فلم يقبض عليه، آخر كان موظف أرشيف فأصبح أيضا رئيس تحرير، لص وقواد ومبتز والعهدة على إبراهيم سعدة-أصبح مليونيرا ونائب رئــيس تحريــر صحيفة كبرى!.. وليس أخيرا أن من كان خادما فى المؤسسة أصبح رئيس تحريرها. إن كتابى " بغداد عروس عروبتكم " يحتوى على طرف مــن هــذه المأساة لكن كتاب الأستاذ أسامة عرابى- الذى سبقت الإشارة إليه- يحتوى على تفاصيل مذهلة.

كــان أمرا مضحكا أن يتهمنى هؤلاء بعدم التخصص. الذى لم يكن مضحكا هو موقف فاروق عبد القادر، فهو ناقد جاد رغم أننا نرفض ما يذهب إليه بسبب علمانيــته المفرطة. وقد اختلفت معه إلى صفحات الصحف قبل ذلك عندما شن هجومــا ســاحقا علـــى جمال الغيطانى ينكر عليه أن يكون أديبا على الإطلاق ويواجهــه بسرقات أدبية لا حد لها منها أنه نقل صفحات كاملة فى رواياته من كتــب الــتراث دون أن يشــير إليها، ومنها جهله الفادح بقواعد اللغة العربية. اســتحكم العداء بينهما ودبر له الغيطانى حيلة فاستدرجه لكتابة مقال فى أخبار الأدب ثــم أطلــق علــيه العشرات من أربابه ينهشونه، لذلك كان العداء بينهم مستحكما، لكن فى القضية الأخيرة جمع بينهما العداء للإسلاميين!!.

لســت أدرى كـيف ورط فاروق عبد القادر نفسه فى الحملة الضالة المضلة الــتى شنوها علىّ، إننى أفهم وأتوقع من الآخرين أن يستجيبوا للطريقة المبتذلة الــتى اتبعوها عندما كانوا يوزعون ورقة واحدة فيها الخط العام للنقد ويطلبون من الكتاب والنقاد أن يصنعوا منها مقالا، إننى أرجو من القارئ أن يدرك أننى لا أورد كل هذه التفاصيل إلا لسبب واحد، هو أن نفهم منهج هؤلاء الناس حتى نســتطيع مواجهــته، والملاحـظ هنا فى منهجهم أنهم يتبعون طريقة الحركات الســرية التى اتسمت بها التنظيمات اليسارية والماسونية حتى فى النقد الأدبى، ومــا أن يــبدأ أحدهم بطرح قضية أو التصدى لها حتى يتجاوب معه العشرات داخل البلاد وخارجها. لقد كانت هذه النقطة تحيرنى تماما قبل ذلك، فكيف يتفق أن يتصــدى مــنهم العشــرات لقضية ما فى نفس الوقت وبنفس الفكر والحجج والأســانيد، على مستوى السياسة كنت أفهم السر فى تشابه مانشيتات الصحف القومــية وافتــتاحاتها، كنــت أدرك أن مسئولا ما فى جهة حاكمة يملى عليهم مــا يكتــبون بالتلــيفون، وأحيانا ترسل المقالات مكتوبة وممهورة بتوقيع من لــم يكتــبها!.. فهمت السر على مستوى السياسة لكنى عجزت عن فهمه على مستوى الثقافة حتى حدثت أزمة الوليمة فإذا بنفس الشيء يحدث، الفارق الوحيد أنــنا فى السياسة نستطيع بالحدس والتخمين أن نحدد من يملى، لكننا فى الثقافة لم نكتشف حتى الآن. أقول أن جهة ما قد وزعت ورقة تحتوى على الخط العام وبــنود الهجــوم علىّ، وافق الكثيرون وصاغوا مقالات من هذه الورقة، لكن البعض رفض واتصل بى كى يكشف المهزلة.

فاروق عبد القادر فعل شيئا شبيها، إذ ردد حتى الأكاذيب الشفهية التى كانوا يتــبادلونها، فانفــرد على سبيل المثال بأن لى فى الأسواق عشرة كتب طبعتها جميعا على حسابى لأنها لا تجد رواجا، ورغم أن قيام الكاتب بطبع أعماله على حسابه لا يشين الكاتب بقدر ما يدين فساد الحياة الثقافية التى تعتمد قانون الشللية والأنصــار والأتــباع، أقول رغم ذلك فإننى لم أطبع كتابا واحدا من كتبى على حسابى، بل طبعتها لى ونشرتها كبريات دور النشر فى مصر، وذلك واضح من الصفحة الأخيرة التى تحتوى على قائمة بمؤلفاتى، ولست أفهم حتى الآن كيف ورط الناقد المنهجى نفسه فى هذا الكذب.

كــان فــاروق عــبد القادر واحدا ممن هاجموا رواية "قصر العينى" وكأننى لم أكتب سواها..

إنـــنى أتساءل على سبيل المثال:: إذا كانت روايتى : " قصر العينى" تحمل كما تردد فى أحاديث إفكهم بذاءات وكفرا كالوليمة.. فلماذا لم يدافعوا عنها كما دافعوا عن الوليمة؟! .. أو على الأقل لماذا لم يتقدموا ببلاغ ضدها إلى الأزهر أو إلـــى أيـــة جهـــة أخرى كى يؤيد الناس موقفهم؟ .. ولماذا جبنوا عن مجرد الـــتعرض لاسم رواية أخرى لى وهم يحصون ما كتبت.. هذه الرواية اسمهما : "مباحـــث أمـــن الوطن " ؟!! هل لأنها تمس أولياء نعمتهم؟ . ورواية أخرى اسمها : " الحاكم لصا" .. ومجموعة قصصية لى صودرت فلم يهتز لهم جفن.. لماذا لم يتعرضوا مثلا لكتاب إنى أرى الملك عاريا وهو كتاب يقارب الـــ٨٠٠ صـــفحة دفاعـــا عن ثوابت الأمة؟ أو كتاب: بغداد عروس عروبتكم وهو كتاب تـــتجاوز صـــفحاته الثمانمائة صفحة دفاعا عن أمن الأمة.. لماذا لم يتعرضوا لكـــتاب: " من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك" وهو الذى قيل عنه أنه أجرأ كـــتاب من مواطن إلى حاكم عربى.. لماذا لم يتعرضوا للكتب الأخرى ومئات المقـــالات الـــتى فضحت فيها الظلم والتعذيب والتزوير والخيانة والقهر والغزو الفكرى والتغريب؟.. لماذا لم يتعرضوا لها رغم أن بعض النقاد يعتبرها نموذجا لفن جديد فى الأدب العربى هو فن المقال الدرامى.

قلت أن موقف الآخرين كان مضحكا، وأن موقف فاروق عبد القادر لم يكن كذلـــك، لكن هناك واقعة متعلقة به مضحكة وموحية، إذ أننا تهاتفنا عدة مرات كـــان آخرها إبان أزمة القانون ٩٣ (راجع كتابى : إنى أرى الملك عاريا) حيث بـــالغ فـــى الإشـــادة بمقالاتى التى كتبتها حول هذا القانون، تواعدنا على لقاء يـــتم حين أكون فى القاهرة، ومن منزلى بالقاهرة هاتفته فرد علىّ من أهل بيته مـــن أجابـــنى إجابة شديدة الغرابة، إذ قالوا لى أنه فى المستنقع، أنهيت المكالمة علـــى الفـــور خجلا، وقلت لنفسى لابد أن ثمة سوء تفاهم بينه وبين أهله دفعهم للحديـــث عـــنه بهذا الغضب المهين، ولم أحاول الاتصال مرة أخرى، فيما بعد، كنـــت أتحـــادث مع أحد الكتاب الذى أخبرنى – عرضا – أنه لقى فاروق عبد القـــادر حيـــث يجلس معظم الأحيان فى المستنقع!!.. فغرت فاهى من الدهشة، وطرحـــت علـــى الصديق تساؤلى بعد أن حكيت له ما كان، فانفجر فى ضحك متواصـــل وهو يخبرنى أن المستنقع اسم حقيقى لحانة خمر يتردد عليها معظم المثقفيـــن بعـــد إغـــلاق مقهـــى وبار ريش الشهير، وأنهم هناك، فى المستنقع، يحتســـون الخمر حتى يثملوا وتنشب بينهم المشاجرات الدامية بالأيدى والمقاعد، تمامـــا كمـــا قـــرءوا أن صـــعاليك الحانات كانوا يفعلون فى أوروبا فى عصر النهضة!! .

ضحكت من سذاجتى، لكنه كان ضحكا أمر من البكاء، كان الواقع رمزا وكان الرمز واقعا وكان الجزء الطافى من نخبتنا المثقفة .. فى المستنقع..!!.

وعزفت عن محاولة الاتصال مرة أخرى.. بعد أن أدركت أننى بهذا المفهوم لا يمكن أن أكون مثقفا!!..

٥٢- كان موقف التليفزيون المصرى غريبا، والحق أنه طلب منى أن أسجل معه لكننى كنت قد لدغت من صحافة بلادى التى لم ترع إلا ولا ذمة فاعتذرت، لكن غيرى لم يعتذر، وأذاع التليفزيون الحلقات التى تؤيد الحيدريين ومنع إذاعة الحلقات التى تنتصر للدين.

إلى جانب ذلك بدت منه لست أدرى كيف؟ وهو مؤسسة من مؤسسات الدولة - بعض التصرفات الطفولية ، فبعد أن جلل الإحباط الأمة، التى أطلقت الدولة عليها الرصاص ممثلة فى طلبة جامعة الأزهر، دخل التليفزيون المزايدة، وفى ليلة واحدة كانت القناة الأولى تستضيف جمال الغيطانى، والثانية تعرض فيلما لإبراهيم أصلان- رئيس السلسلة التى نشرت الرواية الكافرة- والقناة السادسة ومقرها مدينة طنطا: حيث أقيم تستضيف على أبو شادى رئيس الهيئة التى نشرت الرواية الكافرة.

٥٣- التفاصيل فى مقال للدكتور محمد سليم العوا بمجلة الكتب وجهات نظر عدد يوليو ٢٠٠٠.

٥٤- فى مواجهة على قناة الجزيرة الفضائية فى يوم ٢٠٠٠/٨/٨ كان حيدر حيدر يتكلم فى برنامج الاتجاه المعاكس، كان هو شخصيا، لا أبطال الرواية المتخيلين ولا المؤلف، بل هو بشحمه ولحمه، وكان يكرر: نعم: كان للرسول خليلات وكان يتزوج زواج متعة!!.

نشرت صحيفة الأسبوع ذلك وأهدته إلى أنصاره وأشياعه.

٥٥- رفع الأستاذ عبد الحليم رمضان المحامى الشهير قضية ضد السيد فاروق حسنى وطلب فى القضية توقيع الكشف الطبى عليه لبيان ما يمكن أن يكون فيه من شذوذ نفسى أو جسدى- صحيفة الحقيقة ٢٠٠٠/٥/١٣

٥٦- عشرات الصحف والمجلات أجرت معى أحاديث صحفية، تلك التى تصدر خارج مصر لم تكذب علىّ، اختصرت أحيانا وحذفت أحيانا بعض هجومى وتحليلى لأبعاد الأزمة خاصة المتعلق بمسئولية النظام عنها أو بعض آرائى السياسية، معظم الصحف والمجلات المصرية كذبت كذبا صريحا، فى إحداها

كان الصحفي يسألني عما إذا كنت قد ندمت على كتابة مقالاتي بكل هذا العنف، وأجبته بالنفي، فأجابني إذا ما كنت سأكتبها بهذه الطريقة لو أعدت كتابتها الآن، وهنا خطر لي أن أروي له واقعة كنت مبهورا بها، ذلك أن أمريكيا أمسك بالمصحف مترجما فقرأ الكلمات الأولى من سورة البقرة: الم ذلك الكتاب لا ريب فيه.. وقبل أن يكمل كان ينطق الشهادتين، وفسر الأمر بعد ذلك أنه ما من عمل فكري أو أدبي أو علمي يكتبه صاحبه إلا وأحس بعد فترة بعدم اكتماله، وأراد أن يزيد فيه أو ينقص، لكن القرآن يبدأ بتحدي البشر جميعا عبر التاريخ كله أنه لا ريب فيه، فذلك لا يمكن أن يكون كلام بشر، وما دام كذلك فهو من عند الله، ومن أجل ذلك أسلمت. وواصلت حديثي للصحفي: أن ذلك يعني أنني لو كتبت تلك المقالات الآن فلا يمكن أن تكون بنفس النص، سأزيد جزءا هنا وأحذف جزءا هناك، لكن خطها الفكري سيكون في نفس الاتجاه.

تجاهل الصحفي الهمام هذا الكلام كله ليكون مانشيت حديثه الصحفي معي أنني اعترفت ولاحظوا كلمة : اعترفت هذه والتي تلغي المسافة بين المخبر الصحفي ومخبر الشرطة – أنني لو كتبت الآن فلا يمكن أن أكتب ما كتبت. هكذا.. وفقط .. ولم يورد الصحفي كلمة عن الأمريكي الذي أسلم بشطر آية.. وكانت هذه هي أمانتهم الصحفية.

مجلة الأهرام العربي أيضا كانت من أكثر المجلات تشويها لما قلت وادعاء عليّ بما لم أقل.. وقد أرسلت لهم هذا التعليق فلم ينشروه ولم يردوا عليه أو حتى يشيروا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهرام العربي

السيد الأستاذ أسامة سرايا : رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لم تصدمني معظم الصحف الأخرى، لكن صدمتني الأهرام العربي، عندما افتقدت في الحوار الذي أجرته معي الأمانة الصحفية والصدق.

ولم يكن حزني بسبب جرح أصابني، ففي معركة لله كالتي أخوضها: كل جرح وكل إساءة حسنات يمن الله بها عليّ إن شاء الله يجعلها في ميزاني يوم القيامة. لكن حزني كان من المستوى الذي تدنت إليه معظم صحفنا.. ولكم كان مهينا لي وأنا أتحدث مع بعض الصحافيين العرب فإذا

بهم يتحدثون بازدراء كبير عن الصحافة المصرية التى تخلفت عن معظم قريناتها فى الصحف العربية.. ولم يعد أحد فى الخارج يأخذ ما تنشره على محمل الجد..

كنت أنظر إلى شباب الصحفيين فتتلبد سماوات المستقبل بغيوم الحزن، حين أتساءل : أين القيمة؟ أين المثل الأعلى؟ أين لنمط والنموذج والمثال ؟! أين أين ومن يربونهم لا يعطونهم فنا ولا علما ، بل إنهم يربونهم على العكس تماما..

وكنت أحول جزءا من الحوار أكون فيه السائل ويكون الصحفى المجيب:

كنت أسأله: فى صحيفتك هل للصدق المجرد أو الحقيقة المطلقة قيمة..

وكانت الإجابة نفيا..

وكنت أسأل: فى صحيفتك: هل الصدق قيمة والكذب عار؟..

وكانت الإجابة : على العكس..

وكنت أسأل: هل يرتقى المجتهد ويستبعد الأفاق؟..

وكانت الإجابة: بل يرتقى الأفاق ويستبعد المجتهد..

وكنت أسأل: هل التدين عنصر يزيد من قيمة الصحافى ؟!.. (تصادف أن كان لأحدهم علامة صلاة فى جبهته) ..

وكانت الإجابة: بل يظل المتدين محاصرا بالشكوك مطاردا بالهواجس فلا يأمنون جانبه حتى تبدر منه بادرة تطمئن قلوبهم.. وهذه البادرة هى أن يزنى أو يسكر أو يكذب كذبة كبرى..

وكنت أسأل: بعيدا عن الدين.. هل تحترم المقاييس الغربية للصحافة؟

وكانت الإجابة ذات يوم انفجارا من أحد الصحافيين: بل منطق العصابة.. أكثر العصابات شرا.. لا منطق ولا قانون ولا أخلاق ولا علم ولا فن ولا دين..

كان ذلك ما جرح قلبى.

نفس الجرح الذى يمكن أن تحسه لو أن عزيزا عليك وقريبا لك كان كبير العائلة الذى يحيطه الجميع بالإجلال والهيبة فإذا بالجنون يصيبه حتى ليخرج فى الشارع عاريا ويقذف الناس بالأحجار!!.. وأنت ممزق بين مشاعر إدانته وتجريمه ووبين مشاعر الإشفاق عليه..

قيل لي مسئولا كبيرا في مجلتك هو من أشرف مباشرة على تشويه حديثي لمجلتكم..

فهل تسمح لى أن أسألك:

لماذا كانت هذه والشراسة في التعامل معي، ولماذا كان الكذب ومحاولات التشويه والتزوير؟!..

لماذا كل هذا الحرص ألا أكتب؟!..

ولماذا كل هذا الحرص إذا كتبت أن يشوهوا ما أكتب لا عن طريق تفنيده ودحضه بل عن طريق تزويره ونشر الأكاذيب عليه..

إن كان ما أقوله باطلا فسوف يمنحهم فرصة إضافية للهجوم والتشهير والتشفي..

و إن كان صوابا فإنه يمنحهم الفرصة أن يتوبوا وأن يتعلموا..

فلماذا يسدون آذانهم ويصدون أسماعهم كما كان يفعل المشركون فى كل زمان ومكان؟!..

أحاول أن أفهم سر موقفهم فيعز على الفهم..

بالنسبة للصحف الصفراء والحمراء والسوداء يمكن فهم دوافعهم (هل تلاحظ أن الفعل المجرد من دوافع هو : دفع!).. لكن بالنسبة للأهرام العربى عز علىّ الفهم!!

قلت لنفسي لو أن المسألة كانت شخصية.. وأنني لم أهاجم حيدر ولا فاروق حسني بل هاجمت أسامة سرايا أو حتى إبراهيم نافع نفسه .. لو أن ذلك هو الذى حدث لما برر هذه الحدة والغضبة غير الأخلاقية التى تعاملتم بها مع موقفى..

وربما كان لكم بعض العذر فى البداية عندما فاجأتكم المعركة وأنتم غير مستعدين فكريا لها، ولكن بعد أن تحدث رئيس جامعة الأزهر، واللجنة الدينية في مجلس الشعب.. ثم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ثم خطباء المساجد في طول مصر وعرضها حيث مثلوا بصدق وجيب قلب الأمة .. بعد هذا كله لم يكن لكم أن تماروا فى الحق ..

لم يكن لهم أن يختاروا الفسوق بعد الإيمان.. فبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان..

ولقد أفتى الأزهر وعلماء الأمة في الداخل والخارج كأعلى مرجعية للسنة في العالم كله أن الكفر لا يقتصر على تأليف الكتاب الملعون ونشره بل يتعداه إلى كل من قرأ الكتاب أو أعلم بما فيه فحكم أنه إبداع..

هل هان عليكم الدين إلى هذه الدرجة؟!..

هل رخص عندكم الإيمان إلى هذه الدرجة..؟!

هل عز عليكم الكفر إلى هذه الدرجة..؟!

أم كفرتم بالغيب كفرا خالصا وما الأزهر إلا مؤسسة كباقى المؤسسات لا تمثل إلا أشخاص القائمين عليها دونما مرجعية دينية..

نعم لقد تعاملتم مع مراجعنا الدينية لا كمراجع دينية بل ككهنة يروون الأساطير.. كهنة تحتملونهم كجزء متخلف من المجتمع وما يدفعكم إلى تحملهم سوى أمرين: هيكل الديموقراطية الفارغ المضمون الذى يسمح بحرية الأديان.. وأنهم يمثلون بمن وراءهم أغلبية ساحقة لا يمكنكم مواجهتها..

نعم تعاملتم مع المراجع الدينية تعامل صهيونى أو صليبى أو مشرك جزم بأن الإسلام ليس دينا وإنما أكذوبة كبرى يجب أن يطهر الوطن منه..

استبعدتم الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم .. أصبح الله عندكم ليس هو من: "ليس كمثله شئ" .. بل أصبح مجرد أستغفر الله العظيم مجرد شيخ يلبس عمامة بعد أن نزعتم منه كل ما يرمز إليه.. أصبح كآلهة بنى إسرائيل يمكنكم أن تصارعوه وأن تنتصروا إليه.. بل ويمكنكم أيضا أن تسجنوه أستغفر الله العظيم كما هدد جلاد ذات يوم فى أحد سجوننا..

أصبح الله ليس هو القوة المطلقة.. بل قوة من القوى باقية كأثر من آثار التخلف .. ومهمتكم المقدسة القضاء عليه..

لم يعد الدين قمة الهرم.. ولا سماء الحق.. ولا أفق البصيرة..

بل أصبح شيئا من أشياء.. يعلوه الرئيس أو الملك ورئيس الوزراء وأى مسئول كبير.. ويعلوه أيضا ما تسمونه بالإبداع..

كان لسان حالكم يقول لمن يقول ربى الله: تحملناكم رغم تخلفكم.. تحملناكم كوصمة الزمن الماضى فاصمتوا حتى تموتوا..

أصبح الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم هم سر تخلفنا..

عاملتم الإسلاميين كما ينبغى لنا جميعا أن نعامل عبدة البقر؟!

هل اكتشفتم أستغفر الله العظيم أن الله غير موجود؟!..

وهل تقولون في الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله فيه المشركون والمستشرقون- أستغفر الله العظيم أنه ساحر أو مجنون..

ذلك هو المبرر الوحيد لموقفكم..

فإن لم يكن ذلك..

لماذا إذن تعاملتم في الأمر كما لو كان ثأرا شخصيا بيننا وبينكم.. لم تتحروا الحق ولا الصدق..

قلت لنفسي ساخرا أنني إنما كنت أدافع عن جلال اسم الله وعن قداسة القرآن وعن الرسول صلى الله عليه وسلم فلماذا أغضبكم ذلك كل هذا الغضب؟!

كنت أهاجم الشيطان فهل يمت الشيطان لكم بصلة وثيقة إلى هذا الحد..!!..

كأنه أب أو أخ أو أم لكم .. وكأنني حرقته بالنار..

كان هذا هو ما يفسر حميتكم المشتعلة ضدي..

لماذا هربتم دائما من الموضوع؟..

لماذا لم يستشهد واحد منكم بكلمات من الرواية الكافرة .. أو بالشعر الداعر الكافر الذي استشهدت بنماذج منه..

لماذا دافعتم عن الباطل بكل هذه الضراوة.. ولماذا كذبتم كل هذا الكذب..

لكنكم كجل الصحافة المصرية وقعتم في خطأ قاتل..

لقد حاربتم معركة من معارك القرن الحادي والعشرين بأسلحة خمسينيات القرن الماضي.. حين كان الأمر يصدر: هاجموا فلانا وشوهوه فتنطلق الأبواق كالكلاب المسعورة ترميه بكل نقيصة.. وكان الضحية أو الشهيد لا يجد مع ذلك الطوفان من وما يرد عنه ذلك.. الآن هناك الإنترنت والبريد الإليكتروني والقنوات الفضائية والميديا كلها..

سوف أضرب لك مثلا: لكم كان مهينا لو صدق أن ينشر على غلاف مجلتكم: محمد عباس: أعتذر إلى أبي حيدر وأستغفر الله..

كان ذلك مهينا ومشينا لي.. بالرغم من أنه افتراء وزور.. كنتم قد تطوعتم به ربما مجاملة لجزء في السلطة أدركتم أنه يقف ضدي.. وربما خدمة للشيطان..

كـان ذلـك الفعـل أشـبه بفعـل بلطجـى وعد ولىّ نعمته بإنهاء المعركة بالضـربة القاضـية.. أردتـم أن تقدمـوا للقـراء هذه الصورة: "ها هو ذا محمد عـباس يـتراجع ويعـتذر.. لقـد كـان إذن علـى خطأ وقد اعترف وهو غير جدير بالاحترام" .. وبهذا تكون القضية كلها قد انتهت..

لكـنكم لـم تضـعوا المـيديا فـى حسـابكم.. وفى اليوم التالى كان الخبر يتردد وكذلك ردى عليه.. وهو أنكم كذبتم ولفقتم..

وتحول الوضع من مهين مشين لى إلى مهين مشين لكم..

بل تحول إلى فضيحة وعار لكم..

وهـو عـار سيسـتمر عـندما تصدر قريبا جدا عشرات الكتب التى ترصد ما حدث وتحلله..

لا أقول لكم اتقوا الله بمرجعية إسلامية..

لكنـنى أقـول حـافظوا علـى أخـلاق المهنة بمرجعية أمريكية أو أوروبية أو حتى إسرائيلية..

ترى: هل لديكم الشجاعة والقدرة على حوار حقيقى؟!

هل لديكم القدرة لنشر نماذج الإبداع التى تدافعون عنها ؟؟

وهل لديكم القدرة لمناقشة الحقائق لا الأكاذيب الملفقة .؟

أشـك.. بـل علـى الأحـرى إننى واثق أنكم ستفعلون العكس تماما.. لآخذ مـن حسـناتكم يـوم القـيامة - إن كـان لكم حسنات- أو تأخذون من ذنوبى.. ولـولا إيمـانى بـالله والـيوم الآخـر لكـان هـذا الخطـاب إليكم عبثا جديرا بالسخرية.. لكننى أقيم الحجة عليكم.

فهل تدرك الآن يا أستاذ أسامة سرايا وجها من الفارق بيننا وبينكم..

نحن نؤمن بالله واليوم الآخر..

ولا يعنى هذا أننى أرميكم بالكفر..

لكن إيماننا هذا يجعل يقيننا بالغيب أكثر من يقيننا بالدنيا..

ونحن نعلم مهما حدث أننا على الحق..

ونحن نعلم أن نتيجة الصراع لن تحسم فى الدنيا بل فى الآخرة..

ونحـن نعلـم أنـنا قـد انتصـرنا علـيكم قبل أن تبدأ المعركة كما عبر بذكـاء فـذ أعـترض علـى كثير مما وصل إليه- محمد حسنين هيكل فى مقاله الأخير فى مجلة الكتب وجهات نظر.

تلك هى المسألة.. وكذلك دائما ستكون..!!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

٥٧- لأنها أمة واحدة، فقد طلب منى الأستاذ فهد الريماوى رئيس تحرير صحيفة المجد الأردنية أن أكتب عمودا أسبوعيا فى صحيفته. وكانت هذه المقالة إحدى المقالات التى نشرتها:

الأيدى القذرة

فى كل بلاد العالم، توجد مؤسسة أو جهاز يتبع الدولة مهمته القيام بالعمليات القذرة التى لا يجوز للدولة أن تتورط فيها بصورة مكشوفة، فاكتشاف أمر تلك العمليات فضيحة وعار بين الأمم. فضلا عن أنه ينهى وجود أى حكومة تضبط متلبسة به.

فى البلاد الديموقراطية تتكفل آليات السلطة بالرقابة الصارمة على هذه العمليات القذرة، إذا ما حاول أى فرد فى الدولة أو مسئول فى الحكومة أن يستغلها لصالحه لا لصالح الدولة، أى فرد حتى لو كان الرئيس أو الملك، ولعل ما حدث لريتشارد نيكسون، أقوى رئيس فى العالم خير دليل على ذلك.

وثمة سمة تختص بها هذه العمليات ، ذلك أنها فى الغالب الأعم تتم خارج البلاد، فإذا تمت داخل البلاد فى أحوال نادرة ، كان ذلك ضد رعايا دولة تناصب دولتهم العداء..

فى الدول الديكتاتورية، التى درجت على نقل الضار وتجنب المفيد، وعلى مسخ كل شئ وتشويهه، يتم تغيير شبه كلى فى سمات جهاز العمليات القذرة. فكل عملياته تتم داخل الدولة لا خارجها، وتتم ضد الشعب لا ضد أعدائه، وتتم لصالح أجنحة من السلطة وليس لصالح الدولة، وتتحول أجهزة الدولة من موقع الرقيب عليه إلى موقف المراقب منه. يتضخم جهاز العمليات القذرة، فى غيبة أى ضمانات ضد تغوله، بل إن كل الضمانات تكرس وكل الدفاعات تدمر كى يتغول، وكى يسيطر، وكى تنتقل كل الآليات التى تضبط مسيرة المجتمع بين يديه، حيث تطلق له السلطة حرية مطلقة مقابل شئ واحد : هو استمرارها فى الحكم. فلا يكتفى هذا الجهاز بذلك، لا يكتفى مثلا بتزوير الانتخابات كى ينجح أنصاره وأعضاؤه، بل يلجأ إلى تحطيم مؤسسات المجتمع المدنى من الأساس، يجمد الأحزاب أو يلغيها، ويصادر الصحف أو يغلقها، ويحاصر النقابات أو يجمدها، يطارد الشرفاء ويشوه صورتهم ويعلى من قيمة المفسدين

والخونــة، يحـول الصـحافة إلــى مكذبــة، وأجهــزة الإذاعة والتليفزيون إلى مـبغي، يعاقــب أشــد العقــاب مــن يقول الصدق أو يشهد بالحق أو من يحترم مقدساته وقيمه ونفسه، ويمجد أشد التمجيد من يفعل العكس.

لا يكـتفى الجهــاز بذلــك، إذ فـــى سـبيل تغيـيره لموازيــن القــوى فى المجـتمع، يـنزح الـثروات مـن فـئة إلى أخرى، يفسد حتى أعمال البورصة، ويفلـس البـنوك، ويسـاعد لصـوص المــال العــام على الهروب عندما يطفح الكيل وتنفضح الأمور.

هــذا الجهــاز، هــو الـذى يملــى على الصحف ما تكتب، وعلى المذيعين مــا يقولــون، بــل هــو الـذى يختار فى النهاية كبار المسئولين وحتى الوزراء، وهــو الـذى يحمـيهم كـى يمكـثوا فى مناصبهم، أو يقصى من تبدو عليه أى دلائــل للاعــتراض. بــل إنــه هــو الـذى يختار رؤساء تحرير الصحف، وهو الذى يعزل من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء.

هــذا الجهــاز كــى يجمـل نفسه يحيط نفسه بمجموعة من المثقفين، وما هم بمثقفين، بل يزينون الباطل ويزهقون الحق ويبيعون أنفسهم بثمن بخس.

إنه يغتال القيم فى حقيقتها المجردة فيفقد الأمة توازنها..

وشـيئا فشـيئا يـنعزل الدكـتاتور محاصـرا بالأكاذيب والخيانة والحرص ألا تصــل إلــيه حقـيقة، حيـث يجـرده هذا الجهاز عمليا من كل سلطاته، نعم، يصـبح الدكـتاتور دمـية فــى يــد الجهاز الذى ابتدعه هو فى البداية كى يكون يــده الباطشــة وأذنــه المتلصصــة وعيــنه المتجسسـة. دمية لا ترى ولا تسمع ولا تحس إلا بما يسمح به هذا الجهاز.

وفــى نفــس الوقــت تضـمر وتضـمحل مؤسسات المجتمع المدنى لتصبح مجـرد هــياكل خالــية مــن المضمون، وتتقوض دعائم الأمة تحت وقع ضربات لا تــرحم، يسـتخدم فــيها الجــراح مهارتــه لا لإنقاذ المريض بل لبيان مقاتله، ويسـتخدم المعمــارى خـبرته لا فــى تدعـيم البناء بل فى خلخلة أساساته كى يـتهدم دون صــوت ولــو علــى رؤوس قاطنيه، ويصبح جهاز العمليات القذرة هــو المـتحكم فــى شـئون الـبلاد والمتصـرف فــى أمور الممالك.. كبيرها وصغيرها..

فــى الـبداية، يــتم هــذا كلــه فــى إطار من الخفاء كثيف، لتجنب رد فعل الأمــة، لكــن الجهــاز بعـد أن يطمئــن إلــى وصول الأمة إلى حالة من الشلل لا تمكــنها مــن الحــركة، وإلــى عجــز لا يســمح لها بالمقاومة، وشيئا فشيئا، يسفر عن وجهه القبيح، ليتم كل شئ .. على المكشوف..

٥٨- أيضـــا.. تلقيــت رســـالة كـــريمة من رئيس تحرير صحيفة الراية القطرية الأســـتاذ يوســـف محمـــد درويـــش حيـــث بدأت فى نشر مقال أسبوعى فيها، وكان منها ذلك المقال:

خيانة المثقفين ..!!

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

فخـــيانة صـــديق ألـــم مـــروع يمـــزق القلب ويسحق الروح.. ويصم العقـــل بالعجـــز عـــن رؤيـــة مـــا خلـــف ظواهر الأمور.. وأقسى ما فى وصـــمته تلـــك أنهـــا لا تكـــتفى بزلـــزلة الماضـــى بل تمد الخيانة أذرعها الأخطبوطية كى تحيط بالمستقبل وتحاصره ..

خـــيانة الـــزوجة مـــثل ذلـــك ويـــزيد عليه جرح فى الكرامة لا يلتئم ودمعة لا تهطل ولا تجف.. لأنها مكنونة فى القلب..

خيانة بعض من نفسك لنفسك أقسى وأقسى ..

عـــندما لا تـــرى عيـــنك الحـــق فتغرق فى الهلاوس البصرية.. فذلك أقسى من العمى..

وعـــندما لا تســـمع أذنـــك الواقـــع لتـــتوه خلـــف ضلالات الأصوات لا صوت منها يهديك إلى الطريق.. بل الطريق سراب..

وعـــندما يئـــن عقلـــك تحت وطأة الجنون المحيط الناشب مخالبه فيما حولـــك وفيمـــن حولـــك.. فـــتعجز عن تبين العلاقات بين الأشياء.. وتتوه الروابط بين المقدمات والنتائج وبين الوسائل والغايات..

عـــندما تـــنهار العلاقـــة بيـــن طرفى المعادلة : (بما أن : إذن..) فـــلا تـــؤدى "بمـــا أن" إلـــى "إذن" .. وتأتى "إذن" دون "بما أن" .. أما "بما أن" فإنهـــا إمـــا أن تـــؤدى بعـــد العـــناء والمخـــاض إلى سراب .. كحمل كاذب.. أو إلى عكس المتوقع تماما تماما..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..
ذلك كله قاس.. فهل هناك ما هو أقسى؟..

نعم .. هناك الكثير الكثير.. حيث لا يفوق ضروب شقاء الإنسان سوى دروب حماقاته وصنوف خياناته..

فلقد تناولنا فيما سبق ضربا واحدا من الخيانة هو خيانة الفرد للفرد.. وأقسى منها خيانة المجموع للفرد والفرد للمجموع ثم أقسى وأقسى خيانة المجموع للمجموع ..

هذا النوع من الخيانة أنكى .. لأن المصيبة الناتجة عنه تكون عامة والكارثة طامة..

فخيانة صحيفة على سبيل المثال - لقارئها أشد وأنكى وأقسى.. عندما تنشر الكذب ولا تبالى.. وتخفى الحق ولا تبالى.. وعندما تختفى مرجعياتها المطلقة وتنحسر إلى النسبى.. فالأمين على سبيل المثال - أمين لأنه حاكم وليس الحاكم حاكما لأنه أمين!.. والقول صدق لأنه يوافق الهوى أو كذب لأن القوىّ لا يرضى عنه.. إنها لا تنظر إلى ما قيل لكن إلى من قال.. ولا إلى ما حدث ولكن إلى من أحدث..

خيانة أجهزة الدولة للأمة أقسى وأقسى.. عندما تتحول أجهزة الأمن من حماية أمن الأمة إلى حماية فرد واحد فى الأمة .. وفى سبيل حمايته تنتهك أمن الأمة كلها..

عندما يتحول جهاز الإشراف على الانتخابات إلى جهاز لتزوير الانتخابات..

و جهاز الحفاظ على المال العام إلى جهاز للبحث عن الثغرات التى يمكن من خلالها نزح ثروة الأمة واستنزافها دون بصمات للمجرم الحقيقى فلا يطال القانون إذا ما صحا من غفوته أو استفاق من غيبوبته سوى أبرياء أو صغار لصوص.

وجهاز العدل ..

ومجالس التشريع..

وولى الأمر..

و..و..و..

نعم..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

لكن خيانة منها تفوق الجميع فى تأثيرها.. ألا وهى خيانة طبقة المثقفين للأمة..

كانت الأمة فى أشد الحاجة لنخبتها كى تشد أزرها بعد الهزيمة الحضارية الشاملة أمام الغرب.. كانت فى حاجة إليها لتعينها على النهوض والمواجهة والانتصار..

لكن النخبة خانت.. لتدفع أمتها من مواجهة عاجزة بعد الهزيمة إلى المهادنة إلى الاستسلام إلى القبول بعد التسليم والاستسلام بهيمنة أعدائها والسير فى الطريق الذى يخطونه لنا..

كانت الأمة تساق كقطيع من الخراف... كلما تقدمت خطوة نحو المجازر انهالت عليها عصى الحضارة الغربية الصليبية الصهيونية لتتقدم أكثر.. وكان من أعجب ما حدث أن المثقفين بدلا من أن يقودوا أمتهم للمواجهة قادوها للاستسلام.. لم يحاولوا وكان عليهم أن يحاولوا- فى سبيلهم لإعادة الحيوية إلى أمتهم تطويع الحضارة الغربية كى تدخل فى نسيج الإسلام - فأنى وجدت الحكمة فالإسلام أولى بها - .. لكنهم فعلوا العكس فراحوا يحاولون تطويع الإسلام لكى يتفق مع الحضارة الغربية.. فمسخوا كليهما..

خانوا..

والله خانوا..

وعندما فكروا فى الحرية على سبيل المثال لم يضعوا نصب أعينهم أن تكون هذه الحرية عبر صناديق الانتخاب وجهادهم أمام مؤسسات الحكم التى تمارس القهر والبطش والتزوير والتعذيب.. بل صبوا جل همهم وركزوا كل جهادهم على حرية تعرية المرأة لجسدها.. فكأنما كلما طال جلباب المرأة كلما انحسرت الحرية وكلما انحسر تحققت الحرية..

اختزلوا الحرية إلى الفوضى وانعدام الأخلاق.. وكان ذلك ضروريا كى يختزل السلام إلى استسلام..

بل لقد بلغ من سوء أمرهم أن اختزلوا مفهوم الثقافة نفسه من معناه العريض إلى معنى سوقى ومبتذل..

إن معظم المثقفين الذين يتصدرون الساحة الثقافية الآن لا يماثلون حتى نظراءهم فى الغرب، بل يمثلون نتوءا منهم وشذوذا فيهم وقطاعا صغيرا منحرفا هو قطاع البوهيمين ، فكأنهم اختزلوا أوروبا كلها إلى الحى اللاتينى فى باريس حيث العبث واللاجدوى والمجون والضياع والبدع لا الإبداع!.. هؤلاء هم الذين يشكلون الآن معظم واجهاتنا الثقافية.. وهم من يطلق عليهم مثقفو موجة الحداثة.

فى كتابها الهام : " ثقافتنا فى مواجهة الانفتاح الحضارى" توجز "هيام الملقى" مبادئ تلك الفئة بأنها:" الاقتحام والنفور من كل ما هو متواصل، والاستفزاز وإثارة الجدل، والتركيز على القضايا الأسلوبية الشكلية بدعوى النفاذ إلى أعماق الحياة، وأنها فن لتحطيم الأطر التقليدية والشخصية الفردية، وتبنى رغبات الإنسان الفوضوية التى لا يحدها حد."

وليس هذا هو مفهوم الثقافة بمعناه الغربى ولا العربى.. فالمعنيان مختلفان..

ولكن ثمة تساؤل لابد أن نطرحه قبل ذلك:

سؤال يقول : من هو المثقف؟ أى نموذج يستوحى وأى مرجعية يعتمد؟..

وما هى مشروعية نقل مفهوم من حقل معرفى معين فى بيئة معينة إلى حقل معرفى آخر فى بيئة أخرى؟.

كلمة "مثقف" فى العربية جاءت كاسم مفعول للفعل ثقِفَ بمعنى حذق. وهى بهذا المعنى بعيدة عما نعنيه الآن بكلمة مثقف، كما أنها بعيدة أيضا عن المصطلح الأوروبى للكلمة: Intellectual.

لقد بدأ استعمال كلمة الثقافة فى فرنسا منذ أكثر بقليل من مائة عام فى قضية دريفوس الشهيرة عندما انقسم الناس إلى فريقين معه وضده، وكان إميل زولا يتزعم فريق المؤيدين لدريفوس فأصدر بيانا بعنوان بيان المثقفين ومن ثم بدأ استعمال الكلمة. لتستعمل بعد ذلك استعمالا ارتداديا يبدأ منذ القرن الثانى عشر حيث يشهد معظم النقاد الأوروبيين ونذكر منهم على وجه الخصوص : لوكوف ودى ليبرا - بأن الثقافة الأوربية بدأت فى ذلك الوقت نقلا عن وبسبب الاحتكاك مع العرب.

فى العصر الحديث وضع كارل ماركس شرطين للمثقف، الشرط الأول أن يكون راغبا فى الكشف عن الحقيقة، والشرط الثانى أن يقوم بنقد

صارم لكل ما هو موجود صرامة تحول دون تراجع النقد أمام النتائج التى يقود إليها هو بنفسه وأمام السلطة أيا كانت.

أما الدكتور محمد عابد الجابرى فيعرف المثقف بأنه ضمير أمته، ولا مناص من أن ينعت بأنه شخص يثير العراقيل والفتن، من طرف الطبقة المسيرة التى تعمل على الحفاظ على الوضع القائم.

إن شروط ماركس وتعريف الجابرى تستبعد من تعريف المثقفين جل من يسمون أنفسهم بالمثقفين فى مجتمعاتنا العربية، فلا هم يسعون إلى الحقيقة ولا هم يدفعون تبعات ذلك السعى ولا هم ضمائر أمتهم..

ما ينطبق عليهم بعد أن انحصرت واجباتهم فى القيام للحاكم بدور أدوات الهيمنة - هو تعريف هيام الملقى..[1]

كنا قد هُزمنا نهائيا منذ قرنين على الأقل، وكان المثقفون هم أشد من انهزم ، فالمستعمر حين قدر علينا اصطفى الخونة واستبعد المناضلين ، تماما كما فعلوا فى مصر عام ١٨٨٢عندما صادر الإنجليز أملاك الأبطال الذين قاوموهم وحاربوهم ليوزعوها على الخونة الذين ساعدوهم وأيدوهم، حاصروا المجاهدين فأسروهم وسجنوهم وولوا مقاليد الأمور لمن باع لهم الوطن، على مستوى السياسة والمال والثقافة، بل على مستوى كل شئ، ولم يكن ذلك مجرد مكافأة لخائن، بل كانت الرغبة فى إعلاء قيمة الخيانة وتجريم قيم النضال، وهذا هو الإرث الذى توارثته أنظمتنا ولما نتخلص منه، كانت خطة الغرب المتمثلة فى الاستشراق والتبشير والاستعمار[2] قد نجحت، وكان عليه أن يسلم الرسالة إلى أبناء الوطن الذين مرقوا من الدين وباعوا الوطن كى يكملوها عن طريق الثقافة والإعلام والتعليم. ولم يكن هذا الاختراق مقصورا على مصر، لكنهم ركزوا جل جهدهم عليها، تماما كما ركزوا جل جهدهم العسكرى على تركيا وكان الإسلام هو الهدف، وكانوا قد أدركوا أن العربى الذى يرفض ما يقوله المستشرق الفرنسى سيقبل ما يقوله المصرى، وأن المسلم المحصن ضد ادعاءات المبشر مرجليوث سيتبع ما يقوله المبشر محمد أو على أو طه ..

---

١ - ثقافتنا فى مواجهة الانفتاح الحضارى. هيام الملقى. دار الشواف. الرياض.

٢ - راجع: شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونيكه. دار الأفاق الجديدة. ط٩ تاريخ الجبرتى مطبعة الأنوار المحمدية- الاستشراق. إدوارد سعيد. مؤسسة الأبحاث العربية- المشروع النهضوى العربى. محمد عابد الجابرى. مركز دراسات الوحدة العربية- سنوات المتاهة. الصافى سعيد. الناشر: نقوش عربية وسينصاد- الاستشراق والتبشير. ا.د. محمد السيد الجلنيد. دار قباء- الأمة العربية إلى أين: د. محمد فاضل الجمالى. شركة المطبوعات للنشر والتوزيع- تعريب العالم الثالث. الدكتور كمال التابعى. دار المعارف- مصر وكيف غُدر بها. ألبرت فارمان. الزهراء للإعلام العربى.

نعــم.. قــبل مائــة عــام لــم تكن توجد فى اللغة العربية كلمة مثقف، وكان معــنى المصــطلح ينطــبق علــى فــئات كثــيرة منها العلماء والشيوخ والفقهاء والأدبــاء والــنحاة والكــتاب.. وكــان معظمهم من الدارسين فى الأزهر منارة الــثقافة والأدب.. وفــى إطــار عملــية الغزو الفكرى تم الأمر بتؤدة شديدة وفى إطــار مخطــط شــامل.. نفــس المخطــط الذى جعل اليهود يستوطنون فلسطين فــى الــبداية فــرادى علــى اســتحياء ثــم فى غضون نصف قرن يحلون محل الشــعب الفلســطينى كلــه بعــد طــرده مــن بلاده .. على مستوى الثقافة حدث نفــس الشــىء.. إذ زرع بيــن علمائــنا وفقهائنا وأدبائنا وشعرائنا الذين يمثلون ثقافتــنا الحقيقــية.. زرع بيــنهم مــن انحــرفوا بالفكر العربى والإسلامى عن توجهاتــه.. وســلطت علــيهم وســائل الإعــلام التى اعتبرتهم رموز التنوير.. وشــيئا فشــيئا بــدأ إقصــاء المثقفيــن الحقيقييــن لينــتهى الأمر الآن فى معظم عالمــنا الإســلامى إلــى دمــغ اتجــاههم كلــه بالظلامية والإرهاب والانغلاق.. وأصــبح الأزهــر ومــن يؤمــن بما يمثله رمزا للجهل والخرافة ووكر لأعداء الــثقافة!! .. أصــبح الأزهــر بمــا يمــثله كذلــك.. وأصــبح تلامــيذ زويمر وصبيان دنلوب وجوه الثقافة الرسمية ورواد التنوير..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

لكن الأقسى أن يخونك من تتوقع منه العون..

ولقد كان فى طليعة فرق الخيانة بعض المثقفين..

قلــنا أن مفهــوم كلمــة " الــثقافة " جديــد علــى الحضــارتين الإســلامية والغربــية، وأن الفعــل العــربى "ثقــف" لا يعطى المعنى المقصود، وربما كانت كلمة " أدب" أو متأدب تعطى معنى أقرب لمفهوم المثقف بمعناه الشائع..

وهنا نلاحظ اختلافا آخر بين المفهوم العربى والمفهوم الغربى..

فقــد ارتــبط الأدب فــى الحضــارة الغربية منذ القدم بالكتابة وما يمكن أن نجــده فــى كلمــة مــثل Literature المشــتقة مــن كلمــة Letter بمعنى حرف أو رســالة. أمــا المصــطلح العــربى : أدب فلــيس لــه هــذه العلاقــة الدلالية أو الاشــتقاقية، إنمــا يعــود إلــى التهذيب والكرم وحسن الضيافة (ومنها المآدب الــتى يــتم فــيها إكــرام الآخريــن) ، وكان ذلك يتصل بالعطاء وبتوسيع مدارك الفــرد وصــقل مواهــبه وتهذيــب سلوكه إما مشافهة أو كتابة.. وذلك المفهوم يعطــى نشــأة أخلاقــية لــلأدب تجعل سيره الطبيعى فى اتجاه الخلق والخالق رغم أنف الحداثيين–!.

ومن هذا المعنى نقرأ: أدبنى ربى فأحسن تأديبى..

نعــم.. الأدب وهــو وجــه مــن وجــوه الثقافة يرتبط فى الحضارة الغربية ارتــباطا مجــردا بالكــتابة .. فــى حضارتنا العربية يختلف الارتباط فهو يتعلق أساسا بالسمو الروحى والنفسى..

الذيــن يتصــدرون ســاحاتنا الثقافــية الآن يتبــنون المفهــوم الغــربى.. تســاعدهم وتــبرزهم آلــة إعلامية ضخمة مخترقة حتى النخاع.. ويجهل هؤلاء وأولــئك أنهــم يــتحولون إلــى معــول لا يهدم ثقافة أمتهم فقط .. بل يهدم الأمة كلها..

نعــم.. يفعلــون ذلــك دون أن يدركــوا ..– وربمــا يدركــون كــى تكون مــرارة الخــيانة أعــتى أن الغرب يستعملهم كسلاح دمار شامل سرى يقوض به بنيان أمتهم..

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

فــى عــدد ٢٨/ ســنة ٢٠٠٠ مــن أخــبار الأدب المصــرية وهى مجلة التنويرييــن رواد التغريــب فــى مصــر، ولا يــتجاوز توزيعهــا ٧٠٠ عــدد أســبوعيا– نشــرت مهــا عــبد الــرؤوف تحت عنوان : "المخابرات الأمريكية وزارة ثقافــة العــالم".. تستشــهد فــيه بكــتاب الكاتــبة البريطانــية: "فرانسيس ســتونز": " المخابــرات الأمريكــية والحــرب الثقافــية الباردة" وفيه تكشف أن المخابــرات الأمريكــية قــد خططــت لكى تكون هى بنفسها وزارة ثقافة العالم، وقــد اعتــبروا هــذا المخطــط هــو المشــروع الــتالى بل والأهم من مشروع مارشــال الشــهير، وبهــذا المشــروع تمكنت المخابرات الأمريكية من أن تجعل مــن نفســها وزارة ثقافــة العــالم، فأصــبحت تفرض سطوتها على الأدب والفن والموســيقى والفــن والســينما ، ولقــد مارســت ذلك دون أن يشعر الرأى العام بشــىء. فــى نفــس الوقــت، بــل وربمــا قبله كانت المخابرات السوفيتية تقوم بــنفس الــدور. وتقــول الكاتــبة الإنجلــيزية أن هــناك الكثيريــن من الشعراء والكــتاب والفنانيــن والمؤرخيــن فــى أوروبــا مــا بعــد الحــرب العالمية قد استعملوا كأسلحة سرية للمخابرات الأمريكية، ولم يفطن معظمهم إلى ذلك.

فعلــت الولايــات المــتحدة ذلــك عــن طريق مجلس الحرية الثقافية وكان مقــره الرئيســى فــى بــاريس وكــان يمــول باعتمادات لا حدود لها. وكانت مهمته الرئيسية هى التغريب والغزو الفكرى.

فـى كـتاب آل شـاتيلييه: "الغـارة علـى العـالم الإسلامى" يصف كيف وضـع العـالم الغـربى العـالم الإسلامى داخل أسلاكه حيث أحكم حصاره كى يحول دون تحرك فعالياته الثقافية..

يترتـب علـى ذلـك أن المثقفين المستغربين فضلا عن أنهم ليسوا مثقفيـن لا بـالمفهوم الغـربى ولا بـالمفهوم الإسـلامى- ليسوا هم الذين يمـثلون الأمـة ، لقـد انفصـلوا عن أمتهم وانفصلت أمتهم عنهم، تغربوا فاغتربوا.

ولقـد نشـرت صـحيفة الأسـبوع المصـرية مؤخرا تقريرا صحفيا عـن توزيـع كتـب هذه النخبة المثقفة المستغربة، وكانت أقوال الناشرين مذهلـة، فمعظـم كـبار كـتاب هـذه النخـبة المثقفة لا توزع كتبهم على الإطـلاق، قـال ناشـر أن كـتاب واحد من أساطينهم قد وزع ثلاث نسخ، وقـال الآخـر أنـه يتحدى أى واحد من تلك النخبة المفروضة على الأمة أن يتجاوز توزيع أى كتاب له ٣٠٠ نسخة..

ولـو أن الأمـر تـرك لآلـيات المجـتمع والثقافة دون تزوير لسقط أفـراد هـذه النخـبة المـثقفة علـى الفور.. تماما كما سقط جيش أنطوان لحـد فـى جـنوب لبـنان بعـد أن تخلت عنه إسرائيل – على العموم فإن هـذه النخـبة المسـتغربة ليسـت سـوى جيش أنطوان لحد آخر مزروع فـى قلـب الأمـة الإسـلامية- لكـن أعداء الأمة قد وجدوا حلا لاغتراب نخبـتهم عـن الأمـة وانصـراف الأمـة عنهم، ففى الصحف الحكومية، ومعظـم الصـحف فـى العالم الإسلامى حكومية بصورة أو بأخرى، فيها متسـع لهـؤلاء الملفوظيـن مـن أمـتهم، فـيها – كمـا فـى التليفزيون والمؤتمـرات متسـع لفرضـهم فرضـا ولإقصـاء غيرهم ممن يملكون فكرا يمكن أن يتفاعل مع هذه الأمة..

يـبقى تسـاؤل مهـم، كـيف تكونت تلك النخبة، وما هى القوة أو القوى الـتى دفعـتها لمراكـز الصـدارة، لـيس فـى مصـر فقـط، بل فى العالم الإسـلامى كلـه، إن الأمـر بـالغ التعقيد، وهو يحتاج بحثا مستفيضا لا يتسع المجـال لـه، ولكنـنا نثبـت فـى عجالة، متخذين مصر كمجرد مثال، رغم أن مصـر بـالذات قـد واتـتها بـبدايات ثـورة ٢٣ يولـيو فرصة سانحة للـتخلص مـن التركيـبة الاجتماعية والثقافية واستبدالها.. تلك التى بدأت فى الـنمو مـع محمـد علـى ثم أتمها الاستعمار باستبدال كامل للنخبة منذ عام ١٨٨٢، إلا أن هـذه الفرصـة سـرعان مـا انتكسـت، وفـى مثال مصر-

والدول الأخرى ستتفق فى النتيجة وإن اختلفت التفاصيل- سنرى أن معظم المسيطرين على الساحة الثقافية الآن دخلوا السجون فى الستينيات، دخلوها بعد أن كفر معظمهم بالله وآمنوا بلينين وماركس ، فى السجون تعرضوا لتعذيب وحشى أهدر الباقى من آدميتهم، وعندما خرجوا منها كانوا قد أضافوا إلى كفرهم بالله الكفر بالوطن وبكل القيم الإنسانية إلا من رحم الله وعصم- وتعلموا درس الشيطان، وتمحورت حياتهم كلها بعد ذلك حول ضرورة التماس حماية محلية أو أجنبية ، حماية تجنبهم التعرض للتجربة المدمرة مرة أخرى، ولسوء الحظ أنهم صادفوا وضعا بائسا للحكام، الذين لم يكونوا أقل منهم حاجة للعون. كان الحكام بين مطرقة غرب غاصب وسندان شعب غاضب، وهنا جاء دور المثقفين الذين تختارهم السلطة ليقوموا بدور المحلل فى زواج باطل مشكلين درع الحماية للسلطة، متعامين عن الكبائر، مغرقين الأمة فى قضايا وهمية والأمة تنزف، يحدث ذلك برضا السلطة ومباركتها، حتى لو ارتفعت أصواتهم فى الظاهر بالمعارضة. وثمة تساؤل مُنعت الأمة من طرحه طوال عصور التزوير أقصد التنوير- : وهو: هذه النخبة المثقفة التى تسيطر على مجتمع مسلم، هل هى مسلمة حقا؟ إننى هنا لا أتحدث عن الكبائر والموبقات، لا أتحدث عن الخمر والزنا والسرقة والغش والكذب، لا أتحدث حتى عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، لا أتحدث عن ذلك رغم أننا لو تحدثنا فيه لكانت النتيجة فاجعة، (لن نتحدث الآن عن تقبلهم لكشف فضائح كلينتون إذا تم بمعيار علمانى، ورفضهم للمثيل إذا تم على أساس دينى) فالتساؤل الجوهرى: هل هذه الفئة مسلمة؟ هل ما زالت تؤمن بالله؟ وهل تؤمن أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله؟ أم أنها تتبنى وجهة نظر الغرب أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وألف القرآن (أستغفر الله العظيم).

إن الأمر ليس تفتيشا فى الضمائر ولا شقا عن القلوب، نعم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. لكن كيف يعقل أن يحدد الكافر للمؤمن حدود الإيمان وأن يفسر له القرآن؟!.. فليجهروا بالكفر، سنقبل ذلك منهم، ليدعوا إلى كفرهم كما يشاءون فى ساحة فكر حرة، أما أن يقودوا أمة مسلمة فألف كلا.. ذلك أن قيادتهم لأمة مسلمة ليس خطيئة دينية فقط، بل جريمة أمن قومى ووطنى، تماما كما لو جئنا على سبيل المثال بليبرالى ليقود حزبا شيوعيا، أو بماركسى ليتزعم حزبا ليبراليا ، بل إن الأمر أشد وأخطر، فهو يشبه أن نأتى بصهيونى كى يقود جيشنا.

الأزمة باختصار شديد في فئتين من المجتمع، المجتمع المهزوم هزيمة مروعة، فئة ضئيلة استسلمت للهزيمة ورأت في حضارة قاهرها مثلها الأعلى، وفئة أخرى تشكل القطاع الأوسع من المجتمع ترى العكس، أن سبب هزيمتها لم يكن تفوق العدو بل تخليها عن ثوابتها وأهمها الدين. كان من الطبيعي أن يدعم العدو المنتصر الفئة الأولى ليتشكل منها بطريقة بالغة التعقيد نخب السياسة والثقافة بل وبعض رجال الدين المتحالفين مع الدولة. وأن تُحاصر الفئة الثانية حصارا مزدوجا، حصارا من العدو البعيد وحصارا آخر من النخبة المتسلطة، ولقد تم ذلك في غيبة كاملة لأسس حوار موضوعي، وفي افتقاد كامل للديموقراطية أو أي آلية تمنع الصدام والانفجار. كل القنوات مسدودة، سيادة التزوير لا سيادة القانون، ثم أن القانون الذي ساد بديلا عن الشريعة والقانون السماوي ليس حتى القانون الوضعي، وإنما هو اللا قانون إن صح التعبير، واللا قانون هذا أسوأ حتى من قانون الغاب الذي يعيش فيه الأقوى والأصلح بينما في اللا قانون لا قاعدة. ولا يمكن أن يتوازن مجتمع تتحكم فئة قليلة في توجهات الأغلبية بالقهر والتزوير والجبروت.

تلك هي المشكلة.. والأزمة..

نعم ، الفئة الأصغر سيطرت وقهرت تحميها ترسانات من القوانين والسلاح وأجهزة الإعلام وآلات التعذيب.

كل الخيانة قاسية ومريرة.. مريرة.. مريرة..

إن الأمة تكتشف الآن أن جل نخبتها المثقفة أشد سوءا من أسوأ الحكام، وأنهم مهما ادعوا وأبدوا من استكبار ليسوا سوى أدوات للسلطة، وأن معظم من يسمون أنفسهم بالمثقفين على اتساع عالمنا الإسلامي، ليسوا سوى جناح للسلطة يوازن جناح الأمن البوليسي الباطش، وأن وظيفة الجناحين واحدة، التعذيب والتزوير والتزييف والقهر ومحو الهوية والتمايز، وإطفاء نور الله، نعم،جناحان تسقط بدونهما أي سلطة في عالمنا الإسلامي، جناح يمارس سلطته على الجسد، وجناح يمارس سلطته على الروح.

٥٩- بعد إغلاق صحيفة الشعب اطمأن الذين في قلوبهم مرض أننا لن نستطيع الرد عليهم فتضاعفت مساحات ما ينشرونه من كذب وتشويه

وقلــب للحقــائق، وكــان يجب على أن أبحث عن طريقة للرد. لكن الصحف المــتوازنة كــالوفد اعــتذرت وكــان موقــف الدكتور نعمان جمعة جزءا من المعادلــة، والصــحف الإســلامية اعــتذرت أيضــا بعد أن رأت أن الدولة قد كشــرت عــن أنــيابها يمكــن أن تغلــق صــحف الاتجــاه الإسلامى جميعا، الصــحف والمجــلات الحكومــية كانــت تقلــب مــا نقول وتزيف الحقائق، رئــيس تحريــر الحقــيقة جــرؤ على النشر لى فعاتبوه بشدة، فى المرة الثانية حــذف نصــف مقــالى إكــراما لهــم فعاتبته وأخطرته بأننى لن أكتب له مرة أخــرى، وفــى الأســبوع الــتالى وبرغم أن العدد كان خاليا من اسمى ذهب ليطــبع فــى مطــابع الأخــبار كالعــادة فرفضــوا، فذهب إلى الأهرام وقوبل بــنفس الــرفض، وعجــز عــن طــباعة العدد، وكان هذا هو عقابهم له على النشر لى.

كتبــت بــيانا وأرســلته إلــى معظم الصحف، ما من صحيفة نشرته. كنت أفهــم أن الصــحف المصــرية تفعــل ذلك مجاملة لاتجاه فى الدولة، لكن ماذا عــن الصــحف العربــية؟ خاصــة تلــك الــتى تصــدر فى لندن؟ وهل بلغ الاختراق العلمانى هذا المدى؟.

كــل تلــك الصــحف أيضــا كانــت تتلمظ على نشر تصريحات العلمانيين لكــن معظمهــا نكصــت عــن نشــر بيان الأزهر، وتلك التى نشرته نشرته مبتورا مشوها، وأظن أنه ينشر للمرة الأولى كاملا فى هذا الكتاب.

و إزاء هــذا الحصــار نشــرت هــذا البــيان على شبكة الإنترنت ، وهو بيان يصلح أن يكون خاتمة هذا الكتاب:

الخاتمة

بيان للأمة..

تعب القلب يا أمة.. حزن القلب.. صُدِم القلب..

كنت أعد كتابا مادته عن الغزو الثقافى والتغريب وخيانة نخبة المثقفين، عندما انفجرت عاصفة " جمعية المنتقعين بوزارة الثقافة" ضد الاتجاه الإسلامى الذى يشكل الأغلبية المقموعة أو المقهورة أو الصامتة؛ حيث شنوا أشرس وأكذب حملة شهدتها الصحافة المصرية ، وذلك بعد أن كشفت فى مقالات أربعة سوءاتهم بقيام وزارة الثقافة المصرية التى تسيطر عليهم ويسيطرون عليها بنشر رواية تسئ إساءات سافلة إلى الذات الإلهية والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم..

كنت أعد الكتاب فإذا به كبحث نظرى طويل عن وعى الأمة النازف من ثقوب ذاكرتها.. فإذا بهذه القضية تأتى كمثل تطبيقى يوضح خطورة ما ذهبت إليه وصحته..

كان أداء السلطة عييا ومترددا ومتناقضا فما أن أخذوا عندما فضحنا مكرهم السيئ حتى أعلنوا مصادرة الكتاب الملعون ثم عادوا إلى شياطينهم فصرحوا أن الكتاب لم يصادر لكنه لن يطرح مرة أخرى ثم قالوا أنهم شكلوا لجنة للتحقيق فى ملابسات نشر الكتاب ثم عادوا ليقولوا أن مهمة اللجنة أن تشرح للناس ما فى الكتاب السافل من إبداع ثم قالوا أن الكتاب الملعون لم يصادر فى بلد عربى واحد فإذا به مصادر فى معظمها وإذا بهم أنفسهم يقرون بذلك على صفحات مجلاتهم وعلى ألسنة نقادهم بل على لسان كاتب الكتاب الملعون نفسه الذى أقر أنه ظل ١٢ عاما ينشر الكتاب على حسابه ويوزعه كالمخدرات. ثم عادوا ليصرحوا بعد أسبوع - فى أهرام الجمعة التالية لكتابة مقالى - أن الكتاب الملعون صودر

---

١ - نشر هذا المقال على شبكة الانترنت بعد أن رفضت نشره العديد من الصحف، كذلك نشر على موقع الشعب على الإنترنت، ثم قامت صحيفة الحقيقة بنشره، وكان سببا فى إلغاء طباعة عدد أسبوعى لها.

ثـم عـادوا فـى أخـبار الأحد ليقولوا أن الكتاب لم يصادر فانفجرت المظاهرات مساء الأحد..

أمـا اللجـنة العلمـية الـتى شـكلها الوزيـر فقد كانت لجنة الأشقياء التى خانـت أمانـة الكلمـة .. ويكفيـنا مـنها أنهـا اعتبرت العمل الملعون إبداعا – دعـنا مـن الشـطط الأبلـه الـذى رآها عملا دينيا- بينما اعتبر تقرير المجلس الأعلـى للشـئون الإسـلامية وفضـيلة الشيخ يوسف القرضاوى واللجنة الدينية بمجلـس الشـعب وجمهـور الأمـة أن من يعتبر هذا العمل الملعون إبداعا فقد كفـر.. لقـد قامـت اللجـنة الموقـرة بإعـراب الجملة إعرابا إنجليزيا، بعد أن تـرجموا كلمـة : " خـراء " علـى أنها تعنى التعبير الدارج الأمريكى: **Shit** ، لأن الإعـراب بالعربـية يجعـل تفسـيرهم كارثـة ، فعـدم وضع النقطة يجعل كلمـة الخـراء- أسـتغفر الله العظـيم- صـفة للقرآن، أما بعد وضع النقطة فإن الكلمة تعود لا على القرآن فقط، بل على القرآن وآلهة البدو أيضا!.

ونسـى الجمـيع كـل شـئ .. وتجـاهلوا كل محظور إلا محظورا واحدا توهمـوه.. هـو أنـه ممـنوع أن تتواصل العلاقة بين كاتب وقرائه إلى الدرجة التى تشتعل فيها المظاهرات بسبب مقالة..

كان هذا هو المحظور .. لم يكن الاجتراء على الله محظورا..

ولـم يكـن تشـبيه القـرآن بالخـراء (غفرانك اللهم) محظورا.. ولا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم محظورا..

ولا كـان ارتكـابهم لجـريمة نشـر عمل يحوى كل هذه البذاءات والسفالة ثم تناقضهم الغبى وترددهم العيى هو سبب المظاهرات..

أطلقت على أجهزة وزارة الثقافة كل منتفعيها..

تعب القلب يا أمة.. حزن القلب.. صُدِم القلب..

فمـا كنـت أحسـب أبـدا أن كل هذا الكذب والباطل والانحراف قد سيطر علـى توجهـات نخبتـنا المـثقفة الطافـية على سطح المجتمع كما يطفو السمك الفاسد على سطح الماء إلى كل هذا المدى..

حاولـت معظـم صـحف بـلادى كـل مـا تستطيع لتشويه موقفى، ونشر الأكاذيـب عـنى، فمـا مـن صحيفة منها أجرت حديثا معى إلا شوهته، ونسبت إلـىّ فـيه مـا لـم أقـل، حتى لقد اتصل بى صحافى ممن أجروا معى حوارا وهـو يـبكى لـيقول أن رئـيس تحريـر صحيفته نحى الحوار الذى أجراه جانبا ليكتـبه هـو مـن الـبداية. وليملأه بالأكاذيب. صحافى آخر اتصل معتذرا، فهو يعـرف الحقـيقة لكـن رئيسـه اسـتكتبه باطلا فكتب. لقد بدا معظم من تصدى

للحملة- حملة الإفك- مجرد كومبارس يلقنون الأدوار وتكتب لهم المقالات.. ثم تعاقب السلطة المهيمنة من يصيب أو يصدق وتجزل العطاء لمن يخطئ أو يكذب.. وتلك كارثة أظنها تنخر كالسوس في صحافة بلادنا حتى نخاعها ثم تنتقل عدواها إلى كثير من صحفنا العربية. وعلى الرغم من أنهم يحررون ثلاثين مجلة وصحيفة جندوها كلها للهجوم علينا، على الرغم من ذلك طالبوا بإغلاق صحيفة الشعب.. عندما أدركوا أنها وحدها بعون الله كانت قادرة على كشف باطلهم.

حاولوا النيل منى عن رواية قصر العينى، ولم تكن الرواية مشكلة إلافى قلوب مريضة تريد تشتيت انتباهنا وانتباه الأمة عن جريمتهم الكبرى، كانوا هم الذين نشروا على استحياء (على لسان الكاتب الكبير الأستاذ محمد عبد القدوس) أن المستشار مأمون الهضيبى قد قرأ الرواية ولم يجد فيها ما يعيب ومع ذلك لم يخجلوا، ولو كان لديهم أى ثقة فى جدارة هجومهم بأى مصداقية لنشروها كاملة فى إحدى صحفهم الكثيرة، لكنهم يدركون أن كذبهم الفاجر سينكشف حتما لوقرأ الناس الرواية، لذلك سودوا من الصفحات فى الهجوم عليها أضعاف الرواية نفسها.

حاولوا أن ينسبوا إلى زورا أننى اعتذرت عما كتبت، وذلك لم يحدث أبدا، ما حدث أننى قلت أن مرجعيتى الإسلامية تجعلنى أتوب عن الذنب حين أذنب، ولقد أثمت حين تعرضت للآباء، وأستغفر الله عن ذلك، أما الأبناء فربما لا يكون أحدهم جديرا بأن أعتذر له ولو عن أبيه.

لم أتراجع قيد أنملة عن موقفى من كفر الرواية، وكيف أتراجع إذا كان بيان الأزهر أشد حدة من موقفى فى نقد الرواية الكافرة، حين ذهب أن الكفر لا يقتصر على الرواية بل يمتد إلى كل من يعتبرها إبداعا، وهذا ما لم أجرؤ أنا على قوله !!..

ولو كان الأمر يتعلق بشخصى لاحتسبت وصبرت.

لكنه يتعلق بموقف نخبتنا المثقفة الظاهرة على السطح، والمتحكمة فى مقاليد الثقافة والإعلام.. ليس موقفها منى.. بل موقفها من الإسلام.. ومن الغزوة الثقافية الهائلة التى تروم محو هويتنا وديننا .

كان مذهلا على سبيل المثال أن معظم هذه الصحف - التى أفرد بعضها أكثر من نصف حجم صحيفته للموضوع- قد تجاهلت تماما بيان الأزهر عن الرواية المنكودة. وأسوأ من ذلك ما قيل، من أن تنبيهات صدرت إليها بذلك. البعض الآخر لم يتورع عن مهاجمة الأزهر ذاته.

وتدنـــى الـــبعض إلـــى درجـــة لا يمكن تصورها فى هجومه على فضيلة الشيخ يوســف القرضـــاوى لتأيـــيده لمـــا ذهـــب إليه المجمع الأعلى للشئون الإسلامية مـــن كفـــر الـــرواية، بـــل وكفـــر من يرى أنها إبداع. لم تهتز لواحد منهم شعرة وهو يواجه – حتى ولو كمجرد احتمال – أن يكون موقفه كفرا.

كـــان المـــثقفون الرســـميون فـــى بلادنـــا هـــم الذين تولوا توجيه الاتهامات الأمنـــية إليـــنا.. فأســـفروا عـــن وجههـــم وكشـــفوا أنفسهم.. وحتى فى ذلك فقد كانوا مخبرين فاشلين لم تأخذ أجهزة الأمن بلاغاتهم على محمل الجد.

ولقـــد كـــان مـــن المضـــحك المبكى على سبيل المثال أن اللواء فؤاد علام عـــندما ســـئل عـــن مظاهـــرات الأزهر قد استبعد احتمال التخطيط أو الاستغلال فذلـــك كـــان ســـيترتب علـــيه نشـــوب المظاهـــرات فـــى عدة جامعات فى نفس الوقـــت، وفســـر اللـــواء مـــا حدث بأنه رد فعل طبيعى من طلاب الأزهر، لكن كتائـــب الصـــحفيين بقـــيادة صـــلاح عيســـى وجمال الغيطانى– ولسنا ندرى قدر خبرتهم الأمنية– راحا يؤكدان طول الوقت فكرة المؤامرة.

كذبـــوا طـــول الوقـــت، حولـــوا القضية من قضية إيمان أو كفر إلى قضية إبـــداع أو مصـــادرة .. تجـــاهلوا مواقفـــى فـــى الدفـــاع مثلا عن إبداع سعد الله ونـــوس عـــندما هوجـــم، بـــل عـــن الســـفيه عـــلاء حامد عندما اعترضت على الإجـــراءات الأمنـــية الـــتى اتخـــذت ضـــده. تجاهلوا أيضا أنه عندما تعلق الأمر بحقـــوق الإنســـان فقـــد كانـــت صـــحيفة الشـــعب – وليست الأهرام– هى التى دافعـــت عـــن كاتـــب كبـــير بالأهـــرام انتـُهكت حقوقه وزورت التهم له.. وهو الدكـــتور محمـــد الســـيد ســـعيد.. وعـــندما تعلق الأمر بالإبداع فقد كنا نحن – ولـــيس أى واحـــد مـــن المدافعيـــن عـــن الـــبذاءة والسفالة التى يدعونها بالزور والكفـــر إبداعـــا– الذيـــن تصـــدينا للدفاع عن الشاعر الكبير محمد عفيفى مطر.. حيـــن تجاهلـــت كـــل اللجـــان العلمية وكلاب الصيد المفترسة ديوانه: "احتفاليات المومـــياء المتوحشـــة" والـــذى يصـــف فيه كم العذاب المروع الذى تعرض له.. كـــنا نحـــن الذيـــن تصـــدينا لذلـــك وأفردنا مقالات طوال دافعنا فيها عن الإبداع وعن حقوق الإنسان عندما خرست الشياطين.

لا يقتصـــر الأمـــر علـــى ذلـــك .. فقـــد كنا نحن الذين سلطنا أكبر قدر من الضـــوء علـــى عـــبد الرحمـــن منـــيف حتى نال جائزة الإبداع من مصر.. وكنا أيضـــا مـــن ســـلط الضـــوء على من تخشى الشياطين الخرس من مجرد ذكرهم كالشـــاعر مظفـــر الـــنواب والشـــاعر أحمد مطر وكثيرين وكثيرين..إذ يبدو أن نقادنـــا الأجـــلاء لا يعتـــبرون الكاتـــب مـــبدعا إلا بعد أن يحصل على ترخيص من وزارة الثقافة.. أو بعد أن يتجرأ على الذات الإلهية!!..

كـنا ندافـع عـن الإبـداع الحقـيقى وكانوا هم من شفاه مخمورة وأرواح نجسة وعقول مخصية يدافعون عن الكفر والعهر..

وكـنا نحـن الذيـن ندافـع عـن حقوق الإنسان فى أرجاء عالمنا الإسلامى بيـنما كـانوا هـم مشـغولين بتقديم المبررات للسلطات تسويغا للقهر.. وتحليلا للحرام وتحريما للحلال..

يلخص فكرهم كله: الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف..

يلخـص فكـرهم كلـه: الحـق هـو القـوة والسعادة هى اللذة والصدق ما تستطيع بآلة الإعلام الجبارة الكاذبة أن تنشره..

نعم..

لم يكن الأمر أمر إبداع إذن بل أمر كفر وعهر..

كذبـوا طـول الوقـت، فلـم يكن اعتراضنا على رواية أو كتاب وإنما على أن تقوم وزارة الثقافة التى تربى وجدان أجيال بنشر الكفر والعهر.

الـزنا والمخـدرات موجـودة فـى كـل مجـتمعات الدنيا، لكن فرق بين أن توجـد كاسـتثناء يحاربـه المجـتمع وبيـن أن تشـجعه وتدعمه مؤسسة من مؤسسات الدولة.

كذبـوا طـول الوقـت، ورغـم اسـتعدادنا الدائم لتقبلهم ومواجهتهم بالفكر والقلـم إلا أنهـم أثبـتوا أنهـم استئصاليون لا يطيقون أى اختلاف معهم، رضينا بكفـر أفكـارهم، فهـذا مـا يحاسـبهم الله علـيه، لكـنهم لا يرضـون بإيماننا ويـريدون استئصـال شـأفة كـل مـن يقـدس ربه ودينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم .

الإسـلام عـندهم إرهـاب .. الإسـلام عـندهم هو الإرهاب الذى يملئون الدنـيا صـراخا مسـتنجدين بالشـياطين أن تنقذهم منه تدعمهم فى دعاواهم كل شياطين الغرب..

كشـفت النخـبة المـثقفة الظاهـرة نفسها، ووضعت النقاط فوق الحروف، وأنهـا فـى غالبيـتها لا تـتجاوز كتائـب رجال الأمن الفكرى المسند إليهم قمع الفكـر تمامـا ككتائـب رجـال الأمـن البوليسـى المسـند إلـيهم قمع الفعل، وقـد يكـون للأخـيرة شـرف فـى أداء واجـبها- رغم التحفظات- أما بالنسبة للأولـى فـلا شـرف، بـل عـار خـيانة الأمـة - فضـلا عن عار خيانة الله ورسوله.

نعم. لقد بدوا وكأنهم تكرار فاجع لجيش جنوب لبنان العميل، عدو أمته عالى الصوت خافت الضمير خائن الأمة والأمانة. وإنا مع الأمة لمنتظرون تلك اللحظة التى يفئ فيها علينا نصر الله لنشهد انهيارهم الفجائى.. تماما كانهيار جيش أنطوان لحد .. تلك اللحظة التى يعترف فيها كل منهم.. لماذا هان.. ولماذا خان.. ومن كان يحركه.. ومن كان يدفع له..

هذا الفصيل الفكرى الطافى على مجرى النهر فى بلادنا لم يشن فى تاريخه حملة فى عنف وعمق وسعار الحملة التى شنها علينا لأننا ندافع عن ثوابتنا الدينية..

هذا الفصيل الفكرى الذى لم يهتم أبدا بحقوق الإنسان إلا إذا كان هذا الإنسان شيوعيا أو يجترئ على الدين، لم يهتم أبدا بمواجهة المشكلات الهائلة التى تعانى منها أمتنا الإسلامية، فى صراع يكاد يمحو هويتها، لتسقط لقمة سائغة بين أنياب المتربصين، هذا الفصيل الذى أضله من يضل الظالمين يرى التنوير فى التغريب والثقافة فى الغزو الفكرى، والانفصال عن منابعنا وقطع جذورنا ، وما ذلك إلا مؤامرة على الدين والأمة، بل وعلى القومية والأوطان.

إن أى عاقل – لا يلزم أن يكون مثقفا – يدرك أنك لكى تهدم أى مجتمع عليك بهدم ثوابته الدينية والخلقية، ابدأ بالكفر، ثم متعهم بالعهر، وبعد ذلك لن تجد مجتمعا بل شراذم ناس..

هذه الشرذمة التى تسود حياتنا الثقافية مدعومة من أعداء الأمة.. لأنه عندما ينتشر الكفر والعهر فسوف يكون التطبيع مع إسرائيل محصلة طبيعية.. لا لنكون لهم أندادا بل عبيدا..

ما الفرق بين هذه النخبة الفاسدة المنحرفة من المثقفين وبين تلك الفئة الضالة من شبابنا والتى ألقت الشرطة القبض عليها.. فئة عبدة الشيطان.. وهى الفئة التى ما لبثت الشرطة أن أفرجت عنها دون عقاب أو حتى عتاب.. بينما الشباب المسلم فى السجون والمعتقلات يسام سوء العذاب.

ما هو الفرق.. أعتقد أن الإجابة : لا فرق..

نفس الوضع. ونفس الموقف الرسمى المتسامح حتى التفريط مع عبدة الشيطان والبالغ القسوة والوحشية مع الإسلاميين.. نفس الوضع حدث معنا فى قضية الوليمة.. لم تغضب السلطات لله .. بل غضبت لوزير هنا

أو مسئول هناك.. لم تسل سيفها على أعداء الله بل أطلقت الرصاص على من يدافع عن لا إله إلا الله ..

لقد كانت هذه الهموم هى مادة الكتاب الذى يطبع الآن ويجمع ويجمل أكثر من خمسين مقالا نشرت فى صحيفة الشعب المصرية قبل انفجار عاصفة الشيطان .. حتى لقد بدت الأزمة حين نشبت ليست إلا مثالا عمليا على ما ورد فى الكتاب من فكر نظرى.. وبدت تأكيدا على صحة كل كلمة كتبت فيه..

يا أمة.. أعرف أن المجال لا يتسع.. لذلك أوجز مؤكدا ثوابت موقفى:

• الله يعلم – وهم أيضا يعلمون لكنهم يكذبون: على الأقل عن طريق اتصالاتهم الأمنية وخبرتهم الصحفية – أن الحملة التى بدأتها كانت خالصة لوجه الله ولم يكن لها علم الله وشهد أى بعد سياسى، ولم يسبقها أى تخطيط، أو حتى اتصال مع أحد وإنما كانت انفجارا فى القلب من فرط ما وجدت من إساءة للذات الإلهية والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أيضا، أننى كتبت فى العام المنصرم خمسين مقالا – كل مقال صفحة كاملة فى صحيفة الشعب– كان عنوانها: الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة، كان همى فيها هو نفس الهم .. هم الأمة التى خانتها نخبتها لتدفعها إلى الهلاك كقطيع يندفع إلى المجزرة وهو فرح بها نشوان. وأننى تناولت فى هذه المقالات مؤامرات بدأت منذ ألف عام.. مؤامرات الاستشراق ثم التبشير ثم الاستعمار الذى لم يرحل إلا بعد أن اطمأن أنه ترك خلفه نخبة ثقافية منحرفة تهدم فى الأمة ما عجز الاستعمار المباشر عن هدمه.. ووسائلها فى ذلك: الثقافة والإعلام والتعليم .

• الله يعلم وهم يعلمون علم اليقين أننى لم أكن منضما أبدا إلى حزب ولا إلى تنظيم. ولا يمنعنى ذلك أعلن ككاتب مستقل عن احترام لا حد له لحزب العمل وصحيفته ولقياداته . وأن أقرر أن هذا الحزب النبيل عندما تصدى لقضية الإساءة إلى ديننا وثوابتنا لم يفعل ذلك بحسابات سياسية ، على العكس، فعل ذلك ضد الحسابات السياسية، ففى قضية الإيمان والكفر وهدم الثوابت لا توجد – ولا ينبغى أن توجد – حسابات الدنيا بل حسابات الآخرة. لم يقل أحد يوما أننى أنتمى إلى حزب ، وكانت تلك الحقيقة كفيلة بهدم كل إفكهم عن تخطيط هنا أو مؤامرة هناك أو تجهيز للانتخابات (..!!) وعلى الرغم من ذلك فإن صحفنا المحترمة الصادقة(!!) بدلا من أن تعترف بذلك تنشر بمانشيتات عريضة أن حزب العمل يتنصل ويتبرأ منى!!.. وغدا سينسبون إلىّ ما لم أقل فى طوفان من الأكاذيب لا يغيض.

• ولكى أوضح للأمة مدى نبل الكتيبة المجاهدة التى تقود صحيفة الشعب وحزب العمل فإننى أترك للقراء هذه المقارنة: لقد نشرت إحدى الصحف المصرية أن ثروات رؤساء تحرير الصحف المصرية القومية الثلاث تتجاوز المائة مليار دولار لكل واحد منهم، أما المجاهد عادل حسين فقد حصل على مكافأة نهاية الخدمة بعد عمل ثلاثين عاما فى صحيفة الأخبار المصرية، كانت المكافأة سبعة آلاف دولار تقريبا، وكان هذا المبلغ كل ما ادخره فى حياته، ولقد أنفقه فى أسبوع واحد: جهز بنصف المبلغ ابنته للزفاف.. وتبرع بنصفه الآخر للحزب وللصحيفة.. وعندما حكمت المحكمة عليه بغرامة قدرها خمسة آلاف جنيه.. لم يجد ما يسدد به الغرامة.. فتطوع الناس بسداد قسط من الغرامة عنه كى يتجنبوا حبسه. أما رئيس تحرير صحيفة الشعب، الأستاذ مجدى حسين فقد أصبح السجن مقرا شبه دائم له.

• الله يعلم وهم يعلمون أننا لم نطالب أبدا بالخروج على القانون.. بل دائما نطالب بتطبيقه.. ليس فى قضية وزارة الثقافة فقط (والتى خالفت القانون بنشر الرواية الملعونة دون موافقة الأزهر كما ينص القانون وكما صرح فضيلة شيخ الأزهر) .. نحن الذين نطالب بتطبيق القانون فى كل قضايا الأمة وهم الذين يخرجون عليه.. ويدافعون عن هذا الخروج.. ثم يتهموننا نحن بذلك..

• يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله:

• لقد كان السحق العسكرى ضد الأمة الإسلامية موجها إلى تركيا باعتبارها الأقوى وبسحقها ينفرط العقد.. لكن السحق الثقافى كان موجها إلى مصر.. وكانوا مدركين أنهم لا يستطيعون بث سمومهم فى العالم الإسلامى دون أن تكون دولة فى حجم ووزن مصر هى التى تقود حملة التغريب عن طريق نخبة منحرفة من مثقفيها.

• إن الخطر هائل وشامل وقديم ، وهو خطر لا يقتصر على مصر، ولا هو موجه فقط إليها.. كل العالم الإسلامى مستهدف، وما يحدث اليوم فى مصر جهرا يحدث عندهم خفية.. من أندونيسيا إلى المغرب ومن الشيشان إلى السودان. خطر مؤامرة هائلة، كان أسوأ ما فعلته نخبتنا المثقفة الرسمية أنها كرست جهدها كله لإنكارها ، ولم يكن ذلك إلا لصالح أعداء الله الذى يجترئون عليه، لكنه كان أيضا لصالح أعداء الوطن.

• الذين يثيرون كل هذا الضجيج حاملين لواء الكفر لا يزيد تعدادهم عن ثلاثمائة.. ضدهم عشرات الآلاف من المبدعين الحقيقيين الذين لا ينشر لهم

أحـد ولا يملكـون أبـواق الدولـة، وضدهم أيضا شعب مصر كله.. ثلاثمائة .. لكنهم هم الذين يملكون الأبواق.

• كذبـوا وزوروا وادعـوا أن ٣٥٠٠ مـن أدبـاء الأقالـيم يؤازرونهـم .. وكشـفتهم الصـحف فأدبـاء الأقالـيم لا يعرفون عن الموضوع شيئا.. والكارثة الـتى حاقـت بهـم الآن والـتى لا يدركونها.. أن الأمة قد حكمت عليهم بموقفهم هـذا.. وأنهـم فقـدوا تماما عـند الـناس كـل مصـداقية واحترام. بل إنهم يعرضـون أنفسـهم لأول مـرة فـى تـاريخهم الأسـود إلى احتمال أن يتهمهم القـانون بـأنهم يعتـبرون الكفـر إبداعـا وأن مـن يفعل ذلك فهو كافر (بنص الفـتاوى الدينـية الـتى أصـدرتها مؤسسـة رسمية من مؤسسات الدولة). كانوا دائمـا منفصـلين عـن الأمـة وقـد فقدوا كل تأثر بها أو أى تأثير فيها.. كانت الأمـة تـنظر إلـيهم دائمـا نظـرتها إلى العلوج الأجانب.. وتقاومهم بالانعزال عـنهم (انظـروا إلـى أرقـام توزيـع صحفهم ومجلاتهم).. لكن النظرة الآن تتغـير.. فأولـئك هـم الذيـن يعتبرون سب الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسـلم إبداعـا.. وهـو موقـف أدعوهـم وأدعو لهم أن يتوبوا إلى الله عنه.. لن أخـيفهم الآن بآخـرة لعلهـم لا يؤمـنون بهـا.. لكـنهم تحـدوا دائما الأغلبية الصـامتة الـتى اكتشـفت الآن حقيقـتهم.. ثـم تحدوا المؤسسة الدينية الرسمية فـى الدولـة.. ثـم يـتحدون النـيابة فـى تظاهرة لإرغامها على إغفال القانون فى محاكمة المجرمين.

• لا نعـرف حـتى الآن عمـا ستسـفر الأمور، وهل سينتصر صوت الإيمان والحـق والعقـل أم أصـواتهم الخـئون، قـد يغيبوننا فى السجون، وقد يواصلوا تشـويهنا.. لا تدافعـوا عـنا فـالله حسـبنا.. ولكـن.. افطنى يا أمة.. نحن لسنا القضـية.. ولا السياسـة – وأيـم الله – القضـية ..القضـية لا إله إلا الله محمد رسـول الله.. وعلـى كـل واحـد مـنكم أن يدافـع عنها.. دفاع من يخشى لقاء ربه.

إن المعـركة قـد بـدأت لكـنها لـن تنـتهى فالإسلام قادم، وليس من قوة قـادرة علـى مـنعه، ومـا مـن قـيادة للـثورة ضد الظلم والفحش فى الداخل والخـارج سـوى الإسـلام، وسننتصـر ولو بعد ألف عام، فذاك وعد الله، نعم، لـن تنـتهى المعـركة، ولقـد أصـاب هيكل عندما قال أن المثقفين (الذين سموا أنفسـهم كذلـك دون حجـة ولا دلـيل) قـد خسروا المعركة قبل أن تبدأ، لكنها ليسـت خسـارة معـركة، بـل بداية الهزيمة الشاملة والكاملة، ولعل وعيهم بذلك هو سر شراستهم فى المعركة الأخيرة.

***

إن الأمـــر لا يـــتعلق بواحـــد أو اثنيـــن أو حـــتى مجموعة من الأفراد، إنه يـــتعلق بصـــميم الفكـــر العلمـــانى والفلســـفة البراجماتية، حيث لا قيم مطلقة، بل كـــل شـــىء نســـبى، وحيـــث المعاييـــر مـــزدوجة. تلك أركان منهجهم وأعمدة فلســـفتهم، ومـــنها ممارســـة كـــل أنـــواع الجرائم وأولها الكذب، من أجل نزع القداســـة عـــن كـــل مقـــدس والهيبة عن كل مهيب ثم بعد ذلك إسباغ هذه القداسة والهيـــبة علـــى الأصـــنام.. كـــل الأصـــنام كـــى يعبدها الناس من دون الله، فى أحـــيان يكـــون ذلـــك الصـــنم ملكـــا أو رئيسا أو أميرا، وفى أحيان أخرى يكون ذهـــبا أو قـــيما وفكـــر الجاهلـــية الأولى، وفى أحيان يكون ما يدعون أنه الإبداع والتـــنوير، المهـــم لديهـــم أن يصـــرفوا الـــناس عن عبادة الله.. وهم فى سبيلهم لهدفهـــم الشـــيطانى ذاك يكونـــون أشـــد مـــا يكـــون بذاءة وشراسة وسفاهة كلما أحســـوا مـــن أحـــد خطـــرا علـــى مخططـــاتهم. انظروا إلى مجهودهم فى النيل مـــن كـــل مـــن يخاف الله ويعمل على إعلاء كلمته. انظروا إلى رعبهم وخوفهم مـــن أن تهـــب ريـــح الحـــق علـــى أيـــدى عـــباد لله فتطفئ نارهم. هذا الرعب هـــو ســـر شراســـتهم. تلـــك الشراســـة التى تزيد كلما عجزوا. ذلك أنهم كل آن وآخـــر يحســـبون أنهـــم قـــاب قوســـين أو أدنـــى مـــن بغيتهم الشيطانية، بغيتهم بإطفـــاء نـــور الله. وتصـــوروا يـــا نـــاس: عـــبدا للشيطان قاتلا أثيما وسافك دم زنـــيم، يطلـــق علـــى عـــدوه عبد الله وعدو الشيطان - طلقة رصاص متوقعا أن تقـــتله الرصاصـــة علـــى الفـــور، لكـــنه لا يمـــوت، فـــيطلق عـــبد الشيطان رصاصـــة أخـــرى، فـــلا يمـــوت عـــبد الله، فيواصـــل عـــبد الشيطان إطلاق الرصـــاص، وكلمـــا أطلـــق مـــن الرصـــاص أكثر، تزداد شراسته ورعبه، لأنه بـــرغم كـــل مـــا أطلـــق مـــن رصـــاص كان كفيلا بقتل عبد الله مائة مرة فإنه لا يموت.

ذلـــك يـــا نـــاس مـــثل العلمانيين والإسلاميين. كلما اشتد إيذاؤهم لنا.. كلما اشتد رعبهم منا..

أو بمعـــنى آخـــر، فـــإنهم كلمـــا قـــتلوا فينا وأثخنونا بالجراح، وظنوا أنهم بعـــد أن مـــثلوا بـــنا كـــل هذه المثلة الشنعاء فلن يتقدم بعد ذلك لرفع راية لا إله إلا الله محمـــد رســـول الله أحـــد، لكـــنهم يفاجئون أن الراية لا تسقط أبدا، برغم كل ما يفعلون.

* * *

إنـــنى أوصـــيكم بقـــراءة كـــتابى العلامة محمود شاكر : "مقدمة فى الطريق إلـــى ثقافتـــنا" و"أباطـــيل وأســـمار" .. لقـــد خـــاض نفس المعركة سنة ١٩٦٦.. كانـــت مقالاتـــه تنشـــر فـــى مجلـــة الرســـالة.. وقبل أن يكمل معركته .. أغلقوا

المجلــة واعــتقلوه.. نفــس المأســاة تــتكرر مـــن ساســـة يصرون على إغلاق أعيــنهم .. والأمـــة علـــى حافــة الهاويـــة.. فـــلا حـــول ولا قوة إلا بالله العلى العظـــيم.. ولقـــد خـــتم العـــالم العلامة – التى تتجاهله حتى الآن رغم موته كل أجهـــزة الإعـــلام فـــى العـــالم العـــربى – كتابه أباطيل وأسمار ببيتى شعر لأبى العلاء المعرى:

يسوسون الأمور بغير عقل   وينفذ أمرهم فيقال ساسة..

فأفّ من الحياة وأف منى   ومن زمن رئاسته خساسة..

لقـــد حمـــل محمـــود شـــاكر الـــراية وأشهد أنه حملها باقتدار، وحاولت أن أحملهـــا بعـــده فقصـــر جهـــدى، فقصرت، لم أسع سعيه ولم أفر فريه ولم أجاهد جهـــاده، ولـــم أعـــط لـــراية ديـــنك يا رب حقها، فاعف عنى واغفر لى عجزى فقـــد حاولـــت وحـــق جلالـــك مـــا أســـتطيع.. فإن نالوا منى .. فخلا الثغر الذى وقفـــت علـــيه .. فليـــتقدم مـــنكم يـــا نـــاس من يسد الثغر ويحمل الراية.. راية الدفـــاع عـــن ثقافتـــنا الحقيقـــية .. ثقافتـــنا التى لا تقرأ تاريخنا بأعين أعدائنا.. ثقافتـــنا الـــتى لا تســـتنزف وعيـــنا .. ولا توسع من ثقوب الذاكرة.. ثقافتنا التى تقـــدس ربـــنا فـــلا رب لـــنا ســـواه.. ولا منتهى لنا إلا عنده.. ثقافتنا المؤمنة.. ثقافتـــنا الـــتى لا تـــبجل كـــتابا فـــى الدنـــيا كمـــا تبجل كتاب الله .. ثقافتنا التى تحـــترم ديـــنا ونبيـــنا وأســـلافنا الصـــالحين .. وتعتز بهم .. وتتيه فخارا على العالمين..

- اللهم إنى قد بلغت.. اللهم فاشهد..

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِيــنَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {٦}
خَــتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عظِــيمٌ{٧} وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ
{ ٨ } يُخَــادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ
{ ٩ } فِــي قُلُوبِهِــم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُــونَ { ١٠} وَإِذَا قِــيلَ لَهُــمْ لاَ تُفْسِــدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ {١١} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَــكِن لاَّ يَشْعُرُونَ {١٢} وَإِذَا
قِــيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّــفَهَاء وَلَــكِن لاَّ يَعْلَمُونَ {١٣} وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا
خَلَــوْاْ إِلَــى شَــيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {١٤} اللّهُ
يَسْــتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١٥} أُوْلَــئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ
الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ {١٦}البقرة

صدق الله العظيم

مكتبة الاسكندرية BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

كتب للمؤلف

اغتيال أمة- طبعة أولى	١٩٨٧	سياسى	مكتبة مدبولى
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولى
مباحث أمن الوطن – صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	مجموعة قصص قصيرة	مكتبة مدبولى
اغتيال أمة – طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسى	مكتبة مدبولى
قصر العينى	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولى
من مواطن مصرى إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسى	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	مجموعة قصص ونصوص أدبية	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مكتبة مدبولى الصغير
إنى أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسى	مكتبة مدبولى
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسى	مكتبة مدبولى الصغير
الوعى ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسى	مكتبة مدبولى

تحت الطبع

القرن الحادى والعشرون	مجموعة قصص	مكتبة مدبولى الصغير
بروتوكولات حكماء العرب	رواية	

عــربيــة للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة

هذا الكتاب ينطق بالحق، ولله المثل الأعلى، فهو كتاب لم يقتصر على أن يكون درساً في التاريخ، ولا مقرراً من مقررات العلوم الاجتماعية والسلوكية، ولم يحبس كاتبه نفسه خلف قضبان قضية محدودة، سواء في مجال الدراسات السياسية أو الشئون الدولية أو ما شابه ذلك، ولكنه، أي الكاتب، راح بكل الثقة والإيمان يمد يده لإنسان هذا الوطن، الوطن العربي والإسلامي، راح يمد يده لينتشله من هوة سحيقة مظلمة لا يعرف أحد مدى عمقها ولا قوة ولا حجم ما فيها من شرور، فرغم أن عدو هذه الأمة معروف للكافة ويمارس طغيانه وظلمه للجميع جهاراً نهاراً، راح يعبث بالتاريخ، فيثبت ما يشاء ويمحو ما لا يروقه، راح يختلق الوقائع والأحداث ويصطنع لنفسه الأدلة وأسباب القوة، سواء كان بزرع وتأييد إسرائيل اللغم في قلب المنطقة أو بإشاعة الفرقة واستعداء دول العالم على العرب والإسلام والمسلمين، راح يجتاحنا بأساليبه السياسية والتجارية بقصد تحويلنا جميعاً إلى سوق كبيرة لاستهلاك منتجاته واعتناق أفكاره بل والدفاع عنها، وراح ذلك العدو الغشوم يطور من هجومه ويصل إلى التشكيك في المعتقد وتقطيع أوصال الأمة ويستخدم قدراته وتقنياته ومساعديه في التشويش على أفكارنا بل وحجب الضوء والتعتيم على بصائرنا حتى يتمكن من صياغة العقل العربي كيفما يشاء بدءاً من تفريغه من محتواه أو مما بقي فيه من أثر إيجابي من ثقافته وحضارته الأصيلة ثم يعيد شحنه بما يهوى من أباطيل تستند إلى منطلقاته الفكرية والتي تنبع بالضرورة من بروتوكولات حكماء صهيون .. نقول رغم كل ذلك، إلا أننا نلهو ونلعب ونعيش حالة من الغفلة، بل ونجد بين صفوفنا من يضعفون أمام الإغراءات المادية أو تبهرهم مظاهر المدنية فيجعلون من أنفسهم مدافعين عن وجهة نظر أعداء الإنسانية، تحت دعاوى التحرير والتنوير والإبداع، وهم إذ يفعلون ذلك يجهلون أنهم يحفرون قبورهم وقبورنا بأيديهم، ومن هنا فكل ما تعرض له الكاتب من كشف وفضح لأساليب عدونا الأوحد ما هو إلا إضاءة ومحاولة لإيقاف نزيف الوعي من الذاكرة، فلا الإنسان العربي المسلم، ولا الفكر ولا التراث ولا تاريخ الحضارة الإسلامية يستحقون أن نتركهم نهباً وفريسة لصناع الكلام ومزوري التاريخ، فكان لابد من وقفة شجاعة واعية، كان لابد من الدفاع عن الحق وكشف المستور، وكان لابد من إعادة قراءة وكتابة تاريخنا بأقلامنا ووعينا وبصيرتنا وليس كما كتبه لنا أعداؤنا وترجمناه وحفظناه، نقول إزاء كل ما سبق كان لابد أن يقيض الله بعضاً من جنده ليدحضوا الباطل ويسهموا في إعادة صياغة العقل والوعي العربي والإسلامي، كي نضمن وقف نزيف الوعي من الذاكرة، فكان لابد من هذا الكتاب.

والله من وراء القصد ...

الناشر